المجلد الثالث من تفسير اللباب لابن الخازن

٣٣
ع ب
ط

١١ لوحة

٢٦٨

سابقا روم ایلی قاضیعسکری زین العابدین افندی داعیلرینک

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلى
اكرمه الله تعالى بالرضى والحسنى حرره الفقير احمد
شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة المؤمنين وهي مكية

وهي مائة وثمانية عشر آية والف وثمانمائة واربعون كلمة واربعة آلاف وثمانمائة وحرفان **بسم الله الرحمن الرحيم**

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فانزل عليه يوما فمكث ساعة ثم سري عنه فقرأ قد افلح المؤمنون الى عشر آيات من اولها وقال من اقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه ثم قال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم ارضنا وارض عنا اخرجه الترمذي قوله عز وجل **قد افلح المؤمنون** قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة **الذين هم في صلاتهم خاشعون** قال ابن عباس مخبتون اذلاء وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من افعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من افعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين افعال القلب والجوارح وهو الاولى والخاشع في صلاته لا بد وان يحصل له الخشوع في جميع جوارحه فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فهو نهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شيء سوى ذلك التعظيم واما ما يتعلق بالجوارح ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو ان لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله ق عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس الاختطاف عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت انصرف وفي رواية اعرض عنه اخرجه ابو داود والنسائي وقيل الخشوع هو ان لا يرفع بصره الى السماء خ عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يرفعون ابصارهم الى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك او لتخطفن ابصارهم وقال ابو هريرة كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السماء فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رمقوا بابصارهم الى مواضع السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بجسده في الصلاة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا الرجل خشعت جوارحه ذكره البغوي بسند عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصا فان الرحمة تواجهه اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عن ما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر قوله عز وجل **والذين هم عن اللغو معرضون** قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل كل باطل ولهو وما لا يهمه من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب **والذين هم للزكاة فاعلون** اي الزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لانه فعل وقيل الزكاة هاهنا هو العمل الصالح والاول اولى **والذين هم لفروجهم حافظون** الفروج اسم لسوءة الرجل والمرأة وحفظها التعفف عن الحرام **الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم** على بمعنى من يعني الاماء والجواري والآية في الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها **فانهم غير ملومين** يعني يحفظ فرجه الا على امرأته او امته فانه لا يلام على ذلك وانما يلام فيهما اذا كان على وجه يخالف فيه الشرع دون الاتيان في غير المأتي في حال الحيض والنفاس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فهو ملوم **فمن ابتغى وراء ذلك** التمس وطلب سوى الازواج والولائد وهن الجواري المملوكة **فاولئك هم العادون** اي الظالمون المجاوزون من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى واظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم قوله تعالى **والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون** اي حافظون يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاهدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانة تختلف فمنها ما يكون بين العبد وبين الله عز وجل كالصلاة والصوم وغسل الجنابة

وسائر العبادات التي اوجبها الله على العبد فيجب الوفا بجميعها ومنها ما يكون
بين العباد كالودايع والصنايع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفا بها ايضا
والذين هم على صلواتهم يحافظون اي يداومون ويراعون اوقاتها واتمام
اركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها فان قلت كيف كرر ذكر
الصلاة اولا واخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفهم اولا
بالخشوع في الصلاة واخرا بالمحافظة عليها قوله تعالى اوليك يعني اهل
هذه الصفة هم الوارثون يعني يورثون منازل اهل النار من الجنة عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان
منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله
وذلك قوله هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوراثة
هو انه يوول امرهم الى الجنة وينالونها كما يوول امر الميراث الى الوارث قوله
تعالى الذين يرثون الفردوس هو اعلى الجنة عن عبادة بن الصامت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة ماية درجة ما بين كل درجة
ودرجة كما بين السماوات والارض والفردوس اعلاها درجة تفجر منها انهار الجنة الاربعة
منها ومن فوقها يكون العرش فاذا سالتموا الله فاسالوه الفردوس اخرجه
الترمذي هم فيها خالدون يعني لا يخرجون منها ولا يموتون قوله عز
وجل ولقد خلقنا الانسان يعني ولد ادم لان الانسان اسم جنس
من سلالة من طين قال ابن عباس السلالة صفوة الما وقيل المني لان النطفة
تسل من الظهر من طين يعني طين ادم لان السلالة تولدت من طين خلق منه
ادم وقيل المراد منه بالانسان هو ادم وقوله من سلالة اي سل من كل تربة
ثم جعلناه نطفة يعني الذي هو الانسان جعلناه نطفة في قرار مكين
اي في حريز وهو الرحم مكن وهيئ لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة
ثم خلقنا النطفة علقة اي صيرنا النطفة قطعة دم جامد فخلقنا
العلقة مضغة اي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله
كالكسوة وقيل بين كل خلق وخلق اربعون يوما ثم انشاناه خلقا اخر
اي مباينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا
بعد ما كان جمادا وناطقا وكان ابكما وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه
واودع باطنه وظاهره عجايب صنعه وغرايب فطره وعن ابن عباس قال
ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود
والقيام الى المشي الى الفطام الى ان ياكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم ويتقلب في
البلاد الى ما بعدها فتبارك الله احسن الخالقين اي يستحق التعظيم
والثنا بانه لم يزل ولا يزال احسن الخالقين اي المصورين والمقدرين فان قلت

كيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله الله خالق كل شي وقوله هل من خالق غير الله
قلت الخلق له معان منها الايجاد والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها
التقدير كما قال الشاعر

ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق لا يفري

معناه انت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى
الاية الله احسن المقدرين وجواب اخر وهو ان عيسى عليه السلام خلق طيرا
وسمى نفسه خالقا بقوله اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فقال تبارك الله
احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد ما ذكر من تمام الخلق
تموتون عند انقضا اجالكم ثم انكم يوم القيامة تبعثون اي للحساب
والجزا قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق اي سبع سموات طرايق
لان بعضها فوق بعض وقيل انها طرايق الملايكة في الصعود والهبوط وما
كنا عن الخلق غافلين اي بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السما عليهم فتهلكهم
وقيل معناه بنينا فوقكم سما اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل
ما تركناهم سدى بغير امر ونهي وقيل معناه انما خلقنا السما فوقهم لننزل عليهم
الارزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين اي عن اعمالهم
واقوالهم وضمايرهم لا يخفى علينا خافية وانزلنا من السما ما بقدر اي بعلمه
الله من حاجتهم اليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب
وانواع المنفعة فاسكناه في الارض يعني ما يبقى في الغدران والمستنقعات
مما ينفع الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل اسكناه في الارض ثم اخرجنا
منها ينابيع كالعيون والابار فكل ما في الارض من السما وانا على ذهاب به لقادرون
وصح من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات
والنيل كل من انهار الجنة اخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله انزل من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون والدجلة والفرات والنيل
انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي
جبريل استودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك
قوله وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض واذا كان عند خروج
ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل فرفع القران من الارض والعلم كله والحجر
الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار
الخمسة فيرفع كل ذلك الى السما فذلك قوله وانا على ذهاب به لقادرون فاذا
رفعت هذه الاشيا كلها من الارض فقد اهلها خيري الدين والدنيا روى هذا
الحديث البغوي في تفسيره قال روى هذا الحديث الحسن بن سفيان بن عثمان
ابن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندري عن مسلمة بن علي عن
مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما انبت بالما فقال تعالى

فانشأنا لكم به يعني بالماء جنات اي بساتين من نخيل واعناب انما افردهما
لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا
لكم فيها اي في الجنات فواكه كثيرة ومنها تأكلون اي شتاء وصيفا وشجرة اي
وانشأنا لكم شجرة وهي الزيتون تخرج من طور سيناء اي من جبل مبارك وقيل
من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل هو بالسريانية ومعناه
الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل
هو من السنا وهو الارتفاع الذي منه نودي موسى بين مصر وايلة وقيل هو جبل
فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل
هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل تنبت بالدهن اي تنبت وفيها الدهن
وقيل تنبت بثمر الدهن وصبغ للآكلين الصبغ الادام الذي يكون مع الخبز
ويصبغ به جعل الله في هذه الشجرة المباركة اداما وهو الزيتون ودهنا وهو
الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان اول شجرة نبتت
بعد الطوفان الزيتون وقيل ان شجرة الزيتون تبقى في الارض نحو ثلاثة آلاف
سنة قوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة اي آية تعتبرون بها نسقيكم مما
في بطونها اي من البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين
فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه منهما شيء فيستحيل الى الطهارة والى طعم
يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وقد تقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في
سورة النحل ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون يعني كما تنتفعون بها وهي
حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل وعليها اي وعلى الابل وعلى الفلك
تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي ما لكم معبود
سواه افلا تتقون يعني افلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملأ
الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم ادمي مثلكم مشارك لكم في جميع
الامور يريد ان يتفضل عليكم اي لانه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا
وانتم له تبع ولو شاء الله لانزل ملائكة يعني بابلاغ الوحي ما سمعنا بهذا
اي الذي يدعونا اليه نوح في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة اي جنون
فتربصوا به حتى حين اي الى الموت فنستريح منه قال رب انصرني بما كذبون
اي اعني باهلاكهم بتكذيبهم اياي فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اي بمرأى
منا قاله ابن عباس وقيل بحفظنا وعلمنا لئلا يتعرض عليه ولا يفسد عليه عمله ووحينا
قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها فاذا جاء امرنا اي
عذابنا وفار التنور قيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رأيت التنور
يفور منه الماء وقيل التنور الذي يخبز فيه وكان من حجارة فاسلك اي فادخل
فيها اي في السفينة من كل زوجين اثنين اي من كل حيوان ذكر وانثى واهلك

اي

اي وسائر من آمن بك الا من سبق عليه القول اي وجب عليه العذاب منهم يعني
الكفار وقيل اراد بأهله اهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم
هو ابنه كنعان ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون قوله عز وجل فاذا
استويت اي اعتدلت انت ومن معك على الفلك اي في السفينة فقل
الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين اي الكافرين وقل رب انزلني
منزلا مباركا قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل وجه
الارض بعد الخروج من السفينة واراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل
بعد الانجاء وانت خير المنزلين معناه انه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون
من الله فحسن ان يقول وانت خير المنزلين لانه يحفظ من انزله ويكلأه في
سائر احواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك
ان في ذلك اي الذكر الذي من امر نوح والسفينة واهلاك اعداء الله لآيات
اي دلالات على قدرتنا وان كنا اي وما كنا لمبتلين يعني الا مختبرين اياهم
بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم
قوله تعالى ثم انشأنا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم قرنا آخرين يعني عادا
فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني هودا قاله اكثر المفسرين وقيل القرن
ثمود والرسول صالح والاول اصح ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا
تتقون يعني هذه الطريقة التي انتم عليها مخافة العذاب وقال الملأ
من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة اي بالمصير اليها واترفناهم
اي نعمناهم ووسعنا عليهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما
تأكلون منه ويشرب مما تشربون اي من مشروبكم ولئن اطعتم بشرا
مثلكم انكم اذا لخاسرون اي لمغبونون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا
وعظاما انكم مخرجون اي من قبوركم احياء هيهات هيهات قال ابن عباس
اي بعيد بعيد لما توعدون استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا
منهم للتذكير في مبدأ امرهم وقدرة الله على ايجادهم واراد بهذا الاستبعاد
انه لا يكون ابدا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا قيل معناه نحيا
ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل
معناه يموت قوم ويحيا قوم وما نحن بمبعوثين اي بعد الموت ان هو
الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين بالبعث
بعد الموت قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن اي ليصيرن
نادمين على كفرهم وتكذيبهم فاخذتهم الصيحة بالحق يعني صيحة العذاب
وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل اراد بالصيحة الهلاك
فجعلناهم غثاء هو ما يحمله السيل من خشب وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم
هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض فبعدا اي الزمنا بعدا من الرحمة

للقوم الظالمين قوله عز وجل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين اي قوما اخرين
ما تسبق من امة اجلها اي وقت هلاكها وما يستاخرون اي عن وقت هلاكهم
ثم ارسلنا رسلنا تترا اي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين
لان بين كل رسولين زمن طويل كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا
اي بالهلاك فاهلكنا بعضهم في اثر بعض وجعلناهم احاديث اي سيرا وقصصا
يتحدث من بعدهم بامرهم وشانهم فبعدا لقوم لا يؤمنون قوله تعالى ثم ارسلنا
موسى واخاه هارون باياتنا وسلطان مبين اي بحجة بينة كالعصا واليد
وغيرهما الى فرعون وملايه فاستكبروا اي تعظموا عن الايات وكانوا قوما
عالين اي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم فقالوا يعني فرعون وقومه انومن
لبشرين مثلنا يعنون موسى وهارون وقومهما لنا عابدون اي مطيعون
متذللون فكذبوهما فكانوا من المهلكين اي المغرقين ولقد اتينا موسى الكتاب
يعني التوراة لعلهم يهتدون اي لكي يهتدي به قومه قوله تعالى وجعلنا
ابن مريم وامه اية اي دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر وانطقه في المهد
فان قلت لم قال اية ولم يقل ايتين قلت معناه جعلنا شانهما اية لان عيسى
وجد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا في هذه الاية فكانت
اية واحدة واويناهما الى ربوة اي الى مكان مرتفع قيل هو دمشق وقيل هي
الرملة وهي ارض فلسطين وقال ابن عباس هي بيت المقدس قال كعب بيت
المقدس اقرب الارض الى السما بثمانية عشر ميلا وقيل هي مصر وسبب الايوا
انها فرت بابنها اليها وقوله ذات قرار اي منبسطة واسعة يستقر عليها
ساكنوها ومعين اي الما الجاري الذي تراه العيون قوله تعالى يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات قيل اراد بالرسل محمد صلى الله عليه وسلم وحده وقيل اراد
به عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل اراد جميع الرسل واراد بالطيبات الحلال
واعملوا صالحا اي استقيموا على ما يوجبه الشرع اني بما تعملون عليم فيه تحذير
من مخالفة ما امرهم به واذا كان الرسل مع علو شانهم كذلك بان يكونوا تحذيرا
لغيرهم اولى لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله تعالى امر المومنين بما امر به المرسلين
فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يطيل السفر يمد يده الى السما
يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى
يستجاب لذلك اخرجه مسلم وان هذه امتكم اي ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها
امة واحدة اي ملة واحدة وهي الاسلام وانا ربكم فاتقون اي فاحذرون
وقيل امرتكم بما امرت به المرسلين قبلكم فامركم واحد وانا ربكم فاتقون
فتقطعوا اي تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك

من

من الاديان المختلفة امرهم اي دينهم بينهم زبرا اي فرقا وقطعا مختلفة
وقيل معنى زبرا اي كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فامنوا به وكفروا بما سواه
من الكتب كل حزب بما لديهم فرحون اي مسرورون معجبون بما عندهم
من الدين فذرهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في غمرتهم قال ابن عباس
في كفرهم وضلالتهم وقيل في عمايتهم وغفلتهم حتى حين الى ان يموتوا ايحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين اي ما نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين
في الدنيا نسارع لهم في الخيرات اي نجعل لهم ذلك في الخيرات ونقدمه ثوابا
لاعمالهم لمرضاتنا عنهم بل لا يشعرون ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر
المسارعين في الخيرات فقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
اي خائفون والمعنى المومنين بما هم عليه من خشية الله تعالى خائفون من
عقابه وقال الحسن البصري المومن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة
وامنا والذين هم بايات ربهم يؤمنون اي يصدقون والذين هم بربهم لا
يشركون والذين يؤتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقات
وقيل معناه يعملون ما عملوا من اعمال البر وقلوبهم وجلة اي خائفة ان ذلك
لا ينجيهم من عذاب الله وان اعمالهم لا تقبل منهم انهم الى ربهم راجعون اي
انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا
فيها وخافوا ان ترد عليهم عن عايشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق
ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون ان لا يتقبل منهم اولئك يسارعون
في الخيرات اخرجه الترمذي قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات اي
يبادرون الى الاعمال الصالحة وهم لها سابقون اي اليها وقال ابن عباس
سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات قوله تعالى ولا
نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها من الاعمال فمن لا يستطيع القيام فليصل
قاعدا ومن لم يستطع فليفطر وليقض ولدينا كتاب هو اللوح المحفوظ
ينطق بالحق اي يبين الصدق والمعنى قد اثبتنا عمل كل عامل في اللوح
المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتب اعمال العباد التي يكتبها الحفظة
وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال
تعالى بل قلوبهم في غمرة اي في غفلة وجهالة من هذا اي القران ولهم اعمال
اي للكفار اعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك
يعني من دون اعمال المومنين التي ذكرها الله تعالى في قوله ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون هم يعني الكفار لها اي لتلك الاعمال الخبيثة
عاملون اي لا بد لهم من ان يعملوا فيدخلوا بها النار لما سبقت لهم في الازل
من الشقاوة حتى اذا اخذنا مترفيهم اي رؤساءهم واغنياءهم بالعذاب

قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فابتلاهم الله تعالى بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف اذا هم يجارون اي
يضجون ويستغيثون ويجزعون لا تجاروا اليوم اي لا تجزعوا ولا تضجوا
انكم منا لا تنصرون اي لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم قد كانت
اياتي تتلى عليكم يعني القران فكنتم على اعقابكم تنكصون اي ترجعون
القهقري وتتاخرون عن الايمان مستكبرين به قال ابن عباس اي بالبيت
الحرام كناية عن غير مذكور اي متعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون
نحن اهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر احد علينا ولا نخاف احدا فيامنون
فيه وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به اي بالقران فلم يؤمنوا به
والقول الاول اظهر سامرا يعني انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة
سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي
صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى تهجرون من الاهجار وهو الافحاش في القول
وقيل معنى تهجرون اي تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقران
وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح اي تهجرون وتقولون ما لا تعلمون
افلم يدبروا القول يعني يتدبروا ما جاءهم من القران فيعتبرون بما فيه
من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ام جاءهم ما لم يات
اباءهم الاولين يعني انكروا او يريدوا انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم يريد
انا فقد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا صلى الله عليه وسلم ام لم
يعرفوا رسولهم فهم له منكرون قال ابن عباس اليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم
صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وامانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل
التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة ام يقولون
به جنة اي جنون وليس هو كذلك بل جاءهم بالحق اي بالصدق والقول
الذي لا يخفى صحته وحسنه على عاقل واكثرهم للحق كارهون قوله
عز وجل ولو اتبع الحق اهواءهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى لو اتبع الله
مرادهم فيما يفعل وقيل ولو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق
هو القران اي لو نزل بما يحبون وبما يعتقدون لفسدت السموات
والارض ومن فيهن اي لفسد العالم بل اتيناهم بذكرهم قال ابن
عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القران فهم عن ذكرهم اي شرفهم معرضون
ام تسالهم اي على ما جئتهم به خرجا اي اجرا وجعلا فخراج ربك
خير اي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير وهو خير الرازقين
تقدم تفسيره وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم الى دين الاسلام وان الذين
لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط اي عن دين الحق لناكبون اي لعادلون عنه

وما يلون

وما يلون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدوبة للجوا في طغيانهم
يعمهون يعني لتمادوا في طغيانهم يعمهون اي لم ينزعوا عنه ولقد اخذناهم
بالعذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل عليهم سنين
كسني يوسف فاصابهم القحط فجاء ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد اكلوا
القد والعظام وشكى اليه الضر فادع الله ان يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف
عنهم فانزل الله هذه الاية فما استكانوا لربهم اي فما خضعوا وما ذلوا لربهم
وما يتضرعون اي يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم حتى اذا فتحنا عليهم
بابا ذا عذاب شديد قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل
هو الموت وقيل هو قيام الساعة اذا هم فيه مبلسون اي ايسون من كل
خير قوله تعالى وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة اي لتسمعوا
بها وتبصروا وتعقلوا بها قليلا ما تشكرون اي لم تشكروا هذه النعم وهو
الذي ذراكم في الارض اي خلقكم واليه تحشرون اي تبعثون وهو الذي
يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان
وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض افلا تعقلون
اي ما ترون من صنعه فتعتبرون بل قالوا مثل ما قال الاولون معناه
اي كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه انكروا البعث مثل ما انكر الاولون
مع وضوح الادلة قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
اي لمحشورون قالوا ذلك على طريق الاستهزاء والانكار والتعجب لقد وعدنا
اي نحن هذا الوعد واباؤنا هذا من قبل اي وعد اباؤنا قوم ذكروا انهم رسل الله
فلم نر له حقيقة ان هذا الا اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين قوله
تعالى قل اي يا محمد لاهل مكة لمن الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون
اي خالقها ومالكها سيقولون لله اي لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انهم
مخلوقون لله قل لهم اذا اقروا بذلك افلا تذكرون اي فتعلمون ان من
قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون
اي عبادة غيره وقيل معناه افلا تحذرون عقابه قل من بيده ملكوت كل شيء
اي ملك كل شيء وهو يجير اي يؤمن من يشاء ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخافه
الله وقيل يمنع من يشاء من السوء ولا يمتنع منه من اراده بسوء ان كنتم تعلمون
اي فاجيبوا سيقولون لله قل فانى تسحرون اي فانى تخدعون وتصرفون
عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا بل اتيناهم بالحق
اي بالصدق وانهم لكاذبون اي فيما يدعون من الشريك والولد ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من اله اي من شريك اذا لذهب كل اله بما خلق

اي لا انفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه ولم يرض ان يضاف خلقه وانعامه
الي غيره ومنع كل اله الاخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو ولعلا بعضهم على بعض
اي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك
فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ثم نزه نفسه فقال عز وجل سبحان
الله عما يصفون اي من اثبات الولد والشريك عالم الغيب والشهادة فتعالى
عما يشركون اي تعظم من ان يوصف بما لا يليق به قوله عز وجل قل رب اما
تريني ما يوعدون اي ما وعدتهم من العذاب رب اي يا رب فلا تجعلني في
القوم الظالمين اي لا تهلكني بهلاكهم وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
لقادرون قوله عز وجل ادفع بالتي هي احسن اي بالخلة التي هي احسن وهي
الصفح والاعراض والصبر السيئة يعني اذاهم امره بالصبر على المشركين والكف
عن المقاتلة ثم نسخها باية السيف قوله عز وجل نحن اعلم بما يصفون اي يكذبون
ويقولون من الشرك قوله عز وجل وقل رب اعوذ بك اي امتنع واعتصم بك
من همزات الشياطين قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم
وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصي واعوذ بك رب ان يحضرون اي في شيء من اموري
وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له عن جبير بن مطعم انه راى
النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي فقال الله اكبر
كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من
الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة
اخرجه ابو داود وقد جاء في تفسير هذه الالفاظ في متن الحديث ويريده ايضا
ما قوله نفثه الشعر لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما
ينفث الريق قوله ونفخه الكبر وذلك ان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه
فيحتاج الى ان ينفخ وقوله وهمزه الموتة والموتة الجنون يخنقه الشيطان
ثم اخبر الله عز وجل انه لا الكفار الذين ينكرون البعث يسالون الرجعة الى
الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون
قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على
وجه التعظيم وقيل هو خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا
يكون معناه انه استغاث بالله اولا ثم رجع الى مسئلة الملائكة الرجوع
الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكانه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي ضيعت وقيل تركت خلفت من التركة والمعنى
اقول لا اله الا الله واعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية
قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات
ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر اذا راى
العذاب كلا كلمة ردع وزجر اي لا يرجع اليها انها يعني سؤال الرجعة كلمة هو

قايلها

قايلها اي لا ينالها ومن ورائهم برزخ اي امامهم وبين ايديهم حاجز الى يوم يبعثون
ومعناه انه بينهم وبين الرجعة حجاب ومانع عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى
انهم يرجعون وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة قوله
تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم قال ابن عباس انها النفخة الاولى
نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يوخذ بيد العبد والامة
يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والاخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن
فلان فمن كان له قبله حق فلياتي الى حقه فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده
او ولده او زوجته او اخيه فياخذ منه ثم قرا ابن مسعود فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا انساب
بينهم اي لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا
يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من انت ومن اي قبيلة
انت ولم يرد ان الانساب تنقطع فان قلت قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال
في موضع اخر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس ان للقيامة
احوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل
فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون افاقة فيتساءلون قوله تعالى فمن ثقلت
موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
اي غبنوا انفسهم في جهنم خالدون تلفح تسفع وقيل تحرق وجوههم النار وهم
فيها كالحون اي عابسون وقد بدت اسنانهم وتقلصت شفاههم كالراس المشوط
على النار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال
تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته
السفلى حتى تضرب سرته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب الم تكن
اياتي تتلى عليكم يعني قوارع القران وزجره تخوفون بها فكنتم بها تكذبون قالوا
ربنا غلبت علينا شقوتنا اي التي كتبت علينا فلم نهتد وكنا قوما ضالين
اي عن الهدى ربنا اخرجنا منها اي من النار فان عدنا اي لما تكره فانا ظالمون
قال اخسئوا فيها اي ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ ولا تكلمون
اي في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم فعند ذلك ايس المساكين من الفرج وقال
الحسن هو اخر كلام يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق
وعوا كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون روى عن عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم
يدعون مالكا خازن جهنم اربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم
ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فما ييئس القوم

بعد ذلك بكلمة الا ان كان لا الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند واخرجه الترمذي بمعناه عن ابي الدرداء قوله فما ييأس القوم بعد ذلك بكلمة اي سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم **انه كان فريق من عبادي** يعني المومنين **يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا** يعني تسخرون منهم وتستهزءون بهم **حتى انسوكم ذكري** اي حتى انسى لكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم **وكنتم منهم تضحكون** نزلت في كفار قريش كانوا يستهزءون بالفقراء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال وصهيب وعمار وخباب رضي الله عنهم ثم قال تعالى **اني جزيتهم اليوم بما صبروا** اي على اذاكم واستهزائكم في الدنيا **انهم هم الفائزون** اي جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة **قال** يعني ان الله قال للكفار يوم البعث **كم لبثتم في الارض** اي في الدنيا وفي القبور **عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم** معناه انهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب **فاسال العادين** يعني الملائكة الذين يحفظون اعمال بني ادم ويحصونها عليهم **قال ان لبثتم الا قليلا** اي ما لبثتم في الدنيا الا قليلا سماه قليلا لان الواحد وان طال لبثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الاخرة **لو انكم كنتم تعلمون** اي قدر لبثكم في الدنيا قوله تعالى **افحسبتم انما خلقناكم عبثا** اي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله تعالى **وانكم الينا لا ترجعون** اي في دار الاخرة للجزاء روى البغوي بسنده عن حنش ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في اذنه الاية افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرئ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بما رقيت في اذنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال تعالى **فتعالى الله الملك الحق** اي هو الثابت الملك الجامع لاصناف المملوكات **لا اله الا هو رب العرش الكريم** اي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات **ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به** اي لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك **فانما حسابه** اي جزاؤه **عند ربه** اي هو يجازيه بعمله **انه لا يفلح الكافرون** اي لا يسعد من جحد وكذب **وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين** والله اعلم

تفسير سورة النور وهي مدنية

وهي اثنان وقيل اربع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **سورة انزلناها وفرضناها** اي اوجبنا فيها من الاحكام والزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الاحكام من الحدود وقيل اوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة **وانزلنا فيها ايات بينات** اي واضحات **لعلكم تذكرون** اي تتعظون قوله تعالى **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان في الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا اي فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما اي الزاني والزانية مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة التغريب الى راي الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب وتجلد المراة ولا تغرب وان كان الزاني محصنا فعليه الرجم **ولا تاخذكم بهما رافة** اي رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعطا وعكرمة وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرافة ان تخففوا الضرب بل اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية اي القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك في حد الفرية ويخفف دون ذلك في حد الشرب **في دين الله** اي في حكم الله وروي ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها وقد ضربت فاوجعت **ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر** معناه ان المومن لا تاخذه الرافة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب التهييج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تومنون فلا تتركوا اقامة الحدود **وليشهد** اي وليحضر **عذابهما** اي حدهما اذا اقيم عليهما **طايفة** اي نفر **من المومنين** قيل اقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل اربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل **الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين** اختلف العلماء في معنى الاية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاير وفي المدينة نساء بغايا من اخصب اهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الاية فحرم على المسلمين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطا وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء بغايا بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السايب بن ابي السايب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين

نكاحهن على هذه الصفة فاستاذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت ان تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية وروي عن عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان يحمل الاساري من مكة حتى ياتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيا فنزلت الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فدعاني فقراها علي وقال لا تنكحها اخرجه الترمذي والنسائي وابو داود بالفاظ متقاربة المعنى وعلى قول هولاء كان التحريم خاصا في حق اوليك دون ساير الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الاية الزاني لا يزني الا بزانية او مشركة والزانية لا تزني الا بزان او مشرك وهو قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هارون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الاية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الاية ثم نسخت بقوله وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم والحجة من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امراة لا تمنع يد لامس قال طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا الحديث ابو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه احد الرواة قال ابن عباس لم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروي ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامراة في زنا وحرص ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل في معنى الاية ان الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصوالح من النسا وانما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله او مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في نكاح الصلحا من الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق مثلها خبيث او مشرك وحرم ذلك على المومنين اي صرف الرغبة بالكلية الى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفايف فهذا محرم على المومنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزويج بالزانية قوله تعالى **والذين يرمون** اي يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحراير العفايف **ثم لم ياتوا باربعة شهدا** اي يشهدون على الزنا **فاجلدوهم ثمانين جلدة** بيان حكم الاية وذلك بان من قذف محصنا او محصنة بالزنا فقال له يا زاني او يا زانية او زنيت فيجب عليه جلد ثمانين جلدة ان كان القاذف حرا وان كان عبدا جلد اربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرايط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنا في عمره

مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان اقر المقذوف على نفسه بالزنا واقام القاذف اربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان القاذف انما وجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه واما الكناية مثل ان يقول يا فاسق او يا فاجر او يا خبيث او يا مواجر او قال امراتي لا ترد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا الا ان يريد ذلك واما التعريض مثل ان يقول اما انا فما زنيت او ليست امي زانية فليس بقذف عند الشافعي وابي حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال احمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا وقوله تعالى **ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون** فيه دليل على ان القذف من الكباير لان اسم الفاسق لا يقع الا على صاحب كبيرة قوله تعالى **الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم** اختلف العلما في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثنا فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سوا تاب بعد اقامة الحد عليه او قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثنا يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطا وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان ابن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا الاستثنا يرجع الى قوله واولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الراي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف يردونها في احسن حاليه ويقبلونها في شر حاليه وذهب الشافعي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة قال الاستثنا يرجع الى الكل وعامة العلما على انه لا يسقط الحد بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ابدا قلت معنى قوله ما دام مصرا على القذف لان ابد كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا يراد بذلك ما دام على كفره فاذا اسلم قبلت شهادته قوله عز وجل **والذين يرمون** اي يقذفون **ازواجهم ولم يكن لهم شهدا** اي يشهدون على صحة ما قالوا **الا انفسهم** اي غير انفسهم **فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين** سبب نزول هذه الاية ما روي ان سهل بن سعد الساعدي ان عويمر العجلاني جاء الى عاصم بن عدي فقال له يا عاصم ارايت لو ان رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال عاصم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك

فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى اهله جاء عويمر فقال له يا عاصم ماذا يقول
النبي صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسئلة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا انتهي حتى اسأله عنها
فجاء عويمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله
ارأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا ايقتله فيقتلونه ام كيف يفعل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفي صاحبتك فاذهب فأت بها
قال سهل فتلاعنا وانا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا
من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل
ان يأمره صلى الله عليه وسلم قال مالك بن شهاب فكانت ذلك سنة المتلاعنين
اخرجاه في الصحيحين زاد في رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا
ان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا احسب عويمرا
الا قد صدق عليها وان جاءت به احيمر كأنه وحرة فلا احسب عويمرا الا كذب عليها
فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر
فكان بعد ينسب الى امه **قوله** اسحم اي اسود والادعج الشديد سواد العين
مع سعتها **وقوله** خدلج الساقين اي ممتلئ الساقين غليظهما وكأنه وحرة
الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعصاة تلتصق بالارض واراد بهذا الحديث
المبالغة في قصره **ح** عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امرأته عند النبي صلى الله
عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال
يا رسول الله اذا رأى احدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله
يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال بن امية والذي بعثك اني لصادق
ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام وانزل عليه والذين
يرمون ازواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم
فارسل اليهما فجاءا فقام هلال بن امية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول
الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة
وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع
ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروها
فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء
فجاءت به كذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان
لي ولها شأن وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس لما نزلت والذين يرمون المحصنات
الآية قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها لم يكن لي ان اهيجه حتى آتي
باربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي باربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وان
قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا

تسمعون

تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا
طلق امرأة له فاجترأ رجل منا ان يتزوجها فقال سعد يا رسول الله بابي انت وامي والله
اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبر الله عز وجل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل يأبى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قالوا
فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له فقال له هلال بن امية من حديقة له فرأى رجلا
مع امرأته يزني بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جئت الى اهلي عشاء فوجدت مع امرأتي
رجلا رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتاه به وثقل
عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال يا رسول الله اني لارى الكراهة في وجهك
مما اتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا واني لارجو ان يجعل الله لي فرجا
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما
قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فانهم لذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد ان يأمر بضربه اذ انزل عليه الوحي فامسك اصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي
قد نزل حتى فرغ فانزل الله تعالى والذين يرمون ازواجهم الى آخر الآيات فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال كنت
ارجو ذلك من الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت
فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يا رسول الله
قد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما
فقيل لهلال اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند
الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة وان عذاب
الله اشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب
فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشهد **والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين**
ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند
الخامسة ووقفها اتقي الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب
الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت
الخامسة ان غضب الله ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه
فجاءت به غلاما كأنه جمل اورق على الشبه المكروه فكان اميرا بمصر لا يدرى من ابوه
وروى ابن عباس ان عويمرا لما لاعن زوجته خولة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشهد بالله ان خولة

لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد بالله اني رايت شريكا على بطنها واني
لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين
ثم قال في الرابعة اشهد بالله اني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم
قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم امره
بالقعود فقعد ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان
عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية اشهد بالله ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين
ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني لحبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة
اشهد بالله انه ما راني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة
غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لي في امرها راي ثم قال تحينوا الولادة
فان جاءت به اصهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحما وان جاءت به اورق
جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه
خلق بشريك بيان حكم الاية وذلك ان الرجل اذا قذف امراته فموجبه موجب قذف
الاجنبية في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة او التعزير ان كانت غير محصنة
غير المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبية او اجنبيا تقام عليه الحد الا ان ياتي
باربعة شهدا يشهدون بالزنا او يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفي الزوجة
اذا وجد احد هذين او لاعن سقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة منزلة البينة
فان الرجل اذا راى مع امراته رجلا ربما لا يمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار
فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله
انه لمن الصادقين واذا اقام الزوج بينة على زناها او اعترفت هي بالزنا سقط
عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن لنفيه اذا
اراد الامام ان يلاعن بينهما بدا بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول
اشهد بالله انه لمن الصادقين فيما رميتها به زوجتي فلانة بالزنا وان كان قد رماها
برجل بعينه سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولدا وحمل يريد نفيه
يقول وان هذا الولد او هذا الحمل لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان
كنت من الكاذبين فيما رميتها به فلانة واذا اتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين
الامام لا تحتسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينهما وبين الزوجة وحرمت
عليه على التابيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المراة حد الزنا
فهذه خمسة احكام تتعلق بلعان الزوج قوله تعالى **ويدرا** اي يدفع **عنها العذاب**
اي الحد **ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين** وحكم الاية ان الزوج اذا لاعن وجب على المراة حد الزنا
فاذا ارادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم اربع
شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة علي غضب الله ان كان

زوجي

زوجي من الصادقين فيما رماني ولا يتعلق بلعانها الا حكم واحد وهو اسقاط
الحد عنها ولو اقام الزوج بينة لم يسقط عنها باللعان وعند اصحاب الراي لا حد على
من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج
وامتنعت المراة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الاخرين اللعان حجة صدقه والقاذف
اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبي اذا
قعد عن اقامة البينة وعند ابي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب
وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ
عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متابدة حتى لو كذب الزوج نفسه
يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تابيد التحريم
وعند ابي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق واذا اكذب نفسه جاز له ان ينكحها
واذا اتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر كلمات
اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حرا كان او عبدا مسلما كان او ذميا
وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك
والثوري والشافعي واكثر اهل العلم وقال الزهري والاوزاعي واصحاب الراي لا يجري
اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين وان كان احد الزوجين رقيقا او ذميا او
محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القران حجة لمن قال يجري اللعان بينهما لان
الله قال والذين يرمون ازواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيرهما ولا
يصح اللعان الا بامر الحاكم او نائبه ويغلظ اللعان باربعة اشيا بتعدد الالفاظ
وبالمكان والزمان وان يكون بمحضر جماعة من الناس اما تعدد الالفاظ فيجب ولا
يجوز الاخلال بشي منها واما المكان فهو ان يلاعن في اشرف الاماكن فان كان بمكة
فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر
البلاد في الجامع عند المنبر واما الزمان فهو ان يكون بعد العصر واما الجمع فاقله
اربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ
بالزمان والمكان قولان قوله تعالى **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** اي
لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستركم ودفع عنكم الحد باللعان **وان الله تواب**
اي يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة **حكيم** اي فيما فرض من الحدود قوله عز وجل
ان الذين جاءو بالافك عصبة منكم الايات سبب نزولها ما روي عن ابن شهاب
قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن ابي وقاص وعبيد الله
بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال
لها اهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها
من بعض واثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن
عائشة رضي الله تعالى عنها وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضي الله
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين ازواجه فايتهن

خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة واقرع بيننا في غزوة غزاها
فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما انزل الحجاب فكنت احمل على
هودج وانزل فيه فسرنا حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل
ودنونا من المدينة قافلين اذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت
حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فالتمست صدري فاذا عقد
لي من جزع اظفاري قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاوه قالت واقبل
الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب
عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النسا اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم
انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه
وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر
الجيش فجيت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت
انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينما انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان
صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من ورا الجيش فادلج فاصبح عند منزلي
فراى سواد انسان نايم فاتاني فعرفني حين راني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت
باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه
كلمة غير استرجاعه فهوى حتى اناخ راحلته فوطي على يديها فركبتها فانطلق يقود بي
الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الظهيرة
قالت فهلك من هلك في شاني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن ابي بن سلول
فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب الافك
ولا اشعر بشي من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم
اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف
فذلك الذي يريبني منه ولا اشعر بالشر حتى نقهت فخرجت انا وام مسطح قبل المناصع
وهي متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من
بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في التبرز قبل الغايط وكنا نتاذى بالكنف ان
نتخذها عند بيوتنا فاقبلت انا وام مسطح فاقبلت انا وام مسطح وهي بنت ابي
رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق
وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شاننا نمشي فعثرت ام
مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بيس ما قلت اتسبين رجلا شهد
بدرا فقالت يا هنتاه الم تسمعي ما قال قالت قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل
الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلم وقال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان اتي ابوي وانا اريد ان استيقن الخبر
من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوي فقلت لامي يا امتاه
ماذا يتحدث الناس به فقالت يا بنية هوني على نفسك فوالله لقلما كانت امراة قط

وضية

وضية عند رجل يحبها ولها ضراير الا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد
تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل
بنوم ثم اصبحت ابكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب
واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله قالت فاما
اسامة فاشار عليه بما يعلم من براة اهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود
فقال اسامة هم اهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا واما علي بن ابي طالب
فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنسا سواها كثير وسل الجارية تصدقك
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت فيها امرا يريبك
قالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق ان رايت منها امرا اغمصه عليك اكثر
من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فياكله قالت
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابي بن سلول
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرني من رجل بلغني اذاه
في اهلي وفي رواية في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا
ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي قالت فقام سعد بن معاذ
احد بني عبد الاشهل فقال انا يا رسول الله اعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا
عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا فيه امرك فقام سعد
بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا
صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا
تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال
لسعد بن عبادة كذبت والله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين
فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم قايم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا
وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي
المقبلة لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح عندي ابواي وقد بكيت ليلتين
ويوما حتى اظن ان البكا فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي
اذ استاذنت امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن كذلك
اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي
ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشي قالت فتشهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه بلغني عنك كذا وكذا
فان كنت بريية فسيبريك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي
اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة وقلت لابي اجب عني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فقلت لابي اجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقالت والله ما ادري
ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وانا جارية حديثة السن لا اقرا كثيرا
من القران فقلت اني والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر
في انفسكم وصدقتم به فلين قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني منه بريئة فلا تصدقوني
بذلك ولين اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني والله ما اجد لكم
مثلا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت
واضطجعت على فراشي وانا والله حينيذ اعلم اني بريئة وان الله تعالى سيبريني ببراتي
ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي كان احقر
من ان يتكلم الله بامر يتلى ولكن كنت ارجوا ان يري رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم
رويا يبريني الله بها فوالله ما رام مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل الله
على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحا حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق
في يوم شات من ثقل القول الذي انزل عليه قالت فسري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال لي يا عايشة احمدي الله وفي رواية
ابشري يا عايشة اما والله فقد ابراك الله قالت لي امي قومي الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت لا والله لا اقوم ولا احمد الا الله تعالى هو الذي انزل براتي فانزل
الله عز وجل ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم العشر الايات فانزل الله تعالى هذا
في براتي بالافك قال ابو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه
وفقره والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعد ما قال لعايشة فانزل الله ولا ياتل
اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال ابو بكر الصديق بلى والله اني
لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا انزعها منه
ابدا قالت عايشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال زينب بنت جحش عن
امري فقال يا زينب ما علمت ما رايت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله
ما علمت عليها الا خيرا قالت عايشة وهي التي تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
وعصمها الله بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من اصحاب
الافك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هولا الرهط زاد في رواية قالت
عايشة والله ان الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما
كشفت كنف انثى قالت ثم قتل في سبيل الله بعد فهذا حديث متفق على صحته اخرجاه
في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة عن عايشة والذي تولى كبره منهم عبد الله
ابن ابي بن سلول وقال عروة اخبرت انه يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه
ويستوشيه قال عروة لم يسم لي من اهل الافك ايضا الا حسان بن ثابت ومسطح
ابن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس اخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى
قال عروة وكانت عايشة تكره ان يسب عندها حسان بن ثابت وتقول انه
الذي قال • فان ابي ووالدتي وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء •

لخرجاه

لخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عايشة وعندها حسان ينشدها
شعرا يشبب من ابيات فقال لحسان •
• حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل •
فقالت له عايشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها اتاذنين له ان
يدخل عليك وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واي
عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح او يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

• شرح غريب الفاظ هذا الحديث •

قوله وكلهم حدثني طايفة اي قطعة من حديثها قولها وكان اوعى اي احفظ
له قولها اذن اي اعلم بالرحيل قولها فقدت عقدا لي من جزع اظفار وهو
نوع من الخرز وهو الجزع اليماني المعروف قولها لم يهبلن اي يكثر لحمهن
من السمن فيثقلن قولها انما ياكلن العلقة من الطعام هي بضم العين اي
البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق قولها ليس بها منهم داع ولا
مجيب اي ليس بها احد لا من يدعو ولا من يرد جوابا قولها فتيممت اي
قصدت قولها فعرس من ورا الجيش فادلج التعريس نزول المسافر في اخر
الليل للراحة والادلاج بالتشديد سير اخر الليل وبالتخفيف سير الليل
كله قولها باسترجاعه وهو قول القايل انا لله وانا اليه راجعون قولها
خمرت اي غطيت وجهي بجلبابي اي ازاري قولها موغرين في نحر الظهيرة الوغرة
شدة الحر وكذلك نحر الظهيرة اي اوله قولها والناس يفيضون اي يخوضون
ويتحدثون قولها وهو يريبني يقال رابني يريبني اي شككت فيه قولها
ولا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف اي الرفق بها واللطف في الافعال
الرفق وفي القول لين الكلام قولها حتى نقهت اي افقت من المرض والمناصع
المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غايط وبول واصله المكان الواسع
الخالي والمرط كسا من صوف او خز قولها تعس مسطح اي عثر وهي الدعا
على الانسان اي سقط بوجهه قولها يا هنتاه اي بلهاء كانها تنسبها الى
البله وقلة المعرفة قولها لا يرقى لي دمع اي لا ينقطع وقول بريرة ان رايت
بمعنى النفي اي ما رايت منها امرا اغمصه بالصاد المهملة اي اعيبه والداجن الشاة
التي تالف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني اي من يقوم
بعذري ان انا كافيته على سوء صنيعه ان عاتبت او عاقبت فلا تلوموني على
ذلك قوله وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه اي من قبيلته قولها ولكن
احتملته الحمية اي حملته الغضب والانفة والتعصب على الجهل للقرابة قولها تثاور
الحيان اي ثاروا ونهضوا للقتال قولها فلم يزل يخفضهم اي يهونه عليهم ويسكن
قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت قيل من اللمم وهو من صغار الذنوب

للذي

وقيل معناه مفارقة الذنب من غير فعل قولها فقلص دمعي اي انقطع قولها ما رام اي ما برح من مكانه والرحبا الشدة والكرب والجمان الذرة وجمعها جمانات فسري عنه اي كشف عنه وقول زينب احمي سمعي وبصري اي امنعهما من ان اخبر بما لم اسمع ولم ابصر قولها كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله اي منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف انثى اي سترها قولها يبتغون شيئه اي يستخرجونه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان في عايشة ابن ثابت حصان بفتح الحا امراة حصان اي متعففة حيية رزان اي ثابتة ما تزن اي ترمي ولا تتهم بريبة اي بامر يريب الناس وتصبح غرثى اي جايعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب احدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عايشة في حسان انه كان ينافح اي يناضل ويخاصم عن الله ورسوله واما التفسير فقوله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم اي بالكذب والافك اسوء الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عايشة كانت تستحق الثنا والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالافك عصبة اي جماعة منكم اي عبد الله بن ابي بن سلول ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن ابي بن سلول كان راس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب الى الايمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة كانوا من المؤمنين المخلصين قوله عز وجل لا تحسبوه شرا لكم يعني الافك الخطاب لعايشة وصفوان وقيل لعايشة ولابويها وللنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان بل هو خير لكم يعني ان الله يوجركم بذلك ويظهر براءتكم ويشهد بكذب العصبة واوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم لكل امرء منهم اي من العصبة الكاذبة ما اكتسب من الاثم اي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه والذي تولى كبره منهم اي تحمل معظمه وبدا بالخوض فيه وقام باشاعته وهو عبد الله بن ابي بن سلول منهم من العصبة له عذاب عظيم يعني عذاب النار في الاخرى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عايشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين قوله عز وجل لولا اذ سمعتموه اي الحديث الكذب وقول اهل الافك ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم اي باخوانهم واهل دينهم خيرا والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذا سمعوا قول اهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة المؤمنين وقالوا هذا افك مبين اي كذب بين لا حقيقة له لولا يعني هلا جاؤا اي على ما زعموا عليه باربعة شهداء اي يشهدون بذلك فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله اي في حكم الله هم الكاذبون

وهذا

وهذا من باب الزجر والجر فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذ لم ياتوا بالشهدا ومن كذب فهو عند الله كاذب سوا اتى بالشهدا او لم يات قلت قيل هذا في حق الذين رموا عايشة خاصة ومعناه فاولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي وقيل معناه فاولئك عند الله في حكمه الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف ان لم يات بالشهود يجب زجره قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم معناه لولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال بالتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تاخير العقاب وقبول التوبة ممن تاب اذ تلقونه بالسنتكم اي يرويه بعضكم من بعض وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي من غير ان تعلموا انه حق وتحسبونه هينا اي وتظنون انه سهل لا اثم فيه وهو عند الله عظيم اي في الوزر ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك قيل للتعجب وقيل للتنزيه هذا يعني بهتان عظيم اي كذب عظيم اي يبهت ويتحير من عظمه روي ان ام ايوب قالت لابي ايوب الانصاري اما بلغك ما يقول الناس في عايشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الاية على وفق قوله يعظكم الله قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الايات اي في الامر والنهي والله عليم اي بامر عايشة وصفوان حكيم اي حكم ببراءتهما قوله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اي يظهر الزنا ويذيع في الذين امنوا قيل الاية مخصوصة بمن قذف عايشة والمراد بالذين امنوا عايشة وصفوان وقيل الاية على العموم فكل من احب ان تشيع الفاحشة او تظهر احد فهو داخل في حكم الاية والمراد بالذين امنوا جميع المؤمنين لهم عذاب اليم في الدنيا يعني الحد والذم على فعله والاخرة اي وفي الاخرة لهم النار والله يعلم اي كذبهم وبراءة عايشة وما خاضوا فيه من سخط الله وانتم لا تعلمون وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وانتم لا تعلمون ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته يعني لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة وان الله رءوف رحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي اثاره ومسالكه ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء اي بالقبايح من الاقوال والافعال وكلما يكره الله عز وجل والاية عامة في حق كل احد والمنكر لان كل

مكلف ممنوع من ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
اي ما طهر وما صلح والاية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى
انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك
ومعناه ما طهر من الذنب ولا صلح امره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس
قيل معناه ما قبل توبة احد منكم ابدا ولكن الله يزكي اي يطهر من يشا
من الذنب بالرحمة والمغفرة والله سميع اي لاقوالهم عليم اي بما في قلوبهم
ولا يأتل اي ولا يحلف من الالية وهو الفتسم اولوا الفضل منكم والسعة
اي الغنى يعني ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يوتوا اولي القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا
ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله
هذه الاية هذه الاية وليعفوا وليصفحوا اي عن خوض مسطح في امر
عايشة الا تحبون يخاطب ابا بكر أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم
فلما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قال بلى انا احب ان يغفر الله لي
ورجع الى مسطح بنفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها عنه ابدا
وفي الاية دليل على فضل ابي بكر لان الفضل المذكور في الاية ذكره الله تعالى
في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله اولوا الفضل منكم وقوله الا تحبون
ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شانه ومرتبته ومنها انه تحمل الاذى من
ذوي القربى ورجع عليه بما كان ينفق عليه وهذا من اشد الجهاد لانه جهاد النفس
ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال
في حق ابي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل على ان ابا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الاية دليل على ان من حلف على يمين
فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه قوله تعالى ان
الذين يرمون المحصنات اي العفايف الغافلات اي عن الفواحش والفاحشة
ان لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عايشة رضي الله عنها المومنات
وصفها بالمومنات لعنوا اي عذبوا في الدنيا بالجلد والاخرة اي
وهم في الاخرة النار ولهم عذاب عظيم وهذا في حق عبد الله بن ابي
ابن سلول المنافق وروي عن خصيف انه قال قلت لسعيد بن جبير من قذف
مومنة يلعنه الله في الدنيا والاخرة قال ذلك لعايشة خاصة وازواج
النبي صلى الله عليه وسلم دون ساير المومنات ليس فيها توبة ومن قذف امراة
مومنة فقد جعل الله له توبة ثم قرا والذين يرمون المحصنات الغافلات
المومنات الى قوله تابوا فجعل لهولا توبة ولم يجعل لاوليك توبة وقيل لهم
توبة ايضا للاية يوم تشهد عليهم السنتهم هذا قبل ان يختم على افواههم
وايديهم وارجلهم يروي انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما

عملت

عملت في الدنيا وهو قوله تعالى بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم
الحق اي جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل ويعلمون ان الله هو الحق
المبين اي الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شيء وقيل معناه يبين
لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن ابي
ابن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين قوله
عز وجل الخبيثات للخبيثين قال اهل التفسير معنى الخبيثات الكلمات
والقول الخبيث من الناس ومثله والخبيثون اي من الناس للخبيثات
من القول والطيبات اي من القول ومعنى الاية ان الخبيث من القول
لا يليق الا بالخبيث من الناس وعايشة لا يليق بها الخبيث من القول لانه
طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثنا والمدح وما يليق بها وقيل معناه
لا تتكلم الخبيثات الا للخبيث من الرجال والنسا وهذا مدح للذين يرونها
بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الاية الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال
والخبيثون من الرجال للخبيثات من النسا امثال عبد الله بن ابي المنافق والشاكين
في الدين والطيبات من النسا للطيبين والطيبون للطيبات يريد
عايشة طيبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك مبرؤون يعني
عايشة وصفوان ذكرهما الله تعالى بلفظ الجمع منزهون مما يقولون
يعني اصحاب الافك لهم مغفرة اي غفر لذنوبهم ورزق كريم يعني الجنة
وروى ان عايشة كانت تفتخر باشيا اعطيتها لم تعطها امراة غيرها منها
ان جبريل اتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك ويروي انه اتى بصورتها
في راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض عليه
الصلاة والسلام في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي
وهي معه في اللحاف ونزلت براءتها من السما وانها ابنة الصديق وخليفة رسول
صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق
اذا حدث عن عايشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم المبراة من السما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا اي تستاذنوا وكان ابن عباس يقرا
حتى تستاذنوا ويقول تستانسوا خطا من الكاتب وفي هذه الرواية نظر
لان القران ثبت بالتواتر والاستيناس في اللغة الاستيذان وقيل
الاستيناس طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيوذنه انه
داخل وقيل تستانسوا اي تبصروا وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة او تنحنح حتى
يعرف اهل البيت وتسلموا على اهلها بيان حكم الاية انه لا يدخل
الغير الا بعد الاستيذان والسلام واختلفوا في ايهما يقدم فقيل يقدم
الاستيذان فيقول اادخل سلام عليكم كما في الاية من تقديم الاستيذان

ذم للذين يذمونهن فاذا كانت ولا يتكلمن بالطيبات الا الطيبين من الرجال والنساء ومنا م

قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول السلام عليكم أأدخل وتقدير
الآية حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود ويروى
عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استأذن
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل أخرجه ابو داود
والترمذي وعن ربعي بن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال ألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستيذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل
فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أأدخل
فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه ابو داود وعن ابي سعيد كنت
في مجلس من مجالس الانصار اذ جاء ابو موسى كأنه مذعور فقال استأذنت
على عمر ثلاثا فلم يأذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم
يؤذن لي فرجعت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن احدكم ثلاثا
فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن عليه بينة امنكم احد سمعه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب والله لا يقوم معك الا اصغر القوم فكنت
اصغر القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك
قال الحسن الاول اعلام والثاني مؤامرة والثالث استيذان بالرجوع عن عبد الله
ابن بشر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل
الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر ويقول السلام عليكم
السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور اخرجه ابو داود
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجاء مع
الرسول فان ذلك اذن له اخرجه ابو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان
قدم السلام والا قدم الاستيذان ثم يسلم وقال ابو موسى الاشعري وحذيفة
يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روي عن عطاء بن يسار ان رجلا سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استأذن على امي قال نعم فقال الرجل اني
معها في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل
اني خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أتحب ان تراها
عريانة قال لا قال فاستأذن عليها اخرجه مالك في الموطأ مرسلا **ذلكم**
خير اي فعل الاستيذان خير **لكم** واولى بكم من التهجم بغير اذن **لعلكم**
تذكرون اي بهذا الآداب فتعملوا بها قوله تعالى **فان لم تجدوا فيها** اي
البيوت **احدا** اي يأذن لكم في دخولها **فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم**
اي في الدخول **وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا** يعني اذا كان في البيت
قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقال ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما
هو ازكى لكم اي الرجوع هو اطهر واصلح لكم فان للناس احوالا وحاجات

يكرهون

يكرهون الدخول عليهم في تلك الاحوال واذا حضر الى الباب فلم يستأذن وقعد
على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتي دور الانصار لطلب الحديث فيقعد
على الباب ولا يستأذن حتى يخرج عليه الرجل فاذا خرج ورآه قال يا ابن عم
رسول الله لو اخبرتني بمكانك فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف
على الباب فلا ينظر من شق الباب اذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد
قال اطلع رجل من جحر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع النبي صلى الله عليه وسلم
مدرى يحك به وفي رواية يحك به رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الاذن من اجل البصر (ق)
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان امرأ اطلع في بيت قوم بغير
اذنهم فخذفته بحصاة ففقأت عينه وفي رواية للنسائي قال لو ان امرءا اطلع
عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك حرج وقال مرة جناح
والله بما تعملون عليم اي من الدخول بالاذن ولما نزلت آية الاستيذان قالوا
كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن
فانزل الله تعالى **ليس عليكم جناح** اي اثم **ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة**
اي بغير استيذان **فيها متاع لكم** اي منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هي
الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويؤووا امتعتهم فيها فيجوز
دخولها بغير استيذان والمنفعة النزول بها وايواء المتاع والاتقاء من الحر والبرد
بها وقيل هي بيوت التجار وحوانيتهم في الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو
منفعتها فليس فيها استيذان وقيل هو جميع البيوت التي لا ساكن فيها لان
الاستيذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول
بغير استيذان **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** قوله تعالى **قل للمؤمنين**
يغضوا من ابصارهم اي عن النظر الى ما لا يحل النظر اليه وقيل معناه يغضوا ابصارهم
وقيل من هنا للتبعيض لانه لا يجب الغض عما يحل النظر اليه وانما امروا
ان يغضوا عما لا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن نظرة الفجاءة فقال اصرف بصرك عن بريدة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك
الثانية اخرجه ابو داود والترمذي (م) عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى المرأة
ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في ثوب واحد
وقوله تعالى **ويحفظوا فروجهم** اي عما لا يحل قال ابو العالية كل ما في
القرآن من حفظ الفروج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار
حتى لا يقع بصر الغير عليه فان قلت كيف ادخل من على الغض دون حفظ
الفروج قلت فيه دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر

الى شعورهن وثديهن واعضاضهن وافخاذهن وكذا الجواري المستعرضات
في البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك واما امر
المزوج فمضيق وكفاك ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما
استثني منه فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان النظر
بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد ولا يكاد احد يقدر على الاحتراس
منه **ذلك ازكى لهم** اي غض البصر وحفظ الفرج **ان الله خبير بما يصنعون**
اي انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون وكيف يصنعون بسائر حواسهم
وجوارحهم قوله تعالى **وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن**
فروجهن اي عما لا يحل لهن روي عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل
عليه وذلك بعد ما امرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتجبا منه فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله
افعمياوان انتما الستما تبصرانه اخرجه الترمذي وابو داود وقوله تعالى
ولا يبدين اي يظهرن **زينتهن** اي لغير محرم واراد بالزينة الخفية مثل
الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الاذن والقلادة
في العنق فلا يجوز للمراة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد بالزينة
النظر الى مواضعها من البدن **الا ما ظهر منها** اي من الزينة قال سعيد بن
جبير والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب
وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز
للرجل الاجنبي النظر اليها للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضروريات اذا
لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيئا من ذلك غض بصره وانما رخص في هذا القدر
للمراة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها
عورة **وليضربن بخمرهن** اي ليلقين بمقانعهن **على جيوبهن** اي موضع الجيب وهو
النحر والصدر اي ليسترن بذلك شعورهن واعناقهن واقرطهن وصدورهن
خ عن عايشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله تعالى وليضربن
بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها الرحا كسا من صوف او خز
او كتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع **ولا يبدين زينتهن** يعني الخفية التي
لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهي ما عدا الوجه والكفين **الا لبعولتهن**
قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن **او ابائهن او اباء بعولتهن**
او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني
اخواتهن فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين
السرة والركبة ويجوز للرجل ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره النظر
الى فرجها **او نسائهن** اي المومنات من اهل دينهن واراد به انه لا يجوز للمراة

ان ينظر

ان ينظر الى بدن المراة الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمراة المؤمنة ان تتجرد
من ثيابها عند الذمية والكافرة لان الله تعالى قال او نسائهن والذمية والكافرة
ليست من نسائنا ولانها اجنبية في الدين فكانت ابعد من الرجل الاجنبي كتب عمر
ابن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع
المسلمات وقيل يجوز كما يجوز ان تنكشف المراة المسلمة لانها من جملة النساء
او ما ملكت ايمانهن قيل هو عبد المراة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا
وان ينظر الى مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القران يروى
ذلك عن عايشة وام سلمة وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد
قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها
لم يبلغ راسها فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك
باس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال
والمراد من الاية الاما دون العبيد **او التابعين غير اولي الاربة من الرجال**
قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين
الا ذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر
على نعت التابعين والاربة الحاجة والمراد بالتابعين غير اولي الاربة هم الذين
يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم
في النساء وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان
ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته
وقيل هو المخنث فعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت كان يدخل على ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امراة قال اذا اقبلت
اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ارى
هذا يعرف ما هاهنا لا يدخلن عليكن فحجبوه زاد ابو داود وفي رواية واخرجوه
الى البيداء كل جمعة فيستطعم قوله اقبلت باربع اي ان لها في بطنها اربع عكن
فهي تقبل اذا اقبلت بها واراد بالثمان اطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك
صفة لها بالسمن **او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** اي لم يكشفوا
عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها
من الصغر وقيل لم يطيقوا امر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفل لفظه
اسم للصبي ما لم يحتلم **ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** قيل
كانت المراة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها او يتبين خلخالها
فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل يغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال
يصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقيل علل ذلك بقوله تعالى ليعلم
ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذي لاجله نهي عنه ان يعلم به ما عليهن من

من الحلي وغيره **وتوبوا الى الله جميعا** اي من التقصير الواقع في امره ونهيه
وراجعوا طاعته فيما امركم به ونهاكم عن الاداب المذكورة في هذه السورة
وقيل ان اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها
وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فكذلك وصى المومنين
بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله
تعالى **ايها المومنون لعلكم تفلحون** **م** عن الاغر المزني قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي تبارك وتعالى
مائة مرة في اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم مائة مرة اخرجه
عبد الرحمن بن حميد الكشي **ق** عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة
م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس
من مغربها تاب الله عليه قوله عز وجل **وانكحوا الايامى منكم** جمع الايم يطلق
على الذكر والانثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم **والصالحين من
عبادكم** اي من عبيدكم **وامائكم** بيان حكم الاية الامر المذكور في الاية
امر ندب واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح
ووجد اهبته ان يتزوج وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم **ق** عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه
اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان له وجاء الباءة
النكاح ويكنى به عن الجماع ايضا والوجاء بكسر الواو وهو رض الانثيين نوع من
الخصاء شبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل عن معقل
ابن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود
فاني مكاثر بكم الامم اخرجه ابو داود والنسائي **ق** عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة اما من لا
تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة افضل له من النكاح
عند الشافعي وعند اصحاب الراي النكاح افضل قال الشافعي قد ذكر الله عبدا
اكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذي لا ياتي النساء وذكر القواعد من
النساء ولم يندبهن الى النكاح وفي الاية دليل على ان تزويج الايامى الى الاولياء
لان الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول اكثر
اهل العلم من الصحابة فمن بعدهم يروى ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود
وعبد الله بن عباس وابي هريرة وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن
وشريح والنخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثوري والاوزاعي وعبد الله
ابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق وجوز اصحاب الراي للمراة تزويج نفسها

وقال مالك ان كانت المراة دنية يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا
والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي اخرجه ابو داود والترمذي
ولهما عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما امراة
نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان اصابها فلها المهر بما استحل
من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له قوله تعالى **ان يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله** قيل الغنى ههنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين
رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي الغنى بغير النكاح
والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال بعضهم ان الله تعالى
وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى يغنهم الله من فضله وقال تعالى
وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته **والله واسع** اي انه ذو الافضال والجود
عليم اي بما يصلح من خلقه من الرزق قوله تعالى **وليستعفف الذين لا
يجدون نكاحا** اي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذي لا يجدون ما ينكحون
به من الصداق والنفقة **حتى يغنيهم الله من فضله** اي يوسع عليهم من رزقه
والذين يبتغون الكتاب اي يطلبون المكاتبة **مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم**
سبب نزول هذه الاية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سال مولاه ان يكاتبه
فابى عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهبه
منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين في الحرب بيان حكم الاية وكيفية
المكاتبة وذلك ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما
يودي ذلك في نجمين او نجوم معلومة في كل نجم كذا فاذا اديت ذلك فانت حر
ويقبل العبد ذلك فاذا ادى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد احق بمكاسبه
بعد الكتابة واذا عتق باداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه اولاده
الذين حصلوا في الكتابة في العتق واذا عجز عن اداء المال كان لمولاه ان يفسخ الكتابة
ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيده لما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم
اخرجه ابو داود وذهب بعض اهل العلم الى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر ايجاب يجب
على السيد ان يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سال العبد ذلك على قيمته او اكثر
من قيمته وان سال على اقل من قيمته وان سال على اقل من قيمته لا يجب وهو قول
عطاء وعمرو بن دينار لما روي عن ابن سيرين سال انس بن مالك ان يكاتبه وكان
كثير المال فانطلق ابن سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له عمر كاتبه فابى
فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم **ان علمتم فيهم خيرا** فكاتبه وذهب اهل العلم الى انه
امر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على اقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد
جواز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق ان يكون ذلك المال الى اجل حتى يوديه على مهل

فيحصل المقصود وجوز ابو حنيفة المكاتبة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا
في المعنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك
والثوري وقيل مالا لما روي ان عبدا لسلمان الفارسي قال له كاتبني قال الك مال
قال لا قال تريد ان تطعمني اوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو اراد به المال لقال
لهم وقيل الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فاحب ان لا يمتنع من الكتابة اذا كان كذا
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب
الذي يريد الاداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله اخرجه
الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير ان يكون العبد بالغا عاقلا اما الصبي
والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوز ابو حنيفة كتابة
الصبي المراهق **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** قيل هو خطاب للموالي
فيجب على الولي ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيئا وهو قول عثمان
وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل
يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث
وقال الآخرون ليس له حد بل عليه ان يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعي قال
نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من آخر
كتابته خمسة آلاف درهم اخرجه مالك في الموطا وقال سعيد بن جبير كان
ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع
اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما احب وقال بعضهم هو امر استحباب
والوجوب اظهر وقيل اراد بقوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم اي سهمهم
الذي جعله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب اراد به المكاتب
وهو قول الحسن وزيد بن اسلم وقيل هو حث لجميع الناس على معونتهم واختلف
العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل اداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا
وترتفع الكتابة سواء ترك مالا او لم يترك مالا وهو قول عمر وابن عمر
وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة واليه ذهب
الشافعي واحمد وقال قوم ان ترك وفاء بما بقي عليه من مال الكتابة كان حرا
وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن
وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق
باداء المال وقد وجد وتتبعه اولاده واكتسابه كما في الكتابة الصحيحة لان
الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن اداء النجوم وقوله
تعالى **ولا تكرهوا فتياتكم** اي اماءكم **على البغاء** اي الزنا **ان اردن تحصنا**
الآية عن جابر قال كان عبد الله بن ابي بن سلول يقول لجارية له اذهبي فابغينا
شيئا قال فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وفي رواية
اخرى ان جارية لعبد الله بن ابي يقال لها مسيكة والاخرى يقال لها اميمة

اي علم تم فيهم خيرا وقيل صدقا واماناة وقال الشافعي الظاهر المعنيين

وكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
ولا تكرهوا فتياتكم الى قوله غفور رحيم قال المفسرون نزلت في عبد الله
ابن ابي بن سلول المنافق كان له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان
يكرههما على الزنا باجر ضريبة ياخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في
الجاهلية يؤاجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا
الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان
يك شرا فقد آن لنا ان ندعه فانزل الله هذه الآية ويروى ان احدى الجاريتين
جاءت ببرد والاخرى جاءت بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله
لا نفعل فقد جاء الاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشكيتا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف العلماء في معنى قوله ان اردن
تحصنا على اقوال احدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب
نزول الآية فخرج النهي عن صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه والثاني
انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما
اذا لم ترد المراة التحصن فانها تبغي بالطبع طوعا الثالث ان معنى اذا اي
اذا اردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا
كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم مؤمنين القول الرابع
ان في هذه الآية تقديما وتاخيرا تقديرها وانكحوا الايامى منكم ان اردن
تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء **لتبتغوا عرض الحياة الدنيا**
اي لتطلبوا المال من اموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن **ومن يكرههن**
يعني على الزنا **فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم** يعني
للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرا هذه الآية قال لهن والله
لهن والله قوله تعالى **ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات** اي من الحلال والحرام
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي شبها من حالكم بحالهم ايها المكذبون وهذا
تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين **وموعظة للمتقين**
اي المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر قوله عز وجل **الله نور السموات
والارض** قال ابن عباس معناه الله هادي السموات والارض فهم بنوره الى الحق
يهتدون وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله نور السموات
والارض نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه مزين السموات
والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء
والمؤمنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها
منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كقول الشاعر

اذا سار عبد الله من مرو ليلة ۰ فقد سار عنها نورها وجمالها

مثل نوره اي مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به

وقال ابن عباس مثل نوره الذي اعطى المومن وقيل الكناية عايدة الى المومن اي
مثل نور قلب المومن وقيل اراد بالنور القران وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا
وتفضيلا كمشكاة فيها مصباح هي الكوة التي لا منفذ لها قيل بلغة الحبشة
فيها مصباح اي سراج واصله من الضوء المصباح في زجاجة يعني القنديل
وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها ابين من كل شيء وضوءه يزيد
في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال الزجاجة كانها كوكب دري
منسوب الى الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في ذلك الحال والوقت
وقيل هو من دري النجم اذا طلع وارتفع وقيل دري اي شديد الانارة نسب
الى الدر في صفايه وحسنه وان كان الكوكب اضوأ من الدر لكنه يفضل الكوكب
بصفايه كما يفضل الدر على ساير اللولو وقيل الكوكب الدري احد الكواكب
السيارة الخمسة التي هي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وقيل
شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالقمر والشمس لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف
الكواكب توقد اي اتقد المصباح من شجرة مباركة زيتونة اي من زيت
شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن
به وهي ادام وهي اصفى الادهان واضوءها وقيل انها اول شجرة نبتت بعد
الطوفان وقيل اراد به زيتون الشام لانها هي الارض المباركة وهي شجرة
لا يسقط ورقها عن اسيد بن ثابت او ابي اسيد الانصاري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة اخرجه
الترمذي لا شرقية ولا غربية اي ليست شرقية وحدها لا تصيبها الشمس
اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل هي ضاحية
للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية
غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وهذا معنى قول ابن عباس
وقيل معناه انها ليست في مقنيات لا تصيبها الشمس ولا في مضحات لا يصيبها
الظل فهي لا يضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة ليست في شرق
يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط
الارض لا شرقي ولا غربي وقيل ليست هذه الشجرة من اشجار الدنيا لانها لو كانت
من اشجار الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره يكاد
زيتها يضيء اي من صفايه ولو لم تمسسه نار اي قبل ان تمسه النار
نور على نور اي نور المصباح على نور الزجاجة فصل في بيان
التمثيل المذكور في الاية اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل المذكور
فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور
والجلاء الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية

وفي تلك

وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بلغ النهاية في الصفا والرقة والبياض واذا
كان كذلك كان كاملا في صفايه صالحا ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع
هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه
والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد
صلى الله عليه وسلم وامره يتبين للناس ولو لم يتكلم به انه نبي كما يكاد ذلك الزيت
يضيء ولو لم تمسسه نار وروي عن ابن عمر في هذه الاية قال المشكاة جوف محمد
صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه
لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على
نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي
المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
اجمعين سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم صلى الله
عليه وسلم لان اكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي الى المغرب والنصارى
تصلي الى المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن محمد صلى الله
عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد صلى الله
عليه وسلم على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المومن قال
ابي بن كعب هذا مثل المومن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح
ما جعل الله فيه من الايمان والقران توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص
لله وحده فمثله مثل شجرة قد التفت بها الشجر فهي خضرة ناعمة نضرة لا تصيبها
الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المومن قد احترس ان يصيبه شيء
من الفتن فهو بين اربع خصال ان اعطي شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال
صدق يكاد زيتها يضيء اي يكاد قلب المومن يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته
اياه نور على نور قال ابي فهو يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله
نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل
ضربه الله لنور الله وهداه في قلب المومن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل
ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوئه فكذلك يكاد قلب المومن
يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا
على نور وقال الكلبي نور على نور يعني ايمان المومن وعمله وقيل نور الايمان
ونور القران وقيل هذا مثل القران فالمصباح هو القران كما يستضاء
بالمصباح فكذلك يهتدى بالقران والزجاجة قلب المومن والمشكاة فمه
ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء اي نور المعرفة
يشرق في قلب المومن ولو لم تمسسه النار وقيل يكاد حجة القران يتضح
وان لم يقرا نور على نور يعني القران نور من الله تعالى لخلقه مع ما اقام لهم

من الدلايل والاعلام قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا على نور قوله تعالى **يهدي الله لنوره من يشا** قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة . **ويضرب الله الامثال للناس** اي يبين الله الاشيا للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك **والله بكل شي عليم** قوله عز وجل **في بيوت** اي ذلك المصباح توقد من بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضي لاهل السما كما تضي النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قبا اسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا **اذن الله ان ترفع** اي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا من القول وتطهر عن النجاسة والاقذار **ويذكر فيها اسمه** قال ابن عباس يتلى فيها كتابه **يسبح له فيها** اي يصلى له فيها **بالغدو والاصال** اي بالغداة والعشي قال اهل التفسير اراد به الصلاة المفروضة والتي تودى بالغداة صلاة الفجر والتي تودى بالاصال صلاة الظهر والعصر والعشايين لان اسم الاصال يقع على هذا الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة واراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى والاصال صلاة العصر وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان اجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا يعنيه الا ذلك كان اجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين اخرجه ابو داود **رجال** قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النسا ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة **لا تلهيهم تجارة** اي لا تشغلهم تجارة وقيل خص التجارة بالذكر لانها من اعظم ما يشتغل الانسان بها عن الصلاة والطاعات واراد بالتجارة الشرا وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشرا جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده **ولا بيع** اي ولا يشغلهم بيع **عن ذكر الله** اي حضور المساجد لاقامة الصلاة **واقام الصلاة** يعني اقامة الصلاة في وقتها لان من اخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة روي سالم عن ابن عمر انه كان في السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس واغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر نزلت فيهم هذه الاية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله **وايتا الزكاة يخافون يوما** يعني المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت اداء الزكاة فلا يحبسوها **تتقلب فيه القلوب والابصار** معناه انهم ولا الرجال وان بالغوا في ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون

خايفون

خايفون لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق عبادته وقيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وتنفتح الابصار من الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الرجا والخوف فتخشى الهلاك وتطمع في النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من اي ناحية يوخذ بهم امن ذات اليمين ام من ذات الشمال ومن اين يوتون كتبهم امن قبل اليمين ام من قبل الشمال وقيل تتقلب القلب في الجوف فيرتفع الى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج وتتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدته **ليجزيهم الله احسن ما عملوا** يعني انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة ليجزيهم الله على احسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات التي فرضها الله ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجزيهم على مساوي اعمالهم بل يغفرها وقيل انه تعالى يجزيهم جزا الحسن من اعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعماية ضعف **ويزيدهم من فضله** يعني انه تعالى يجازيهم باحسن اعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله **والله يرزق من يشا بغير حساب** فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله قوله عز وجل **والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة** لما ضرب الله مثلا لحال المومن وانه في الدنيا والاخرة في نور وانه فايز بالنعيم المقيم اتبعه يضرب مثل لاعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ما يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من راه فاذا قرب منه انتقش فلم ير شيا والبقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب **يحسبه** اي يتوهمه **الظمان** اي العطشان **ما حتى اذا جاه** اي جا ما قدر انه ما وقيل جا الى موضع السراب **لم يجده شيا** اي لم يجد على ما قدره وظنه ووجه التشبيه ان الذي ياتي به الكافر من اعمال البر وهو يعتقد ان لها ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم عظمت حسرته وتناهى غمه فشبهه حاله بحال الظمان الذي اشتدت حاجته الى الما فاذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاه لم يجده شيا فكذلك حال الكافر يحسب ان اعماله نافعة فاذا احتاج الى عمله لم يجده اغنى عنه ولا نفعه **ووجد الله عنده** اي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله **فوفاه حسابه** اي جزا عمله **والله سريع الحساب** يعني انه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب مثلا اخر فقال تعالى **او كظلمات** اعلم ان الله سبحانه وتعالى اعلم ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه ان مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات **في بحر لجي** اي عميق كثير الما ولجة البحر معظمه **يغشاه موج** اي يعلوه **من فوقه موج** اي متراكم **من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق**

بعض معناه ان البحر اللجي يكون مقره مظلما جدا بحسب عمق الماء فاذا ترادفت
الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى
اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يقرب ان يراها لشدة الظلمة وقيل
معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من اقرب شيء يراه الانسان
قال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمة
ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمة الاعتقاد
وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه
من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال ابي بن كعب الكافر
يتقلب في خمسة من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه
ظلمة ومسيره الى الظلمات يوم القيامة في النار ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور قال ابن عباس رضي الله عنهما من لم يجعل الله له دينا
وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذه الاية
في عتبة بن ربيعة بن امية كان يلتمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما
جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الاية عامة في حق جميع الكفار قوله تعالى
الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات
اي باسطات اجنحتهن في الهوى قيل خص الطير بالذكر في جملة الحيوان لانها
تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض كل قد
علم صلاته وتسبيحه قيل الصلاة لبني ادم والتسبيح لساير الخلق وقيل
ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم
صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه
والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض اي ان جميع الموجودات
ملكه وفي تصرفه وعنه تنشا ومنه بدات فهو واجد الوجود وقيل معناه ان
خزاين المطر والرزق بيديه ولا يملكها احد سواه والى الله المصير اي
والى الله مرجع العباد بعد الموت قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا
اي يسوق سحابا بامره الى حيث يشاء من ارضه وبلاده ثم يؤلف بينه
اي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض ثم يجعله ركاما اي متراكما
بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي من وسطه
وهو مخارج القطر وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل معناه وينزل
من جبال من السماء تلك الجبال من برد قال ابن عباس اخبر الله سبحانه وتعالى
ان في السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة
من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى
لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله
الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس

البرد فتصيب به اي بالبرد من يشاء فيهلكه واموال ويصرفه عن من يشاء
اي فلا يضره يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب يذهب بالابصار اي
من شدة ضوئه وبريقه يقلب الله الليل والنهار اي يصرفهما في اختلافهما
وتعاقبهما فياتي بالليل ويذهب بالنهار وياتي بالنهار ويذهب بالليل ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني
ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا
الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدايد اصابنا الدهر وتذ
في اشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر
مصرف يقع فيه التاثير كما يقع بكم قوله تعالى ان في ذلك اي الذي ذكرته
لعبرة لاولي الابصار اي دلالة لاهل العقول والبصاير على قدرة الله
وتوحيده قوله عز وجل والله خلق كل دابة من ماء اي من نطفة واراد
به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملايكة والجن لانا نشاهدهم
وقيل ان اصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء جعل بعضه ريحا ونورا
فخلق منه الملايكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق
منه ادم فمنهم من يمشي على بطنه اي كالحيات والحيتان والديدان ونحو
ذلك ومنهم من يمشي على رجلين يعني مثل بني ادم والطير ومنهم من يمشي
على اربع كالبهايم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا
من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك الخلق من غير نطفة لا بد ان يكون
من شيء وذلك الشيء اصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من يمشي
ضمير العقلاء فلم استعمل في غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من
يعقل فغلب اللفظ اللايق بمن يعقل لان جعل الشريف اصلا والخسيس تبعا
اولى فان قلت لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوق فان قلت قدم
الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير الة المشي وهو الارجل والقوايم
ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على اربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع
وفي الحيوانات ما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وما له
اربع واربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب
وقيل ان هذه الحيوانات اعتماده على اربع في المشي والبواقي تبع لها يخلق الله
ما يشاء اي مما لا يعقل ولا يعلم ان الله على كل شيء قدير اي هو القادر على
الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع
لقد انزلنا ايات مبينات يعني القران هو المبين للهدى والاحكام والحلال
والحرام والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم يعني الى دين الاسلام
الذي هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته قوله تعالى ويقولون يعني
المنافقين امنا بالله وبالرسول واطعنا اي يقولون بالسنتهم

من غير اعتقاد ثم يتولى فريق منهم اي يعرض عن طاعة الله ورسوله صلى الله
عليه وسلم من بعد ذلك اي من بعد قولهم امنا ويدعوا الى غير حكم الله قال الله
عز وجل وما اولئك بالمؤمنين نزلت هذه الاية في بشر المنافق كان بينه وبين يهودي
خصومة في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق
بل نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فانزل الله عز وجل هذه الاية واذا
دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول بحكم الله بينهم اذا فريق
منهم معرضون يعني عن الحكم وقيل عن الاجابة وان يكن لهم الحق ياتوا اليه
مذعنين اي مطيعين منقادين لحكمه اذا كان الحكم لهم على غيرهم اسرعوا الى حكمه لثقتهم
انه كان يحكم عليهم بالحق يحكم لهم ايضا افي قلوبهم مرض اي كفر ونفاق ام ارتابوا
اي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك ام يخافون ان يحيف
الله عليهم ورسوله اي يظلم بل اولئك هم الظالمون اي لانفسهم باعراضهم
عن الحق قوله عز وجل انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله اي كتاب الله
ورسوله ليحكم بينهم هذا تعليم ادب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغي ان
يكونوا وهو ان يقولوا سمعنا اي الدعا واطعنا اي الاجابة واولئك
اي من هذه صفته هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله قال ابن عباس
فيما ساءه وسره ويخش الله اي على ما عمل من الذنوب ويتقه اي فيما بعد
فاولئك هم الفائزون اي الناجون قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم
قيل جهد اليمين ان يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيا لئن امرتهم ليخرجن
وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت
نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل
لما نزل بيان ذكر اسنهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم والله لو
امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك
فقال الله تعالى قل لهم لا تقسموا اي لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدا فقال
طاعة معروفة اي هذه طاعة الله باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهي
معروفة اي امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقيل
معناه طاعة معروفة بنية خالصة افضل وامثل من يمين باللسان لا
يوافقها الفعل ان الله خبير بما تعملون اي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم
بالفعل قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني بقلوبكم وصدق نياتكم فان
تولوا اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله فانما عليه اي على الرسول
ما حمل اي ما كلف وامر به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم اي ما
كلفتم من الاجابة والطاعة وان تطيعوه تهتدوا اي تصيبوا الحق
والرشد في طاعته وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الواضح
المبين قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض

قيل

قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع اصحابه وامروا
بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة
الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال
رجل منهم ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فانزل الله تبارك وتعالى
هذه الاية ومعنى ليستخلفنهم الله ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم
فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم اي
كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بني اسرائيل
واهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم اي اختاره لهم قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها
ويظهر دينهم على ساير الاديان وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا اي امنين
يعبدونني لا يشركون بي شيا فانجز الله عز وجل وعده واظهر دينه ونصر
اولياءه وبدلهم بعد الخوف امنا وبسطا في الارض خ عن عدي بن حاتم
قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اتى اليه رجل فشكا اليه الفاقة
ثم اتاه اخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رايت الحيرة قلت لم ارها
وقد انبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة
حتى تطوف بالكعبة لا تخاف احدا الا الله تعالى قلت فيما بيني وبين نفسي
فاين دعار طي الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز
كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة
لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب او فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد
احدا يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه
ترجمان يترجم له فليقولن الم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى
يا رب فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا
يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة
فبكلمة طيبة قال عدي فرايت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة
لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم
حياة لترون ما قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه
ذهبا وفي الاية دليل على صحة خلافة ابي بكر الصديق والخلفاء الراشدين
من بعده رضي الله تعالى عنهم لان في ايامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز
كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين عن سفينة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون سنة
ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين
وخلافة عثمان اثنتي عشرة وعلي ستة قال علي قلت لحماد القائل لسفينة امسك

سفينة قال نعم اخرجه ابو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ كذا ورد هذا الحديث
بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة ابي بكر كانت سنتين وثلاثة اشهر
وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة اشهر وخلافة عثمان اثني عشر سنة كما ذكر في
الحديث وخلافة علي اربع سنين وتسعة اشهر ولهذا جاء في بعض روايات الحديث
وعلي كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الاربعة تسعة
وعشرين سنة وستة اشهر وكملت ثلاثين بخلافة الحسن وكانت ستة اشهر ثم نزل
عنها والله تعالى اعلم قوله عز وجل **ومن كفر بعد ذلك** اراد به كفران النعمة ولم يرد
الكفر بالله **فاولئك هم الفاسقون** اي العاصون قال اهل التفسير اول من كفر
بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وادخل
عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا عن ابن اخي عبد الله بن سلام
قال لما اريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال له يا عثمان ما جاء بك قال
جئت في نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عني فانك خارج خير لي منك داخل
فخرج عبد الله الى الناس فقال ايها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة قد
جاورتكم في بلادكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا
الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن سيف
الله المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودي وقتلوا
عثمان اخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي فما قتل نبي قط الا قتل به
سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا **واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون** اي افعلوا هذه الاشياء على
رجاء الرحمة **لا تحسبن الذين كفروا معجزين** اي فائتين عنا **في الارض ومأواهم
النار ولبئس المصير** قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين
ملكت ايمانكم** قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار
يقال له مدلج الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر
بحالة فكره عمر رؤيته ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل نزلت في اسماء
بنت مرشد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال
نكرهها فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم اللام لام الامر وفيه
قولان احدهما انه على الندب والاستحباب والثاني انه على الوجوب وهو الاولى
الذين ملكت ايمانكم يعني العبيد والاماء **والذين لم يبلغوا الحلم منكم** يعني الاحرار
وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا امر
النساء ولكن لم يبلغوا وهو سن التمييز والعقل وغيرهما واتفق العلماء على ان الاحتلام
بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمسة عشر سنة ولم يحتلم فقال ابو حنيفة لا يكون
بالغا حتى يبلغ ثمانية عشر سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال

الشافعي وابو يوسف ومحمد واحمد في الغلام والجارية خمسة عشر سنة يصير مكلفا
وتجري عليه الاحكام وان لم يحتلم **ثلاث مرات** اي ليستأذنوا في ثلاث
اوقات **من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة**
اي وقت المقيل **ومن بعد صلاة العشاء** وانما خص هذه الثلاثة اوقات لانها
ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يجوز ان يراه احد
من العبيد والصبيان فامرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان
يستأذن في جميع الاوقات **ثلاث عورات لكم** سميت هذه الاوقات عورات
لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته **ليس عليكم ولا عليهم** يعني
العبيد والخدم والصبيان **جناح** اي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان
بعدهن اي بعد هذه الاوقات الثلاثة **طوافون عليكم** اي العبيد والخدم
يترددون ويدخلون ويخرجون في اشغالكم بغير اذن **بعضكم على بعض** اي
يطوف بعضكم على بعض **كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم** اختلف
العلماء في حكم هذه الاية فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب
وروى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن عباس كيف ترى في هذه الاية
التي امرنا بها ولا يعمل بها احد قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم
الذين ملكت ايمانكم الاية فقال ابن عباس ان الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب
الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستر ولا حجاب فربما دخل الخادم او الولد
او يتيم الرجل والرجل على اهله فامر الله بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم
الله تعالى بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك بعد اخرجه ابو داود وفي
رواية عنه نحوه وزاد فرأى ان ذلك اغنى عن الاستئذان في تلك العورات
وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى بن ابي عائشة قال
سألت الشعبي عن هذه الاية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم امنسوخة
هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان قال سعيد بن
جبير في هذه الاية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون
بها الناس وقيل ثلاث ايات ترك الناس العمل بهن هذه الاية وقوله ان اكرمكم
عند الله اتقاكم والناس يقولون اعظمكم بيتا واذا حضر القسمة اولوا القربى الاية
وقوله عز وجل **واذا بلغ الاطفال منكم الحلم** اي الاحتلام يريد الاحرار الذين
بلغوا **فليستأذنوا** اي يستأذنون في جميع الاوقات في الدخول عليكم
كما استأذن الذين من قبلهم اي الاحرار الكبار **كذلك يبين الله لكم
اياته** اي دلالاته وقيل احكامه **والله عليم** اي بامور خلقه **حكيم** اي بما
دبرلهم وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على امه فانما نزلت هذه
الاية في ذلك وسئل حذيفة ايستأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل
رأيت منها ما تكره قوله تعالى **والقواعد من النساء** يعني اللاتي قعدن عن

المولد والحيض من الكبر فلا يلدن ولا يحضن اللاتي لا يرجون نكاحا اي
لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هي العجز اللواتي اذا راهن الرجال استقذروهن
فاما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الاية
فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن
وهو الجلباب والردا الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما
الخمار فلا يجوز وضعه غير متبرجات بزينة اي من غير ان يردن بوضع
الجلباب والردا اظهار زينتهن والتبرج اي فلا يلقين الجلباب والردا والاظهار
هو ان تظهر المراة من محاسنها ما يجب عليها ان تستره وان يستعففن اي فلا
يلقين الجلباب ولا الردا خير لهن والله سميع عليم قوله عز وجل ليس
على الاعمى حرج اختلف العلما في هذه الاية فقال ابن عباس لما انزل الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون
عن مواكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال
وقد نهى الله تعالى عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب
والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف
عن التناول ولا يستوفي من الطعام حقه فانزل الله عز وجل هذه الاية
فعلى هذا التاويل يكون على بمعنى في اي ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم في مواكلة
الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون
عن مواكلة الاصحا لان الناس يتقذرونهم ويكرهون مواكلتهم ويقول ربما اكل اكثر
ويقال للاعرج ربما جلس مكان اثنين فنزلت هذه الاية وقيل نزلت ترخيصا
لهولاء في الاكل من بيوت من سمى الله وذلك ان هولاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب
الطعام فاذا لم يكن عنده شي ذهب بهم الى بيت ابيه او بيت امه او بعض من سمى
الله تعالى فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير
بيته فانزل الله عز وجل هذه الاية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح
بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد احللنا لكم ان تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون
من ذلك ويقولون لا ندخلها واصحابها غيب فانزل الله عز وجل هذه الاية رخصة
وقيل نزلت رخصة لهولاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وقوله تعالى ولا على انفسكم
كلام مستانف قيل لما نزلت ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل
لاحد منا ان ياكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم
اي لا حرج عليكم ان تاكلوا من بيوتكم قيل اراد من اموال عيالكم وبيوت ازواجكم
لان بيت المراة كبيت الزوج وقيل اراد من بيوت اولادكم نسب بيوت الاولاد
الى الاباء كما جاء في الحديث انت ومالك لابيك او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت

اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه قال ابن عباس عنى بذلك وكيل
الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمرة ضيعته
ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل يعني بيوت عبيدكم ومماليككم
وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتح الخزاين ويجوز ان يكون المفتاح الذي
يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان ياكل الشي اليسير وقيل
او ما ملكتم مفاتحه اي ما خزنتموه عندكم او ما ملكتموه او صديقكم الصديق
الذي يصدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحارث بن عمرو خرج غازيا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده
مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله
هذه الاية والمعنى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا من منازل هولا
اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا ليس عليكم جناح
ان تاكلوا جميعا او اشتاتا نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كان
الرجل منهم لا ياكل وحده حتى يجد ضيفا ياكل معه فربما قعد الرجل والطعام
بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها
حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقال ابن عباس كان الغني
يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله
اني لاجنح ان اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه الاية وقيل
نزلت في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم
فرخص لهم ان ياكلوا كيف شاوا جميعا اي مجتمعين او اشتاتا اي متفرقين
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض هذا في
دخول الرجل بيت نفسه يسلم على اهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت
بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه احد
فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله
وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس في قوله اذا دخلتم بيوتا
فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل علينا وعلى عباد الله الصالحين
تحية من عند الله مباركة طيبة قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل
ذكر البركة والطيب هاهنا لما فيه من الثواب والاجر كذلك يبين الله لكم
الايات لعلكم تعقلون اي عن الله امره ونهيه واراد به قوله تعالى
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه
اي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر جامع اي يجمعهم من حرب
حضرت او صلاة او جمعة او عيد او جماعة او تشاور في امر نزل لم يذهبوا
اي يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له حتى يستاذنوه قال المفسرون
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل

ان يخرج من المسجد لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستاذن فياذن لمن شاء منهم قال
مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال اهل العلم وكذلك كل امر
اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن واذا
استاذن الامام ان شاء اذن له وان شاء لم ياذن وهذا اذا لم يكن سبب
يمنعهم من القيام واذا حدث سبب يمنعه من القيام بان يكون في المسجد فتحيض
امراة او يجنب رجل او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستيذان ان الذين
يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك
لبعض شانهم اي امرهم فاذن لمن شئت منهم اي في الانصراف والمعنى ان شئت
فاذن وان شئت فلا تاذن واستغفر لهم الله اي ان رايت لهم عذرا في الخروج
عن الجماعة ان الله غفور رحيم قوله عز وجل لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول احذروا
دعاء الرسول اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه
وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن
فخموه وعظموه وشرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع قد
يعلم الله الذين يتسللون اي يخرجون منكم لواذا اي يستتر بعضهم ببعض
ويروغ في خفية فيذهب قيل كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون
ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقال ابن عباس لواذا اي
يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم
الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه
فيخرجون من المسجد في استتار وقد يعلم فيه التهديد بالمجازاة فليحذر
الذين يخالفون عن امره اي يعرضون عن امره وينصرفون عنه بغير اذنه
ان تصيبهم فتنة اي لئلا تصيبهم فتنة اي بلاء في الدنيا او يصيبهم عذاب
اليم اي وجيع في الاخرة ثم عظم نفسه فقال تعالى الا ان لله ما في السموات
والارض اي ملكا وعبيدا قد يعلم ما انتم عليه من الايمان والنفاق ويوم
يرجعون اليه يعني يوم البعث فينبئهم بما عملوا اي من الخير والشر والله
بكل شيء عليم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة
النور اخرجه ابو عبد الله بن البيع في صحيحه والله سبحانه وتعالى اعلم باياته
واسرار كتابه

تفسير سورة الفرقان وهي مكية

وهي سبعة وسبعون اية وثمانمائة واثنان وتسعون كلمة وثلاثة الاف وسبعمائة
وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله

قوله تعالى تبارك تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم
الذي نزل الفرقان اي القران سماه فرقانا لانه فرق بين الحق والباطل والحلال
والحرام وقيل لانه نزل متفرقا في اوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد
لتكثير التفريق على عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين اي
للانس والجن نذيرا قيل هو القران وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم
الذي له ملك السموات والارض اي هو المتصرف فيهما كيف يشاء ولم يتخذ
ولدا اي هو المتفرد في وحدانيته وفيه رد على النصارى ولم يكن له شريك
في الملك اي هو المنفرد في الالهية وفيه رد على الثنوية وعباد الاصنام وخلق
كل شيء اي مما يطلق عليه صفة المخلوقات فقدره تقديرا اي سواه وهياه
لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شيء تقديرا من الاجل والرزق
فجرت المقادير على ما خلق قوله تعالى واتخذوا اي عبدة الاوثان من دونه
يعني الاصنام لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا
اي لا دفع ضر ولا جر نفع ولا يملكون موتا يعني اماتة ولا حياة اي احياء ولا
نشورا اي بعثا بعد الموت وقال الذين كفروا يعني النضر بن الحارث واصحابه
ان هذا اي القران الا افك اي كذب افتراه اي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم
واعانه عليه قوم اخرون قيل يعني اليهود وقيل عبيد بن الحضر الحبشي الكاهن
وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيدة كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون
ان محمدا صلى الله عليه وسلم ياخذ منهم قال الله تعالى فقد جاءوا يعني قائلي هذه
المقالة ظلما وزورا وهو نسبتهم كلام الله تعالى الى الافك والافتراء وقالوا
اساطير الاولين اكتتبها يعني النضر بن الحارث كان يقول ان هذا القران
ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى
اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان يكتب له
لانه كان لا يكتب فهي تملى عليه اي عليه ليحفظها لا ليكتبها بكرة واصيلا يعني غدوة
وعشيا قال الله تعالى ردا عليهم قل يا محمد انزله يعني القران الذي يعلم السر
اي الغيب في السموات والارض انه كان غفورا رحيما اي لولا ذلك لعاجلهم
بعذابه وقالوا مال هذا الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ياكل الطعام
اي كما ناكل نحن ويمشي في الاسواق اي يلتمس المعاش كما نمشي نحن واذا كان
كذلك فمن اين له الفضل علينا ولا يجوز ان يمتاز عنا وكانوا يقولون له لست
بملك لانك بشر مثلنا والملك لا ياكل لان الملك لا يتسوق وانت تتسوق
وتتبذل وما قالوه فاسد لان اكله الطعام لكونه ادميا ولم يدع انه ملك
ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته في التوراة ولم يكن سخابا
في الاسواق وليس شيء من ذلك ينافي النبوة لانه لم يدع انه ملك من الملوك
اي يصدقه ويشهد له فيكون معه نذيرا اي داعيا او يلقى اليه كنز اي

ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج إلى التصرف في طلب المعاش **أو تكون له جنة** أي بستان **يأكل منها** أي هو فلا أقل من ذلك أن لم يكن له كنز **وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا** أي مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق **انظر** يا محمد **كيف ضربوا لك الأمثال** أي الأشباه التي لا فائدة فيها فقالوا هو مسحور محتاج **فضلوا** أي عن الحق **فلا يستطيعون سبيلا** إلى الهدى ومخرجا عن الضلالة قوله عز وجل **تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك** أي من الذي قالوا وأفضل من البستان الذي ذكروا وقال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الأسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال **جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا** أي بيوتا مشيدة عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال مكة ذهبا جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة فقال يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت نبيا عبدا وإن شئت نبيا ملكا فنظرت إلى جبريل فأشار إلي أن ضع نفسك قلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكرهما في الحديثين البغوي بسنده قوله تعالى **بل كذبوا بالساعة** أي القيامة **وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا** أي نارا مسعرة **إذا رأتهم من مكان بعيد** قيل من مسيرة عام وقيل مسيرة مائة عام فإن قلت كيف تتصور الرؤيا من النار وهو قوله تعالى إذا رأتهم قلت يجوز أن يخلق الله حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها **سمعوا لها تغيظا** أي غليانا كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب **وزفيرا** أي صوتا فإن قلت كيف يسمع التغيظ قلت معناه رأوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغا ∴ متقلدا سيفا ورمحا

أي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه **وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا** قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح **مقرنين** أي مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل **دعوا هنالك ثبورا** قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفي الحديث إن أول من يكسى من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبوراه وينادون يا ثبورهم فيقال لهم

لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا هذا ذكره البغوي بغير سند وقيل معناه هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة قوله عز وجل **قل أذلك** أي الذي ذكرت من صفة النار وأهلها **خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء** أي ثوابا **ومصيرا** أي مرجعا **لهم فيها ما يشاءون** أي إن جميع المرادات لا تحصل إلا في الجنة لا في غيرها فإن قلت قد يشتهي الإنسان شيئا ولا يحصل في الجنة كما أنه يشتهي اللؤلؤ ونحوه وليس هو في الجنة قلت إن الله عز وجل يزيل ذلك الخاطر عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات إلى غيره **خالدين** أي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكون دائما إذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد في المعنى نظم

أشد الغم عندي في سرور ∴ تيقن عنه صاحبه انتقالا

كان على ربك وعدا مسئولا أي مطلوبا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان إعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا ومسألتهم إياه ذلك الوعد وقيل الطالبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قوله ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم قوله عز وجل **ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله** يعني من الملائكة والجن والإنس مثل عيسى والعزير وقيل يعني الأصنام ويخاطبهم **فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل** أي أخطئوا الطريق **قالوا** أي المعبودين **سبحانك** نزهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة **ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء** يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك **ولكن متعتهم وآباءهم** أي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا **حتى نسوا الذكر** أي تركوا المواعظ والإيمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه **وكانوا قوما بورا** أي هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان **فقد كذبوكم** هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم المعبودون **بما تقولون** أي إنهم آلهة **فما يستطيعون** يعني الآلهة **صرفا** أي صرف العذاب عن أنفسهم **ولا نصرا** أي ولا نصر أنفسهم وقيل ولا نصركم أيها العابدون بدفع العذاب عنكم **ومن يظلم منكم** أي يشرك **نذقه عذابا كبيرا** قوله تعالى **وما أرسلنا قبلك** أي يا محمد **من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق أنزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى أن هذه عادة مستمرة من الله تعالى في رسله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا إلا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلي يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة** أي بلية قال ابن عباس أي جعلنا بعضكم بلاء لبعض

لتنصروا واعلى ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعون انتم الهدى وقيل نزلت
في ابتلا الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا اراد ان يسلم راى الوضيع قد
اسلمه قبله انفا وقال اسلم بعده فيكون له السابقة والفضل علي فيقيم على كفره
ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت في ابي جهل والوليد
ابن عقبة والعاص بن وايل والنضر بن الحارث وذلك انهم راوا ابا ذر وابن مسعود
وعمارا وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة ودونهم قد اسلموا قبلهم فقالوا انسلم
فنكون مثل هولا وقيل نزلت في ابتلا فقرا المسلمين بالمستهزيين من قريش
كانوا يقولون انظروا الى هولا الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا
وارذالنا فقال الله تعالى لهولا المومنين **اتصبرون** اي على هذه الحالة من الفقر
والشدة والاذى وقيل ان الغني فتنة الفقير يقول ما لي لم اكن مثله والصحيح
فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع **وكان ربك بصيرا** اي بمن صبر وبمن
جزع **ق** عن ابي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم الى من فضل
عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم لفظ البخاري ولمسلم
انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله
عليكم قوله عز وجل **وقال الذين لا يرجون لقاءنا** اي لا يخافون البعث
والرجا بمعنى الخوف لغة تهامة **لولا انزل علينا الملايكة** اي فتخبرنا ان محمدا
صلى الله عليه وسلم صادق **او نرى ربنا** فيخبرنا بذلك **لقد استكبروا** اي تعظموا
في انفسهم بهذه المقالة **وعتوا عتوا كبيرا** اي طغوا وقيل عتوا في القول
وهو اشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم روية الله تعالى حين يومنوا به **يوم
يرون الملايكة** اي عند الموت وقيل يوم القيامة **لا بشرى يومئذ للمجرمين**
وذلك ان الملايكة يبشرون المومنين يوم القيامة وتقول للكفار لا بشرى
لكم وقيل لا بشارة لكم بالجنة كما يبشر المؤمنون **ويقولون حجرا محجورا** قال
ابن عباس رضي الله عنهما تقول الملايكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من
قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول
الملايكة حرام محرم عليكم ان تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملايكة
وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم شدة وراوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا
فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملايكة **وقدمنا الى ما عملوا من عمل** يعني
من اعمال البر التي عملوها في حال كفرهم **فجعلناه هبا منثورا** اي باطلا لا ثواب
له لانه لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس فيه امرنا فهو
رد والهبا هو ما يرى في الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالايدي
ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تسفيه الرياح وتذريه
من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند المسير من
الغبار قوله تعالى **اصحاب الجنة يومئذ** اي يوم القيامة **خير مستقرا** اي

هولاء المشركين **واحسن مقيلا** اي موضع القايلة وذلك ان اهل الجنة لا يمر بهم
يوم القيامة الا قدر من اول النهار الى وقت القايلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة
قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل
النار في النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم
لان الله تعالى قال واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وقال ابن عباس الحساب
في ذلك اليوم في اوله ويروى ان يوم القيامة يقصر على المومنين حتى يكون كما
بين العصر الى غروب الشمس **ويوم تشقق السما بالغمام** اي عن الغمام وهو
غمام ابيض مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرايل في تيههم **وننزل الملايكة
تنزيلا** قال ابن عباس تشقق السما الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر
ممن في الارض من الجن والانس ثم تشقق السما الثانية فينزل اهلها وهم
اكثر ممن في السما الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشقق السما السابعة
واهل كل سما يزيدون على اهل السما التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش
الملك يومئذ الحق للرحمن اي الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال
ابن عباس يريد ان يوم القيامة يقضي غيره **وكان يوما على الكافرين عسيرا**
اي شديدا وفيه دليل على انه لا يكون على المومنين عسيرا وجاء في الحديث انه
يهون يوم القيامة على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها
في الدنيا قوله تعالى **ويوم يعض الظالم على يديه** اراد بالظالم عقبة بن
ابي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه اشراف قومه
وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما
ودعا اليه الناس ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة
صديقا لابي بن خلف فلما اخبر ابي بن خلف قال له يا عقبة صبات فقال لا والله
ما صبات ولكن دخل علي رجل فابى ان ياكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان
يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا بالذي ارضى عنك ابدا
الا ان تاتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا اراك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا
واما ابي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد وقيل لما بزق عقبة
في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر
ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن ابي معيط خليل امية بن خلف
فاسلم عقبة فقال له امية وجهي من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وارتد
فانزل الله عز وجل ويوم يعض الظالم يعني عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس

ابن عبد مناف على يديه اي ندما واسفا على ما فرطت في جنب الله واتى نفسه
بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه قال عطا يأكل يديه
حتى يأكل مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما كلما نبتت يده اكلها على ما فعل
تحسرا يقول يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلا اي ليتني
اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت معه طريقا الى الهداية يا ويلتى
دعا على نفسه بالويل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني ابي بن خلف
لقد اضلني عن الذكر اي عن الايمان والقران بعد اذ جاءني يعني الذكر
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان وهو كل متمرد عات صد
عن سبيل الله من الجن والانس للانسان خذولا اي كثير الخذلان يتركه
ويتبرا منه عند نزول البلا والعذاب وحكم الاية عام في كل خليلين ومتحابين
اجتمعا على معصية الله عز وجل عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك
اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير
اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من
يخالل اخرجه ابو داود والترمذي ولهما عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مومنا ولا يأكل طعامك الا تقي
قوله عز وجل وقال الرسول يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم يا رب
ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا اي متروكا فاعرضوا عنه ولم يومنوا به
ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا انه
شعر وسحر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكوا قومه الى الله عز وجل يا رب
ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا فعزاه الله عز وجل فقال وكذلك
اي وكما جعلت لك اعداء من مشركي مكة وهم قومه كذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين اي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فان الانبيا قبلك قد
لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر انت كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وهو قوله
تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القران جملة واحدة اي كما انزل التوراة على موسى والانجيل على
عيسى والزبور على داود عليهم الصلاة والسلام قال الله عز وجل كذلك
فعلنا ذلك لنثبت به فؤادك اي انزلناه مفرقا لنقوي به قلبك فتعيه وتحفظه
فان الكتب المتقدمة نزلت على انبيا يكتبون ويقرون وانزلنا القران على
نبي امي لا يكتب ولا يقرا ولان من القران الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب
لمن سال عن امور حدثت منها في اوقات مختلفة ففرقناه ليكون ادعى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وايسر على العامل به ورتلناه ترتيلا قال ابن عباس بيناه

بيانا والترتيل التبيين في ترتيل وتثبيت وقيل فرقناه تفريقا اية بعد اية
ولا يأتونك يعني يا محمد هولا المشركون بمثل اي يضربونه لك في ابطال امرك
الا جيناك بالحق اي بما ترد به ما جاوا به من المثل وتبطله فسمي ما يوردون من
الشبه مثلا وسمي ما يدفع به الشبه حقا واحسن تفسيرا اي احسن
بيانا وتفصيلا ثم ذكر ما لهولا المشركين فقال تعالى الذين اي هم الذين
يحشرون اي يساقون ويجرون على وجوههم الى جهنم اوليك شر مكانا
اي منزلا ومصيرا واضل سبيلا اي اخطا طريقا قوله عز وجل ولقد اتينا
موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا اي معينا وظهيرا فقلنا
اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني القبط فدمرناهم فيه اضمار
اي فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم هلاكا وقوم نوح لما كذبوا
الرسل اي رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك
ذكره بلفظ الجمع اغرقناهم وجعلناهم للناس اية اي عبرة لمن بعدهم واعتدنا
للظالمين اي في الاخرة عذابا اليما اي سوى ما حل بهم من عاجل العذاب
في الدنيا وعادا وثمودا اي واهلكنا عادا وثمودا واصحاب الرس قال
وهب ابن منبه كانوا اهل بير الرس نزولا عليها وكانوا اصحاب مواشي يعبدون
الاصنام فبعث الله تعالى لهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا في
طغيانهم واذوا شعيبا فبيناهم حول البير في منازلهم انهارت البير وخسف
بهم وبديارهم ورباعهم وقيل الرس بير بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فاهلكهم الله
عز وجل وقال سعيد بن جبير كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه
فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار وهم الذين ذكرهم
الله في سورة يس وقيل هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقرونا بين
ذلك كثيرا اي واهلكنا قرونا كثيرا بين عاد واصحاب الرس وكلا ضربنا له
الامثال اي الاشباه في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار وكلا
تبرنا تتبيرا اي اهلكناهم اهلاكا ولقد اتوا على القرية التي امطرت
مطر السوء يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وهي خمس قرى اهلك الله عز وجل
منها اربعا ونجت واحدة وهي صغر كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث افلم يكونوا
يرونها يعني اذا مروا بهم في اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مداين قوم لوط
كانت على طريقهم عند ممرهم الى الشام بل كانوا لا يرجون نشورا اي لا
يخافون بعثا قوله تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا نزلت في ابي
جهل كان اذا مر مع اصحابه قال مستهزيا اهذا الذي بعث الله رسولا ان
كاد ليضلنا اي قد قارب ان يضلنا عن عبادة الهتنا لولا ان صبرنا عليها
اي على عبادتها والمعنى لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها وسوف يعلمون حين يرون
العذاب اي في الاخرة عيانا من اضل سبيلا اي اخطا طريقا ارايت

من اتخذ الهه هواه وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا راى
حجرا احسن منه رماه واخذ الاحسن منه وعبده قال ابن عباس ارايت من
ترك عبادة الله خالقه ثم هوي حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله
يعبد **افانت تكون عليه وكيلا** اي حافظا يحفظه من اتباع هواه وعبادة
ما يهوي من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها اية القتال
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اي ما تقول اي سماع طالب الافهام **او يعقلون**
اي بما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة اعظم من التي تقدمت لانهم
لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكانهم لا
سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى **ان هم**
اي ما هم **الا كالانعام** اي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على
التدبير والتفكر ثم قال الله تعالى **بل هم اضل سبيلا** لان الانعام تهتدي
لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار
لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام
تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك قوله عز وجل **الم تر الى ربك كيف**
مد الظل هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل
لا شمس معه **ولو شاء لجعله ساكنا** اي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه
الشمس **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا** معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس
لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف باضدادها **ثم**
قبضناه يعني الظل **الينا قبضا يسيرا** اي بالشمس التي تاتي عليه
والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض
الله الظل جزءا فجزءا قبضا خفيا **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا**
اي سترا تستترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس الذي
يشتمل على لابسه **والنوم سباتا** اي راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم
وجعل النهار نشورا اي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء الرزق وطلب الاشتغال
وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر **وانزلنا من السماء**
ماء طهورا الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته اخرجه
ابو داود والترمذي والنسائي واراد به المطهر والماء مطهر لانه يطهر الانسان
من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير يختص بالماء وذهب اصحاب الراي الى ان
الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل
والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم
الى ان الطهور ما يتكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوزوا الوضوء بالماء اذا
توضا به مرة وان وقع في الماء شيء غير طعمه او لونه او ريحه هل تزول طهوريته

نظر

نظر ان كان الواقع شيئا لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب واوراق الاشجار فيجوز
الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن
يصب فيه فيتروح الماء برائحته يجوز الطهارة به لان التغيير للمجاورة لا للمخالطة
وان كان شيئا يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما تزول
طهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير احد اوصافه نظر ان كان الواقع شيئا
طاهرا لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا او كثيرا وان كان
الواقع شيئا نجسا نظر فيه فان كان الماء اقل من قلتين تنجس الماء وان كان
قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادي
يدل عليه ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل
عن الماء يكون في الفلاة يرده من السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين
لم يحمل الخبث اخرجه ابو داود والترمذي وهذا قول الشافعي واحمد واسحاق
وجماعة من اهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة
فيه ما لم يتغير احد اوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع
النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه او لونه او ريحه وهو قول الحسن وعطاء والنخعي
والزهري واحتجوا بما روي عن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله
انه يستقى لك من بير بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر
الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شيء
وفي رواية قال قلت يا رسول الله انتوضا من بير بضاعة وهي بير يطرح فيها
الحيض ولحم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور
لا ينجسه شيء وقوله تعالى **لنحيي به** اي بالمطر **بلدة ميتا** قيل اراد
به موضع البلد **ونسقيه مما خلقنا انعاما** اي نسقي من ذلك الماء انعاما **واناسي**
كثيرا اي بشرا كثيرا والاناسي جمع اناس وقيل جمع انسان وقوله تعالى **ولقد**
صرفناه بينهم يعني المطر مرة ببلد ومرة ببلد اخر وقال ابن عباس ما عام
بامطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرا هذه الاية وهكذا كما روي مرفوعا
ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروي
عن ابن مسعود يرفعه ليس سنة بامطر من سنة اخرى ولكن الله عز وجل قسم
هذه الارزاق فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل
معلوم ورزق معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله عز وجل ذلك الى غيرهم
واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف
المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح
ليذكروا اي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى **فابى اكثر الناس الا كفورا**
اي جحودا وكفرهم هو انهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا **ق** عن زيد بن خالد
الجهني انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية

في اثر سما من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا
الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله
ورحمته فذلك مومن بي وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا
فذلك كافر بي مومن بالكواكب قوله عز وجل ولو شينا لبعثنا في كل قرية
نذيرا اي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة
لتستوجب بصبرك ما اعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة فلا تطع الكافرين
اي فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وجاهدهم به اي القران جهادا
كبيرا اي شديدا وهو الذي مرج البحرين اي خالطهما وافاض احدهما على الاخر
وقيل ارسلهما في مجاريهما هذا عذب فرات اي شديد العذوبة يميل الى الحلاوة
وهذا ملح اجاج اي شديد الملوحة وقيل مر وجعل بينهما برزخا اي حاجزا
بقدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب وحجرا محجورا اي سترا ممنوعا
فلا يبغي احدهما على الاخر ولا يفسد الملح العذب قوله عز وجل وهو الذي خلق
من الما اي من النطفة بشرا فجعله نسبا وصهرا اي جعله ذا نسب وصهر
وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة
والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة
وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله تعالى بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وجمعها
في قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وقد تقدم تفسير ذلك في تفسير سورة
النسا وكان ربك قديرا اي ما اراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين
من البشر الذكر والانثى ويعبدون من دون الله يعني هولا المشركين
ما لا ينفعهم اي ان عبدوه ولا يضرهم اي ان تركوه وكان الكافر على ربه
ظهيرا اي معينا اعانه الشيطان على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام
معاونة الشيطان وقيل معنى ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت فلانا اذا جعلته
وراءك ولم تلتفت اليه قيل المراد بالكافر ابو جهل والاصح انه عام في كل كافر قوله
تعالى وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي بالثواب على الايمان والطاعة ونذيرا
اي منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية قل يا محمد ما اسالكم عليه اي على تبليغ
الوحي من اجر اي فيقولون انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه الا
من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا معناه لكن من شا ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا
الى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا اسالكم لنفسي اجرا ولكن امنع من انفاق المال الا
في طلب مرضات الله واتخاذ السبيل الى جنته وتوكل على الحي الذي لا يموت
معناه انه سبحانه وتعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان لا يطلب منهم اجرا
البتة امره ان يتوكل عليه في جميع اموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من
توكل على حي يموت انقطع توكل من توكل عليه بموته واما الله سبحانه وتعالى فانه
حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة وسبح بحمده اي صل

له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله وكفى به بذنوب عباده
خبيرا يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج
معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على مكافاتهم وفيه وعيد شديد كانه قال اذا
قدمتم على مخالفة امره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة به قوله عز
وجل الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على
العرش الرحمن فاسال به خبيرا اي فاسال الخبير بذلك يعني بما ذكر من خلق السموات
والارض والاستوا على العرش وقيل معناه ايها الانسان لا ترجع في طلب العلم
بهذا الى غيري وقيل معناه فاسال عنه خبيرا وهو سبحانه وتعالى وقيل هو جبريل عليه
السلام واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن اي ما نعرف الرحمن
الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمن اليمامة انسجد
لما تامرنا انت يا محمد وزادهم اي قول القايل اسجدوا للرحمن نفورا اي عن
الايمان والسجود فصل وهذه السجدة من عزايم السجدات فيسن للقاري
والمستمع ان يسجد عند سماعها وقراتها قوله تعالى تبارك الذي جعل في السما
بروجا قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور
فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثني عشر التي هي منازل الكواكب السبعة
السيارة وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور
العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها وجعل فيها سراجا يعني الشمس
وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال ابن عباس خلفا وعوضا
يقوم احدهما مقام صاحبه فما فاته عمله في احدهما قضاه في الاخر قال شقيق
جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال فاتتني الصلاة الليلة فقال
ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد
ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا ابيض
وقيل يخلف احدهما صاحبه اذا ذهب جاء هذا فهما يتعاقبان في الضيا والظلمة
والزيادة والنقصان لمن اراد ان يذكر اي يتذكر ويتعظ او اراد شكورا يعني
شكرا لنعمة ربه عليه فيهما قوله عز وجل وعباد الرحمن قيل هذه الاضافة
للتخصيص والتفضيل فالخلق كلهم عبيد الله الذين يمشون على الارض هونا
اي بالسكينة والوقار متواضعين غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين بل علما
حكما اصحاب وقار وعفة واذا خاطبهم الجاهلون يعني السفها بما يكرهونه قالوا
سلاما اي سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا
ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يومروا بالقتال
ثم نسختها اية القتال ويروى عن الحسن البصري انه كان اذا قرا هذه الاية
قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرا والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما قال

سجدا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة سجدا على وجوههم وقياما على
اقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخرة ركعتين او اكثر فقد بات لله
ساجدا وقائما م عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة
قوله تعالى والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما
اي ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سأل
الله الكفار ثمن نعمته فلم يودوها فاغرمهم فبقوا في النار وقال كل غريم مفارق
غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم انها يعني جهنم ساءت
اي بئست مستقرا ومقاما اى موضع قرار واقامة والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وقيل الاسراف النفقة في معصية الله وان قلت والاقتار
منع حق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق
حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه وهو ان لا يجوع عياله
ولا يعريهم ولا ينفق نفقة تقول الناس قد اسرف وكان بين ذلك قواما اى
قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين قيل نزلت الاية في
وصف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون الطعام للتنعم واللذة ولا
يلبسون ثيابا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم
على عبادة ربهم ومن الثياب ما يستر العورة ويقيهم من الحر والبرد وقال عمر بن
الخطاب كفى سرفا ان لا يشتهي شيئا الا اشتراه فاكله قوله عز وجل والذين لا يدعون
مع الله الها اخر ق عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا وزنوا
فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعونا اليه
لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا
يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزل قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ق عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول
الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل
ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك فانزل الله تعالى
تصديقه والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ومعنى الاية ومن يفعل شيئا
من ذلك يلق اثاما قال ابن عباس يعني يلق جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام
واد في جهنم ويروى في الحديث ان الغي والاثام بئران في جهنم يسيل فيهما صديد
اهل النار يضاعف له العذاب يوم القيامة قيل سبب تضعيف العذاب ان المشرك
اذا ارتكب المعاصي مع الشرك تضاعف له العقوبة على شركه ومعاصيه ويخلد فيه
مهانا اي ذليلا قوله عز وجل الا من تاب اى عن ذنبه وامن بربه وعمل عملا
صالحا اي فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأناها

علي عهد

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها اخر
الاية ثم نزلت الا من تاب فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فط فرح بشيء مثلما
فرح بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما
قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام
فيبدلهم الله بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا
وقيل يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة م عن ابي ذر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر رجل يخرج من النار رجل يؤتى
به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض
عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر
وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة
فيقول رب قد عملت اشياء لا اراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله عز وجل يمحوا بالندم جميع
السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ومن تاب وعمل صالحا قيل هو
في التوبة من غير ما سبق ذكره في الاية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن
تاب من الشرك وعمل صالحا يعني ادى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن فانه
يتوب الى الله اي يعود اليه بعد الموت متابا اي حسنا يفضل على غيره
ممن قتل وزنا فالاية الاولى وهو قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثاني
رجوع الى الله للجزاء والمكافاة وقيل معنى الاية الثانية في التوبة عن جميع السيئات
ومعناه من اراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله تعالى فقوله يتوب الى الله
خبر بمعنى الامر اي تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله قوله
تعالى والذين لا يشهدون الزور يعني الشرك وقيل يعني شهادة الزور
ق عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر
قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا
فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته
سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه
ويطوف به في الاسواق وقيل لا يشهدون يعني اعياد المشركين وقيل الكذب
وقيل النوح وقيل لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب
والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع واصل
الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم
انه حق واذا مروا باللغو وهو كل ما يجتنب ان يلغى ويترك مروا كراما
يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون
الاية منسوخة باية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو

والباطل مروا كراما اي مسرعين معرضين عنه وهو ان ينزه المرء نفسه ويكرمها عن مثل
المجالس السيئة والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا
قيل معناه انه ليس فيه نفي الخرور وانما هو اثبات له ونفي الصم والعمي والمعنى انهم
اذا ذكروا بها اكبوا عليها استماعها باذان واعية واقبلوا على الذكر بعيون مبصرة
واعية وقيل معنى لم يخروا اي لم يسقطوا ولم يقفوا عليها صما وعميانا كانهم باذانهم
صمم وباعينهم عمي بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه
قوله عز وجل والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين
اي ابرارا اتقيا صالحين فتقر اعيننا بذلك قيل ليس شي اقر لعين المومن من ان يري
زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع في ان يحلوا معه في الجنة فيتم سروره
وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة
العين عند الغم والحزن ويقال ان دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن
حار وقيل معنى قرة العين ان يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره
واجعلنا للمتقين اماما اي ايمة يقتدون بنا في الخير وقيل معناه نقتدي
بالمتقين ويقتدي بنا المتقون قال ابن عباس اجعلنا ايمة هداة وقيل معناه
انهم سالوا الله ان يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار اليهم ويقتدى بهم قال
بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين مطلوبة فيها وقيل هذا من المقلوب معناه
واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مومتمين بهم اولئك يجزون اي
يثابون الغرفة اي الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الدرجات
الزبرجد واللولو والياقوت في الجنة بما صبروا بما صبروا اي على طاعة الله
تعالى واوامره وعلى اذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات ويلقون فيها
تحية اي ملكا وقيل بقاء دايما وسلاما اي يسلم بعضهم على بعض ويرسل الرب
عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما اي سلامة من الافات خالدين فيها
حسنت مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة قوله تعالى قل ما يعبوا بكم
ربي اي ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سوا وقيل معناه اي وزن لكم
ومقدار لكم عنده لولا دعاوكم اياه وقيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا
ايمانكم وقيل معناه لولا دعاوه اياكم الى الاسلام فاذا امنتم ظهر لكم عنده قدر
وقيل معناه ما يعبو بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لعبادته
وطاعته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبوا اي ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاوكم
معه الهة وقيل معناه ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا ان تسالوني فاعطيكم
وتستغفروني فاغفر لكم فقد كذبتم يعني ايها الكافرون يخاطب اهل مكة
يعني ان الله دعاكم الى توحيده وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان فسوف يكون لزاما هذا
تهديد لهم اي يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا

والمعنى

والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه
عذابا دايما وهلاكا لازما لمن كذب مفنيا يلحق بعضهم بعضا وقيل يوم بدر
قتل سبعون واسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وابي بن كعب يعني انهم
قتلوا يوم بدر واتصل به عذاب الاخرة لازما لهم ق عن عبد الله بن مسعود
قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية
الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله اعلم

تفسير سورة الشعرا وهي مكية

الا اربع ايات من اخر السورة من قوله تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون وهي مايتان
وسبع وعشرون اية والف ومايتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة الاف وخمسماية
واربعون حرفا روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت طه والطواسين
من الواح موسى والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى طسم قال ابن عباس طسم عجزت العلما عن علم تفسيرها وفي
رواية اخرى عنه قسم وهو من اسما الله تعالى وقيل اسم من اسما القران وقيل اسم
السورة وقيل اقسم بطوله وسناه وملكه تلك ايات اي هذه الايات
ايات الكتاب المبين قيل لما كان القران فيه دلايل التوحيد والاعجاز الدالة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلايل الاحكام اجمع فثبت بذلك ان ايات القران
كافية مبينة لجميع الاحكام لعلك باخع اي قاتل نفسك الا يكونوا
مومنين اي ان لم يومنوا وذلك حين كذبه اهل مكة فشق عليه ذلك وكان
يحرص على ايمانهم فانزل الله عز وجل هذه الاية ان نشا ننزل عليهم من السما
اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اي لو شا الله لانزل عليهم اية يذلون بها
فلا يلوي احد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل لو شا الله لاراهم
امرا من امره لا يعمل احد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح مجي خاضعين
خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان
موضع الخضوع وترك الكلام على اصله ولما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلا قيل
فيه خاضعين وقيل اعناق الناس روساوهم ومقدموهم اي فظلت كبراوهم لها خاضعين
وقيل اراد بالاعناق الجماعات يقال جاني عنق من الناس اي جماعة وما ياتيهم
من ذكر من الرحمن اي وعظ وتذكير محدث اي محدث انزاله فهو محدث
التنزيل وكلما انزل شي من القران بعد شي فهو احدث من الاول الا كانوا
عنه معرضين اي عن الايمان به فقد كذبوا فسياتيهم انبا اي فسوف
ياتيهم اخبار وعواقب ما كانوا به يستهزون اولم يروا الى الارض يعني
المشركين كم انبتنا فيها اي بعد ان لم يكن فيها نبات من كل زوج كريم
اي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما ياكل الناس والانعام قال الشعبي

الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم **ان في ذلك**
اي الذي ذكرته **لاية** تدل على انه واحد **وما كان اكثرهم مؤمنين** اي
سبق علمي فيهم ان اكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون **وان ربك لهو العزيز** اي
المنتقم من اعدائه **الرحيم** اي ذو الرحمة لاوليائه قوله عز وجل **واذ نادى** اي
واذكر يا محمد اذ نادى **ربك موسى** اي حين راى الشجرة والنار **ان ائت القوم**
الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرائيل باستعبادهم
وسومهم سوء العذاب **قوم فرعون** يعني القبطة **الا يتقون** اي يصرفون
عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به **قال** يعني موسى **رب** اي يا رب **اني**
اخاف ان يكذبون ويضيق صدري اي بتكذيبهم اياي **ولا ينطلق لساني**
اي للعقدة التي كانت على لسانه **فارسل الى هارون** اي ليوازرني ويعينني
على تبليغ الرسالة **ولهم علي ذنب** اي دعوى ذنب وهو قتله القبطي **فاخاف**
ان يقتلون اي به **قال** الله عز وجل **كلا** اي لن يقتلوك **فاذهبا باياتنا**
انا معكم مستمعون اي سامعون ما تقولون وما يقال لكم فان قلت كيف ذكرهم
بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان قلت اجراهما مجرى الجماعة وذلك جائز في
لغة العرب **فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين** فان قلت هلا
ثنى الرسول كما في قوله فاتياه وقوله انا رسولا ربك قلت الرسول قد يكون بمعنى
المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن به من تثنيته وجعله هنا
بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع انا ذوا
رسالة كما قال كثير شعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بشيء ولا ارسلتهم برسول

اي برسالة وقيل انهما لاتفاقهما في الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كانهما رسول
واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين **ان ارسل معنا بني اسرائيل**
اي خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد
استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة الف وثلاثون الفا فانطلق
موسى برسالة ربه عز وجل الى مصر وهارون بها فاخبره بذلك وفي القصة ان موسى
رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه والمكتل معلق في راس العصا وفيه
زاده فدخل دار نفسه واخبر هارون بان الله عز وجل قد ارسلني الى فرعون وارسل
اليك تدعو فرعون الى الله عز وجل فخرجت امهما وصاحت وقالت ان فرعون يطلبك
ليقتلك فاذا ذهبتما اليه قتلك فلم يمتنع لقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل
فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فقال موسى انا رسول رب العالمين
فذهب البواب الى فرعون وقال له ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين
فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة
في الدخول عليه ثم دخل البواب فقال لفرعون ايذن له لعلنا نضحك منه فدخلا

على فرعون

على فرعون واديا رسالة الله عز وجل فعرف فرعون موسى لانه نشا في بيته **فقال**
الم نربك فينا وليدا اي صبيا **ولبثت فينا من عمرك سنين** يعني
ثلاثين سنة **وفعلت فعلتك التي فعلت** يعني قتل القبطي **وانت من**
الكافرين قال اكثر المفسرين اي من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي يقال ربيناك
فينا فكافيتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا وهذا رواية عن ابن عباس
وقال اي فرعون لم يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبياء قبل
النبوة ولا بعدها وقيل معناه وانت من الكافرين بفرعون والهيته **قال** يعني
موسى **فعلتها اذا وانا من الضالين** اي من الجاهلين بان ذلك يؤدي
الى قتله لانه فعل الوكزة على وجه التاديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين
عن طريق الصواب وقيل من المخطئين **ففررت منكم لما خفتكم** اي الى مدين
فوهب لي ربي حكما يعني النبوة وقيل العلم والفهم **وجعلني من المرسلين**
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيدا قيل عدها
موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بني اسرائيل ولم يستعبده
كما استعبد بني اسرائيل فيكون معنى الاية وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل
وتركتني فلم تستعبدني وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الاية او تلك نعمة على
طريق الاستفهام فحذف الالف كما قال عمر ابن عبد الله بن ربيعة

لم انس يوم الرحيل وقفتها ... وطرفها من دموعها غرق

وقولها والركاب واقفة تتركني هكذا وتنطلق اي اتتركني والمعنى تمن علي ان
تربيتني وتنسى جنايتك على بني اسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة او يريد
كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن اهين قومه فقد ذل فتعبيد بني
اسرائيل قد احبط حسناتك الي ولو لم تستعبدهم ولم تقتل اولادهم لرفع الي
حتى تربيني وتكفلني ولكان لي من اهلي من يربيني ولم يلقوني في اليم **قال فرعون**
وما رب العالمين يقول اي شيء رب العالمين الذي تزعم انه رسوله انه يستوصف
الاله الذي ارسله اليه وهو سؤال عن جنس الشيء والله تعالى منزه عن الجنسية
والماهية فلهذا اعدل موسى عن جوابه واجابه بذكر افعاله واثار قدرته الذي يعجز
الخلق عن الاتيان بمثله **قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين**
اي انه خالقهما فان عرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته فان يقنتكم بذلك
لزمكم ان تقطعوا انه لا جواب عن ذلك السؤال الا بما ذكرته من الجواب وقال اهل
المعاني اي كما توقنون هذه الاشياء التي تعاينوها فايقنوا ان اله الخلق هو الله
تعالى الذي خلقها واوجدها فلما قال ذلك موسى تحير فرعون في جواب موسى **قال**
لمن حوله اي من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسماية رجل عليهم الاسورة
الا تستمعون وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني
انما الطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بافعاله واثاره وقيل

انهم كانوا يعتقدون ان الهتهم ملكوهم ثم زادهم موسى في البيان فقال ربكم ورب
اباءكم الاولين يعني ان موسى ذكر ما هو اقرب اليهم فقال ربكم يعني انه خالقكم
وخالق ابائكم الاولين قال يعني فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون يعني المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالاثار الخارجة وهذا
لا يفيده البتة فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن ان
يجيب عنه ونتكلم بكلام لا نقبله ولا نعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد
ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد في البيان فقال رب المشرق والمغرب وما
بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق ثالث اوضح من الثاني ومعنى ان كنتم
تعقلون قد عرفتم انه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت قال فرعون حين لزمته
الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من
المسجونين قيل كان سجن فرعون اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه
في مكان يهوي فيه الى الارض وحده فردا لا يسمع ولا يبصر قال له موسى حين
توعده بالسجن اولو جئتك بشيء مبين اي باية بينة والمعنى اتفعل ذلك ان
جئتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من اخلاق الناس السكون الى الانصاف
والاجابة الى الحق بالبيان قال يعني فرعون فات به اي انا لن نسجنك حينئذ
ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قيل انها لما صارت
حينئذ ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذي
ارسلك الا اخذتها فاخذها موسى فصارت عصى كما كانت فقال وهل غيرها
قال نعم واراه يده ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضا من غير برص لها
شعاع كشعاع الشمس وهو قوله تعالى ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين
فعند ذلك قال فرعون للملا حوله ان هذا يعني موسى لساحر عليم وكان
زمان السحر فلهذا اروج فرعون هذا القول على قومه ثم قال يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره قال هذا القول على سبيل التغير لئلا يقبلوا قول موسى
فماذا تامرون يعني ما رايكم فيه وما الذي اعمله فعند ذلك قالوا ارجئه
واخاه اي اخره واخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم
قيل ان فرعون اراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس
شبهة في امره ولكن اخره واجمع له سحرة ليغلبوه ولا يثبت له عليك حجة قوله
عز وجل فجمع السحرة لميقات يوم معلوم يعني يوم الزينة قال ابن عباس
وافق ذلك يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وقيل للناس
هل انتم مجتمعون اي لتنظروا الى ما يفعل الفريقان ولمن تكون له الغلبة
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اي لموسى وقيل اراد بالسحرة
موسى وهارون وقالوا ذلك على طريق الاستهزا فلما جا السحرة قالوا
لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين طلبوا من فرعون الجزا وهو اما بذل

المال

المال والجاه فبذل لهم ذلك كله واكده بقوله قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال
لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
اي بعظمة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون
اي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت
كلما رموه من حبالهم وعصيهم ثم اخذها موسى فاذا هي كما كانت اول مرة فالقي السحرة
ساجدين قيل انهم لما راوا ما جاوز حد السحر علموا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا
ساجدين ثم انهم قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون وانما قالوا رب
موسى وهارون لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا عزله قال امنتم له قبل
ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون فيه وعيد مطلق
وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من
خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون اي لا ضرر علينا
فيما يلحقنا في الدنيا لانا ننقلب ونصير الى ربنا في الاخرة مومنين متقلبين موملين
غفرانه وهو قولهم انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي الكفر والسحر ان اي لان
كنا اول المومنين اي من اهل زماننا وقيل اول المومنين اي من الجماعة الذين
حضروا ذلك الجمع قوله عز وجل واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون
اي يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج قيل وحى الله عز وجل الى
موسى ان اجمع بني اسرايل كل اهل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا اولاد الضان فاضربوا
بدمايها على ابوابكم فاني سامر الملايكة تقتل ابكار ال فرعون من انفسهم واموالهم
ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي
حتى تنتهي الى البحر فياتيك امري ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم
فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال
في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا ابكارنا
من انفسنا واخذوا اموالنا فارسل فرعون في المداين حاشرين يعني الشرط
يحشرون الجيش قيل كانت المداين الف مدينة واثنا عشر الف قرية فارسل فرعون
في اثر موسى وقومه الف الف وخمسماية الف وخرج فرعون في الكرسي العظيم
في مايتي الف ملك مسومين مع كل ملك الف فلذلك قال ان هولا لشرذمة قليلون
قال اهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستماية الف مقاتل لم
يعدوا دون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانوا ستماية الف
وسبعين الفا ولا يحصى عدد اصحاب فرعون وانهم لنا لغايظون الغيظ الغضب
يعني انهم اغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم ابكارنا وذهابهم باموالنا التي استعاروها
وخروجهم من ارضنا بغير اذن منا وانا لجميع حذرون اي خايفون من شرهم
وقرئ حاذرون اي ذو قوة واداة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذرك
الان بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذي لا تلقاه الا خايفا فاخرجنا

ثم

من جنات وعيون قيل كانت البساتين ممتدة حافتي النيل فيها عيون وانهار
جارية وكنوز يعني الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانه لم
يؤد حق الله منها وكل مال لم يؤد حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل
كان لفرعون ثمانماية الف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من
ذهب ومقام كريم اي مجلس حسن قيل اراد مجالس الامرا والروسا التي
كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثماية كرسي من ذهب
يجلس عليها الاشراف من قومه والامرا وعليهم اقبية الديباج مخوصة بالذهب
والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون واموالهم ومجالسهم الحسنة
كذلك اي كما وصفنا واورثناها بني اسرايل وذلك ان الله تعالى رد بني اسرايل
الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فاعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من
الاموال والمساكن الحسنة فاتبعوهم مشرقين اي لحق فرعون وقومه موسى
واصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها فلما تراءا الجمعان اي تقابلا بحيث
يرى كل فريق صاحبه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي سيدركنا قوم فرعون
ولا طاقة لنا بهم قال يعني موسى لثقته بوعد الله تعالى اياه كلا اي لن يدركونا
ان معي ربي سيهدين اي يدلني على طريق النجاة فاوحينا الى موسى ان اضرب
بعصاك البحر فانفلق ضربه فانشق فكان كل فرق اي قطعة من الما كالطود
اي الجبل العظيم وقيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار
البحر يجري بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون
من خلفنا والبحر امامنا قال موسى هاهنا فخاض يوشع البحر لا يواري حافر
دابته وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله اين امرت قال هاهنا فكبح فرسه
بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقحمه البحر فارسب في الما وذهب القوم
يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا وجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه
ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل فرسه
ولا لبده وازلفنا ثم الاخرين اي قربنا فرعون وقومه الى البحر وقدمناهم
الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بني اسرايل وبين قوم فرعون يقول لبني
اسرايل ليلحق اولكم اخركم ويقول للقبط رويدا ليلحق اخركم اولكم فكان
بنوا اسرايل يقولون ما راينا احسن سياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون
يقولوا ما راينا احسن دعة من هذا الرجل وانجينا موسى ومن معه اجمعين
ثم اغرقنا الاخرين يعني انه تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه
واغرق فرعون وقومه وذلك لما تكاملوا في البحر انطبق عليهم فاغرقهم ان في
ذلك لاية يعني ما ظهر في البحر من انفلاقه انه من الايات العظام الدالة
على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام وما كان اكثرهم مومنين يعني اهل مصر
وقيل لم يومن منهم الا اسية امراة فرعون وحزقيل مومن ال فرعون ومريم

بنت

بنت ماموسيا التي دلت على قبر يوسف حين اخرجه موسى من البحر وان ربك لهو
العزيز الرحيم قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون اي اي شي تعبدونه وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة الاصنام
ليريهم ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شي قالوا نعبد اصناما فنظل
لها عاكفين اي نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار
دون الليل قال هل يسمعونكم اي يسمعون دعاكم اذ تدعون او ينفعونكم
قيل بالرزق او يضرون اي ان تركتم عبادتها واذا كان كذلك فكيف يستحقون
العبادة فلما الزمهم الحجة القاطعة قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
المعنى انها لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ولكن اقتدينا باباينا
في ذلك وفي الاية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال
قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون اي الاولون فانهم
عدو لي اي اعدا لي وانما وحده على ارادة الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام
بالعداوة وهي جمادات لا تعقل قلت معناه فانهم عدو لي يوم القيامة لو
عبدتهم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحيا والعقلا
اطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب اراد فاني عدو لهم لان
من عاديته فقد عاداه الا رب العالمين اي لكن رب العالمين فانه ربي ووليي
وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل من تعبدون
اعدا لي الا رب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال الذي
خلقني فهو يهدين الى طريق النجاة والذي هو يطعمني ويسقين اي يرزقني
ويغذيني بالطعام والشراب واذا مرضت اضاف المرض الى نفسه استعمالا
للادب وان كان هذا المرض والشفا من الله تعالى فهو يشفين اي
يبريني ويعافيني من المرض والذي يميتني ثم يحيين اي يميتني في الدنيا
ثم يحييني في الاخرة والذي اطمع اي ارجو ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
اي يوم الجزا والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها عن
عايشة قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم
المسكين فهل ذاك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي
يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم عليه السلام على قومه انه لا يصلح للالوهية
الا من يفعل الافعال رب هب لي حكما قال ابن عباس معرفة حدود الله تعالى واحكامه
وقيل العلم والفهم والحقني بالصالحين اي بمن سلف قبلي من الانبيا في المنزلة
والدرجة العالية واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي ثنا حسنا وذكرا جميلا
وقبولا عاما في الامم التي تجي بعدي فاعطاه الله ذلك وجعل كل اهل الاديان
يتولونه ويثنون عليه واجعلني من ورثة جنة النعيم اي ممن تعطيه جنة النعيم
لانها السعادة الكبرى واغفر لابي انه كان من الضالين قيل دعا لابيه على انه

رجي انه يسلم فيغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ولا تخزني اي ولا
تفضحني يوم يبعثون وهو يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا
من اتى الله بقلب سليم اي خالص من الشك والشرك فاما الذنوب لا
يسلم منها احد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المومن
لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالي من البدعة المطمين
الي السنة وازلفت الجنة اي قربت الجنة للمتقين وبرزت اي ظهرت الجحيم
للغاوين اي الكافرين وقيل لهم يعني يوم القيامة اينما كنتم تعبدون
من دون الله هل ينصرونكم اي يمنعونكم من عذاب الله او ينتصرون
اي لانفسهم فكبكبوا قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرح بعضهم على
بعض وقيل القوا على روسهم فيها اي في جهنم هم والغاوون يعني الالهة والعابدون
وقيل الجن والكافرين وجنود ابليس اجمعون يعني اتباعه ومن اطاعه من
الانس والجن وقيل ذريته قالوا وهم فيها يختصمون يعني العابدين والمعبودين
والمعنى انهم قالوا تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم اي نعدلكم برب
العالمين فنعبدكم وما اضلنا يعني دعانا الى الضلال الا المجرمون
يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين
اقتدينا بهم وقيل يعني ابليس وابن ادم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل
وانواع المعاصي فما لنا من شافعين يعني من شفيع يشفع لنا يعني كما ان للمومنين
شافعين من الملايكة والنبيين ولا صديق حميم اي قريب يشفع لنا
يقول ذلك الكفار حين يشفع الملايكة والنبيون والمومنون والصديق
هو الصادق في المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول
صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه
في الجحيم فيقول الله عز وجل اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي باسناد الثعلبي وقال الحسن
استكثروا من الاصدقا المومنين فان لهم شفاعة يوم القيامة فلو ان لنا
كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون من المومنين اي انهم تمنوا الرجعة حين
لا رجعة لهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين اي مع هذه الدلايل
والايات وان ربك لهو العزيز الرحيم اي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف
عزته رحيم قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين اي كذبت جماعة قوم نوح
وقيل القوم مونثة وتصغيرها قويمة فان قلت كيف قال المرسلين وانما
رسول واحد وكذلك ياتي القصص قلت لان دين الرسل واحد وان الاخر منهم
جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبيا فقد كذب جميعهم اذ قال لهم
اخوهم نوح اي في النسب لا في الدين الا تتقون اي الا تخافون فتتركوا
الكفر والمعاصي اني لكم رسول امين اي على الوحي وكان معروفا عندهم

بالامانة

بالامانة فاتقوا الله اي بطاعة الله وعبادته واطيعون اي فيما امرتكم به
من الايمان والتوحيد وما اسئلكم عليه من اجر اي جعل وجزاء ان اجري
الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قيل كرره ليوكد عليهم
ويقرره في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول الا تتقون الله في
مخالفتي وانا رسول الله ومعنى الثانية الا تتقون الله في مخالفته واني لست
اخذ منكم اجرا قالوا انومن لك واتبعك الارذلون اي السفلة قال ابن عباس
يعني الغاغة وقيل هم الحاكة والاساكفة قال يعني نوحا وما علمي بما كانوا
يعملون اي ما اعلم اعمالهم وصنايعهم وليس علي من دناة مكاسبهم واحوالهم
شيئا انما كلفت ان ادعوهم الى الله ومالي الا ظواهر امرهم قال الزجاج الصناعات
لا تضر في الديانات وقيل معناه اني لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم
ويخذلكم ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم
بصنايعهم وما انا بطارد المومنين اي عني وقد امنوا ان انا الا نذير
مبين اي اخوف من يكذبني فمن امن فهو القريب مني ومن لم يومن فهو البعيد
مني قالوا لين لم تنته يا نوح اي عما تقول لتكونن من المرجومين
اي من المقتولين بالحجارة وهو شر القتل وقيل من المشتومين قال رب
ان قومي كذبون فافتح اي احكم بيني وبينهم فتحا اي حكما ونجني ومن معي
من المومنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون اي الموقر المملوء من
الناس والطير والحيوان ثم اغرقنا بعد الباقين اي بعد انجاء نوح ومن
معه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
قوله عز وجل كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم
رسول امين اي امين على الرسالة فكيف تتهموني اليوم فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع قال
ابن عباس اي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين
وقيل المكان المرتفع اية اي علامة وهو العلم تعبثون اي بمن مر بالطريق
والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا
منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام فانكر عليهم هود اتخاذهم ومعنى
تعبثون اي تلعبون بالحمام وتتخذون مصانع قال ابن عباس ابنية وقيل
قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل ماخذ الما يعني الحياض لعلكم تخلدون
اي كانكم تبقون فيها خالدين لا تموتون واذا بطشتم اي اخذتم وسطوتم
بطشتم جبارين اي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يضرب
ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر فاتقوا الله واطيعون فيه
زيادة عن حب الدنيا والشرف والتفاخر واتقوا الذي امدكم بما تعلمون
اي اعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما اعطاهم فقال امدكم بانعام وبنين

وجنات وعيون فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم اني اخاف عليكم
قال ابن عباس ان عصيتموني عذاب يوم عظيم فكان جوابهم قالوا
سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اي انهم اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه
واستخفافهم بما اورده والوعظ الكلام الذي يلين القلب بذكر الوعد والوعيد
ان هذا الا خلق الاولين قرئ بفتح الخا والللام اي عادة الاولين من قبلنا
انهم يعيشوا ما عاشوا ثم يموتوا ولا بعث ولا حساب وقولهم وما نحن
بمعذبين اي انهم اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم
المعاد فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم
صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما هاهنا امنين
اي في الدنيا من العذاب في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها اي ثمرها
الذي يطلع منها هضيم قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين
الرخو وقيل متهشم يتفتت اذا مس وقيل الهضيم هو الداخل بعضه في بعض من
النضج والنعومة وقيل هو المدرك وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين
وفرئ فارهين قيل الفارة الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس الاشر
والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين معجبين لصنيعكم فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن عباس اي المشركين وقيل يعني التسعة
الذين عقروا الناقة الذين يفسدون في الارض اي بالمعاصي ولا يصلحون
اي لا يطيعون الله فيما امرهم به قالوا انما انت من المسحرين اي من المسحورين
المخدوعين قال ابن عباس اي من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ما انت
الا بشر مثلنا والمعنى انت بشر مثلنا ولست بملك فات باية اي على
صحة ما تقول ان كنت من الصادقين اي انك رسول الينا قال هذه ناقة
لها شرب اي حظ من الما ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء
اي بعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين اي على
عقرها لما راوا العذاب فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران
من العالمين يعني نكاح الرجال من بني ادم وتذرون ما خلق لكم
ربكم من ازواجكم يعني تتركون العضو المباح من النسا وتميلون الى الادبار
الرجال بل انتم قوم عادون اي معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام
قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي من قريتنا قال اني لعملكم

من القالين اي من التاركين المبغضين رب نجني واهلي مما يعملون
اي من عمل الخبيث قال الله تعالى فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا
اي امراته في الغابرين اي بقيت في المهلكين ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم
وامطرنا عليهم مطرا يعني الكبريت والنار فسا مطر المنذرين ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى
كذب اصحاب الايكة المرسلين اي الغيظة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد
اذ قال لهم شعيب اي لم يقل اخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين
وهو مرسل اليهم الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين انما كانت دعوة هولا
الانبيا فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته
والاخلاص في العبادة والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة اوفوا
الكيل ولا تكونوا من المخسرين اي الناقصين لحقوق الناس في الكيل
والوزن وزنوا بالقسطاس اي بالميزان العدل المستقيم ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
يعني الخليقة والامم المتقدمين قالوا انما انت من المسحرين وما انت
الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا اي قطعا من السما
ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون اي من نقصان الكيل والوزن
وهو يجازيكم ما عملكم وليس العذاب الي وما علي الا الدعوة والتبليغ فكذبوه
فاخذهم عذاب يوم الظلة وذلك انهم اصابهم حر شديد فكانوا يدخلون
الاسراب فيجدونها احر من ذلك فيخرجون فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها
فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وقد تقدم
الكلام على هذه القصص في سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا والله
اعلم قوله عز وجل وانه يعني القران لتنزيل رب العالمين يعني ان فيه من
اخبار الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين نزل به الروح
الامين يعني جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من الروح وسماه
امينا لانه مومن على وحيه الى انبيايه على قلبك يعني على قلبك حتى تعيه
وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو المخاطب في الحقيقة وانه موضع
التمييز والعقل والاختيار وساير الاعضا مسخرة له يدل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهي القلب اخرجاه في الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح
والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب او حزن يتغير ساير
الاعضا فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من

القرآن اذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف
مشروط بالعقل والفهم وقوله لتكون من المنذرين اي المخوفين بلسان
عربي مبين قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه وانه يعني القرآن
وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته لفي زبر اي كتب الاولين
اولم يكن لهم آية يعني اولم يكن لهؤلاء المنكرين علامة ودلالة على صدق
محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه يعني يعلم محمد صلى الله عليه وسلم علماء بني
اسرائيل قال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم
عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد في التوراة نعته
وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم وقيل كانوا خمسة عبد الله
ابن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد ولو نزلناه يعني القرآن على
بعض الاعجمين جمع اعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا
في النسب ومعنى الآية ولو انزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه
عليهم يعني القرآن ما كانوا به مؤمنين اي قالوا ما نفقه قولك وقيل معناه
لما طلبوا منه انفة من اتباع من ليس من العرب كذلك سلكناه قال
ابن عباس يعني ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين لا يؤمنون به
اي بالقرآن حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا
هل نحن منظرون اي لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم افبعذابنا
يستعجلون قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا متى توعدنا
بالعذاب والى متى هذا العذاب قال الله تعالى افبعذابنا يستعجلون افرأيت
ان متعناهم سنين اي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم ثم جاءهم ما كانوا
يوعدون يعني العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اي في تلك السنين
الكثيرة والمعنى وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن طول
التمتع عنهم شيئا ويكونون كانهم لم يكونوا في نعيم قط وما اهلكنا من قرية الا
لها منذرون اي رسل ينذرونهم ذكرى اي تذكرة وما كنا ظالمين في تعذيبهم
حيث قدمنا الحجة عليهم وما تنزلت به الشياطين يعني المشركين كانوا يقولون
ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم
ذلك وما ينبغي لهم اي ان ينزلوا بالقرآن وما يستطيعون اي ذلك
ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال انهم عن السمع لمعزولون اي محجوبون
بالرمي بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع فلا تدع مع الله الها آخر
فتكون من المعذبين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه معصوم
من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق علي ولو اتخذت
الها غيري لعذبتك قوله عز وجل وانذر عشيرتك الاقربين روى
محمد بن اسحاق بسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية

على

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتي
الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى اباديهم بهذا الامر اري
منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد ان لا تفعل ما تؤمر يعذبك
ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع
بني عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرني به ثم دعوتهم له وهم
يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصون فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة
والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فجئت به فلما تناول
رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي
الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجة وايم الله
ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك
العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما
اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال لشد ما سحركم صاحبكم
فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي فان
هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فعد لنا
من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام
فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة وقد
امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم يؤازرني على امري هذا ويكون اخي ووصيي وخليفتي
فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وانا احدثهم سنا فقلت انا يا نبي الله اكون
وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا
له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع
لعلي وتطيع ق عن ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي
صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش
حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب
وقريش فقال ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم
مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب
ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد تب وفي رواية للبخاري لما نزل
وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر
نحوه ق عن ابي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله وانذر
عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني
عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب

لا اغني عنك من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اغني
عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سليني ما
شئت من مالي لا اغني عنك من الله شيئا م عن قبيصة بن مخارق وزهير بن
عمرو قالا لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى رضمة جبل فعلا اعلاها حجرا ثم نادى يا بني عبد مناف اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم
كمثل رجل راى العدو فانطلق يربا اهله فخشي ان يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه
ومعنى الاية ان الانسان اذا بدا بنفسه اولا وبالاقرب فالاقرب من اهله ثانيا
لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله انفع وكلامه انجع **واخفض** اي الن
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من
المومنين قلت معناه لمن اتبعك من المومنين المصدقين بقلوبهم والسنتهم
دون المومنين بالسنتهم وهم المنافقون **فان عصوك** اي فيما تامرهم به **فقل
اني بريء مما تعملون** اي من الكفر والمخالفة **وتوكل على العزيز الرحيم**
التوكل عبارة عن تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وهو
الله تعالى العزيز الذي يقهر اعداءك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته
الذي يراك حين تقوم اي الى صلاتك وقيل يراك اينما كنت وقيل يراك
حين تقوم لدعائك **وتقلبك في الساجدين** قال ابن عباس اي ويرى تقلبك في
صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين في الجماعة
يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك في
المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى علي
خشوعكم ولا ركوعكم اني اراكم من وراء ظهري وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك
ومجيئك في اصحابك المومنين وقيل تصرفك في احوالك كما كانت الانبياء من قبلك
وقال ابن عباس اراد وتقلبك في اصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى اخرجك في
هذه الامة **انه هو السميع العليم** اي لقولك ودعائك بتقبلك في عملك
هل انبئكم اي اخبركم **على من تنزل الشياطين** هذا جواب لقولهم يتنزل
عليه شيطان ثم بين على من تتنزل الشياطين فقال تعالى **تنزل على كل افاك**
اي كذاب **اثيم** اي فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين تسترق السمع ثم
يلقوا ذلك الى اوليائهم من الانس وهو قوله يلقون السمع اي ما يسمعون من
الملايكة فيلقونه الى الكهنة **واكثرهم كاذبون** لانهم يخلطون به كذبا كثيرا
قوله عز وجل **والشعراء يتبعهم الغاوون** قال اهل التفسير اراد شعراء الكفار
الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعري
السهمي وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عمرو بن عبد الله
الجمحي وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول

مثل ما

مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع غواة قومهم يسمعون اشعارهم حين يهجون
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم
الغاوون هم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين
وقيل هم السفهاء الضالون وفي رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجيا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه
الاية **الم تر انهم في كل واد** من اودية الكلام **يهيمون** يعني حائرين عن طريق
الحق جائرين والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له قال ابن عباس في كل لغو
يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الشيء
ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق فالوادي مثل لفنون الكلام والغوص في
المعاني والقوافي **وانهم يقولون ما لا يفعلون** اي انهم يكذبون في شعرهم
وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل
ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شيء صدر منهم ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلئ
شعرا ثم استثنى شعر المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار ويهجون
وينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت
وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات**
روي ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد انزل في الشعر
ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المومن يجاهد بسيفه ولسانه
والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول خلوا بني الكفار
عن سبيله • اليوم نضربكم على تنزيله • ضربا يزيل الهام عن مقيله • ويذهل الخليل
عن خليله • فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
حرم الله تقول الشعر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر
فلهي فيهم اسرع من نضح النبل اخرجه الترمذي والنسائي قال الترمذي وقد
روي في غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء
وكعب بن مالك بين يديه وهذا اصح عند بعض اهل العلم بالحديث لان عبد الله بن
رواحة قتل يوم موتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان
عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم موتة كانت سنة ثمان والله اعلم ق عن البراء ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان
جبريل معك خ عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان
منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح
ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يويد حسان بروح القدس
ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم م عن عائشة ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل فارسل الى ابن رواحة
فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فارسل الى كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما
دخل عليه حسان قال قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم
اولع بلسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها وان لي فيهم
نسبا حتى يخلص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك
بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عايشة فسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان الله يؤيدك بروح القدس لا يزال يؤيدك
ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
هجاهم حسان فشفى واستشفى قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه

هجوت محمدا فاجبت عنه • وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا • رسول الله شيمته الوفاء
فان ابي ووالدتي وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي ان لم تروها • تثير النقع من طرفي كداء
يبارين الاعنة مصعدات • على اكتافها الاسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات • تلطمهن بالخمر النساء
فان اعرضتموا عنا اعتمرنا • وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لضراب يوم • يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد ارسلت عبدا • يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جندا • هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد • سباب او قتال او هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا • وروح القدس ليس له كفاء

فصل في مدح الشعر خ عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من الشعر حكمة عن ابن عباس قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما اخرجه ابو داود م عن عمرو
ابن الشريد عن ابيه قال ردفت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال
هل معك من شعر امية بن ابي الصلت شيء قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال
هيه ثم انشدته بيتا قال هيه حتى انشدته مائة بيت زاد في رواية لقد كاد يسلم
في شعره عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة
فكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشيا من امر الجاهلية وهو ساكت
فربما تبسم معهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عايشة الشعر
كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبي كان ابو بكر يقول

الشعر

الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر من الثلاثة وروي عن ابن عباس انه
كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده فروي انه دعا عمر بن ابي ربيعة المخزومي
فاستنشده القصيدة التي قال فيها فقال

امن آل نعم انت غاد فمبكر • غداة غد ام رائح فمهجر

فانشده القصيدة الى آخرها وهي قريب من سبعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد
القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة وقوله تعالى وذكروا الله كثيرا
اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى وانتصروا من بعد ما ظلموا اي
انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم اوعد الشعراء المشركين فقال وسيعلم
الذين ظلموا اي اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر
المطهر من الهجاء اي منقلب ينقلبون اي مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال
ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله تعالى اعلم

تفسير سورة النمل

وهي مكية وهي ثمانون وثلاثون وست آيات والف وسبع عشرة كلمة واربعة
آلاف وسبعماية وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل طس تلك آيات القرآن اي هذه آيات القرآن وكتاب
مبين اي وآيات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين اي هو هدى من
الضلالة وبشرى لهم بالجنة الذين يقيمون الصلاة اي الخمس بشرايطها
ويؤتون الزكاة اي اذا وجبت عليهم طيبة بها انفسهم وهم بالآخرة هم
يوقنون يعني ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم المؤمنون بالآخرة ان
الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم اي القبيحة حتى راوها حسنة
وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله في القلب العلم بما فيه من المنافع واللذات ولا
يخلق بما فيه من المضار والآفات فهم يعمهون اي يترددون فيها متحيرين
اولئك الذين لهم سوء العذاب اي اشده وهو القتل والاسر وهم في الآخرة
هم الاخسرون اي انهم خسروا انفسهم واهليهم وصاروا الى النار وانك لتلقى
القرآن اي تؤتاه وتلقنه وحيا من لدن حكيم عليم اي حكيم عليم بما انزل اليك
فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هي العلم بالامور العملية فقط
والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية اشرف
قوله عز وجل اذ قال اي اذكر يا محمد اذ قال موسى لاهله اي في مسيره من مدين
الى مصر اني آنست اي ابصرت نارا سآتيكم منها بخبر اي امكثوا مكانكم
سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل الطريق او آتيكم بشهاب قبس الشهاب
شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل القبس هو العود الذي في احد
طرفيه نار لعلكم تصطلون اي تستدفون من البرد وكان في شدة الشتاء

فلما جاءها نودي ان بورك من في النار اي بورك على من في النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من في طلب النار وهو موسى **ومن حولها** وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من عند الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن في النار هم الملائكة وذلك ان النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس قيل معناه انه بوركت النار والمعنى بورك من في النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروي عن ابن عباس في قوله بورك من في النار يعني قدس من في النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى واسمعه من جهتها كما روي انه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء واشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهي احدى حجب الله عز وجل كما صح في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه عن كل سوء وعيب فقال تعالى **وسبحان الله رب العالمين** ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال تعالى **يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم** قيل معناه ان موسى قال من المنادي قال انه انا الله وهذا تمهيد لما اراد الله ان يظهره على يده من المعجزات والمعنى انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله **والق عصاك** تقديره فالقاها فصارت حية **فلما رآها تهتز** اي تتحرك **كانها جان** وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها **ولى مدبرا** اي هرب من الخوف **ولم يعقب** اي لم يرجع ولم يلتفت قال الله عز وجل **يا موسى لا تخف انه لا يخاف لدي المرسلون** يريد اذا امنتهم لا يخافون اما الخوف الذي هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله **الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم** قيل هو ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل ان يكون المقصود منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطي وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى اني ظلمت نفسي ثم انه خاف من ذلك فتاب فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له قال ابن جريج قال الله لموسى اني اخفتك لقتلك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه اخافه حتى يتوب فعلى هذا التاويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة وفي الآية متروك استغنى عن ذكره بدلالة الكلام عليه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو الاستثناء من المتروك معناه لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهو الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا

بعد سوء فاني غفور رحيم اي اغفر له وازيل خوفه وقيل الا ههنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعني تاب من ظلمه فاني غفور رحيم ثم انه تعالى اراه آية اخرى فقال عز وجل **وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء** قيل كان عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبها واخرجها فاذا هي تبرق مثل شعاع الشمس والبرق **من غير سوء** اي غير برص **في تسع آيات** اي هذه آية مع تسع آيات انت مرسل بهن فعلى هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعنى من اي من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع **الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين** اي خارجين عن الطاعة **فلما جاءتهم آياتنا مبصرة** اي بينة واضحة يبتصر بها **قالوا هذا** اي الذي نراه **سحر مبين** اي ظاهر **وجحدوا بها** اي انكروا الآيات ولم يقروا انها من عند الله **واستيقنتها انفسهم** اي علموا انها من عند الله والمعنى انهم جحدوا بها بالسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم **ظلما وعلوا** اي شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى **فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** يعني الغرق قوله عز وجل **ولقد آتينا داود وسليمان علما** اي علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب **وقالا الحمد لله الذي فضلنا** اي بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس **على كثير من عباده المؤمنين** اراد ما لكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما او لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل انهما لم يفضلا انفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى **وورث سليمان داود** يعني نبوته وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطي سليمان ما اعطي داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله **وقال** يعني سليمان **يا ايها الناس علمنا منطق الطير** سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه روي عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال اتدرون

ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملاء سمايه وارضه وصاح قمري
فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي الدايم قال والغراب
يدعوا على العشار والحداة تقول كل شي هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت
سلم والببغا تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس
والباز يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن
مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه
يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر سليمان على بلبل فوق
شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا
الله ورسوله اعلم قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وروي ان
جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سايلوك عن سبعة اشيا فان اخبرتنا امنا
وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا قالوا اخبرنا ما تقول القنبرة في صفيرها
والديك في صعيقه والضفدع في نعيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله
وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم اما القنبرة فانه يقول اللهم العن مبغض
محمد وال محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين واما الضفدع فانه يقول
سبحان الله المعبود في البحار واما الحمار فيقول لعن الله العشار واما الفرس
فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملايكة والروح واما الزرزور
فانه يقول اللهم اني اسالك قوت يوم بيوم يا رزاق واما الدراج فانه يقول
الرحمن على العرش استوى فاسلم هولا اليهود وحسن اسلامهم وروي عن جعفر
الصادق عن ابيه عن جده الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال اذا صاح
النسر قال ابن ادم عش ما شيت اخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد عن
الناس انس واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغض محمد وال محمد واذا صاح الخطاف
قال الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القاري وقوله **واوتينا من كل شي**
اي مما اوتي الانبيا والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والاخرة وقيل النبوة
والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين **ان هذا لهو الفضل المبين**
اي الزيادة الظاهرة على ما اعطي غيرنا روي ان سليمان اعطي مشارق الارض ومغاربها
فملك ذلك اربعين سنة فملك جميع الدنيا من الانس والجن والشياطين والطير
والدواب والسباع واعطي مع هذا منطق الطير ومنطق كل شي وفي زمنه صنعت
الصنايع العجيبة قوله تعالى **وحشر** اي وجمع **لسليمان جنوده من الجن والانس
والطير** من الاماكن المختلفة في مسيرله **فهم يوزعون** اي يحبسون حتى يرد
اولهم على اخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقبا ترد نزدا اولاها الى اخراها
لئلا يتقدموا في المسير قال محمد بن كعب القرظي كان عسكر سليمان ماية فرسخ
خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون
للطير والفرسخ اثنا عشر الف خطوة فالبريد ثمانية واربعون الف خطوة ومواريع

فراسخ

فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت له الجن بساطا من ذهب
وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي من
ذهب وفضة فيقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة والناس
حوله والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى
لا تقع عليه شمس وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثماية صريحة
يعني حرة وسبعماية سرية فيامر الريح العاصف فترفعه ثم يامر الرخا فتسير
به واوحى الله عز وجل اليه وهو يسير بين السما والارض اني قد زدت في ملكك
انه لا يتكلم احد من الخلايق بشي الا جاءت الريح واخبرتك به قوله عز وجل **حتى اذا
اتوا على وادي النمل** اي اشرفوا على واد النمل روي عن كعب الاحبار قال كان سليمان
اذا ركب حمل اهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد
والقدور العظام يسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون
وهو بين السما والارض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوي به
فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال
سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في اخر الزمان طوبى لمن امن به وطوبى لمن اتبعه
ولما وصل مكة راى حول البيت اصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى
البيت فاوحى الله اليه ما يبكيك قال يا رب ابكاني هذا نبي من انبيايك ومعه
قوم من اوليايك مروا علي ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي
من دونك فاوحى الله اليه لا تبكي فاني سوف املاك وجوها سجدا وانزل فيك
قرانا جديدا وابعث منك نبيا في اخر الزمان احب انبياي الي واجعل فيك عمارا
من خلقي يعبدوني وافرض عليهم فريضة يزفون اليك زفيف النسور الى وكرها
ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان
والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير وادي من الطايف
فاتى على وادي النمل كذا قال كعب قيل انه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن
وذلك النمل مراكبهم وقيل تلك النمل امثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور
انه النمل الصغير **قالت نملة** قيل كانت عرجا وكانت ذات جناحين وقيل
اسمها طاهية وقيل جرمي **يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم** ولم تقل ادخلن
لانه جعل لهم عقولا كالادميين فخوطبوا خطاب الادميين وهذا ليس بمستبعد
ان يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك **لا يحطمنكم** اي لا يكسرنكم
سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قال اهل التفسير علم النمل ان سليمان
نبي ليس فيه جبروتيه ولا ظلم ومعنى الاية انكم لو لم تدخلوا وطيكم ولم يشعروا
بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة اميال وكان لا يتكلم احد منهم الا حملته الريح
حتى تلقيه الى مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل
بيوتهم فان قالت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهم فوق البساط

فجملة

على متن الريح قلت كانهم ارادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت النملة
لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم ما داموا في الريح تحملهم لا يخاف حطمهم **فتبسم**
ضاحكا من قولها قيل اكثر ضحك الانبيا تبسم وقيل معنى ضاحكا تبسما وقيل كان
اوله التبسم واخره الضحك **ق** عن عايشة رضي الله عنها قالت ما رايت النبي
صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم عن
عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرجه الترمذي فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيان
احدهما ما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها
وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لما يفعلوا الثاني سروره بما اتاه الله مما
لم يوت احدا من ادراكه سمعه ما قالته النملة وقيل ان الانسان ما راى
وسمع ما لا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما انعم عليه به
وقال رب اوزعني الهمني **ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي**
وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
اي ادخلني في جملتهم واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس
يريد مع ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل
ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين قوله عز وجل **وتفقد الطير** اي طلبها
وبحث عنها والمعنى انه طلب ما فقد من الطير **فقال ما لي لا ارى الهدهد**
وكان سبب تفقده الهدهد وسواله عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان
كان اذا نزل منزلا تظله جنده الطير من الشمس فاصابته الشمس من موضع
الهدهد فنظر فراه خاليا وروي عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان
يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه من
بعده فينقر الارض فتجي الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه
قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الازرق يا وصاف انظر
ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثوا عليه التراب فيجي الهدهد وهو لا يبصر
الفخ حتى يقع في عنقه قال له ابن عباس ويحك اذا جا القدر حال دون البصر
وفي رواية اذا نزل القضا والقدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا
واحتاج الى الما فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدل سليمان على الما
فقال ما لي لا ارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه ادركه
الشك فقال **ام كان من الغايبين** اي اكان وقيل بل كان من الغايبين ثم اوعده
على غيبته فقال **لاعذبنه عذابا شديدا** قيل هو ان ينتف ريشه وذنبه
ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من الشمس ولا من غيره وقيل لاودعنه القفص
ولاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه **او لاذبحنه او لياتيني**
بسلطان مبين اي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على

ما ذكره العلما ان سليمان لما فرغ من بنا بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم
فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم
الريح فلما وافى الحرم اقام ما شا الله ان يقيم وكان ينحر في كل يوم طول مقامه
خمسة الاف ناقة ويذبح خمسة الاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن يحضر
من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصرة
على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق
سوا لا تاخذه في الله لومة لايم قالوا فباي دين يدين يا نبي الله قال يدين
الحنيفية فطوبى لمن ادركه وامن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال
مقدار الف سنة فليبلغ الشاهد الغايب فانه سيد الانبيا وخاتم الرسل
قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمين
فوافا صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسنا
تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد قد
اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السما لينظر الى طول الدنيا وعرضها فبينما
ينظر يمينا وشمالا اذ راى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد اخر وكان
اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير ليعفور
من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال
ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش
والرياح فمن اين انت يا يعفير قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال
امراة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه
فانها تملك اليمن وتحت يدها اربعماية ملك كل ملك على كورة مع كل ملك اربعة
الاف مقاتل ولها ثلاثماية وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر الف قايد مع
كل قايد اثنا عشر الف مقاتل فهل انت منطلق معي حتى تنظر ملكها قال اخاف
ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الما قال الهدهد اليماني
ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس
وملكها واما سليمان فانه نزل على غير ما فسيل عن الما الانس والجن فلم يعلموا
فتفقد الهدهد فلم يره فدعى عريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد
فقال اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته الى مكان فغضب سليمان
وقال لاعذبنه الاية ثم دعى العقاب وهو اشد الطير فقال له علي بالهدهد
هذه الساعة فرفع العقاب في الهوى حتى راى الدنيا كالقصعة بين يدي
احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فاذا راى الهدهد مقبلا من نحو اليمين فانقض
العقاب يريده فعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله
الذي قواك واقدرك علي الا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب
وقال ويحك ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ان يعذبك او ان يذبحك ثم طارا

سنوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا ويلك
اين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله واخبروه بما قال سليمان فقال
الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال او لياتيني بسلطان مبين
قال نجوت اذا فانطلق به العقاب حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه
فقال العقاب قد اتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع راسه وارخى
ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنى منه اخذ براسه
فمده وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك
بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفى عنه ثم قال ما الذي ابطا بك عني
فقال الهدهد ما اخبر الله عنه قوله تعالى **فمكث غير بعيد** معناه لبث غير
طويل **فقال احطت بما لم تحط به** اي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ
انت ولا جنودك الهم الله الهدهد مثل الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان ادنى
خلق الله قد احاط علما بما لم يحط به ليكون لطفا له في ترك الاعجاب والاحاطة
بالشي علما ان يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم **وجئتك من سبا**
قيل هو اسم للبلد وهي مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبا بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان وقد جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سال عن سبا فقال رجل
له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشام اربعة **بنبا** اي بخبر **يقين**
فقال سليمان وما ذاك فقال **اني** اي الهدهد **وجدت امراة تملكهم** هي
بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان
قد ولد له اربعون ملكا هو اخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول للملوك
الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج فيهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم
امراة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله الى الجن حتى خطب
منهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظبا فيخلي عنهم
فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها
وقيل انه خرج متصيدا فراى حيتين يقتتلان بيضا وسودا وقد ظهرت السودا
على البيضا فقتل السودا وحمل البيضا وصب عليها الما فافاقت واطلقها فلما
رجع الى داره جلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه فقال لا تخف
انا الحية البيضا الذي احييتني والاسود الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا
وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كانت لك
بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس وجا في الحديث ان احدى ابوي
بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك وطلبت قومها ان يبايعوها
فاطاعها قوم وابى اخرون وملكوا عليهم رجلا اخر يقال انه ابن اخي الملك
وكان خبيثا سيئ السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته ويفجر
بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رات بلقيس ذلك ادركتها الغيرة

فارسلت

فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال لها ما منعني ان ابتديك بالخطبة
الا الياس منك فقالت لا ارغب عنك لانك كفو كريم فاجمع رجال اهلي واخطبني
منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال لي انها قد رغبت في فذكروا
ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في ملا كثير من خدمها وحشمها
فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته واحتزت راسه وانصرفت الى منزلها
من الليل فلما اصبحت ارسلت الى وزرايه واحضرتهم وقرعتهم وقالت اما كان
فيكم من ياتف كريمته او كرايم عشيرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا
رجلا تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح كان
مكرا وخديعة منها خ عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امراة
قوله تعالى **واوتيت من كل شي** يعني ما تحتاج اليه الملوك من المال والعدة
ولها عرش عظيم اي سرير ضخم عال فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها
على ما راى من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها
ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله كما يتفق ان يكون لبعض الامرا
شي لا يكون للملك مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر والياقوت
الاحمر والزبرجد الاخضر وقوايمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة
ابيات وعلى كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا
في ثلاثين ذراعا وطوله في السما ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين في
ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه اربعين وارتفاعه
ثلاثون ذراعا قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد **وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله** وذلك انهم كانوا يعبدون الشمس وهم
مجوس **وزين لهم الشيطان اعمالهم** المزين هو الله لانه الفعال لما يريد
وانما ذكر الشيطان لانه سببا لاغوا **فصدهم عن السبيل** اي عن طريق
الحق الذي هو دين الاسلام **فهم لا يهتدون** الى الصواب **الا يسجدوا**
قري بالتخفيف معناه الا يا ايها الناس اسجدوا وهو امر من الله مستانف
وقري بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان اعمالهم لئلا يسجدوا **لله
الذي يخرج الخبء** يعني الخفي المخبي **في السموات والارض** قيل خبا السموات
المطر وخبا الارض النبات **ويعلم ما يخفون وما يعلنون** والمقصود من هذا
الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة
الا من هو قادر على من في السموات والارض عالم بجميع المعلومات **الله لا اله
الا هو رب العرش العظيم** اي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره فصل
وهذه السجدة من عزايم السجود ويستحب للقاري والمستمع ان يسجد عند قراتها
فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظيم فما الفرق بينهما

قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى امثالها من ملوك الدنيا
واما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل
الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه قال سليمان سننظر اصدقت
اي فيما اخبرت ام كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الما فاحتفروا
الركايا وروي الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان
ابن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على
من اتبع الهدى اما بعد ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين قيل لم يزد سليمان على ما
نص الله في كتابه وكذلك الانبيا كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون
فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد
اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا
لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا
دينهم ثم تول عنهم اي تنح عنهم فكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون
اي يردون من الجواب وقيل تقدير الاية فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم
تول عنهم اي انصرف الي فاخذ الهدهد الكتاب واتى به الى ارض بلقيس وكان
بارض مارب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعا فوجدها نايمة مستلقية على
قفاها فقد اغلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها وكذلك كانت تفعل
اذا رقدت فاتى الهدهد والقى الكتاب على نحوها وقيل حمل الهدهد الكتاب
بمنقاره حتى وقف على المراة وحولها القادة والوزرا والجنود فرفرف ساعة
والناس ينظرون فرفعت بلقيس راسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب
ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت
اليها سجدت لها فجا الهدهد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم
فلما استبطات الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس
الكتاب وكانت قارية فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان
كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل الكتاب اعظم ملكا منها فقرات الكتاب
وتاخر الهدهد غير بعيد وجات هي حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملا
من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس ماية قيل مع كل قيل
ماية الف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان اهل مشورتها ثلاثماية
وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة الاف فلما جاوا واخذوا مجالسهم
قالت لهم بلقيس يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم قيل سمته كريما
لانه كان مختوما وروي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب
ختمه قال ابن عباس كريم اي شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب
فقالت انه من سليمان فقرات المكتوب فيه فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم
فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله الرحمن الرحيم قلت ليس هو كذلك

بل ابتدا سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب
من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم
الا تعلوا علي قال ابن عباس لا تتكبروا علي والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة
فان ترك الاجابة من العلو والتكبر واتوني مسلمين اي طايعين مومنين
وقيل من الاستسلام وهو الانقياد قالت يا ايها الملا افتوني في امري
اي اشيروا علي فيما عرض لي ما كنت قاطعة امرا اي قاضية وفاصلة
حتى تشهدون اي تحضرون قالوا يعني الملا مجيبين لها نحن اولوا قوة
اي في الجسم على القتال واولوا باس شديد اي عند الحرب وقيل
اراد بالقوة كثرة العدد والباس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال
ان امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك ايتها الملكة اي في القتال وتركه
فانظري ماذا تامرين اي تجدينا مطيعين لامرك قالت بلقيس مجيبة
لهم عن التعريض للقتال وما يوول اليه امرهم ان الملوك اذا دخلوا قرية
اي عنوة افسدوها اي خربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اي اهانوا
اشرافها وكبراها كي يستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم
ودخوله بلادهم ثم تناها الخبر عنها وصدق الله قولها فقال تعالى وكذلك
يفعلون اي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قولها وهو لها تاكيد لما قالت
ثم قالت واني مرسلة اليهم بهدية اي الى سليمان وقومه اصانعه بها على ملكي
واختبره بها املك هو ام نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم
يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه في دينه وهو قولها فناظرة بم
يرجع المرسلون وذلك ان بلقيس كانت امراة لبيبة عاقلة قد ساست
الامور وجربتها فاهدت وصفا ووصايف قال ابن عباس ماية وصيف وماية
وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسماية غلام وخمسماية جارية
فالبست الجواري لبس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لبس الجواري
وجعلت في ايديهم اساور الذهب وفي اعناقهم اطواق الذهب وفي اذانهم اقرطة
وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمسماية رمكة والغلمان
على خمسماية برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر واقبية الديباج
وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
وارسلت بالمسك والعنبر والعود الالنجوج وعمدت الى حقة جعلت فيها درة
يتيمة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من
اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب عقل
وراي وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين
الوصفا والوصايف واخبرنا بما في الحق قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا
وادخل في الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس الغلمان فقالت

اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تانيث وتخنيث يشبه كلام النسا وامرت الجواري
ان يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل
اذا دخلت فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك ولا يهولنك امره ومنظره
فانا اعز منه وان رايت الرجل بشاشا لطيفا فافهم انه نبي فتفهم قوله ورد الجواب
فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر
سليمان الجان ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم بعمل ميدان
مقدار تسع فراسخ وان يفرشوا فيه لبن الذهب والفضة وان يخلوا مقدار
تلك اللبنات التي معهم وان يعملوا حايطا مشرفا من الذهب والفضة ففعلوا
ثم قال اي دواب البر والبحر احسن فقالوا يا نبي الله ما راينا احسن من دواب
البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواصي قال علي
بها الساعة فاتوه بها قال شدوها بين يدي الميدان وشماله ثم قال للجن
علي باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم على يمين الميدان وشماله ثم قعد
سليمان في مجلسه على سريره ووضع له اربعة آلاف كرسي على يمينه وعلى شماله
ثم قعد سليمان على سريره وامر الانس والجن والشياطين والوحوش والطير
والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنى القوم الى الميدان ونظروا
الى ملك سليمان راوا الدواب التي لا يرى مثلها تروث في لبنات الذهب
والفضة فلما راوا ذلك تقاصرت انفسهم وخبوا ما معهم من الهدايا وقيل
ان سليمان فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعا
على قدر ما معهم من اللبن في ذلك الموضع فلما راى الرسل موضع اللبن خاليا
خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ولما راوا الشياطين
هالهم ما راوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا باس عليكم وكانوا يمرون
على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فاقبل
عليهم بوجه طلق وتلقاهم ملقا حسنا وسالهم عن حالهم فاخبره رئيس
القوم بما جاوا فيه واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحق فاوتي به
فحركها فجاءه جبريل فاخبره بما فيها فقال لهم ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة
معوجة الثقب قال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة
فقال سليمان من لي بثقبها وسال الجن والانس فلم يكن عندهم علم ثم سال
الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاءت الارضة اخذت شعرة في فيها
ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت
تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة
بيضا انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب
حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقي
في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري بان امرهم ان يغسلوا

وجوههم فجعلت الجارية تاخذ الما بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها
والغلام ياخذ الما بيده ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الما على
باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان
الهدية كما اخبر الله تعالى فقال **فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما**
آتاني الله اي ما اعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك **خير** اي افضل
مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون معناه انتم اهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا
تفرحون باهدا بعضكم الى بعض واما انا فلا افرح بالدنيا وليست الدنيا من
حاجتي لان الله قد اعطاني منها ما لم يعط احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة
ثم قال للمنذر بن عمرو اميرا لوفد **ارجع اليهم** اي بالهدية **فلناتينهم**
بجنود لا قبل لهم اي لا طاقة لهم **بها ولنخرجنهم منها** اي من ارض سبا
اذلة وهم صاغرون اي ان لم ياتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتاب
لما رجعت رسل بلقيس اليها اي من عند سليمان وبلغوها ما قال سليمان قالت
والله لقد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني
قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما الذي تدعوا اليه من دينك
ثم امرت بعرشها فجعلته في اخر سبعة ابيات بعضها داخل بعض ثم اغلقت عليه
سبعة ابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها
احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص اليه احد ثم امرت مناديا ينادي في اهل
مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان في اثني عشر الف قيل من ملوك
اليمن كل قيل تحت يده الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا
لا يبتدي بشيء حتى يكون هو يسال عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع
هرجا قريبا منه فقال ما هذا فقالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان فكان
على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده وقال **قال يا ايها**
الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال ابن عباس يعني طايعين وقيل
مومنين وقيل غرض سليمان في احضار عرشها ليريها قدرة الله تعالى واظهار
معجزة دالة على نبوته وقيل اراد ان ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك
عقلها وقيل ان سليمان علم انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان ياخذ
سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه لانه اعجبه وصفه لما وصفه له الهدهد
وقيل اراد ان يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر المملكة **قال عفريت**
من الجن وهو المارد القوي قال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه
كوذي وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى
طرفه **انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك** اي مجلس قضائك قال ابن
عباس وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه الى متسع النهار وقيل نصفه **واني**
عليه اي على حمله **لقوي امين** اي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان

اريد اسرع من ذلك **قال الذي عنده علم من الكتاب** قيل هو جبريل
وقيل هو ملك ايد الله به سليمان وقيل هو اصف بن برخيا وكان صديقا
يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وقيل هو سليمان
نفسه لانه اعلم بني اسرائيل بالكتاب وكان الله قد اتاه علما وفهما فعلى هذا يكون
المخاطب العفريت الذي كلمه فاراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم اولا ثم
بين للعفريت انه تاتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتاتى للعفريت
قيل كان الدعا الذي دعا به يا ذا الجلال والاكرام وقيل يا حي يا قيوم
وروي ذلك عن عايشة وروى عن الزهري قال دعا الذي عنده علم من الكتاب
يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها قال ابن عباس ان
اصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه
ونظر نحو اليمن ودعا اصف فبعث الله الملايكة فحملوا السرير يجرون به تحت
الارض حتى نبع من بين يدي سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله
الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال الله ما
قال **انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك** قال سليمان هات قال
انت النبي بن النبي وليس احد عند الله اوجه منك فان دعوت الله كان عندك
قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت **فلما راه** يعني راى سليمان
العرش **مستقرا عنده** اي محمولا اليه من مارب الى الشام في قدر ارتداد
الطرف **قال هذا من فضل ربي ليبلوني** يعني التمكن من حصول المراد
ااشكر اي نعمه علي **ام اكفر** فلا اشكرها **ومن شكر فانما يشكر لنفسه**
اي يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر
قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة **ومن كفر فان ربي غني كريم**
اي بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة
قال نكروا لها عرشها يعني غيروا سريرها الى حال تنكره اذا راته قيل
هو ان يزاد فيه او ان ينقص منه وقيل ان يجعل اسفله اعلاه ويجعل مكان الجوهر
الاحمر الاخضر ومكان الاخضر الاحمر **ننظر اتهتدي** الى معرفة عرشها **ام تكون**
من الذين لا يهتدون الى معرفته وانما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب
ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه اسرار
الجن لان امها كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته
من بعده فاساؤوا الثنا عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها
كحافر الحمار وانها شعرا الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها
وينظر الى قدميها ببنا الصرح **فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه**
هو قيل انها عرفت ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة
لم تقل نعم ولا قالت لا خوفا من التكذيب ايضا فقالت كانه هو فعرف سليمان

كمال

كمال عقلها بحيث لم تقل ولم تنكر وقيل اشتبه عليها امر العرش لانها تركته في
بيت عليه سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما
اغنى عنك اغلاق الابواب ثم قال **واوتينا العلم من قبلها** اي من قبل الاية
في الدين **وكنا مسلمين** اي منقادين مطاعين خاضعين لامر سليمان
وقيل قوله واوتينا العلم اي بالله وبصحة نبوة سليمان بالايات المتقدمة
من امر الهدهد والرسل من قبلها اي من قبل الاية في العرش وكنا مسلمين
ومعناه واوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشا من قبل هذه المراة وكنا
مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه ان خصه بمزيد العلم والتقدم
في الاسلام وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طايعة من قبل مجيئها
طايعين وكنا مسلمين لله قوله تعالى **وصدها ما كانت تعبد من دون الله**
اي منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان
عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه **انها كانت من قوم كافرين**
اخبر الله انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشات بينهم ولم تعرف الا
عبادة الشمس **قيل لها ادخلي الصرح** وذلك ان سليمان لما اختبر عقلها بتنكير
العرش واراد ان ينظر الى قدميها وساقيها من غير ان يسالها كشفهما لما اخبرته
الجن ان رجليها كحافر حمار وهي شعرا الساقين فامر الشياطين ليعملوا لها قصرا
من الزجاج الابيض كالما وقيل الصرح صحن الدار واجرى تحته الما والقى فيه
السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس
عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفا والوصايف فلما
جلس على السرير دعا بلقيس قيل لها ادخلي الصرح **فلما راته حسبته لجة**
اي ما عظيما **وكشفت عن ساقيها** لتخوض الما الى سليمان فاذا هي احسن الناس
ساقا وقدما الا انها كانت شعرا الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره
عنها **قال انه صرح ممرد** اي مملس **من قوارير** زجاج وليس بما تخيلته قد
سترت ساقيها وعجبت وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك
على التوحيد والنبوة **قالت رب اني ظلمت نفسي** بعبادة غيرك **واسلمت**
مع سليمان لله رب العالمين اي اخلصت له التوحيد والعبادة وقيل
انها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد ان يغرقني
وكان القتل اهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي
بذلك الظن واختلفوا في امر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى امرها الى قولها
اسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ولا في
خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما راى من كثرة شعر ساقيها
فسال الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المراة اني لم يمسني حديد
قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسال الجن فقالوا لا ندري

فسبيل الشياطين فقالوا انا لنخشى ان يكون كافيها لبيضا فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يوميذ فلما تزوجها سليمان احبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام يبتكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له فيها ولدا ذكرا قال وهب زعموا ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله قالت فان كان ولا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال باعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك ذي تبع وملك بلقيس وبقي الملك لله الواحد القهار وقيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله اي وحدوه لا تشركوا به شيا فاذا هم فريقان اي مومن وكافر يختصمون اي في الدين كل فريق يقول الحق معنا قال يعني صالحا للفريق المكذب يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالبلا والعقوبة قبل الحسنة اي العافية والرحمة لولا اي هلا تستغفرون الله اي بالتوبة اليه من كفركم لعلكم ترحمون اي لا تعذبوا في الدنيا قالوا اطيرنا اي تشاءمنا بك وبمن معك قيل قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامساك القطر عنهم قالوا انما اصابنا هذا الضر والشدة من شومك وشوم اصحابك قال طايركم عند الله اي ما يصيبكم من الخير والشر بامر الله مكتوب عليكم سمي طايرا لانه لا شي اسرع من نزول القضا المحتوم وقال ابن عباس الشوم الذي اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طايركم اي عملكم عند الله سمي طايرا لسرعة صعوده الى السما بل انتم قوم تفتنون قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون قوله تعالى وكان في المدينة يعني مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط يعني من ابنا اشرافهم يفسدون في الارض اي بالمعاصي ولا يصلحون اي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف قالوا تقاسموا بالله يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله ايها القوم لنبيتنه اي لنقتلنه بيلا واهله يعني قومه الذين امنوا معه ثم

لتقولن

لتقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا اي ما حضرنا مهلك اهله اي ما من قتله ولا اهلاك اهله وانا لصادقون اي في قولنا ما شهدنا ذلك ومكروا مكرا اي غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح وناقته ومكرنا مكرا اي جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم اي اهلكناهم اي التسعة قال ابن عباس ارسل الله الملايكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتت التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملايكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملايكة فقتلتهم واهلك الله جميع القوم بالصيحة وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اي بظلمهم وكفرهم ان في ذلك لاية اي لعبرة لقوم يعلمون اي قدرتنا وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون يقال ان الناجين كانوا اربعة الاف قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة وانتم تبصرون اي تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم اينكم لتاتون الرجال شهوة من دون النسا بل انتم قوم تجهلون فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلية وتعلمون انها فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل اراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يعني من ادبار الرجال فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين اي قضينا عليها بان جعلناها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا اي الحجارة فسا اي فبيس مطر المنذرين قوله عز وجل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الانبيا والمرسلين وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المومنين من السابقين واللاحقين الله خير اما يشركون فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى الله خير لمن عبده ام الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وامن به من الهلاك والاصنام لم تغن شيا عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر انواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته فالنوع الاول قوله تعالى امن خلق السموات والارض ذكر اعظم الاشيا المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى الاصنام خير ام الذي خلق السموات والارض ثم ذكر نعمه فقال وانزل لكم من السما ما يعني المطر فانبتنا به حدايق اي بساتين جمع حديقة ذات بهجة اي ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من كان يراه ما كان لكم

ان تنبتوا شجرها يعني ما ينبغي لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان
قد يقول انا المنبت للشجرة بان اغرسها واسقيها الما فازال الله هذه الشبهة
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها لان انبات الحدايق المختلفة الاصناف والطعوم
والروايح المختلفة والزرع تسقى بما واحد لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا
يتاتى لاحد وان تاتى ذلك لغيره فمحال ءاله مع الله يعني هل معه معبود
اعانه على صنعه بل يعني ليس معه اله ولا له شريك هم قوم يعني كفار
مكة يعدلون يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل
النوع الثاني قوله عز وجل امن جعل الارض قرارا اي دحاها وسواها
للاستقرار عليها وقيل لا يمتد باهلها وجعل خلالها انهارا اي وسطها
بانهار تطرد بالمياه وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت وجعل بين البحرين
يعني العذب والملح حاجزا اي مانعا لا يختلط احدهما بالاخر ءاله مع الله
بل اكثرهم لا يعلمون اي توحيد ربهم وقدرته وسلطانه النوع الثالث
قوله تعالى امن يجيب المضطر اي المكروب المجهود وقيل المضطر ذو الحاجة
المحوجة من مرض او نازلة من نوازل الدهر اذا نزلت باحد بادر الى الالتجا
والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر اذا دعاه يعني
فيكشف ضره ويكشف السوء اي الضر لانه لا يقدر على تغيير حال من
فقر الى غنى ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذي لا يعجز
والقاهر الذي لا يغلب ولا ينازع ويجعلكم خلفاء الارض اي سكانها
وذلك انهم ورثهم سكنها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل اولادكم
خلفا لكم وقيل جعلكم خلفا الجن في الارض ءاله مع الله قليلا ما يذكرون
اي يتعظون النوع الرابع قوله عز وجل امن يهديكم في ظلمات البر والبحر
اي يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر
ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر ءاله مع
الله تعالى الله عما يشركون النوع الخامس قوله تعالى امن
يبدؤا الخلق اي نطفا في الارحام ثم يعيده بعد الموت ومن يرزقكم
من السما والارض اي من السما بالمطر ومن الارض بالنبات ءاله مع الله
قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على قولكم ان مع الله الها اخر ان كنتم صادقين
قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله نزلت
في المشركين حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى
ان الله هو الذي يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة وما يشعرون
ايان يبعثون يعني ان من في السموات وهم الملايكة ومن في الارض وهم بنوا
ادم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك بل ادارك علمهم اي بلغ
ولحق علمهم في الاخرة ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الاخرة

حين عاينوها

حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى بل هم في شك منها
اي هم اليوم في شك من الساعة بل هم منها عمون جمع عم وهو اعمى القلب وقيل معنى
الاية ان الله اخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة تستوي علمهم في الاخرة وما وعدوا
فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا فقوله تعالى وقال الذين
كفروا اي مشركوا مكة ءاذا كنا ترابا واباؤنا اينا لمخرجون اي من قبورنا احيا
لقد وعدنا معناه اي هذا البعث هذا نحن واباؤنا من قبل اي من قبل
محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشيء ان هذا ما هذا الا اساطير الاولين
اي احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم اي بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك ولا تكن
في ضيق مما يمكرون نزلت في المستهزئين الذين قعدوا على عقاب مكة
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف
لكم اي دنى وقرب وقيل معناه ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي من العذاب
فحل بهم ذلك يوم بدر قوله عز وجل ان ربك لذو فضل على الناس يعني على اهل
مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون اي ذلك وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم اي تخفي وما يعلنون معناه اي من عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما من غايبة اي جملة غايبة من مكتوم سر وخفي امر
وشي غايب في السما والارض الا في كتاب مبين يعني في اللوح المحفوظ ان هذا
القران يقص على بني اسرايل اي يبين لهم اكثر الذي هم فيه يختلفون اي من امر
الدين وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا احزابا يطعن بعضهم
على بعض فنزل القران ببيان ما اختلفوا فيه وانه يعني القران لهدى
ورحمة للمومنين ان ربك يقضي بينهم اي يفصل ويحكم بينهم بحكمه وهو العزيز
ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة اي الحق المنتقم الذي لا يراد له امر
العليم باحوالهم فلا يخفى عليه شي منها فتوكل على الله اي فثق انك
على الحق المبين اي البين انك لا تسمع الموتى يعني موتى القلوب وهم
الكفار ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين اي معرضين فان قلت
ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سوا اقبل او ادبر قلت هو تاكيد
ومبالغة للاصم وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا فقد يسمع برفع الصوت
او يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الاية انه لفرط اعراضهم
عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى سماعه وكالاصم الذي لا يسمع ولا
يفهم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم معناه ما انت بمرشد من اعماه الله
عن الهدى واعمى قلبه عن الايمان ان تسمع الا من يومن باياتنا
اي الا من يصدق بالقران انه من الله فهم مسلمون اي مخلصون قوله
تعالى واذا وقع القول عليهم يعني اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله

عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل
اذا لم يرج صلاحهم وذلك في اخر الزمان قبل قيام الساعة **اخرجنا لهم دابة من**
الارض عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست
طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة
ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى
وايتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصى موسى فتجلوا وجه المومن
وتخطم وجه الكافر بالخاتم حتى ان اهل الحق ليجتمعون فيقول هذا يا مومن ويقول
هذا يا كافر اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن وروى البغوي باسناده
عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر
فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشوا ذكرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية
يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشوا
ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوما في اعظم
المساجد على الله حرمة واكرمها على الله يعني مكة المسجد الحرام لم يرعهم الا
وهي في ناحية المسجد تدنوا وتدنوا كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود الى باب
بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وتثبت لها عصابة
عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب فمرت بهم فجلت وجوههم
حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض فلا يدركها طالب ولا يعجزها
هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان
الان تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه قبيحا وراى الناس في ادبارهم
ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المومن فيقال
للمومن يا مومن وللكافر يا كافر وباسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من اين تخرج قال من
اعظم المساجد حرمة على الله فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون
اذ تضطرب الارض وتنشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا اول ما
يخرج منها راسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها الطالب ولن يفوتها هارب
تسم الناس مومنا وكافرا فاما المومن فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب
بين عينيه مومن فتنكت بين عينيه نكتة سودا وتكتب بين عينيه كافر
وروي عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع
قرع عصاي وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بيس الشعب شعب اجياد مرتين
او ثلاث قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات

يسمعها

يسمعها من بين الخافقين وروي عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس
ثور وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد
ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوايمها قوايم بعير بين كل
مفصلين اثنى عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب
فيمس راسها السحاب ورجلاها في الارض وروي عن علي قال ليس بدابة ليس لها
ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير فتخبر
من راها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون **تكلمهم** بكلام فصيح قيل
تقول هذا مومن وهذا كافر وقيل تقول لهم ما اخبر الله تعالى **ان الناس كانوا**
باياتنا لا يوقنون تخبر الناس عن اهل مكة انهم لم يومنوا بالقران والبعث
وقرئ تكلمهم بتخفيف الكلم من الكلم وهو الجرح وقال ابو الجوزاء سئل ابن عباس
عن هذه الاية تكلمهم او تكلمهم وقال كل ذلك تفعل تكلم المومن وتكلم الكافر
قوله تعالى **ويوم نحشر من كل امة فوجا** اي نحشر من كل قرن جماعة **ممن**
يكذب باياتنا فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا ثم
يساقوا الى النار **حتى اذا جاءوا** يعني يوم القيامة **قال** الله تعالى لهم
اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اي ولم تعرفوها حق معرفتها **اما**
ذا كنتم تعملون اي حين لم تتفكروا فيها وقيل معناه لانه اكذبتم باياتي
غير عالمين بها ولم تتفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين **ووقع القول**
اي وجب العذاب **عليهم بما ظلموا** اي بما اشركوا **فهم لا ينطقون** اي بحجة
وقيل ان افواههم مختومة **الم يروا انا جعلنا** اي انا خلقنا **الليل**
ليسكنوا فيه والنهار مبصرا اي مضيئا يبصر فيه وفي الاية دليل على البعث
بعد الموت لان القادر على تقليب الضيا ظلمة والظلمة ضيا قادر على الاعادة
بعد الموت **ان في ذلك لايات لقوم يومنون** اي يصدقون فيعتبرون
قوله تعالى **ويوم ينفخ في الصور** هو قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال الحسن
الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجتمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب
في الاجساد فتحيى بها الاجساد **ففزع** اي فصعق **من في السموات**
ومن في الارض اي ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل
ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام
لرب العالمين **الا من شاء الله** وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل عن قوله الا من شاء الله قال هم الشهدا متقلدون اسيافهم حول
العرش وقال ابن عباس هم الشهدا لانهم احيا عند ربهم لا يصل اليهم الفزع
وقيل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هولا
الاربعة وروي ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فياخذ
نفسه ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت

يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدايم بقي جبريل وميكايل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكايل فيقع كالطود العظيم فيقول لمن بقي من خلقي فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بقي وجهك الدايم الباقي وجبريل الميت الفاني فيقول الله يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه ويروى ان فضل خلقه على ميكايل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب ويروي انه يبقى مع هولاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكايل ثم اسرافيل ثم ارواح حملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق احد الا الله تبارك وتعالى طوى السما كطي السجل للكتاب ثم يقول الله انا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من رفع راسه فاذا موسى اخذ بقايمة من قوايم العرش فلا ادري اكان ممن استثنى الله عز وجل ام رفع راسه قبل ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية وقوله تعالى وكل الذين احيوا بعد الموت اتوه اي جاوه داخرين اي صاغرين قوله قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة اي قايمة واقفة وهي تمر مر السحاب اي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوي بها وذلك ان كل شي عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه ولبعد ما بين اطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو ساير كذلك سير السحاب يوم القيامة لا ترى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه صنع الله الذي اتقن كل شي يعني انه تعالى لما قدم هذه الاشيا كلها التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشيا التي اتقنها واحكمها واتى بها على وجه الحكمة والصواب انه خبير بما يفعلون قوله تعالى من جا بالحسنة اي بكلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله عز وجل فله خير منها قال ابن عباس فمنها يصل الى الخير بمعنى ان له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب اما ان يكون له شي خير من الايمان فلا لانه لا شي خير من لا اله الا الله وقيل هو جزاء الاعمال والطاعات الثواب والجنة وجزا الايمان الاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضعاف اعطاه الله بالواحدة عشر اضعافها لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضل الرب تبارك وتعالى وهم من فزع يومئذ امنون فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السموات ومن في الارض قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو عنه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجا من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن من وصول ذلك الضرر اليه واما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم امنون

منه

منه واما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه احد ومن جا بالسيئة يعني بالشرك فكبت وجوههم في النار عبر بالوجه عن جميع البدن كانه قال كبوا وطرحوا جميعهم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون اي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك قوله عز وجل انما امرت يعني يقول الله تعالى لرسوله قل انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة يعني امرت ان اخص بعبادتي وتوحيدي الله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وانما خصها من بين ساير البلاد بالذكر لانها مضافة اليه واحب البلاد واكرمها عليه واشار اليها اشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه الذي حرمها اي جعلها حرما امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر هو الذي حرمها لان العرب كانت معترفين بفضيلة مكة وان تحريمها من الله لا من الاصنام وله كل شي اي خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين لله المطيعين له وان اتلو القران اي امرت ان اتلو القران ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما امر به اتم قيام وعلى ما امر به فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي نفع اهتدايه يرجع اليه ومن ضل اي عن الايمان واخطا طريق الهدى فقل انما انا من المنذرين اي من المخوفين وما علي الا البلاغ نسختها اية القتال وقل الحمد لله اي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار سيريكم اياته اي اياته الباهرة ودلايله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما اراهم من القتل والسبي وضرب الملايكة وجوههم وادبارهم وقيل اياته في السموات والارض وفي انفسكم فتعرفونها اي فتعرفون الايات والدلالات وما ربك بغافل عما تعملون فيه وعيد بالجزا على اعمالهم والله اعلم بمراده

تفسير سورة القصص

مكية الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها اية بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون اية واربعماية واحدى واربعون كلمة وخمسة الاف وثمانية حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طسم تلك ايات اشارة الى ايات السورة الكتاب المبين قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه يبين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام نتلوا عليك من نبا اي خبر موسى وفرعون بالحق اي بالصدق لقوم يومنون اي يصدقون بالقران ان فرعون علا اي تكبر وتجبر في الارض اي ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا في انواع الخدم يستضعف طايفة منهم

يعني بني اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم سمي هذا استضعافا لانهم عجزوا
وضعفوا عن دفعه عن انفسهم انه كان من المفسدين اي بالقتل والتجبر في
الارض ونريد ان نمن اي ننعم على الذين استضعفوا في الارض يعني بني اسرائيل
ونجعلهم ائمة اي قادة في الخير يقتدى بهم وقيل ولاة ملوكا ونجعلهم الوارثين
اي املاك فرعون وقومه بان نجعلهم في مساكنهم ونمكن لهم في الارض اي
نوطن لهم ارض مصر والشام ونجعلها لهم سكنا ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون اي يخافون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم
على يد رجل من بني اسرائيل وكانوا على حذر منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون
واوحينا الى ام موسى هو وحي الهام وذلك بان قذف في قلبها واسمها
يوخانذ من نسل لاوي بن يعقوب ان ارضعيه قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل
ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها فاذا خفت عليه اي
الذبح فالقيه في اليم اي في البحر واراد به نيل مصر ولا تخافي اي عليه من الغرق
وقيل الضيعة ولا تحزني اي على فراقه انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي
ولم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر سلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم
الى ان نجاهم على يد نبيه موسى عليه السلام ذكر القصة
في ذلك قال ابن عباس ان ام موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل
التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق
ارسلت اليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي اليوم فعالجت
قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل
فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتني الا ومن
الذي قتل ولدك ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي
ابنك فاني اراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون
فجاؤوا الى بابها ليدخلوا الى ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب
فلفته بخرقة والقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع
قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا ام موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر
لها لبن فقالوا لها ما ادخل القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة
فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فاين الصبي فقالت لا
ادري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله عليه النار
بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان ام موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان
خافت على ابنها فقذف الله في نفسها ان تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت في
النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا
فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ان لي ابنا اخباه في التابوت

وكرمت

وكرمت الكذب قال ولم قال لا اخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت
وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر ام موسى فلما هم
بالكلام امسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدر الامناء
ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى
النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم
ليخبرهم فاخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه فاخرجوه
وبقي حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون
معه فيحفظه حيث ما كان فعرف الله منه الصدق فرد الله عليه لسانه وبصره
فخر لله ساجدا فقال يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدل عليه فامن به
وصدقه قال وهب لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها على جميع الناس فلم
يطلع على حملها احد من خلق الله تعالى وذلك شيء ستره الله تعالى لما اراد ان
يمن به على بني اسرائيل فلما كانت الليلة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم
الامين ففتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير
لونها ولم ينبو بطنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد
فيها ولدته ولا رقيبة عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم واوحى
الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فكتمته ثلاثة اشهر فلما
خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم القته في اليم ليلا قال ابن عباس
وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس
عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان
فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرا
الا من قبل البحر فيوجد فيه شبه الانسان فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها
فتبرا من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حتى تشرق الشمس فلما كان
ذلك اليوم غدا فرعون على مجلس كان له على شفير النيل ومعه امراته اسية
بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على ساحل البحر مع جواريها
تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن حتى جلست اذ اقبل النيل بالتابوت تضربه
الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدروا
بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوه في فتح الباب فلم يقدروا
عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت اسية فرات في جوف التابوت
نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في التابوت واذا
بنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منه لبنا فالقى الله محبته
في قلب اسية واحبه فرعون وعطف عليه واقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا
الصبي من التابوت عمدت الى ما يسيل من اشداقه من ريقه فلطخت به برصها
فبرئت فقبلته وضمته الى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون ايها الملك

انا نظن ان ذلك المولود الذي نحذر من بني اسرايل هو هذا رمي به في البحر فزعا
منك فهم فرعون بقتله فقالت اسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان
ينفعنا او نصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من
فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها فقيل ان اسية
سمته قالت سميته موسى لانا وجدناه في الما والشجر لانه مو هو الما وشا هو الشجر
فذلك قوله تعالى فالتقطه ال فرعون الالتقاط وجود الشي من غير طلب
ليكون لهم عدوا وحزنا اي عاقبة امرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون
لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
اي اثمين وقيل هو من الخطا ومعناه انهم لا يشعرون انه الذي يذهب بملكهم
وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او
نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال ابن وهب لما نظر اليه فرعون قال عبراني
من الاعدا فغاظه ذلك وقال كيف اخطا هذا الغلام الذبح وكانت اسية امراة
فرعون من خيار النسا ومن بنات الانبيا وكانت ام المساكين ترحمهم وتتصدق
عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانت
امرت ان تذبح الولدان من هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه اتاني
من ارض اخرى وليس هو من بني اسرايل فاستحياه فرعون والقى الله محبته عليه
قال ابن عباس لو ان عدو الله قال في موسى كما قالت اسية عسى ان ينفعنا لنفعه
الله ولكنه ابى للشقا الذي كتبه الله عليه قوله تعالى واصبح فواد ام موسى
فارغا اي خاليا من كل شي الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للوحي
الذي اوحى الله عز وجل اليها حين امرها ان تلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني
والعهد الذي عهد اليها انا رادوه اليها وجاعلوه من المرسلين فجاءها الشيطان
وقال كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه توليت انت قتله والقيته
في البحر واغرقته ولما اتاها الخبر بان فرعون اصابه في النيل قالت انه وقع في يد
عدوه الذي فررت منه فانساها عظم البلا ما كان من عهد الله اليها ان كادت
لتبدي به اي لتصرح بانه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول
وا ابناه وقيل لما رات التابوت ترفعه موجة وتحطه اخرى خشيت عليه
الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت
الناس يقولون موسى بن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل
كادت تبدي بالوحي الذي اوحى الله اليها ان يرده عليها لولا ان ربطنا على قلبها
اي بالعصمة والصبر والتثبت لتكون من المؤمنين اي من المصدقين بوعد الله
اياها وقالت لاخته اي مريم اخت موسى قصيه اي اتبعي اثره حتى تعلمي خبره
فبصرت به عن جنب اي عن بعد قيل كانت تمشي جانبا وتنظر اختلاسا

تري

تري انها لا تنظره وهم لا يشعرون انها اخته وانها ترقبه وحرمنا عليه المراضع
المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان
امراة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد من ترضعه كلما اتوا بمرضعة لم ياخذ
ثديها وهم في طلب من يرضعه لهم من قبل اي قبل مجي ام موسى وذلك لما رات
اخت موسى التي ارسلتها امه في طلب ذلك فقالت يعني اخت موسى هل
ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي يضمونه ويرضعونه وهي امراة قتل ولدها
فاحب ان يدعى اليها ان تجد صغيرا ترضعه وهم له ناصحون اي لا يمنعونه
ما ينفعه من تربيته وغذايه والنصح اخلاص العمل من شوايب الفساد
وقيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا
على اهله قالت ما اعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت
انما قلت ذلك رغبة في سرور الملك واتصلنا به وقيل قالوا لها من هم قالت
امي قالوا ولامك ولد قالت نعم هارون وكان هارون ولد في السنة التي
لا يقتل فيها قالت صدقت فاتينا بها فانطلقت اليها واخبرتها بحال ابنها
وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلا
جنباه ريا وقيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى فرددناه
الى امه كي تقر عينها اي برد موسى اليها ولا تحزن اي لئلا تحزن ولتعلم
ان وعد الله حق اي برده اليها ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله وعدها ان يرده
اليها ولما بلغ اشده قيل الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة
وقيل الاشد ثلاثة وثلاثون سنة واستوى اي بلغ اربعين سنة قاله
ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل اتيناه حكما وعلما اي عقلا وفهما في
الدين تعلم وحكم موسى قبل ان يبعث نبيا وكذلك نجزي المحسنين قوله تعالى
ودخل المدينة يعني موسى والمدينة هي منف من اعمال مصر وقيل هي
قرية يقال لها خانين على راس فرسخين من مصر وقيل هي مدينة عين شمس
على حين غفلة من اهلها قيل هي نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة
وكان دخلها ما بين المغرب والعشا وقيل سبب دخوله المدينة في ذلك
الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب في مراكب فرعون ويلبس
لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غايبا فلما جا قيل له ان فرعون قد
ركب فركب موسى في اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها وليس في اطرافها
احد وقيل كان لموسى شيعة من بني اسرايل يسمعون منه ويقتدون به فلما
عرف ما هو عليه من الحق راى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينه حتى
انكروا ذلك منه وخافوه وخافهم وكان لا يدخل قرية الا خايفا مستخفيا
على حين غفلة من اهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره
فاراد فرعون قتله قالت امراته انه هو صغير فتركه وامر باخراجه من مدينته

فاخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ اشده فدخل على حين غفلة من اهلها
يعني عن ذكر ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به وعن علي انه كان يوم عيد لهم قد
اشتغلوا بلهوهم ولعبهم فوجد فيها رجلين يقتتلان اي يتخاصمان ويتنازعان
هذا من شيعته اي من بني اسرايل وهذا من عدوه اي من القبط وقيل هذا
مومن وهذا كافر وقيل الذي كان من الشيعة هو السامري والذي من عدوه
هو طباخ فرعون واسمه فليثون وكان القبطي يريد ان ياخذ الاسرايلي يحمله
الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد من ال فرعون يخلص الى احد
من بني اسرايل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنوا اسرايل قد عزوا بمكان
موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان احدهما من بني
اسرايل والاخر من القبط فاستغاثه الذي من شيعته يعني الاسرايلي
على الذي من عدوه يعني الفرعوني والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سأله
ان يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لانه اخذه وهو يعلم
منزلة موسى من بني اسرايل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاعة
فقال موسى للفرعوني خل سبيله فقال انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك
فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى قد اوتي بسطة
في الخلق وشدة في القوة فوكزه موسى اي ضربه بجميع كفه وقيل الوكز
الضرب في الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع فقضى عليه اي قتله
وفرغ امره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه في الرمل قال
هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين اي بين الضلالة وقيل في قوله
هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى ان هذا المقتول من عمل
الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل
وقيل هذا اشارة الى المقتول يعني انه من جند الشيطان وحزبه قال رب
اني ظلمت نفسي اي بقتل القبطي من غير امر وقيل هو على سبيل الاتضاع
لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب
وقوله فاغفر لي اي ترك هذا المندوب وقيل يحتمل ان يكون المراد رب اني
ظلمت نفسي حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلني به قال فاغفر
فاغفر لي فاستره علي ولا توصل خبره الى فرعون فغفر له اي فستره عن الوصول
الى فرعون انه هو الغفور الرحيم قال رب بما اي بالمغفرة والستر انعمت
علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين معناه فانا لا اكون معاونا لاحد من
المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على ان الاسرايلي الذي اعانه موسى
كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلي في اليوم الثاني اي فلم يقل فلم اكون
ان شاء الله ظهيرا للمجرمين فاصبح في المدينة اي التي قتل فيها القبطي خايفا
يترقب اي ينتظر سوءا والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يوخذ به

فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يعني يستغيث به من بعد قال ابن عباس
اتى فرعون فقيل له ان بني اسرايل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال
اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر
موسى من الغد فراى ذلك الاسرايلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني
وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي قال له موسى
للاسرايلي انك لغوي مبين اي ظاهر الغواية قاتلت رجلا بالامس فقتلته
بسببك وتقاتل اليوم اخر وتستغيثني عليه فلما ان اراد ان يبطش بالذي
هو عدو لهما وذلك ان موسى اخذته الغيرة والرقة للاسرايلي فمد يده ليبطش
بالقبطي فظن الاسرايلي انه يريد ان يبطش به لما راى من غضب موسى وسمع قوله
انك لغوي مبين قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
معناه انه لم يكن علم احد من قوم فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي
حتى افشى عليه الاسرايلي ذلك فسمعه القبطي فاتى فرعون فاخبره بذلك
ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض اي بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذي
يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو الذي يتعاظم ولا يتواضع لامر الله
تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين ولما فشى ان موسى قتل القبطي امر
فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال انه مومن
ال فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى وجاء
رجل من اقصى المدينة يسعى اي يسرع في مشيه واخذ طريقا قريبا حتى سبق
الى موسى واخبره وانذره بما سمع قال يا موسى ان الملأ ياتمرون بك اي
يتشاورون فيك ليقتلوك وقيل يامر بعضهم بقتلك فاخرج اي من
المدينة اني لك من الناصحين اي في الامر في الخروج فخرج منها يعني
موسى خايفا اي على نفسه من ال فرعون يترقب اي ينتظر الطلب هل
يلحقه فياخذه ثم لجا الى الله تعالى لعلمه انه لا ملجأ الا اليه قال رب نجني
من القوم الظالمين اي الكافرين قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين قال
وقصد نحوها ماضيا اليها قيل لانه وقع في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لان
اهل مدين من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلد باسمه
وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام قيل خرج موسى خايفا بلا ظهر ولا زاد
ولا احد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى روي خضرته في
بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو اول ابتلاء
من الله لموسى قال يعني موسى عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي
قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قيل لما دعى
موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين قوله عز وجل ولما ورد ماء
مدين هو بير كانوا يسقون منها مواشيهم وجد عليه اي على الماء امة اي جماعة

من الناس يسقون مواشيهم ووجد من دونهم امرأتين تذودان اي
سوى الجماعة وقيل بعيدا عن الجماعة اي يحبسان ويمنعان اغنامهما عن الما
حتى يفرغ الناس ويخلو لهما البير وقيل يكفيان الغنم عن ان يختلطا باغنام الناس
وقيل يمنعان اغنامهما عن ان تشذ وتذهب والقول الاول اولى لما بعده وهو
قوله قال يعني موسى ما خطبكما اي ما شانكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس
قالتا لا نسقي اي اغنامنا حتى يصدر الرعا اي حتى يرجع الرعا
عن الما والمعنى انا امرأتان لا نستطيع ان نزاحم الرجال فاذا صدروا اسقينا
نحن مواشينا من فضل ما بقي منهم في الحوض وابونا شيخ كبير اي لا يقدر
ان يسقي مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم قيل ابوهما هو شعيب عليه
السلام وقيل هو يثرون بن اخي شعيب وكان شعيب قد مات بعد ما كف
بصره وقيل هو رجل ممن امن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع
صخرة من على راس بير اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس
وقيل زاحم الناس ونحاهم كلهم عن البير وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعا من
السقي غطوا راس البير بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجا موسى فرفع الحجر وحده ونزع
راس البير بدلو واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرووا فذلك قوله تعالى
فسقى لهما ثم تولى الى الظل اي عدل الى ظل الشجرة فجلس في ظلها من شدة الحر
وهو جايع فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير معناه اني طلبت الطعام لجوعه
واحتياجه اليه قال ابن عباس سال الله فلقة خبز يقيم بها صلبه وعن ابن عباس
قال لقد قال موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد
افتقر الى شق تمرة وقيل ما سال الا الخبز فلما رجعا الى ابيهما سريعا قبل الناس
واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى
لنا اغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الي فقال الله تعالى فجاءته احداهما
تمشي على استحيا قيل هي الكبرى واسمها صفورا وقيل صفرا وقيل هي الصغرى
واسمها ليا وقيل صفيرا وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النسا خراجة
ولاجة ولكن قد جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها وقيل
استحيت منه لانها دعته ليكافيه وقيل لانها رسول ابيها قالت ان ابي يدعوك
ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما سمع موسى ذلك كره ان يذهب معها
ولكن كان جايعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المراة ومشى موسى خلفها فكانت
الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي
واريني الطريق اذا اخطات ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب
اذ هو بالعشا مهيا فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى اعوذ بالله ولم ذلك
الست بجايع قال بلى ولكن اخاف ان يكون ذلك عوضا لما سقيت لهما وانا من
اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال الاخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله

يا فتى

يا فتى ولكنها عادتي وعادة ابائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى
واكل فذلك قوله تعالى فلما جاءه وقص عليه القصص اي اخبره بامره اجمع
من خبر ولادته وقتله القبطي وقصد فرعون قتله قال لا تخف نجوت من
القوم الظالمين يعني من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون
سلطانه على مدين قالت احداهما يا ابت استاجره اي اتخذه اجيرا ليرعى
اغنامنا ان خير من استاجرت القوي الامين يعني ان خير من استعملت
من قوي على العمل واداء الامانة فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته
قالت اما قوته فانه رفع الحجر من على راس البير ولا يرفعه الا عشرة نفر وقيل
اربعين رجلا واما امانته فانه قال لي اذهبي خلفي لئلا تصف الريح بدنك
قال له شعيب عند ذلك اني اريد ان انكحك اي ازوجك احدى ابنتي هاتين
قيل زوجه الكبرى وقال الاكثر انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورا
وهي التي ذهبت في طلب موسى على ان تاجرني ثماني حجج اي تكون اجيرا لي
ثمان سنين فان اتممت عشرا فمن عندك اي فان اتممت عشر سنين فذلك
تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك وما اريد ان اشق عليك اي الزمك
تمام العشرة الا ان تتبرع قال ستجدني ان شا الله من الصالحين اي في حسن
الصحبة والوفا بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب
وانما قال ان شا الله للاتكال على توفيقه ومعونته فقال ذلك بيني
وبينك اي ما شرطت علي ذلك وما شرطت من تزويج احداهما علي والامر
بيننا على ذلك ايما الاجلين قضيت اي اي الاجلين اتممت وفرغت منه
الثمان او العشر فلا عدوان علي اي لا اظلم على بان اطالب باكثر منهما
والله على ما نقول وكيل قال ابن عباس شهيد بيني وبينك خ عن سعيد
ابن جبير قال سالني يهودي من اهل الحيرة اي الاجلين قضى موسى قلت لا ادري
حتى اقدم على حبر العرب فاساله فتقدمت فسالت ابن عباس فقال قضى
اكثرهما واطيبهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل وروي عن
ابي ذر مرفوعا اذا سيلت اي المراتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جات
فقالت يا ابت استاجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكحه
الكبرى وروى شداد بن اوس مرفوعا بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم
حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله
عليه بصره وقال له الله ما هذا البكا اشوقا الى الجنة ام خوفا من النار
فقال لا يا رب ولكن شوقا الى لقايك فاوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيا لك
لقاي يا شعيب لذلك اخدمتك موسى كليمي ولما تم هذا العقد بينهما
امر شعيب ابنته ان تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وقيل كانت
من اس الجنة حملها ادم معه فتوارثها الانبيا وكان لا ياخذها غير نبي الا

اكلته فصارت منادم الى نوح الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى
ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته قال لها موسى اطلبي من ابيك
ان يعطينا ويجعل لنا بعض الغنم فطلبت من ابيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت
هذا العام على غير شيتها وقيل اراد شعيب ان يجازي موسى على حسن رعيته
اكراما له وصلة لابنته فقال اني وهبت لك من ولداغنامي كل ابلق وبلقا
في هذه السنة فاوحى الله الى موسى في النوم ان اضرب بعصاك الماء فاسق منه
الغنم ففعل ذلك فما اخطات واحدة الا وضعت حملها ما بين ابلق وبلقا
فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله الى موسى وابنته فوفى له بشرطه واعطاه
الاغنام فقوله عز وجل **فلما قضى موسى الاجل** اي اتمه وفرغ منه **وسار
باهله** وقيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين اخرى ثم
استاذنه في العود الى مصر فاذن له وسار باهله اي قاصدا الى مصر **انس**
اي ابصر **من جانب الطور نارا** وذلك انه كان في شدة البرد في ليلة مظلمة في
البرية واخذ امراته الطلق **قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم
منها بخبر** اي عن الطريق لانه كان قد اخطا الطريق **او جذوة من النار**
اي قطعة او شعلة من النار وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه **لعلكم
تصطلون** اي تستدفون **فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن**
اي من جانب الوادي الذي عن يمين موسى **في البقعة المباركة** جعلها الله مباركة
لان الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة **من
الشجرة** اي من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء تزف وقيل
كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها العناب **ان يا موسى
اني انا الله رب العالمين** قيل ان موسى لما راى النار في الشجرة الخضراء علم انه
لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى فعلم بذلك ان المتكلم
هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق في نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم هو
الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء
الله تعالى قال اني سمعته بجميع اجزائي فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم
بذلك انه لا يقدر عليه احد الا الله تعالى **وان الق عصاك** اي فالقاها
فلما راها تهتز اي تتحرك **كانها جان** يعني الحية الصغيرة والمعنى انها في
سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة **ولى مدبرا** اي هاربا منها **ولم يعقب**
اي لم يرجع قال وهب انها لم تدع صخرة ولا شجرة الا ابتلعتها حتى ان موسى سمع
صرير اسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب
فنودي عند ذلك **يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين** فقوله تعالى **اسلك
يدك** اي ادخل يدك **في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء** اي برص والمعنى انه ادخل
يده فخرجت ولها شعاع كشعاع الشمس **واضمم اليك جناحك من الرهب** اي من

الخوف والمعنى اذا هالك امر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها في جيبك تعد
الى حالتها الاولى قال ابن عباس امره الله تعالى ان يضم يده الى صدره فيذهب
عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خايف بعد موسى الا اذا وضع
يده على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون اي سكن روعك
واخفض عليك جناحك لان من شان خايف انه يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل
الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك واخرجها من كمك لانه تناول
العصا ويده في كمه **فذانك** اي العصا واليد البيضا **برهانان** اي ايتان **من
ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين** اي خارجين عن الحق
قال رب اني قتلت منهم نفسا يعني القبطي **فاخاف ان يقتلون** به **واخي
هارون هو افصح مني لسانا** اي بيانا وانما قال ذلك للعقدة التي كانت في
لسانه من موضع الجمرة في فيه **فارسله معي ردءا** اي عونا **يصدقني** يعني فرعون
وقيل تصديق هارون هو ان يلخص الدلايل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار
فهذا هو التصديق المفيد **اني اخاف ان يكذبون** يعني فرعون وقومه **قال
سنشد عضدك باخيك** اي سنقويك به وكان هارون بمصر **ونجعل لكما
سلطانا** اي حجة وبرهانا **فلا يصلون اليكما باياتنا** اي بقتل ولا سوء
انتما وقيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون اليكما **ومن اتبعكما الغالبون**
اي لكما ولاتباعكما الغلبة على قومه **فلما جاءهم موسى باياتنا بينات** اي واضحات
قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي مختلق **وما سمعنا بهذا** اي بالذي تدعونا
اليه **في ابائنا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده** اي
انه المحق من المبطل **ومن تكون له عاقبة الدار** اي العاقبة المحمودة في الدار
الاخرة **انه لا يفلح الظالمون** اي الكافرون **وقال فرعون يا ايها الملا
ما علمت لكم من اله غيري** فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته
فاوقد لي يا هامان على الطين اي اطبخ لي على الاجر قيل انه اول من
اتخذ الاجر وبنى به **فاجعل لي صرحا** اي قصرا عاليا وقيل منارة قال
اهل السير لما امر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال
والفعلة حتى اجتمع عنده خمسين الف بنا سوى الاتباع والاجرا وطبخ الاجر
والجبس ونجر الخشب وضرب المسامير وامر بالبنا فبنوه ورفعوه وشيدوه
حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد من الخلق واراد الله ان يفتنهم فيه فلما
فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وامر بنشابة فرمى بها نحو السما فردت اليه
وهي ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على
البراذين فبعث الله تعالى جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه
ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكره فقتلت منهم الف الف ووقعت
منها قطعة في البحر وقطعة في المغرب فلم يبق احد عمل فيه الا هلك فذلك قوله

تعالى لعلي اطلع الى اله موسى انظر اليه واقف على حاله واني لاظنه يعني
موسى من الكاذبين اي في زعمه ان للارض والخلق الها غيري فانه ارسله واستكبر
هو وجنوده في الارض بغير الحق اي تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بل
بالباطل والظلم وظنوا انهم الينا لا يرجعون اي للحساب
والجزا فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي فالقيناهم في البحر
وهو بحر القلزم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعني حين صاروا الى الهلاك
وجعلناهم ايمة اي قادة ورؤسا يدعون الى النار الكفر والمعاصي
التي يستحقوا بها النار لان من اطاعهم ضل ودخل النار ويوم القيامة لا
ينصرون اي لا يمنعون من العذاب واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي خزيا
وبعدا وعذابا ويوم القيامة هم من المقبوحين اي المبعدين وقيل
المهلكين وقال ابن عباس المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون قوله
عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى بصائر
للناس اي ليبصروا بذلك فيهتدوا به وهدى من الضلالة لمن عمل به
ورحمة لمن امن به لعلهم يتذكرون اي بما فيه من المواعظ وما كنت الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي وما كنت يا محمد بجانب الغربي اي بجانب الجبل
الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه اذ قضينا الى موسى الامر
اي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وما كنت من
الشاهدين اي الحاضرين ذلك المقام الذي اوحينا فيه فتذكره ذاتِ نفسك
ولكنا انشانا قرونا اي خلقنا بعد موسى امما فتطاول عليهم العمر
اي طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا امره وقد كان الله عهد الى موسى
وقومه عهودا في محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون
بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفا بها وما كنت ثاويا اي مقيما
في اهل مدين اي كمقام موسى وشعيب فيهم تتلوا عليهم اياتنا اي تذكرهم
بالوعد والوعيد ومعناه لم تشهد اهل مدين فتقرأ على اهل مكة خبرهم
ولكنا كنا مرسلين يعني ارسلناك رسولا وانزلنا اليك كتابا فيه
هذه الاخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها انت ولم تخبرهم بها انت وما
كنت بجانب الطور اي بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى اذ نادينا
اي يعني موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يا رب ارني محمدا وامته
قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شيت ناديت امته واسمعتك واسمعتك
صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابايهم
وقال ابن عباس قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوا من اصلاب الابا وارحام
الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك قال الله

تعالى يا امة احمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عذابي قد اعطيتكم قبل
ان تسئلوني وقد اجبتكم قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم قبل ان تستغفروني
ومن جاءني يوم القيامة بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي
دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر ولكن رحمة من ربك اي رحمناك
رحمة بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الاخبار الغايبة عليك لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يعني اهل مكة يتذكرون واعلم ان الله
تعالى لما بين قصة موسى لرسوله صلى الله عليه وسلم فجمع بين هذه الاحوال
الثلاث العظيمة الذي اتفقت لموسى فالمراد بقوله قضينا الى موسى الامر
هو انزال التوراة حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت
ثاويا في اهل مدين اول امر موسى والمراد بقوله اذ نادينا ليلة المناجاة
فهذه اعظم احوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن في هذه الاحوال حاضرا
بين يدي الله بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم
ومعجزته كانه قال في اخبارك عن هذه الاشيا من غير حضور ولا مشاهدة دلالة
ظاهرة على نبوتك قوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة ونقمة
بما قدمت ايديهم يعني من الكفر والمعاصي فيقولوا ربنا لولا اي هلا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين ومعنى الاية
ولولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم
وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكن بعثناك اليهم لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل فلما جاءهم الحق من عندنا يعني محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا يعني كفار مكة لولا اي هلا اوتي مثل ما اوتي موسى يعني من الايات
كالعصى واليد البيضا وقيل اوتي كتابا جملة واحدة كما اوتي موسى التوراة
قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قيل ان اليهود ارسلوا
الى قريش ليسئلوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتي موسى من قبل فقال الله
تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني اليهود الذين استخرجوا هذا السوال
قالوا ساحران تظاهرا يعني التوراة والقران يقوي كل واحد الاخر
وقرئ ساحران يعني محمد وموسى قيل ان مشركي مكة بعثوا الى روس اليهود
بالمدينة ليسئلوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته في كتابهم
التوراة فرجعوا فاخبروهم بما قالت اليهود فقالوا ساحران وقالوا انا بكل
كافرون يعني بالتوراة والقران وقيل بمحمد وموسى قل يا محمد فاتوا بكتاب
من عند الله هو اهدى منهما يعني من التوراة والقران اتبعه يعني الكتاب
الذي ياتوا به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله ان كنتم
صادقين فان لم يستجيبوا لك اي فان لم ياتوا بما طلبت فاعلم انما يتبعون
اهواءهم يعني ان ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه انما اثروا فيه اتباعهم

ما هم عليه الهوى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا
يهدى القوم الظالمين قوله عز وجل ولقد وصلنا لهم القول قال
ابن عباس بينا وقيل انزلنا ايات القران يتبع بعضها بعضا وقيل بينا لكفار
مكة ما في القران من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل
وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الاخرة حتى كانهم عاينوا الاخرة في الدنيا لعلهم
يتذكرون اي يتعظون الذين اتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل من قبل القران هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل
الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اهل الانجيل الذين قدموا من
الحبشة وامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن
ابي طالب فلما راوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله
ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فنواسي بها المسلمين
فنزلت فيهم هذه الايات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس
في ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة
وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى بقوله واذا يتلى عليهم اي القران قالوا
امنا به انه الحق من ربنا وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل انا كنا من قبله مسلمين اي من قبل القران
مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق اولئك
يؤتون اجرهم مرتين يعني بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الاخر بما صبروا
قيل اي على دينهم وعلى اذى المشركين ق عن ابي موسى الاشعري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب امن بنبيه
وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق الله وحق مواليه
ورجل كانت عنده امة يطاؤها فادبها واحسن تاديبها وعلمها واحسن تعليمها
ثم اعتقها فتزوجها فله اجران ويدرؤن بالحسنة السيئة قال ابن عباس
يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من
اذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو ومما رزقناهم ينفقون اي في الطاعة
واذا سمعوا اللغو اي القول القبيح اعرضوا عنه وذلك ان المشركين
كانوا يسبون مؤمني اهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون
عنهم ولا يردون عليهم وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لنا ديننا
ولكم دينكم سلام عليكم اي ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة
لا نبتغي الجاهلين يعني لا نحب دينكم الذي انتم عليه وقيل لا نريد ان
نكون من اهل الجهل والسفه وهذا قبل ان يؤمر المسلمون بالقتال قوله تعالى
انك لا تهدي من احببت اي هدايته وقيل لحبته لقرابته ولكن الله
يهدي من يشا وذلك ان الله تعالى يقذف في القلب نور الهدى فينشرح

الصدر

الصدر للايمان وهو اعلم بالمهتدين اي بمن قدر له الهدى خ عن ابي هريرة
انك لا تهدي من احببت نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راود
عمه ابا طالب على الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب
عند الموت يا عم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة قال لولا تعيرني
قريش يقولون انه حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك ثم انشد

ولقد علمت بان دين محمد ● من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة ● لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فانزل الله هذه الاية
وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا يعني من مكة نزلت
في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انا نعلم ان الذي تقول له حق ولكنا ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا
العرب من ارض مكة فقال تعالى اولم نمكن لهم حرما امنا وذلك ان العرب
كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا واهل مكة امنون
حيث كانوا للحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يامن فيه الظبا من الذياب
والحمام من الحداة يجبى اليه اي يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام
ومصر والعراق واليمن ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون
معناه يعني اهل مكة لا يعلمون ذلك لقوله تعالى وكم اهلكنا من قرية
اي من اهل قرية بطرت معيشتها اي اشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر
فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام فتلك مساكنهم لم تسكن من
بعدهم الا قليلا قال ابن عباس لا يسكنها الا المسافرون سكونا قليلا وقيل
لم يعمر منها الا قليلا واكثرها خراب وكنا نحن الوارثين يعني لم يخلفهم فيها
احد بعد اهلاكهم وصار امرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فنا الخلايق
وما كان ربك مهلك القرى اي الكافر اهلها حتى يبعث في امها رسولا
اي في اكبرها واعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لانه يبعث
الى الاشراف وسكان المدن وقيل يبعث في ام القرى وهي مكة رسولا يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبيا يتلوا عليهم اياتنا يعني يؤدي اليهم
ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا وما كنا مهلكي القرى الا
واهلها ظالمون اي مشركون قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة
الدنيا وزينتها اي تتمتعون بها ايام حياتكم ثم هي الى فنا وانقضا وما عند الله
خير وابقى لان منافع الاخرة خالصة من الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع
الدنيا بالقياس كالذرة الى البحر العظيم افلا يعقلون اي ان الباقي خير من
الفاني وقيل من لم يرجح الاخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعي من
اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى

لان اغفل الناس من اعطي القليل واخذ الكثير وهاهم الا المشتغلين بطاعة الله تعالى
افمن وعدناه وعدا حسنا يعني الجنة فهو لاقيه معناه مصيبه وصاير اليه
كمن متعناه متاع الحياة الدنيا اي ونزول عنه عن قريب ثم هو يوم القيامة
من المحضرين اي النار قيل هذا في المومن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله
عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد
ابن المغيرة قوله عز وجل ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون
اي في الدنيا انهم شركاي قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب وهم
روس الضلالة ربنا هولا الذين اغوينا اي دعوناهم الى الغي وهم الاتباع اغويناهم
كما غوينا اي اضللناهم كما ضللنا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
معناه بري بعضهم من بعض وصاروا اعدا وقيل يعني الكفار ادعوا شركاكم
اي الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم
وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون اي لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم
يعني يسيل الكفار فيقول ماذا اجبتم المرسلين اي ما كان جوابكم لمن ارسل
اليكم من النبيين فعميت عليهم اي خفيت واشتبهت الانبا اي الاخبار والها
اعذار والحجج يوميذ فلم يكن يوميذ لهم عذر ولا حجة فهم لا يتساءلون اي لا
يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يجيب بعضهم بعضا فاما من تاب
وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين اي من السعدا الناجين وعسى
من الله واجب قوله تعالى وربك يخلق ما يشا ويختار نزلت هذه الاية جوابا
للمشركين حيث قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني
الوليد بن المغيرة او عروة بن مسعود الثقفي اخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل
باختيارهم لانه الملك المطلق وله ان يخص ما يشا بما يشا لا اعتراض عليه البتة
ما كان لهم الخيرة اي ليس لهم الاختيار او ليس لهم ان يختاروا على الله وقيل
معناه يختار الله ما كان هو الاصلح والخير لهم فيه ثم نزه نفسه فقال تعالى
سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن اي ما تخفي صدورهم وما يعلنون
اي يظهرون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة اي يحمده اولياوه
في الدنيا ويحمدونه في الاخرة في الجنة وله الحكم اي فصل القضا بين
الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة
واليه ترجعون قوله عز وجل قل يا محمد لاهل مكة ارايتم اي اخبروني
ان جعل الله عليكم الليل سرمدا اي دايما الى يوم القيامة لا نهار فيه من اله
غير الله ياتيكم بضيا اي بنهار تطلبون فيه المعيشة افلا تسمعون اي سماع فهم
وقبول قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا اي لا ليل الى يوم القيامة
من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون اي ما انتم عليه من
الخطا وقيل ان نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان

المرء

المرء في حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج
ولا تتم له الراحة والسكون له الا بالليل فلا بد منهما فاما في الجنة فلا تعب
ولا نصب فلا حاجة لهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضيا ابدا فبين الله تعالى
انه القادر على ذلك ليس غيره ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار اي يتعاقبان
بالظلمة والضيا لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله اي بالنهار
ولعلكم تشكرون اي نعم الله عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين
كنتم تزعمون كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ ونزعنا
اي اخرجنا وقيل ميزنا من كل امة شهيدا يعني رسولهم ليشهد عليهم
بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم فقلنا اي للامم المكذبة لرسلهم هاتوا
برهانكم اي حجتكم بان معي شريكا فعلموا ان الحق لله اي التوحيد لله
وضل عنهم ما كانوا يفترون اي يختلقون في الكذب على الله قوله عز وجل
ان قارون كان من قوم موسى قيل كان ابن عم موسى لان قارون بن يصهر بن قاهث
ابن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن
في بني اسرايل اقرا منه في التوراة ولكن نافق كما نافق السامري فبغى
عليهم قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرايل فظلمهم وقيل بغى عليهم لكثرة ماله
وقيل زاد في طول ثيابه شبرا ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثيابه خيلا اخرجاه في الصحيحين وقيل
بغى عليهم بالكبر والعلو واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه جمع مفتح وهو الذي
يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعني خزاينه لتنوء بالعصبة اولي القوة
معناه لتثقلهم وقيل لهم اذا حملوها لثقلها قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة
عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى
السبعين وقيل كان قارون يحمل مفاتحه اربعون رجلا اقوى ما يكون من
الرجال وقيل كان قارون اين ما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من
حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر
كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا اذ قال له
قومه لا تفرح لا تبطر ولا تاشر ولا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
اي الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم قيل انه لا يفرح بالدنيا
الا من رضي بها واطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارقها عن قريب لم يفرح ولقد
احسن من قال اشد الغم عندي في سرور تيقن صاحبه عنه انتقالا ٠٠
وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة اي اطلب فيما اعطاك الله من الاموال
الجنة وهو ان تقوم بشكر الله على ما انعم به عليك وتنفقه في رضا الله ولا
تنس نصيبك من الدنيا اي لا تترك ان تعمل في الدنيا للاخرة حتى تنجو من
العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل فيها للاخرة بالصدقة

وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة
عن عمرو بن ميمون الاودي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه
اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل
فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن
ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم واحسن كما احسن الله اليك اي احسن
بطاعته احسن كما احسن الله اليك بنعمته وقيل احسن الى الناس ولا تبغ
اي لا تطلب الفساد في الارض وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض
ان الله لا يحب المفسدين قال يعني قارون انما اوتيته على علم عندي اي
على فضل وخير علمه الله عندي فرآني اهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم
كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيميا فكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث
ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى
اضاف علمهما مع علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك
سبب امواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وانواع
المكاسب فقال عز وجل اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من
هو اشد منه قوة واكثر جمعا اي للاموال ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
قيل معناه ان الله تعالى اذا اراد عقاب المجرمين فلا حاجة الى سؤالهم لانه
عالم بحالهم وقيل لا يسألون سؤال الاستفهام وانما يسألون سؤال توبيخ
وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم قوله تعالى
فخرج على قومه في زينته وقيل خرج هو وقومه سبعون الفا عليهم الثياب الحمر
والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سرج الارجوان وقيل
خرج على بغلة شهبا عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه اربعة الاف فارس
وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب
الحمر وهن على البغال الشهب قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ اي من المال عظيم وقال الذين اوتوا
اي بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل للذين تمنوا
مثل ما اوتي قارون العلم ويلكم ثواب الله اي ما عند الله من الثواب والجزاء
خير لمن آمن اي لمن صدق بتوحيد الله وعمل صالحا اي ذلك خير مما اوتي قارون
في الدنيا ولا يلقاها الا الصابرون اي لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون
وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون اي على طاعة
الله وعن زينة الدنيا قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ذكر قصة
قارون قال اهل العلم بالسير والاخبار كان قارون اعلم بني اسرائيل بعد موسى وهارون
واقرأهم للتوراة واجملهم واغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان اول طغيانه
وعصيانه ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يامر قومه ان يعلقوا في ارديتهم خيوطا

اربعة في كل طرف خيط اخضر كلون السماء يذكرون اذا نظروا الى السماء ويعلمون اني منزل
منها كلامي فقال موسى يا رب افلا تامرهم ان يجعلوا ارديتهم كلها خضرا فان بني
اسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغير من امري ليس بصغير
فاذا لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى
فقال ان الله يامركم ان تعلقوا في ارديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا
ربكم اذا رايتموها ففعل بنو اسرائيل ما امرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه
وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه
وبغيه فلما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون وهي رياسة
المذبح فكان بنو اسرائيل ياتون بقربانهم الى هارون فيضعه على المذبح فتنزل
نار من السماء فتاكله فوجد قارون من ذلك في نفسه فاتى الى موسى فقال له
يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وانا اقرأ التوراة
لا صبر لي على هذا فقال اما انا ما جعلتها لهارون بل الله جعلها له فقال له قارون
والله لا اصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل فقال هاتوا
عصيكم فحزمها والقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى
اصبحوا واصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق اخضر وكان من شجر اللوز فقال
موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر
واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه
كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا
من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون
اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه قال ابن عباس فلما
نزلت الزكاة على موسى اتاه قارون فصالحه على كل الف دينار دينارا وعلى كل الف درهم
عنها درهما وكل الف شاة عنها شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه
فوجده شيئا كثيرا لم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد
امركم بكل شيء فاطعتموه وهو يريد ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمرنا بما شئت
قال امركم ان تجيئوا بفلانة البغي فنجعل عليها جعلا على ان تقذف موسى
بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل فرفضوه فدعوها فجعل لها
قارون الف دينار والف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون
امولك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل
فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتظرون
خروجك فتامرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في مرج من الارض فقام فيهم
فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنا وليست
له امراة جلدناه مائة ومن زنا وله امراة رجمناه الى ان يموت فقال قارون
وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة

البغي قال ادعوها فلما جاءته قال لها موسى بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل التوراة
الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها احدث توبة افضل مما
اوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعلا على
ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي يقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى
الله اليه اني امرت الارض ان تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله
بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل
فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم باقدامهم
وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا ارض خذيهم
فاخذتهم الى الركب ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا ارض
خذيهم فاخذتهم الى الاعناق واصحابه في ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده
قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده اربعين وقيل سبعين مرة وموسى في
ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا ارض خذيهم فاطبقت عليهم الارض
فاوحى الله الى موسى ما اغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فما اغثته
اما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لاغثته وفي بعض الاثار لا اجعل الارض
بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به الارض فهو يتجلجل في الارض قامة
كل يوم قامة رجل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة واصبحت بنو اسرائيل تقول
فيما بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وامواله فدعا الله موسى
حتى خسف بداره وكنوزه وامواله الارض فذلك قوله تعالى فما كان له من
فئة اي جماعة ينصرونه من دون الله اي يمنعونه من الله وما كان من
المنتصرين اي الممتنعين مما نزل به من الخسف واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس
اي صاروا اولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من الاموال والزينة يندمون
على ذلك التمني يقولون ويكان الله الم تعلم وقيل الم تر وقيل هي كلمة تقرير
معناها اما ترى صنع الله واحسانه وقيل ذلك بمعنى ويلك اعلم ان الله وروي
ان وي مفصولة من كان والمعنى ان القوم ندموا فقالوا لوا متندمين على ما سلف
وكان معناها اظن ذلك واقدره ان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
قال ابن عباس اي يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء لولا ان من الله علينا
اي بالايمان لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون قوله عز وجل تلك
الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي استكبارا عن الايمان
وقيل علوا اي استطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف والعز
عند ذوي سلطان وعن علي انها نزلت في اهل التواضع من الولاة واهل المقدرة
ولا فسادا قيل الذي يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل اخذ اموال الناس
بغير حق وقيل العمل بالمعاصي والعاقبة للمتقين اي العاقبة المحمودة لمن
اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب معاصيه وقيل عاقبة المتقين الحسنة

من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيئات الا ما كانوا يعملون تقدم تفسيره قوله تعالى ان الذي فرض
عليك القران اي انزل عليك القران وقيل معناه اوجب عليك العمل بالقران
لرادك الى معاد قال ابن عباس الى مكة اخرجه البخاري عنه قال القتيبي معاد
الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج
من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما امن ورجع
الى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها
فاتاه جبريل عليه السلام وقال له اتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله
تعالى يقول ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وهذه الاية نزلت بالجحفة
ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل
الى الجنة قل ربي اعلم من جاء بالهدى هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم انك لفي ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربي اعلم من جاء بالهدى
يعني نفسه ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين ومعناه هو اعلم بالفريقين
قوله عز وجل وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي يوحى اليك القران
الا رحمة من ربك فاعطاك القران فلا تكونن ظهيرا اي معينا للكافرين
على دينهم وذلك حين دعوه الى دين ابائه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم
على ما هم عليه ولا يصدنك عن ايات الله يعني القران بعد اذ انزلت اليك
وادع الى ربك اي الى معرفته وتوحيده ولا تكونن من المشركين قال ابن
عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اي ولا
تظاهروا الكفار ولا توافقوهم ولا تدع مع الله الها اخر معناه ولا يجب على الكل
الا انه خاطب به خصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم
كان معصوما من ان يدعو مع الله الها اخر فما فائدة هذا النهي قلت الخطاب
معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا على امورك كلها ولا تعتمد
على غيره لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه اي الا هو والوجه يعبر به عن
الذات وقيل معناه الا ما اريد به وجهه لان عمل كل شيء اريد به غيره فهو
هالك له الحكم اي فصل القضاء بين الخلق واليه ترجعون تردون في الاخرة
فيجزيكم باعمالكم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة العنكبوت

مكية واياتها تسع وستون اية وكلماتها تسعماية وثمان كلمة وحروفها اربعة
الاف وماية وخمسة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الم احسب الناس اي ظن الناس ان يتركوا اي بغير اختبار ولا
ابتلاء ان اي بان يقولوا امنا اي يبتلون في اموالهم وانفسهم كلا لنختبرهم

لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الاية في اناس
كانوا بمكة فدا قروا بالاسلام فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا وتخرجوا عامدين الى المدينة
فاتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله هاتين
الايتين وقال ابن عباس اراد بالناس الذين امنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش
ابن ربيعة والوليد بن المغيرة وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في
الله تعالى وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر وكان اول من قتل من المسلمين
يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهدا مهجع وهو اول من يدعى
الى باب الجنة من هذه الامة فجزع ابواه وامراته فانزل الله هذه الاية ثم
عزاهم فقال تعالى **ولقد فتنا الذين من قبلهم** يعني الانبيا فمنهم من نشر
بالمنشار ومنهم من قتل وابتلوا بني اسرايل بفرعون فكان يسومهم سوا
العذاب **فليعلمن الله الذين صدقوا** اي في قولهم **وليعلمن الكاذبين**
والله تعالى عالم قبل الاختبار ومعنى الاية فليظهرن الله الصادقين من
الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل ان اثار الافعال الحق صفة يظهرها كل ما
يقع وما هو واقع فقوله تعالى **ام حسب الذين يعملون السيئات** يعني الشرك
ان يسبقونا اي يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم **سا ما يحكمون**
من كان يرجوا لقا الله قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من
كان يطمع في ثواب الله **فان اجل الله لات** يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب
وقيل هو يوم القيامة لكاين والمعنى ان من يخشى الله ويومله فليستعد له وليعمل
من لك اليوم **وهو السميع العليم** اي يعلم ما تعمل العباد من الطاعة والمعصية
فيثيبهم او يعاقبهم او يعفو قوله تعالى **ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه**
اي له ثواب وهذا الحكم لا توعده لا بحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفا والجهاد
هو الصبر على الاعدا والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس
ان الله لغني عن العالمين اي عن افعالهم وعبادتهم وفيه بشارة وتخويف
اما البشارة لانه اذا كان غنيا عن الاشيا فلو اعطى جميع ما خلقه لعبد
من عباده لا يبقى عليه لاستغنايه عنه وهذا يوجب الرجا التام واما التخويف
فان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو اهلكهم بعذابه فلا شي عليه لاستغنايه
عنهم **والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم** اي لنبطلها حتى تصير
بمنزلة من لم يعملها والتكفير اذهاب السيية بالحسنة **ولنجزينهم احسن
الذي كانوا يعملون** اي باحسن اعمالهم وهو الطاعة وقيل يعطيهم اكثر مما عملوا
قوله عز وجل **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** معناه برا بهما وعطفا عليهما
والمعنى ووصينا الانسان بوالديه ان يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه الاية
والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن ابي وقاص وهو ابو اسحاق سعد بن مالك

الزهري

الزهري وامه حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين
الاولين وكان بارا بامه قالت له امه ما هذا الذي احدثت والله ما اكل ولا
اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابدا الدهر ويقال يا قاتل
امه ثم انها مكثت ليلة لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت
ثم مكثت كذلك يوما اخر وليلة فجاءها فقال يا اماه لو كانت لك ماية نفس
فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي ان شيت وان شيت فلا تاكلي فلما
ايست منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الاية وامره بالبر لوالديه والاحسان
اليهما وان لا يطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى **وان جاهداك لتشرك بي
ما ليس لك به علم فلا تطعهما** وفي الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم
اوعد بالمصير اليه فقال تعالى **الي مرجعكم فانبيكم** اي فاخبركم **بما كنتم تعملون**
اي بصالح اعمالكم وسيها فاجازيكم عليها **والذين امنوا وعملوا الصالحات
لندخلنهم في الصالحين** اي في زمرة الصالحين وهم الانبيا والاوليا وقيل
في مدخل الصالحين وهو الجنة قوله تعالى **ومن الناس من يقول امنا بالله
فاذا اوذي في الله** يعني اصابه بلا من الناس افتتن **جعل فتنة الناس
كعذاب الله** اي جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الاخرة والمعنى انه
خرج من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف
من عذابه وهو المنافق اذا اوذي في الله رجع عن الدين وكفر **ولين جا نصر
من ربك** اي دولة للمومنين **ليقولن** اي هولا المنافقين للمومنين
انا كنا معكم اي على عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا
فاكذبهم الله تعالى فقال **اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين** اي من
الايمان والنفاق **وليعلمن الله الذين امنوا** اي صدقوا فثبتوا على الايمان
والاسلام عند البلا **وليعلمن المنافقين** اي بترك الاسلام عند البلا قيل نزلت
هذه الاية في اناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلا من الناس او مصيبة
في انفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر
وهم الذين نزلت فيهم الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم وقيل هذه الايات
العشر اول السورة الى ها هنا مدنية وباقي السورة مكية **وقال الذين كفروا**
يعني من اهل مكة وقيل قاله ابو سفيان **للذين امنوا اتبعوا سبيلنا** يعني
ديننا وملة ابايينا ونحن الكفلا بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله **ولنحمل
خطاياكم** اي اوزاركم والمعنى وان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله
عز وجل فقال تعالى **وما هم بحاملين من خطاياهم من شي انهم لكاذبون**
اي في قولهم نحمل خطاياكم **وليحملن اثقالهم** معناه اي اوزار اعمالهم التي
عملوها بانفسهم **واثقالا مع اثقالهم** اي اوزار من اضلوا وصدوا عن سبيل الله
مع اوزار انفسهم فان قلت قد قال اولا وما هم بحاملين من خطاياهم من شي

أي من قريش

وقال هاهنا وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت
معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤس
الضلال يحملون اوزارهم ويحملون اوزارا بسبب اضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله
عليه وسلم من سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها
يوم القيامة من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء رواه مسلم وليسألن
يوم القيامة عما كانوا يفترون اي سؤال توبيخ وتقريع لانه تعالى عالم
باعمالهم وافترائهم قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم
اي اقام فيهم يدعوهم الى العبادة والتوحيد الف سنة الا خمسين عاما
فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة
قلت فيه فائدتان احدهما ان الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب
فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السامع انه يقول
مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فان قال مائة سنة الا شهرا او الا سنة زال
وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا
واعلى مراتب العدد الف سنة وكان المراد التكثير فلذلك اتى بعقد الالف
لانه اعظم وافخم وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اعلم ان الانبيا قد
ابتلوا قبله وان نوحا لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم وصبر
في الدعا ولم يؤمن من قومه الا قليل لطول مدة لبثه وكثرة [illegible] قال ابن
عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة حتى كثر الناس
فكان عمره الفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك قوله تعالى فاخذهم الطوفان
اي فاغرقناهم وهم ظالمون معناه قال ابن عباس مشركون فانجيناه
واصحاب السفينة يعني من الغرق وجعلناها يعني السفينة اية اي عبرة
للعالمين قيل انها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم
بالغرق عبرة قوله تعالى وابراهيم اي وارسلنا ابراهيم اذ قال لقومه
اعبدوا الله واتقوه اي واطيعوا الله وخافوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
اي ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون انما تعبدون من دون الله
اوثانا وتخلقون افكا اي تقولون كذبا وقيل تصنعون اصناما
بايديكم وتسمونها الهة ان الذين تعبدون من دون الله لا اي لا يقدرون
يملكون ان يرزقوكم لكم رزقا فابتغوا اي فاطلبوا عند الله الرزق فانه القادر
على ذلك واعبدوه اي وحدوه واشكروا له لانه المنعم عليكم بالرزق واليه
ترجعون اي في الاخرة وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم اي مثل
قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله وما على الرسول الا البلاغ المبين
قوله تعالى اولم يروا قيل هذه الايات الى قوله فما كان جواب قومه تحتمل
ان تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة في قصة ابراهيم

وهي

وهي في تذكير اهل مكة وتحذيرهم ومعنى اولم يروا يعلموا كيف يبدئ الله الخلق
اي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يعيده اي في الاخرة عند البعث
ان ذلك على الله يسير اي الخلق الاول والخلق الثاني قل سيروا في الارض
فانظروا كيف بدأ الخلق اي انظروا الى ديارهم واثارهم كيف بدأ خلقهم
ثم الله ينشئ النشأة الاخرة اي ثم ان الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة
ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر عليه احداثهم مبدئا كذلك لا يتعذر
عليه انشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا ان الله على كل شيء قدير اي
من البداءة والاعادة يعذب من يشاء عدلا منه ويرحم من يشاء
تفضلا واليه تقلبون اي تردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء
قيل معناه ولا من في السماء بمعجز والمعنى انه لا يعجزه اهل الارض في الارض
ولا اهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء اي لو كنتم فيها وما لكم
من دون الله من ولي اي يمنعكم مني ولا نصير اي ينصركم من عذابي والذين
كفروا بايات الله يعني القران ولقائه اي البعث اولئك يئسوا من
رحمتي يعني الجنة واولئك لهم عذاب اليم فهذا اخر الايات في تذكير
اهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال
الرؤسا للاتباع اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار اي بان جعلها
عليه بردا وسلاما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار ان في ذلك لايات
لقوم يؤمنون اي يصدقون وقال يعني ابراهيم لقومه
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا اي ثم ينقطع ولا
ينفع في الاخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في
الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا تتبرأ
الاوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة
ومأواكم النار يعني العابدين والمعبودين جميعا وما لكم من ناصرين
اي مانعين من عذابه فامن له لوط اي صدقه برسالته لما راى معجزاته
وهو اول من صدق ابراهيم واما في اصل التوحيد فانه كان مؤمنا لان الانبيا
لا يتصور فيهم الكفر وقال يعني ابراهيم اني مهاجر الى ربي اي حيث امرني
فهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشام ومعه لوط
وامراته سارة وهو اول من هاجر الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث
امره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة انه هو
العزيز اي الذي لا يغلب والذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني
الا بما يصلحني قوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة
والكتاب قال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله

وآتيناه اجره في الدنيا هو الثنا الحسن فكل اهل الاديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل ادم ونوح قوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه اينكم لتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة ما سبقكم بها من احد من العالمين اي لم يفعلها احد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال اينكم لتاتون الرجال يعني انكم تقضون الشهوة من الرجال وتقطعون السبيل وذلك انهم كانوا ياتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النسا وتاتون في ناديكم المنكر اي مجالسكم والنادي مجلس القوم ومتحدثهم عن ام هاني بنت ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وتاتون في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون اهل الارض ويسخرون منهم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الحذف هو رمي الحصا بين الاصابع وقيل انهم كانوا يجلسون في مجلسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه قال انا اولى به وقيل انه كان ياخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض وقيل كان من اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحنا وحل الازار والصفير والحذف والرمي بالجلاهق واللوطية فما كان جواب قومه اي لما انكر عليهم لوط ما ياتونه من القبائح الا ان قالوا يعني استهزاء ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي ان العذاب نازل بنا فعند ذلك قال رب انصرني على القوم المفسدين اي بتحقيق قولي ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى يعني من الله باسحاق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعني قوم لوط والقرية سدوم ان اهلها كانوا ظالمين قال يعني ابراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله ان فيها لوطا قالت الملائكة قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين اي من الباقين في العاقبين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اي ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاءه ما ساءه وضاق بهم ذرعا اي عجز عن تدبير امرهم فحزن لذلك وقالوا لا تخف اي من قومك ولا تحزن علينا انا منجوك واهلك اي انا مهلكوهم ومنجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا اي عذابا من السما وقيل هو الخسف والحصب بالحجارة بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها اي قريات لوط اية بينة اي عبرة ظاهرة لقوم يعقلون يعني افلا يتدبرون الايات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الاية البينة

اثار

اثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله حتى ادركها اوايل هذه الامة وقيل هو ظهور الماء الاسود على وجه الارض قوله تعالى والى مدين اي وارسلنا الى مدين ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وارسلنا الى قرية مدين واولاده وعلى القول الثاني وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر اي افعلوا فعل من يرجوا اليوم الاخر وقيل معناه اخشوا اليوم الاخر وخافوه ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين اي باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا اي واهلكنا عادا وثمودا وقد تبين لكم يا اهل مكة من مساكنهم اي من منازلهم بالحجر واليمن وزين لهم الشيطان اعمالهم اي عبادتهم لغير الله فصدهم عن السبيل اي عن سبيل الحق وكانوا مستبصرين اي عقلا وذوي بصاير وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين وقارون وفرعون وهامان يعني اهلكنا هولا ولقد جاءهم موسى بالبينات اي بالدلالات الواضحات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين اي فايتين من عذابنا فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط رموا بالحصبا وهي الحصى الصغار ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم اي بالهلاك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي بالاشراك قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا يعني الاصنام يرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها تاوي اليه وان بيتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذي يعبد الاصنام بالقياس الى المومن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر فكما ان اوهن البيوت اذا استقرئ بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك اضعف الاديان اذا استقرئ دينا دينا عبادة الاوثان لانها لا تضر ولا تنفع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اشارة الى ضعفه فانه اذا هبت عليه الريح او لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا اثر فقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن لو كانوا يعلمون اي ان هذا مثلهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء هذا توكيد

للمثل وزيادة عليه يعني ان الذين تدعون من دونه ليس بشيء وهو العزيز
الحكيم معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر
على كل شيء ويشتغل بعبادة ما ليس بشيء اصلا وتلك الامثال نضربها للناس
اي الاشباه يعني امثال القرآن التي شبهنا احوال الكفار من هذه الامة
باحوال كفار الامم السابقة نضربها اي نبينها للناس اي لكفار مكة وما
يعقلها الا العالمون يعني ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون
عن الله عز وجل روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ان النبي
صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها
الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله
السموات والارض بالحق اي للحق واظهار الحق ان في ذلك لاية
اي دلالة للمومنين على قدرته وتوحيده وقوله تعالى اتل ما اوحي
اليك من الكتاب يعني القرآن واقم الصلاة فان قلت لما امر بهذين
الشيئين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة
بالعبد ثلاثة قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية
وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيئا لا يمكنه ان يعتقده
مرة اخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقي الذكر والعبادة البدنية ممكن التكرار
فلذلك امر بهما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء اي ما قبح من الاعمال والمنكر
اي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر
عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده
صلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر
فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصي
والسيئات كما روى عن انس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلاة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيئا الا ركبه فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث الا ان تاب وحسن
حاله وقيل معنى الاية انه ما دام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر
ومنه قوله ان في الصلاة لشغلا وقيل اراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف
لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر
كما روي عن جابر قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن
الليل كله فاذا اصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي رواية انه قيل يا رسول الله
ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه على كل حال فان
المراعي للصلاة لا بد وان يكون ابعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها ولذكر الله
اكبر اي انه افضل الطاعات عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير

لكم

لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله
قال ذكر الله اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد الخدري قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل اي العبادة افضل درجة عند الله يوم القيامة
قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله والغازي في سبيل الله فقال
لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب في سبيل الله دما
كان الذاكرون الله كثيرا افضل منه درجة م عن ابي هريرة قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال
الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها
والتشديد اشهر يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس
وحده مراعيا للامر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون
به غيره خ عن ابي هريرة وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا
يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم
السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله
اي الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله وقال
ابن عباس معنى ولذكر الله اكبر ذكر الله اياكم افضل من ذكركم اياه وروي
ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطا ولذكر الله اكبر
اي لن يبقى معه معصية والله يعلم ما تصنعون اي لا يخفى عليه شيء من
امركم قوله عز وجل ولا تجادلوا اهل الكتاب اي ولا تخاصموهم الا
بالتي هي احسن اي القرآن والدعاء الى الله تعالى باياته والتنبيه على
حججه واراد به من قبل الجزية منهم الا الذين ظلموا منهم اي ابوا ان يعطوا
الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية ومعنى
الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم اهل الحرب ومن لا
عهد له وقيل الاية منسوخة باية السيف وقولوا اي للذين قبلوا الجزية
اذا حدثوكم بشيء مما في كتبهم امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا
والهكم واحد ونحن له مسلمون خ عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤون
التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل
الينا الاية قوله عز وجل وكذلك اي كما انزلنا اليهم الكتب انزلنا اليك
فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به يعني مؤمني اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن هؤلاء يعني اهل مكة من يؤمن به
وما يجحد باياتنا الا الكافرون وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نبي والقرآن حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد المعرفة وما كنت
تتلو يا محمد من قبله من كتاب معناه من كتاب اي من قبل ما انزلنا اليك

الكتاب ولا تخطه بيمينك اي ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرا ولم تكتب قبل
الوحي اذا لارتاب المبطلون معناه لو كنت تكتب او تقرا قبل الوحي لشك
لارتاب المشركون من اهل مكة وقالوا انه يقراه من كتب الاولين او ينسخه
منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه انهم اذا شكوا فيه واتهموك وقالوا
ان الذي نجد نعته في التوراة لا يقرا ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت
بل هو ايات بينات يعني القران في صدور الذين اوتوا العلم
يعني المومنين الذين حملوا القران وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ذو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم يجدون نعته
وصفته في كتبهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون يعني اليهود وقالوا يعني
كفار مكة لولا انزل عليه ايات من ربه اي كما انزل على الانبيا من قبل وقيل
اراد بالايات معجزات الانبيا مثل ناقة صلح ومايدة عيسى ونحو ذلك قل
انما الايات عند الله اي هو القادر على انزالها اذا شا انزلها وانما انا
نذير مبين اي انما كلفت الانذار وليس انزال الايات بيدي اولم يكفهم
انا انزلنا هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه اية من ربه قال اولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم معناه ان القران معجزة اتم من معجزة
من تقدم من الانبيا لان معجزة القران تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة
لا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها ان في ذلك يعني القران لرحمة وذكرى
لقوم يومنون اي تذكيرا وعظة لمن امن به وعمل صالحا به قل كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا قال ابن عباس معناه يشهد لي اني رسوله والقران كتابه
ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه
يعلم ما في السموات والارض اي هو المطلع على امري وامركم ويعلم حقي وباطلكم
لا تخفى عليه خافية والذين امنوا بالباطل قال ابن عباس يعني بغير الله وقيل
بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل وكفروا بالله
فان قلت من امن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فايدة غير التاكيد
قلت نعم فايدته انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول فهو كقول القايل اتقول الباطل
وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح اولئك هم الخاسرون اي المغبونون في
صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب
نزلت في النضر بن الحرث حيث قال فامطر علينا حجارة من السما ولولا اجل
مسمى قال ابن عباس ما وعدتك اني لا اعذب قومك ولا استاصلهم واوخر
عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة اعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب
وقيل يوم بدر لجاءهم العذاب وليأتينهم يعني العذاب وقيل الاجل
بغتة وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب اعاده تاكيدا وان
جهنم لمحيطة بالكافرين اي جامعة لهم لا يبقى منهم احد الا دخلها يوم

يغشاهم

يغشاهم العذاب اي يصيبهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم ونقول
ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزا ما كنتم تعملون قوله تعالى يا عبادي الذين
امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون قيل نزلت في ضعفا مسلمي اهل
مكة يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها
الى ارض المدينة واسعة امنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا
نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الاية ولم
يعذرهم بترك الخروج وقيل معنى تهاجروا فيها اي جاهدوا فيها قال سعيد
ابن جبير اذا عملوا في الارض بالمعاصي فاهربوا فان ارضي واسعة وكذلك يجب
على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى بلد
تتهيا له فيها العبادة وقيل معنى ان ارضي واسعة اي رزقي لكم واسع فاخرجوا
كل نفس ذايقة الموت اي كل احد ميت خوفهم بالموت لتهون الهجرة عليهم
فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت ثم الينا ترجعون فيجزيكم
باعمالكم قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوينهم من الجنة غرفا
اي علالي جمع غرفة وهي العلية تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم
اجر العاملين اي لله بطاعته الذين صبروا على الشدايد ولم يتركوا
دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين
وعلى المحن والمصايب وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون
على الله في جميع امورهم قوله عز وجل وكاين من دابة لا تحمل رزقها وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمومنين الذين كانوا بمكة وقد اذاهم المشركون
هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا فيها دار ولا مال
فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
اي لا ترفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيا لغد مثل البهايم والطير الله
يرزقها واياكم حيث كنتم وهو السميع العليم اي لاقوالكم بما في قلوبكم
عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب اول النهار جياعا ضامرة
البطون وتروح اخر النهار الى اوكارها شباعا ممتلية البطون ولا تدخر شيا
قال سفيان بن عيينة ليس شي يخبا الا الانسان والفارة والنملة عن ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الانسان ليس من شي يقاربكم
من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد امرتكم به وليس شي يقربكم من النار ويباعدكم
من الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين نفث في روعي الروع بضم
الرا والعين المهملة هو القلب والعقل وبفتح الرا هو الخوف قال الله تعالى
فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي الخوف انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها

فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي
الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته قوله عز وجل **ولئن سألتهم**
يعني كفار مكة **من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر** ذكر امرين
احدهما اشارة الى ايجاد الذات والثاني اشارة الى ايجاد الصفات وهي الحركة
في الشمس والقمر **ليقولن الله فاني يؤفكون** قيل معناه انهم يعتقدون
هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال
الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق فالله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق
فله الفضل والاحسان والطول والامتنان **ويقدر له** اي يضيق عليه اذا
شاء **ان الله بكل شيء عليم** اي يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق **ولئن سألتهم**
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله
ذكر سبب الرزق وموجد السبب وموجد المسبب فالرزق من الله تعالى
قل الحمد لله اي على ان الفاعل هو الله تعالى وقيل الحمد لله على اقرارهم
ولزوم الحجة عليهم بانه الخالق لهم **بل اكثرهم لا يعقلون** اي انهم ينكرون
التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشياء قوله تعالى **وما هذه الحياة**
الدنيا الا لهو ولعب اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا
يعنيه وما لا يهمه واللعب هو العبث وفي هذا تصغير الدنيا وازدراؤها ومعنى
الاية ان سرعة زوال الدنيا عن اهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان
ساعة ثم ينصرفون **وان الدار الاخرة لهي الحيوان** اي الحياة الدائمة الخالدة
التي لا موت فيها **لو كانوا يعلمون** فناء الدنيا وبقاء الاخرة لما اثروا الفاني
على الباقي قوله عز وجل **فاذا ركبوا في الفلك** معناه هم على ما وصفوا
به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك وخافوا الغرق **دعوا الله**
مخلصين له الدين اي تركوا الاصنام ولجأوا الى الله تعالى بالدعاء له **فلما نجاهم**
الى البر اذا هم يشركون اي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد
وقيل كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح القوها
في البحر وقالوا يا رب يا رب **ليكفروا بما آتيناهم** اي ليجحدوا نعمة الله
في انجائه اياهم ومعناه التهديد والوعيد **وليتمتعوا** معناه لا فائدة
لهم في الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الاخرة
فسوف يعلمون يعني عاقبة امرهم ففيه تهديد ووعيد قوله عز وجل
اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم يعني العرب
يسبي بعضهم بعضا واهل مكة آمنون **افبالباطل** يعني الشيطان
والاصنام **يؤمنون وبنعمة الله** اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام
يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي فزعم ان له شريكا فانه منزه عن

الشركا

الشركاء **وكذب بالحق** اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن **لما جاءه أليس**
في جهنم مثوى للكافرين معناه اما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم قوله عز
وجل **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** معناه جاهدوا المشركين
لنصرة ديننا لنهدينهم سبلنا لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم
هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وهي التي توصل الى رضى الله
تعالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان
الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على
الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب
العلم لنهدينهم سبل العلم والعمل وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا
في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة به وقال ابن عباس والذين جاهدوا
في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا **وان الله لمع المحسنين** اي بالنصرة والمعونة
في دنياهم والمغفرة في عقباهم في الاخرة وثوابهم الجنة والله اعلم

تفسير سورة الروم

مكية وهي ستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة واربع
وثلاثون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله تعالى
الم غلبت الروم في ادنى الارض سبب نزول هذه الاية ما ذكره المفسرون
انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب
فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم
على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم
رجلا يقال له شهربراز وبعث قيصر رجالا وجيشا وامر عليهم رجلا يدعى
يحنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت
فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا
للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وفارس اميون وقد
ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن
عليكم فانزل الله هذه الايات فخرج ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم
لظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال انت اكذب
يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة بالحاء المهملة القمار
والمراهنة اي اراهنك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم
على فارس غرمت وان ظهرت فارس على الروم غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث
سنين فجاء ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع

فزايده في الخطر وماده في الاجل فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت
فقال لا فتعال ازيدك في الخطر وامادك في الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة
قلوص الى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج ابو بكر
من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فقم لي بضامن كفيل
فكفله ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله
ابن ابي بكر فلزمه وقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم
خرج الى احد قال ثم رجع ابي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحاته التي جرحه
النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك
على راس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم
بالمداين وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال
الخطر من ورثته وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار
فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس على
ما قال عكرمة وغيره ان شهرمان لما غلب الروم ولم يزل يطاهم ويخرب مداينهم
حتى بلغ الخليج فبينا اخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لاصحابه لقد
رايت كاني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته الى كسرى فكتب الى شهرمان
اذا اتاك كتابي فابعث الي براس اخيك فرخان فكتب اليه ايها الملك انك لم تجد
مثل فرخان ان له نكاية وصوتا في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس
خلفا عنه فعجل الي براسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه فبعث بريدا الى اهل
فارس اني قد عزلت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرخان ثم بعث مع البريد
صحيفة صغيرة وامره فيها بقتل شهرمان وقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد
له اخوه فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهرمان وعرض عليه كتاب كسرى
فلما قراه قال سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك واجلس عليه اخاه فرخان فدفع
البريد الصحيفة الى فرخان فلما قراها استدعى باخيه وقدمه ليضرب عنقه
فقال له لا تعجل حتى اكتب وصيتي قال نعم فدعى بسفط ففتحه واعطاه ثلاث
صحايف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وانت تريد تقتلني بكتاب واحد فرد
فرخان الملك الى اخيه شهرمان فكتب الى قيصر ملك الروم اما بعد ان لي اليك حاجة
لا يحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى القاك في خمسين
فارسا فاقبل قيصر في خمسمائة الف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق
مخافة ان يريد ان يمكر به حتى اتاه عيونه فاخبروا انه ليس معه الا خمسون
فارسا فلما التقيا ضربت لهما قبة فيها ديباج فدخلاها ومع كل واحد سكين
ودعيا بترجمان يترجم بينهما فقال شهرمان ان الذين خربوا بلادك انا واخي
بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا واراد ان يقتل اخي فابيت عليه ثم
امر اخي يقتلني فابى علي وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال اصبتما

واشار

واشار احدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوزهما فشا فقتلا الترجمان
معا بسكينيهما فادلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات
كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن
كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل **الم غلبت الروم في ادنى
الارض** يعني قرب ارض الشام الى فارس وقيل هي اذرعات وقيل الاردن وقيل
الجزيرة **وهم من بعد غلبهم** اي فارس عليهم **سيغلبون** اي الروم فارس
في بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى السبع وقيل ما دون العشرة **لله
الامر من قبل ومن بعد** اي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو
بامر الله تعالى وقضايه وقدره **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله** اي للروم
على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين
يوم بدر وفرحوا بظهور اهل الكتاب على اهل الشرك **ينصر من يشاء** اي بيده
النصر ينصر من يشاء **وهو العزيز** الغالب **الرحيم** اي بالمؤمنين قوله تعالى
وعد الله اي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس **لا يخلف الله وعده
ولكن اكثر الناس لا يعلمون** اي ان الله لا يخلف وعده ثم قال تعالى
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني امر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون
ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون ان احدهم لينقد الدرهم بطرف ظفره
فيذكر وزنه لا يخطي وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما
يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها ولا مضارها وتبعاتها
وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فنائها **وهم عن الاخرة هم غافلون**
ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعملون بها قوله عز وجل **اولم يتفكروا
في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق** يعني لاقامة الحق
واجل مسمى اي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة
وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اولم يسيروا في الارض اي
يسافروا فيها **فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** اي ينظروا الى مصارع
الامم قبلهم فيعتبروا **كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض** اي حرثوها
وقلبوها للزراعة **وعمروها** يعني الامم الخالية **اكثر مما عمروها** يعني
اهل مكة **وجاءتهم رسلهم بالبينات** اي فلم يؤمنوا فاهلكهم الله **فما كان
الله ليظلمهم** اي بنقص حقوقهم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** اي ببخس
حقوقهم **ثم كان عاقبة الذين اساؤا** اي اساؤا العمل واستحقوا **السوأى**
يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوأى اسم لجهنم ومعنى الاية ان عاقبة
الذين عملوا السوء النار **ان كذبوا** اي لانهم كذبوا وقيل معنى الاية ثم كان
عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك السيئات على ان كذبوا **بايات الله وكانوا
بها يستهزؤن** قوله تعالى **الله يبدؤ الخلق ثم يعيده** اي يخلقهم ابتدا

ثم يعيدهم بعد الموت احيا ثم اليه ترجعون اي فيجزيهم باعمالهم ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قيل معناه انه ييئس من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحجتهم وقيل يفتضحون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا وكانوا بشركائهم كافرين اي جاحدين متبرئين يتبرءون منها وتتبرأ منهم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي يتميز اهل الجنة من اهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار فلا يجتمعون ابدا فهو قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة اي في جنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة يحبرون قال ابن عباس يكرمون وقيل ينعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال الاوزاعي ليس احد من خلق الله تعالى احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا اخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة الا وردته وسئل ابو هريرة رضي الله عنه هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة اصلها من ذهب واغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فتحاوب بعضها بعضا فلا يسمع احد احسن منه واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي البعث يوم القيامة فاولئك في العذاب محضرون قوله تعالى فسبحان الله يعني اي فسبحوا الله ومعناه صلوا لله حين تمسون اي حين تدخلون في المسا وهو صلاة المغرب والعشا وحين تصبحون اي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح وله الحمد في السموات والارض قال ابن عباس يحمده اهل السموات والارض ويصلون له وعشيا اي وصلوا لله عشيا يعني صلاة العصر وحين تظهرون اي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وقرأ هاتين الايتين وقال جمعتا الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم انما خص هذه الاوقات بالتسبيح وذلك ان افضل الاعمال اداومها لكن الانسان لا يقدر ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه يحتاج الى ما يعيشه من ماكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وامره بها في اول النهار ووسطه واخره وفي اول الليل واخره فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في اوقاتها فكانما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته في التسبيح والعبادة

فصل في فضل التسبيح

عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي

صلى الله

ولم يكن لهم من شركائهم يعني اصنامهم التي عبدوها شفعاء

صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه اخرجهما الترمذي وقال فيهما حسن صحيح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث اخرجه في صحيح البخاري عن جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجدها فرجع بعدما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته م عن سعد بن ابي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكتسب في كل يوم الف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكسب الف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف خطيئة وفي رواية غير مسلم يحط عنه اربعين الف قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المومن من الكافر ويخرج الكافر من المومن ويحيي الارض بعد موتها اي بالمطر واخراج النبات منها وكذلك تخرجون اي مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من القبور للبعث والحساب ومن اياته ان خلقكم من تراب اي خلق اصلكم وهو ادم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي تنبسطون في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم من بني ادم وقيل خلق حوا من ضلع ادم لتسكنوا اليها اي تميلوا الى الازواج وتالفوهن وجعل بينكم مودة ورحمة اي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة ولا قرابة ولا معرفة ولا سبب يوجب التعاطف وما شيء احب الى احدهما من الاخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون اي في عظمة الله وقدرته ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم اي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل اراد اجناس النطق واشكاله خالف بينهما حتى لا يكاد يسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهما نطقه ونغمته لا يشبه صوت احد صوت الاخر والوانكم اي اسود وابيض واشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وانتم بنو رجل واحد ومن اصل واحد وهو ادم عليه السلام والحكمة في اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف ليعرف كل واحد بشكله وحليته وصورته فلو اتفقت الاصوات

وقيل

والصور وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت
مصالح كثيرة وليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقرابة من البعيد
فسبحان من خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وفي ذلك دليل على سعة القدرة
وكمال العظمة ان في ذلك لايات للعالمين اي لعموم العلم فيهم ومن اياته
منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله اي منامكم بالليل للراحة
وابتغاؤكم من فضله وهو طلب اسباب المعيشة بالنهار ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون اي سماع تدبر واعتبار ومن اياته يريكم البرق خوفا
وطمعا للمسافر ويستعد للمطر وينزل اي المطر للمقيم ليستعد المحتاج اليه
من اجل الزرع وتسوية طرق المصانع من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اي قدرة الله وانه القادر عليه
ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره قال ابن عباس وابن مسعود قامتا
على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
قال ابن عباس من القبور اذا انتم تخرجون اي منها وقيل معنى الاية ثم اذا
دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون من الارض وله من في السموات
والارض كل له قانتون اي مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون في
الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا في العبادة وهو الذي يبدؤ
الخلق ثم يعيده اي يخلقهم اولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث وهو اهون
عليه اي هو هين عليه وما من شيء عليه بعزيز وقيل معناه وهو ايسر عليه
فان الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون اهون من الانشاء وقيل هو
اهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة فيكونون اهون عليه من
ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغة الى ان يصيروا رجالا ونساء وهو رواية
عن ابن عباس وله المثل الاعلى اي الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثله
شيء وقيل هو الذي لا اله الا هو في السموات والارض وهو اي في ملكه
العزيز الحكيم اي في خلقه قوله عز وجل ضرب لكم مثلا اي بين لكم
شبها بحالكم ذلك المثل من انفسكم ثم بين المثل فقال تعالى هل لكم مما
ملكت ايمانكم اي عبيدكم واماءكم من شركاء فيما رزقناكم اي المال فانتم
فيه سواء اي هل يشارككم عبيدكم في اموالكم الذي اعطيناكم تخافونهم
كخيفتكم انفسكم اي تخافون ان يشاركوكم في اموالكم ويقاسموكم كما يخاف
الحر من شريكه الحر في المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بامره دون شريكه ويخاف
الرجل شريكه في الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم
كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولا ترضونه لانفسكم
فكيف ترضون ان تكون الهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي كذلك نفصل
الايات لقوم يعقلون اي الدلالات والبراهين والامثال لعقولهم

بل اتبع

بل اتبع الذين ظلموا يعني اشركوا بالله اهواءهم يعني في الشرك بغير علم جهلا بما
يجب عليهم فمن يهدي من اضل الله اي عن طريق الهدى وما لهم من ناصرين
اي مانعين يمنعونهم من عذاب الله قوله تعالى فاقم وجهك للدين اي اخلص
دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه اليه الانسان ودينه
وعمله مما يتوجه اليه لسدده قوله تعالى حنيفا اي مائلا اليه مستقيما عليه
فطرت الله اي دين الله والمعنى الزم فطرة الله التي فطر الناس عليها قال
ابن عباس خلق الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الاسلام ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة ثم
يقول اقرؤا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين
القيم زاد البخاري فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة
جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة اقرؤا فطرت الله الاية
ولهما في رواية قالوا يا رسول الله افرايت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا
عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة يعني على العهد الذي اخذ الله
عليهم بقوله الست بربكم قالوا بلى فكل مولود في العالم على ذلك الاقرار
وهي الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمان
الفطري في احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعي المامور به المكتسب بالارادة
والفعل الا ترى انه قال فابواه يهودانه وينصرانه فهو مع وجود الايمان
الفطري فانه محكوم له بحكم ابويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث يرويه عن ربه عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم
الشياطين عن دينهم وحكي عن عبد الله بن المبارك انه قال معنى الحديث ان كل
مولود يولد على فطرته اي خلقته التي خلقه الله عليها في علم الله تعالى من
السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة الى ما فطر عليها وعامل
في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين
او نصرانيين فيحملانه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود في مبدا الخلقة
على الفطرة اي الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر
على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه في العقول السليمة وانما يعدل عنه
من يعدل الى غيره لافة من الافات كالتقليد فمن سلم من تلك الافات لم يعتقد
غيره ثم تمثل باولاد اليهود والنصارى واتباعهم لابائهم والميل الى اديانهم فيزلون
بذلك عن الفطرة والحجة المستقيمة قوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء اي كما تلد
البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شيء وقوله هل تحسون فيها من جدعاء
يعني هل تشعرون او تعلمون فيها من جدعاء وهي المقطوعة الاذن او الانف
وقوله عز وجل لا تبديل لخلق الله اي لا تبديل لدين الله وقيل معنى الاية

الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبديل لخلق الله ما
جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي
سعيدا وقيل الاية في تحريم خصاء البهائم ذلك الدين القيم المستقيم ولكن
اكثر الناس لا يعلمون قوله عز وجل منيبين اليه اي فاقم وجهك انت وامتك
منيبين اليه لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة والمعنى راجعين الى الله
تعالى بالتوبة مقبلين اليه بالطاعة واتقوه اي ومع ذلك خافوه واقيموا
الصلاة اي داوموا على ادائها في اوقاتها ولا تكونوا من المشركين من الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا اي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى
وقيل هم اهل البدع من هذه الامة كل حزب بما لديهم فرحون اي راضون بما
عندهم قوله تعالى واذا مس الناس ضر اي قحط وشدة دعوا ربهم منيبين
اليه اي مقبلين اليه بالدعا ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي خصب ونعمة اذا فريق
منهم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله عليهم فتمتعوا
فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار فسوف تعلمون اي حالكم في هذه الاخرة
ام انزلنا عليهم سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا فهو يتكلم
اي ينطق بما كانوا به يشركون اي بشركهم ويامرهم به واذا اذقنا الناس
رحمة اي الخصب وكثرة المطر فرحوا بها اي فرحوا وبطروا وان تصبهم سيئة
اي جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلا بما قدمت ايديهم من السيئات اذا هم يقنطون
اي ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر ربه عند النعمة
ويرجوه عند الشدة اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ان
في ذلك لايات لقوم يؤمنون تقدم تفسيره قوله عز وجل فات ذا القربى
حقه اي من البر والصلة والمسكين اي حقه وهو التصدق عليه وابن السبيل
اي المسافر وقيل هو الضيف ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي يطلبون ثواب
الله بما يعملون واولئك هم المفلحون قوله عز وجل وما اتيتم اي اعطيتم
من ربا ليربو في اموال الناس اي اجتلاب اموال الناس واجتذابها قيل في
معنى الاية هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه اكثر منها فهو جائز حلال ولكن لا
يثاب عليها في القيامة وهو قوله تعالى فلا يربو عند الله وكان حراما على النبي
صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط ولا تطلب اكثر مما اعطيت
وقيل هو الرجل يعطي صديقا او قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو
الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه
لا لوجه الله تعالى فلا يربو عند الله لانه لا يريد بعمله وجه الله وما اتيتم من
زكاة اي اعطيتم من صدقة تريدون وجه الله اي بتلك الصدقة فاولئك
هم المضعفون اي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر امثالها فالمضعف
ذو الاضعاف من الحسنات قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم

يحييكم

يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون
تقدم تفسيره قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر اي بسبب الشرك
والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبوادي والمفاوز والقفار
والبحر قيل المداين والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا
تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض الامصار
وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما يؤثر في البر يؤثر في البحر بخلو اجواف
الاصداف من اللؤلؤ وذلك ان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الما وتفتح
افواهها فما وقع فيه المطر صار لؤلؤا بما كسبت ايدي الناس اي بسبب
شؤم ذنوبهم قال ابن عباس الفساد في البر قتل احد بني ادم اخاه وفي البحر
غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الارض خضرة مونقة لا ياتي ابن ادم
شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ما البحر عذبا وكان لا يقصد البقر الغنم
فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ما البحر
ملحا زعافا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض ملئت ظلما وضلالا
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل
اراد بالناس كفار مكة ليذيقهم بعض الذي عملوا اي عقوبة الذي عملوا من
الذنوب لعلهم يرجعون اي عن الكفر واعمالهم الخبيثة قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اي لتروا منازلهم ومساكنهم
خاوية كان اكثرهم مشركين اي فاهلكوا بكفرهم قوله عز وجل فاقم
وجهك للدين القيم اي الدين الاسلام من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله
يعني يوم القيامة لا يقدر احد على رده من الخلق يومئذ يصدعون
اي يتفرقون ثم ذكر التفريق فقال تعالى من كفر فعليه كفره اي وبال
كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يوطئون المواضع ويسوونها
في القبور ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله قال ابن عباس
ليثيبهم الله ثوابا اكثر من اعمالهم انه لا يحب الكافرين فيه تهديد ووعيد
لهم قوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر وليذيقكم
من رحمته اي المطر وهو الخصب ولتجري الفلك اي بهذه الرياح بامره
ولتبتغوا من فضله معناه اي لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم
تشكرون اي هذه النعم قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
فجاؤوهم بالبينات اي بالدلالات الواضحات على صدقهم فانتقمنا من
الذين اجرموا يعني اي عذبنا الذين كذبوهم وكان حقا علينا نصر
المؤمنين اي مع انجائهم من العذاب ففيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم
بالظفر في العاقبة والنصر على الاعداء عن ابي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه

نار جهنم يوم القيامة ثم تلى هذه الاية وكان حقا علينا نصر المومنين اخرجه
الترمذي ولفظه من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة
وقال الحديث حسن قوله عز وجل الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
اي ينشره فيبسطه في السما كيف يشا يعني مسيرة يوم او يومين او اكثر على
ما يشا ويجعله كسفا اي قطعا متفرقة فترى الودق اي المطر يخرج
من خلاله اي من وسطه فاذا اصاب به اي بالودق من يشا من عباده
اذا هم يستبشرون اي يفرحون بالمطر وان كانوا اي وقد كانوا من قبل
ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي ايسين فانظر الى اثر رحمة الله
اي المطر والمعنى انظر الى حسن تاثيره في الارض وهو قوله تعالى كيف يحيي
الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى يعني ان الذي احيى الارض بعد
موتها قادر على احيا الموتى وهو على كل شي قدير ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا
اي الزرع بعد الخضرة لظلوا من بعده اي من بعد اصفرار الزرع يكفرون
اي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب واذا ارسلت عذابا
على زرعهم جحدوا سالف نعمتي فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا اذا
ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن باياتنا
فهم مسلمون تقدم تفسيره قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف اي مبديكم
ومنشيكم على ضعف وقيل من ما ذي ضعف وقيل هو اشارة الى احوال الانسان
كان جنينا ثم طفلا مولودا او مفطوما فهذه احوال لغاية الضعف ثم جعل
من بعد ضعف قوة اي من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة ثم
جعل من بعد قوة ضعفا اي هرما وشيبة وهو تمام النقصان
يخلق ما يشا اي من الضعف والقوة والشباب والشيبة ليس ذلك
من افعال الطبيعة بل بمشية الله تعالى وقدرته وهو العليم بتدبير خلقه
القدير على ما يشا قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون اي
يحلف المشركون ما لبثوا اي في الدنيا غير ساعة معناه انهم استقلوا
اجل الدنيا لما عاينوا الاخرة وقيل معناه ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كذلك
كانوا يوفكون اي يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك انهم كذبوا في قولهم
ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا بعث والمعنى ان الله اراد ان يفضحهم
فحلفوا على شي تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضا الله وقدره
ثم ذكر انكار المومنين عليهم كذبهم فقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم
والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اي فيما كتب الله لكم في سابق
علمه من اللبث في القبور وقيل معنى الاية وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله
والايمان يعني الذين يقرون كتاب الله قالوا للمنكرين قد لبثتم الى يوم البعث
اي في قبوركم فهذا يوم البعث اي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ولكنكم

كنتم

منهم يستعتبون

كنتم لا تعلمون اي وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الان يدل عليه قوله تعالى
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم اي لا يطلب منهم العتبى والرجوع
في الاخرة وقيل لا يطلب منهم التوبة التي تزيل الجريمة لانها لا تقبل منهم قوله
تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل فيه اشارة
الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار ولئن جئتهم
باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون يعني ما انتم الا على
باطل وذلك على سبيل العناد فان قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولئن
جئتهم والجمع في قوله ان انتم الا مبطلون قلت فيه لطيفة وهي ان الله تعالى
قال ولئن جئتهم بكل اية جاءت بها الرسل ويمكن ان يقال انكم كلكم ايها الرسل
مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون اي توحيد الله
فاصبر ان وعد الله حق اي في نصرك واظهارك على عدوك ولا يستخفنك
اي لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستخفنك رايك وجهلك الذين لا
يوقنون بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار
كتابه

تفسير سورة لقمان

مكية وهي اربع وثلاثون اية وخمسماية وثمان واربعون كلمة والفان
ومائة وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين
اي الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة
وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث الايات قيل نزلت في النضر
ابن الحرث بن كلدة وكان يتجر فياتي الحيرة ويشتري اخبار العجم ويحدث بها
قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث
رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون
استماع القران فانزل الله هذه الاية وقيل هو شري القينات والمغنين
ومعنى الاية ومن الناس من يشتري ذات لهو او ذا لهو الحديث وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل
تعليم المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وفي مثل هذا نزلت هذه الاية
ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته
بالغنا الا بعث الله له شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا
المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت اخرجه
الترمذي وهذا لفظه عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن

ومنهم من حرام وفي مثل هذا انزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية وعن ابي
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب المزمار وقال مكحول
من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم اصل
عليه ان الله يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية وعن ابن مسعود وابن
عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والاية نزلت
فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن
وقال ابو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الاية فقال هو الغناء والله الذي
لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق
وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك ليضل عن سبيل الله اي عن دين الاسلام
وسماع القرآن بغير علم اي يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلالة ان
يختار حديث الباطل على حديث الحق ويتخذها هزوا اي يتخذ آيات الله مزحا
اولئك يعني الذين هذه صفتهم لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا
ولى مستكبرا اي لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا كأن لم يسمعها اي يشبه
حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا
وقر فيها فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
النعيم خالدين فيها وعد الله حقا يعني وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف
الميعاد وهو العزيز الحكيم قوله تعالى خلق السموات بغير عمد قيل ان السماء
خلقت مبسوطة كصحيفة مستوية وهو قول المفسرين في الفضاء والفضاء
لا نهاية له وكون السماء في بعضه دون بعض ليس ذلك الا بقدرة قادر مختار
واليه الاشارة بقوله بغير عمد ترونها اي ليس شيء يمنعها الزوال من
موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرة الله تعالى في قوله ترونها
وجهان احدهما انه راجع الى السموات اي ليس لها عمد انتم ترونها كذلك بغير عمد
الوجه الثاني انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم اي لئلا تتحرك بكم وبث فيها اي في الارض من كل
دابة اي يسكنون فيها وانزلنا من السماء ماء يعني المطر وهو من انعام الله على
عباده وفضله فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي من كل صنف حسن هذا يعني
الذي ذكرت مما تعاينون خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه
اي آلهتكم التي تعبدونها بل الظالمون في ضلال مبين قوله عز وجل ولقد آتينا
لقمان الحكمة قيل هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل
كان ابن اخت ايوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش الف سنة حتى ادرك داود
وقيل انه كان قاضيا في بني اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن
نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار
الحكمة وروي انه كان نائما نصف الليل فنودي يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة

في الارض

في الارض فتحكم بين الناس فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية
ولم اقبل البلاء وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم ان الله ان فعل بي ذلك اعانني
وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل
واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان عدل فبالحري ان ينجو وان اخطأ الطريق
اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يخير
الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن
منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود
بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك
يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود بحكمته وقد كان لقمان عبدا حبشيا
نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعي غنم فروي انه لقي رجلا وهو يتكلم بالحكمة
فقال الست فلان الراعي قال بلى قال فيما بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث
واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل كان عبدا اسود عظيم الشفتين
مشقق القدمين وقيل خيار السودان ثلاثة بلال بن رباح ومهجع
مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم اوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم
والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة في الامور
وقيل الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره به كما ينور البصر فيدرك المبصر
فقوله ان اشكر لله وذلك لان المراد من العلم العمل به والشكر عليه ومن يشكر
فانما يشكر لنفسه اي عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه ومن كفر
عليه يعود وبال كفره فان الله غني اي غير محتاج الى شكر الشاكرين حميد
اي حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه
قيل اسمه انعم وقيل شكر وهو يعظه وذلك لان اعلى مراتب الانسان
ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر
لله اشارة الى الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل
لغيره وبدأ بالاقرب اليه وهو ابنه وبدأ بوعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو
قوله يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم لان التسوية بين من
يستحق العبادة وبين من لا يستحق ظلم عظيم لانه وضع العبادة في غير
موضعها قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على
وهن قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف
والضعف والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والرضاع ضعف
وفصاله في عامين اي فطامه في سنتين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير
لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في
الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال الي
المصير يعني ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والآخرة وقيل

لما امر بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء علي وقت المصير الي قال سفيان بن
عيينة في هذه الاية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر ومن دعا للوالدين في ادبار
الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين **وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس**
لك به علم فلا تطعهما يعني ان طاعتهما واجبة قال النخعي فان اقتضى ذلك الي
الاشراك بي فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق **وصاحبهما**
في الدنيا معروفا اي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة **واتبع سبيل**
من اناب الي اي اتبع دين من اقبل الي طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
وقيل من اناب الي ابي بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين اسلم اتاه عثمان
وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت
هذا الرجل وامنت به قال نعم انه صادق فامنوا به ثم حملهم الي النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر **ثم الي مرجعكم**
فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل وذلك
ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمه
الله قال يا بني انها اي الخطيئة ان تك مثقال حبة من خردل **فتكن** اي مع صغرها
في صخرة قال ابن عباس صخرة تحت الارضين السبع وهي التي يكتب فيها
اعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون
والحوت في الما والما على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور
وهو على صخرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الارض ولا في السما فلذلك قال ان
والصخرة على متن الريح والريح على القدرة **او في السموات** معناه الله عالم
بها قادر على استخراجها وهو قوله **او في الارض** اي باستخراجها **يات بها الله**
اي بمكانها ومعنى الاية هو الاحاطة بالاشيا صغيرها وكبيرها وقيل ان هذه
الكلمة اخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمتها فمات **ان الله**
لطيف خبير يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على
ما اصابك من الاذي **ان ذلك من عزم الامور** يعني اقام الصلاة والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والصبر على الاذي من الامور الواجبة التي امر الله بها **ولا**
تصاعر وقري تصعر **خدك للناس** قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس
وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه محنة فيلقاك
فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوي عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر
الفقرا فيكون الفقير والغني عندك سوا **ولا تمش في الارض مرحا** اي خيلا
ان الله لا يحب كل مختال اي في مشيه **فخور** اي على الناس **واقصد**
في مشيك اي ليكن في مشيك قصدا بين الاسراع والتواني اما الاسراع
فهو من الخيلا واما التواني فهو ان يري في نفسه الضعف تزهدا فكلا الطرفين
مذموم بل يكن مشيك بين السكينة والوقار **واغضض** اي اخفض وقيل

انقص

انقص **من صوتك ان انكر** اي اقبح **الاصوات لصوت الحمير** لان اوله زفير واخره
شهيق وهما صوت اهل النار وعن الثوري هذه الاية قال صياح كل شيء تسبيح
الا الحمار وقيل في معني الاية هي العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان
باثني عشر الف باب من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمته
قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وايتني باطيب
مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه اخري وقال له اذبحها وايتني
باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه وقال لا شي اطيب
منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب
نفس وقيل للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئا قوله
عز وجل **الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ** اي اتم
واكمل **عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام
والقران والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل
الظاهرة تسوية الاعضا وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب
وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف
الشرايع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر
على الاعدا والباطنة الامداد بالملايكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول
والباطنة محبته **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم** نزلت في النضر
ابن الحرث وابي بن خلف وامية بن خلف واشباههم كانوا يجادلون في النبي
صلى الله عليه وسلم وفي صفاته بغير علم **ولا هدي ولا كتاب منير واذا**
قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا قال الله
تعالي **اولو كان الشيطان يدعوهم** معناه فيتبعونه وان كان الشيطان
يدعوهم **الي عذاب السعير** قوله عز وجل **ومن يسلم وجهه الي الله**
اي يخلص لله دينه ويفوض اليه **وهو محسن** اي في عمله **فقد استمسك**
بالعروة الوثقي اي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف عهده ولا يخاف
انقطاعه ويرتقي بسببه الي اعلى المراتب والغايات **والي الله عاقبة الامور**
اي مصير جميع الاشيا اليه **ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم**
فننبيهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور اي لا يخفي عليه سرهم وعلانيتهم
قوله تعالي **نمتعهم قليلا** اي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الي انقضا اجالهم
ثم نضطرهم اي نلجيهم ونردهم **الي عذاب غليظ** الي النار في الاخرة **ولين**
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل
اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد
تقدم تفسيره قوله تعالي **ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام** قال
المفسرون لما نزلت بمكة ويسالونك عن الروح الاية وهاجر رسول الله صلى الله

عليه وسلم الى المدينة اتاه احبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما
اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك فقال عليه الصلاة والسلام
كلا قد عنيت قالوا الست تتلوا فيما جاءك انا اوتينا التوراة فيها علم
كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم الله
بما ان علمتم به انتفعتم قالوا كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا فكيف يجمع علم قليل مع خير كثير فانزل الله هذه الاية مدنية
وقيل ان اليهود امروا وفد قريش ان يسئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القران وما ياتي
به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فانزل الله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام اي فبريت اقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلم والبحر يمده اي يزيده وينصب
عليه من بعده سبعة ابحر اي مدادا والخلايق يكتبون به كلام الله ما نفدت
كلمات الله لانها لا نهاية لها ان الله عزيز حكيم قوله تعالى ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر
عليه شيء ان الله سميع اي لا قوالكم بصير اي لاعمالكم الم تر ان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي
هو قادر على هذه الاشيا الذي ذكر هو الحق المستحق للعبادة وان ما يدعون من
دونه الباطل انه لا يستحق العبادة وان الله هو العلي الكبير اي في صفاته
له الصفات العليا والاسما الحسنى الكبير في ذاته لانه اكبر من كل كبير قوله تعالى
الم تر ان الفلك اي السفن والمراكب تجري في البحر بنعمة الله اي ذلك من
نعمة الله عليكم ليريكم من اياته اي من عجايب صنايعه ان في ذلك لايات لكل
صبار اي على ما امر الله شكور لانعامه واذا غشيهم موج كالظلل
اي كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها دعوا الله
مخلصين له الدين معناه ان الانسان اذا وقع في شدة ابتهل الى الله
بالدعا وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه فاذا نجا من تلك الشدة فمنهم من
يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد اي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت
على الايمان وقيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر
فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لان انجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله
عليه وسلم ولاضعن يده في يدي فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة واسلم وحسن
اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله وما يجحد باياتنا الا
كل ختار اي غدار كفور اي جحود لانعمنا عليه قوله تعالى يا ايها
الناس اتقوا ربكم اي خافوا ربكم واخشوا اي وخافوا يوما لا يجزي

اي

اي لا يقضي ولا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
وقيل معنى الاية ان الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهو الوالد والولد
فنبه بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزي عن ولده لكمال الشفقة
عليه والولد يجزي عن والده لما له من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيامة
فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ
تهمه نفسه ان وعد الله حق قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوما
هذا شانه وهو كاين لوعد الله به ووعده حق وقيل الاية تحقيق لعدم الجزا
يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك اليوم والقول الاول احسن واظهر فلا
تغرنكم الحياة الدنيا اي لانها فانية ولا يغرنكم بالله الغرور يعني
الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة قوله تعالى ان الله
عنده علم الساعة الاية نزلت في الحرث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من
اهل البادية اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان ارضنا
اجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلى فمتى تلد ولقد علمت اين ولدت
فباي ارض اموت فانزل الله هذه الاية ق عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام
وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم
خبير معنى الاية ان الله عنده علم الساعة فلا يدري احد من الناس متى تقوم
الساعة في اي سنة او اي شهر او اي يوم ليلا او نهارا وينزل الغيث فلا يعلم
احد متى ينزل الغيث ليلا او نهارا الا الله ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى
احمر ام اسود تام الخلقة ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا اي
من خير او شر وما تدري نفس باي ارض تموت اي ليس احد من الناس يعلم اين
مضجعه من الارض في بر او بحر في سهل او جبل ان الله عليم اي بهذه الاشيا
وبغيرها خبير اي ببواطن الاشيا كلها ليس علمه محيط بالظاهر فقط بل
علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب
ولا نبي مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيا من هذه كفر بالقران لانه خالفه والله سبحانه
وتعالى اعلم

تفسير سورة السجدة

مكية قال عطا الا ثلاث ايات من قوله افمن كان مومنا وهي تسع وعشرون
اية وقيل ثلاثون اية وثلاثماية وثمانون كلمة والف وخمسماية وثمانية عشر
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه اي لا شك فيه انه من رب العالمين
ام يقولون اي بل يقولون يعني المشركين افتراه يعني بل يقولون
يعني المشركين افتراه يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقا نفسه

بل هو الحق يعني القران من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
يعني العرب كانوا امة امية لم ياتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال
ابن عباس رضي الله عنهما ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
فان قلت اذا لم ياتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت فيام الحجة بالشرايع
التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا واما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده
فنعم فان معهم ادلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان لعلهم يهتدون
يعني تنذرهم راجيا اهتداءهم الله الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي
ولا شفيع افلا تتذكرون تقدم تفسيره قوله تعالى يدبر الامر
اي يحكم الامر وينزل القضا والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه
السلام من السما الى الارض ثم يعرج اي يصعد اليه جبريل في يوم
كان مقداره الف سنة مما تعدون يعني ان مسافة ما بين السما والارض
خمسماية سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السما في مقدار
الف سنة لو ساره احد من بني ادم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من
ايام الدنيا واقل من ذلك وكذلك الملايكة كلهم اجمعون وقيل معنى الاية انه
يدبر الامر من السما الى الارض مدة ايام الدنيا ثم يعرج اليه اي يرجع الامر
والتدبير اليه بعد فنا الدنيا وانقطاع امر الامر وحكم الحاكم في يوم كان
مقداره الف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال في موضع اخر تعرج
الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فكيف الجمع بينهما
قلت اراد بقوله خمسين الف سنة مدة المسافة بين الارض الى سدرة المنتهى
التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملايكة الذين معه
من اهل مقامه مسيرة الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا وقيل كلها في
القيامة فيكون على بعضهم كالف سنة وعلى بعضهم كخمسين الف سنة وهذا في
حال الكفار واما على المومنين فدون ذلك كما جاء في الحديث على المومنين كقدر
صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المومنين الا كما
يكون بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله
ومشقته وقال ابن ابي مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على
ابن عباس فساله ابن فيروز عن هذه الاية وعن مقدار خمسين الف سنة فقال
ابن عباس ايام سماها الله تعالى لا ادري ما هي واكره ان اقول في كتاب الله ما لا
اعلم ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك صنع ما ذكر من خلق
السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة اي ما غاب من خلقه لا يخفى
عليه خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر العزيز اي الممتنع المنتقم
من اعدايه الرحيم باوليايه واهل طاعته قوله تعالى الذي احسن كل شي خلقه

قال

قال ابن عباس اتقنه واحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شي وقيل خلق كل حيوان
على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن
في شكله وكل عضو من اعضايه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه الهم
خلقه ما يحتاجون اليه وعلمهم اياه ولحسنهم ذلك وقيل معناه احسن كل شي
خلقه وبدا خلق الانسان من طين يعني ادم ثم جعل نسله يعني
ذريته من سلالة اي من نطفة تنسل من الانسان من ما مهين اي ضعيف
ثم سواه اي سوى خلقه ونفخ فيه من روحه اي اضاف اليه الروح
اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد
فقال وجعل لكم اي خلق لكم بعد ان كنتم نطفا مواتا السمع والابصار والافيدة
قيل قدم السمع لان الانسان يسمع اولا كلاما فينظر الى قايله ليعرفه ثم
يتفكر في قلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان الانسان يسمع الكلام
من اي جهة كان قليلا ما تشكرون يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعمة
فتوحدونه قوله تعالى وقالوا يعني منكري البعث ايذا ضللنا متكنا
في الارض والمعنى صرنا ترابا اينا لفي خلق جديد استفهام انكاري
قال الله تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون اي بالبعث بعد الموت قل يتوفاكم
اي يقبض ارواحكم حتى لا يبقى ممن كتب عليه الموت ملك الموت وهو عزرايل
عليه السلام الذي وكل بكم انه لا يغفل عنكم واذا جاء اجل احدكم لا يوخر
ساعة ولا شاغل له الا ذلك روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة
اليد ياخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلايق من مشارق
الارض ومغاربها وله اعوان من الملايكة ملايكة الرحمة وملايكة العذاب
وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت
له الارض مثل الطشت يتناول منها حيث يشا وقيل ان ملك الموت على معراج
بين السما والارض فينزع اعوانه روح الانسان فان بلغ ثغرة نحره قبضه
ملك الموت عن معاذ بن جبل ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب
وهي تتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم
مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال له الان
تنزل بك سكرات الموت وقوله ثم الى ربكم ترجعون اي تصيرون الى ربكم
احيا فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل ولو ترى اذ المجرمون اي المشركون
ناكسوا رءوسهم اي يطاطيونها حيا من ربهم وندما على ما فعلوا عند
ربهم يقولون ربنا ابصرنا اي ما كنا به مكذبين وسمعنا يعني منك
تصديق ما اتتنا به رسلك وقيل ابصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فيها فارجعنا
اي فارددنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اي في الحال امنا ولكن لا ينفع
ذلك الايمان ولو شينا لاتينا كل نفس هداها اي رشدها وتوفيقها للايمان

ولكن حق القول مني اي وجب القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين اي من كفار الجن والانس فذوقوا اي فادخلوا النار قالت لهم الخزنة
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم اي تركتم الايمان في الدنيا هذا انا نسيناكم
اي تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعل الناس قطعا لرجائكم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب قوله تعالى انما يؤمن
باياتنا الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا بها خروا سجدا اي سقطوا
على وجوههم ساجدين وسبحوا بحمد ربهم اي صلوا بامر ربهم وقيل قالوا
سبحان الله وبحمده وهم لا يستكبرون اي عن الايمان به والسجود له ق
عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا السورة التي فيها السجدة
فيسجد ويسجدون حتى ما يجد احدنا مكانا لموضع جبهته في غير وقت الصلاة
م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة
فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلنا امر ابن ادم بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار ومنهم من عزائم سجود القران فليس
للقاري والمستمع قوله تعالى تتجافى جنوبهم اي ترتفع وتنبو عن المضاجع
معناه جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون
بالليل الذين يقومون الصلاة وقال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي
المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن انس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي
تدعى العتمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية ابي
داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء يصلون وهو قول ابي حازم
ومحمد بن المنكدر وقال هي صلاة الاوابين وروى عن ابن عباس قال ان الملائكة
لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين وقال عطا هم
الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة
فكانما صلى الليل كله اخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما
ولو حبوا واشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد
ومالك والاوزاعي وجماعة **فصل** في فضل قيام الليل والحث عليه
عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت
يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني
عن النار قال سالت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله
ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت
ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة وصلاة

الرجل في جوف الليل ثم قرا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا
يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله
قال راس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا
اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فاخذ بلسانه وقال
اكفف عليك هذا فقلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك
امك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم او قال على مناخرهم الا حصائد
السنتهم اخرجه الترمذي عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وقربة الى
ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة عن الاثام ومطردة للداء عن الجسد اخرجه
الترمذي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب
ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه واهله الى صلاته
فيقول الله عز وجل انظروا الى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه
واهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله
فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى
اهريق دمه فيقول الله تعالى لملائكته انظروا الى عبدي رجع رغبة فيما
عندي وشفقة مما عندي حتى اهريق دمه اخرجه الترمذي بمعناه عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر
رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل م عن
عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتفطر
قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم وما تاخر
قال افلا اكون عبدا شكورا عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها اعدها الله لمن
الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام اخرجه
الترمذي خ عن الهيثم بن ابي سنان انه سمع ابا هريرة في قصصه يذكر النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ان اخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال شعر

وفينا رسول الله يتلو كتابه • اذا انشق معروف من الفجر ساطع •
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا • به موقنات ان ما قال واقع •
يبيت يجافي جنبه عن فراشه • اذا استثقلت بالكافرين المضاجع •

اخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن ابي هريرة في الصحيحين غير هذا
الحديث وقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا قال ابن عباس
خوفا من النار وطمعا في الجنة ومما رزقناهم ينفقون قيل اراد الصدقة
المفروضة وقيل هو عام في الواجب والتطوع قوله عز وجل فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اي مما تقر به اعينهم فلا يلتفتون الى

عيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل اخفوا اعمالهم واخفى الله ثوابهم
جزاء بما كانوا يعملون اي من الطاعات في دار الدنيا م عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقروا ان شئتم فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قوله تعالى افمن كان مومنا كمن كان
فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي
معيط كان بينهما تنازع وكلام في شي فقال الوليد لعلي اسكت فانك
صبي وانا شيخ والله اني ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع
منك جنانا واملا منك حشوا في الكتيبة فقال له اسكت فانك فاسق
فانزل الله هذه الاية وقوله لا يستوون اراد جنس المومنين وجنس
الفاسقين ولم يرد مومنا واحدا ولا فاسقا واحدا اما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى اي التي ياوي اليها المومنون
نزلا هو ما يهيا للضيف عند نزوله بما كانوا يعملون يعني من الطاعات
في دار الدنيا واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اي سوى
العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها وعنه
انه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين
وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم
لعلهم يرجعون اي الى الايمان يعني من بقي منهم بعد القحط وبعد بدر ومن
اظلم اي لا احد اظلم ممن ذكر بايات ربه اي بدلايل وحدانيته وانعامه
عليه ثم اعرض عنها اي ترك الايمان بها انا من المجرمين يعني المشركين
منتقمون معناه انه لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا منهم منتقمون بالعذاب
الاكبر قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فلا تكن في
مرية اي في شك من لقايه اي من لقا موسى ليلة المعراج ق عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا
جعدا كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة
والى البياض سبط الشعر ورايت مالكا خازن النار والدجال في ايات
اراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقايه م عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة المعراج ليلة اسري بي عند الكثيب
الاحمر وهو قايم يصلي في قبره فان قلت فقد صح في حديث المعراج انه راه
في السما السادسة ومراجعته في الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين
قلت يحتمل ان تكون رويته في قبره عند الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى

السما

السما وذلك طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى السما السادسة وجده هناك قد
سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شي قدير فان قلت كيف تصح منه الصلاة في قبره
وهو ميت وقد سقطت عنه التكاليف وهو في دار الاخرة وليست دار عمل وكذلك
راى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبيا وهم يحجون فالجواب عن هذا قلت
عنه اجوبة احدها ان الانبيا كالشهدا بل هم افضل منهم والشهدا احيا عند
ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا كما صح في الحديث وان يتقربوا الى الله
بما استطاعوا وان كانوا قد ماتوا لانهم بمنزلة الاحيا في هذه الدار التي هي
دار العمل الى ان تفنى ثم يرحلوا الى دار الجزا التي هي الجنة الجواب الثاني انه صلى
الله عليه وسلم راى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومثلوا اليه كيف كانوا وكيف
كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم في الاخرة لكن
الذكر والشكر والدعا لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد
يعبد ربه في الجنة اكثر مما كان يعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار
حاله مثل حال الملايكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون
غاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله
اعلم وقيل في قوله فلا تكن في مرية من لقايه اي من تلقي موسى كتاب الله بالرضا
والقبول وجعلناه يعني الكتاب هدى لبني اسرايل وجعلنا منهم اي من
بني اسرايل ايمة اي قادة بالخير يقتدى بهم وهم الانبيا الذين كانوا في بني
اسرايل وقيل هم اتباع الانبيا يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى طاعتنا
لما صبروا اي على دينهم وعلى البلا من عدوهم بمصر وكانوا باياتنا يوقنون
اي انها من الله تعالى ان ربك هو يفصل اي يقضي ويحكم بينهم يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون قيل هم الانبيا واممهم وقيل هم المومنون والمشركون
قوله تعالى اولم يهد لهم اي يبين لهم كم اهلكنا اي كثرة من اهلكنا
من قبلهم من القرون اي الامم الخالية يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة
يسيرون في بلادهم ومنازلهم اذا سافروا ان في ذلك لايات افلا يسمعون
اي ايات الله ومواعظه فيتعظون بها قوله عز وجل اولم يروا انا نسوق
الما الى الارض الجرز اي الارض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال
ابن عباس هي ارض باليمن وقيل هي ابين فنخرج به اي بذلك الما زرعا
تاكل منه انعامهم اي العشب والتبن وانفسهم يعني اي من الحبوب والاقوات
افلا يبصرون اي فيعتبرون قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم
صادقين قيل اراد يوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضا بين
العباد وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم
فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزا متى هذا الفتح اي القضا

والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا
الفتح **قل يوم الفتح** يعني يوم القيامة **لا ينفع الذين كفروا ايمانهم**
اي لا يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة او القتل يوم بدر
قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا **ولا هم
ينظرون** اي لا يمهلون ليتوبوا ويعتذروا **فاعرض عنهم** قال ابن عباس نسختها
اية السيف **وانتظر** اي موعدي لك بالنصر عليهم **انهم منتظرون** اي بك
حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا اياهم فانهم منتظرون ذلك ق
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر
يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل اتى على الانسان عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي
وقال طاوس تفضلان على كل سورة في القران سبعين حسنة اخرجه الترمذي
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاحزاب

مدنية وهي ثلاث وسبعون اية والف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة الاف
وسبعمائة وتسعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين** نزلت
في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن سفيان السلمي
وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابي بن سلول رأس المنافقين
بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام
معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها
شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال اني اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا
في لعنة الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة فانزل
الله تعالى يا ايها النبي اتق الله اي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا
تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به امته ولا تطع الكافرين يعني من اهل مكة يعني ابا سفيان وعكرمة والاعور
والمنافقين يعني من اهل المدينة عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد وطعمة
ان الله كان عليما اي بخلقه قبل ان يخلقهم **حكيما** اي فيما دبره لهم **واتبع
ما يوحى اليك من ربك** اي من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين **ان الله
كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله** اي ثق بالله وكل امرك اليه **وكفى بالله
وكيلا** اي حافظا لك وقيل كفيلا برزقك قوله تعالى **ما جعل الله لرجل من**

قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر حميد بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا
حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ ابو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان
وكان يقول ان لي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما انهزم الله
المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر فيهم فلقيه ابو سفيان واحدى نعليه
في يده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما حال الناس فقال انهزموا
فقال له فما بال احدى نعليك واحدة في يدك والاخرى في رجلك فقال له
ما شعرت الا انهما في رجلي فعلموا انه لو كان له قلبان لما نسي نعله
في يده وعن ابي ظبيان قال قلنا لابن عباس ارايت قول الله ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه ما عنى بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي
فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلبا
معكم وقلبا معهم فانزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التي تحصل للانسان
في صلاته وقيل في معنى الاية انه لما قال تعالى يا ايها النبي اتق الله فكان ذلك
امرا بالتقوى فكانه قال ومن حقها ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان المرء
ليس له قلبان حتى يتقي الله باحدهما وبالاخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى
للمظاهر من امراته وللمتبنى ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لانه لا يخلو
اما ان يفعل باحدهما ما يفعل بالاخر مثل افعال القلوب فالاخر فضلة غير محتاج
اليه واما ان يفعل بهذا ما لا يفعل بذلك فذلك يؤدي الى التضاد في الجملة بكونه
مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكا في حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان
وكذلك لا يكون امراة المظاهر امه حتى تكون له امان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين
قوله تعالى **وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم** وصورة
الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي يقول الله وما جعل نساءكم
اللائي تقولون لهن هذا في التحريم كامهاتكم ولكنه منكم منكر وزور وفيه
كفارة نذكرها وسيأتي الكلام عليه في سورة المجادلة قوله تعالى **وما جعل
ادعياءكم** يعني الذين تتبنونهم **ابناءكم** وفيه نسخ التبني وذلك ان الرجل
كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث
ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي
وتبناه قبل الوحي واخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون
تزوج محمد امراة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الاية ونسخ
بها التبني **ذلكم قولكم بافواهكم** يعني لا حقيقة له **والله يقول الحق**
اي قوله الحق **وهو يهدي السبيل** اي يرشد الى سبيل الحق **ادعوهم لابائهم**
اي الذين ولدوهم وقولوا زيد بن حارثة **هو اقسط عند الله** اي اعدل

عند الله ق عن عمر ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا
ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله الآية
فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين اي فهم اخوانكم ومواليكم اي كما تقول
محررين وليسوا ببنيكم اي فسموهم باسما اخوانكم في الدين وقيل معنى
مواليكم اولياؤكم في الدين وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به اي قبل
النهي فنسبتموه الى غير ابيه ولكن ما تعمدت قلوبكم اي من دعاهم الى غير آبائهم
بعد النهي وقيل فيما اخطاتم به ان تدعوه الى غير ابيه وهو يظن انه كذلك
وكان الله غفورا رحيما ق عن سعد بن ابي وقاص وابي بكرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام قوله
عز وجل النبي اولى بالمومنين من انفسهم اي من بعضهم ببعض في نفوذ
حكمه عليهم ووجوب طاعته قال ابن عباس اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم
ودعتهم انفسهم الى شي كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة
انفسهم وهذا صحيح لان انفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو اولى بهم في الحمل على الجهاد
وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول
قوم نذهب فنستاذن من آبائنا وامهاتنا فنزلت ق عن ابي هريرة قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن الا وانا اولى الناس به في
الدنيا والآخرة اقروا ان شئتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن
ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا
مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر وقوله او ضياعا اي عيالا
واصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد كان جمع ضائع وقوله تعالى
وازواجه امهاتهم يعني امهات المومنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن
على التابيد لا في النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب
ولا يقال لبناتهن اخوات المومنين ولا لاخواتهن واخوانهن اخوال
المومنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير اسما بنت ابي بكر وهي اخت عائشة
ام المومنين ولم يقل هي خالة المومنين وقيل ان ازواج النبي كن امهات المومنين
والمومنات الرجال والنسا وقيل كن امهات الرجال دون النسا لما روي
عن مسروق ان امراة قالت لعائشة يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام
رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض يعني في الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة
وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا
مات احدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى
بميراث بعض وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغيره

المهاجر

المهاجر في كتاب الله اي في حكم الله من المومنين الذين آخى رسول الله بينهم
والمهاجرين يعني ان ذوي القرابات اولى بعضهم ببعض فنسخت هذه
الآية الموارثة بالمواخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم في القرابة
الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين
وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخا والهجرة اباح ان يوصي
لمن يتولاه بما احب من ثلث ماله وقيل المراد بالمعروف النصر وحفظ
الحرمة بحق الايمان والهجرة معناه الا ان توصوا الى قراباتكم بشي وان
كانوا من غير اهل الايمان والهجرة كان ذلك اي الذي ذكرت من اولى
الارحام بعضهم اولى ببعض في الكتاب اي في اللوح المحفوظ وقيل في
التوراة مسطورا اي مكتوبا مثبتا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم اي على الوفا بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم
ببعض وقيل ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحوا لقومهم
ومنك يعني يا محمد ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم خص
هولا الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم اصحاب الكتب والشرائع
واولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفا
وتفضيلا ولما روى البغوي باسناد الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول
الله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدا به صلى الله عليه وسلم
واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا شديدا على الوفا بما حملوا من تبليغ
الرسالة ليسال الصادقين عن صدقهم يعني اخذنا ميثاقهم لكي يسال
الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سوالهم مع علمه
سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت من ارسلوا اليهم وقيل ليسال الصادقين
عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم
في قلوبهم واعد للكافرين عذابا اليما قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم وذلك حين حوصر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
ايام الخندق اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود
قريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا يعني الصبا قال عكرمة قالت
الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا
ق عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد
بالدبور وقيل الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون الا ذهب حزنه قوله
تعالى وجنودا لم تروها يعني الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ
فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب

المشاطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت بعضها في بعض وكثر
تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان الى النجا
النجا هلموا الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجاة النجاة فانهزموا من غير قتال
لما بعث الله عليهم من الرعب وكان الله بما تعملون بصيرا

ذكر غزوة الخندق

وهي الاحزاب قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة اربع من
الهجرة روى محمد بن اسحاق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا
من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وهو ابن قيس وابو عمار الوائلي في نفر من
بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقالت لهم قريش
يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد
فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم الذين
قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم
ما قالوا ونشطوا لما دعاهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا
على ذلك ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاوا غطفان وقيس وغيلان فاجتمعوا
على ذلك واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم
وخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم
عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف بن ابي حارثة
المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه
من اشجع فلما سمع لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر
ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالخندق سلمان الفارسي وكان اول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا
خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى
احكموه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم
قطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي
وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان
بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا تحت
ذو باب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مدورة حتى كسرت حديدنا وشقت

علينا

علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بخبر هذه
الصخرة فاما ان يعدل عنها واما ان يامرنا فيها امره فانا لا نحب ان نجاوز خطه
قال فرقي سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية
فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مدورة من بطن الخندق فكسرت حديدنا
وشقت علينا حتى ما يحيك منها شيء قليل ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا
نحب ان نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق
واستند على شقة الخندق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من
سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها يعني المدينة
حتى كانه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير
فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية
وبرق منها برق حتى اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم
فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه واخذ بيد
سلمان ورقي فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد رايت شيئا ما رايت مثله
قط فالتفت رسول الله الى القوم وقال ارايتم ما يقول سلمان قالوا نعم
يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق البرق الذي رايتم فاضاءت لي منها
قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة
عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رايتم اضاء لي منها قصور قيصر من ارض
الروم كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة
فبرق الذي رايتم اضاء لي منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل
ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد
صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون لا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم
وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا قال فنزل
القرآن واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا وانزل الله قل اللهم مالك الملك الاية ق عن انس قال خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة
باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما راى ما بهم من النصب والجوع
قال اللهم ان العيش عيش الاخرة ... فاغفر للانصار والمهاجرة
فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا ابدا

عن البراء بن عازب قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب معنا
وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا ۞ وثبت الاقدام ان لاقينا ۞
والمشركون قد بغوا علينا ۞ اذا ارادوا فتنة ابينا ۞
ويرفع بها صوته وفي رواية فقد وارى التراب بياض بطنه رجعنا الى حديث
ابي اسحاق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش
حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من احابيشهم
ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد
حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
معه حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك
عسكره والخندق بينه وبين القوم وامروا بالذراري والنساء فرفعوا الى
الاطام وخرج عدو الله حيي بن اخطب من بني النضير حتى كعب بن اسد القرظي
صاحب عقد بني قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه
وعاقده على ذلك فلما سمع كعب بن اخطب اغلق دونه حصنه فاستاذن عليه
فابى ان يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح لنا فقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤوم
اني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاء وصدقا
فقال ويحك افتح اكلمك قال ما انا بفاعل قال والله ان اغلقت دوني الا على
جشيشتك ان آكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب
جئتك بعز الدهر وبحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى انزلتهم
بذنب نقمى الى جانب احد قد عاهدوني وعاقدوني ان لا يبرحوا حتى نستاصل
محمدا صلى الله عليه وسلم ومن معه قال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام
قد هرق ماؤه يرعد ويبرق ليس فيه شيء دعني ومحمدا وما انا عليه فاني لم ار
من محمد الا صدقا ووفا فلم يزل حيي بن اخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب
حتى سمح له على ان اعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا
محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب بن اسد
العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة
احد بني ساعدة وهو يومئذ سيد بني الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة اخو
الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير اخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا
حتى تنظروا اما بلغنا من هؤلاء القوم احق ام لا فان كان حقا فالحنوا لي لحنا اعرفه
ولا تفتوا اعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا
به للناس فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم
سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه حدة وقال له سعد بن معاذ دع عنك

مشاتمتهم

مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة ثم اقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة احذر عضل القارة باصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك
البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون
كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير اخو بني عمرو
ابن عوف كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب
الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وحتى قال اوس بن قيظي احد بني حارثة
يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملا من رجال قومه فاذن
لنا فنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين
القوم حرب الا الرمي بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن عوف وهما قائدا غطفان
فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة
فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة
فاستشارهما فيه فقالا يا رسول الله اشيء امرك الله به لا بد لنا من العمل
به ام امر تحبه فتصنعه ام شيء تصنعه لنا قال بل شيء اصنعه لكم والله ما اصنع
ذلك الا اني قد رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب
فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا
نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاصنام لا نعبد الله ولا نعرفه
ولا يطمعون ان ياكلوا منها ثمرة واحدة الا قرى او بيعا افحين اكرمنا الله بالاسلام
واعزنا بك نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب
ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم
محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا ان فوارس من قريش عمرو بن عبد ود اخو
بني عامر بن لؤي وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب المخزوميان ونوفل
ابن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا
للقتال وخرجوا على خيلهم فمروا على بني كنانة فقالوا تهيئوا للحرب يا بني كنانة
فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما
راوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا
من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة
بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم
الثغرة التي اقتحموا منها واقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن مسعود

قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج
معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له علي يا عمرو انك كنت تعاهد الله
لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا اخذت منه احدهما فقال اجل قال له
علي فاني ادعوك الى الله ورسوله والى الاسلام فقال لا حاجة لي بذلك فقال
اني ادعوك الى النزال قال ولم يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك فقال علي
لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب
وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة
حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد
ابن السباق بن عبد الدار اصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة
المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر
العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده
فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده وثمنه فشأنكم به فخلى بينهم وبينه
قالت عائشة كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من احرز حصون المدينة
وكانت ام سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب
فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده
حربة وهو يقول

• لبث قليلا يدرك الهيجا حمل • لا باس بالموت اذا حان الاجل •

فقالت له امه الحق يا بني فقد والله اخرت قالت عائشة فقلت يا ام سعد والله
لوددت ان درع سعد كانت اسبغ مما هي وخفت عليه حيث اصاب السهم منه
قالت فرمى سعد يومئذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه حبان بن قيس بن العرقة
فقال سعد عرق الله وجهك في النار قال لسعد احد بني عامر بن لوي فلما
اصابه قال خذها وانا ابن العرقة فقال سعد عرق الله وجهك في النار ثم
قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب
الي ان اجاهدهم من قوم اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه واخرجوه
وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر
عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قال محمد بن اسحاق
فيما بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت في فارع حصن حسان بن ثابت قالت
وكان حسان معنا مع النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود
فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحو عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا
الينا عنهم اذ اتانا ات قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف
بالحصن واني والله ما امنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد اشتغل

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك
يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال
ذلك ولم ار عنده شيئا احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته
بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل
اليه فاسلبه فانه لا يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال ما لي بسلبه حاجة
يا بنت عبد المطلب قالوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف
الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان
نعيم بن مسعود بن عامر من غطفان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت
فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان نديما لهم
في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم
قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا لحرب
محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم
به اموالكم واولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره وان
قريشا وغطفان اموالهم ونساؤهم وابناؤهم بغيره وان راوا نهزة وغنيمة
اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل
والرجل ببلادكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تاخذوا
منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا
حتى تناجزوه قالوا لقد اشرت برأي ونصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي
سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودي اياكم وفراقي
محمدا فقد بلغني امر رايت حقا ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل
قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد
ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان ناخذ من قريش
وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على
من بقي منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا
من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا منكم واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان
فقال يا معشر غطفان انتم اهلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني
قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش
وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان
مما صنع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان
الى بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا
بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ

فيما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه وقد
كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذي
نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز
محمدا فانا نخشى ان درستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم
وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل
بالذي قالوا بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذي حدثكم
به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا
واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو
قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق
ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير
ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل في بلادكم فارسلوا
الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم
وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد
فجعلت تكفؤ قدورهم وتطرح ابنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اختلف من امرهم دعى حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم
ليلا وروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى
غيره عن ابراهيم التيمي عن ابيه قالا قال فتى من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان
يا ابا عبد الله رايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي
قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد فقال الفتى والله لو ادركناه
ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على اعناقنا ولخدمناه وفعلنا معه ما فعلنا
قال حذيفة يا ابن اخي والله لقد رايتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله
فقال من يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فياتينا بخبرهم ادخله الجنة فما قام
منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت الينا
فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم هونا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل
القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع
وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة
فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى اتيته
فاخذ بيدي ومسح راسي ووجهي ثم قال ايت هؤلاء القوم حتى تاتيني بخبرهم
ولا تحدثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت على اسلابي
ثم انطلقت امشي نحوهم كاني امشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم فارسل
الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدور ولا بناء

وابو سفيان

وابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت سهما فوضعته في كبد القوس فاردت
ان ارميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما راى ابو سفيان
ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدور ولا نار ولا بناء قام فقال
يا معشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد
جليسي فقلت من انت فقال سبحان الله اما تعرفني انا فلان بن فلان من
هوازن فقال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد
هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا
من هذا الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول
فجلس عليه فضربه فوثب على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان
بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كاني امشي في حمام فاتيته وهو قائم يصلي فلما سلم اخبرته
فضحك حتى بدت انيابه في سواد الليل فلما اخبرته وفرغت قررت وذهب
عني الدفا فادناني النبي صلى الله عليه وسلم فانامني عند رجليه والقى علي
طرف ثوبه والزق صدري ببطن قدميه فلم ازل نائما حتى اصبحت فلما اصبحت
قال قم يا نومان فذلك قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم اي من فوق الوادي
من قبل المشرق وهم اسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة
ابن حصين الفزاري في الف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني
اسد وحيي بن اخطب في يهود قريظة ومن اسفل منكم يعني من بطن الوادي
من قبل المغرب وهم قريش وكنانة وعليهم ابو سفيان بن حرب من قريش ومن
تبعه وابو الاعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة
الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم
واذ زاغت الابصار اي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر
الى عدوها وبلغت القلوب الحناجر اي زالت عن اماكنها حتى بلغت الحلوق
من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف
وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته
فاذا انتفخت رئته رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره
وتظنون بالله الظنونا اي اختلف الظنون بالله فظن المنافقون استيصال
محمد واصحابه وظن المومنون الظفر والنصر لهم هنالك ابتلي المؤمنون
اي عند ذلك اختبر المومنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين
وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا حركة شديدة واذ يقول المنافقون
يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن ابي واصحابه والذين في قلوبهم مرض
اي شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا اي هو قول اهل

النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس واحدنا لا يستطيع ان يفارق
رحله هذا ما هو الا غرور فقوله تعالى واذ قالت طائفة منهم اي من المنافقين
وهم اوس بن قيظي واصحابه يا اهل يثرب يعني يا اهل المدينة وقيل
يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها سميت
يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها من قديم الزمان وفي بعض الاخبار
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هي طابة كانه كره
هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ لا مقام لكم
اي لا مقام لكم تنزلون وتقيمون فيه فارجعوا اي منازلكم عن اتباع محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال ويستاذن فريق منهم النبي يعني
بني حارثة وبني سلمة يقولون ان بيوتنا عورة اي خالية ضائعة وهي
مما يلي العدو ويخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى فقال وما هي بعورة
ان يريدون الا فرارا اي انهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال
ولو دخلت عليهم من اقطارها يعني ولو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون
قتالهم وهم الاحزاب من نواحي المدينة وجوانبها ثم سئلوا الفتنة يعني
الشرك لآتوها اي لجاؤوها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام وما تلبثوا بها
اي ما احتبسوا عن الفتنة الا يسيرا اي لاسرعوا الاجابة الى الشرك
طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا
حتى يهلكوا فقوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل غزوة
الخندق لا يولون الادبار اي لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم
احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها
وقيل هم اناس غابوا عن غزوة بدر فلما راوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة
والفضيلة قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك
وكان عهد الله مسؤولا اي كان عنه في الاخرة قل لن ينفعكم الفرار
ان فررتم من الموت او القتل يعني الذي كتب عليكم لان من حضر اجله مات او قتل
لا بد من ذلك واذا لا تمتعون اي بعد الفرار الا قليلا اي مدة اجالكم
وهي قليل فقوله تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي يمنعكم ان اراد
بكم سوءا اي هزيمة او اراد بكم رحمة معناه اي نصرا ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا اي ناصرا يمنعهم قوله تعالى قد يعلم الله
المعوقين منكم اي المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقائلين لاخوانهم هلم الينا اي ارجعوا الينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم
فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم اناس من المنافقين
كانوا يثبطون انصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد واصحابه
الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم اي ابتلعهم ابو سفيان واصحابه دعوا

الرجل

الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين وقيل ان اليهود ارسلت اليهم
ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا
عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم فانتم اخواننا
وجيراننا هلموا الينا فاقبل عبد الله بن ابي واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم
بابي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم احدا
ما ترجون من محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا هاهنا انطلقوا بنا
الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا
قوله تعالى ولا ياتون البأس يعني الحرب الا قليلا اي رياء وسمعة من غير
احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا اشحة عليكم اي بخلاء
بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله تعالى بالبخل والجبن فاذا جاء
الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم اي في رؤوسهم من
الخوف والجبن كالذي يغشى عليه من الموت اي كدوران عين الذي قرب من
الموت وغشيته اسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف فاذا
ذهب الخوف اي زال سلقوكم اي اذوكم ورموكم في حالة الامن
بالسنة حداد اي ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه
عضهوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا السنتهم فيكم
وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فلستم
باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند الحرب اجبن قوم اشحة
على الخير اي يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا يكون المراد بالخير
المال اولئك لم يؤمنوا اي لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان اظهروا الايمان
لفظا فاحبط الله اعمالهم اي الاعمال التي كانوا ياتون بها مع المسلمين
قبل الجهاد وغيره وكان ذلك على الله يسيرا اي احباط اعمالهم مع ان
كل شيء على الله يسير قوله عز وجل يحسبون اي يظن هؤلاء المنافقون
الاحزاب يعني قريشا وغطفان واليهود لم يذهبوا اي لم ينصرفوا
عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم وان يات الاحزاب اي
يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب
اي يتمنون لو كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف يسالون
عن انبائكم اي عن اخباركم وما آل اليه امركم ولو كانوا فيكم يعني
هؤلاء المنافقين ما قاتلوا الا قليلا يعني يقاتلون قليلا يقيمون به
عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو رمي بالحجارة وقيل رياء من
غير احتساب قوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
اي قدوة صالحة اي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا
رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما اصابكم كما فعل هو اذ كسرت رباعيته

وجرح وجهه وقتل عمه واوذي بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه
فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته لمن كان يرجوا الله معناه
ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجوا الله قال ابن عباس
يرجوا ثواب الله واليوم الاخر يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزا
وذكر الله كثيرا اي في جميع المواطن في السرا والضرا ثم وصف حال المومنين
عند لقا الاحزاب فقال تعالى ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله اي قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا بوعده
وصدق الله ورسوله اي فيما وعدهم في مقابلة قول المشركين والمنافقين
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله اي اشارة
الى ما وقع فانهم كانوا يعترفون صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قبل
الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة في جميع ما وعد فتبع الكل مثل فتح
مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان تلحقهم شدة وبلاء فلما راوا
الاحزاب وما نالهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
ورسوله وما زادهم الا ايمانا اي تصديقا بالله وتسليما اي لامره قوله
تعالى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي قاموا بما
عاهدوا الله عليه ووفوا به فمنهم من قضى نحبه اي فرغ من نذره ووفا
بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني اجله فقتل على
الوفا يعني حمزة واصحابه وقيل قضى نحبه اي بذل جهده في الوفا بالعهد وقيل
وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر واحد ومنهم من ينتظر يعني من بقي
بعد هولا من المومنين ينتظرون احد الامرين اما الشهادة او النصر على الاعدا
وما بدلوا يعني عهدهم تبديلا ق عن انس قال غاب عمي انس بن النضر
عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن اول قتال قاتلت المشركين
لئن الله اشهدني قتال المشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد
وانكشف المسلمون قال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هولا يعني اصحابه
وابرا اليك مما صنع هولا يعني المشركون ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ
فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني لاجد ريحها من دون احد فقال
سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال انس فوجدنا به بضعا وثمانين
ضربة بالسيف او طعنة بالرمح او رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به
المشركون فما عرفه احد الا اخته ببنانه قال انس كنا نرى او نظن ان هذه
الاية نزلت فيه وفي اشباهه من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
الى اخر الاية ق عن خباب بن الارث قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
نلتمس وجه الله فوقع اجرنا على الله فمنا من مات ولم ياكل من اجره شيا منهم
مصعب بن عمير قتل يوم احد وترك نمرة فكنا اذا اعطيناها راسه بدت رجلاه

واذا

واذا اعطينا رجليه بدت راسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي راسه
ونجعل على رجليه شيا من الاذخر ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها النمرة كسا
ملون من صوف وقولهم ومنا من اينعت اي ادركت ونضجت له ثمرته وهذه استعارة
لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها اي يجتنيها ويقطعها عن ابي موسى بن طلحة
قال دخلت على معاوية فقال الا ابشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول طلحة ممن قضى نحبه اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب خ عن قيس
ابن ابي حازم قال رايت يد طلحة شلا وقا بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد
قوله عز وجل ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي جزا صدقهم وهو الوفا بالعهد
ويعذب المنافقين ان شا او يتوب عليهم اي فيهديهم الى الايمان
ويشرح لهم صدورهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا
من قريش وغطفان بغيظهم يعني لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا لم
ينالوا خيرا اي ظفرا وكفى الله المومنين القتال اي بالملايكة والريح
وكان الله قويا اي في ملكه عزيزا اي في انتقامه قوله تعالى وانزل
الذين ظاهروهم من اهل الكتاب اي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة من صياصيهم
اي من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصة وقذف في قلوبهم الرعب اي
الخوف فريقا تقتلون اي الرجال يقال كانوا ستماية وتاسرون فريقا
اي النسا والذراري يقال كانوا سبعماية وقيل وخمسين واورثكم ارضهم
وديارهم واموالهم وارضا لم تطوها يعني بعد قيل خيبر وقيل انها
كانت مكة وقيل فارس والروم وقيل هي ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة
وكان الله على كل شي قديرا

ذكر غزوة بني قريظة

قيل كانت في اخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة
الخندق عن موسى بن عقبة انها كانت في سنة اربع قال العلما بالسير ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة التي انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم
انصرف صلى الله عليه وسلم والمومنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح
فلما كان الظهر اتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمما
بعمامة من استبرق على بغلة بيضا عليها رحال عليها قطيفة من ديباج ورسول الله
صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل راسه وقد غسلت شقه
فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل قد عفى الله
عنك ما وضعت الملايكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الا الان من طلب
القوم وروي انه كان الغبار على وجه جبريل عليه السلام وفرسه فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يامرك بالمسير

الى بني قريظة وانا عامد الى بني قريظة فانهز اليهم فاني قد قطعت اوتادهم
وفتحت ابوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا
فاذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب برايته اليهم وابتدرها الناس
وسار علي حتى اذا دنى من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله
لا عليك ان لا تدنو من هولاء الاخابث قال اظنك سمعت منهم اذى قال نعم
يا رسول الله قال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة قد اخزاكم الله فانزل بكم
نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم احد فقالوا
يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها
قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث
الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بير من ابارهم في ناحية اموالهم
وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشاء الاخرة لم يصلوا العصر
لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فصلوا
العصر بها بعد عشاء الاخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله
قال العلما حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة
حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن اخطب دخل
على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفا لكعب بما كان
عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى
يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون واني
عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هن قال نتابع هذا
الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم
فتامنوا على دياركم واموالكم وابنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التوراة
ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا
ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولا نترك وراءنا ثقلا
يهما حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى
عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن النساء والابناء قالوا نقتل هولاء المساكين
فما خير العيش بعدهم قال فان ابيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى
ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فانزلوا فلعلنا ان نصيب من محمد واصحابه غرة
قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث فيه من قبلنا الا من

قد

قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما مات رجل منكم منذ ولدته
امه حازما ليلة من الدهر قال انهم بعثوا الى محمد صلى الله عليه وسلم ان ابعث
لنا ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره
في امرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما راوه قام اليه
الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا ابا
لبابة الا ترى ان ننزل على حكم محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم واشار بيده الى حلقه
انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني خنت الله ورسوله
ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يات النبي صلى الله عليه وسلم حتى ربط في المسجد
الى عمود من عمده وقال والله لا ابرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت
وعاهد الله لا يطا بني قريظة ابدا ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله
فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطا عليه قال اما لو قد
جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب
الله عليه ثم ان الله انزل توبة ابي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضحك فقلت مم ضحكت يا رسول الله اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة
فقلت الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب
حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد
تاب الله عليك فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح
اطلقه قال ثم ان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد وهم
نفر من هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك هم
بنو عم القوم اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعد القرظي فمر بحرس
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة
فلما راه قال من هذا قال عمرو بن السعدي وكان عمرو قد ابى ان يدخل مع بني
قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا اغدر بمحمد ابدا فقال
محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمني عثرات الكرام فخلى سبيله فخرج على وجهه
حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تلك الليلة ثم
ذهب فلا يدري اين ذهب من ارض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
شانه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان اوثق برمة فيمن اوثق
من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت
رمته ملقاة ولا يدري اين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك المقالة قال فلما اصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فتواثب الاوس وقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت
في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفا الخزرج فنزلوا على حكمه فسالهم
اياه عبد الله بن ابي بن سلول فوهبهم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا ترضون يا معاشر الاوس ان يحكم الله فيهم رجل منكم قالوا بلى
قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجده في خيمة امراة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحا
وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة
رفيدة حتى اعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة
اتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطاوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما
ثم اقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا ابا عمرو احسن
في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما
اكثروا عليه قال قد ان لسعد ان لا تاخذه في الله لومة لايم فرجع بعض من كان
معه من قومه الى دار بني عبد الاشهل فنعى عليهم رجال بني قريظة قبل ان يصل
اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا ابا
عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد
عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من
ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول
صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد
فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنسا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة
ارقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث امراة
من بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها
اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم
ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حيي بن اخطب وكعب بن اسد راس القوم وهم
ستماية او سبعماية والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانماية الى التسعماية وقد قالوا
وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا لكعب ما ترى ما يصنع
بنا قال افي كل موطن لا تعقلون الا ترون الداعي لا ينزع ومن يذهب به منكم
لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم
واتي بحيي بن اخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع
الانملة انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم اقبل
على الناس فقال ايها الناس لا باس بامر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني
اسرايل ثم جلس فضربت عنقه وروي عن عايشة قالت لم يقتل من نسا بني
قريظة الا امراة واحدة قالت والله انها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيوف اذ هتف هاتف باسمها
اين فلانة قالت انا والله قلت ويلك ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت حدثا احدثته
قالت فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عايشة تقول ما انسى عجبا منها طيب
نفس وضحك وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي وكان اسم المراة نباتة امراة الحكم
القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان اعناق
بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن اسحاق
عن الزهري ان الزبير بن باطا القرظي ويكنى ابا عبد الرحمن وكان قد من على ثابت
ابن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث اخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه
يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا ابا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل
مثلي مثلك قال اني اريد ان اجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم ثم اتى
ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي
يد وله علي منة وقد احببت ان اجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله هو لك
فاتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فقال شيخ
كبير لا اهل له ولا ولد ما يصنع بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اهله وولده فقال هم لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعطاني امراتك وولدك فهم لك فقال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم
فما بقاوهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما له
يا رسول الله قال هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني
ما لك فهو لك فقال اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مراة صينية تتراءى فيه
عذارى الحي كعب بن اسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا
وحاميتنا اذا كررنا عزال بن سموال قلت قتل قال فما فعل المجلسان يعني
بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قلت قتلوا قال فاني اسالك بيدي
عندك يا ثابت الا ما الحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هولا من خير فما
انا بصابر حتى القى الاحبة له فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق
قوله حتى القى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا ابدا قال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من انبت منهم ثم قسم اموال بني قريظة
ونساءهم على المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال فكان للفارس
ثلاثة اسهم وللفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم فكانت
الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان اول من وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري اخا بني الاشهل بسبايا بني قريظة
الى نجد فابتاع لهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة احد نسا بني عمرو بن
قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص عليها ان يتزوجها ويضرب عليها
الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها وقد
كانت حين سباها كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من امرها فبينما هو مع اصحابه اذ سمع وقع
نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن شعبة يبشرني باسلام ريحانة فجاءه
فقال يا رسول الله قد اسلمت ريحانة فسره ذلك فلما قضي شان بني قريظة
انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد ان حكم في بني قريظة ما حكم فقال
اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك
اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش على رسولك شيئا فابقني لها وان كنت قد
قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر
من بكاء ابي بكر واني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله فيهم رحماء بينهم خ عن
سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلي الاحزاب
الان نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له اعز جنده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ولا شيء بعده قوله عز وجل يا ايها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحياة وزينتها فتعالين امتعكن
اي متعة الطلاق واسرحكن سراحا جميلا اي من غير ضرر وان كنتن تردن
الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما
سبب نزول هذه الاية ان نسا النبي صلى الله عليه وسلم سالنه من عرض
الدنيا شيا وطلبن منه زيادة في النفقة واذينه بغيرة بعضهن على بعض
فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج
الى اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله اني دخلت المسجد
والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه افانزل فاخبرهم
انك لم تطلقهن قال نعم ان شيت فقمت على باب المسجد وناديت باعلى صوتي لم
يطلق رسول الله نساءه ونزلت هذه الاية ولو ردوه الى الرسول والى اولي

الامر

الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت ذلك الامر وانزل
الله اية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة خمس
من قريش ومن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان
وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة واربع غير قرشيات ومن زينب
بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن
اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحرث المصطلقية فلما نزلت اية التخيير
بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا
عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فرؤي الفرح في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن
الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد م عن جابر
ابن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل
عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه
واجما ساكتا فقال لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا
رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة
فقام ابو بكر الى عائشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها وكلاهما يقول
تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسال
رسول الله شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا وتسعا وعشرين حتى
نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما
قال فبدا بعائشة فقال يا عائشة اني اريد ان اعرض عليك امرا احب
ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها
الاية قالت افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله
والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر امراة من نسائك بالذي قلت قال لا
تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن
بعثني معلما ميسرا قوله واجما اي مهتما والواجم الذي اسكته الهم وعلته
الكابة وقيل الوجوم الحزن قوله توجات عنقها اي دققته وقوله لم يبعثني
معنتا العنت المشقة والصعوبة م عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم
اقسم ان لا يدخل على نسائه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة
قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة اعدهن دخل علي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت لت تراني فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا
شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون
فصل في حكم الاية اختلف العلما في هذا الخيار هل كان ذلك

تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار ام لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل
العلم الى انه لم يكن تفويضا وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله
تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن بدليل انه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال
لعايشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على
الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا
والتفريع على حكم الاية اختلف اهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود
وابن عباس اذا خير الرجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شي ولو اختارت نفسها
يقع طلقة واحدة وهي قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان والشافعي
واصحاب الراي يقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند الاخرين رجعية
وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها
فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي انها اذا اختارت نفسها
يقع طلقة واحدة واذا اختارت زوجها فطلقة بائنة واكثر اهل العلم انها اذا
اختارت زوجها لا يقع شي ق عن مسروق قال ما ابالي خيرت امراتي واحدة
او مائة او الفا بعد ان تختارني ولقد سالت عايشة فقالت خيرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعده ذلك شيئا قوله تعالى
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة اي بمعصية ظاهرة
قيل قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا ان منهن من اتت بفاحشة فان الله تعالى
صان ازواج الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز
وسوء الخلق **يضاعف لها العذاب ضعفين** اي مثلين وسبب تضعيف
العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الامة وذلك لان نسبته
صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه
اولى بالمومنين من انفسهم فكذلك ازواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة الحرة
الى الامة **وكان ذلك على الله يسيرا** اي عذابها **ومن يقنت منكن لله ورسوله**
اي تطع الله **وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين** اي مثل اجر غيرها قيل الحسنة
بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن
اشرف نساء العالمين **واعتدنا لها رزقا كريما** يعني الجنة قوله تعالى **يا نساء
النبي لستن كاحد من النساء** قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر
غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم لدي **ان اتقيتن**
يعني الله فاطعتنه فان الاكرم عند الله هو المتقي **فلا تخضعن بالقول** اي
لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن بالكلام **فيطمع الذي في قلبه مرض**
اي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به
سبيلا الى الطمع فيكن والمراة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب
لقطع الاطماع فيهن **وقلن قولا معروفا** اي وجيزا لا الدين والاسلام عند الحاجة

اية

اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى قوله عز وجل
وقرن في بيوتكن اي الزمن بيوتكن وقيل هو امر من الوقار اي كن اهل
وقار وسكون **ولا تبرجن** قيل التكسر والتغنج والتبختر وقيل اظهار
الزينة وابراز المحاسن للرجال **تبرج الجاهلية الاولى** قيل الجاهلية الاولى
هي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هي زمن داود وسليمان عليهما
السلام كانت المراة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجنبين فيرى خلفها
منه وقيل كان ذلك في زمن نمرود الجبار كانت المراة تتخذ الدرع من اللؤلؤ
فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شي غيره وتعرض نفسها على الرجال
وقال ابن عباس الجاهلية الاولى فيما بين نوح وادريس وكانت الف سنة
وان بطنين من ولد ادم عليه السلام كان احدهما يسكن السهل والاخر
يسكن الجبال وكانت رجال الجبال صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء
السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل
واجر نفسه فكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء
بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم يستمعون اليه
واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين
الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فراى النساء
وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم فظهرت
الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل
الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية قوم يفعلون مثل فعلهم
في اخر الزمان وقيل قد يذكر الاولى وان لم يكن لها اخرى **واقمن الصلاة
وآتين الزكاة** اي المفروضة **واطعن الله ورسوله** اي فيما
امر وفيما نهى **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت** اي الاثم
الذي نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس فيه
رضا وقيل الرجس الشك وقيل السوء اهل البيت هم نساء النبي صلى الله
عليه وسلم لانهن في بيته وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل
وذهب ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم
الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم يدل عليه ما روي عن عايشة
ام المومنين قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل
من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جا الحسن فادخله فيه
ثم الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا اخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش صور
الرحال وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال عن ام سلمة قالت ان هذه الاية

نزلت في بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقالت انا الى
خير انت من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله وعلي
وفاطمة والحسن والحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هولاء اهل بيتي فاذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب عن انس
بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة اشهر اذا
خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب وقال زيد بن ارقم اهل البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وآل جعفر
وآل عقيل وآل عباس قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله
يعني القرآن والحكمة قيل هي السنة وقيل هي احكام القرآن ومواعظه ان
الله كان لطيفا اي باوليائه واهل طاعته خبيرا اي بجميع خلقه قوله
عز وجل ان المسلمين والمسلمات الاية وذلك ان ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء فما فينا
خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فانزل الله هذه الاية عن ام عمارة
الانصارية قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ما لي ارى كل شيء الا
للرجال وما ارى النساء يذكرن بشيء فنزلت ان المسلمين والمسلمات اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وقيل ان ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت
كعب الانصارية قالتا للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا
يذكر النساء في شيء من كتابه ونخشى ان لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الاية وروي
ان اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على
نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا
فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار
قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين
والمسلمات الثانية الايمان بما يرد به امر الله وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة
الظاهر للباطن وهو قوله والمومنين والمومنات الثالثة الطاعة وهو قوله
والقانتين والقانتات الرابعة الصدق في الاقوال والافعال وهو قوله
تعالى والصادقين والصادقات الخامسة الصبر على ما امر الله وفيما ساءه وسره
وهو قوله والصابرين والصابرات السادسة الخشوع في الصلاة وهو ان لا
يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله والخاشعين والخاشعات السابعة
الصدقة مما رزق الله وهو قوله والمتصدقين والمتصدقات الثامنة المحافظة
على الصوم وهو قوله والصائمين والصائمات التاسعة العفة وهو قوله
والحافظين فروجهم يعني عما لا يحل والحافظات العاشرة كثرة الذكر
وهو قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقيل لا يكون العبد منهم حتى

يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبق
المفردون قالوا يا رسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات
وقال عطاء بن ابي رباح من فوض امره الى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات
ومن اقر بان الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله
والمومنين والمومنات ومن اطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل
في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله
والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية
فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن
شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل اسبوع
بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام من كل شهر
ايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس فهو داخل في قوله والصائمين
والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم
والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة اي لمحو ذنوبهم واجرا عظيما
يعني الجنة قوله تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله
امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم نزلت هذه الاية في زينب بنت جحش
الاسدية واخيها عبد الله بن جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب لمولاه زيد
بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية
بعكاظ فاعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت
وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد ابت وقالت انا ابنة
عمتك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك
كره اخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان لمومن يعني عبد الله بن جحش ولا
مومنة يعني اخته زينب اذا قضى الله ورسوله امرا يعني نكاح زيد لزينب
ان تكون لهم الخيرة من امرهم الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما اراد
الله او يمتنع مما امر الله ورسوله به ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
ضلالا مبينا اي اخطا طريقا ظاهرا فلما سمعت زينب واخوها رضيا وسلما
وجعلا امرهما بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا فدخل بها
وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا
ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر قوله عز وجل
واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية
نزلت في زينب وذلك ان رسول الله لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب في

درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش فوقعت في نفسه وأعجبه
حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك له
ففطن زيد وألقي في نفسه كراهيتها في الوقت فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال له ما لك أرابك منها شيء قال لا والله
يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها
ثم إن زيدا طلقها فذلك قوله عز وجل وإذ تقول للذي أنعم الله عليه أي بالإسلام
وأنعمت عليه أي بالإعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه أمسك عليك زوجك يعني
زينب بنت جحش **واتق الله** أي فيها ولا تفارقها **وتخفي في نفسك** أي
تسر وتضمر **ما الله مبديه** أي مظهره قيل كان في قلبه لو فارقها تزوجها وقال
ابن عباس حبها وقيل إنه وده أنه طلقها **وتخشى الناس** قال ابن عباس تستحييهم
وقيل تخاف لائمتهم أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها **والله أحق
أن تخشاه** قال عمر وابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وعن عائشة قالت لو كتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا من الوحي لكتم هذه الآية وإذ تقول للذي أنعم الله عليه
وأنعمت عليه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح

فصل

فإن قلت ما ذكروه في تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها
في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما رآها وإرادته طلاق زيد لها فيه أعظم
الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم ومد عينيه لما نهي عنه
من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفته بحق
النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله فكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته
ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو
زوجها لزيد فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيدا بإمساكها
وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا الباب
ما روي عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني زين العابدين
علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا نبي الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك وقال أمسك عليك
زوجك واتق الله قال علي بن الحسين ليس كذلك فإن الله عز وجل قد أعلمه أنها ستكون
من أزواجه وأن زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال إني أريد أن أطلقها قال له أمسك
عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك
أنها ستكون من أزواجك وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق
للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها

منه

منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم
محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه
ولا يظهره فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته
وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد إن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي
وهذا قول حسن مرضي وكم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحيي من اطلاع
الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا
عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما إلى حصول واجبات
تعظم أثرها في الدين وهو أنما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله
عليه وسلم إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال تعالى ما كان
محمد أبا أحد من رجالكم فقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
فإن قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بإمساكها قلت
هو أن الله تعالى أعلم نبيه أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن
طلاقها وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج
امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته وقيل كان في
أمره بإمساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا إذا جوزنا القول
المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها زيد
ومثل ذلك لا يقدح في حال الأنبياء مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في
قلبه من مثل هذه الأشياء وإنه رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذا لا نكرة
فيه لما طبع عليه البشر من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها
ما لم يقصد فيه مأثما لأن الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم
وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسبة لا إثم فيه
وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه
الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية
من الناس ذكر أن الله تعالى أحق بالخشية في عموم الأحوال في جميع الأشياء قوله
عز وجل **فلما قضى زيد منها وطرا** أي حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت
همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة
المتبنى تحل بعد الدخول **زوجناكها** قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق
سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدل
عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن جدي وجدك واحد وإني أنكحنيك
الله في السماء وإن السفير جبريل عليه السلام **م** عن أنس قال لما انقضت
عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي
قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري

حتى ما استطيع انظر اليها الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها
ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكرك قالت ما انا بصانعة شيا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران
وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فلقد رايتنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس
وبقي ناس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
واتبعته فجعل يتتبع حجر نسايه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت
اهلك قال فما ادري انا اخبرته ان القوم قد خرجوا او اخبرني قال فانطلق حتى
دخل البيت وذهبت ادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب عن انس
قال ما اولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسايه ما اولم على زينب اولم
بشاة وفي رواية اكثر وافضل ما اولم على زينب بما اولم قال اطعمهم خبزا ولحما
حتى تركوه وقوله عز وجل **لكيلا يكون على المومنين حرج** اي اثم **في ازواج
ادعيايهم** جمع داع وهو المتبنى **اذا قضوا منهن وطرا** يقول زوجناك زينب
وهي امراة زيد الذي كنت تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبني وان
كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امراة ابن الصلب فانها لا تحل للاب **وكان امر
الله مفعولا** اي قضا الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **ما كان على النبي من حرج فيما فرض
الله له** اي فيما احل الله له من النكاح وغيره **سنة الله في الذين خلوا
من قبل** معناه سنة الله في الانبيا وهو انه لا حرج عليهم في الاقدام
على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح فانه كان لهم الحراير والسراري
فقد كان لداود مائة امراة ولسليمان ثلاثمائة سرية فكذلك سن لمحمد صلى الله
عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم **وكان امر الله قدرا مقدورا**
اي قضا مقضيا انه لا حرج على احد فيما احل الله له ثم اثنى الله تعالى على الانبيا
بقوله **الذين يبلغون رسالات الله** اي فرايض الله وسننه واوامره
ونواهيه الى من ارسلوا اليهم **ويخشونه** اي يخافونه **ولا يخشون
احدا الا الله** اي لا يخافون قالة الناس ولايمتهم فيما احل الله لهم وفرض
عليهم **وكفى بالله حسيبا** اي حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم قوله عز وجل
ما كان محمد ابا احد من رجالكم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امراة ابنه فانزل الله تعالى ما كان
محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى انه لم يكن ابا رجل منكم على
الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر
والنكاح فان قلت قد كان له ابنا القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال
للحسن ان ابني هذا سيد قلت قد اخرجوا من حكم بقوله من رجالكم ومنهم لم يبلغوا

مبلغ الرجال وقيل اراد بالرجال الذين لم يلده **ولكن رسول الله** اي
ان كل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب
الشفقة والنصيحة لهم عليه **وخاتم النبيين** ختم الله به النبوة
فلا نبي بعده ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا
يكون نبيا بعده وعنه قال ان الله لما حكم ان لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا
يصير رجلا **وكان الله بكل شيء عليما** اي دخل في علمه ان لا نبي بعده فان
قلت قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل في اخر الزمان بعده وهو نبي قلت
قد صح ان عيسى عليه السلام ممن نبي قبله وحين ينزل في اخر الزمان ينزل
عاملا بشريعة محمد عليه السلام ومصليا الى قبلته كانه بعض امته **ق**
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل الانبيا
من قبلي كمثل رجل بنى بيتا واحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من
زواياه فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه
اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جيت فختمت
الانبيا **ق** عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعده نبي
وقد سماه الله تعالى روفا رحيما **م** عن ابي موسى قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما فقال انا محمد وانا احمد والمقفي ونبي التوبة
ونبي الرحمة والمقفي هو المولي الذاهب يعني اخر الانبيا المتبع لهم فاذا قفى
فلا نبي بعده قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا**
قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا جعل لها حدا
معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي
اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال
كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال الله تعالى
اذكروا الله ذكرا كثيرا بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم
والسر والعلانية وقيل الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا **وسبحوه** معناه
اذا ذكرتموه ينبغي لكم ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه
عن كل سوء **بكرة واصيلا** فيه اشارة الى المداومة لان ذكر الطرفين
يفهم منه الوسط ايضا وقيل معنى وسبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة
العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته وقيل معنى صلوا له بكرة صلاة
الصبح واصيلا صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشا
والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحايض والمحدث

هو الذي يصلي عليكم وملائكته فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار
للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكر الجميل من عباده والثنا
عليه قال انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك
الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركتنا فيه فانزل الله هذه الاية ليخرجكم
من الظلمات الى النور يعني انه برحمته وهدايته ودعا الملائكة لكم اخرجكم
من ظلمة الكفر الى نور الايمان وكان بالمؤمنين رحيما فيه بشارة لجميع المسلمين
واشارة الى قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو عام لجميع
المسلمين تحيتهم يعني تحية المومنين يوم يلقونه سلام اي يرون الله
يوم القيامة سلام اي تسليم الرب تعالى عليهم وسلمهم من جميع الآفات وروي
عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض
روح مومن الا يسلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا جا ملك الموت لقبض روح
المومن قال ربك يقريك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من
قبورهم وتبشرهم واعد لهم اجرا كريما يعني الجنة قوله تعالى يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا اي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم
القيامة ومبشرا اي لمن امن بالجنة ونذيرا اي لمن كذب بالنار وداعيا
الى الله اي الى توحيده وطاعته باذنه اي بامره وسراجا
منيرا سماه الله عز وجل سراجا منيرا لانه جلي به ظلمات الشرك واهتدى به
الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه امد الله بنور نبوته نور
البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج
ما لا يضيء فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاءة من
السراج وانور قلت لان نور الشمس لا يمكن ان يوخذ منه شيء بخلاف نور
السراج فانه يوخذ منه انوار كثيرة وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا
كبيرا اي ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب
وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم ولا تطع الكافرين والمنافقين
ودع اذاهم قال ابن عباس اصبر على اذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ
باية القتال وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اي حافظا قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
اي تجامعوهن فيه دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله
تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامراة اجنبية اذا نكحتك فانت
طالق او قال كل امراة انكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن
عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح
وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطا وسليمان بن يسار
ومجاهد والشعبي وقتادة واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي وروي عن ابن

مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي واصحاب الراي وقال ربيعة
والاوزاعي ان عين امراة يقع وان عم فلا يقع وروي عكرمة عن ابن عباس انه
قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول
ان تزوجت فلانة فهي طالق قال الله تعالى يقول اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن
ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك
ولا بيع فيما لا تملك اخرجه ابو داود والترمذي بمعناه عن ابن عباس قال
جعل الله الطلاق بعد النكاح اخرجه البخاري في ترجمة باب بغير اسناد وعن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح فما لكم
عليهن من عدة تعتدونها اي تحصونها بالاقراء والاشهر اجمع العلما
ان الحال اذا طلق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب احمد الى ان الخلوة
توجب العدة والصداق فمتعوهن اي اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن
عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا
فلها نصف الصداق ولا متعة وقال قتادة هذه الاية منسوخة بقوله
فنصف ما فرضتم وقيل هذا امر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر
وقيل انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الاية وسرحوهن سراحا جميلا
اي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن قوله عز وجل يا ايها النبي انا
احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن اي مهورهن وما
ملكت يمينك مما افاء الله عليك اي من الفي فسبيكما مثل صفية وجويرية
وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم وبنات عمك وبنات
عماتك يعني نسا قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعني نسا بني زهرة
اللاتي هاجرن معك اي الى المدينة فمن لم يهاجر منهن لم يجز له نكاحها
عن ام هانئ بنت ابي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك الاية قالت فلم اكن
احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ
شرط الهجرة في التحليل وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي
ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين قد علمنا احللنا
لك امراة مومنة وهبت نفسها لك من غير صداق فاما غير المومنة فلا تحل له
اذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكتابية بالمهر فذهب جماعة الى انه لا تحل له
لقوله وامراة مومنة فدل ذلك على انه لا تحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه
صلى الله عليه وسلم النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر
لقوله خالصة لك من دون المومنين قال والزيادة على اربع ووجوب تخيير النسا
واختلفوا في انعقاد النكاح في لفظ الهبة في حق الامة فذهب اكثرهم الى انه لا

ينعقد الا بلفظ الانكاح والتزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي واهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول واختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المومنين وذهب آخرون الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج كما في حق سائر الامة لقوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها وكان اختصاصه في ترك المهر لا في لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امراة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده الا امراة بعقد نكاح او بملك يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الشرط والجزاء وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية ام المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم وقوله تعالى **ما فرضنا عليهم** اي اوجبنا على المومنين **في ازواجهم** اي من الاحكام وهو ان لا يتزوجوا اكثر من اربع ولا يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر **وما ملكت ايمانهم** اي ما اوجبنا من الاحكام في ملك اليمين **لكيلا يكون عليك حرج** وهذا يرجع الى اول الآية معناه احللنا لك ازواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكيلا يكون عليك ضيق **وكان الله غفورا** اي للواقع في الحرج **رحيما** اي بالتوسعة على عباده قوله تعالى **ترجي** اي تؤخر **من تشاء منهن وتؤوي اليك** اي تضم اليك **من تشاء** قيل هذا في القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض امهات المومنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المومنين لا ينكحن ابدا وعلى انه يؤوي اليه من يشاء منهن ويرجي من تشاء فيرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعض دون بعض او فضل بعضهن في النفقة والقسمة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا في انه هل اخرج احدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج احدا بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل اخرج بعضهن

عن ابي رزين قال لما نزل التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن واوى اليه بعضهن فكان ممن اوى اليه عائشة وحفصة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما يشا قال ابن عباس تطلق من تشا منهن وتمسك من تشا وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء امتك قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشا من المومنات اللاتي يهبن انفسهن فتؤويها اليك وترد من تشا فلا تقبلها ق عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحي المراة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشا منهن قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع في هواك **ومن ابتغيت ممن عزلت** اي طلبت ان تؤوي اليك امراة ممن عزلت عن القسمة **فلا جناح عليك** اي لا اثم عليك فاباح الله له ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشا منهن في نوبتها ويطا من يشا منهن في غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على سائر الرجال **ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن** اي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن اقرب الى رضاهن واطيب لانفسهن واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى **ويرضين بما آتيتهن** اي اعطيتهن **كلهن** من تقريب وارجا وعزل وايوا **والله يعلم ما في قلوبكم** من امر النسا والميل الى بعضهن **وكان الله عليما** اي بما في ضمائركم **حليما** اي عليكم قوله تعالى **لا يحل لك النسا من بعد** اي من بعد هولا التسع اللاتي اخترنك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن اخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النسا سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل ابيح له النسا بعد ذلك فروي عن عائشة انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنسائي عنها حتى احل له ان يتزوج من النسا ما شا وقال انس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب لو مات نسا النبي صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه عن ذلك قيل له قوله لا يحل لك النسا من بعد قال انما احل له ضربا من النسا فقال تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الآية ثم قال لا يحل لك النسا من بعد وقيل معنى الآية لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات **ولا ان تبدل بهن من ازواج** اي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا يكون امهات المومنين يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك اي من الكتابيات

فتستوي بهن وقيل في قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت العرب في الجاهلية
يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل تنزل عن امراتك وانزل لك عن امراتي
فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج يعني تبادل بازواجك غيرك
بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته فحرم الله ذلك الا ما ملكت يمينك اي
لا باس ان تبادل بجاريتك فاما الحرائر فلا ولو اعجبك حسنهن يعني
ليس لك ان تطلق احدا من نسائك وتنكح بدلها ولو اعجبك جمالها قال ابن عباس
يعني اسما بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب فلما استشهد جعفر
اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهي عن ذلك الا ما ملكت
يمينك قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية وكان الله على كل شيء رقيبا
اي حافظا وفي الاية دليل على جواز النظر لمن يريد نكاحها من النسا ويدل
عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احدكم
امراة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود
م عن ابي هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امراة من الانصار فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار شيئا قال الحميدي هو
الصغر عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امراة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم
هل نظرت اليها قلت لا قال انظر اليها فانه احرى ان يدوم بينكما اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الاية قال المفسرون نزلت هذه الاية
في شان وليمة زينب حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن انس
بن مالك انه كان ابن عشر سنين فقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
قال فكانت امهاتي يواظبنني على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر
سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشرين سنة وكنت اعلم
الناس بشان الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل في مبتنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بزينب بنت جحش حين اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعى
القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم
فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا
فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عايشة ثم ظن
انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوسا
لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا بلغ عتبة حجرة عايشة وظن انهم
خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني
وبينه بالستر وانزل الحجاب زاد في رواية قال دخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم
البيت وارخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يؤذن لكم الى قوله والله لا يستحيي من الحق ق عن عايشة ان نسا

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح وكان
عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي
عشاء وكانت امراة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل
الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لقضاء الحاجة من البول والغائط
والصعيد وجه الارض والافيح الواسع ق عن انس وابن عمر ان عمر قال وافقت
ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم فنزلت واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر
فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب فاجتمعت نسا النبي صلى الله عليه وسلم
في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك
وقال ابن عباس نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام وقبل ان يدرك فياكلون ولا
يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت الاية يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم يعني الا ان تدعوا الى طعام
فيؤذن لكم فتاكلونه غير ناظرين اناه يعني غير منتظرين نضجه ووقت
ادراكه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم اي اكلتم الطعام
فانتشروا اي فاخرجوا من منزله وتفرقوا ولا مستانسين لحديث
اي لا تطيلوا الجلوس ليستانس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام
يتحدثون فنهوا عن ذلك ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم
اي يستحيي من اخراجكم والله لا يستحيي من الحق اي لا يترك تاديبكم وبيان
الحق حياء ولما كان الحيا مما يمتنع الحي من بعض الافعال قال لا يستحيي من الحق
بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحي منكم وهذا ادب الله الثقلاء وقال حسبك
من في الثقلاء ان الله لم يحتملهم واذا سالتموهن متاعا اي واذا سالتم
نسا النبي صلى الله عليه وسلم حاجة فاسالوهن من وراء حجاب اي من وراء ستر
فبعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امراة من نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم
متنقبة كانت او غير متنقبة ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي من الريب
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله اي ليس لكم اذاه في شيء من الاشياء
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا نزلت في رجل من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نكحن عايشة قيل هو
طلحة بن عبيد الله فاخبر الله تعالى ان ذلك محرم حرام وقال ان ذلكم كان
عند الله عظيما اي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله رسوله
صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه
وسر قلبه واستغرق شكره فان من الناس من يفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى

لنا الموت قبله لئلا ننكح بعده إن تبدوا شيئا أي من أمر نكاحهن على ألسنتكم
أو تخفوه أي في صدوركم فإن الله كان بكل شيء عليما أي يعلم سركم
وعلانيتكم نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت
هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله ونحن
أيضا نكلمهن من وراء الحجاب فأنزل الله عز وجل لا جناح عليهن في
آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن أي
لا إثم عليهن في ترك الحجاب عن هؤلاء الأصناف من الأقارب ولا نسائهن قيل
أراد النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على أزواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات وإنما قال ولا نسائهن
لأنهن من أجناسهن ولا ما ملكت أيمانهن اختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون
محرما لها لقوله تعالى وما ملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالأجانب
والمراد من الآية الإماء دون العبيد واتقين الله أي أن يراكن أحد غير
هؤلاء إن الله كان على كل شيء من أعمال العباد شهيدا قوله عز وجل
إن الله وملائكته يصلون على النبي قال ابن عباس أراد أن يرحم النبي
صلى الله عليه وسلم والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يتبركون وقيل
الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه
عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه
أي ادعوا له بالرحمة وسلموا تسليما أي حيوه بتحية الإسلام فصل
في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها اتفق العلماء على وجوب
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقيل يجب في العمر مرة وهو الأكثر وقيل
يجب في كل صلاة في التشهد الأخير وهو مذهب الشافعي وأحد الروايتين
عن أحمد وقيل يجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية
والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة ق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال
لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية إن النبي صلى الله عليه وسلم
خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي
عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى
آل إبراهيم إنك حميد مجيد ق عن أبي حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله
كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت
على إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد
مجيد م عن ابن مسعود البدري قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك
يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله حتى تمنينا أنه لم يسأله

ثم قال

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين
إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا عن أنس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات وحطت
عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات أخرجه النسائي وله عن أبي طلحة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقلت إنا لنرى
البشر في وجهك فقال أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك
أن لا يصلي أحد عليك واحدة إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد إلا
سلمت عليه عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام عن ابن مسعود
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم
علي صلاة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن علي بن أبي طالب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا
أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين
وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد أخرجه أبو داود
قوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة
وأعد لهم عذابا مهينا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون
فأما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا إن الله فقير
وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا
الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه خ عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني
ابن آدم ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس
أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا
الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ق عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر
وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث أنه كان
من عادة العرب في الجاهلية أن يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم
أن الذي يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أي أنا الذي أحل
بهم النوازل وأنا فاعل ذلك الذي تنسبونه إلى الدهر في زعمكم وقيل معنى
يؤذون الله يلحدون في أسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاوير ق عن

ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن اظلم
ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة او ليخلقوا حبة او شعيرة وقيل يؤذون
الله اي يؤذون اولياءه كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
من اذى لي وليا فقد اذنته بالحرب وقال تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكره لك
على ما يتعارف الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن ان يلحقه اذى من احد ولما
ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل شاعر
معلم مجنون **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**
اي من غير ان عملوا ما اوجب اذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم **فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا** قيل نزلت في علي بن ابي طالب كانوا يؤذونه
ويسمعونه وقيل نزلت في شان عايشة وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا
يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن
فيتبعون المراة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا
يطلبون الا الاماء ولكن لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا
تخرج الحرة والامة في درع وخمار فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
ثم نهى الحراير ان يتشبهن بالاماء فقال تعالى **يايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين** اي يرخين ويغطين **عليهن من جلابيبهن**
جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المراة فوق الدرع والخمار وقيل هي الملحفة
وكل ما يستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس امر نساء المؤمنين ان يغطين رؤسهن
ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حراير وهو قوله تعالى **ذلك
ادنى ان يعرفن فلا يؤذين** اي لا يتعرض لهن **وكان الله غفورا رحيما** لما
سلف منهن قال انس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال
يا لكاع تتشبهين بالحراير القي القناع لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل
العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس قوله تعالى **لين
لم ينته المنافقون** اي عن نفاقهم **والذين في قلوبهم مرض** اي فجور وهم الزناة
والمرجفون في المدينة اي بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت
سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا وهزموا
ويقولون قد اتاكم العدو ونحو ذلك من الاراجيف وقيل كانوا يحبون ان تشيع
الفاحشة في الذين امنوا ويفشوا الاخبار **لنغرينك بهم** اي لنحرشنك
ولنسلطنك عليهم **ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا** اي لا يساكنونك في
المدينة الا قليلا اي حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي
منهم المدينة **ملعونين** اي مطرودين **اينما ثقفوا** اي وجدوا وادركوا

اخذوا

اخذوا وقتلوا تقتيلا اي الحكم فيهم على هذا الامر به **سنة الله** اي
كسنة الله **في الذين خلوا من قبل** اي في المنافقين والذين فعلوا
مثل فعل هؤلاء ان يقتلوا حيث ما ثقفوا **ولن تجد لسنة الله تبديلا**
قوله عز وجل **يسالك الناس عن الساعة** قيل ان المشركين كانوا يسالون
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل
الهزو وكان اليهود يسالونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى عليهم
علم وقتها في التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم
بقوله **قل انما علمها عند الله** يعني ان الله تعالى قد استاثر به ولم يطلع
عليه ملكا ولا نبيا **وما يدريك** اي اي شيء يعلمك امر الساعة ومتى يكون
قيامها **لعل الساعة تكون قريبا** اي انها قريبة الوقوع وفيه تهديد
للمستعجلين واسكات للممتحنين **ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا
خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم
في النار** اي تقلب ظهرا لبطن حين يسحبون عليها **يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا** اي في الدنيا **وقالوا ربنا
انا اطعنا سادتنا وكبراءنا** يعني رؤساء الكفار الذين لقنوهم الكفر وزينوه
لهم **فاضلونا السبيلا** يعني عن سبيل الهدى **ربنا اتهم** يعنون السادة
والكبراء **ضعفين من العذاب** يعني ضعفي عذاب غيرهم **والعنهم لعنا كثيرا**
اي لعنا متتابعا قوله **يايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى
فبراه الله مما قالوا** اي فطهره الله مما قالوا فيه **وكان عند الله وجيها**
اي كريما ذا جاه وقدر وقال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسال الله شيا
الا اعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا
فيما اوذي به موسى فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كانت بنو اسرايل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض وكان موسى عليه
السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه
ادر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح موسى باثره
يقول ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرايل الى سواة موسى فقالوا والله ما بموسى
من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة
والله ان بالحجر ندبا ستة او سبعة من ضرب موسى بالحجر اخرجه البخاري ومسلم
وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا
ستيرا لا يرى في جسده شيا استحياء منه فاذاه من اذاه من بني اسرايل فقالوا
ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما افة وان
الله اراد ان يبريه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم
اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه لياخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى عصاه

وَالحق الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرايل فراوه
عريانا احسن ما خلق الله وابراه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه
وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او
خمسا فذلك قوله يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله
مما قالوا وكان عند الله وجيها الادرة بالضم عظم الخصية لنفخة فيها وقوله
يجمح اي اسرع وقوله ثوبي حجر اي دع ثوبي يا حجر وقوله وطفق اي جعل يضرب
الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاثر واصله اثر الجرح اذا لم
يرتفع عن الجلد فشبه به اثر الضرب بالحجر والمحدثون يقولونه ندبا بسكون الدال
وقيل في معنى الاية اذاهم اياه انه لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى انه
قتله فامر الله الملايكة حتى مروا به على بني اسرايل فعرفوا انه لم يقتله
فبراه الله مما قالوا وقيل ان قارون استاجر بغيا لتقذف موسى بنفسها
على راس الملا فعصمها الله وبرا موسى من ذلك واهلك قارون ق عن عبد الله
ابن مسعود قال لما كان يوم حنين اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا
في القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن
مثل ذلك واعطى ناسا من اشراف العرب واثرهم في القسمة فقال رجل والله
ان هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله تعالى فقلت والله لاخبرن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى
كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله
موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله
يصلح لكم اعمالكم قال ابن عباس يتقبل حسناتكم ويغفر لكم ذنوبكم
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اي ظفر بالخير العظيم
قوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
قال ابن عباس اراد بالامانة الطاعة والفرايض التي فرض الله على عباده عرضها
على السموات والارض والجبال على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم
وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات وايتاء الزكوات وصوم رمضان وحج
البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من هذا
كله الودايع وقيل جميع ما امروا به ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما
يخفى من الشرايع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان
الفرج وقال هذه الامانة استودعكها فالفرج امانة والاذن امانة والعين
امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وفي رواية عن ابن
عباس هي امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا

معاهدا

معاهدا في شي لا في قليل ولا في كثير فعرض الله تعالى هذه الامانة على اعيان الناس
السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين واكثر السلف فقال
لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن
عوقبتن قلن لا يا رب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا
وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان لا يقيموا بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان
العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها
خاضعة لله تعالى مطيعة لامره ساجدة له قال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل
والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد
من العرض على السموات والارض هو العرض على اهلها من الملايكة دون اعيانها
والقول الاول اصح وهو قول العلما فابين ان يحملنها واشفقن منها
اي خفن من الامانة ان لا يودينها فيلحقهن العقاب وحملها الانسان
يعني ادم فقال الله عز وجل لادم اني عرضت الامانة على السموات والارض
والجبال فلم تطقها فهل انت اخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت
جوزيت وان اسات عوقبت فتحملها ادم فقال بين اذني وعاتقي قال الله تعالى
اما اذا تحملت فساعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان لا تنظر الى ما لا
يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلاقا فاذا خشيت فاغلق واجعل
لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان
تحملها وبين ان يخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر الى العصر وقيل انما
كلف الانسان حملها ما يلغ من عظمة الله وثقل تحملها انه عرض على اعظم ما خلق
الله من الاجرام واقواه واشده ان يحمله ويستقل به فابى حمله واشفق
منه وحملها الانسان على ضعفه وضعف قوته انه كان ظلوما جهولا
قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما
حين عصى ربه جهولا اي لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما
جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها وقيل في
تفسير الاية اقوال اخر وهو ان الله تعالى ايتمن السموات والارض والجبال على
كل شيء وايتمن ادم واولاده على شي فاما الامانة في حق الاجرام العظام هي
الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله فابين ان يحملنها اي ادين الامانة ولم
يخن فيها واما الامانة في حق بني ادم فهو ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرايض
وقوله وحملها الانسان اي خان فيها وعلى هذا احكي عن الحسن انه قال الانسان
هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانا فيها والقول الاول هو قول السلف
وهو الاولى فصل في الامانة ق عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رايت احدهما وانا منتظر الاخر
حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القران فعلموا

من القران وعلموا من السنة ثم قال حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل
النومة فتنقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على
رجلك فينبصح الناس فيبنتنا يعون فلا يكاد احد يودي الامانة حتى يقال له
ان في بني فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما
في قلبه مثقال ذرة من ايمان ولقد اتى على زمان وما ابالي ايكم بايعت لين كان
مسلما ليردنه على دينه وان كان نصرانيا او يهوديا ليردنه على ساعيه واما
اليوم فما كنت ابايع منكم الا فلانا وفلانا قوله نزلت الامانة في جذر
قلوب الرجال الجذر الشيء اصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة في الشيء من
غير لونه والمجل غلظ الجلد من اثر العمل وقيل انما هي التنفطات في الجلد وقد
فسره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شيء خ عن ابي هريرة قال بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم فجا اعرابي فقال متى الساعة فمضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم
لم يسمع حتى اذا قضى حديثه فقال اين السايل عن الساعة قال ها انا يا رسول الله
قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال
اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اد الامانة الى من ايتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث حسن غريب قوله تعالى **ليعذب الله المنافقين والمنافقات**
والمشركين والمشركات اي بما خانوا الامانة ونقضوا العهد **ويتوب الله**
على المومنين والمومنات اي يهديهم ويرحمهم بما ادوا الامانة وقيل عرضنا
الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر ايمان المومن
فيتوب عليه اي يعود عليه بالرحمة والمغفرة وان حصل منه تقصير في بعض الطاعات
وكان الله غفورا رحيما والله اعلم

تفسير سورة سبا

مكية وهي اربع وخمسون اية وثمانماية وثلاث وثلاثون كلمة والف وخمسماية واثنا
عشر حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض معناه ان كل نعمة فمن
الله فهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال
الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا **وله الحمد في الاخرة**
اي كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه فكما انه المحمود على نعم الدنيا
فهو المحمود على نعم الاخرة وقيل الحمد في الاخرة هو حمد اهل الجنة كما ورد يلهمون
التسبيح والحمد كما يلهمون النفس **وهو الحكيم** الذي احكم امور الدين
الخبير اي بكل ما كان وما يكون **يعلم ما يلج في الارض** اي من المطر والكنوز
والاموات **وما يخرج منها** اي من النبات والشجر والعيون والمعادن والاموات

اذا بعثوا **وما ينزل من السما** اي من المطر والثلج والبرد وانواع البركات والملا يكة
وما يعرج فيها اي في السما من الملايكة واعمال العباد **وهو الرحيم الغفور**
اي للمفرطين في ادا ما وجب عليهم من شكر نعمه قوله تعالى **وقال الذين كفروا**
لا تاتينا الساعة معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطوا ما وعدوه
من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية **قل بلى وربي لتاتينكم** يعني
الساعة **عالم الغيب** اي لا يفوت علمه شي من الخفيات واذا كان كذلك
اندرج في علمه وقت قيام الساعة وانها اتية **لا يعزب عنه** اي لا يغيب
عنه **مثقال ذرة** اي وزن ذرة **في السموات ولا في الارض ولا اصغر**
من ذلك اي من الذر **ولا اكبر الا في كتاب مبين** اي في اللوح
المحفوظ **ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك لهم مغفرة** اي
لذنوبهم **ورزق كريم** يعني الجنة **والذين سعوا في اياتنا** اي في ابطال
ادلتنا **معاجزين** اي يحسبون انهم يفوتوننا **اوليك لهم عذاب من**
رجز اليم قيل الرجز سوء العذاب **ويرى الذين اوتوا العلم**
يعني مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم **الذي انزل اليك من ربك** يعني القران **هو الحق** يعني انه
من عند الله **ويهدي** اي القران **الى صراط العزيز الحميد** اي الى دين
الاسلام **وقال الذين كفروا** يعني المنكرين للبعث المتعجبين منه **هل**
ندلكم اي قال بعضهم لبعض هل ندلكم **على رجل ينبيكم** يعنون محمدا
صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب وهو انكم **اذا مزقتم**
كل ممزق اي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا **انكم لفي**
خلق جديد اي تقولون انكم تبعثون وتنشيون خلقا جديدا بعد ان
تكونوا رفاتا وترابا **افترى على الله كذبا** اي هو مفتر على الله كذبا
فيما ينسب اليه من ذلك **ام به جنة** اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه
قال الله تعالى ردا عليهم ليس محمد من الافترا والجنون في شي وهو مبرا منهما
بل الذين لا يومنون بالاخرة يعني منكري البعث **في العذاب والضلال**
البعيد اي من الحق في الدنيا **افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم**
من السما والارض اي فيعلموا حيث كانوا فان سماي وارضي محيطة
بهم لا يخرجون من اقطارها وانا قادر عليهم **ان نشا نخسف بهم الارض**
اي كما خسفنا بقارون **او نسقط عليهم كسفا من السما** اي كما فعلنا
باصحاب الايكة **ان في ذلك** اي فيما ترون من السما والارض **لاية**
اي لدلالة على قدرتنا على البعث بعد الموت **لكل عبد منيب** اي تايب
راجع الى الله تعالى بقلبه قوله عز وجل **ولقد اتينا داود منا فضلا**
يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل جميع ما اوتي من حسن الصوت

وغير ذلك مما حضر به **يا جبال اوبي معه** اي وقلنا يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل
رجعي معه اذا رجع ونوحي معه اذا ناح **والطير** اي وامرنا الطير ان تسبح معه فكان
داود اذا نادي بالتسبيح او بالنياحة اجابته الجبال وعكفت الطير عليه من فوقه
وقيل كان داود اذا لحقه ملل او فتور اسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له
والنا له الحديد يعني كان الحديد في يده كالشمع او كالعجين يعمل فيه ما يشا من غير نار
ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان
من عادته ان يخرج للناس متنكرا فاذا راي انسانا لا يعرفه يتقدم اليه ويسأله
عن داود فيقول له ما تقول في داود فيقولون ذلك وايكم هذا اي رجل هو فيثنون عليه ويقولون
خيرا فقيض الله تعالى له ملكا في صورة ادمي فلما راه داود تقدم اليه على عادته
وسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك وقال ما هي
يا عبد الله قال انه ياكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل
الله تعالى ان يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم
عياله فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدرع وانه اول من اتخذها وكانت قبل
ذلك صفايح وقيل انه كان يبيع كل درع باربعة الاف فياكل منها ويطعم عياله
ويتصدق منها على الفقرا والمساكين وقد صح في الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان داود لا ياكل الا من عمل يده **ان اعمل سابغات** اي دروعا
كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا **وقدر في
السرد** اي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا
تجعل المسامير دقاقا فتنفلق ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقدر في السرد
اي اجعله على القصد وقدر الحاجة **واعملوا صالحا** يريد داود وآله **اني بما
تعملون بصير** قوله تعالى **ولسليمان الريح** اي وسخرنا لسليمان
الريح **غدوها شهر ورواحها شهر** معناه مسير غدو تلك الريح المسخرة
له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة
شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للراكب
المسرع وقيل كان يتغدي بالري ويتعشي بسمرقند **واسلنا له عين القطر**
اي اذبنا له عين النحاس قال اهل التفسير اجريت له عين النحاس ثلاثة ايام بلياليهن
تجري جري الما وكان بارض اليمن وقيل اذاب الله لسليمان النحاس كما الان لداود الحديد
ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه اي بامر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن
لسليمان وامرهم بطاعته فيما يامرهم **ومن يزغ** اي يعدل **منهم** اي من الجن
عن امرنا اي الذي امرناه به من طاعة سليمان **نذقه من عذاب السعير**
قيل هذا في الاخرة وقيل هذا في الدنيا وقيل ان الله تعالى وكل به ملكا بيده
صوت من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة احرقته
قوله عز وجل **يعملون له ما يشا من محاريب** اي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة

والقصور

والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت المقدس
وذلك ان داود ابتداه ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه لم اقض ذلك على يدك
ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اقضي تمامه على يديه فلما توفي داود
استخلف سليمان احب تمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم
الاعمال فخص كل طايفة بعمل فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والصفايح
وجعل اثني عشر ربضا منها سبط من الاسباط فلما فرغ من بنا المدينة ابتدا
في بنا المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنها
ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من اماكنها ومنهم من ياتيه
بالمسك والعنبر والطيب من اماكنه فاتي بشي كثير لا يحصيه الا الله تعالى
ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار وتصييرها الواحا واصلاحها
لتلك الجواهر وثقب اليواقيت واللالي فبني المسجد بالرخام الابيض والاصفر
والاخضر وعمده باساطين الملون الصافي وسقفه بانواع الجواهر الثمينة
وفصص سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت وساير الجواهر وبسط
ارضه بالوان الفيروزج فلم يكن على وجه الارض يومئذ بيت ابهى ولا انور
من ذلك المسجد فكان يضي في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه
احبار بني اسرايل واعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شي فيه خالص له واتخذ
ذلك اليوم عيدا روي عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سال الله عز وجل حكما يوافق حكمه فاوتيه
وسال الله تعالى ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال الله عز وجل
حين فرغ من بنا المسجد ان لا ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرجه من
خطيئته كيوم ولدته امه اخرجه النسائي ولفظ النسائي ثلاثة وذكر نحوه
قوله لا ينهزه اي لا ينهضه الا الصلاة فيه قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما
بناه سليمان حتى غزاه بخت نصر فخرب المدينة وهدم المسجد واخذ ما فيه
من الذهب والفضة وساير الجواهر وحمله الى دار مملكته بالعراق وبنا الشياطين
لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر قوله عز وجل **وتماثيل**
يعني ويعملون له تماثيل اي صورا من نحاس ورخام وزجاج وقيل كانوا يصورون
صور الملايكة والانبيا والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة
وقيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا في شريعتهم وهذا مما يجوز ان تختلف
فيه الشرايع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب
ونحوه مما يقبح في كل الشرايع وقيل عملوا له اسدين تحت كرسيه ونسرين
فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا جلس اظلته النسران
باجنحتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره
وفوق كرسيه لكي يهابه من اراد الدنو منه **وجفان** اي قصاع **كالجوابي**

اي كالحياض التي يجبا فيها الما اي يجتمع قيل كان يقعد في الجفنة الواحدة
الف رجل ياكلون منها **وقدور راسيات** اي ثابتات قيل كان اثا فيها
ما لا يتحرك ولا ينزلن عن اماكنهن لعظمهن ولا يعطلن وكان يصعد اليها
بالسلالم وكانت باليمن **اعملوا آل داود شكرا** اي وقلنا يا آل داود
اعملوا بطاعة الله شكرا على نعمه وقيل المراد من آل داود نفسه وقيل آل
داود سليمان واهل بيته قال ثابت البناني كان داود عليه السلام قد
جزا ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي ساعة من ليل ولا نهار
الا وانسان من آل داود قايم يصلي **وقليل من عبادي الشكور** اي قليل
العامل بطاعتي شاكرا لنعمتي قوله تعالى **فلما قضينا عليه الموت** اي على
سليمان قال العلما كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة
والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه
طعامه وشرابه فدخله في المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك انه لا يصبح يوما
الا وقد نبتت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول كذا وكذا
فيامر بها فتقطع فان كانت لغرس امر بها فغرست وان كانت لدوا كتب ذلك
حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت قالت انا الخروبة قال ولاي شي خلقت
قالت لخراب مسجدك فقال سليمان ما كان يخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي
وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها في حايط له ثم قال اللهم اعم على الجن موتي
حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون
من الغيب اشيا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متكيا
على عصاه فمات قايما وكان في المحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن
يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان وينظرون
اليه يحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته
وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يدابون بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة
عصى سليمان فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن والارضة فهم
ياتونها بالما والطين الى جوف الخشب فذلك قوله تعالى **ما دلهم على موته
الا دابة الارض** يعني الارضة **تاكل منساته** قال البخاري يعني
عصاه **فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين** معناه علمت الجن وايقنت انهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب
والشقا مسخرين لسليمان وهو ميت ويظنونه حيا اراد الله تعالى بذلك ان
يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى
الاية انه ظهر امر الجن وانكشف للانس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد
شبهوا على الانسان ذلك **ذكر** اهل التاريخ ان سليمان ملك
وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في الملك مدة اربعين سنة وشرع في بنا بيت

المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله
عز وجل **لقد كان لسبا في مساكنهم** عن فروة بن مسيك المرادي قال وانزل
في سبا ما انزل قال رجل يا رسول الله وما سبا ارض او امراة قال ليس بارض ولا
امراة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشام منهم اربعة
فاما الذين تشاموا فلخم وجذام وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد
والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما انمار
قال الذين منهم خثعم وبجيلة اخرجه الترمذي مع زيادة وقال الحديث حسن
غريب وسبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مساكنهم اي بمارب من ارض
اليمن **اية** اي دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الاية فقال تعالى **جنتان**
اي هم بستانان **عن يمين وشمال** اي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن
يمين من اتاهما وشماله قيل كان لهم وادي قد احاطت به الجنتان **كلوا** اي
وقيل لهم كلوا **من رزق ربكم** اي من ثمار الجنتين قيل كانت المراة تحمل مكتلها
على راسها وتمر على الجنتين فيمتلي المكتل من انواع الفواكه من غير ان تمس بيدها
شيئا **واشكروا له** اي على ما رزقكم من النعمة واعملوا بطاعته **بلدة طيبة**
اي ارض مارب وهي سبا بلدة طيبة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى في بلدتهم
بعوضة ولا ذباب ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل
فيموت القمل من طيب الهوى **ورب غفور** اي وربكم ان شكرتم على ما رزقكم
رب غفور لمن شكره قوله تعالى **فاعرضوا** قال وهب ارسل الله اليهم
ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه
فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله تعالى علينا من نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه
النعمة علينا ان استطاع فذلك اعراضهم **فارسلنا عليهم سيل العرم**
اي الذي لا يطاق قيل كان ما احمر ارسله الله عليهم من حيث شا وقيل العرم
السكر الذي يحبس الما وقيل العرم الوادي قال ابن عباس ووهب وغيرهما
كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ما واديهم وامرت
بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت له ثلاثة ابواب بعضها
فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم
يفتحونها اذا احتاجوا الى الما واذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاءهم المطر
اجتمع اليهم ما اودية اليمن فاحتبس السيل من ورا السد فامرت بالباب الاعلى
ففتح فجرى ماوه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم
من الثالث الاسفل فلا ينفد الما حتى يثوب الما من السنة المقبلة فكانت
تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم
جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فغرق الما جناتهم وخرب ارضهم
قال وهب فيما يزعمون ويجدون في علمهم ان يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة

بين بحرين الا ربطوا عنده هرة فلما جاء زمانه وما اراد الله تعالى بهم من التغريق
اقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استاخرت
عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد وحفرت
حتى وهنته للسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه
حتى اقتلع السد وفاض الماء على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل ففرقوا
ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهبوا ايدي سبا
وتفرقوا ايادي سبا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم **وبدلناهم**
بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط قيل هو شجر الاراك وثمرة البرير وقيل
كل نبت اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقيل هو ثمر شجر يقال له
فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به **واثل** قيل هو الطرفا
وقيل شجر يشبه الطرفا الا انه اعظم منه **وشيء من سدر قليل** هو
شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذي بدلوه
مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشيء قيل كان شجر العرم من خير الشجر
فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وهو قوله تعالى **ذلك جزيناهم بما كفروا**
اي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم **وهل نجازي الا الكفور** اي هل يجازى
بمثله الا الكفور لله في نعمه وقيل المؤمن يجزى ولا يجازى يجزى بحسناته ولا يكافأ في
بسيئاته **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها** اي بالماء والشجر وهي
قرى الشام **قرى ظاهرة** اي متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها
منها وقيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون
باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كانت قراهم
اربعة الاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام **وقدرنا فيها السير**
اي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر
نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار فكان ما
بين اليمن والشام كذلك **سيروا** اي وقلنا لهم سيروا **فيها ليالي**
واياما اي في اي وقت شئتم **امنين** اي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا
عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية وقالوا
لو كان جنى ثمارنا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه وطلبوا الكد والتعب في الاسفار
فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ بعد بين اسفارنا اي اجعل بيننا وبين
الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فتمنوا ذلك فجعل
الله لهم الاجابة **وظلموا انفسهم** اي بالبطر والطغيان **فجعلناهم**
احاديث اي عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم وشانهم **ومزقناهم كل**
ممزق اي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق قيل لما غرقت
قراهم تفرقوا في البلاد فاما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة

الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم المدينة عمرو بن عامر
وهو جد الاوس والخزرج ولحق آل خزيمة بالعراق **ان في ذلك لايات**
اي لعبرا ودلالات **لكل صبار** عن المعاصي **شكور** اي لله على نعمه قيل
المؤمن صبور على البلاء شاكر لله وقيل المؤمن اذا اعطي شكر واذا ابتلي
صبر قوله عز وجل **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه** قيل على اهل سبا
وقيل على الناس كلهم **فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين** قال ابن عباس يعني
المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في اصل الدين وقيل هو خاص في المؤمنين الذين
يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سال الله النظرة فانظره
الله تعالى قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما
قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم
وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط وانما وعدهم ومناهم
وما كان له عليهم من سلطان اي ما كان تسليطنا اياه عليهم **الا لنعلم**
من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك اي لنرى ونميز المؤمن من الكافر واراد
علم الوقوع والظهور اذ كان معلوما عنده لانه عالم الغيب **وربك على**
كل شيء حفيظ اي رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ قوله تعالى **قل** اي
يا محمد لكفار مكة **ادعوا الذين زعمتم** انهم الهة **من دون الله**
والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم من سني الجوع ثم وصف عجز
الالهة فقال **لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض** يعني
من خير وشر ونفع وضر **وما لهم** اي الالهة **فيهما** اي في السموات والارض
من شرك اي شركة **وما له** اي لله **منهم** اي من الالهة **من ظهير** اي عون
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له اي اذن الله له في الشفاعة
قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز ان
يكون المعنى الا لمن اذن له في ان يشفع له **حتى اذا فزع عن قلوبهم**
معناه كشف الفزع واخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من
غشية تصيبهم عند سماع كلام الله (خ) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا
فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال **الحق وهو العلي**
الكبير وللترمذي اذا قضى الله امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا
لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم
قالوا الحق وهو العلي الكبير قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعانا
جمع خاضع وهو المنقاد المطيع الصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود قال
اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفا
فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون

يا جبريل ماذا قال ربكم فيقولون الحق اخرجه ابو داود الصلصلة صوت
الاجراس الصلبة بعضها على بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة
قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسماية ستة او ستماية
لم تسمع الملايكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل
بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملايكة ظنوا انها الساعة
لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا
مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سما فيكشف
عنهم فيرفعون روسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني
الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وذلك اذا كشف
الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملايكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا
لاقامة الحجة عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلي
الكبير اي ذو العلو والكبريا قوله عز وجل قل من يرزقكم من السموات والارض
يعني المطر والنبات قل الله يعني ان لم يقولوا ان رازقنا هو الله فقل انت
ان رازقكم هو الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين معناه
ما نحن وانتم على امر واحد بل احد الفريقين مهتد والاخر ضال وهذا ليس
هو على طريق الشك بل على جهة الالزام والانصاف في الحجاج كما يقول القايل
لاحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبي صلى الله عليه وسلم
ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير ان يصرح بالكذب
ومنه بيت حسان

اتهجوه ولست له بكفو ۞ فشركما لخيركما الفدا

وقيل او بمعنى الواو ومعنى الاية انا لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين قل
لا تسئلون عما اجرمنا اي لا تواخذون به ولا نسئل عما تعملون اي من
الكفر والتكذيب وقيل اراد بالاجرام الصغاير والزلات التي لا يخلو منها
مومن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام قل يجمع بيننا ربنا يعني
يوم القيامة ثم يفتح اي يقضي ويحكم بيننا بالحق وهو الفتاح العليم
قل اروني اي اعلموني الذين الحقتم به اي بالله شركا يعني الاصنام معه
في العبادة هل يخلقون وهل يرزقون واراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في
الحاق الشركا بالله كلا كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا
يخلقون ولا يرزقون بل هو الله العزيز اي الغالب على امره الحكيم اي
في تدبير خلقه فانى يكون له شريك في ملكه قوله عز وجل وما ارسلناك الا
كافة للناس اي للناس كلهم عامة احمرهم واسودهم عربيهم وعجميهم وقيل
ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد ق عن جابر بن
عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن

احد

احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم
ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة
وبعثت الى الناس عامة في الحديث بيان الفضايل التي خص بها نبينا صلى الله
عليه وسلم دون ساير الانبيا وان هذه الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله
من الانبيا وفيه اختصاصه بالرسالة العامة الى كافة الخلق الانس والجن
وكان النبي قبله يبعث الى قومه او الى اهل بلده فعمت رسالة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون ساير الانبيا وقيل في معنى
كافة اي كافا يكفهم عما هم عليه من الكفر فتكون الها للمبالغة بشيرا اي
لمن امن بالجنة ونذيرا لمن كفر بالنار ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعني يوم القيامة قل لكم ميعاد
يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون معناه لا يتقدمون
على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت لا تتاخرون عنه بان يزاد في اجالكم
او ينقص منه وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي
بين يديه يعني التوراة والانجيل ولو ترى اي يا محمد اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول معناه
ولو ترى في الاخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها
بينهم لرايت العجب يقول الذين استضعفوا وهم الاتباع للذين استكبروا
وهم القادة والاشراف لولا انتم لكنا مومنين اي انتم منعتمونا
عن الايمان بالله ورسوله قال الذين استكبروا اي اجابوا المتبوعين
في الكفر للذين استضعفوا انحن صددناكم اي منعناكم عن الهدى اي
عن الايمان بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اي بترك الايمان وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اي مكركم بنا في
الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة وطول الامل فيهما
اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي هو قول
القادة للاتباع ان ديننا حق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار
اذ تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الاخرة واسروا
الندامة اظهروها وقيل اخفوها وهو من الاضداد لما راوا العذاب
وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في النار للاتباع
والمتبوعين جميعا هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي من الكفر والمعاصي
في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال
مترفوها اي روساوها واغنياوها انا بما ارسلتم به كافرون
وقالوا يعني المترفين والاغنيا للفقرا الذين امنوا نحن اكثر اموالا

وَأَوْلَادًا يعني لو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح
لم يخولنا الاموال والاولاد وما نحن بمعذبين اي ان الله قد احسن
الينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الاخرة قل ان ربي يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يعني انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا
ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضييق على سخطه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون اي انها كذلك وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى بالتي تقربكم عندنا تقريبا الا اي لكن من آمن وعمل
صالحا قال ابن عباس يريد وعمله تقربه مني فاولئك لهم جزاء
الضعف بما عملوا اي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة
الى عشر الى سبعمائة وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا
اي يعملون في ابطال حجتنا معاجزين اي معاندين يحسبون انهم يعجزوننا
ويفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قوله عز وجل قل ان ربي يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير
الرازقين اي يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه
لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما
الثواب في الاخرة الذي كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وانفقتم
من الخير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما
يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق
نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الاخرة ومعنى الاية ما كان من
خلف فهو منه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال
الله تعالى انفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم انفق انفق عليك ق عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان
ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط
ممسكا تلفا م عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة
من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله
وهو خير الرازقين اي خير من يعطي ويرزق لان كل ما رزق غيره من
سلطان يرزق جنده او سيد يرزق مملوكه او رجل يرزق عياله فهو من
رزق الله اجراه على ايدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رازق سواه
وقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يعني هؤلاء الكفار ثم يقول
للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون اي في الدنيا وهذا استفهام
تقرير وتقريع للكفار وتبرؤ منهم الملائكة من ذلك وهو قوله تعالى
قالوا سبحانك اي تنزيها لك انت ولينا من دونهم اي

نحن

نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من
الرضا بعبادتهم لهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون يعني الشياطين
فان قلت قد عبدوا الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين
عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل
كانوا يدخلون في اجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون
اي يصدقون الشياطين قال الله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا
اي بالشفاعة ولا ضرا اي بالعذاب يريد انهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى
يعنون القرآن وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين
وما آتيناهم يعني هؤلاء المشركين من كتب يدرسونها اي يقرؤونها
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اي لم يأت العرب قبلك نبي ولا انزل عليهم
كتاب وكذب الذين من قبلهم اي من الامم السالفة رسلنا وما بلغوا
يعني هؤلاء المشركين معشار اي عشر ما آتيناهم اي اعطينا الامم
الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار فكذبوا رسلي فكيف كان نكير
اي انكاري عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية قوله عز
وجل قل انما اعظكم بواحدة اي آمركم واوصيكم بواحدة اي بخصلة واحدة ثم بين
تلك الخصلة فقال ان تقوموا لله اي لاجل الله مثنى اي اثنين اثنين
وفرادى اي واحدا واحدا ثم تتفكروا اي تجتمعوا جميعا فتنظرون
وتحاورون وتتفكرون في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلمون ما بصاحبكم
من جنة ومعنى الاية انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم
وهي ان تقوموا لله وليس المراد منه القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب
في الامر والنهوض فيه بالهمة لتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا في امر محمد
صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما
محصول فكره على صاحبه لينظر فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما
اتباع الهوى واما الفرد فيتفكر في نفسه ايضا وينصفه هل رأينا في هذا الرجل
جنونا قط او جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من
جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا واوزنهم حلما واحدهم ذهنا واثبتهم رأيا
واصدقهم قولا وازكاهم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به
واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بآية فاذا جاء بها تيقنتم انه نذير مبين
صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عنده قوله ثم تتفكروا اي في السموات والارض
فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما بصاحبكم من جنة ان هو

الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سئلتكم اي على تبليغ
الرسالة من اجر اي جعل فهو لكم اي لم اسألكم شيئا ان اجري اي ثوابي
الا على الله وهو على كل شي شهيد قل ان ربي يقذف بالحق اي بالوحي
من السما فيقذفه الى الانبيا علام الغيوب اي خفيات الامور قل جا الحق
اي القران والاسلام وما يبدي الباطل وما يعيد اي ذهب الباطل وزهق
فلم يبق منه بقية يبدي شيا ويعيده قيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق
ابليس احدا ابتدا ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل الاصنام قل ان ضللت فانما
اضل على نفسي وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت
حين تركت دين ابائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون انتم فانما
اضل على نفسي اي اثم ضلالتي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي
اي من القران والحكمة انه سميع قريب قوله عز وجل ولو ترى اي يا محمد
اذ فزعوا اي عند البعث حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت فلا
فوت اي لا يفوتوننا ولا نجاة لهم واخذوا من مكان قريب قيل من تحت
اقدامهم وقيل اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيث ما كانوا فهم من الله
قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو
القتل يوم بدر وقيل خسف باليمن او معنى ولو ترى اذ فزعوا لرايت امرا
يعتبر به وقالوا امنا به اي حين عاينوا العذاب قيل هو عند الياس وقيل
هو عند البعث وانى لهم التناوش من مكان بعيد اي التناول
والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا
منهم في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فيقال وانى
لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد اي من الاخرة الى الدنيا وقد كفروا به
من قبل اي بالقران وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل ان يعاينوا
العذاب واهوال يوم القيامة ٢ ايتهموا الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد
بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون
ويقولون انه لشاعر ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون
لا بعث ولا جنة ولا نار وحيل بينهم وبين ما يشتهون يعني الايمان والتوبة
والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها كما فعل باشياعهم اي بنظرايهم
ومن كان على مثل حالهم من الكفار من قبل اي لم يقبل منهم التوبة والايمان
في وقت الياس انهم كانوا في شك اي من البعث ونزول العذاب بهم مريب
اي موقع الريبة والتهمة والله سبحانه وتعالى اعلم

(في الهامش: ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ٢)

تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة

وهي مكية وهي خمس واربعون اية وتسعماية وسبعون كلمة وثلاثة الاف وماية

وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض اي خالقهما ومبدعهما
على غير مثال سبق جاعل الملائكة رسلا اي الى الانبيا اولى اجنحة
اي ذوي اجنحة مثنى وثلاث ورباع اي بعضهم له جناحان وبعضهم له
ثلاثة اجنحة وبعضهم له اربعة يزيد في الخلق ما يشا اي يزيد في خلق
الاجنحة ما يشا قال ابن مسعود في قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال
راى جبريل على صورته له ستماية جناح وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشا
هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة في العينين وقيل
هو العقل والتمييز ان الله على كل شي قدير اي مما يريد ان يخلقه قوله تعالى
ما يفتح الله للناس من رحمة قيل هو المطر وقيل من خير ورزق فلا
ممسك لها اي لا يستطيع احد على حبسها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
اي لا يقدر احد على فتح ما امسك وهو العزيز اي فيما امسك الحكيم فيما
ارسل ق عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شي قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد
منك الجد والجد الغنى واللغة ان لا ينفع المبخوت والغني حظه وغناه لانهما
منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل يا ايها الناس اذكروا
نعمت الله عليكم قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم
ومنع الغارات عنهم هل من خالق غير الله اي لا خالق الا الله وهو
استفهام تقرير وتوبيخ يرزقكم من السما يعني المطر والارض اي النبات
لا اله الا هو فانى تؤفكون اي من اين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله
وانكار البعث وانتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك يعني نبيه صلى الله عليه وسلم والى الله ترجع الامور
اي فيجزي المكذب من الكفار بتكذيبه قوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله
حق يعني وعد القيامة فلا تغرنكم الحياة الدنيا لا تخدعنكم بلذاتها
وما فيها من عمل الاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور
اي لا يقول اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من
هو فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا اي عادوه بطاعة
الله ولا تطيعوه فيما امركم به من الكفر والمعاصي انما يدعو حزبه اي اشياعه
واولياءه ليكونوا من اصحاب السعير ثم بين حال موافقته ومخالفته فقال
تعالى الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة واجر كبير قوله عز وجل افمن زين له سوء عمله قال ابن عباس نزلت في ابي
جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في اصحاب الاهوا والبدع ومنهم الخوارج

الذين يستحلون دما المشركين واموالهم وليس اصحاب الكبائر من الذنوب منهم
لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له سوء
عمله قبيح عمله فرآه حسنا وفي الاية حذف مجاز تقديره افمن
زين له سوء عمله فرأى الباطل حسنا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل
باطلا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل جواب الاية افمن زين له
سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والحسرة شدة
الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا ان الله عليم
بما يصنعون فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي ارسل
الرياح فتثير سحابا اي تزعجه من مكانه وقيل تجمعه فتجيء به فسقناه اي
فنسوقه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور
اي مثل احياء الموات نشور الاموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي رزين
العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه
فقال هل مررت بواد اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال كذلك
يحيي الله الموتى وتلك اية في خلقه قوله تعالى من كان يريد العزة فلله
العزة جميعا قيل معناه من كان يريد ان يعلم لمن العزة فالعزة لله جميعا
وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعا الى طاعة الله
من له العزة اي فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا
الاصنام وطلبوا بها التعزز فبين الله ان لا عزة الا لله ولرسوله ولاوليائه
المؤمنين اليه اي الى الله يصعد الكلم الطيب قيل هو قول لا اله الا
الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر روى البغوي
باسناده عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا انبأتكم بمصداقه من كتاب
الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك تحت جناحه يصعد بهن فلا
يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيا بها وجه رب العالمين
ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث موقوف
على ابن مسعود وفي اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلام الطيب
ذكر الله تعالى وقيل اليه يصعد اي يقبل الله الكلام الطيب والعمل
الصالح يرفعه قال ابن عباس اي يرفع العمل الصالح الكلام الطيب وقيل
الكلام الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يؤد
فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر
في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله
ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه ذلك العمل كان الله يقول اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا

فقولا

قولا وعملا الا بنية وقيل الهاء في يرفعه راجعة الى العمل الصالح اي الكلام
الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل الا ان يكون صادرا عن التوحيد وقيل
معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص بسبب قبول
الخيرات من الاقوال والافعال والذين يمكرون السيئات اي يعملون
السيئات يعني الشرك وقيل يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم
في دار الندوة وقيل هم اصحاب الربا لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور
اي يبطل ويهلك في الاخرة قوله عز وجل والله خلقكم من تراب يعني ادم
ثم من نطفة يعني ذريته ثم جعلكم ازواجا يعني اصنافا ذكرانا
واناثا وقيل زوج بعضكم ببعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما
يعمر من معمر اي لا يطول عمر احد ولا ينقص من عمره اي عمر احد وقيل
ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب عمر فلان كذا وكذا
سنة ثم يكتب اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ينقطع عمره وقيل معناه
لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب قال كعب الاحبار حين حضر
عمر الوفاة والله لو دعا الله عمر ان يؤخر اجله لاخر فقيل له ان الله تعالى يقول
فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فقال هذا اذا حضر الاجل
واما قبل ذلك فيجوز ان يزاد وقرأ هذه الاية ان ذلك في كتاب يعني اللوح المحفوظ
ان ذلك على الله يسير اي في كتابة الاجال والاعمال على الله هين قوله
تعالى وما يستوي البحران يعني العذب والملح ثم وصفهما فقال هذا
عذب فرات اي طيب يكسر العطش سائغ شرابه اي سهل في الحلق
هنيء مريء وهذا ملح اجاج اي شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته
وقيل هو المر ومن كل يعني من البحرين تأكلون لحما طريا يعني السمك
وتستخرجون اي من الملح دون العذب حلية تلبسونها يعني اللؤلؤ
والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون في البحر الملح عيون عذبة
فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما وترى الفلك فيه مواخر اي جواري
مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله اي بالتجارة ولعلكم
تشكرون اي تشكرون الله على نعمته يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه اي الاصنام ما يملكون
من قطمير هو لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة
ان تدعوهم يعني الاصنام لا يسمعوا دعاءكم يعني انهم جماد
ولو سمعوا اي على سبيل الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم اي ما
اجابوكم وقيل ما نفعوكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يتبرؤون منكم
ومن عبادتكم اياها ولا ينبئك مثل خبير يعني نفسه اي لا ينبئك احد

مثلي لاني عالم بالاشيا قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله اي
الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون
الى الله فهم فقرا والله هو الغني اي عن خلقه لا يحتاج الحميد اي المحمود
في احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمد ان يشا يذهبكم اي
لاتخاذكم اندادا وكفركم بآياته ويات بخلق جديد اي يخلق بعدكم من يعبده
ولا يشرك به شيئا وما ذلك على الله بعزيز اي بممتنع ولا تزر وازرة وزر
اخرى يعني كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ
بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم قلت هذه الاية في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون
اثقال من اضلوه من الناس مع اثقال انفسهم وذلك كله من كسبهم وان تدع
مثقلة الى حملها معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوبها غيرها
لا يحمل منه بشي ولو كان ذا قربى اي ولو كان المدعو ذا قرابة له كالاب
والام والابن والاخ قال ابن عباس يلقى الاب والام الابن فيقول يا بني
احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي انما تنذر الذين
يخشون اي يخافون ربهم بالغيب اي لم يروه والمعنى وانما ينفع انذارك
الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى اي اصلح وعمل
خيرا فانما يتزكى لنفسه اي لها ثوابه والى الله المصير وما يستوي
الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو
المشرك والبصير بالهدى وهو المومن ولا الظلمات ولا النور يعني
الكفر والايمان ولا الظل ولا الحرور يعني الجنة والنار وقال ابن عباس
الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وما يستوي الاحيا ولا الاموات
يعني المومنين والكفار وقيل العلما والجهال ان الله يسمع من يشا يعني
حتى يتعظ ويجيب وما انت بمسمع من في القبور يعني الكفار شبههم
بالاموات في القبور لانهم لا يجيبوا اذا دعوا ان انت الا نذير اي ما
انت الا منذر تخوفهم في النار انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا
اي بشيرا بالثواب لمن امن ونذيرا بالعقاب لمن كفر وان من امة اي جماعة
كثيرة فيما مضى الا خلا اي سلف فيها نذير اي نبي منذر فان قلت كم
من امة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت
اذا كانت اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست
اثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم واثار نذارته
باقية الى يوم القيامة لانه لا نبي بعده وان يكذبوك فقد كذب الذين
من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الدالة على نبوتهم
وبالزبر اي الصحف وبالكتاب المنير اي الواضح قيل اراد بالكتاب التوراة

والانجيل وذكر الكتاب بعد الزبر تاكيدا ثم اخذت الذين كفروا فكيف
كان نكير الم تر ان الله انزل من السما ما يعني المطر
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها يعني اجناسها من الرمان والتفاح
والتين والعنب والرطب وقيل يعني الوانها في الحمرة والصفرة والخضرة
وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد ومن الجبال جدد بيض وحمر يعني
الخطط والطرايق في الجبال مختلف الوانها يعني منها ما هو ابيض ومنها ما
هو احمر ومنها ما هو اصفر وغرابيب سود اي شديد السواد
كما يقال اسود غربيب تشبيها بلون الغراب ومن الناس والدواب
والانعام مختلف الوانه اي خلق مختلف الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات
والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدا فقال انما يخشى الله من عباده العلما
قال ابن عباس انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل
عظموه وقدروا قدره واخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به
خشية ق عن عايشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فرخص
فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله
فقال ما بال اقوام يتنزهون عن الشي اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله
واشدهم له خشية قولها فرخص فيه اي لم يشدد فيه قولها فتنزه
اي تباعد منه وكرهه قوم ق عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين
بالخا المعجمة هو البكا مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق
كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي افتني
ايها العالم فقال الشعبي انما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل
اشد الناس لله خشية اعلمهم به وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس
بعالم ان الله عزيز اي في ملكه غفور اي لذنوب عباده وهو تعليل
لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو احق ان يخشى
ويتقى قوله عز وجل ان الذين يتلون كتاب الله يعني يداومون على قراءته
ويعلمون ما فيه ويعملون به واقاموا الصلاة اي ويقيموا الصلاة في اوقاتها
وانفقوا مما رزقناهم اي في سبيل الله سرا وعلانية يرجون تجارة لن
تبور اي لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب
ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله قال ابن عباس سوى الثواب
مما لم تر عين ولم تسمع اذن انه غفور شكور قال ابن عباس يغفر
العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من اعمالهم والذي اوحينا اليك من
الكتاب يعني القران هو الحق مصدقا لما بين يديه اي من الكتب

ان الله بعباده لخبير بصير قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب اي اوحينا
اليك الكتاب وهو القران ثم اورثنا يعني حكمنا بتوريثه وقيل اورثناه بمعنى
نورثه الذين اصطفينا من عبادنا قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله
عليه وسلم لان الله اصطفاهم على ساير الامم واختصهم بكرامته بان جعلهم
اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل افضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى
فيهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
وروي عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه
الامة ذكره البغوي بغير سند وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال في الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هولاء كلهم بمنزلة واحدة
وكلهم في الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن عمر بن الخطاب
انه قرا هذه الاية على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا
مقتصد وظالمنا مغفور له قال ابو قلابة احد رواته فحدثت به يحيى بن معين
فجعل يتعجب منه اخرجه البغوي بسنده ٥ وروي بسنده عن ثابت ان رجلا
دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وانس وحشتي وسق الي جليسا صالحا
فقال ابو الدردا لان كنت صادقا لانا اسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرا هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اما
السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا
يسيرا واما الظالم لنفسه فيحابس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل
الجنة ثم قرا هذه الاية الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
وقال عقبة بن صهبان سالت عايشة عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق فمن
مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجنة واما المقتصد فمن تبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم فمثلي
ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المومن المخلص والمقتصد
المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول
الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم اصحاب المشيمة والمقتصد
اصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق
من رجحت حسناته على سياته والمقتصد من استوت حسناته وسياته والظالم
من رجحت سياته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه
والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره

وقيل

وقيل الظالم التالي للقران ولم يعمل به والمقتصد التالي له العامل به والسابق
القاري له العالم العامل بما فيه وقيل الظالم اصحاب الكباير والمقتصد
اصحاب الصغاير والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم
الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم
المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدا بالظالمين اخبارا لانه
لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يوثر في الاصطفا ثم ثنى بالمقتصدين
لانهم بين الخوف والرجا ثم ختم بالسابقين لئلا يامن احد مكره وكلهم في
الجنة وقيل رتبهم على هذا الترتيب على مقامات الناس لان احوال الناس
ثلاثة معصية ثم غفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل في حيز
الظالمين فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عبادته
ومجاهدته دخل في عداد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته
ثم المقتصد لانه قليل بالاضافة الى السابقين والسابق اقل من القليل
فلهذا اخرهم ومعنى سابق بالخيرات اي بالاعمال الصالحة الى الجنة او الى
رحمة الله باذن الله اي بامر الله وارادته ذلك هو الفضل الكبير
يعني ايراثهم الكتاب ثم اصطفاهم ثم اخبر بثوابهم فقال تعالى جنات
عدن يدخلونها يعني الاصناف الثلاثة يحلون فيها من اساور من
ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير تقدم تفسيره وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل
حزن الذنوب والسيات وخوف رد الطاعات وانهم لا يدرون ما يصنع
بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن
احوال يوم القيامة وقيل هو الحرص والمعيشة في الدنيا وقيل ذهب عن
اهل الجنة كل حزن ما كان منها لمعاش او معاد روى البغوي بسنده عن ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله
وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون
التراب عن رووسهم يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية ان ربنا
لغفور شكور يعني غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال
الذي احلنا اي انزلنا دار المقامة اي الاقامة من فضله اي لا
باعمالنا لا يمسنا فيها نصب اي لا يصيبنا فيها عنا ولا مشقة ولا يمسنا
فيها لغوب اي اعيا من التعب قوله عز وجل والذين كفروا لهم نار جهنم
لا يقضى عليهم فيموتوا اي فيستريحوا مما هم فيه ولا يخفف
عنهم من عذابها اي من عذاب النار كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون
فيها اي يستغيثون ويصيحون فيها يقولون ربنا اخرجنا اي من النار
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي الشرك والسيات فيقول الله تعالى توبيخا

لهم أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة
وقيل اربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروي ذلك عن علي وهو
العمر الذي اعذر الله تعالى الى ابن آدم خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اعذر الله الى كل امرء اخر اجله حتى يبلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين
وجاءكم النذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالقران قاله ابن عباس وقيل
هو الشيب والمعنى او لم نعمركم حتى شبتم وقيل الشيب نذير الموت وفي
الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت
فذوقوا اي فيقال للظالمين ذوقوا العذاب فما للظالمين من نصير
اي ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه ان الله عالم غيب السموات والارض
انه عليم بذات الصدور يعني انه اذا علم ذلك وهو اخفى ما يكون فقد
علم غيب كل شيء في العالم قوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الارض
اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة خلفت من قبلها من الامم ورأت ما
ينبغي ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء في ارضه وملككم منافعها ومقاليده
لتتصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر اي جحد هذه
النعمة وعظمها فعليه كفره اي وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم
عند ربهم الا مقتا اي غضبا وقيل المقت اشد البغض ولا يزيد
الكافرين كفرهم الا خسارا اي في الاخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله يعني الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم اروني
ماذا خلقوا من الارض يعني اي جزء استبدوا بخلقه من الارض ام لهم شرك
في السموات اي في خلق السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه
اي على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بل ان يعد الظالمون بعضهم يعني
الرؤساء بعضا الا غرورا يعني قولهم هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله
قوله عز وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لكيلا
تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين بان تزولا وتهدا
هدا لعظم كلمة الشرك ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده اي ليس يمسكهما
احد سواه انه كان حليما غفورا اي غير معاجل بالعقوبة حيث لم يمسكهما
وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه واقسموا بالله جهد
ايمانهم يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم
قالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم واقسموا بالله
لو جاءنا رسول لنكونن اهدى منهم دينا وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير اي رسول ليكونن اهدى من احدى الامم اي اليهود والنصارى

فلما

فلما جاءهم نذير يعني محمدا ما زادهم مجيئه الا نفورا اي تباعدا عن الهدى
استكبارا في الارض اي تكبرا وعتوا عن الايمان به ومكر السيء يعني
عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا يحل ولا يحيط الا باهله فقتلوا
يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن اشرك فهل ينظرون
اي ينتظرون الا سنة الاولين يعني ان ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى
من الكفار فلن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا ولن تجد لسنة الله
تحويلا اي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم معناه انهم يعتبرون بمن
مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان
الله ليعجزه اي ليفوت عنه من شيء في السموات ولا في الارض انه
كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا اي من الجرائم
ما ترك على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة اي نسمة تدب عليها يريد
بني آدم وغيرهم كما اهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في
السفينة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى يعني يوم القيامة فاذا جاء
اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا قال ابن عباس يريد اهل طاعته
واهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة يس

وهي مكية وهي ثلاث وثمانون اية وسبعمائة وعشرون كلمة وثلاثة الاف
حرف عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب
القران يس ومن قرأ يس كتب له بقراءتها قراءة القران عشر مرات اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس اخرجه ابو داود
وغيره بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يس قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طيء
يعني محمدا وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقران والقران الحكيم اي
ذي الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه انك لمن المرسلين
اي اقسم بالقران ان محمدا لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا
لست مرسلا على صراط مستقيم معناه وانك على صراط مستقيم
وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة تنزيل
العزيز الرحيم اي القران تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه لتنذر

قوما ما انذر اباؤهم يعني لم ينذر اباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبي
قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما انذر اباؤهم
من العذاب فهم غافلون اي عن ما يراد بهم من الايمان والرشد لقد حق
القول اي وجب العذاب على اكثرهم فهم لا يؤمنون فيه اشارة الى
ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون بما سبق لهم من القدر بذلك
قوله عز وجل انا جعلنا في اعناقهم اغلالا نزلت في ابي جهل وصاحبيه
المخزوميين وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه بالحجارة
فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه اثبتت يده الى عنقه ولزق
الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من
بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره
فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له
ما صنعت قال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل
يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل اراد منعناهم عن الايمان بموانع
فجعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله
بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها
وصف في الحقيقة وهي ما سينزله الله بهم في النار فهي يعني الايدي الى
الاذقان جمع ذقن وهو اسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق فهم
مقمحون اي رافعوا رؤسهم من غض البصر وقيل اراد ان الاغلال رفعت
رؤسهم فهم مرفوعوا الرؤس برفع الاغلال لها وجعلنا من بين ايديهم سدا
ومن خلفهم سدا معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون
الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب امامه وخلفه بالاسداد وقيل
حجبناهم بالظلمة عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فاغشيناهم
اي فاعميناهم فهم لا يبصرون يعني سبيل الهدى وسواء عليهم أانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون يعني من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار
انما تنذر من اتبع الذكر يعني انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه
وخشي الرحمن بالغيب اي خافه في السر والعلن فبشره بمغفرة
اي لذنوبه واجر كريم يعني الجنة قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى
اي للبعث ونكتب ما قدموا اي من الاعمال من خير وشر وآثارهم اي
ونكتب ما سنوا من سنة حسنة او سيئة م عن جرير بن عبد الله البجلي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن
في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير

ان ينقص

ان ينقص من اوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن ابي سعيد الخدري
قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فارادوا النقلة الى قرب المسجد
فنزلت هذه الاية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب خ عن انس قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا قرب
المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال
يا بني سلمة الا تحتسبون آثاركم فاقاموا قوله تعرى يعني تخلى فتترك
عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شيء م عن جابر قال خلت
البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد
فقالوا نعم يا رسول الله قد اردنا ذلك فقال يا بني سلمة دياركم تكتب
آثاركم فقالوا ما يسرنا انا كنا تحولنا قوله بني سلمة اي يا بني سلمة وقوله دياركم
اي الزموا دياركم ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه
اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم فابعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة
حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي وينام وقوله تعالى وكل شيء
احصيناه اي حفظناه وعددناه واثبتناه في امام مبين يعني
اللوح المحفوظ قوله عز وجل واضرب لهم مثلا اي صف لهم شبها مثل
حالهم من قصة اصحاب القرية يعني انطاكية اذ جاءها المرسلون
يعني رسل عيسى عليه السلام ذكر القصة قال العلماء
باخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى اهل
انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار
صاحب يس فلما سلما عليه قال الشيخ لهما من انتما فقالا رسولا عيسى
ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما امعكما آية
قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي
ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فاتى بهما الى منزله
فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشى الخبر في المدينة وشفى
الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام يسمى انطيخس
وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعا بهما وقال من انتما قالا
رسولا عيسى قال وفيما جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر
الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذي
اوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس فاخذوهما
وضربوهما وقال وهب بعث عيسى هذين الرجلين الى انطاكية فاتياها
فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله

تعالى فغضب الملك وامر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا وضربا
بعث عيسى راس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد
متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وانس
به واكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني انك حبست رجلين في السجن
وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال لحال الغضب
بيني وبين ذلك قال فان راى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك
فقال لهما شمعون من ارسلكما الى هنا قالوا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك
فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون
وما ايتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع
عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين
من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال
شمعون للملك ان انت سالت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك
فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم فان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر
ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلي ويتضرع حتى
ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذي تعبدانه على احيا
ميت امنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فقال الملك ههنا ميت قد مات
منذ سبعة ايام ابن دهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان غائبا
فجاؤا بالميت وقد تغير واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه
سرا فقام الميت وقال اني ميت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت
في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم عليه فامنوا بالله ثم قال فتحت
ابواب السما فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهولا الثلاثة فقال الملك
ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار بيده الى صاحبيه فتعجب الملك من ذلك
فلما علم شمعون ان قوله قد اثر في الملك اخبره بالحال ودعاه فامن الملك وامن
معه قوم وكفر اخرون وقيل بل كفر الملك واجمع على قتل الرسل هو وقومه
فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة
المرسلين فذلك قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما قال وهب
اسمهما يحيى ويونس وقال كعب صادق ومصدوق فعززنا بثالث اي قوينا
برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما اضاف الله الارسال اليه لان
عيسى انما بعثهم باذن الله عز وجل فقالوا يعني الرسل جميعا لاهل انطاكية
انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء
اي لم يرسل رسولا ان انتم الا تكذبون اي فيما تزعمون قالوا ربنا
يعلم انا اليكم لمرسلون اي وان كذبتمونا وما علينا الا البلاغ
المبين اي بالايات الدالة على صدقنا قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا

بكم

بكم وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشومكم لئن لم تنتهوا
اي تسكتوا عنا لنرجمنكم اي لنقتلنكم قيل بالحجارة وليمسنكم منا عذاب
اليم قالوا طائركم معكم اي شومكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني
اصابكم الشوم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر اين ذكرتم
معناه اطيرتم لئن ذكرتم ووعظتم بل انتم قوم مسرفون اي في ضلالكم
وشرككم متمادون في غيكم قوله عز وجل وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى
هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما
قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة وكان مومنا
ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسى قسمه فيطعم نصفا لعياله ويتصدق بنصف
فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم قال يا قوم اتبعوا
المرسلين وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر
دينه وقال لهم اتسالون على هذا اجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال
يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون اي لا
تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا
والاخرة فلما قال ذلك قالوا له وانت مخالف لديننا ومتابع دين هولا
الرسل ومومن بالههم فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون
قيل اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكان
عليه اظهر وفي الرجوع فيه معنى الزجر فكان اليق بهم وقيل معناه واي شيء
لي اذا لم اعبد خالقي واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم ااتخذ
من دونه الهة اي لا اتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر اي بسوء
ومكروه لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا شفاعة
لها فتغني عني ولا ينقذون اي من ذلك المكروه وقيل من العذاب اني اذا
لفي ضلال مبين اي خطا ظاهر اني امنت بربكم فاسمعون اي فاشهدوا لي
بذلك وقيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب عليه
القوم وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم حتى خرج
قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى
اهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقي الله قيل ادخل الجنة فلما افضى الى الجنة
وراى نعيمها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين
تمنى ان يعلم قومه ان الله غفر له واكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل
حبيب غضب الله له فعجل لهم العقوبة فامر جبريل عليه السلام فصاح بهم
صيحة واحدة فماتوا عن اخرهم فذلك قوله تعالى وما انزلنا على قومه من
بعده من جند من السما يعني الملائكة وما كنا منزلين اي
ما كنا لنفعل هذا بل الامر في اهلاكهم كان ايسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم

فقال تعالى ان كانت الا صيحة واحدة قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتي باب
المدينة وصاح بهم صيحة فاذا هم خامدون اي ميتون يا حسرة على العباد
يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة ان تركب الانسان من شدة الندامة
ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على انفسهم لما عاينوا العذاب حيث
لا يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تحسر عليهم الملائكة
اذا لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله يا حسرة على العباد يوم القيامة حتى لم يؤمنوا
بالرسل ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى ما يأتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزؤون قوله تعالى ألم يروا اي لم يخبروا خطاب لاهل مكة كم اهلكنا
قبلهم من القرون اي من الامم الخالية والقرون اهل كل عصر سموا بذلك
لاقترانهم في الوجود انهم اليهم لا يرجعون اي لا يعودون الى الدنيا فلا
يعتبرون بهم وان كل لما جميع لدينا محضرون يعني ان جميع الامم يحضرون
يوم القيامة واية لهم يعني تدلهم على كمال قدرتنا على احيا الموتى الارض
الميتة احييناها اي بالمطر واخرجنا منها حبا اي من الارض يعني الحنطة
والشعير وما اشبههما فمنه يأكلون اي من الحب وجعلنا فيها اي في الارض
جنات اي بساتين من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون
ليأكلوا من ثمره اي من الثمر الحاصل بالما وما عملته ايديهم اي من الزرع
والغرس الذي تعبوا فيه وقرئ عملت بغيرها وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله
ايديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل اراد العيون والانهار
التي لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة افلا يشكرون اي نعم الله
سبحان الذي خلق الازواج كلها يعني الاصناف كلها مما تنبت الارض
اي من الاشجار والثمار ومن انفسهم اي الذكر والانثى ومما لا يعلمون
يعني مما خلق الله من الاشيا في البر والبحر من الدواب قوله عز وجل واية
لهم يعني تدل على قدرتنا الليل نسلخ اي ننزع منه ونكشط منه
النهار فاذا هم مظلمون فتبقى بالظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار
داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة والشمس
تجري لمستقر لها اي الى مستقر لها قيل الى انتها سيرها عند انقضا الدنيا
وقيام الساعة وقيل تسير في منازلها حتى تنتهي الى مستقرها الذي لا تجاوزه
ثم ترجع الى اول منازلها وسواها تسير حتى تنتهي الى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك
مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السما في الصيف ونهاية هبوطها
في الشتا وعن ابن عباس والشمس تجري لمستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف
فهي جارية ابدا الى يوم القيامة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو ذر
قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال
مستقرها تحت العرش وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت

الشمس

الشمس اتدري اين تذهب الشمس قال الله ورسوله اعلم قال انها تذهب حتى
تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها
وتستاذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها
فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم اخرجاه
في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النواوي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة
بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت
تحت العرش الى ان تطلع وقيل تجري الى وقت لها واصل لا تتعداه وعلى هذا
مستقرها انتها سيرها عند انقضا الدنيا واما سجود الشمس فهو تمييز
وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله اعلم ذلك اي الذي ذكر من جري الشمس
على ذلك التقدير والحساب الذي يكل النظر عن استخراجه ويتحير الافهام على
استنباطه تقدير العزيز اي الغالب بقدرته على كل مقدور العليم اي
المحيط علما بكل شي قوله تعالى والقمر قدرناه منازل اي قدرنا
له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه
يسير من ليلة المستهل الى الثمانية والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة
اذا نقص فاذا كان في اخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى حتى عاد
كالعرجون القديم وهو العود الذي عليه شماريخ العذق الى منبته
من النخلة والقديم الذي اتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس
واصفر فشبه القمر به عند انتها اخر منازله لا الشمس ينبغي لها
ان تدرك القمر اي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضايه وهو
قوله تعالى ولا الليل سابق النهار اي هما يتعاقبان بحساب معلوم
لا يجي احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما في سلطان الاخر فلا تطلع
الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضو فاذا اجتمعا وادرك احدهما
صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد
ولا يتصل ليل بليل ولا يكون بينهما نهار فاصل وكل في فلك يسبحون
اي والشمس والقمر في فلك يسيرون قوله عز وجل واية لهم انا حملنا
ذريتهم يعني اولادهم في الفلك المشحون اي المملوة وخلقنا
لهم من مثله اي مثل الفلك ما يركبون اي من الابل وهم
سفاين البر وقيل اراد بالفلك المشحون سفينة نوح ومعنى الاية ان
الله حمل اباءهم الاقدمين في اصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذرية
لهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا واهله الغرق

وانما ذكر ذراريهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وابلغ في التعجب من
من قدرته وعلى هذا القول يكون قوله من مثله اي مثل ذلك الفلك ما

يركبون اي من السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون اي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم من عذابي الا رحمة منا ومتاعا الى حين يعني الا ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضا اجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قال ابن عباس ما بين ايديكم يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم يعني وقايع الله بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني الاخرة لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجا الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم اي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي مما اعطاكم الله نزلت في كفار قريش وذلك ان المومنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله من اموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وانعامهم قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم اي انرزق من لو يشا الله اطعمه اي رزقه وقيل كان العاص بن وايل السهمي اذا ساله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو اولى بك مني ويقول قد منعه الله افاطعمه انا ومعنى الاية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلا يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلا فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا واعطى الغني لا استحقاقا وامر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلوا الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد على مشيئة الله تعالى وحكمته في خلقه والمومن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزا ان انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمومنين معناه ما انتم الا في خطا بين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله للكفار لما ردوا من جواب المومنين ويقولون متى هذا الوعد يعني يوم القيامة والبعث ان كنتم صادقين قال الله تعالى ما ينظرون اي ينتظرون الا صيحة واحدة قال ابن عباس يريد النفخة الاولى تاخذهم وهم يخصمون اي في امر الدنيا من البيع والشرا ويتكلمون في الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتاتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح في حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عمرو بن عبد الله بن العا

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله واصله من اللصوق وقوله اصغى ليتا الليت صفحة العنق واصغى يعني امال عنقه يسمع وقوله فلا يستطيعون توصية اي لا يقدرون على الايصا اي عجلوا عن الوصية فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون يعني لا يقدرون على الرجوع الى اهلهم لان الساعة لا تمهلهم لشي ونفخ في الصور هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قيل اربعون شهرا قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل من السما ما فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شي لا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة فاذا هم من الاجداث اي القبور الى ربهم ينسلون اي يخرجون منها احيا قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا في الثانية وعاينوا اهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وانواع عذابها وعذاب القبر في جنبها كالنوم قالوا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قروا حين لا ينفعهم الاقرار قالت لهم الملايكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المومنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة يعني النفخة الاخرة فاذا هم جميع لدينا محضرون اي للحساب فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل قال ابن عباس في افتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله عز وجل وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب الاليم فاكهون قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه هم وازواجهم في ظلال يعني اكنان القصور على الارايك يعني على السرر في الحجال متكيون اي ذوي اتكا تحت تلك الظلال لهم فيها فاكهة اي في الجنة ولهم ما يدعون يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدعو اهل الجنة ياتيهم سلام قولا من رب رحيم يعني يسلم الله عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا روسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام

قولا من رب رحيم ينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شي من النعيم ما داموا
ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل يسلم
عليهم الملايكة من ربهم وقيل تدخل الملايكة على اهل الجنة من كل باب يقولون
سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية
وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المومنين
الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل واحد في النار بيتا فيدخل ذلك البيت
ويردم بابه فيكون فيه ابدا لا يبدي ولا يري فعلى هذا القول يمتاز بعضهم
من بعض **الم اعهد اليكم يا بني ادم** يعني الم امركم واوصيكم يا بني ادم **ان لا
تعبدوا الشيطان** يعني لا تطيعوه فيما يوسوس لكم ويزين لكم من معصية الله
تعالى **انه لكم عدو مبين** اي ظاهر العداوة **وان اعبدوني** اي اطيعوني ووحدوني
هذا صراط مستقيم اي لا صراط اقوم منه قوله تعالى **ولقد اضل منكم
جبلا كثيرا** اي خلقا كثيرا **افلم تكونوا تعقلون** يعني ما اتاكم من هلاك
الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار **هذه جهنم التي
كنتم توعدون** يعني بها في الدنيا **اصلوها** اي ادخلوها **اليوم بما
كنتم تكفرون** قوله عز وجل **اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون** معنى الاية ان الكفار يجحدون
وينكرون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين
فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم فيعلموا ان اعضاءهم التي كانت عونا
لهم على المعاصي صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح ابلغ من اقرار
اللسان فان قلت ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة
قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما
راي وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن ابي هريرة قيل سال
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نري ربنا
يوم القيامة قال هل تضارون في روية القمر ليلة البدر ليس في سحاب
قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في روية الشمس عند الظهيرة ليست
في سحاب قالوا لا قال فو الذي نفسي بيده لا تضارون في روية ربكم الا كما
تضارون في رويتهما قال فيلقى العبد ربه فيقول اي عبدي الم اكرمك
واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول
بلى يا رب فيقول اظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم انساك كما
نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك
الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول اظننت انك ملاقي
فيقول لا فيقول واني اليوم انساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول
اي قل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس

وتربع

وتربع فيقول بلى يا رب فيقول اظننت انك ملاقي فيقول اي رب امنت
بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع
فيقول ههنا اذا قال ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك ويتفكر في نفسه
من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه
وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وهو الذي يسخط الله
عليه قوله اي قل يعني يا فلان قوله اسودك اي جعلتك سيدا قوله واذرك
اي واتركك ترأس اي تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع تاخذ الرباع
وهو ما ياخذ رئيس الجيش لنفسه من الغنايم وهو ربعها وروي ترتع بتاين
اي تتنعم وتتبسط من الرتع وذلك ليعذر من نفسه اي ليقيم الحجة عليها
بشهادة اعضايه عليه (م) عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم
قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول
بلى فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك
اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال
لاركانه انطقي قال فينطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن
وسحقا فعنكن كنت اناضل قوله لا اجيز اي لا اقبل شاهدا على قوله بعدا لكن
وسحقا اي هلاكا قوله فعنكن كنت اناضل اي اجادل واخاصم قوله تعالى
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدوا
لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا اعينهم الظاهرة كما اعمينا
قلوبهم **فاستبقوا الصراط** اي فبادروا الى الطريق **فانى يبصرون**
اي كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم والمعنى ولو نشاء لاضللناهم عن
الهدي وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينيذ وقال
ابن عباس معنى لو نشاء لفقانا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا
ابصارهم من الضلالة الى الهدي فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم افعل
ذلك بهم **ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم** يعني ولو نشاء جعلناهم قردة
وخنازير في منازلهم وقيل جعلناهم حجارة لا روح فيها **فما استطاعوا
مضيا** اي لا يقدرون ان يبرحوا **ولا يرجعون** اي الى ما كانوا عليه وقيل
لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع **ومن نعمره ننكسه في الخلق** اي
نرده الى ارذل العمر كشبه الصبي في اول الخلق وقيل بضعف جوارحهم
بعد قوتها ونقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان في
ضعف جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل
من حال الى حال الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته وعقله ويعلم ما له وما عليه
فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول

فذلك منسكم في الخالق افلا يعقلون اي فيعتبروا ويعلموا ان الذي قدر على
تصريف احوال الانسان قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل وما علمناه
الشعر وما ينبغي له قيل ان كفار مكة قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر
فانزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له اي ما يتسهل له ذلك
ولا يصح منه بحيث لو اراد نظم شعر لم يتات له كما جعلناه اميا لا يكتب ولا
يحسب لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت
شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه متكسرا كما روي عن الحسن ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا
فقال له ابو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا
اشهد انك رسول الله هذا الحديث مرسل وروي عن عايشة وقيل لها هل
كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشي من الشعر قالت كان يتمثل بشعر
ابن رواحة ويقول ويأتيك بالاخبار من لم تزود اخرجه الترمذي وفي رواية
لغيره ان عايشة سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشي من الشعر
قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل الا ببيت اخي بني قيس
طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ؛ ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا يا رسول الله
فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي فان قلت فقد صح من حديث جندب بن عبد الله
قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فعثر
فدميت اصبعه فقال

هل انت الا اصبع دميت ؛ وفي سبيل الله ما لقيت

اخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

اللهم لا عيش الا عيش الاخره ؛ فاكرم الانصار والمهاجره

ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

انا النبي لا كذب ؛ انا ابن عبد المطلب

قلت ما هذا الا من كلامه الذي يرمي من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه
اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق من كثير في انشاءاتهم
الناس في خطبهم ورسايلهم ومحاوراتهم كلاما موزونا ولا يدخل في وزن الشعر
ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القران
من جنس الشعر قال تعالى ان هو الا ذكر يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى
يوعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على اساليب الشعر ولا يدخل
في نحوه وقران مبين اي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في
المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه الحدود والاحكام وبيان

الحلال

الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين واقاويل
الشعراء الكاذبة لينذر اي يا محمد وقرئ بالتاء اي القران من كان حيا
يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر ويحق القول
اي يجب حجة العذاب على الكافرين قوله عز وجل اولم يروا انا خلقنا لهم
مما عملت ايدينا اي تولينا خلقه بابداعنا له من غير اعانة احد وانشائه وقوله
ايدينا مثل عملت مما يبدي اذا تفرد به ولم يشاركه فيه احد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا
وانما قال ذلك ليدل على الفطرة التي لا يقدر عليها الا هو انعاما انما خص الانعام
بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلقه وابداعه وايجاده لان النعم اكثر اموال العرب
والنفع بها اعم فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون
فيها تصرف الملاك وقيل معناه وهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم اصبحت
لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا لا ضبط راس البعير والمعنى لم يخلق
الانعام وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة
مسخرة لهم وهو قوله تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم اي الابل ومنها ياكلون
اي الغنم ولهم فيها منافع ومشارب اي من اصوافها واوبارها واشعارها
وجلودها ونسلها ومشارب من البانها افلا يشكرون اي رب هذه النعم
واتخذوا من دون الله الهة يعني الاصنام لعلهم ينصرون
اي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط لا يستطيعون نصرهم قال
ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم لهم جند محضرون
اي الكفار جند للاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا ولا تسوق اليهم
خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يؤتى بكل معبود من دون الله
ومعه اتباعه الذين عبدوه في الدنيا كانهم جند محضرون في النار فلا يحزنك
قولهم يعني قول كفار مكة في تكذيبك انا نعلم ما يسرون اي في ضمايرهم من
التكذيب وما يعلنون اي من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون بالسنتهم
من الاذى وقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
اي من نطفة قذرة خسيسة فاذا هو خصيم مبين اي جدل بالباطل
بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة اصله لانه يتصدى
لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره البعث فكيف لا يتفكر في بدو خلقه وانه
من نطفة وبدو الخصومة نزلت في ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم
في انكار البعث واتاه بعظم قد رم وبلي ففتته بيده وقال اترى يحيي الله
هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل
الله هذه الايات وضرب لنا مثلا ونسي خلقه يعني بدو امره قال من
يحيي العظام وهي رميم اي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث
بالعظم البالي حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله يحييه ونسي اول خلقه

وانه مخلوق نطفة قل يحييها الذي انشاها اي خلقها اول مرة وابتدا خلقها
وهو بكل خلق اي من الابتدا والاعادة عليم اي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه
شي من خلق المبدا والمعاد الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا
قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ بالرا والخا المعجمة والاخرى العفار
بالعين المهملة فمن اراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان
يقطر منهما الما فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى
تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر واذلك ان هذين
الشجرتين من اكثر الشجر نارا وقال الحكما في كل شجر نار الا العناب فاذا انتم
منه توقدون اي تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو
اعظم من خلق الانسان فقال عز وجل اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى اي هو القادر على ذلك وهو
الخلاق العليم يعني يخلق خلقا بعد خلق العليم اي بجميع ما خلق انما امره
اذا اراد شيا اي احداث شي وتكوينه ان يقول له كن اي يكونه
من غير توقف فيكون اي فيحدث ويوجد لا محالة فسبحان الذي
بيده ملكوت كل شي اي وهو مالك كل شي والمتصرف فيه واليه ترجعون
اي تردون بعد الموت والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والصافات

وهي مكية وهي مائة واثنان وثمانون اية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة الاف
وثمانمائة وستة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والصافات صفا قال ابن عباس هم الملايكة يصفون كصفوف
الخلق في الدنيا للصلاة م عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا تصفون كما تصف الملايكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملايكة عند ربهم
قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف لفظ ابي داود وقيل هم
الملايكة تصف اجنحتها في الهوى واقفة حتى يامرها الله بما يريد وقيل اراد
بالصافات الطير تصف اجنحتها في الهوى فالزاجرات زجرا يعني الملايكة
تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القران تنهى وتزجر عن القبيح فالتاليات
ذكرا يعني الملايكة تتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قرا القران وهذا كله
قسم اقسم الله بهذه الاشيا وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات
والتاليات وجواب القسم قوله تعالى ان الهكم لواحد وذلك ان كفار مكة
قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم الله بهذه الاشيا ان الهكم لواحد وانما
اقسم بهذه الاشيا للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة
الاصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى رب السموات والارض

وما بينهما يعني انه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك وقوله ورب
المشارق قيل اراد والمغارب واكتفى باحدهما قال السدي المشارق ثلثمائة
وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب
في مغرب فان قلت قد قال في موضع اخر رب المشرقين ورب المغربين وقال
رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين الايات قلت اراد بالمشرق والمغرب
الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق
الشتا ومغرب الصيف ومغرب الشتا وبالمشارق والمغارب ما تقدم من
قول السدي وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت
عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب قوله تعالى انا زينا السما
الدنيا يعني التي تلي الارض وهي ادنى السموات الى الارض بزينة الكواكب
قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من احسن الصفات واكملها
ولو لم تحصل هذه الكواكب في السما لكانت شديدة الظلمة عند
غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل كشكل
الجوزا وبنات نعش وغيرها وقيل الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة الى
السما وراى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلالية على سطح ازرق فهو غاية
الزينة وحفظا من كل شيطان مارد اي وحفظنا السما من كل شيطان
متمرد عات يرمون بالشهب لا يسمعون الى الملا الاعلى يعني الى الملايكة
والكتبة لانهم سكان السما وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السما
فربما سمعوا كلام الملايكة فيخبرون به اولياءهم الانس ويوهمون بذلك انهم
يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وقوله ويقذفون اي يرمون
بها من كل جانب اي من افاق السما دحورا اي يبعدونهم عن مجالس الملايكة
ولهم عذاب واصب اي دايم يخرجون ويختلفون الا من خطف الخطفة
اي اختلس الكلمة من كلام الملايكة فاتبعه اي لحقه شهاب ثاقب اي كوكب
مضي قوي لا يخطيه بل يقتله ويحرقه ويخبله وقيل سمي النجم الذي يرمى به الشياطين
ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف يمكن ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون
ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك قلت
انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة
وربما نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة وهو قوله عز وجل
فاستفتهم يعني سل اهل مكة اهم اشد خلقا امن خلقنا يعني من
السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير اي هذه الاشيا اشد خلقا
وقيل امن خلقنا يعني من الامم الخالية والمعنى انهم ليسوا باحكم خلقا من
غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يومنهم من العذاب
ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني ادم من

طين جيد حر لا شئ لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن **بل عجبت** فرى بالضم
على اسناد التعجب الى الله وليس هو كالتعجب من الادميين لان العجب من الناس
محمول على انكار الشي وتعظيمه والعجب من الله محمول على تعظيم تلك الحالة
فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب
وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا
كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث اخر عجب ربكم
من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم قوله من الكم الال اشد القنوط وقيل هو
رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شئ
ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله
وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي عجبت من تكذيبهم
اياك وهم يسخرون من عجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القران
حين انزل وضلال بني آدم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من
سمع القران يومن به فلما سمع المشركون القران سخروا منه ولم يومنوا به عجب
من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت **ويسخرون**
واذا ذكروا لا يذكرون اي واذا وعظوا لا يتعظون **واذا راوا اية** قال ابن
عباس يعني انشقاق القمر **يستسخرون** اي يستهزءون وقيل يدعو بعضهم
بعضا الى ان يسخر **وقالوا ان هذا الا سحر مبين** اي بين **ائذا متنا**
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اواباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون
اي صاغرون **فانما هي زجرة واحدة** اي صيحة واحدة وهي نفخة البعث
فاذا هم ينظرون يعني احياء **وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين** يوم الحساب
والجزاء **هذا يوم الفصل** اي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء **الذي كنتم**
به تكذبون اي في الدنيا **احشروا** اي اجمعوا **الذين ظلموا** اي
اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم **وازواجهم** اي اشباههم وامثالهم فكل طائفة
مع مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وقيل ازواجهم اي
قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل ازواجهم
المشركات **وما كانوا يعبدون من دون الله** اي في الدنيا يعني الاصنام
والطواغيت وقيل ابليس وجنوده **فاهدوهم الى صراط الجحيم** قال ابن عباس
دلوهم الى طريق النار **وقفوهم** اي احبسوهم **انهم مسئولون** لما
سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع اقوالهم
وافعالهم ويروى عنه عن لا اله الا الله وروي عن ابي برزة الاسلمي ان رسول الله
قال لا تزول قدما امرئ يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه
وعلمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما
ابلاه وفي رواية عن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي وله عن انس ان رسول الله

قال

قال ما من داع دعا الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لا يفارقه
وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسئولون **ما لكم لا تناصرون**
اي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب
لابي جهل حين قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقال الله تعالى **بل هم اليوم**
مستسلمون قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم
اذلاء منقادون لا حيلة لهم **واقبل بعضهم على بعض** يعني الرؤساء والاتباع
يتساءلون اي يتخاصمون **قالوا** يعني الرؤساء للاتباع **انكم كنتم**
تاتوننا عن اليمين اي من قبل الدين فتضلوننا وتروننا ان الدين ما
تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذي يدعونهم اليه
هو الحق والمعنى انكم تحلفون لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين اي عن القوة
والقدرة والقول الاول اصح **قالوا** يعني الرؤساء للاتباع **بل لم تكونوا**
مومنين اي لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر **وما كان**
لنا عليكم من سلطان اي من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا **بل كنتم**
قوما طاغين اي ضالين **فحق علينا** اي وجب علينا جميعا **قول**
ربنا يعني كلمة العذاب وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
انا لذائقون يعني ان الضال والمضل في النار جميعا **فاغويناكم** اي
فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه **انا كنا غاوين** اي ضالين
قال الله تعالى **فانهم يومئذ في العذاب مشتركون** يعني الرؤساء والاتباع
انا كذلك نفعل بالمجرمين قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين
تعالى انهم انما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي يتكبرون عن كلمة
التوحيد ويمتنعون منها **ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون**
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله ردا عليهم **بل جاء بالحق وصدق**
المرسلين يعني انه انما اتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك
انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي في الدنيا
من الشرك والتكذيب **الا** اي لكن استثناء منقطع **عباد الله المخلصين**
اي الموحدين **اولئك لهم رزق معلوم** يعني بكرة وعشيا وقيل حين يشتهون
يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر
ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى **فواكه** جمع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها
ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق اهل الجنة كلها
فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم خلقت
للابد فكل ما ياكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم
فقال **وهم مكرمون** اي بثواب الله ثم وصف مساكنهم فقال **في جنات النعيم**

علي سرر متقابلين يعني لايري بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال يطاف
عليهم بكاس من معين كل انا فيه شراب يسمي كاسا واذا لم يكن فيه شراب
فهو انا وقد تسمي الخمر نفسها كاسا قال الشاعر • وكاسا شربت على لذة • •
ومعني معين اي من خمر جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون بيضا يعني
ان خمر الجنة اشد بياضا من اللبن لذة اي لذيذة للشاربين لا فيها غول
اي لايغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع
وقيل الغول فساد يلحق في خفا وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد
ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الراس والقي والبول والخمار
والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شي من ذلك في خمر الجنة ولا هم عنها ينزفون
اي لاتغلبهم علي عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف
ازواجهم فقال وعندهم قاصرات الطرف اي حابسات الاعين غاضات
العيون قصرن اعينهن علي ازواجهن فلا ينظرن الي غيرهم عين اي حسان
الاعين عظامها كانهن بيض مكنون اي مصون مستور شبههن ببيض
النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها ابيض في صفرة ويقال
هذا من احسن الوان النسا وهو ان يكون المراة بيضا مشربة صفرة والعرب
تشبه النسا ببيض النعام وتسميهن بيضات الخدود وقوله عز وجل فاقبل
بعضهم علي بعض يعني اهل الجنة في الجنة يتساءلون اي يسئل
بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا قال قايل منهم اي من اهل الجنة اني
كان لي قرين اي في الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل
كان من الانس وقيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما كافر اسمه فطروس
والاخر مومن اسمه يهودا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف
في قوله واضرب لهم مثلا رجلين يقول ائنك لمن المصدقين اي بالبعث
ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمدينون اي مجزيون ومحاسبون
وهذا استفهام انكاري قال الله تعالي لاهل الجنة هل انتم مطلعون
اي الي النار وقيل يقول المومن لاخوانه من اهل الجنة فهل انتم مطلعون اي
لننظر كيف منزلة اخي في النار فيقولون لهل الجنة انت اعرف به منا فاطلع
اي المومن قال ابن عباس ان في الجنة كوي ينظر منها اهلها الي النار فراه
في سوا الجحيم اي فراي قرينه في وسط النار سمي وسط الشي سوا
لاستوا الجوانب منه قال تالله ان كدت لتردين اي والله لقد كدت
ان تهلكني وقيل تغويني ومن اغوي انسانا فقد ارداه واهلكه ولولا
نعمة ربي اي رحمة ربي وانعامه علي بالاسلام لكنت من المحضرين
اي معك في النار افما نحن بميتين الا موتتنا الاولي اي في الدنيا
وما نحن بمعذبين قيل يقول هذا اهل الجنة للملايكة حين يذبح الموت

فتقول

فتقول الملايكة لهم لا فيقولون ان هذا لهو الفوز العظيم والقايلون لهذا
علي جهة التحدث بنعمة الله عليهم في انهم لايموتون ولايعذبون ليفرحوا
بدوام النعيم لا علي طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين
ولا معذبين ولكن اعادوا الكلام ليزدادوا بتكراره سرورا وقيل يقوله المومن
لقرينه علي جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالي لمثل هذا اي المنزل
والنعيم الذي ذكره في قوله اولئك لهم رزق معلوم فليعمل العاملون
هذا ترغيب في ثواب الله وما اعده بطاعته قوله تعالي اذلك اي الذي
ذكره لاهل الجنة من النعيم خير نزلا اي رزقا ام شجرة الزقوم
اي التي هي نزل اهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره اهل النار
علي تناولها فهم يتزقمونه علي اشد كراهة وقيل هي شجرة تكون بارض تهامة
من اخبث الشجر انا جعلناها فتنة للظالمين اي للكافرين وذلك انهم قالوا
كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعري لصناديد
قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر
وقيل هو بلغة اهل اليمن فادخلهم ابو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا
فاتتهم بالزبد والتمر فقال ابو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال
تعالي انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي في قعر النار واغصانها ترتفع
الي دركاتها طلعها اي ثمرها سمي طلعا لطلوعه كانه رؤوس الشياطين
قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم لقبحهم عند الناس فان قلت شبهها
بشي لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت انه قد استقر في النفوس
قبح الشياطين ولم يشاهدوا فكانه قيل ان اقبح الاشيا في الوهم والخيال
رؤوس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب اذا رات منظرا
قبيحا قالت كانه راس شيطان قال امرؤ القيس بيت
• ايقتلني والمشرفي مضاجعي • ومسنونة زرق كانياب اغوال •
شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة
قبيحة منتنة تسمي رؤوس الشياطين فشبهها بها وقيل اراد بالشياطين
الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا فانهم لاكلون منها
اي من ثمرها فمالئون منها البطون وذلك انهم يكرهون علي اكلها حتي تمتلي
بطونهم ثم ان لهم عليها لشوبا اي خلطا ومزاجا من حميم اي من ما شديد
الحرارة يعني انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم
فصار شوبا لهم ثم ان مرجعهم لالي الجحيم وذلك انهم يردون الي الجحيم
بعد شراب الحميم انهم الفوا اي وجدوا اباءهم ضالين فهم علي اثارهم
يهرعون اي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم ولقد ضل قبلهم اكثر
الاولين اي الامم الخالية ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي وارسلنا

فيهم رُسُلا منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي الكافرين
وكان عاقبتهم العذاب الا عباد الله المخلصين اي الموحدين نجوا من العذاب
والمعنى انظر كيف اهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل ولقد
نادانا نوح اي دعى ربه على قومه وقيل دعى ان ينجيه من الغرق فلنعم
المجيبون اي نحن دعانا فاجبناه واهلكنا قومه ونجيناه واهله
من الكرب العظيم اي من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق وجعلنا ذريته
هم الباقين يعني ان الناس كانوا كلهم من ذرية نوح وقال ابن عباس لما
خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنسا الا ولده
ونساءه عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل
وجعلنا ذريته هم الباقين قال سام وحام ويافث اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وفي رواية لغيره سام ابو العرب وحام ابو الحبش
ويافث ابو الروم وقيل سام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان
ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك وتركنا عليه
في الآخرين اي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبيا والامم
الى يوم القيامة سلام على نوح في العالمين اي جزاه الله بالاحسان
الجزاء الحسن في العالمين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الاخرين
يعني الكفار قوله عز وجل وان من شيعته اي من شيعة نوح لابراهيم
يعني انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته اذ جاء ربه بقلب سليم اي مخلص
من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب
لنفسه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون استفهام توبيخ ائفكا الهة
دون الله تريدون اي اتأفكون افكا وهو اسوا الكذب وتعبدون
الهة سوى الله فما ظنكم برب العالمين يعني اذا لقيتموه وقد عبدتم
غيره انه يصنع بكم فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس
كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويعملون
به لئلا ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة
في انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على اصنامهم
ويفرشون بها الفرشان ويضعون بين ايديهم الطعام قبل خروجهم الى
عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه فقالوا لابراهيم
الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس
اي مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل
معناه سأسقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة
الانبيا وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه
وقال اني سقيم اشتكي فتولوا عنه مدبرين اي الى عيدهم فدخل

اي سلاما عليه في العالمين وقيل تركنا عليه
وقال حرمن ان يصلى عليه الى يوم
القيامة كذا
الجزري

ابراهيم

ابراهيم على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى فراغ اي مال الى الهتهم بحيلة
في خفية فقال اي للاصنام استهزاء بها الا تاكلون يعني الطعام الذي
بين ايديكم ما لكم لا تنطقون فراغ اي مال عليهم ضربا باليمين اي
ضربهم بيده اليمنى لانها اقوى من الشمال في العمل وقيل بالقوة والقدرة
عليهم وقيل اراد باليمين القسم وهو قوله تعالى وتالله لاكيدن اصنامكم
فاقبلوا اليه اي الى ابراهيم يزفون اي يسرعون وذلك انهم اخبروا
بصنع ابراهيم بالهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه قال لهم ابراهيم على وجه
الحجاج اتعبدون ما تنحتون اي بايديكم من الاصنام والله خلقكم وما
تعملون اي وعملكم وقيل وخلق الذي تعملونه بايديكم من الاصنام وفي
الاية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا
فالقوه في الجحيم قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله في السما ثلاثون
ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملوه من الحطب واوقدوا عليه النار وطرحوه
فيها وهو قوله فارادوا به كيدا اي شرا وهو ان يحرقوه فجعلناهم
الاسفلين اي المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم وقال يعني
ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين اي مهاجر الى ربي واهجر دار الكفر قاله
بعد خروجه من النار سيهدين الى حيث امرني بالمصير اليه وهو ارض الشام
فلما اراد الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين
اي هب لي ولدا صالحا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام في صغره حليم في
كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم
قوله تعالى فلما بلغ معه السعي قال ابن عباس يعني المشي معه الى الجبل
وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم والمعنى انه بلغ انه يتصرف
معه ويعينه في عمله وقيل السعي العمل لله وهو العبادة قيل كان قيل
كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين قال يا بني اني ارى في المنام
اني اذبحك قيل انه لم يره في منامه انه ذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل راى
انه يعالج ذبحه ولم ير دمه ورؤيا الانبيا حق اذا راوا شيئا فعلوه واختلف
العلما من المسلمين في هذا الغلام الذي كان امر ابراهيم بذبحه على قولين مع
اتفاق اهل الكتابين على انه اسحاق فقال قوم هو اسحاق واليه ذهب من
الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب
الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطا ومقاتل والزهري
والسدي واختلف الرواية عن ابن عباس فروي عنه انه اسحاق وروي انه
اسماعيل ومن ذهب الى انه اسحاق قال كانت هذه القصة بالشام وروي
عن سعيد بن جبير راى ابراهيم ذبح اسحاق في المنام وهو بالشام فسار به
مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر من منى فلما امره الله بذبح الكبش

ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول
الثاني انه اسماعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي
ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي ورواية عطا بن ابي رباح
ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدي اسماعيل وكلا القولين يروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحاق بقوله
تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي امر بذبح من بشر به وليس في القران
انه بشر بولد سوى اسحاق كما قال تعالى في سورة هود وبشرناها باسحاق وقوله
وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين عقب البشارة بعد قصة الذبح يدل على انه
تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدايد في قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان
اول الاية واخرها يدل على ان اسحاق هو الذبيح ومما ذكرنا ايضا من كتاب يعقوب الى
ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرايل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسماعيل بان الله ذكر البشارة باسحاق
بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين
دل على ان المذبوح غيره وايضا فان الله تعالى قال في سورة هود فبشرناها
باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فكيف يامره بذبح اسحاق وقد وعده بنافلة
وهو يعقوب بعده ووصف اسماعيل بالصبر دون اسحاق في قوله واسماعيل
وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق
الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح
فوفا له بذلك وقال القرطبي سيل عمر بن عبد العزيز رجلا من علما اليهود
وكان اسلم وحسن اسلامه اي ابني ابراهيم امره الله بذبحه فقال اسماعيل
ثم قال يا امير المومنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب
ان يكون اباكم هو الذي امره الله بذبحه ويدعون انه اسحاق ابوهم ومن الدليل
ايضا ان قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في ايدي بني اسماعيل الى ان
احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رايت قرني الكبش منوطين
بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس
الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وقال الاصمعي
سالت ابا عمرو بن العلا عن الذبيح اسحاق كان او اسماعيل فقال لي يا اصمعي اين ذهب
عقلك متى كان اسحاق بمكة انما كان بمكة اسماعيل وهو الذي بنى البيت مع ابيه

ذكر الاشارة الى قصة الذبح قال العلما

بالسير والاخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين
وبشر قال هو اذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك
هذا هو السبب في امر الله اباه بالذبح فقال لاسحاق انطلق فقرب لله قربانا

فاخذ

فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا ابت
اين قربانك فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال
يا ابت افعل ما تومر وقال محمد بن اسحاق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم
اذا زار هاجر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح
من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى بلغ اسماعيل معه السعي واخذ بنفسه
ورجاه لما كان يامل فيه من عبادة ربه وعظيم حرماته امر في المنام ان يذبحه
وذلك انه راى ليلة التروية كان قايلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا
فلما اصبح روى نفسه اي فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحكم ام
من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما امسى راى في المنام ثانيا
فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي ذلك اليوم يوم عرفة وقيل راى ذلك
ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تحقق
ذلك اخبر به ابنه فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك **فانظر ماذا ترى**
اي من الراي على وجه المشاورة فان **قلت** لم شاوره في امر قد علم انه حتم من
الله وما الحكمة في ذلك قلت لم يشاوره ليرجع لرايه وانما شاوره ليعلم ما به
من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على امر الله وعزيمته على طاعته وليثبت قدمه
ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقي البلا وهو كالمستانس ويكتسب
المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله فان **قلت** لم كان ذلك في المنام ولم يكن
في اليقظة وما الحكمة في ذلك **قلت** ان هذا الامر كان في نهاية المشقة
على الذابح والمذبوح فورد في المنام كالتوطية له ثم تاكد حال النوم باحوال
اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك اقوى في الدلايل ورويا الانبيا وحي
وحق **قال يا ابت افعل ما تومر** قال الغلام لابيه افعل ما تومر به قال ابن
اسحاق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وننطلق
الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب اخبره بما امر الله تعالى
قال افعل ما تومر **ستجدني ان شا الله من الصابرين** انما علق ذلك بمشية
الله على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى
ولا قوة على طاعة الله تعالى الا بتوفيق الله تعالى **فلما اسلما** يعني انقادا
وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه السلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه
وتله للجبين اي صرعه على الارض قال ابن عباس اضجعه على جبينه على الارض
فلما فعل ذلك قال له ابنه يا ابت اشدد رباطي كيلا اضطرب واكفف عني ثيابك
حتى لا ينتضح عليها من دمي شي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك
واسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا اتيت امي
فاقرا عليها السلام مني وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان
يكون اسلى لها عني فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون انت يا بني على امر الله

فقعل ابراهيم ما امره به ابنه ثم اقبل عليه بقلبه وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي
ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجد شيئا ثم انه حده مرتين او ثلاثا بالحجر
كل ذلك لا يستطيع ان يقطع شيئا قيل ضرب الله صفيحة على حلقه والاول الى
القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا ابت كبني لوجهي
رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله وانا فلا انظر الى الشفرة فاجزع
منها ففعل ابراهيم عليه السلام ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا
ابراهيم قد صدقت الرويا وروي عن كعب الاحبار وابن اسحاق عن رجاله قالوا لما
راي ابراهيم ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم افتن عند هذا ال ابراهيم لا افتن
منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان في صورة رجل واتى ام الغلام فقال لها هل تدرين
اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبان من هذا الشعب قال والله
ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال انه
يزعم ان الله امره بذلك قالت ان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه
فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه فقال له
يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب
قال لا والله ما يريد الا ان يذبحك قال ولم قال ان ربه امره بذلك قال
فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام اقبل على ابراهيم
فقال له اين تريد ايها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني
لارى الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم
عليه السلام فقال له اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع
ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم واله شيئا مما ارادوا وامتنعوا منه بعون الله
عز وجل وروي عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام لما اراد ان يذبح ابنه
عرض عليه الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة
العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند
الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه
بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله قوله فلما اسلما وتله للجبين
وناديناه فنودي من الجبل ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا اي حصل
المقصود من تلك الرويا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله وكذا
الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرويا وكان قد راى الذبح ولم يذبح ولما
كان تصديقها لو حصل منه الذبح قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه
واتى بما امكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو استسلامه لامر
الله تعالى وانقياده بما قلد لك قال قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي
المحسنين يعني جزاه الله باحسانه في طاعتنا العفو عن ذبح ولده والمعنى
انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا ان هذا لهو البلاء

المبين اي الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده وفديناه بذبح عظيم
قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش املح اقرن فقال هذا فداء ابنك
فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم
واتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان هذا الذبيح كبشا رعا
في الجنة اربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي
قربه ابن ادم قيل حق له ان يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيما
لانه من عند الله وقيل في الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقيل الحسن ما
فدي اسماعيل الا بتيس من الاروي اهبط عليه من ثبير وتركنا عليه في
الاخرين اي تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده سلام على ابراهيم كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا
من الصالحين اي بوجود اسحاق وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسماعيل
ومعناه انه بشره باسحاق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح
هو اسحاق قال معنى الاية وبشرناه بنبوة اسحاق وكذا روي عن ابن عباس
قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبي وباركنا عليه يعني على ابراهيم في اولاده
وعلى اسحاق اي يكون اكثر الانبياء من نسله ومن ذريتهما محسن اي مومن
وظالم لنفسه اي كافر مبين اي ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا
يلزم من كثرة فضايل الاب فضيلة الابن قوله عز وجل ولقد مننا على
موسى وهارون اي انعمنا بالنبوة والرسالة ونجيناهما وقومهما يعني
بني اسرايل من الكرب العظيم يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم
وقيل هو انجاوهم من الغرق ونصرناهم يعني موسى وهارون وقومهما فكانوا
هم الغالبين اي على القبط واتيناهما الكتاب يعني التوراة المستبين اي
المستنير وهديناهما الصراط المستقيم اي دللناهما على طريق الجنة وتركنا
عليهما في الاخرين اي الثنا الحسن سلام على موسى وهارون انا كذلك
نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين قوله عز وجل وان الياس لمن المرسلين
روي عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه وقال
اكثر المفسرين هو نبي من انبياء بني اسرايل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع
وقال محمد بن اسحاق هو الياس بن بشير بن فنحاص بن العيزار بن عمران بن هارون
ذكر الاشارة الى قصته قال محمد بن اسحاق وعلماء السير والاخبار لما قبض
الله عز وجل حزقيل النبي عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرايل وظهر فيهم
الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله فبعث الله عز
وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء يبعثون من بعد موسى في بني اسرايل بتجديد
ما نسوا من احكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرايل وان
سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم

ملك يومئذ اسمه اوجب وكان قد اضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له
صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه وكان اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به
وعظموه وجعلوا له اربعماية سادن وجعلوهم ابناءه فكان الشيطان يدخل في جوف
بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم اهل
بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يومنون
به الا ما كان من امر الملك فانه امن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده
ويرشده وكان للملك امراة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغصبت
من رجل مومن له جنينة يعيش منها فاخذها وقتلته فبعث الله تعالى الياس الى
الملك وقومه وامره ان يخبرهم ان الله قد غضب لوليه حيث قتلوه ظلما وآلى على
نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول ان يهلكهما
في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان الا قليلا فجاء
الياس فاخبر الملك بما اوحى اليه في امره وامر امراته والجنينة فلما سمع ذلك
غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعون اليه الا
باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج
هاربا عنه ورجع الملك الى عبادة بعل والياس يشتوا هو الجبال فكان ياوي
الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خايفا مستخفيا ياكل من
نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره
عنهم فلما طال الامر على الياس وسكن الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه
فضاق بذلك ذرعا فاوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خايف مجهود يا الياس
ما هذا الحزن والجزع الذي انت فيه الست اميني على وحيي وحجتي في ارضي
وصفوتي في خلقي سلني اعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم
قال يا رب تميتني وتلحقني باباي فاني قد مللت بني اسرايل وملوني فاوحى
الله اليه يا الياس ما هذا باليوم الذي اعري منك الارض واهلها وانما
صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني فاعطيك
قال الياس فان لم تمتني فاعطني ثاري من بني اسرايل قال الله عز وجل واي
شيء تريد ان اعطيك قال تمكنني خزاين السما سبع سنين فلا تنشئ عليهم
سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي فانه لا يذلهم الا ذلك
قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال
فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم
بخلقي من ذلك ولكن اعطيك ثارك ثلاث سنين اجعل خزاين المطر بيدك
قال الياس فباي شيء اعيش يا رب قال اسخر لك جيشا من الطير ينقل لك
طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت
فامسك الله عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس

جهدا

جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان
وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس اصاب بني اسرايل ثلاث سنين القحط فمر
الياس بعجوز فقال لها اعندك طعام قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال
فدعا بهما ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملا جرابها دقيقا وملا خوابيها زيتا فلما
راوا ذلك عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته
بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس وطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى
الى بيت امراة من بني اسرايل ولها ابن يقال له اليسع ابن اخطوب به ضر فاوته
واخفت امره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس
وامن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيث ما ذهب وكان الياس قد كبر
واسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت
كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهايم والدواب والطير والهوام بحبس المطر
فيزعمون ان الياس قد قال دعني اكون انا الذي ادعوهم واتيهم بالفرج مما هم
فيه من البلا لعلهم يرجعوا عما هم فيه وينزعوا عن عبادة غيرك فقيل له نعم
فجا الياس الى بني اسرايل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت الدواب
والبهايم والطير والهوام بخطاياكم وانتم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا
ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم
تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرج عنكم ما انتم فيه من
البلا فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا
فيه من البلا فقالوا للياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه
اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على راس البحر وهم ينظرون فاقبلت
نحوهم وطبقت الافاق ثم ارسل الله عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم
فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم واقاموا على
اخبث ما كانوا عليه فلما راى ذلك الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم
فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شيء
فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كانا بالموضع الذي امر به اقبل
فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي الياس فوثب عليه فانطلق
به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تامرني فقذف اليه الياس بكسايه
في الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرايل وكان ذلك اخر العهد
به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والملبس وكساه
الريش فصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله على اوجب الملك وقومه عدوا
لهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل اوجب وامراته ازبيل في الجنينة التي
اغتصبتها امراة الملك من مودك المومن فلم تزل جثتاهما ملقاتين في تلك
الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبي الله اليسع وبعثه رسولا

الي بني اسرايل واوحي اليه وايده فامنت به بنوا اسرايل وكانوا يعظمونه وحكم الله
فيهم قايم الى ان فارقهم اليسع روي السدي عن يحيي بن عبد العزيز عن ابي داود
قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل
ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن
المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا يعني اتدعون بعلا
وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب
بلغة اهل اليمن وتذرون اي وتتركون عبادة احسن الخالقين
فلا تعبدونه الله ربكم ورب اباءكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون اي في
النار الا عباد الله المخلصين اي من قومه الذين امنوا به فانهم نجوا من
العذاب وتركنا عليه في الاخرين سلام على ال ياسين فقري ال ياسين
بالقطع قيل اراد ال محمد وقيل ال القران لان ياسين من اسما القران وقيه
بعد وقري الياسين بالوصل معناه الياسين واتباعه من المومنين انا كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله تعالى وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين اي الباقين
في العذاب ثم دمرنا اي اهلكنا الاخرين وانكم اي يا اهل مكة لتمرون
عليهم اي على اثارهم ومنازلهم مصبحين اي في وقت الصباح وبالليل
اي وبالليل في اسفاركم افلا تعقلون اي فتعتبرون بهم قوله عز وجل
وان يونس لمن المرسلين اي من جملة رسل الله اذ ابق اي هرب الى
الفلك المشحون اي المملو قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه
العذاب فتاخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فقاد
فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا
فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا فتقع على يونس فقال انا الابق وزج نفسه
في الما وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امراته وابنان له فجا مركب فاراد
ليركب معهم فقدم امراته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب
المركب وجاذيب فاخذ الابن الاصغر فبقي فريدا فجا مركب اخر فركبه وقعد ناحية
من القوم فلما مرت السفينة في البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا
والا لم يحصل وقوف السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا
فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج
سهم يونس فذلك قوله تعالى فساهم اي فقارع فكان من المدحضين
يعني من المقرعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة يونس والانبيا
فالتقمه الحوت اي ابتلعه وهو مليم اي اتى بما يلام عليه فلولا
انه كان من المسبحين اي الذاكرين لله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال
ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين ما كان له صلاة في بطن الحوت ولكنه

قدم عملا صالحا وقيل شكر الله له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخا
يذكركم في الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله فلما وقع في الشدة في
بطن الحوت شكر الله ذلك قال الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث
في بطنه الي يوم يبعثون وقيل انه كان يسبح في بطن الحوت وهو قوله لا
اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين للبث في بطنه الي يوم يبعثون اي
لصار بطن الحوت قبرا له الي يوم القيامة قوله تعالى فنبذناه اي طرحناه
انما اضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان افعال العباد مخلوقة
الي الله تعالى بالعرا اي بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل
وهو سقيم اي عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم
يبق له قوة قيل انه لبث في بطن الحوت ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرين
يوما وقيل اربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية وانبتنا عليه شجرة
من يقطين يعني القرع وقيل كان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض
كالقرع والقثا والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل انبتها الله له ولم تكن قبل ذلك
وكانت معرشة ليحصل له الظل وفي شجر القرع فايدة وهو ان الذباب لا يجتمع
عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة بالارض لم يمكن
ان يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية
حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة
واصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكي فارسل الله اليه جبريل وقال
اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف من امتك قد اسلموا وتابوا وارسلناه
الي مائة الف قيل ارسله الى ارض نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه ما اصابه
والمعنى وكنا ارسلناه الي مائة الف فلما خرج من بطن الحوت امر ان يرجع اليهم
ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز ان يكون
ارساله الى قوم اخرين غير القوم الاولين او يزيدون قال ابن عباس معناه
ويزيدون قيل معناه بل يزيدون وقيل او على اصلها والمعنى او يزيدون في تقدير
الراي اذا راهم قال هو لا مائة الف او يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين
والاصح هو قول ابن عباس الاول واما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين
الفا يعضده ما روي عن ابي بن كعب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف ويزيدون قال يزيدون عشرين الفا
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين الفا وقيل
سبعين الفا فامنوا يعني الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب
فمتعناهم الى حين اي الى انقضا اجالهم قوله عز وجل فاستفتهم اي
فسل يا محمد اهل مكة وهو سوال توبيخ الربك البنات ولهم البنون
وذلك ان بني جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملايكة بنات الله والمعني

جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشي الذي يستنكف منه المخلوق فكيف ينسبونه للخالق ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون اي حاضرون خلقنا اياهم الا انهم من افكهم اي من كذبهم ليقولون ولد الله اي في زعمهم وانهم لكاذبون فيما زعموا اصطفى البنات اي لا نعمهم على البنين وهو استفهام توبيخ وتقريع مالكم كيف تحكمون اي بالبنات لله ولكم البنين افلا تذكرون اي افلا تتعظون ام لكم سلطان مبين اي برهان بين على ان لله ولدا فاتوا بكتابكم الذي لكم فيه حجة ان كنتم صادقين اي في قولكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قيل اراد بالجنة الملايكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس حي من الملايكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق فمن امهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم اشركوا الشياطين في عبادة الله وقيل هو قول الزنادقة الذين يقولون الخير من الله والشر من الشيطان ولقد علمت الجنة انهم يعني قايلي هذا القول لمحضرون في النار سبحان الله عما يصفون نزه نفسه عما يقولون الا عباد الله المخلصين هذا استثنا من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون فانكم يعني يا اهل مكة وما تعبدون اي من الاصنام ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين اي بمضلين احدا الا من هو صال الجحيم اي الا من سبق في علم الله شقاوته انه سيدخل النار قوله عز وجل اخبارا عن حال الملايكة وما منا الا له مقام معلوم يعني قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملايكة الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطت السما وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي وهو طرف من حديث وقيل الاطيط اصوات الابل وقيل اصوات الاقتاب وحنينها ومعنى الحديث ما في السما من الملايكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملايكة وان لم يكن ثم اطيط وقيل معنى الاية مقام معلوم في القربة والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجا والمحبة والرضا وانا لنحن الصافون يعني الملايكة صفوا اقدامهم في عبادة الله كصفوف الناس للصلاة في الارض وانا لنحن المسبحون اي المصلون لله وقيل المنزهون لله عن كل سوء يخبر جبريل صلى الله عليه وسلم وانهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا المعبودين كما زعمت الكفار قوله عز وجل وان كانوا ليقولون يعني كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لو ان عندنا ذكرا من الاولين يعني كتابا

مثل

مثل كتاب الاولين لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة لله فكفروا به اي فلما اتاهم الكتاب كفروا به فسوف يعلمون فيه تهديد لهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم انهم لهم المنصورون اي بالحجة البالغة وان جندنا اي حزبنا المومنين لهم الغالبون اي لهم النصرة في العاقبة فتول اي اعرض عنهم حتى حين قال ابن عباس يعني الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى امرك بالقتال وهذه الاية منسوخة باية القتال وقيل الى ان ياتيهم العذاب وابصرهم اي اذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون اي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل يعني العذاب بساحتهم اي بحضرتهم وقيل بفنائهم وبعقرهم فسا صباح المنذرين يعني فبيس صباح الكافرين الذين انذروا العذاب ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تاكيدا لوعد العذاب فقال تعالى وتول عنهم حتى حين وقيل المراد من الاية الاولى احوالهم في الدنيا وهذه ذكر احوالهم في الاخرة فعلى هذا القول يزول التكرار وابصر اي العذاب اذا نزل بهم فسوف يبصرون ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحان ربك رب العزة اي الغلبة والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث عما يصفون عن اتخاذ الشركا والاولاد وسلام على المرسلين اي الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرايع لان اعلا مراتب البشر ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وهم الانبيا عليهم السلام فلا جرم يجب على كل احد الاقتدا بهم والاهتدا بهداهم والحمد لله رب العالمين اي على هلاك الاعدا ونصرة الانبيا وقيل الغرض من ذلك تعليم المومنين ان يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن ابي طالب قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة ص ويقال لها سورة داود عليه السلام

وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون اية وسبعماية واثنان وثلاثون كلمة وثلاثة الاف وسبع وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ص قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم والقران ذي الذكر قال ابن عباس اي ذي البيان

وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله
تعالى بالقرآن ان محمدا الصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي
الذكر ما الامر كما يقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله تعالى بل الذين كفروا
قيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره بل الذين
كفروا في عزة وشقاق والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل
وقيل جوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وهذا ضعيف
لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب اقاصيص واخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام
ونفي لآخر ومجاز الاية ان الله تعالى اقسم بص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا
من اهل مكة في عزة اي في حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق اي خلاف وعداوة
لمحمد صلى الله عليه وسلم كم اهلكنا من قبلهم من قرن يعني من الامم
الخالية فنادوا اي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة ولات
حين مناص اي ليس حين فرار وتاخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا
فاضطربوا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل
العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله تعالى ولات حين مناص اي ليس حين هذا
القول وعجبوا اي كفار مكة ان جاءهم منذر منهم يعني رسولا من انفسهم
ينذرهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب قوله عز وجل اجعل الالهة الها واحدا
وذلك ان عمر بن الخطاب اسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المومنون فقال
الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين
رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا الى ابي طالب فاتوا الى ابي طالب
وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولاء السفهاء وانما اتيناك
لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل اليه ابو طالب فدعاه فلما اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له يا ابن اخي هولاء قومك يسالونك السوء فلا تمل كل الميل
على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسالون قالوا ارفض
الهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة
تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشرة
امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من
ذلك وقالوا اجعل الالهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد ان هذا لشيء
عجاب اي عجيب وانطلق الملا منهم اي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند
ابي طالب ان امشوا اي يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على الهتكم اي
اثبتوا على عبادة الهتكم ان هذا لشيء يراد اي لامر يراد بنا وذلك ان عمر بن الخطاب
لما اسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذي نراه من زيادة اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد
محمد صلى الله عليه وسلم ما سمعنا بهذا اي الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم

من

من التوحيد في الملة الآخرة قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل
وانهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي
دينهم الذي هم عليه ان هذا الا اختلاق اي كذب وافتعال اانزل عليه الذكر
اي القرآن من بيننا اي يقول اهل مكة ليس هو باكبرنا ولا اشرفنا قال
الله تعالى بل هم في شك من ذكري اي وحيي وما انزلت بل لما يذوقوا عذابي
اي لو ذاقوه لما قالوا هذا القول ام عندهم خزاين رحمة ربك يعني مفاتيح
النبوة يعطونها من شاوا العزيز اي في ملكه الوهاب الذي وهب النبوة
لمحمد صلى الله عليه وسلم ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي ليس
لهم ذلك فليرتقوا في الاسباب يعني ان ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا في
الاسباب التي توصلهم الى السما وليأتوا منها بالوحي الى من يختاروا وقيل اراد
بالاسباب ابواب السما وطرقها من سما الى سما وهذا امر توبيخ وتعجيز جند
ما هنالك اي هولاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك مهزوم اي
مغلوب من الاحزاب يعني قريشا من جملة الاجناد الذين تجبروا وتحزبوا
على الانبيا بالتكذيب فقهروا واهلكوا اخبر الله تعالى نبيه وهو بمكة انه
سيهزم جند المشركين فجا تاويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم
ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم كذبت قبلهم قوم
نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد قال ابن عباس ذو البنا المحكم وقيل ذو
الملك الشديد الثابت والعرب تقول هم في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك
انه دايم شديد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ۞ في ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو القوة واصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة
والبطش وفي رواية عن ابن عباس ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون
امره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشي وسميت الاجناد اوتادا لكثرة
المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في اسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد
وكانت له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على احد مده مستلقيا
بين اربعة اوتاد يشد منه كل طرف الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه
العقارب والحيات وقيل كان له اوتاد وارسان وملاعب يلعب عليها بين يديه
وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب الذين تحزبوا على الانبيا
فاعلم الله ان مشركي قريش حزب من اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل
فحق عقاب يعني ان اولئك الطوايف والامم الخالية لما كذبوا انبياءهم وجب
عليهم العذاب فكيف هولاء الضعفا المساكين اذا نزل بهم العذاب وفي الاية
زجر وتخويف للسامعين وما ينظر اي ينتظر هولاء يعني كفار مكة الا
صيحة واحدة ما لها من فواق اي رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التي هي ميعاد

عذابهم اذا جاءت لم نزد ولم نصرف وقالوا ربنا عجل لنا قطنا اي حظنا ونصيبنا
من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحرث استعجالا
منه بالعذاب قال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي احصت كل شي
قيل لما نزلت في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله
قالوا استهزا عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب وقيل قطنا اي حسابنا
يقال لكتاب الحسنات قط وقيل القط الكتاب بالجوايز قال الله عز وجل لنبيه
اصبر على ما يقولون اي على ما يقول الكفار من تكذيبك واذكر عبدنا
داود ذا الايدي قال ابن عباس ذا القوة في العبادة ق عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب الصيام الى الله
صيام داود واحب الصلاة الى الله صلاة داود وكان يصوم يوما ويفطر
يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة
في الملك انه اواب اي رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن
عباس مطيع لله وقيل مسبح بلغة الحبش انا سخرنا الجبال معه يسبحن اي بتسبيحه
اذا سبح بالعشي والاشراق اي غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس
ويتناهى ضوؤها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت امر بهذه الاية لا ادري ما هي
حتى حدثتني ام هاني بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها
فدعى بوضوء فتوضا ثم صلى الضحى فقال يا ام هاني ان هذه صلاة الاشراق
قلت والذي اخرجاه في الصحيحين من حديث ام هاني في صلاة الضحى قالت ام
هاني ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل
وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قالت انا ام هاني
بنت ابي طالب فقال مرحبا بام هاني فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان
ركعات ملتحفا في ثوب قالت ام هاني وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن ابي
ليلى قال ما حدثنا احد بانه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير ام هاني
فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى
ثماني ركعات فلم ار صلاة قط اخف منها غير انه يتم السجود والركوع قوله عز وجل
والطير اي وسخرنا له الطير محشورة اي مجموعة اليه تسبح معه كل له
اواب اي رجاع الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه وشددنا ملكه اي قويناه
بالحرس والجنود قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس
محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل وروي عن ابن عباس ان رجلا من بني
اسرايل استعدى على رجل من عظمايهم عند داود فقال ان هذا غصبني بقرا فساله
داود فجحد فسال الاخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى
انظر في امركما فاوحي الله الى داود في منامه ان يقتل الذي استعدى اليه

فقال هذه

فقال هذه رويا ولست اعجل عليه حتى اتثبت فاوحي اليه مرة اخرى فلم يفعل
فاوحي اليه الثالثة ان يقتله او تاتيه العقوبة فارسل اليه داود فقال ان الله
اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن
امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك اني والله ما اخذت
بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فكذلك اخذت فامر به داود
فقتل فاشتدت هيبته في بني اسرايل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك
قوله تعالى وشددنا ملكه واتيناه الحكمة يعني النبوة والاصابة في الامور
وفصل الخطاب قال ابن عباس هو بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم
والبصر بالقضا وقال علي بن ابي طالب هو ان البينة على المدعي واليمين على
من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال ابي بن كعب فصل الخطاب
الشهود والايمان وقيل فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله والثنا
عليه اما بعد اذا اراد الشروع في كلام اخر واول من قاله داود عليه السلام
قوله عز وجل وهل اتاك اي وقد اتاك يا محمد نبو الخصم اي خبر الخصم فاستمع
له نقصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من
الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصمين الخصم يقع على الواحد والجمع
اذ تسوروا المحراب اي صعدوا وعلوا المحراب اي البيت الذي كان يدخل فيه
داود ويشتغل فيه بالطاعة والعبادة والمعنى انهما اتوا المحراب من سوره
وهو اعلاه وفي الاية قصة امتحان داود عليه السلام واختلف العلما باخبار
الانبيا في سبب ذلك وساذكر ما قاله المفسرون ثم اتبعه بفصل فيه تنزيه
داود عما لا يليق بمنصبه لان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فلا
ينسب اليها الا ما يليق بها فاما ما قاله المفسرون ان داود عليه السلام
تمنى يوما من الايام منزلة ابايه ابراهيم واسحاق ويعقوب وذلك انه قد كان
قسم الدهر ثلاثة ايام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ويوم
لنسايه واشغاله وكان يجد فيما يقرا من الكتب فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب
فقال يا رب ارى الخير كله قد ذهب به اباي الذين كانوا قبلي فاوحى الله اليه انهم
ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى الله ابراهيم بنمرود وذبح ابنه
وابتلى اسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال
داود ابتلني بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضا فاوحى الله اليه انك مبتلى في شهر
كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان في اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه
واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينما هو كذلك اذ جاه الشيطان وقد
تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر وال
زبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فمد يده لياخذها ويريها بني
اسرايل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد لاخذها طارت غير بعيدة من غير

ان يوبسه من نفسها فامتد اليها لياخذها فطارت من الكوة فنظر داود
اين تقع فبعث من يصيدها له فابصر امراة في بستان على شط بركة تغتسل على
سطح لها فراي امراة من اجمل النسا خلقا فعجب داود من حسنها وحانت التفاتة
فابصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا فسال عنها
فقيل هي تشايع بنت شايع امراة اوريا بن حنان وزوجها في غزاة بالبلقا مع
ايوب بن صوريا بن اخت داود فكتب داود الى ابن اخته ان يبعث اوريا الى
موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم التابوت لا يحل له ان يرجع الى
ورائه حتى يفتح الله على يديه او يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك
فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه باسا فبعثه فقتل في المرة
الثالثة فلما انقضت عدة المراة تزوجها داود فهي ام سليمان عليه السلام
وقيل ان داود احب ان يقتل اوريا فيتزوج امراته فهذا كان ذنبه وقال ابن
مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امراته وقيل كان
ذلك مباحا لهم من غير ان الله لم يرض لداود ذلك لانه رغبة في الدنيا وازدياد
من النسا وقد اغناه الله عنها بما اعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان
داود انه قد جزا الدهر اجزا يوما لنسايه ويوما للعبادة ويوما بين بني
اسرايل ويوما يذاكرهم فيه ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان
يوم بني اسرايل ذكروا فقالوا هل ياتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا
فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النسا فاضمر
داود في نفسه انه ان ابتلي اعتصم فلما كان يوم عبادته اغلق عليه الابواب
وامر ان لا يدخل عليه احد واكب على قراة التوراة فبينما هو يقرا اذ دخلت حمامة
وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمراة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله الملكين
اليه وقيل ان داود ما زال يجتهد في العبادة حتى برز له حافظاه من الملايكة
فكانوا يصلون معه فلما استانست بهم قال اخبروني باي شي انتم موكلون قالوا
نكتب صالح عملك ونوفقك ونصرف عنك السو فقال في نفسه ليت شعري
كيف اكون لو خلوت ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله الى الملكين
يعني ليعلم انه لا غنى به عن الله فلما فقدهم جد واجتهد في العبادة الى ان ظن انه
قد غلب نفسه فاراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فارسل طايرا من طيور الجنة
وذكر نحو ما تقدم وقيل قال داود لبني اسرايل لاعدلن بينكم ولم يستثن
فابتلي وقيل انه اعجبه عمله فبعث الله اليه ملكين في صورة رجلين وذلك في يوم
عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فما شعر
الا وهما بين يديه جالسين وهو يصلي فقيل كانا جبريل وميكاييل فذلك
قوله عز وجل وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود
ففزع منهم اي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه فقال لهما ما ادخلكما

على

على قالوا لا تخف خصمان اي نحن خصمان بغى بعضنا على بعض اي تعدى
وخرج عن الحد جينا لك لتقضي بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف
يتصور البغي منهما والملايكة لا يبغي بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض
الكلام لا على تحقيق البغي من احدهما والمعنى رايت خصمين بغى احدهما على
الاخر فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر في حكمك واهدنا الى سوا
الصراط ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال
احدهما ان هذا اخي اي على ديني وطريقتي لا من جهة النسب له تسع و
وتسعون نعجة يعني امراة ولي نعجة واحدة اي امراة واحدة والعرب
تكني بالنعجة عن المراة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه
لم يكن هناك نعاج ولا بغي فقال اكفلنيها قال ابن عباس اعطنيها وقيل
معناه انزل عنها وضمها الي واجعلني كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها وعزني
في الخطاب يعني غلبني وقهرني في القول لانه افصح مني في الكلام وان حارب
كان ابطش مني لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفي في يده وان
كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المراة التي تزوجها
داود حيث كان لداود تسع وتسعون امراة ولاوريا واحدة فضمها
داود الى نسايه قال داود لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه اي بضمها
الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الاخر
قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد
اعتراف صاحبه بما يقول وان كثيرا من الخلطا اي الشركا ليبغي بعضهم
على بعض اي يظلم بعضهم بعضا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانهم لا يظلمون احدا وقليل ما هم اي هم قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين
الذين لم يظلموا قليل فلما قضى داود بينهما نظر احدهما الى صاحبه وضحك
وصعدا الى السما فعلم داود ان الله ابتلاه وذلك قوله تعالى وظن
داود اي ايقن وعلم انما فتناه اي ابتليناه وامتحناه وقال
ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا في صورتهما
وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انه انما عني به داود
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي عليه السلام حين نظر الى المراة
فاهم على بني اسرايل فاوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب
فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به
ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او ينهزم عنه الجيش فقتل
زوج المراة ونزل الملكان يقصان قصته عليه ففطن داود فسجد فمكث
اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض

من جبهته وهو يقول في سجوده رب زل داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب
رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في المخلوق
من بعده فجاءه جبريل من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله قد غفر لك
الهم الذي هممت به فقال داود ان الرب قادر على ان يغفر لي الهم الذي هممت
به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال
رب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سألت ربي عن ذلك وان شئت
لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله ثم نزل جبريل فقال
سألت الله يا داود عن الذي ارسلتني له فقال قل لداود ان الله يجمعكما
يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب
فيقول فان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا فهذه اقاويل السلف
من اهل التفسير في قصة امتحان داود **فصل** في تنزيه داود عليه السلام
عما لا يليق به وما لا ينسب اليه اعلم ان من خصه الله بنبوته واكرمه برسالته
وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه
لا يليق ان ينسب اليه ما لو نسب الى احاد الناس لاستنكف منه او لتحدث
به عنه فكيف يجوز ان ينسب الى بعض اعلام الانبياء والصفوة الامناء لذا
روي سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن علي بن ابي طالب انه قال من حدثكم
بحديث ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء
وقال القاضي عياض لا يجب ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون من اهل
الكتاب الذين غيروا وبدلوا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء
من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه الله في قصة داود وظن
داود انما فتناه وليس في قصة داود واوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة
قتل مسلم وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امر داود قال الامام فخر الدين
حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في
زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل ان يظن بداود هذا وقال غيره
ان الله تعالى اثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة
ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين ذم ولو جرى
ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا انت في مدح شخص
كيف تجري ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كلامه القديم
فان قلت في الاية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود
انما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله واناب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس
في هذه الالفاظ شيء مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة اشرف المقامات
واعلاها فيطالبون باكمل الاخلاق والاوصاف واسناها فاذا نزلوا من ذلك
الى طبع البشر عاتبهم الله على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين

فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان في الاية قلت ذهب
المحققون من علماء التفسير وغيرهم في هذه القصة الى ان داود عليه السلام
ما زاد ان قال للرجل انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه
عليه وانكر عليه شغله في الدنيا وقيل ان داود تمنى ان تكون امراة اوريا له
فاتفق غزو اوريا وهلاكه في الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع
على غيره من جنده ثم تزوج امراته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء
وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقيل ان اوريا كان قد خطب تلك المراة ووطن
نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم
لذلك اوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده
تسع وتسعون امراة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب فدل
هذا على ان الكلام كان بينهما في الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج اوريا لها
فعوتب داود بسببين احدهما خطبته على خطبة اخيه والثاني اظهار الحرص
على تزويجها مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذي استغفر ربه ليس هو
بسبب اوريا والمراة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع
كلام الاخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان الحكم مخالفا للصواب اشتغل
داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه تنزيه داود عليه السلام
مما نسب اليه والله اعلم قوله عز وجل **فاستغفر ربه** اي سال ربه الغفران
وخر راكعا اي ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء
وقيل معناه وخر ساجدا بعد ما كان راكعا **فصل** اختلف العلماء
في سجدة ص هل هي من عزائم السجود فذهب الشافعي الى انها ليست من عزائم
سجود التلاوة وقال لانها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة وقال ابو حنيفة
هي من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الاية على ان الركوع يقوم مقام
السجود في سجود التلاوة وعن احمد في سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبي
صلى الله عليه وسلم سجد فيها **خ** عن ابن عباس قال سجدة ص ليست من عزائم
السجود وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها **خ** قال مجاهد قلت لابن
عباس اسجد في ص فقرا ومن ذريته داود وسليمان حتى اتى فبهداهم اقتده فقال
نبيكم ممن امر ان يقتدي بهم فسجدها داود وسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وللنسائي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود
توبة ونسجدها شكرا عن ابي سعيد الخدري قال قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس
معه فلما كان في يوم اخر قراها فلما بلغ السجدة تشوف الناس للسجود فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رايتكم تشوفتم فنزل

وسجد وسجدوا اخرجه ابو داود وقوله تشوف الناس يعني تاهبوا اي تهيئوا
واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله رايتني الليلة وانا نائم كاني اصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت
الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا
واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا سجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبر
الرجل عن قول الشجرة اخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود اربعين
يوما لا يرفع راسه الا لحاجة او لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام
اربعين لا ياكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول راسه وهو ينادي ربه
عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي
يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور الهي انت خلقتني وكان في سابق علمك
ما انا اليه صاير سبحان خالق النور الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال
هذا داود الخاطي سبحان خالق النور الهي باي عين انظر اليك يوم القيامة وانما
ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي من اين يطلب العبد المغفرة
الا من عند سيده سبحان خالق النور الهي اني لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق
حر نارك سبحان خالق النور الهي اني لا اطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت
جهنم سبحان خالق النور الهي كيف تستتر الخطاؤن بخطاياهم دونك وانت
تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل
عذري سبحان خالق النور الهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني
سبحان خالق النور الهي اعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني
سبحان خالق النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من
القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور قيل مكث داود اربعين
يوما لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى راسه فنودي يا داود
اجايع انت فتطعم اظمآن انت فتسقى اعار انت فتكسى امظلوم انت فتنتصر فاجيب
في غير ما طلب ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فنحب نحبة هاج ما حوله من العشب
فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود اتاه
نداء اني قد غفرت لك قال يا رب كيف وانت لا تظلم احدا قال اذهب الى قبر اوريا
فناده وانا اسمعه نداك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى
جلس على قبره ثم ناداه يا اوريا فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وايقظني قال
انا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال اسألك ان تجعلني في حل مما كان مني اليك
قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة فانت في حل فاوحى
الله يا داود الم تعلم اني حكم عدل لا اقضي بالتعنت الا اعلمته انك قد تزوجت
امراته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال انا داود

قال

قال يا نبي الله اليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان
امراتك وقد تزوجتها فسكت ولم يجبه ودعاه مرة اخرى فلم يجبه وعاوده
فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على راسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل
الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود اذا نصبت الموازين بالقسط
سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه
مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء يا داود قد غفرت
ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك قال يا رب كيف وصاحبي
لم يعف عني قال يا داود اعطيه من الثواب يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم
تسمع اذناه فاقول له رضي عبدي فيقول يا رب ومن اين لي هذا ولم يبلغه
عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي قال يا رب
الان قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا
وأناب اي رجع **فغفرنا له ذلك** اي الذنب **وإن له عندنا** اي
يوم القيامة بعد المغفرة **لزلفى** اي لقربى ومكانة **وحسن مآب** اي حسن
مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته
ثلاثين سنة لا يرقى دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين
سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على اربعة ايام يوم للقضاء بين بني اسرائيل
ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار
له فيها اربعة الاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه
على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير
فيبكي ويبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار
ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته ويبكي فتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب
حتى يسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته ويبكي وتبكي معه
الحيتان ودواب البحر وطير الماء فاذا امسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه
نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده ويدخل
الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف
فيجلس عليها ويجيء اربعة الاف راهب عليهم البرانس وفي ايديهم العصي
فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه
ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع
داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من
تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر ما ترى فلو عدل
بكاء داود ببكاء اهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم
ان مثل عيني داود كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه
كخديد الماء في الارض قال وهب لما تاب الله على داود فقال يا رب غفرت لي

فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال وهب
انه خطيئته في يده اليمنى فما رفع طعاما ولا شرابا الا بكى اذا راها ولا قام خطيبا
في الناس الا ويبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدء
اذا دعا استغفر للخاطئين قبل نفسه وعن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس
الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع
عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل
بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا اكل الخاطئين
قال وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من
خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر
عقاب الله تخلعت اوصاله فلا يشدها الا الامر واذا ذكر رحمة ربه تراجعت وقيل
ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تستمع الى قراءته
وقيل انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك قوله عز وجل **يا داود**
انا جعلناك خليفة في الارض اي لتدبر امر الناس بامرنا فنفذ الحكم فيهم
فاحكم بين الناس بالحق اي بالعدل **ولا تتبع الهوى** اي لا تمل مع ما تشتهي اذا
خالف امر الله تعالى **فيضلك عن سبيل الله** اي عن دين الله وطريقه **ان الذين**
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي بما تركوا
الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل في
القضا قوله تعالى **وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا** قال ابن عباس
لا للثواب ولا العقاب وقيل معناه ما خلقناهما عبثا لا لشي **ذلك ظن الذين**
كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقا لغير شي وانه لا بعث ولا حساب
فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض قيل ان كفار قريش قالوا للمومنين انما نعطى في الاخرة من الخير ما تعطون
فنزلت هذه الاية **ام نجعل المتقين** يعني الذين اتقوا الشرك وهم اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم **كالفجار** يعني الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين
سوا في الاخرة **كتاب انزلناه اليك** اي هذا كتاب يعني القران نزلناه اليك
مبارك اي كثير خيره ونفعه **ليدبروا اياته** اي ليدبروا ويتفكروا في اسراره العجيبة
ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر اياته اتباعه في اوامره ونواهيه **وليتذكر** اي
وليتعظ **اولوا الالباب** اي ذوو العقول والبصاير قوله عز وجل **ووهبنا لداود**
سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل ان
سليمان غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف فرس وقيل ورثها من ابيه
وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة فصلى سليمان الصلاة الاولى التي هي الظهر
وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعماية فرس فتنبه لصلاة
العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم

لذلك

لذلك وقال ردوها علي فاقبل يضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى
وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما
علينا وبقي منها ماية فرس فالذي في ايدي الناس من الخيل يقال انها من نسل
تلك الماية فلما عقرها ابدله الله خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف
شا وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي الخيل القايمة
على ثلاث قوايم واقامة الرابعة على طرف الحافر من رجل او يد وقيل الصافن
القايم وجا في الحديث من سره ان يقوم له الناس صفوفا فليتبوا مقعده من
النار اي قياما الجياد اي الخيار السراع في الجري واحده جواد قال ابن عباس
يريد الخيل السوابق **فقال اني احببت حب الخير** اي اثرت حب الخير واراد الخيل
سميت به لانه معقود في نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني
المال ومنه الخيل التي عرضت عليه **عن ذكر ربي** يعني صلاة العصر
حتى توارت اي استترت الشمس **بالحجاب** اي ما يحجبها عن الابصار يقال
ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورايه **ردوها**
علي اي ردوا الخيل علي **فطفق مسحا بالسوق** جمع ساق **والاعناق** اي جعل
يضرب سوقها واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين
وكان ذلك مباحا لان نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن يتوب
عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب اخر وهو عقر الخيل وقال ابن اسحاق لم يعنفه
الله على عقره الخيل اذ كان ذلك اسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقيل
انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها
واعناقها بكي الصدقة وحكي عن علي معنى قوله ردوها علي يقول بامر الله للملايكة
الموكلين بالشمس ردوها علي فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الامام
فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القران ان يقول رباط الخيل
كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمان عليه السلام
احتاج الى الغزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرايها وذكر اني لا احبها
لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه
وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باعدايها وجريها
حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم امر برد الخيل عليه وهو قوله ردوها
علي فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح
امور الاول تشريفا لها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو والثاني
اراد انه ان يظهر انه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ انه يباشر الامور بنفسه
الثالث انه كان يعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها من غيره فكان يمسحها ويمسح
سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرنا
ينطبق عليه لفظ القران ولا يلزمنا شي من تلك المنكرات والمحذورات والعجب

من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل الجمهور قد فسروا الاية بتلك
الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامات المقام الاول ان ندعي ان
لفظ الاية لا يدل على شي من تلك الوجوه التي ذكروها والحمد لله ان الامر كما
ذكرنا ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني ان يقال هب ان لفظ الاية يدل
عليها الا انه كلام ذكره الناس وان الدلايل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبيا
ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات قوله عز وجل **ولقد فتنا سليمان** اي اختبرنا
وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع
بمدينة في جزيرة من جزاير البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشان
ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد اتى سليمان في ملكه
سلطانا ولا يمتنع عليه شي في بر ولا في بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك
المدينة تحمله الريح على ظهر الما حتى نزل بها بجنوده من الجن فقتل ملكها وسبى
ما فيها واصاب فيما اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا
وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفا منها وقلة
فقه واحبها حبا لم يحبه شيا من نسايه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها
ولا يرقى دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي
لا يذهب والدمع الذي لا يرقى قالت ان ابي اذكره واذكر ملكه وما كان فيه
وما اصابه فيحزنني فقال سليمان فقد ابدلك الله تعالى ملكا هو اعظم من ملكه
وسلطانا اعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت
ان ذلك لذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما تراه من الحزن فلو انك امرت الشياطين
فصوروا لي صورته في داري التي انا فيها اراها بكرة وعشية لرجوت ان يذهب
ذلك حزني وان يسليني عن بعض ما انا فيه وما اجده في نفسي فامر سليمان
الشياطين فقال مثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا ينكر منه شي فمثلوا
لها حتى نظرت الى ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته
ثيابا مثل ثيابه الذي كان يلبس ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو
اليه في ولايدها فتسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع في ملكه وتروح كل عشية
بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشي من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك اصف بن برخيا
وكان صديقا وكان لا يرد عن ابواب سليمان اي ساعة اراد دخول شي من بيوته
دخل حاضرا سليمان او غايبا فاتاه فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد
عمري وقد حان مني الذهاب وقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه
من مضى من انبيا المسلمين واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون
من كثير امرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر
من مضى من انبيا الله تعالى واثنى على كل نبي بما كان فيه وذكر ما فضله الله به
حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احكمك في صغرك واورعك في صغرك وافضلك

في صغرك واحكم امرك في صغرك وابعدك من كل ما يكره الله في صغرك ثم انصرف فوجد
سليمان في نفسه من ذلك حتى ملا غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال
يا اصف ذكرت من مضى من انبيا الله فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وفي كل
من امرهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيرا في صغري وسكت عما سوى ذلك
من امري في كبري فما الذي احدثت في اخر عمري فقال اصف ان غير الله يعبد
في دارك منذ اربعين صباحا في هوى امراة فقال سليمان في داري قال في
دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك ما قلت الذي قلت
الا عن شي بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المراة
وولايدها ثم امر بثياب الطهرة فاتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا
ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار ولا تمسها يد امراة قد رات الدم
فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر برماد ففرش له ثم اقبل تاييا
الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى
وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى
امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل الخلا
او اراد اصابة امراة من نسايه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه
الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما ثم دخل مذهبه
فاتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيا فقال خاتمي
يا امينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت
عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فاتى الامينة وقد تغيرت
حالته وهيبته عند كل من راه فقال يا امينة خاتمي قالت من انت قال سليمان
ابن داود فقالت كذبت قد جا سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه
فعرف سليمان ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني
اسرايل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا
الى هذا المجنون اي شي يقول يزعم انه سليمان فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر
فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الى السوق ويعطونه سمكتين فاذا امسى
باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فياكلها فمكث على ذلك اربعين
صباحا عدة ما كان يعبد الصنم في داره ثم ان اصف وعظما بني اسرايل انكروا حكم
عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال اصف يا معشر بني اسرايل هل رايتم من
اختلاف حكم ابن داود ما رايت قالوا نعم قال امهلوني حتى ادخل على نسايه فاسالهن
هل انكرن في خاصة امره ما انكرنا في عامة الناس وعلانيته فدخل على نسايه
فقال ويحكن هل انكرتن من ابن داود ما انكرنا فقلن اشده ما يدع امراة
منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن
ما كان الله ليسلط الشيطان على نسايه عليه السلام قال وهب ثم ان اصف

خرج على بني اسرائيل فقال لهما في الخاصة أشد منها في العامة فلما مضى اربعون صباحا
طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها
بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى اعطاه سمكتين فباع سليمان
احداهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه
وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن واقبل الناس عليه وعلم ان
لما الخلق في داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان
يأتوه بصخر فطلبوه حتى اخذوه فاتي به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى
ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف في البحر وقيل سبب فتنة سليمان
ان جرادة كانت ابر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان اخي بينه
وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر
نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فاعاده في يده
فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فاتاه اصف فقال لسليمان
انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا واني اقوم مقامك
واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله تائبا واعطى اصف
الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فقام اصف في ملك سليمان بسيرته اربعة
عشر يوما الى ان رد الله على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره
واعاد الخاتم في يده وثبت فهو الجسد الذي القي على كرسيه وروي عن سعيد بن
المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه احتجبت عن
الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله عز وجل وذكر نحو
ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من
المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه
على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا
وقد عصم الله الانبياء عن مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما
اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امراة كلهن تاتي بفارس يجاهد في
سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن
جميعا فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي
بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وفي رواية لاطوفن
بمائة امراة قال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل شيئا قال العلماء والشق هو الجسد
الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي ان يستثني كما صح في الحديث لينفذ امر الله
ومراده وقيل ان المراد بالجسد الذي القي على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت
الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا

ان نقتل

ان نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه في
السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ لقي ذلك الولد
ميتا على كرسيه فما تنبه الله تعالى على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك
فتنبه لخطايه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل **والقينا على كرسيه جسدا**
ثم اناب اي رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل اناب الى الاستغفار وهو
قوله **قال رب اغفر لي** اي سأل ربه المغفرة **وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد**
من بعدي وقيل لا يكون لاحد من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري
وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري **انك انت الوهاب** فان قلت
قول سليمان لا ينبغي لاحد من بعدي مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت
لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده في ذلك ان
لا يسلط عليه الشيطان مرة اخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى
على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما واية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته
ودلالة على قبول توبته حيث اجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزيد فيه وقيل
كان سليمان ملكا ولكن شاء ان يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى
باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فسأل شيئا يختص به كما روي في الصحيحين
من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت علي
البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه في سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب هب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسئا قوله تعالى **فسخرنا له الريح تجري**
بامره رخاء اي لينة ليست بعاصفة **حيث اصاب** اي حيث اراد **والشياطين**
اي وسخرنا له الشياطين **كل بناء** اي يبنون له ما يشاء **وغواص** يعني يستخرجون
له اللآلي من البحر وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر **واخرين** اي وسخرنا
له اخرين وهم مردة الشياطين **مقرنين في الاصفاد** اي مشددين في القيود
سخروا له حين قرنهم في الاصفاد **هذا عطاؤنا** اي قلنا له هذا عطاؤنا **فامنن**
اي احسن الى من شئت **او امسك** اي عمن شئت **بغير حساب** اي لا حرج عليك
فيما اعطيت ولا فيما امسكت قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة
الا سليمان فانه ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة وقيل هذا في امر الشياطين
يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وامسك اي احبس
من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه **وان له**
عندنا لزلفى وحسن ماب لما ذكر الله ما انعم عليه به في الدنيا اتبعه بما
انعم عليه به في الاخرة قوله عز وجل **واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني**
مسني الشيطان بنصب اي بمشقة **وعذاب** اي ضر وذلك في المال
والجسد وقد تقدمت قصة ايوب **اركض** يعني انه لما انقضت مدة بلائه

قيل له اركض اي اضرب برجلك يعني الارض ففعل فنبعت ماء عين عذب هذا مغتسل بارد فامره ان يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان في بطنه فذلك قوله تعالى وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا اي انما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم وذكرى لاولي الالباب يعني سلطنا البلا عليه فصبر ثم ازلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والابصار وخذ بيدك ضغثا اي ملء كفك من حشيش او عيدان او ريحان فاضرب به ولا تحنث وقد كان حلف ان يضرب امراته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فافتاه في ضربها وسهل له الامر فامره بان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فضربها به ضربة واحدة ففعل ذلك ولم يحنث في يمينه ومثل ذلك لايوب خاصة ام لا فيه قولان احدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطا بن ابي رباح والثاني انه خاص لايوب قاله مجاهد واختلف الفقها فيمن حلف ان يضرب عبده مائة سوط فجمعه وضربه بها واحدة فقال مالك والليث بن سعد واحمد لا يبر وقال ابو حنيفة والشافعي اذا ضربه ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الاية انا وجدناه صابرا اي على البلا الذي ابتليناه به نعم العبد انه اواب قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اي اذكر صبرهم فابراهيم القي في النار فصبر واسحاق ذهب بصره واضجع للذبح في قول فصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده وذهاب بصره فصبر اولي الايدي قال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله والابصار اي في المعرفة بالله وقيل باليد اكثر الاعمال وبالبصر اقوى الادراكات فعبر عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوى عالمية وعاملية فاشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله واشرف ما يصدر عن القوى العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدي والابصار انا اخلصناهم اي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين بخالصة ذكرى الدار قيل معناه اخلصناهم بذكر الاخرة فليس لهم ذكر غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وقيل كانوا يدعون الى الاخرة والى الله تعالى وقيل اخلصوا بخوف الاخرة وهو الخوف الدايم في القلب وقيل اخلصناهم بافضل ما في الاخرة وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار يعني من الذين اختارهم الله واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل اي اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم كل من الاخيار قوله عز وجل هذا ذكر اي الذي يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به وان للمتقين لحسن ماب اي حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه في الاخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب قيل تفتح ابوابها لهم بغير فتح

لها بيد بل بالامر فيقال لها انفتحي انغلقي متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب اي مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن هذا ما توعدون ليوم الحساب اي قل للمومنين هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعدون به المتقون ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اي دايما ما له من نفاد وانقطاع بل هو دايم كلما اخذ منه شي عاد مثله في مكانه قوله تعالى هذا اي الامر الذي ذكرناه وان للطاغين يعني الكافرين لشر ماب يعني لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى جهنم يصلونها اي يدخلونها فبيس المهاد اي الفراش هذا فليذوقوه حميم وغساق معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وبردها وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين في جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه واخر من شكله اي مثل الحميم والغساق ازواج اي اصناف اخر من العذاب هذا فوج مقتحم معكم قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني جماعة الاتباع مقتحم معكم النار اي داخلوها كما دخلتموها انتم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة لا مرحبا بهم اي بالاتباع انهم صالوا النار اي داخلوها كما صليناها نحن قالوا اي قال الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم اي لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا واهلا وسهلا اي اتيت رحبا وسعة انتم قدمتموه لنا يعني يقول الاتباع للقادة انتم بداتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعايكم ايانا الى الكفر فبيس القرار فبيس دار القرار جهنم قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا في النار اي ضعف عليه العذاب في النار قال ابن عباس حيات وافاعي وقالوا يعني كفار قريش وصناديدهم واشرافهم وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم اي في النار من الاشرار يعني بذلك فقرا المومنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم اشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار يعني ان الكفار اذا دخلوا النار فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا نرى هولا الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت عنهم ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه ام هم في النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا وقيل معناه ام كانوا خيرا

منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا **ان ذلك**
الذي ذكرت **لحق** ثم بين ذلك فقال تعالى **تخاصم اهل النار** اي في النار
وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة
بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة قوله عز وجل **قل** اي يا محمد لمشركي مكة
انما انا منذر اي مخوف **وما من اله الا الله الواحد** اي الذي لا شريك له
في ملكه **القهار** اي الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم اردفه بما
يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى **رب السموات والارض وما بينهما**
العزيز الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود
وكونه غفارا يشعر بانه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم **قل هو نبأ عظيم**
يعني القران قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة **انتم عنه معرضون** اي لا
تتفكرون فيه فتعلمون نبوتي وان ما جئت به لم اعلمه الا بوحي من الله تعالى
ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون يعني من شان ادم حين قال الله
اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
فان قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله لا تليق ولا تمكن قلت
لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة
والمشابهة علة لجواز المخاصمة ولهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه **ان**
يوحى الي اي انما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى الي **الا انما انا نذير مبين**
يعني الا انما انا نبي انذركم وابين لكم ما تاتونه وتجتنبونه عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني ربي في احسن صورة قال احسبه
قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيما يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال
فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي او قال في نحري فعلمت ما في
السموات وما في الارض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت
نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلاة والمشي على الاقدام
الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير
وخرج من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني اسالك
فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني
اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة
والناس نيام وفي رواية فقلت لبيك وسعديك في المرتين وفيها فعلمت ما
بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب **فصل**
في الكلام على معنى هذا الحديث وفي امثاله من احاديث الصفات مذهبان احدهما
وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان
به من غير تاويل له والسكوت عنه وعن امثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى

ليس

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير المذهب الثاني وهو تاويل الحديث وقبل
الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف
في اسناده فرواه ابن سيرين بن محمد عن زيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الحلاج
عن عبد الرحمن بن عائش عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم
ابن عبد الله عن يحيى بن ابي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الله عن يحيى عائش
الحضرمي عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم
رواه موسى بن خلف العمى عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو ابو سلام
عن ابن السكسكي عن مالك بن عامر وله فيه غير ذلك ورواه ايوب عن ابي
قلابة عن ابن عباس وقال فيه احسبه قال في المنام ورواه قتادة عن ابي
قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عائش
الحضرمي له حديث واحد الا انهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال
البيهقي وقد روي من اوجه كلها ضعاف وفي ثبوته نظر واحسن طريق فيه رواية
جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على ان ذلك كله كان
في المنام واما تاويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز ان
يكون الباري تعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصورة مختلفة والهيئات
متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه فاستحال ان يكون مصورا وهو الخالق
الباري المصور فقوله تعالى في احسن صورة يحتمل الوجهين احدهما وانا في احسن
صورة كانه زاده جمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفنا ان الله تعالى
زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعده لشدة الوحي
وثقله الوجه الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى
انه راى في احسن صفاته من الانعام عليه والانفاذ والايصال اليه وانه تلقاه
بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جميل ومعناه
انه مجمل في افعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك حسن صنعة الله
تعالى وقد يكون حسن الصورة ايضا يرجع الى صفاته العلية من التناهي في العظمة
والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث
على هذا التعريف ما تراءى من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل
فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن
صفات النقص وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم
فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتاويله ان المراد باليد النعمة
والمنة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام
الله اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه فعلم ما في السموات وما في
الارض باعلام الله تعالى اياه وانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون اذ لا
يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة او مباشرة او نقص وهذا هو اللائق

بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة لنا الى التاويل لان رؤية الباري عز وجل في المنام على الصفات الحسنة يدل على البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام الملاء الاعلى وهم الملايكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في انها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشي باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سوال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله اعلم قوله عز وجل اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين يعني ادم فاذا سويته اي اتممت خلقه ونفخت فيه من روحي اضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسي يسري في بدن الانسان سريان الضوء في الفضا وكسريان النار في الفحم فقعوا له ساجدين فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر اي تعظم وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي توليت خلقه استكبرت اي تعظمت بنفسك عن السجود له ام كنت من العالين اي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله قال انا خير منه يعني لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين قوله خير منه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار اشرف من الطين وافضل منه واخطا ابليس في القياس لان مآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين اصل ما هو نام وثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وافضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصيته فالطين خير منها وافضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب ولكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس نسيب ولكنه فاضل عالم فيكون افضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة قال فاخرج منها اي من الجنة وقيل من السما وقيل من الخلقة التي كان فيها وذلك ان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته فانك رجيم اي مطرود وان عليك لعنتي الى يوم الدين فان قلت اذا كان الرجيم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة او السما ويحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون ابلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجي يوم الدين قلت

معناه ان اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة انواع من العذاب ما ينسي بها تلك اللعنة فكانها انقطعت عنه قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني النفخة الاولى قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول اي انا اقول الحق وقيل الاول قسم اي فبالحق وهو الله اقسم بنفسه لاملان جهنم منك اي بنفسك وذريتك وممن تبعك منهم اجمعين يعني من بني آدم قل ما اسئلكم عليه اي على تبليغ الرسالة من اجر اي جعل وما انا من المتكلفين اي المتقولين القران من تلقاء نفسي وكل من قال شيا من تلقا نفسه فقد تكلفه (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا ايها الناس من علم شيا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين لفظ البخاري ان هو يعني القران الا ذكر اي موعظة للعالمين اي للخلق اجمعين ولتعلمن يعني انتم يا اهل مكة نباه اي خبر صدقه بعد حين قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقي علم بذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن آدم عند الموت ياتيك الخبر اليقين والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الزمر

مكية نزلت بمكة الا قوله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله الله نزل احسن الحديث وقيل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل احسن الحديث وقيل فيها ثلاث ايات مدنيات من قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى قوله لا يشعرون وهي اثنان وقيل خمس وسبعون اية والف ومائة واثنتان وسبعون كلمة واربعة الاف وتسعمائة وثمانية احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل تنزيل الكتاب اي هذا الكتاب وهو القران تنزيل من الله العزيز الحكيم لا من غيره انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي لم ننزله باطلا لغير شي فاعبد الله مخلصا له الدين اي الطاعة الا لله الدين الخالص اي شهادة ان لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعني الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذي امر به لان راس العبادات الاخلاص في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي والذين اتخذوا من دونه اي من دون الله اولياء يعني الاصنام ما نعبدهم اي قالوا ما نعبدهم

الا ليقربونا الى الله زلفى يعني قربى وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم
وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فيقيل لهم فما معنى عبادتكم
الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده ان الله يحكم
بينهم فيما هم فيه يختلفون اي من امر الدين ان الله لا يهدي اي يرشد
لدينه من هو كاذب اي قال ان الالهة تشفع له كفار اي باتخاذه
الالهة دون الله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى اي لاختار
مما يخلق ما يشا يعني الملايكة ثم نزه فقال تعالى سبحانه اي تنزيها
له عن ذلك وعن ما لا يليق بطهارة قدسه هو الله الواحد اي في ملكه
الذي لا شريك له ولا ولد القهار اي الغالب الكامل القدرة قوله تعالى
خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار
على الليل يعني يغشي هذا وقيل يدخل احدهما على الاخر وقيل ينقص
من احدهما ويزيد في الاخر فما نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من
النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة
خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر احدهما
على الاخر بقدرة قادر عليهما قاهر لهما وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى يعني الى يوم القيامة الا هو العزيز الغفار معناه ان خلق هذه
الاشيا العظيمة وان دلت على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه
غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان خلقكم من نفس واحدة يعني ادم
ثم جعل منها زوجها يعني حوا ولما ذكر الله سبحانه وتعالى ايات قدرته
في خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم اتبعه بذكر خلق الانسان
ثم اعقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج
يعني الابل والبقر والغنم والمعز واراد بالازواج الذكر والانثى من هذه
الاصناف وفي تفسير الانزال وجوه وقيل ان الانزال هنا بمعنى الاحداث
والانشا وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالما
وهو ينزل من السما فكان التقدير انزل الما الذي يعيش به الانعام وقيل
ان اصول هذه الاصناف خلقت من الجنة ثم انزلت الى الارض يخلقكم
في بطون امهاتكم لما ذكر اصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر خلق الانعام
عقبه بذكر حالة مشتركة بين الحيوان والانسان وهي كونها مخلوقة في
بطون الامهات وانما قال في بطون امهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان
على ساير الخلق خلقا من بعد خلق يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة في
ظلمات ثلاث قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة
وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن ذلكم الله ربكم اي الذي
خلق هذه الاشيا ربكم له الملك اي لا لغيره لا اله الا هو اي لا خالق

لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله فانى تصرفون اي عن طريق الحق بعد هذا البيان
قوله عز وجل ان تكفروا فان الله غني عنكم يعني انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر
الى نفسه نفعا او ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غني على الاطلاق
فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك
نقصا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا انه غني عن جميع العالمين
لو كفروا واصروا عليه فان الله غني عنهم ثم قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر
يعني انه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده الكفر
قال ابن عباس لا يرضى لعباده المومنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى
كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله واجراه قوم على العموم
وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الاية لا يرضى لعباده ان يكفروا
به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله وان كان بارادته لان
الرضى عبارة عن مدح الشي والثنا عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا
يثني عليه ولا يكون في ملكه الا ما اراد وقد لا يرضى ولا يمدح عليه وقد بان
الفرق بين الارادة والرضا وان تشكروا اي تومنوا بربكم وتطيعوه
يرضه لكم فيثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم بيانه
ثم الى ربكم مرجعكم اي في الاخرة فينبيكم بما كنتم تعملون اي في الدنيا
انه عليم بذات الصدور اي بما في القلوب قوله تعالى واذا مس الانسان
ضر اي شدة وبلا دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مستغيثا به
ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة منه نسي اي ترك ما كان يدعو اليه من قبل
والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله اندادا يعني
الاصنام ليضل عن سبيله اي ليرد عن دين الله قل اي لهذا الكافر
تمتع بكفرك قليلا اي في الدنيا الى انقضا اجلك انك من اصحاب النار
قيل نزلت في عتبة وقيل في ابي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر
امن هو قانت قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه
الذي جعل لله اندادا خير امن هو قانت وقيل معنى الاية تمتع بكفرك
انك من اصحاب النار يا من هو قانت انك من اصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت
في ابي بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار
وسلمان وقيل الاية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر
القنوت قراة القران وقيل القانت القايم بما يجب عليه اناء الليل اي
ساعات الليل اوله واخره واوسطه ساجدا وقايما اي في الصلاة
وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه افضل منه وذلك لان
الليل استر فيكون ابعد عن الريا ولان ظلمة الليل تجمع الهمم وتمنع البصر

عن النظر الى الاشيا واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع
الى المطلوب الاصلي وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من تصلي له وقيل لان الليل
وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب
فيه اكثر **يحذر** اي يخاف **الاخرة ويرجوا رحمة ربه** فقيل المغفرة وقيل الجنة
وفيه فايدة وهو انه قام في مقام الخوف يحذر الاخرة فلم يضف الحذر الى نفسه
وقام في مقام الرجا ويرجوا رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجا اكمل واولى
ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روي عن انس بن مالك ان النبي صلى الله
عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك فقال ارجوا الله يا رسول
الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب
عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجوا منه وامنه مما يخاف اخرجه
الترمذي **قل هل يستوي الذين يعلمون** اي ما عند الله من الثواب
والعقاب **والذين لا يعلمون** اي ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه
والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومي وقيل افتتح الله الاية بالعمل وختمها
بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية
فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله **انما يتذكر اولوا الالباب**
قوله تعالى **قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم** اي بطاعته واجتناب
معاصيه **للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة** يعني للذين امنوا واحسنوا
العمل حسنة يعني الجنة وقيل الصحة والعافية في الدنيا **وارض الله واسعة**
قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر
منه المعاصي وقيل من امر بالمعاصي في بلد فليهرب منه وقيل نزلت في مهاجري
الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل
بهم من البلا وهاجروا وصبروا **انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب**
قال علي بن ابي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون
فانه يحثى لهم حثيا روي انه يوتى باهل البلا فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر
لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا
لو ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلا من الفضل قوله عز وجل
قل يا محمد **اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين** اي مخلصا
له التوحيد لا اشرك به شيا **وامرت لان اكون اول المسلمين** اي من
هذه الامة وقيل امره اولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امره ثانيا بعمل
الجوارح ولان شرايع الله لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو
المبلغ فكان اول الناس شروعا فيه وانما خص الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
بهذا الامر لينبيه على ان غيره احق بذلك فهو كالترغيب لغيره **قل اني اخاف**
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وذلك ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله

عليه وسلم ما حملك على هذا الذي اتيتنا به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وقومك
فتاخذ بها فانزل الله هذه الايات ومعنى الاية زجر الغير عن المعاصي لانه مع
جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خايفا حذرا من
المعاصي فغيره اولى بذلك **قل الله اعبد مخلصا له ديني** فان قلت ما معنى التكرار
في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا
له ديني قلت ليس هذا تكرارا لان الاول الاخبار بانه مامور من جهة الله
بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثاني انه اخبار بانه امر ان يخص الله وحده
بالعبادة ولا يعبد احدا غيره مخلصا له دينه لان قوله امرت ان اعبد الله لا
يفيد الحصر وقوله الله اعبد يفيد الحصر فالمعنى الله اعبد ولا اعبد احدا
سواه ثم اتبعه بقوله **فاعبدوا ما شيتم من دونه** ليس امرا بل المراد منه
الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله **قل ان الخاسرين الذين**
خسروا انفسهم واهليهم يعني ازواجهم وخدمهم **يوم القيامة** قال ابن
عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا واهلا في الجنة فمن عمل بطاعة
الله كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك
المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه واهله ومنزله وقيل
خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه وبين اهله **الا**
ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار اي اطباق وسرادقات
ومن تحتهم ظلل اي فراش ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات من
جميع الجوانب فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمي ما تحته بالظلة
قلت فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر الثاني ان
الذي تحته من النار يكون ظلة لاخر تحته في النار لانها دركات الثالث ان
الظلة التحتانية اذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الايذا والحرارة
سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة **ذلك يخوف الله به عباده** اي المومنين
لانهم اذا سمعوا حال الكفار في الاخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله
وهو قوله **يا عبادي فاتقون** اي خافون قوله تعالى **والذين اجتنبوا الطاغوت**
اي الاوثان **ان يعبدوها وانابوا الى الله** اي رجعوا الى عبادة الله بالكلية
وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره **لهم البشرى** اي في الدنيا وفي الاخرة
اما في الدنيا فالثنا عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في
القبر واما في الاخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند
جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي كل موقف من هذه المواقف يحصل
لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان **فبشر عبادي الذين**
يستمعون القول يعني القران **فيتبعون احسنه** اي احسن ما يومرون
به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر في القران الانتصار من الظالم وذكر العفو

لعفو عنه والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن
وهو العزائم وقيل يستمعون القران وغيره من الكلام فيتبعون القران لانه
كله حسن وقال ابن عباس لما اسلم ابو بكر الصديق جاءه عثمان وعبد الرحمن بن
عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم
بايمانه فامنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه وقيل نزلت هذه الاية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون
لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وابو ذر وسلمان الفارسي اولئك الذين
هداهم الله اي الى عبادته وتوحيده واولئك هم اولوا الالباب افمن حق
عليه كلمة العذاب قال ابن عباس سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة العذاب
قوله لاملان جهنم وقيل قوله هؤلاء في النار ولا ابالي افانت تنقذ من في
النار اي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده لكن الذين اتقوا
ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية اي منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل
هي ارفع منها تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد
اي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخالفه ق عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون اهل الغرف
من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل
ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى
والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر اي
الباقي في الافق اي في ناحية المشرق او المغرب قوله تعالى الم تر ان الله انزل
من السماء ماء اي ادخل ذلك الماء فسلكه ينابيع اي عيونا وركايا ومسالك
ومجاري في الارض كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ماء في الارض فمن السماء
نزل ثم يخرج به زرعا اي بالماء مختلفا الوانه اي مثل احمر واصفر واخضر
وابيض وقيل اصنافا مثل البر والشعير وسائر انواع الحبوب ثم يهيج اي ييبس
فتراه اي بعد خضرته ونضرته مصفرا ثم يجعله حطاما اي فتاتا متكسرا
ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب قوله عز وجل افمن شرح الله صدره
اي وسعه للاسلام وقبول الحق كمن طبع الله على قلبه فلم يهتد فهو على
نور من ربه اي على يقين وبيان وهداية روى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا
دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول
الموت فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله القسوة جمود وصلابة
تحصل في القلب فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول

النور والهداية قلت انهم كما يتلى عليهم ذكر الله الذي يكذبون به قست قلوبهم
عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن
قبول الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين
الشمع ويعقد الملح فكذلك القران يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد
الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة
القلب وما غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة اولئك في ضلال مبين
قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق وفي ابي بن خلف وقيل في علي وحمزة وفي
ابي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ابي جهل قوله عز وجل
الله نزل احسن الحديث يعني القران وكونه احسن الحديث لوجهين
احدهما من جهة اللفظ والاخر من جهة المعنى اما الاول فلان القران
من افصح الكلام واجزله وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب
والرسائل بل هو نوع يخالف الكل في اسلوبه واما الوجه الثاني وهو كون
القران من احسن الحديث لاجل المعنى لانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف
مشتمل على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة
وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار كتابا متشابها اي يشبه
بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا مثاني اي يثنى فيه ذكر
الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار والاحكام تقشعر اي تضطرب
وتشمئز منه جلود الذين يخشون ربهم والمعنى تاخذهم قشعريرة
وهو تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد
من الجلود القلوب اي قلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله اي لذكر الله قيل اذا ذكرت ايات الوعيد والعذاب اقشعرت
جلود الخائفين لله واذا ذكرت ايات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت
قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء
روي عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن
الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار قال بعض العارفين
السائرين في بيداء جلال الله تعالى فاذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا
لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا قال قتادة هذا نعت اولياء الله الذي نعتهم
الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم لذكر الله ولم ينعتهم بذهاب
عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان وروي
عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي اسماء بنت ابي بكر الصديق
كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم
القران قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم

قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القران خر احدهم مغشيا
عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي ان ابن عمر مر برجل من اهل العراق
ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القران واسمع ذكر الله تعالى
سقط قال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط قال ابن عمر ان الشيطان يدخل
في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن
سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم
على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا عليه القران من اوله الى اخره فان رمى
بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا في جانب الخوف
ثم قرنت بها القلوب ثانيا في الرجا قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها
القلوب اقشعرت الجلود من ايات الوعيد في اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى
امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجا في قلوبهم وبالقشعريرة
لينا في جلودهم وقيل ان المكاشفة في مقام الرجا اكمل منها في مقام الخوف
لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب فاذا حصل الخوف اقشعر
منه الجلد واذا حصل الرجا اطمان اليه القلب ولان الجلد ذلك اي القران
الذي هو احسن الحديث هدى الله يهدي به من يشا اي الذي شرح الله
صدره لقبول الهداية ومن يضلل الله اي يجعل قلبه قاسيا منافيا
لقبول الهداية فما له من هاد اي يهديه قوله تعالى افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب اي شدته يوم القيامة قيل يخر على وجهه في النار
وقيل يرمي به في النار منكوسا فاول شي تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر
يرمي به في النار منكوسا مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت
مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها
على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي في يده وعنقه ومعنى الاية افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو امن من العذاب وقيل للظالمين اي تقول لهم
الخزنة ذوقوا اي وبال ما كنتم تكسبون في الدنيا من المعاصي كذب
الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فاتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون اي وهم غافلون امنون من العذاب فاذاقهم الله
الخزي اي العذاب والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا
يعلمون قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل
لعلهم يتذكرون اي يتعظون قرانا عربيا اي فصيحا اعجز الفصحا
والبلغا عن معارضته غير ذي عوج اي منزها عن التناقض وقال ابن
عباس غير مختلف وقيل غير ذي لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن انس بن
مالك وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القران ليس بخالق
ولا مخلوق لعلهم يتقون اي الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكم في تقدم

التذكرة

التذكر في الاية الاولى على التقوى في هذه الاية قلت تقدم التذكرة ان
الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشي واحاط بمعناه اتقاه واحترز
منه قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون اي متنازعون
مختلفون سيئة اخلاقهم والتشاكس التشاكس الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف
ورجلا سالما لرجل اي خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب
لقومك وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك قد اشترك فيه شركا بينهم اختلاف
وتنازع كل واحد يدعي انه عبده وهم يتجاذبونه في مهن شتى فاذا عنت له حاجة
تدافعوه فهو متحير في امره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته
وفي رجل اخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك
السيد يعين خادمه في حاجاته واي هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا
وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذي يعبد الهة شتى والمومن الذي يعبد الله
وحده فكانت حال المومن الذي يعبد الها واحدا احسن واصلح من حال الكافر الذي
يعبد الهة شتى وهو قوله هل يستويان مثلا وهذا استفهام انكار اي لا يستويان
في الحال والصفة فقال تعالى الحمد لله اي لله الحمد كله وحده دون غيره من
المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا الله الواحد الاحد الحق بالدلايل الظاهرة
والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات
بل اكثرهم لا يعلمون ان المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له لا
لغيره قوله تعالى انك ميت اي ستموت وانهم ميتون اي سيموتون وذلك
انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله ان الموت
يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الاحد الفاني بالفاني وقيل نعى الى
نبيه نفسه واليكم انفسكم والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم احيا فانكم
في اعداد الموتى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال ابن عباس
يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم
انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله اتكرر علينا
الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا فقال نعم فقال ان الامر اذا لشديد
اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وقال ابن عمر مكثنا برهة من الدهر وكنا
نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم
تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب
وجوه بعض بالسيف فعرفت انه فينا نزلت وعن ابي سعيد الخدري في هذه الاية
قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما
كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم
قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن
اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض ومال فليحلله اليوم من قبل ان لا يكون
دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم تكن له حسنات
اخذ من سيات صاحبه فحملت عليه م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع
قال ان المفلس من امتي ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وياتي قد شتم
هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته
وهذا من حسناته فاذا فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياه
فطرحت عليه ثم طرح في النار قوله عز وجل فمن اظلم ممن كذب على الله
اي فزعم ان له ولدا او شريكا وكذب بالصدق اذ جاءه اي بالقران وقيل
بالرسالة اليه اليس في جهنم مثوى اي منزل ومقام للكافرين قوله تعالى
والذي جاء بالصدق وصدق به اي والذي صدق به قال ابن عباس الذي
جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به
هو رسول الله ايضا بلغه الى الله وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقران
وصدق به محمد رسول الله وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصدق به ابو بكر الصديق وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذي جاء بالصدق
الانبيا وصدق به الاتباع وقيل الذي جاء بالصدق اهل القران وهو الصدق
يجيئون به يوم القيامة وقد ادوا حقه فهم الذين حدثوا به اولئك هم
المتقون اي الذين اتقوا الشرك لهم ما يشاؤن عند ربهم اي من الجزا
والكرامة ذلك جزا المحسنين اي في اقوالهم وافعالهم ليكفر الله عنهم
اسوا الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اي يسترها عليهم بالمغفرة
ويجزيهم بمحاسن اعمالهم لا يجزيهم بمساويها قوله عز وجل اليس الله بكاف
عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعني الانبيا عليهم السلام
قصدهم قومهم بالسوء وكفاهم الله شر من عاداهم ويخوفونك بالذين من
دونه وذلك انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم بعيبه الاوثان وقالوا
لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل وجنون ومن يضلل الله فما له
من هاد ومن يهدي الله فما له من مضل اليس الله بعزيز اي منيع
في ملكه ذي انتقام اي منتقم من اعدايه ولين سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله يعني ان هولا المشركين مقرون بوجود الاله القادر
العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلايق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة
هذا العلم فان من تامل عجايب السموات والارض وما فيهما من انواع الموجودات
علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم امره الله تعالى ان يحتج عليهم بان ما يعبدون
الا لا قدرة لها على جلب خيرا ودفع ضر وهو قوله تعالى قل افرايتم ما تدعون
من دون الله يعني الاصنام ان ارادني الله بضر يعني شدة وبلا

هل من

هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة اي بنعمة وخير وبركة هل
هن ممسكات رحمته فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال
الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله هو ثقتي وعليه اعتمادي عليه
يتوكل المتوكلون اي عليه يثق الواثقون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
اي اجتهدوا في انواع مكركم وكيدكم وهو امر تهديد وتقريع اني عامل اي
فيما امرت به من اقامة الدين فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه اي
انا وانتم ويحل عليه عذاب مقيم اي دايم وهو تهديد وتخويف انا انزلنا عليك
الكتاب يعني القران للناس بالحق اي ليهتدي به كافة الخلق فمن اهتدى
فلنفسه اي نرجع فايدة هدايته اليه ومن ضل فانما يضل عليها اي يرجع
وبال ضلالته عليه وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم ولم تؤخذ بهم قيل
هذا منسوخ باية القتال قوله تعالى الله يتوفى الانفس اي الارواح
حين موتها اي فيقبضها عند فناء اجلها وانقضاء اجالها وهو موت الاجساد
والتي لم تمت في منامها والنفس التي يتوفاها عند النوم هي التي يكون
بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هي التي تكون بها الحياة وتفارقه
عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هي التي يكون بها التمييز
وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس فيمسك التي
قضى عليها الموت فلا يردها الى جسدها ويرسل الاخرى اي ويرد
النفس التي لم يقض عليها الموت الى جسدها الى اجل مسمى اي الى ان
ياتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفس وروح فعند النوم تخرج
النفس وتبقى الروح وقال علي بن ابي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى
شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرويا فاذا انتبه من النوم عادت الروح
الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان ارواح الاحيا والاموات تتلاقى في المنام
فتتعارف ما شا الله فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله ارواح
الاموات عنده وارسل ارواح الاحيا الى اجسادها مدة اجالها ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض
فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت
جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به
عبادك الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس وبين
قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا
قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح
باذن الله ولملك الموت اعوان وجنود من الملايكة ينتزعون الروح من ساير
البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ان في ذلك لايات لقوم
يتفكرون اي في البعث وذلك ان توفي نفس النايم وارسالها بعد التوفي دليل

على البعث وقيل ان في ذلك دليل على قدرتنا حيث لا نغلط في امساك ما نمسك من الارواح وارسال ما نرسل منها قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعا يعني الاصنام قل يا محمد اولوكانوا يعني لا لهة لا يملكون شيئا اي من الشفاعة ولا يعقلون اي انكم تعبدونهم وانتم تعبدونهم وانكم تولون انهم تنفعنا قل لله الشفاعة جميعا اي لا يشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع في الحقيقة وهو ياذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده له ملك السموات والارض اي لا ملك فيهما لاحد سواه ثم اليه ترجعون اي في الآخرة قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت اي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة قيل اذا اشمأز القلب من عظم غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه اثر ذلك مثل الغبرة والظلمة واذا ذكر الذين من دونه يعني الاصنام اذا هم يستبشرون اي يفرحون والاستبشار ان يمتلي القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل قوله عز وجل قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي من امر الدين عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال سالت عائشة باي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم قوله عز وجل ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا انه نازل بهم في الآخرة وقيل ظنوا انها حسنات فبدلت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا روي ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال اخشى ان يبدو لي ما لم احتسب وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي مساوي اعمالهم من الشرك والظلم باولياء الله وحاق اي نزل بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر اي شدة دعانا ثم اذا خولناه اي اعطيناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم اي من عند الله اني له اهل وقيل على خير علمه الله عندي بل هي فتنة يعني تلك النعمة استدراج من الله وامتحان وبلية ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني انه استدراج قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون فانه قال انما اوتيته على علم عندي فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي فما اغنى الكفر من العذاب شيئا فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزاؤها وهو العذاب ثم اوعد كفار مكة

فقال

فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين اي بفائتين لان مرجعهم الى الله عز وجل اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق اي يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر اي يقتر ويقبض على من يشاء ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله روي عن ابن عباس ان سبب نزول هذه الاية ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا وانتهكوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ان الذي تقول وتدعوا اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل الله شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله اخرجه الكسائي وعن ابن عباس ايضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم ان من قتل او اشرك او زنى يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي اراني بعد في شبهة فلا ادري ايغفر لي ام لا فانزل الله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجاء فاسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه الايات في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا ابدا قوم اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل الله هذه الاية فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا وعن ابن عمر ايضا قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما الذي يبطل اعمالنا فقال الكبائر والفواحش فقال فكنا اذا راينا من اصاب شيئا منها قلنا هلك فنزلت هذه الاية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا راينا احدا اصاب شيئا من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجونا له وقوله اسرفوا على انفسهم اي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم وقيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة الله اي لا تيأسوا من رحمة الله ولا تامن من مكر الله من الكبائر ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فان قلت حمل هذه الاية على ظاهرها اغراء بالمعاصي واطلاق في الاقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصي انه لا مخلص له

من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا احد من العصاة الا ومتى
تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا
اي اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل ان يتوب فهو موكول الى
مشيئة الله تعالى فان شا غفر له وعفى عنه وان شا عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله
الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل احد وخوف العقاب قايم فلعل الله
لا يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله اعلم **فصل**
في ذكر احاديث تتعلق بالاية روي ابن مسعود انه دخل المسجد فاذا قاص يقص
وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال مذكرها تقنط الناس ثم قرا
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله عن اسما بنت يزيد
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب **ق** عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كان في بني اسرايل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم
خرج يسال فاتى راهبا فساله فقال له الي توبة فقال لا فقتله وجعل
يسال فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت
فيه ملايكة الرحمة وملايكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي واوحى الله
الى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجدا قرب الى هذه بشبر فغفر له
لفظ البخاري ولمسلم قال فدل على راهب فاتاه فقال له رجل انه قتل تسعة
وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به ماية ثم سال عن اعلم
اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل ماية نفس فهل له من توبة
قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا
يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق
حتى اذا كان نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملايكة الرحمة وملايكة
العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي والى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما
بينهما فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين
فالى ايهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اتاها فقبضته
ملايكة الرحمة **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
رجل يسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما
حضره الموت قال لبنيه انا اذا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في
الريح فوالله لين قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه احدا من الخلق فلما مات
فعل به ذلك فامر الله الارض فقال اجمعي ما فيك ففعلت فاذا هو قايم فقال
ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب او قال مخافتك فغفر له بذلك
وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني اسرايل رجلان

متحابان احدهما مذنب والاخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الاخر
على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلني وربي
ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك او لا يدخلك الجنة فقبض الله
ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب للمجتهد اكنت على ما في يدي
قادرا وقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للاخر اذهبوا به الى
النار قال ابو هريرة تكلم والله بكلمة اوبقت دنياه واخرته اخرجه ابو داود
عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن
ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم
لو بلغت ذنوبك عنان السما ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم
لو انك اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها
مغفرة اخرجه الترمذي قوله عنان السما العنان السحاب وقيل هو ما عنّ لك
منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملاها قوله عز وجل **وانيبوا
الى ربكم** اي ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة **واسلموا له** اي اخلصوا
له التوحيد **من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون** اي لا تمنعون منه
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني القران لانه كله حسن ومعنى
الاية ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه انزل في
القران ذكر القبيح ليجتنبه وذكر الادون ليلا ترغب فيه وذكر الاحسن
لتاثره وتاخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اي وانتم غافلون
عنه **ان تقول نفس** اي ليلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا ان تقول
وقيل خوف ان تصير الى حال ان تقول نفس **يا حسرتي** اي يا ندما ويا حزنا
والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات **على ما فرطت في جنب الله** اي
على ما قصرت في طاعته وقيل في امر الله وقيل في حق الله وقيل على ما ضيعت
في ذات الله وقيل معناه على ما قصرت في الجانب الذي يودي الى مرضاة الله
وان كنت لمن الساخرين اي المستهزيين بدين الله وبكتابه وبرسوله
وبالمومنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها **او تقول لو
ان الله هداني** اي ارشدني الى دينه وطاعته **لكنت من المتقين**
اي الشرك **او تقول حين ترى العذاب** اي عيانا **لو ان لي كرة** اي رجعة
الى الدنيا **فاكون من المحسنين** اي الموحدين ثم اجاب الله هذا القايل
بان الاعذار زايلة والتعليل باطل وهو قوله تعالى **بلى قد جاءتك اياتي**
يعني القران **فكذبت بها** اي قلت ليست من الله **واستكبرت** اي تكبرت
وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله اي
زعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشيا الينا ان شينا

فعلنا وان شينالم نفعل وجوههم مسودة قيل هو سواد يخالف لسائر انواع
السواد اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اي عن الايمان قوله تعالى وينجي الله
الذين اتقوا اي الشرك بمفازتهم اي بالطرق التي تؤديهم الى الفوز والنجاة
وقرئ بمفازاتهم اي ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار لا يمسهم السوء
اي لا يصيبهم المكروه ولاهم يحزنون الله خالق كل شيء اي مما هو كاين او يكون
في الدنيا والاخرة وهو على كل شيء وكيل اي ان الاشياء كلها موكولة اليه
في البقا من يحفظها له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح خزاين السموات
والارض واحده مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسي
معرب قال الراجز •

• لم يوذها الديك بصوت تغريد • ولم يعالج غلقا باقليد •

والمعنى ان الله تعالى مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزاين
ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزاين الرحمة
والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات والذين كفروا بايات الله اي جحدوا
بايات الله الظاهرة الباهرة اولئك هم الخاسرون قل افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون وذلك ان قريشا دعوه الى دين ابايه ولذلك وصفهم الله
بالجهل لان الدليل القاطع قد قام به المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك اي الذي
قد عملته قبل الشرك وهذا الخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد
به غيره لان الله عصم نبيه من الشرك وفيه تهديد لغيره ولتكونن من الخاسرين
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين اي لانعامه عليك قوله تعالى وما
قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره ثم اخبر
تعالى عن عظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ق عن عبد الله بن مسعود قال
جاء حبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على
اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر والانهار على اصبع وساير الخلق
على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما
قدروا الله حق قدره الاية وفي رواية والما والثرى على اصبع وساير الخلق على
اصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه
تعجبا وتصديقا ثم قرا وما قدروا الله حق قدره الاية م عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم ياخذهن
بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين
بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وفي رواية يقول انا
الله ويقبض اصابعه ويبسطها ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون

وفي رواية ويقول انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها انا الملك حتى نظرت الى
المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله
عليه وسلم لفظ مسلم وللبخاري ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون
السموات بيمينه ويقول انا الملك خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوي السما بيمينه ثم يقول
انا الملك اين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله
تعالى من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روي كلتا
يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة جا بها التوقيف فنحن
نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار
الماثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة
كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله
عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض اي ماتوا
من الفزع وهي النفخة الاولى الا من شا الله تقدم في سورة النمل تفسير
هذا الاستثنا وقال الحسن الا من شا الله يعني الله وحده ثم نفخ فيه
اي في الصور اخرى مرة اخرى وهي النفخة الثانية فاذا هم قيام اي من
قبورهم ينظرون اي ينتظرون امر الله فيهم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال
ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون سنة
قال ابيت ثم ينزل الله من السما ما فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان
شي الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة
قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها وذلك حين يتجلى الرب تعالى لفصل
القضا بين خلقه فلا يتضارون من نوره كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو
وقيل بعدل ربها واراد بالارض عرصات القيامة ووضع الكتاب اي كتاب
الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه اعمال الخلق من المبتدي الى المنتهى وجيء
بالنبيين يعني ليكونوا شهدا على اممهم والشهدا قال ابن عباس يعني الذين
يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
يعني الحفظة وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون لا يزاد في سيئاتهم
ولا ينقص من حسناتهم ووفيت كل نفس ما عملت اي ثواب ما عملت وهو اعلم
بما يفعلون يعني انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى شاهد ولا كاتب
قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم يعني سوقا عنيفا زمرا
اي افواجا بعضهم على اثر بعض كل امة على حدة وقيل جماعات في تفرقة واحدتها
زمرة حتى اذا جاوها فتحت ابوابها يعني السبعة وكانت قبل ذلك
مغلقة وقال لهم خزنتها يعني توبيخا وتقريعا الم ياتكم رسل منكم اي من

انفسكم ومن جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب أي وجبت على الكافرين وهي قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قوله عز وجل وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا فإن قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم إلى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير إذا سيق إلى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنهم يذهبون إليها راكبين والمراد بذلك السوق إسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها فإن قلت قال في أهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد الواو فما الفرق قلت فيه وجوه أحدها أنها زائدة والثاني أنها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فادخل الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم إليها وحذف الواو في الآية الأولى لبيان أن أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم إليها ووجه الحكمة في ذلك أن أهل الجنة إذا جاءوها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل السرور والفرح بذلك وأهل النار إذا رأوها مغلقة كان نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان أن أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لأن أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو وهو ما فوق السبعة تقول ستة وسبعة وثمانية فإن قلت حتى إذا جاءوها شرط فأين الجواب قلت فيه وجوه أحدها أنه محذوف والمقصود من الحذف أنه يدل على أنه بلغ في الكمال إلى حيث لا يمكن ذكره والثاني أن الجواب هو قوله قال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو والثالث تقديره فادخلوها خالدين فحذف دخولها لدلالة الكلام عليه وقال لهم خزنتها سلام عليكم أي بشروا بالسلامة من كل الآفات طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من أحدهما فيطهر ظاهره ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده أي بالجنة وأورثنا الأرض أي أرض الجنة فنتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله نتبوأ أي ننزل من الجنة أي في الجنة حيث نشاء فإن قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى غيره وقيل إن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الأمم فينزلون فيها حيث شاءوا ثم تنزل الأمم بعدهم فيما

فضل

فضل منها قال الله عز وجل فنعم أجر العاملين أي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى وترى الملائكة حافين من حول العرش أي محدقين محيطين بجانبه وجوانبه يسبحون بحمد ربهم وقيل هذا التسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لأن التكاليف تزول في ذلك اليوم وقضي بينهم بالحق أي قضي بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين أي يقوله أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وختم بالحمد في آخر الأمر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية كل أمر وخاتمته والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة غافر

وهي مكية غير آيتين وهما قوله الذين يجادلون في آيات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود قال إن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن وعن ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة أتأنق فيهن وقال سعد بن إبراهيم كن آل حم يسمين العرائس بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم قال ابن عباس حم اسم الله الأعظم وعنه قال الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حكيم وحميد وحي وحليم وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم أي قضي ما هو كائن تنزيل الكتاب من الله العزيز أي الغالب القادر وقيل لا مثل له العليم أي بكل المعلومات غافر الذنب أي ساتر الذنب وقابل التوب أي التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله ذي الطول أي ذي السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم وأصل الطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه لا إله إلا هو أي هو الموصوف بصفات الوحدانية التي لا يوصف بها غيره إليه المصير أي مصير العباد إليه في الآخرة قوله تعالى ما يجادل أي ما يخاصم ويحاج في آيات الله أي في دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار إلا الذين كفروا قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا وقوله وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في القران كفر واخرجه ابو داود
وقال المراء في القران كفر وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا
كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما انزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فما
علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه الى عالمه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع اصوات رجلين اختلفا في
اية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما
اهلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب فلا يغررك تقلبهم اي تصرفهم في
البلاد بالتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة امرهم العذاب كذبت
قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم
بالتكذيب من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم لياخذوه قال
ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل لياسروه وجادلوا اي خاصموا بالباطل ليدحضوا
اي ليبطلوا به الحق الذي جاء به فاخذتهم فكيف كان عقاب اي انزلت بهم
من الهلاك ما هموا بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم
اليس كان مستاصلا لهم مهلكا وكذلك حقت اي وجبت كلمة ربك اي كما وجبت
كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت على الذين كفروا من قومك انهم اي
بانهم اصحاب النار قوله عز وجل الذين يحملون العرش قيل هم حملة العرش
اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة امدهم الله عز وجل باربعة اخر كما قال
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم اشرف الملائكة وافضلهم لقربهم
من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل
ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها
على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما في الهوا ليس
لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم
كما بين سما الى سما وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدمه
مسيرة خمسماية عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الارضين والارضون والسموات
الى حجزهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت
سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملايكة والروح وقيل ارجلهم
في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم
وهم اشد خوفا من اهل السما السابعة واهل السما السابعة اشد خوفا من
التي تليها والتي تليها اشد خوفا من التي تليها وروي جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من الملايكة الله من حملة العرش ان ما
بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة تسعماية عام اخرجه ابو داود واما صفة
العرش فقيل انه جوهرة خضرا وهو من اعظم المخلوقات خلقا وروي جعفر بن محمد

عن ابيه

عن ابيه عن جده انه قال ما بين القايمة من قوايم العرش والقايمة الثانية خفقان
الطير المسموع ثلاثين الف عام ويكسى العرش كل يوم الف لون من النور لا يستطيع
ان ينظر اليه خلق من خلق الله والاشيا كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد
بين السما السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور
وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السما كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض
قوله تعالى ومن حوله يعني الطايفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملايكة
قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين الف صف من الملايكة صف خلف صف يطوفون
بالعرش يقبل هولا ويدبر هولا فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هولا وكبر هولا
ومن ورايهم سبعون الف صف قيام ايديهم على اعناقهم وقد وضعوها على عواتقهم
فاذا سمعوا تكبير اوليك وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما
اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر والخلق اليك كلهم راجعون ومن
ورا هولا ماية الف صف من الملايكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد لا
يسبح بتحميد لا يسبحه الاخر ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلثماية عام وما
بين شحمة اذنه الى عاتقه اربعماية عام واحتجب الله من الملايكة الذين حول
العرش سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در
ابيض وسبعين حجابا من ياقوت احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين
حجابا من ثلج وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل يسبحون
بحمد ربهم اي ينزهون الله عما لا يليق بجلاله والتسبيح هو الاعتراف بانه
هو المنعم على الاطلاق ويومنون به اي يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا
مثل له ولا نظير له فان قلت الذين يسبحون بحمد ربهم يومنون به ولا يكون
التسبيح الا بعد الايمان فما فايدة قوله ويومنون به قلت فايدته التنبيه
على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب
جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية
اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك
قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم ويستغفرون للذين امنوا اي يسالون الله طلب
المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملايكة مقابل لقوله اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدما فلما صدر ذلك منهم اولا تداركوا بالاستغفار لهم ثانيا
وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على من تكلم في احد بشي يكره ان يستغفر له ربنا اي
ويقولون ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك كل شي وفيه
تنبيه على تقديم الثنا على الله بما هو لله قبل المطلوب بالدعا فلما قدموا
الثنا على الله عز وجل قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي دينك وقهم
عذاب الجحيم قال مطرف انصح عباد الله للمومنين الملايكة واغش الخلق
للمومنين هم الشياطين ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح

من ابايهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم فاذا دخل المومن
الجنة قال اين ابي واين امي واين ولدي واين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا كعملك فيقول
اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة كان كمال
لسروره ولذته وقهم السيئات اي عقوبات السيئات بان يصونهم عن الاعمال
الفاسدة التي توجب العقاب ومن تق السيئات يومئذ اي تقه في الدنيا
فقد رحمته اي يوم القيامة وذلك هو الفوز العظيم اي النعيم الذي لا ينقطع
في جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله قوله تعالى ان الذين كفروا
ينادون اي يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا انفسهم حين عرض عليهم
سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله اياكم في الدنيا اكبر من
مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان اليوم عند حلول العذاب بكم قالوا ربنا امتنا فتكفرون
اثنتين واحييتنا اثنتين قال ابن عباس كانوا امواتا في اصلاب ابايهم فاحياهم
الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيامة فهذه
موتتان وحياتان وقيل اميتوا في الدنيا ثم احيوا في القبر للسؤال ثم اميتوا
في قبورهم ثم احيوا للبعث في الاخرة وذلك بانهم عدوا في اوقات البلاء والمحنة
وهي اربعة الموتة الاولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث
فاما الحياة الاولى التي هي في الدنيا لم يعدوها لانها ليست من اقسام البلاء
وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهي الموتة الاولى
في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة
السؤال لقصر مدتها فاعترفنا بذنوبنا يعني انكارهم البعث بعد الموت
فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سالوا الرجعة بقولهم فهل الى
خروج اي من النار من سبيل والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل
لنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط من
الخروج وانما قال ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه لا بد
جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم
معناه فاجيبوا ان لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار
بانكم اذا دعي الله وحده كفرتم يعني اذا قيل لا اله الا الله انكرتم ذلك وان يشرك
به غيره تومنوا اي تصدقوا ذلك الشرك فالحكم لله العلي اي الذي
لا اعلى منه الكبير اي لا اكبر منه قوله عز وجل هو الذي يريكم اياته
اي عجايب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته وينزل لكم من السماء رزقا
يعني المطر الذي هو سبب الارزاق وما يتذكر اي يتعظ بهذه الاية الا
من ينيب اي يرجع الى الله في جميع اموره فادعوا الله مخلصين له الدين
اي الطاعة والعبادة ولو كره الكافرون قوله تعالى رفيع الدرجات
اي رافع درجات الانبياء والاولياء والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع اي

انه

انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني
عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه ذو العرش اي خالقه ومالكه والفايدة في
تخصيص العرش بالذكر لانه اعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على
كمال القدرة فكل ما كان اعظم كانت دلالته على كمال القدرة اقوى يلقي الروح
يعني ينزل الوحي سماه روحا لان به تحيى الارواح كما تحيى الابدان بالارواح من
امره قال ابن عباس من قضايه وقيل بامره وقيل من قوله على من يشاء من
عباده يعني الانبيا لينذر يوم التلاق يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي
يوم التلاق وهو يوم القيامة والمعنى يلتقي اهل السما واهل الارض وقيل يلتقي
الخلق والخالق وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء مع عمله
وقيل يلتقي الظالم والمظلوم يوم هم بارزون اي خارجون من قبورهم ظاهرون
لا يستترهم شيء لا يخفى على الله منهم شيء اي من اعمالهم واحوالهم فان قلت
ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في ساير الايام فما وجه التخصيص ذلك اليوم قلت
كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه
اعمالهم وهم في ذلك اليوم صايرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون
فيه مثل ما كانوا يتوهمون في الدنيا لمن الملك اليوم اي يقول الله في ذلك اليوم
بعد فنا الخلق لمن الملك اليوم فلا احد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول
لله الواحد القهار اي الذي قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والاخرون
في يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلايق يوم القيامة لله
الواحد القهار فالمومنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا
به المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة
حيث لم يقولونه في الدنيا اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يعني يجزي المحسنون
باحسانهم والمسيئون باساتهم لا ظلم اليوم اي ان الخلق امنون في ذلك
اليوم من الظلم لان الله ليس بظلام للعبيد ان الله سريع الحساب اي
ان الله تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد
قوله تعالى وانذرهم يوم الازفة يعني يوم القيامة سميت ازفة لقرب
وقتها وكل ما هو ات قريب اذ القلوب لدى الحناجر وذلك لانها تزول عن
اماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى اماكنها ولا هي تخرج من
افواههم فيموتون ويستريحوا كاظمين اي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا
حتى يضيق القلب عنه ما للظالمين من حميم اي من قريب ينفعهم ولا شفيع
اي يشفع لهم يطاع اي فيهم يعلم خاينة الاعين اي خيانتها وهي مسارقة
النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين الى ما نهى الله عنه وما تخفي الصدور
اي يعلم مضمرات القلوب والله يقضي بالحق اي يحكم بالعدل والذين يدعون
من دونه يعني الاصنام لا يقضون بشيء لانها لا تعلم شيا ولا تقدر على شيء

ان الله هو السميع لاقوال الخلق البصير لافعالهم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض اى المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هولاء فلم تنفعهم قوتهم فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق اي يدفع عنهم العذاب ذلك اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا يعني فرعون وقومه والجبابرة اقتلوا ابناء الذين امنوا معه قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم القتل واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين اي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم الا في ضلال اي يذهب كيدهم باطلا ويحق بهم ما يريد الله تعالى وقال فرعون اي لملائه ذروني اقتل موسى وانما قال فرعون هذا لانه لو كان في خاصة قومه لم يمنعه من قتل موسى وانما منعوا عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا نقتله لانه ساحر ضعيف ولا يقدر ان يغلب على سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وليدع ربه اي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا اني اخاف ان يبدل دينكم يعني يقول فرعون يغير دينكم الذي انتم عليه وان يظهر في الارض الفساد يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره وقال موسى لما توعده فرعون بالقتل اني عذت بربي وربكم يعني ان موسى لم يات في دفع شره الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم ان صانه الله من كل بلية من كل متكبر اى متعظم عن الايمان لا يؤمن بيوم الحساب قوله عز وجل وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الاية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من ال فرعون وكان اسم هذا الرجل حزقيل عند ابن عباس واكثر العلماء وقال ابن اسحاق كان اسمه جبريل وقيل حبيب اتقتلون رجلا ان يقول اي لان يقول ربي الله وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه وان يك كاذبا فعليه كذبه اي لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه وان يك صادقا فكذبتموه يصبكم بعض الذي يعدكم قيل معناه يصبكم بعض الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على اصلها ومعناه كانه قال على طريق الاحتجاج اقل ما في صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم

وفيه هلاككم وذكر البعض ليوجب الكل ان الله لا يهدي اي لدينه من هو مسرف كذاب اي على الله خ عن عروة بن الزبير قال سالت عبد الله بن عمرو بن العاص عن اشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قوله تعالى يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي غالبين في الارض اي ارض مصر فمن ينصرنا اي يمنعنا من باس الله ان جاءنا والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فلا مانع لكم من عذاب الله ان حل بكم قال فرعون ما اريكم يعني من الراي والنصيحة الا ما ارى لنفسي وما اهديكم الا سبيل الرشاد اي ما ادعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان المؤمن ال فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفهم ان يحل بهم ما حل بالامم قبلهم بقوله وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم اي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حتى اتاهم العذاب وما الله يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يعني يوم القيامة سمي يوم التناد لانه يدعى فيه كل اناس بامامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي اصحاب الجنة اصحاب النار وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة وينادي فيه بالسعادة والشقاوة الا ان فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وينادي حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود فلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرؤوا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه وقيل يوم التناد يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه يوم تولون مدبرين اي منصرفين عن موقف الحساب الى النار ما لكم من الله من عاصم اي يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد اي يهديه ولقد جاءكم يوسف يعني يوسف بن يعقوب من قبل اي من قبل موسى بالبينات يعني قوله ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون اخر فما زلتم في شك مما جاءكم به قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين في نبوته فلم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها حتى اذا هلك يعني مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اي اقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة

وانما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان بل قالوا ذلك
ليكون لهم اساسا في تكذيب الانبياء الذين ياتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله
من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب
لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب برسالته كذلك يضل الله من هو
مسرف اي في شركه مرتاب اي في دينه الذين يجادلون في ايات الله
قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في ابطال ايات الله بالتكذيب
بغير سلطان اي بغير حجة وبرهان اتاهم من الله كبر مقتا اي ذلك
الجدال مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار قوله عز وجل وقال فرعون يعني لوزيره يا هامان ابن لي
صرحا اي بناء ظاهرا لا يخفى على الناظر وان بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات اي طرقها وابوابها من سما الى سما
فاطلع الى اله موسى واني لاظنه يعني موسى كاذبا فيما يدعي ويقول
ان له ربا غيري وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل
قال ابن عباس صده الله عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح اي وصد فرعون
الناس عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب اي وما كيده في ابطال
ايات موسى الا في خسار وهلاك وقوله تعالى وقال الذي امن يا قوم
اتبعون اهدكم سبيل الرشاد اي طريق الهدى يا قوم انما هذه الحياة
الدنيا متاع اي متعة ينتفعون بها مدة وتنقطع وان الاخرة
هي دار القرار اي التي لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة ولا منتفع
فيها وان الاخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو
كانت الدنيا ذهبا فانيا والاخرى خزفا باقيا لكانت الاخرة خيرا من الدنيا
فكيف والدنيا خزف فان والاخرة ذهب باق من عمل سيئة فلا يجزى
الا مثلها قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصي
فجزاؤه العقوبة بقدرها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي لا تبعة عليهم فيما يعطون
في الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير ويا قوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار معناه انا ادعوكم الى الايمان بالله
الذي يوجب النجاة من النار وانتم تدعونني الى الشرك الذي يوجب النار ثم
فسر ذلك فقال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم
اي لا اعلم ان هذا الذي تدعونني اليه باله وما ليس باله كيف يعقل جعله شريكا
للاله الحق ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان
بقوله وانا ادعوكم الى العزيز اي في انتقامه ممن كفر الغفار اي لذنوب
اهل التوحيد لا جرم يعني حقا انما تدعونني اليه يعني الصنم ليس

له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة يعني ليس له استجابة دعوة لاحد في الدنيا
ولا في الاخرة لان الاصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الاخرة
تتبرا من عابديها وان مردنا الى الله اي مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه
وان المسرفين يعني المشركين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم اي اذا
عاينتم العذاب حتى لا ينفعكم الذكر وافوض امري الى الله اي اردوا امري الى الله
وذلك انهم توعدوه بمخالفة دينهم ان الله بصير بالعباد يعني يعلم المحق من
المبطل ثم خرج المومن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله فوقاه
الله سيئات ما مكروا اي ما ارادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى وكان
قبطيا وحاق اي نزل بال فرعون سوء العذاب يعني الغرق في الدنيا والنار
في الاخرة وذلك قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا يعني صباحا
ومساء قال ابن مسعود ارواح ال فرعون في اجواف طيور سود يعرضون على
النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا ال فرعون هذه منازلكم
حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت
الدنيا يستدل بهذه الاية على اثبات عذاب القبر اعاذنا الله تعالى منه بمنه
وكرمه ق عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا
مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي فيقال ان كان من اهل الجنة فمن اهل
الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار هذا مقعدك حتى يبعثك الله الى
يوم القيامة ثم اخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى
ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اي يقال لهم ادخلوا يا ال فرعون
اشد العذاب قال ابن عباس الوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به
منذ اغرقوا قوله تعالى واذ يتحاجون اي اذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون
يعني اهل النار في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا
اي في الدنيا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا
يعني الرؤسا والقادة انا كل فيها يعني نحن وانتم ان الله قد حكم بين العباد
اي قضى علينا وعليكم وقال الذين في النار يعني حين اشتد عليهم العذاب
لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا يعني الخزنة
اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات يعني لا عذر لكم بعد مجيء الرسل قالوا بلى
اعترفوا بذلك قالوا فادعوا يعني انتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا انه لا
يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال يعني يبطل
ويضل ولا ينفعهم قوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا
قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء في الدنيا
والاخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد
نصرهم بالقهر على من ناواهم واهلك اعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا

لما قتل فانه تنزل به سبعين الفا ويوم يقوم الاشهاد يعني وينصرهم يوم القيامة
يوم تقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ
وعلى الكفار بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم اي ان اعتذروا عن كفرهم
لم يقبل منهم ولهم اللعنة اي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار يعني جهنم ولقد
اتينا موسى الهدى يعني النبوة وقيل التوراة واورثنا بني اسرائيل الكتاب يعني
التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على انبيائهم هدى وذكرى لاولي الالباب قوله
تعالى فاصبر اي يا محمد على اذاهم ان وعد الله حق اي في اظهار دينك واهلاك
اعدائك قال الكلبي نسختها اية القتال اية الصبر واستغفر لذنبك يعني الصغائر
وهذا على قول من يجوزها على الانبيا وقيل على ترك الاولى والافضل وقيل على ما كان
قد صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الانبيا يقول هذا تعبد من
الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة وليصير سنة لغيره من بعده وذلك لانه
مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي
والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والاشتغال بالطاعات وهو قوله وسبح
بحمد ربك اي نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك بالعشي والابكار
يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس ان الذين يجادلون
في ايات الله بغير سلطان اتاهم يعني كفار قريش ان في صدورهم اي ما في قلوبهم
الا كبر قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا ما في قلوبهم من الكبر والعظمة
ما هم ببالغيه اي ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان في صدورهم
الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل
نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن
داود يعنون الدجال يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك
الينا قال الله تعالى فاستعذ بالله من فتنة الدجال انه هو السميع اي لاقوالهم
البصير اي لافعالهم قوله تعالى لخلق السموات والارض اي مع عظمها اكبر
من خلق الناس اي من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون ان الله خلق
السموات والارض وذلك اعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون
بالبعث بعد الموت ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني الكفار لا يعلمون حين لا
يستدلون بذلك على توحيد خالقهما وقال قوم معنى اكبر من خلق الناس اعظم
من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في
امر الدجال فصل في ذكر الدجال م عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق ادم الى قيام الساعة خلق اكبر من الدجال
معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال ق عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر الدجال فقال انه اعور عين اليمنى كانها عنبة طافية ولابي داود والترمذي
عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر

الدجال

الدجال فقال اني انذركموه وما من نبي الا انذره قومه لقد انذره نوح قومه
ولكن سا اقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس
باعور ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر
قومه الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه
كافر وفي رواية لمسلم مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها ك ف ر يقراه كل مسلم
عن اسما بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي
فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين تمسك السما ثلثا قطرها
والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السما ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها
والثالثة تمسك السما قطرها والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا
ضرس من البهائم الا هلك ومن اشد فتنته انه ياتي الاعرابي فيقول ارايت
ان احييت لك ابلك الست تعلم اني ربك قال فيقول بلى فيمثل له نحو ابله
كاحسن ما تكون ضروعا واعظمه اسنمة ويأتي الرجل قد مات اخوه ومات
ابوه فيقول ارايت ان احييت لك اباك واخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلى
فيمثل له الشيطان نحو ابيه ونحو اخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحاجته ثم رجع والناس في اهتمام وغم مما حدثهم قالت فاخذ بلحمتي
الباب فقال مهيم اسما فقلت يا رسول الله لقد خلعت افيدتنا بذكر
الدجال قال ان يخرج وانا حي فانا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل مومن
قالت اسما فقلت يا رسول الله انا لنعجن عجينا فما نخبزه حتى نجوع فكيف
بالمومنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السما من التسبيح والتقديس
وفي رواية عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في
الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم ∴
كاضطرام السعفة في النار هذا حديث اخرجه البغوي بسنده والذي جاء
في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله ما لبثه في الارض قال اربعون يوما
يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وساير ايامه كايامكم هذه قلنا يا رسول
الله فذلك اليوم الذي كسنة ايكفينا فيه صلاة يوم قال اقدروا له قدره
قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفي
رواية ابي داود عنه فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف فانها
جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضا شرقي
دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله ق عن حذيفة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ما ونارا فالذي يرى انه نار
فما بارد واما الذي يرى الناس انه ما فنار تحرق فمن ادرك ذلك منكم فليقع
في الذي يرى انه نار فانه ما عذب بارد ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه

انه اعور وانه يجيء بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني انذركم
كما انذر نوح قومه **ق** عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل احد رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الدجال ما سألته وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه
جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من سمع بالدجال فلينأ منه فوالله ان الرجل ليأتيه
وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات او قال لما يبعث به من
الشبهات اخرجه ابو داود **ق** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من
بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة
صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج
اليه كل كافر ومنافق **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي
المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملائكة وجهه
قبل الشام وهنالك يهلك عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض المشرق يقال لها خراسان
يتبعه اقوام كان وجوههم المجان المطرقة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب **م** عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود
اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة عن مجمع بن جارية الانصاري قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيي الدين النووي
قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب
الحق في صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله به عباده فاقدره الله على اشياء من
المقدورات من احياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه
وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وامره السماء ان تمطر فتمطر والارض فتنبت
ويقع كل ذلك بقدرة الله ومشيئته ثم يعجزه الله بعد ذلك فلا يقدر على
قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل امره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء
خلافا لمن انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة قبحهم الله
وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في انه صحيح الوجود ولكن
الذي ياتي به زعموا انها خوارق وخيالات لا حقائق لها وزعموا انها لو كانت حقا
لضاهت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه
كالتصديق له وانما يدعي الربوبية وهي في نفس دعواه مكذبة لها بصورة حاله
ووجود دلائل الحدث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذي في عينه
وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الا
عوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة في سد الرمق وخوفا من اذاه لان فتنته

عظيمة

عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فاما
اهل التوفيق فلا يغترون به ولا ينخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله
ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله قلت
يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله من
ذلك معناه هو اهون على الله من ان يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا
للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله ليزداد الذين امنوا ايمانا ويثبت
الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه انه ليس معه شيء من ذلك لانه
ثبت في الحديث ان معه ماء ونار فماؤه نار وناره ماء والله اعلم قوله عز وجل
وما يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم **والذين امنوا وعملوا الصالحات**
ولا المسيء اي لا يستوون **قليلا ما تتذكرون ان الساعة** يعني يوم
القيامة **لاتية لا ريب فيها** اي لا شك في قيامها ومجيئها **ولكن اكثر الناس**
لا يؤمنون اي لا يصدقون بالبعث بعد الموت قوله تعالى **وقال ربكم**
ادعوني استجب لكم اي اعبدوني دون غيري اجبكم واثبكم واغفر لكم فلما
عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال
ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب عن انس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة اخرجه الترمذي
وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء اكرم على الله من الدعاء اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعوني استجب لكم وقد
يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص
في الدعاء وان لا يدعو وقلبه مشغول بغير الدعاء وان يكون المطلوب من الدعاء
مصلحة للانسان وان لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط
كان حقيقا بالاجابة فاما ان يعجلها له واما ان يدخرها له يدل عليه ما روي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله بدعاء
الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الاخرة واما ان
يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا
يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء الذكر والسؤال **ان الذين يستكبرون**
عن عبادتي اي عن توحيدي وقيل عن دعائي **سيدخلون جهنم داخرين**
اي صاغرين ذليلين قوله عز وجل **الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا**
فيه اي لتحصل لكم الراحة بسبب النوم والسكون **والنهار مبصرا** اي يحصل

لكم مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون ذلكم الله ربكم اي ذلكم المميز بالافعال الخاصة الذي لا يشاركه فيها
احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية
والربوبية وخلق الاشياء كلها وانه لا شريك له في ذلك فانى تؤفكون اي فانى
تصرفون عن الحق كذلك اي كما افكتم عن الحق باقامة الدلايل يؤفك الذين كانوا
بايات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا اي فراشا لتستقروا
عليها وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت والسماء بناء اي سقفا مرفوعا
كالقبة وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق
ابن ادم قائما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن ادم ياكل بفيه ورزقكم من
الطيبات قيل هو ما خلق الله لعباده من الماكل والمشرب من غير رزق الدواب
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي هذا يفيد الحصر اي لا حي الا هو
فوجب ان يحمل ذلك على الذي يمتنع ان يموت امتناعا ما ثابتا وهو الله الذي
لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحي هو المدرك الفعال لما يريد وهذه
اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه
على كمال الوحدانية بقوله لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله
رب العالمين اي فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل
على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله
لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين وذلك حين دعي
الى الكفر امر الله تعالى ان يقول ذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب
يعني اصلكم ادم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة
وهي من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب ثم من نطفة ثم
من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا يعني ان مراتب
الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث مراتب الطفولية وهي حالة النمو
والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي
الشيوخة ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل ان يصير شيخا ولتبلغوا اي جميعا
اجلا مسمى وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني اجل الحياة الى الموت ولعلكم تعقلون
اي ما في هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته
هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي من غير كلفة
ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والاماتة وساير ما ذكر
من الافعال الدالة على قدرته فانه فاعل لا افتقار اذا قضى امرا كان تكون شيء
واسرعه قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله يعني القران انى يصرفون
اي عن دين الحق وقيل نزلت في القدرية الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا
به رسلنا فسوف يعلمون فيه وعيد وتهديد لما وعدهم به فقال اذ الاغلال

في

في اعناقهم والسلاسل يسحبون اي يجرون بتلك السلاسل في الحميم ثم في النار
يسجرون اي توقد بهم النار ثم قيل لهم اينما كنتم تدعون من دون الله يعني الاصنام
قالوا ضلوا عنا اي فقدناهم فلم نرهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا قيل انهم
انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيئا ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا
لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين اي كما اضل هؤلاء ذلكم اي
العذاب نزل بكم بما كنتم تفرحون اي تبطرون وتاشرون في الارض بغير الحق وبما
كنتم تمرحون اي تختالون وتفرحون به ادخلوا ابواب جهنم يعني السبعة
خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اي عن الايمان قوله عز وجل فاصبر ان وعد الله
حق الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي بنصرك على الاعدا فاما نرينك بعض الذي
نعدهم اي من العذاب في حياتك او نتوفينك اي قبل ان يحل بهم فالينا يرجعون
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك اي خبره وحاله في القران
ومنهم من لم نقصص عليك اي ولم نذكر لك حال الباقين وليس منهم احد الا وقد
اعطاه الله ايات ومعجزات الا وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم
يقارب ما جرى عليك فصبروا وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما كان
لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي بامره وارادته فاذا جاء امر الله اي قضاؤه
بين الانبياء والامم قضي بالحق اي بالعدل وخسر هنالك المبطلون اي الذين
يجادلون في ايات الله بغير سلطان وفيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم اي تحمل اثقالكم الى بلد في اسفاركم وحاجاتكم
وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر ويريكم
اياته اي دلايل قدرته فاي ايات الله تنكرون يعني ان هذه الايات التي
ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يمكن انكاره قوله تعالى افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا
في الارض يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء في اثار الارض لعرفوا
ان عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا
وعددا واموالا من هؤلاء فما اغنى عنهم اي لم ينفعهم ما كانوا يكسبون اي اي
شيء اغنى عنهم كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا اي رضوا بما عندهم
من العلم قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا سمى ذلك
علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون
فلما راوا باسنا اي عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
اي تبرانا مما كنا نعدل بالله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله
التي قد خلت في عباده يعني سنة الله قد جرت في الامم الخالية بعدم قبول
الايمان عند معاينة الباس وهو العذاب يعني بتلك السنة انهم اذا راوا العذاب
امنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب وخسر هنالك الكافرون

اي بذهاب الدارين فقيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا راي
العذاب والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة حم السجدة وتسمى فصلت والمصابيح وهي مكية

وهي اربع وخمسون اية وسبعماية وست وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلاثماية
وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته اي بينت
وميزت جعلت معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد قرانا
عربيا اي باللسان العربي بشيرا ونذيرا نعتان للقران اي بشيرا لاوليا الله
بالثواب ونذيرا لاعدايه بالعقاب لقوم يعلمون اي انما انزلناه على العرب
بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه بشيرا ونذيرا نعتان
للقران اي بشيرا لاوليا الله بالثواب ونذيرا لاعدايه بالعقاب فاعرض اكثرهم
اي عنه فهم لا يسمعون اي لا يسمعون اليه تكبرا وقالوا يعني مشركي مكة
قلوبنا في اكنة اي اغطية مما تدعونا اليه اي فلا نفقه ما تقول وفي اذاننا
وقر اي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا
يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب اي خلاف في الدين وحاجز في الملة
فلا نوافقك على ما تقول فاعمل اي انت على دينك اننا عاملون اي على ديننا
قل يا محمد انما انا بشر مثلكم اي كواحد منكم يوحى الي اي لولا الوحي ما دعوتكم
قال الحسن علمه الله التواضع انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه اي توجهوا
اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه اي من ذنوبكم وشرككم
وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا
الله لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد
وقيل لا يقرون بالزكاة المفروضة ولا يرون ايتاها واجبا وكان يقال الزكاة
قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون
في طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون اعمالهم وهم بالاخرة هم كافرون
اي جاحدون بالبعث بعد الموت ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر
غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون
عليهم به وقيل غير محسوب نزلت هذه الاية في المرضى والزمنى والهرمى اذا
عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون خ عن ابي موسى
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد
يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض او سفر كتب له كصالح ما كان يعمل وهو
صحيح مقيم قوله عز وجل قل اينكم استفهام بمعنى الانكار وذكر منهم شيئين
منكرين احدهما الكفر بالله وهو قوله لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين

وثانيهما

وثانيهما وتجعلون له اندادا اثبات الشركا والانداد له والمعنى كيف يجوز
جعل الاصنام الخسيسة اندادا لله مع انه تعالى هو الذي خلق الارض
في يومين يعني الاحد والاثنين ذلك رب العالمين اي هو رب العالمين وخالقهم
المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر وجعل فيها رواسي
اي جبالا ثوابت من فوقها اي من فوق الارض وبارك فيها اي في الارض بكثرة
الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار
وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه وقدر فيها اقواتها اي قسم في
الارض ارزاق العباد والبهايم وقيل قدر في كل بلد ما لم يجعله في الاخرى
ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر الخبز لاهل قطر من الارض والتمر
لاهل قطر اخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك ساير الاقوات
وقيل ان الزراعة اكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات في الارض
قال تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين فخلق الارض
في يومين وقدر الاقوات في يومين وهما الثلاثا والاربعا فصارت اربعة
ايام رد الاخر على الاول في الذكر سواء للسايلين معناه سوا لمن سال عن
ذلك فهكذا الامر سوا لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سال في كم خلقت
الارض والاقوات ثم استوى الى السما اي عمد الى خلق السما وهي دخان
يعني ان ذلك الدخان كان بخار الما قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض
على الما فلما اراد الله تعالى ان يخلق السموات والارض امر الريح فضربت الما
فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السما ثم ايبس منه الما فخلق الارض
واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الاية مشعرة بان خلق الارض
كان قبل خلق السما وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض
بعد خلق السما فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض
اولا ثم خلق السما بعدها ثم بعد خلق السما دحا الارض ومدها وجواب اخر
وهو ان يقال ان خلق السما مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الاية
خلق الارض في يومين ليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو
عبارة عن التقدير ايضا فيكون المعنى قضى ان يحدث الارض في يومين بعد
احداث السما فعلى هذا يزول الاشكال والله اعلم بالحقيقة فقال لها وللارض
ايتيا طوعا او كرها اي ايتيا ما امرتكما اي افعلا وقيل افعلا ما امرتكما
طوعا والا الجاتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع قالتا اتينا
طايعين معناه اتينا بما فينا طايعين فلما وصفهما بالقول اجراهما في
الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما اخرجا ما خلقت فيكما من المنافع
لمصالح العباد اما انت يا سما فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت يا ارض
فشققي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك وقوله فقضاهن سبع سموات اي

انتهى وفرغ من خلقهن في يومين وهما الخميس والجمعة واوحى في كل سماء امرها
قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال
البرد وما لا يعلم علمه الا الله وقيل اوحى الى كل سماء ما اراد من الامر والنهي
وزينا السماء الدنيا التي تلي الارض بمصابيح اي بكواكب تشرق كالمصابيح وحفظا
اي وجعلناها نعني الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع
ذلك اي الذي ذكر من صنعه وخلقه تقدير العزيز اي في ملكه العليم اي
بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم قوله تعالى فان اعرضوا يعني هولاء
المشركين عن الايمان بهذا البيان فقل انذرتكم اي خوفتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود اي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء اذ
جاءتهم الرسل يعني الى عاد وثمود من بين ايديهم يعني الرسل الذين ارسلوا الى
اباءهم ومن خلفهم يعني ومن بعد الرسل الذين ارسلوا الى اباءهم وهم الرسل
الذين ارسلوا اليهم وهما هود وصالح وانما خص هاتين القبيلتين لان
قريشا كانوا يمرون على بلادهم ان لا اي بان لا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء
ربنا لانزل ملائكة يعني لو شاء ربنا دعوة الخلق لانزل ملائكة بدل هولاء الرسل
فانا بما ارسلتم به كافرون روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله
قال قال الملأ من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم
رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم اتانا ببيان امره فقال
عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما
وما يخفى علي ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد انت خير ام هاشم
انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان
كنت انما بك الرياسة عقدنا لك الويتنا فكنت راسا ما بقيت وان كان بك
الباءة زوجناك عشرة نسوة تختار من اي ابناء قريش وان كان بك المال جمعنا
لك ما تستغني به انت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الى قوله فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة قوم عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده
الرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل والله
يا معشر قريش ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من
حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا
الا انك صبوت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا
ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا ابدا وقال والله
لقد علمت اني من اكثر قريش مالا ولكنه اتيته وقصصت عليه القصة فاجابني
بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرا السورة الى قوله فان اعرضوا

فقل

فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم
ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وقال
محمد بن كعب القرظي حدثنا ان عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو
جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد
يا معشر قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه امورا فلعله يقبل منها بعضها
فنعطيه ويكف عنا ذلك وذلك حين اسلم حمزة وراوا اصحاب محمد يزيدون
ويكثرون فقالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة
والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت
احلامهم وعبت الهتهم وكفرت من مضى من اباءهم فاسمع مني اعرض عليك امورا
تنظر فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد فقال يا ابن
اخي ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا
وان كنت تريد سيادة سودناك علينا وان كان هذا الذي بك رايا تراه لا
تستطيع رده طلبنا لك الطب ولعل هذا شعر جاش به صدرك فانكم لعمري
بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه احد حتى اذا فرغ فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم افقد فرغت يا ابا الوليد قال نعم فقال فاسمع
مني قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت اياته ثم مضى فيها يقرا فلما سمعها عتبة انصت والقى يديه خلف
ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة
فسجد ثم قال اسمعت يا ابا الوليد فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال
بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما
جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد فقال ورائي اني قد سمعت قولا والله ما
سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يا معشر قريش اطيعوني يا معشر
قريش خلوا بين هذا الرجل وما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي
سمعت منه نبأ فان يصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه
ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه
قال هذا رايي لكم فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل فاما عاد فاستكبروا في
الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة وذلك ان هودا عدهم بالعذاب
فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي اجسام طوال
قال الله تعالى ردا عليهم اولم يروا اي اولم يعلموا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا
اي عاصفا شديدة الصوت وقيل هي الريح الباردة وقيل ان الريح ثمانية فاربعة
منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم واربع منها رحمة

وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات فقيل ارسل عليهم من الريح على
قدر خرق الخواتم فاهلكوا في ايام نحسات اي نكدات مشومات ذات نحوس
وقيل ذات غبار وتراب متراكم لا يكاد يبصر فيه وقيل امسك الله عنهم المطر ثلاث
سنين ودامت عليهم الريح من غير مطر لنذيقهم عذاب الخزي اي عذاب الذل
والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا في الارض بغير الحق في الحياة الدنيا
اي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة
اخزى اي اشد اهانة وهم لا ينصرون اي لا يمنعون من العذاب واما ثمود
فهديناهم قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر
فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الكفر على الايمان فاخذتهم صاعقة
العذاب الهون اي ذي الهون بما كانوا يكسبون اي من الشرك ونجينا
الذين امنوا وكانوا يتقون اي يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن
امن معه من قومه قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون
اي يساقون ويدفعون وقيل يحبس اولهم حتى يلحق اخرهم حتى اذا ما جاؤها
يعني النار شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم اي بشراتهم وقيل فروجهم
بما كانوا يعملون معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم م عن
انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون
مم اضحك قال الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب
الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فاني لا اجيز اليوم على نفسي الا شاهدا
مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا
قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلو بينه وبين
الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقالوا يعني الكفار الذين
يجرون الى النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شيء معناه ان القادر الذي خلقكم اول مرة في الدنيا وانطقكم ثم
اعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله وهو
خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل تم الكلام عند قوله الذي انطق كل شيء
ثم ابتدا بقوله وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب
الجلود وما كنتم تستترون اي تستخفون وقيل معناه تظنون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفا
من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا
مما تعملون قال ابن عباس كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في انفسنا
ولكنه يعلم ما يظهر ق عن عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان
وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم
اترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال

الاخر

الاخر ان كان يسمع ان جهرنا فانه يسمع ان اخفينا فانزل الله وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا
مما تعملون قيل الثقفي هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان
ابن امية قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اي ظنكم ان الله لا يعلم
ما تعملون ارداكم اي اهلككم وقال ابن عباس طرحكم في النار فاصبحتم من
الخاسرين ثم اخبر عن حالهم بقوله فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي مسكن
وان يستعتبوا اي يسترضوا ويطلبوا العتبى والعتب هو الذي قبل عتابه
واجيب الى ما سأل فما هم من المعتبين اي من المرضيين وقيضنا اي
بعثنا ووكلنا وهيانا وقيل سببنا لهم قرناء اي نظراء من الشياطين
حتى اضلوهم فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا حتى اثروه على الاخرة وما
خلفهم اي فدعوهم الى التكذيب بالاخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم
اعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة وحق عليهم القول اي وجب في
امم اي مع امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه قال ابن عباس يعني والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات
كان بعضهم يوصي الى بعض اذا رايتم محمدا يقرا فعارضوه بالرجز والشعر وقيل
اكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والتصفير
وقيل صيحوا في وجهه لعلكم تغلبون يعني محمدا على قراءته فلنذيقن الذين
كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا يعني باسوا الذي كانوا يعملون
في الدنيا وهو الشرك ذلك اي الذي ذكر من العذاب جزاء اعداء الله ثم
بين ذلك الجزاء فقال النار لهم فيها دار الخلد اي دار الاقامة لا
انتقال لهم عنها جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا
اي في النار ربنا اي يا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون ابليس
وقابيل ابن ادم الذي قتل اخاه لانهما سنا المعصية نجعلهما تحت اقدامنا
اي في النار ليكونا من الاسفلين اي في الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس
ليكونا اشد عذابا منا قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
قال اهل التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وراس
المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا
ربنا الله وراس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما في الوسط
غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في امر الدين والتوحيد
فتكون في الاعمال الصالحة سئل ابو بكر الصديق عن الاستقامة فقال
ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم في الامر
والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان استقاموا اخلصوا في العمل وقال

وقال علي بن ابي طالب ادوا الفرايض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على امر الله
فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا
الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلى هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا
الاستقامة **تتنزل عليهم الملائكة** قال ابن عباس عند الموت وقيل
اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاث مواطن عند الموت وفي
القبر وعند البعث **ان لا تخافوا** اي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون
عليه من امر الاخرة **ولا تحزنوا** اي على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم
في ذلك وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا اغفرها لكم **وابشروا**
بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم اي تقول لهم الملائكة عند
نزولهم بالبشرى نحن اولياؤكم اي انصاركم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا
معكم **في الحياة الدنيا** ونحن اولياؤكم **في الاخرة** لا نفارقكم حتى تدخلوا
الجنة **ولكم فيها** اي في الجنة **ما تشتهي انفسكم** اي من الكرامات واللذات
ولكم فيها ما تدعون اي تتمنون **نزلا** اي رزقا والنزل رزق النزيل
وهو الضيف **من غفور رحيم** قال اهل المعاني كل هذه الاشيا المذكورة
في هذه الاية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذه النزل فما ظنك
بما بعده من الالطاف والكرامة قوله تعالى **ومن احسن قولا ممن دعا الى الله**
اي الى طاعة الله قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة
ان لا اله الا الله وقيل هو المومن اجاب الله فيما دعاه اليه ودعا الناس
الى ما اجاب له **وعمل صالحا** في اجابته وقالت عايشة هذه الاية نزلت
في المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل في الاية
وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبيا الى الله بالمعجزات وبالحجج
وبالبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق ولم تحصل لغير الانبيا
المرتبة الثانية دعوة العلما الى الله بالحجج والبراهين فقط والعلما اقسام
علما بالله وعلما بصفات الله وعلما باحكام الله المرتبة الثالثة دعوة
المجاهدين الى الله بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله
وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى
الله والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من
افعال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو ساير
الطاعات وقيل عمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة **ق** عن عبد الله
ابن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة
قال في الثالثة لمن شاء عن انس بن مالك قال الدعا بين الاذان والاقامة
لا يرد اخرجه ابو داود وقال هذا حديث حسن **وقال انني من المسلمين**
قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه

دين الاسلام مع التلفظ به قوله عز وجل **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة**
يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة **ادفع بالتي هي احسن**
قال ابن عباس امر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند
الاساءة **فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم** اي الصديق
القريب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وذلك لانه لان للمسلمين بعد
شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم
فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة **وما يلقاها** اي وما يلقى هذه الخصلة
والفعلة وهو دفع السيئة بالحسنة **الا الذين صبروا** اي على تحمل
المكاره وتجرع الشدايد وكظم الغيظ وترك الانتقام **وما يلقاها الا ذو حظ**
عظيم اي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها الا من
وجبت له الجنة **واما ينزغنك من الشيطان نزغ** النزغ شبه النخس
والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه اي يبعثه الى ما لا ينبغي ومعنى
الاية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن **فاستعذ**
بالله اي من شره **انه هو السميع** اي لاستعاذتك **العليم** باحوالك
قوله تعالى **ومن اياته** اي ومن دلايل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته
الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر اي انهما
عبدان مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبارة عن
نهاية التعظيم **واسجدوا لله الذي خلقهن** اي المستحق للسجود والتعظيم
هو خالق الليل والنهار والشمس والقمر **ان كنتم اياه تعبدون** يعني
ان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه
الكواكب هو سجود لله فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وامروا بالسجود
لله تعالى الذي خلق هذه الاشيا كلها **فان استكبروا** اي عن السجود **فالذين**
عند ربك يعني الملايكة **يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون**
اي لا يفترون ولا يملون **فصل** وهذه السجدة من عزايم سجود
التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلما وهما وجهان لاصحاب الشافعي
احدهما عند قوله ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه
الرافعي عن ابي حنيفة واحمد لان ذكر السجدة قبله والثاني وهو الاصح
عند اصحاب الشافعي وكذا حكاه الرافعي انه عند قوله وهم لا يسامون وهو
قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري
عن ابي حنيفة لان عنده يتم الكلام **ومن اياته انك ترى الارض خاشعة**
فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى
انه على كل شي قدير قوله تعالى **ان الذين يلحدون** اي
يميلون عن الحق **في اياتنا** اي بالطعن والتأويل بالمحال والتصدية واللغو

والالغط وقيل يكذبونه في اياتنا ويعاندون ويشاقون **لا يخفون علينا**
فيه وعيد وتهديد قيل نزلت في ابي جهل **افمن يلقى في النار** هو ابو جهل
خير امن ياتي امنا يوم القيامة والمعنى الذين يلحدون في اياتنا يلقون
في النار والذين يومنون باياتنا امنين يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل
وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر **اعملوا ما شئتم** امر تهديد ووعيد
انه بما تعملون بصير اي انه عالم باعمالكم فيجازيكم بها **ان الذين**
كفروا بالذكر لما جاءهم يعني القران وفي جواب ان وجهان احدهما
انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثاني جوابه
اولئك ينادون من مكان بعيد ثم اخذ في وصف الذكر فقال تعالى **وانه**
لكتاب عزيز قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز العديم النظير
وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد
الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى **لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا**
من خلفه قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل هو
محفوظ من ان ينقص منه فياتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فياتيه
الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل
لا ياتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل
معناه ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى
يصل اليه وقيل لا ياتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تاخر
تنزيل من حكيم اي في جميع افعاله **حميد** اي الى جميع خلقه بسبب نعمه
عليهم ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل **ما**
يقال لك اي من الاذى والتكذيب **الا ما قد قيل للرسل من قبلك**
يعني انه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت **ان ربك**
لذو مغفرة اي لمن تاب وامن بك **وذو عقاب اليم** اي لمن اصر على التكذيب
قوله عز وجل **ولو جعلناه** اي هذا الكتاب الذي تقراه على الناس **قرانا**
اعجميا اي بغير لغة العرب **لقالوا لولا فصلت اياته** اي هلا بينت
اياته بالعربية حتى نفهمها **ءاعجمي وعربي** يعني كتاب اعجمي ورسول عربي وهذا
استفهام انكاري والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل
عليه عربي والمنزل عجمي وقيل في معنى الاية انا لو انزلنا هذا القران بلغة
العجم لكان لهم ان يقولوا كيف انزل الكلام العجمي الى قوم العرب ويصح قولهم
ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وانا
لما انزلنا هذا القران بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا
قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يدخل على يسار عامر بن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا يكنى ابا فكيهة فقال

المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله
يعلمني فانزل الله هذه الاية **قل** يا محمد **هو** يعني القران **للذين امنوا**
هدى اي من الضلالة **وشفاء** اي لما في القلوب من مرض الشك والشرك
وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام **والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر**
وهو عليهم عمى اي صموا عن سماع القران وعموا عنه فلا ينتفعون به
اولئك ينادون من مكان بعيد اي كما ان من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم
يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كانهم ينادون من حيث
لا يسمعون **ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه** اي فمصدق به ومكذب
كما اختلف قومك في كتابك **ولولا كلمة سبقت من ربك** اي في تاخير
العذاب من المكذبين في القران **لقضي بينهم** اي لفرغ من عذابهم وعجل
اهلاكهم **وانهم لفي شك منه مريب** اي من كتابك وصدقك **من عمل صالحا**
فلنفسه اي يعود نفع ايمانه وعمله على نفسه **ومن اساء فعليها** اي ضر اساءته
وكفره يعود على نفسه ايضا **وما ربك بظلام للعبيد** فيعذب غير المسيء
قوله عز وجل **اليه يرد علم الساعة** يعني اذا سال عنها سايل قيل له لا يعلم
وقت قيام الساعة الا الله ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك **وما تخرج**
من ثمرة من اكمامها اي من اوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل ان
ينشق **وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه** اي يعلم عدد ايام الحمل
وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو ام انثى ومعنى الاية كما يرد اليه
علم الساعة كذلك يرد اليه علم ما يحدث من كل شيء كالثمار والنتاج وغير
ذلك فان قلت الرجل الصالح من اصحاب الكشف يقول قولا فيصيب فيه
وكذلك الكهان والمنجمون قلت اما اصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو
من الهام الله واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذي يرد اليه واما الكهان
والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وانما غايته
ادعاء ظن ضعيف قل ما يصيب وعلم الله هو اليقين المقطوع به الذي لا يشركه
فيه احد **ويوم يناديهم** اي ينادي الله المشركين فيقول **اين شركائي**
اي انها الهة **قالوا** يعني المشركين **اذناك** اي اعلمناك **ما منا من شهيد**
اي يشهد ان لك شريكا وذلك لما راوا العذاب تبروا من الاصنام **وضل**
عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي يعبدون في الدنيا **وظنوا ما لهم**
من محيص اي مهرب قوله تعالى **لا يسام الانسان** اي لا يمل الكافر
من دعاء الخير يعني لا يزال يسال ربه الخير وهو المال والغنى والصحة
وان مسه الشر اي الشدة والفقر **فيؤس** من روح الله **قنوط**
اي من رحمته **ولئن اذقناه رحمة منا** اي اتيناه خيرا وعافية وغنى
من بعد ضراء مسته اي من بعد شدة وبلاء اصابه **ليقولن هذا لي**

اي استخفه بعملي وما اظن الساعة قايمة اي لست على يقين من البعث ولين رجعت الى ربي بقوله هذا الكافر فان كان الامر كذلك ورجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي الجنة والمعنى كما اعطاني في الدنيا سيعطيني في الاخرة فلننبئن الذين كفروا بما عملوا قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوي اعمالهم ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم واذا مسه الشر اي الشدة والفقر فذو دعا عريض اي كثير قل يا محمد لكفار مكة ارايتم ان كان من عند الله يعني هذا القران ثم كفرتم به اى بجحدتموه من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا احد اضل منكم سنريهم اياتنا في الافاق قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية وفي انفسهم يعني بالبلاوا الامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الافاق وهو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد والمسلمين وفي انفسهم وهو فتح مكة حتى يتبين لهم انه الحق يعني دين الاسلام وقيل يتبين القران انه من عند الله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مويد من قبل الله تعالى وقيل في الافاق يعني اقطار السما والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفي انفسهم يعني من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعني لا يقدر على هذه الاشيا الا الله اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد يعني شهيد ان القران من عند الله وقيل اولم يكفهم ان الدلايل الكثيرة التي اوضحها الله تعالى لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شي الا انهم في مرية من لقا ربهم اي في شك عظيم من البعث الا انه بكل شي محيط اي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها احاط بكل شي علما واحصى كل شي عددا والله اعلم تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى وهي مكية في قول ابن عباس والجمهور وحكي عن ابن عباس الا اربع ايات نزلت بالمدينة اولها قل لا اسالكم عليه اجرا وقيل فيها من المدني ذلك الذي يبشر الله عباده الى قوله بذات الصدور وقوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهي ثلاث وخمسون اية وثلاث مايه وستون كلمة وثلاثة الاف وخمسمايه وثمانية وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم عسق سيل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقيل لانها بين سور اولها حم فجرت مجرى نظايرها فكان حم مبتدا وعسق خبره لان اسم حم عسق عد ايتين وعد اخواتها التي لم تقطع اية وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انه حروف التهجي واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر اي قضي وبقي عسق على اصله

وقال ابن عباس معناه اى معين ح حلمه م مجده ع علمه س سناوه ق قدرته اقسم الله بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب في قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنين كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه وقيل هذا في شان محمد صلى الله عليه وسلم فالحا حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناوه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد اوحي اليه حم عسق فلذلك قال تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك وقيل معناه كذلك يوحي اليك اخبار الغيب كما اوحينا الى الذين من قبلك الله العزيز في ملكه الحكيم في صنعه والمعنى كانه قيل من يوحي فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن اي من فوق الارضين وقيل تتفطر كل واحدة من فوق التي قبلها من قول الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا والملايكة يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم ويستغفرون لمن في الارض اى من المومنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملايكة وقيل يحتمل ان تكون لجميع من في الارض اما الكفار فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب واما في حق المومنين فبالتجاوز عن سياتهم وقيل الاستغفار لمن في الارض هو سوال الرزق لهم فيدخل فيه المومن والكافر الا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه تعالى يعطي المغفرة التي سالوها ويضم اليها بمنه وكرمه والرحمة التامة الشاملة والذين اتخذوا من دونه اوليا اي جعلوا له شركا وانداد الله حفيظ عليهم اي رقيب على احوالهم واعمالهم وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم حتى توخذ بهم انما انت نذير وكذلك اي ومثل ما ذكرنا اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى يعني مكة والمراد اهلها ومن حولها يعني قرى الارض كلها وتنذر يوم الجمع اي وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السموات واهل الارضين لا ريب فيه ولا شك في الجمع انه كاين ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال اما تدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسما اهل الجنة واسما ابايهم وعشايرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب

وقيل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس يزاد فيهم ولا
ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذي في يساره من كتاب
من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء ابائهم وعشايرهم وعدتهم قبل ان يستقروا
نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون
فليس يزاد فيهم ولا ينقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله
بن عمرو ففيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له
بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان
عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله اخرجه احمد
ابن حنبل في مسنده قوله تعالى **ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة** قال ابن
عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام **ولكن يدخل من يشاء في رحمته** اي في
دين الاسلام **والظالمون** اي الكافرون **ما لهم من ولي** اي يدفع عنهم العذاب
ولا نصير اي يمنعهم من العذاب **ام اتخذوا** يعني الكفار **من دونه اولياء**
فالله هو الولي قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك **وهو يحيي**
الموتى وهو على كل شيء قدير يعني من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ
وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي **وما اختلفتم فيه من شيء** اي من امر
الدين **فحكمه الى الله** اي يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل
الريب وقيل علمه الى الله تعالى وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان حكمه من حكم الله ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته **ذلكم الله** اي الذي يحكم بين
المختلفين هو **ربي عليه توكلت** اي في جميع اموري **واليه انيب** اي واليه
ارجع في كل المهمات **فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم** اي من
جنسكم **ازواجا** اي حلايل وقيل انما قال من انفسكم لان الله خلق حوا من
ضلع ادم **ومن الانعام ازواجا** اي اصنافا ذكرانا واناثا **يذرؤكم** اي يخلقكم
وقيل يكثركم **فيه** اي في الرحم وقيل في البطن وقد تقدم ذكر الازواج
وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكرانهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل
الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس
وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل بمعنى الباء اي يذرؤكم به اي يكثركم
بالتزويج **ليس كمثله شيء** المثل صلة اي كهو شيء وقيل الكاف صلة مجازا ليس
مثله شيء قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت هذه الاية دالة على نفي المثل وقوله
تعالى ولله المثل الاعلى في السموات والارض يقتضي اثبات المثل فما الفرق قلت
المثل هو الذي يكون مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس
كمثله شيء فمعناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس او يكون معناه ليس لذاته سبحانه
وتعالى مثل وقوله تعالى ولله المثل الاعلى فمعناه وله الوصف الاعلى الذي ليس
لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد فقد ظهر بهذا التفصيل معنى الاية وحصل الفرق

بينهما

بينهما **وهو السميع** اي لساير المسموعات **البصير** لساير المبصرات **له مقاليد**
السموات والارض اي مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الارض يعني
النبات يدل عليه قوله **يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** يعني انه تعالى يوسع
على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده **انه بكل شيء عليم**
اي من البسط والتضييق قوله عز وجل **شرع لكم من الدين** اي بين وسن
لكم بين طريقا واضحا من الدين اي دينا تطابقت على صحته الانبيا وهو قوله
تعالى **ما وصى به نوحا** يعني انه اول الانبيا اصحاب الشرايع والمعنى قد وصينا
واياك يا محمد دينا واحدا **والذي اوحينا اليك** اي من القران وشرايع
الاسلام **وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى** انما خص هولاء الانبيا الخمسة
بالذكر لانهم اكابر الانبيا واصحاب الشرايع المعظمة والاتباع الكثيرة واولي
العزم ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هولاء الاعلام من رسله بقوله
ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد من اقامة الدين هو توحيد الله
والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الاخر وطاعة الله في اوامره ونواهيه
وساير ما يكون به الرجل مسلما ولم يرد الشرايع التي هي مصالح الامم على
حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا وقيل اراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات
والاخوات والبنات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا
الا وصاه باقام الصلاة وايتا الزكاة والاقرار لله بالتوحيد والطاعة
وقيل بعث الله الانبيا كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة
كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اي من التوحيد ورفض الاوثان
الله يجتبي اليه من يشاء اي يصطفي لدينه من يشا من عباده **ويهدي**
اليه من ينيب اي يقبل الى طاعته **وما تفرقوا** يعني اهل الاديان **الا من**
بعد ما جاءهم العلم اي بان الفرقة ضلالة **بغيا بينهم** اي ولكنهم فعلوا
ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم **ولولا كلمة سبقت**
من ربك اي في تاخير العذاب عنهم **الى اجل مسمى** يوم القيامة **لقضي بينهم**
اي بين من امن وكفر يعني انزل العذاب بالمكذبين في الدنيا **وان الذين**
اورثوا الكتاب يعني اليهود والنصارى **من بعدهم** اي من بعد انبيائهم
وقيل من الامم الخالية **لفي شك منه** اي من امة محمد صلى الله عليه وسلم
مريب يعني مرتابين شاكين فيه **فلذلك فادع** اي الى ما وصى به الانبيا من
التوحيد وقيل ولاجل ما حدث من الاختلاف في الدين الكثير فادع انت
الى الاتفاق على الملة الحنيفية **واستقم كما امرت** اي اثبت على الدين
الذي امرت به **ولا تتبع اهواءهم** اي المختلفة الباطلة **وقل امنت بما**
انزل الله من كتاب اي امنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان

المتفرقين امنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم قال ابن عباس امرت ان لا احيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال والاشيا وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان لكل واحد وكل احد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله لا حجة اي لا خصومة بيننا وبينكم وهذه الاية منسوخة باية القتال اذ لم يومر بالقتال وامر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة الله يجمع بيننا اي في المعاد لفصل القضا واليه المصير قوله تعالى والذين يحاجون في الله اي يخاصمون في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من بعد ما استجيب له اي من بعد ما استجاب الناس لدين الله فاسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم حجتهم داحضة اي خصومتهم باطلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اي في الاخرة الله الذي انزل الكتاب بالحق اي الكتاب المشتمل على انواع الدلايل والاحكام والميزان اي العدل سمي ميزانا لان الميزان الة الانصاف والتسوية قال ابن عباس امر الله تعالى بالوفا ونهى عن البخس وما يدريك لعل الساعة قريب اي وقت اتيانها قريب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى يستعجل بها الذين لا يومنون بها اي ظنا منهم انها غير اتية والذين امنوا مشفقون منها اي خايفون ويعلمون انها الحق اي انها اتية لا شك فيها الا ان الذين يمارون اي يخاصمون في الساعة قيل يشكون فيها لفي ضلال بعيد قوله عز وجل الله لطيف بعباده اي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه يرزق من يشاء يعني ان الاحسان والبر انما هو في حق كل العباد وهو اعطا ما لا بد منه وكل من رزقه الله تعالى من مومن وكافر وذي روح فهو ممن يشا ان الله يرزقه وقيل اللطف في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة وهو القوي اي القادر على كل ما يشا العزيز هو الذي لا يغالب ولا يدافع من كان يريد حرث الاخرة اي كسب الاخرة والمعنى من كان يريد بعمله الاخرة نزد له في حرثه اي بالتضعيف بالواحدة الى عشرة الى ما يشا الله من الزيادة وقيل انا نزيد في توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الطاعات والخيرات عليه ومن كان يريد حرث الدنيا يعني يريد بعمله الدنيا موثرا لها على الاخرة نوته منها اي ما قدر وقسم له وما له في الاخرة من نصيب يعني لم يعمل بها

عن ابي

عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنا والرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة من نصيب ذكره في جامع الاصول ولم يعزه الى احد من الكتب الستة واخرجه البغوي باسناده قوله تعالى ام لهم يعني كفار مكة شركاء يعني الاصنام وقيل الشياطين شرعوا لهم من الدين قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام ما لم ياذن به الله يعني تلك الشرايع باسرها على خلاف دين الله الذي امر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها ولولا كلمة الفصل يعني ان الله تعالى حكم بين الخلق بتاخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لقضي بينهم اي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا وان الظالمين يعني المشركين لهم عذاب اليم اي في الاخرة ترى الظالمين يعني يوم القيامة مشفقين اي وجلين خايفين مما كسبوا اي من الشرك والاعمال الخبيثة وهو واقع بهم اي جزا كسبهم واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات كان هذه الروضات اطيب بقاع الجنة ولذلك خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على ان في الجنة منازل غير الروضات هي لمن هو دون هولا الذين عملوا الصالحات من اهل القبلة لهم ما يشاون عند ربهم اي من الكرامة ذلك هو الفضل الكبير الذي ذكر من نعيم الجنة ذلك يعني الذي ذكر من نعيم الجنة الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قوله عز وجل قل لا اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة اجرا اي جزا الا المودة في القربى عن ابن عباس انه سيل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى ال محمد قال ابن عباس عجلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا له منهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعن ابن عباس ايضا في قوله الا المودة يعني ان تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك خ عن ابن عمر ان ابا بكر الصديق قال ارقبوا محمدا في اهل بيته واختلفوا في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وقيل ال بيته من تحرم عليه الصدقة من اقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا اسلام م عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي فقال له حصين من اهل بيته يا زيد اليس نساوه من اهل بيته فقال نساوه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده قال ومن

ثم قال آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فان قلت طلب الاجر على تبليغ
الرسالة والوحي لا يجوز لقوله في قصة نوح وغيره من الانبياء ما اسألكم عليه
اجرا ان اجري الا على رب العالمين قلت لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ
الرسالة بقي الجواب عن قوله الا المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين الاول
معناه لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر •

• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم وان المودة بين
المسلمين امر واجب واذا كان كذلك في جميع المسلمين فكان في آل بيت النبي
صلى الله عليه وسلم اولى فقوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى
والمودة في القربى ليست اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم كانت مودتهم
وصلتهم لازمة وبينان لا اجر البتة والوجه الثاني ان هذا استثناء
منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ثم ابتدأ فقال الا
المودة في القربى اي لكني اذكركم المودة واذكركم قرابتي منكم في الذين هم
قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان
المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى
المدينة وآواه الانصار ونصروه احب الله ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل
الله قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فصارت هذه الآية ناسخة
لقوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا المودة في القربى واليه ذهب الضحاك والحسين
بن الفضل والقول بنسخ هذه الاية غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم
وكف الاذى عنه ومودة اقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز
المصير الى نسخ هذه الاية وروي عن ابن عباس في معنى الاية قول آخر الا ان تودوا
الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا
التقرب الى الله والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح قوله تعالى **ومن يقترف
حسنة** اي يكتسب طاعة **نزد له فيها حسنا** اي بالتضعيف **ان الله غفور**
للذنوب **شكور** اي للقليل من الاعمال حتى يضاعفها **ام يقولون** يعني بل
يقولون كفار مكة **افترى على الله كذبا** فيه توبيخ لهم معناه ايقع في قلوبهم
ويجري على لسانه ان ينسبوا مثله الى الكذب وهو افترى على الله كذبا وهو اقبح
انواع الكذب **فان يشأ الله يختم على قلبك** اي يربط على قلبك بالصبر
حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتري وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك
القرآن وما آتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل ما اخبر به في هذه الآية
ويمح الله الباطل اي اخبر الله تعالى ان ما يقولونه باطل والله يمحوه **ويحق
الحق بكلماته** اي يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله ذلك فمحى باطلهم
واعلى كلمة الاسلام **انه عليم بذات الصدور** قال ابن عباس لما نزلت

قل

قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع في قلوب قوم منها شيء
وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه
وانزل هذه الاية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فانزل
قوله عز وجل **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده** قال ابن عباس يريد اولياءه
واهل طاعته **فصل** في ذكر التوبة وحكمها قال العلماء التوبة واجبة
من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي
فلها ثلاثة شروط احدها ان تقلع عن المعصية والثاني ان تندم على فعلها
والثالث ان تعزم ان لا تعود اليها ابدا فاذا حصلت هذه الشروط
صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق
بحق آدمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق
صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والاقبال
على الطاعة نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة الانتقال
من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة **خ** عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين
مرة **م** عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة **ق** عن عبد الله
بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله افرح
بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها
طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته
فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي
كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا
راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا من توبة العبد المؤمن
من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة **ق** عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة احدكم سقط على بعيره وقد
اضله في مفازة او فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لله اشد فرحا من توبة عبده المؤمن حين يتوب اليه من احدكم كان على
راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها
فاتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو
بها قائمة عنده ثم اخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم انت عبدي
وانا ربك اخطأ من شدة الفرح عن صفوان بن عسال المرادي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة
سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله
تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية اخرجه الترمذي

وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
م عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز
وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب
مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قوله عز وجل **ويعفو عن
السيئات** اي يمحوها اذا تابوا **ويعلم ما يفعلون** يعني من خير او شر فيجازيهم
عليه **ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات** يعني يجيب المومنين
الله فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب للذين امنوا اذا دعوه وقال
ابن عباس ويثيب الذين امنوا **ويزيدهم من فضله** اي يثيبوا اعمالهم تفضلا
وقال ابن عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم
والكافرون لهم عذاب شديد قوله عز وجل **ولو بسط الله الرزق لعباده**
قال خباب ابن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بني
قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فانزل الله ولو بسط الله الرزق
لعباده **لبغوا** اي لطغوا وعتوا **في الارض** قال ابن عباس بغيهم طلبهم
منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان
متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى خلقته وهو التكبر
واذا وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر ورجع الى الطاعة والتواضع وقيل
ان البغي مع القبض والفقر اقل ومع البسط والغنى اكثر لان النفس مائلة
الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة الالة كان الشر اقل واذا كانت واجدة كان
الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان **ولكن ينزل بقدر ما يشاء**
يعني الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله تعالى **انه بعباده خبير بصير** والمعنى
انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبايعهم وبعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم
على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لي وليا فقد
بارزني بالمحاربة واني لاغضب لاوليايي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب
الي عبدي المومن بمثل ما افترضت عليه وما يزال عبدي المومن يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومويدا وان دعاني
اجبته وان سالني اعطيته وما ترددت في شي انا فاعله ترددي في قبض
روح عبدي المومن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي
المومنين لمن يسالني الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده
ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده
ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر فلو اغنيته لافسده
ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده

ذلك

ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده
ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير اخرجه البغوي باسناده
قوله تعالى **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا** اي يئس الناس
منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر سبع سنين حتى قنطوا
ثم انزل المطر فذكروا نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة اتم
وينشر رحمته اي يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب
وهو الولي اي لاهل طاعته **الحميد** اي المحمود على ما يوصل الى الخلق من
اقسام رحمته **ومن اياته خلق السموات والارض وما بث** اي اوجد **فيهما**
اي في السموات والارض **من دابة** فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة
قلت الدبيب في اللغة المشي الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملايكة
مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل
ان الله تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوان يدبون دبيب الانسان
وهو على جمعهم اذا يشا قدير يعني يوم القيامة **وما اصابكم من
مصيبة فبما كسبت ايديكم** يعني المراد بهذه المصايب والاحوال المكروهة
نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلا والغرق والصواعق وغير ذلك فيما
كسبت ايديكم من الذنوب والمعاصي **ويعفو عن كثير** قيل لما نزلت هذه
الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش
عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سخلة قال قال علي رضي الله عنه الا اخبركم
بافضل اية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسافسرها لكم يا علي ما
اصابكم من مصيبة اي من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم
والله اكرم من ان يثني عليهم العقوبة في الاخرة وما عفى الله عنهم في الدنيا
والله احلم من ان يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا
فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفره له الا بها او درجة لم يكن الله ليرفعه
الا بها ق عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب
المومن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة
وما انتم بمعجزين اي بفايتين **في الارض** هربا لا تعجزونني حيثما كنتم
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير قوله تعالى **ومن اياته الجواري** يعني
السفن وهي السيارة **في البحر كالاعلام** اي كالقصور وكل شي مرتفع عند
العرب يسمى علم **ان يشا يسكن الريح** التي تجري بها السفن **فيظللن**
يعني السفن الجواري **رواكد** اي ثوابت **على ظهره** اي على ظهر البحر لا تجري
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وهذه صفة المومن لانه يصبر في الشدة

ويشكر في الرخا أو يوبقهن أي يغرقهن ويهلكهن بما كسبوا أي بما كسبت
ركابها من الذنوب ويعف عن كثير أي من ذنوبهم فلا يعاقب عليها ويعلم
الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص يعني يعلم الذين يكذبون
بالقرآن إذا صاروا إلى الله ما لهم من مهرب فما أوتيتم من شيء أي من زينة
الدنيا فمتاع الحياة الدنيا أي ليس هو من زاد الآخرة وما عند الله
أي من الثواب خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والمعنى أن المؤمن
والكافر يستويان في متاع الحياة الدنيا فإذا صارا إلى الله تعالى كان ما
عند الله من الثواب خير وأبقى للمؤمنين والذين يجتنبون كبائر الإثم يعني
كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك والفواحش
يعني ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال وإذا ما غضبوا هم يغفرون يعني يكظمون
الغيظ ويحلمون والذين استجابوا لربهم أي أجابوه إلى ما دعاهم إليه من
طاعته وأقاموا الصلاة يعني المفروضة وأمرهم شورى بينهم يعني
يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون ولا يتفردون برأي ما لم يجتمعوا
عليه قيل ما تشاور قوم إلا هدوا إلى أرشد أمرهم ومما رزقناهم ينفقون
والذين إذا أصابهم البغي يعني الظلم والعدوان هم ينتصرون يعني ينتقمون
من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون
عن من ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى وإذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف
ينتصرون ممن ظلمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية وقال إبراهيم النخعي كانوا
يكرهون أن يذلوا أنفسهم فإذا قدروا عفوا وقيل إن العفو إغرا للسفيه
وعطا عطاهم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم
الله في الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى أن شريعة الانتصار
مشروطة برعاية المماثلة فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها سمي الجزاء سيئة وإن لم
يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل إن الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء
القبيح إذا قال أخزاك الله فيقول له أخزاك الله ولا تزد وإذا شتمك فاشتمه
بمثله ولا تعتد وقيل هو القصاص في الجراحات والدماء يقتص بقدر ما جنى
عليه وقيل إن الله لم يرغب في الانتصار بل بين أنه مشروع ثم بين أن العفو أولى
بقوله تعالى فمن عفا أي عمن ظلمه وأصلح بالعفو بينه وبين الظالم فأجره
على الله قال الحسن إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر
فليقم فلا يقوم إلا من عفى ثم قرأ هذه الآية إنه لا يحب الظالمين قال ابن
عباس الذين يبدؤون بالظلم ولمن انتصر بعد ظلمه أي بعد ظلم إياه فأولئك
يعني المنتصرين ما عليهم من سبيل أي بعقوبة ومؤاخذة إنما السبيل
على الذين يظلمون الناس أي يبدؤون بالظلم ويبغون في الأرض بغير
الحق أي يعملون بالمعاصي أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر أي لم ينتصر

وغفر

وغفر وتجاوز عن ظالمه إن ذلك أي الصبر والتجاوز لمن عزم الأمور يعني
تركه والانتصار لمن عزم الأمور الجيدة التي أمر الله بها وقيل إن الصابر يؤتى
بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزم ومن يضلل الله فما له من ولي
من بعده يعني ما له من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه ويمنعه من عذابه
وترى الظالمين لما رأوا العذاب يعني يوم القيامة يقولون هل إلى مرد من سبيل
يعني أنهم يسألون الرجعة إلى الدنيا وتراهم يعرضون عليها أي على النار
خاشعين من الذل أي خاضعين متواضعين ينظرون من طرف خفي يعني
يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة في أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفي
أي ضعيف من الذل وقيل ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا والنظر
بالقلب خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم
يعني بأن صاروا إلى النار وأهليهم يوم القيامة يعني وخسروا أهليهم بأن صاروا
لغيرهم في الجنة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء
ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل أي وصول إلى الحق
في الدنيا والجنة في العقبى فقد استد عليهم طرق الخير استجيبوا لربكم
أي أجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل أن يأتي يوم لا مرد
له من الله أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت
ما لكم من ملجأ يومئذ أي ما لكم مخلص من العذاب وقيل من الموت وما لكم من نكير
أي منكر حالكم وقيل النكير الإنكار يعني لا تقدروا أن تنكروا من أعمالكم شيئا
فإن أعرضوا أي عن الإجابة فما أرسلناك عليهم حفيظا أي تحفظ أعمالهم
إن عليك إلا البلاغ أي ليس عليك إلا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة قال ابن عباس يعني الغنى
والصحة فرح بها وإن تصبهم سيئة أي قحط بما قدمت أيديهم أي من الأعمال
الخبيثة فإن الإنسان كفور لما تقدم من نعمة الله عز وجل فقوله عز وجل
لله ملك السموات والأرض يعني له التصرف فيهما بما يريد يخلق ما يشاء
أي لا يقدر أحد أن يعترض عليه في ملكه وإرادته يهب لمن يشاء إناثا أي
فلا يولد له إلا الأنثى ويهب لمن يشاء الذكور أي فلا يولد له إلا الذكور أو
يزوجهم ذكرانا وإناثا أي يجمع بينهما فيولد له الذكران والإناث ويجعل
من يشاء عقيما أي فلا يولد له ولد وقيل هذا في الأنبياء عليهم السلام فقوله
يهب لمن يشاء إناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء
الذكور يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء
عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل وإلا
فالآية عامة في جميع الناس إنه عليم أي بما يخلق قدير أي على ما يريد أن يخلقه

قوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قيل سبب نزولها في اليهود
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى
ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله فانزل الله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا اي يوحي اليه في المنام او بالالهام كما راى ابراهيم في المنام ان يذبح ولده
وهو وحي وكما الهمت ام موسى ان تقذفه في اليم او من وراء حجاب اي يسمع كلامه
من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى او يرسل رسولا يعني من الملائكة اما جبريل
او غيره فيوحي باذنه ما يشاء يعني يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله
ما يشاء وهذه الاية محمولة على انه لا يكلم البشر الا من وراء حجاب في الدنيا ويأتي
بيان هذه الاية في سورة النجم ان شاء الله تعالى انه علي اي عن صفات المخلوقين
حكيم اي في جميع افعاله قوله عز وجل وكذلك اي كما اوحينا الى سائر رسلنا
اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن عباس نبوة وقيل قرانا لانه به حياة
الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل ما كنت تدري اي قبل الوحي ما الكتاب
يعني القران ولا الايمان اختلف العلماء في هذه الاية مع اتفاقهم على ان
الانبياء قبل النبوة كانوا مومنين فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي
شرايع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة الايمان في هذا الموضع
الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم ولم يرد به الايمان
الذي هو الاقرار بالله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد
الله ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا ياكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد
على دين ابراهيم عليه السلام ولم يتبين له شرايع دينه الا بعد الوحي اليه
ولكن جعلناه نورا قال ابن عباس يعني الايمان وقيل القران لانه يهتدي
به من الضلالة وهو قوله نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي
اي لتدعو الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام صراط الله يعني الذي
شرعه لعباده الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور
يعني امر الخلايق في الاخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء والله تعالى اعلم
باسرار كتابه

تفسير سورة الزخرف

وهي مكية وهي تسع وثمانون اية وثمانماية وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة الاف
واربعماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب وهو القران الذي ابان طرق
الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين
يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم انا جعلناه اي صيرنا قراءة هذا
الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه قرانا
عربيا لعلكم تعقلون يعني معانيه واحكامه وانه يعني القران في

ام

ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ما خلق الله القلم
فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق في الكتاب عنده ثم قرا وانه في ام الكتاب
لدينا فالقران مثبت عند الله في اللوح المحفوظ لعلي حكيم اخبر عن شرفه
وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا اهل مكة بالقران فانه عندنا لعلي رفيع شريف
وقيل على جميع الكتب حكيم اي محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان قوله تعالى
افنضرب عنكم الذكر صفحا معناه افنترك عنكم الوحي ونمسك عن انزال
القران فلا نامركم ولا ننهاكم لاجل انكم اسرفتم في كفركم وتركتم الايمان وهو
قوله تعالى ان كنتم قوما مسرفين والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان
هذا القران رفع حين رده اوايل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عاد بعائدته
وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة او ما شاء الله وقيل معناه افنضرب
عنكم بذكرنا اياكم صافحين اي معرضين عنكم وقيل معناه افنطوي الذكر عنكم
طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل افنترككم فلا نعاقبكم على كفركم وكم
ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون يعني
كما يستهزئ قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فاهلكنا اشد منهم
بطشا اي اقوى من قومك قوة ومضى مثل الاولين اي صفتهم فالمعنى ان
كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان
ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة قوله عز وجل ولئن سالتهم
اي سالت قومك يا محمد من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز
العليم يعني انهم اقروا ان الله تعالى خالقهما واقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم
بذلك عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدا تعالى دالا
على نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي جعل لكم الارض مهادا معناه وافقها
ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي فكذلك جعل
الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا
لعلكم تهتدون الى مقاصدكم في اسفاركم والذي نزل من السماء ماء بقدر اي
بقدر حاجاتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى اهلكهم فانشرنا به اي بالمطر
بلدة ميتا اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك تخرجون من قبوركم
احياء والذي خلق الازواج كلها اي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى
الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره اي على ظهور الفلك
والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه يعني بتسخير المركب في البر
والبحر وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا وما كنا له مقرنين
اي مطيقين وقيل ضابطين وانا الى ربنا لمنقلبون اي لمنصرفون في المعاد
م عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا

الى سفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسئلك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعني تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يعود من سفره كئيبا حزينا ويصادف ما يحزنه في اهله وماله عن علي بن ابي طالب وقد اتي بدابته ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير المؤمنين مم ضحكت قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من اي شيء ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب غيرك اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا يعني ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا ههنا حكموا واثبتوا ان الانسان لكفور مبين اي لجحود لنعم الله عليه ام اتخذ مما يخلق بنات هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفاكم اي اخلصكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا واسفا وهو قوله تعالى ظل اي صار وجهه مسودا وهو كظيم اي من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولد له انثى فهجر بيت امراته التي ولدت فيه الانثى فقالت المراة ما لابي حمزة لا ياتينا . يظل في البيت الذي يلينا . غضبان ان لا نلد البنينا . ليس لنا من امرنا ما شينا . وانما ناخذ ما اعطينا . قوله عز وجل اومن ينشا يعني او من يتربى في الحلية يعني الزينة والنعمة والمعنى او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت ان تزين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه اخر وهو قوله وهو في الخصام اي في المخاصم غير مبين للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قال ما تكلمت امراة تريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وجعلوا اي حكموا واثبتوا الملائكة الذين هم عباد وقرئ عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم اي حضروا خلقهم حين خلقوا

وهذا

وهذا استفهام انكاري اي لم يشهدوا ذلك ستكتب شهادتهم اي على الملائكة انهم بنات الله ويسئلون اي عنها قيل لما قالوا هذا القول سالهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها بنات الله فقالوا سمعنا من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها في الاخرة ه وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم يعني الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا لرضاه عنا بذلك قال الله تعالى ردا عليهم ما لهم بذلك من علم اي فيما يقولون ان هم الا يخرصون يعني ما هم الا كاذبين في قولهم ان الله رضي منا بعبادتها وقيل يكذبون في قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القران بان يعبدوا غير الله فهم به مستمسكون اي ياخذون بما فيها بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة اي على دين وملة وانا على اثارهم مهتدون يعني انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع ابائهم وتقليدهم من غير حجة ثم اخبر ان غيرهم قال هذه المقالة بقوله تعالى وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها اي اغنياؤها ورؤساؤها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون اي لهم قل اولو جئتكم باهدى اي بدين هو اصوب مما وجدتم عليه اباءكم فابوا ان يقبلوا قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء اي بريء مما تعبدون الا الذي فطرني معناه اني ابرا من الذي تعبدون الا من الذي خلقني فانه سيهدين اي يرشدني الى دينه وجعلها اي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا الله كلمة باقية في عقبه اي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم يرجعون اي لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم بل متعت هؤلاء يعني كفار مكة واباءهم في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم اعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق اي القران وقيل الاسلام ورسول هو محمد صلى الله عليه وسلم مبين اي يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة واضحها بما معه من الايات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى ولما جاءهم الحق يعني القران قالوا هذا سحر وانا به كافرون قوله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطايف واختلفوا في هذا الرجل العظيم فقيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود بالطايف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن

عبد يا ليل الثقفي من الطايف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن
الطايف حبيب بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم اهم يقسمون رحمت
ربك معناه ابايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وفيه الانكار
الدال على تجهيلهم والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة
ثم ضرب بهذا مثلا فقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا
اي نحن اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا
مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على
تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضايانا فاذا عجزوا عن الاعتراض في حكمنا في احوال
الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض
عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا
كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يعني لو انا سوينا بينهم في كل الاحوال
لم يخدم احد احدا ولم يصر منهم احد مسخرا لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب
العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر
الاغنيا باموالهم الاجرا الفقرا بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا
بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل بملك بعضهم بما له بعضا بالملك
ورحمة ربك يعني الجنة خير للمومنين مما يجمعون اي يجمع الكفار
من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته
يبقى ابد الاباد قوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي
لولا ان يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا راوا الكفار
في سعة من الخير والرزق لاعطينا الكفار اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو
قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج يعني
مصاعد ودرجات من فضة عليها يظهرون يعني يصعدون ويرتقون عليها
ولبيوتهم ابوابا اي من فضة وسررا اي وجعلنا لهم سررا من فضة
عليها يتكئون وزخرفا اي وجعلنا مع ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل
الزخرف الزينة من كل شي وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا يعني الذين
تركوا الدنيا يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضي لان الدنيا
سريعة الزوال والذهاب والاخرة عند ربك للمتقين يعني الجنة خاصة
للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة
ما اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد احد
بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على

اهلها

اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها يا رسول الله قال فان الدنيا اهون
على الله من هذه على اهلها اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب وقال
قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه من
الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الما اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب
م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن
وجنة الكافر قوله تعالى ومن يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه
نقيض له شيطانا اي نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه فهو
له قرين يعني لا يفارقه يزين له العمى ويخيل له انه على الهدى وانهم يعني
الشياطين ليصدونهم عن السبيل يعني يمنعونهم عن الهدى ويحسبون انهم
مهتدون يعني يحسب كفار بني ادم انهم على الهدى حتى اذا جاءنا يعني الكافر
وحده وقري جاءانا على التثنية يعني الكافر وقد جعلا في سلسلة واحدة قال
الكافر لقرينه الشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يعني
بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما على الاخر كما يقال للشمس والقمر
القمران ولابي بكر وعمر العمران وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق
الشتا والقول الاول اصح فبئس القرين يعني الشيطان قال ابو سعيد
الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار
ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم يعني اشركتم انكم في العذاب مشتركون يعني لا ينفعكم
الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيا لان كل واحد من الكفار والشياطين
له الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم انكم انتم وقرناؤكم
اليوم في العذاب مشتركون اي مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر
افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين يعني الكافرين الذين
حقت عليهم كلمة العذاب انهم لا يومنون قوله عز وجل فاما نذهبن بك اي
بان نميتك قبل ان نعذبهم فانا منهم منتقمون اي بالقتل او نرينك
اي في حياتك الذي وعدناهم اي من العذاب فانا عليهم مقتدرون اي قادرون
على ذلك متى شينا عذبناهم واراد بهم مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا
يفيد التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام منهم اما حال حياته
او بعد وفاته وهذا قول اكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون في امته وقد كانت
بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في امته ولكن اكرم الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم فذهب به ولم يره في امته الا الذي تقر به عينه وابقى
النقمة بعده وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ما يصيب امته بعده فما
روي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى فاستمسك بالذي اوحي اليك
يعني القران انك على صراط مستقيم اي على دين مستقيم لا يميل عنه الا ضال
وانه يعني القران لذكر لك اي لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسالون

يعني حقه واداء شكره وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل
لمن هذا الامر بعدك فلم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الاية فكان بعد ذلك اذا
سئل قال لقريش ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال
هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان خ عن معاوية قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه
الله على وجهه ما اقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذا
نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر
لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك ان ذلك ذكر لك بما اعطاك من النبوة والحكمة
ولقومك يعني المؤمنين بما هداهم الله به وسوف تسئلون يعني عن القرآن
وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من
رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون اختلف في هؤلاء المسئولين فروي عن ابن
عباس في رواية عنه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث له آدم وولده من المرسلين
فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال
له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال النبي صلى الله
لا اسأل فقد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع
له الرسل ليلة اسري به وامر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول
قال بعضهم هذه الاية نزلت ببيت المقدس ليلة اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
وقال اكثر المفسرين معناه سل مؤمني اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبياء
هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في اكثر الروايات عنه ومجاهد
وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير
لمشركي قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل قوله تعالى
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول
رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون اي استهزاء
وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها اي من قرينتها التي قبلها واخذناهم
بالعذاب اي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى وعذابا لهم وكانت كل واحدة
اكبر من التي قبلها لعلهم يرجعون اي عن كفرهم وقالوا يعني لموسى لما عاينوا
العذاب يا ايه الساحر اي العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك تعظيما
وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصفة ممدوحة وقيل معناه
يا ايها الذي غلبنا بسحره ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما اخبرنا عن عهده
اليك انا اذا امنا كشف عنا العذاب فسله ان يكشف عنا انا لمهتدون
اي لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فلما
كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون اي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ونادى

فرعون

فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي
يعني انهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين جناني
وبساتيني وقيل تجري بامري افلا تبصرون اي عظمتي وشدة ملكي ام انا
اي بل انا خير وليس بحرف عطف على قول اكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه
ثم ابتدأ فقال انا خير من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد
يبين يفصح بكلامه للثغة كانت في لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه اولا
وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به انه لا
قدرة له على الكلام فلولا ألقي عليه اي ان كان صادقا اسورة من ذهب
قيل انهم كانوا اذا سوروا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من
من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا القي عليه رب
موسى اسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته او جاء معه الملائكة مقترنين
اي متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره
قال الله تعالى فاستخف قومه يعني فرعون قومه يعني القبط اي وجدهم
جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل فاطاعوه اي على تكذيب موسى انهم كانوا
قوما فاسقين يعني حيث اطاعوا فرعون فيما استخفهم به فلما آسفونا اي
اغضبونا وهو في حق الله تعالى ارادة العقاب وهو قوله تعالى انتقمنا منهم
فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين يعني جعلنا المتقدمين من الماضين عبرة
لمن يجيء بعدهم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا قال ابن عباس نزلت هذه
الاية في مجادلة عبد الله بن الزبعري مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى
ابن مريم عليه السلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة الانبياء ومعنى الاية ولما ضرب عبد الله
ابن الزبعري عيسى ابن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى
اياه اذا قومك يعني قريشا منه يصدون اي من المثل يصدون اي يرتفع لهم ضجيج
وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا ما يريد منا الا ان نعبده ونتخذه الها
كما عبدت النصارى عيسى وقالوا أآلهتنا خير ام هو يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى ام هو يعني عيسى قالوا
يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن قد رضينا ان تكون آلهتنا
مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى ما ضربوه يعني هذا المثل
لك الا جدلا اي خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم هو الاصنام بل هم قوم خصمون اي
بالباطل عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم
بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون اخرجه الترمذي وقال حديث

حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال ان هو اي ما عيسى الا عبد انعمنا عليه
اي بالنبوة وجعلناه مثلا اي اية وعبرة لبني اسرائيل يعرفون به قدرة الله
على ما يشاء حيث خلقه من غير اب ولو نشاء لجعلنا منكم الخطاب لاهل مكة
ملائكة معناه لو شئنا لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الارض
يخلفون اي يكونون خلفا يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف
بعضهم بعضا وانه يعني عيسى لعلم للساعة يعني نزوله من اشراط الساعة
يعلم بها قربها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وفي رواية ابي داود ان رسول
صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي وانه نازل فيكم فاذا رايتموه فاعرفوه
فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم
يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية
ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ق عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم واماما منكم وفي رواية فامكم
منكم قال ابن ابي ذيب فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
ويروى انه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فياتي بيت المقدس
والناس في صلاة العصر فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس
ويقتل النصارى الا من امن به وقيل في معنى الاية وانه اي وان القران لعلم
للساعة اي يعلمكم قيامها ويخبركم باحوالها واهوالها فلا تمترن بها اي لا
تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون اي على التوحيد هذا
اي الذي انا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم اي لا يصرفنكم الشيطان عن
دين الله الذي امر به انه اي الشيطان لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات
قال قد جئتكم بالحكمة اي بالنبوة ولابين لكم بعض الذي تختلفون
فيه اي من احكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر
عيسى عليه السلام وقيل الذي جاء به عيسى الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا
فيه وبين لهم عيسى في غير الانجيل ما احتاجوا اليه فاتقوا الله واطيعون
اي فيما امركم به ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف
الاحزاب من بينهم اي اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى فويل للذين ظلموا من
عذاب يوم اليم هل ينظرون اي ينتظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة
اي فجاة والمعنى انها تاتيهم لا محالة وهم لا يشعرون الاخلاء اي على الكفر والمعصية
في الدنيا يومئذ يعني يوم القيامة بعضهم لبعض عدو اي ان الخلة اذا

كانت

كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة الا المتقين اي الا الموحدين المتحابين
في الله عز وجل والمجتمعين على طاعته روي عن علي بن ابي طالب في الاية قال
خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات احد المؤمنين فقال يا رب ان فلانا كان
يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني
ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني واذا مات
خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم
الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان
ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير
ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس
الصاحب قوله عز وجل يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
قيل ان الناس حين يبعثون ليس من احد منهم الا فزع فينادي مناد يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين
امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا
الجنة انتم وازواجكم تحبرون اي تسرون وتنعمون يطاف عليهم بصحاف من
ذهب جمع صحيفة وهي القصعة الواسعة واكواب جمع كوب وهو اناء مستدير
بلا عروة وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين عن عبد الرحمن بن
سابط قال قال رجل يا رسول الله صلى الله عليك وسلم هل في الجنة خيل
فاني احب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشا ان تركب فرسا من ياقوتة
حمرا فتطير بك في اي الجنة شئت الا فعلت وساله اخر فقال يا رسول الله
هل في الجنة من ابل فاني احب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال
ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذي
وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة
كثيرة منها تاكلون ورد في الحديث انه لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها ثمرة الا
نبتت مكانها مثلاها قوله تعالى ان المجرمين يعني المشركين في عذاب
جهنم خالدون لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون اي ايسون
من رحمة الله تعالى وما ظلمناهم اي وما عذبناهم بغير ذنب ولكن كانوا
هم الظالمين اي لانفسهم بما جنوا عليها ونادوا يا مالك اي يدعون مالكا
خازن النار ليقض علينا ربك اي ليمتنا ربك فنستريح والمعنى انهم يتوسلون
به ليسال الله لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة قال ابن عباس وقيل بعد مائة
وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم
اربعين عاما ثم يرد عليهم قال انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم
على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب لقد جئناكم
بالحق يقول ارسلنا لكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ولكن اكثركم

لكنهم كارهون ام ابرموا اي احكموا امرا في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم
فانا مبرمون اي محكمون امرا في مجازاتهم ان كادوا واشراكهم بمثله ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم
بلى نسمع ذلك كله ونعلمه ورسلنا يعني الحفظة من الملايكة لديهم يكتبون
قوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين معناه ان كان للرحمن
ولد في قولكم وعلى زعمكم فانا اول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له
وقال ابن عباس ان كان اي ما كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اي الشاهدين
له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد
له وقيل العابدين بمعنى الانفين اي انا اول الجاحدين المنكرين لما قلتم وانا اول
من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الاية ان كان للرحمن ولد
وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تستدلون بها فانا اول من
يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا
كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب
فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة
بكينونة الولد وهو محال في نفسها فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه
عن الولد فقال تعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون
اي عما يقولونه من الكذب فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا اي في دنياهم
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة وهو الذي في السما اله
وفي الارض اله اي هو الاله الذي يعبد في السما وفي الارض لا اله الا هو وهو
الحكيم اي في تدبير خلقه العليم اي بمصالحهم وتبارك الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين
يدعون من دونه الشفاعة قيل سبب نزولها ان النضر بن الحارث ونفرا معه
قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملايكة فهم احق بالشفاعة من
محمد فنزلت هذه الاية واراد بالذين يدعون من دونه الهتهم ثم استثنى
عيسى والعزير والملايكة بقوله الا من شهد بالحق لانهم عبدوا من دون الله
ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى والعزير والملايكة
فان الله تعالى لا يملك لاحد من هولا الشفاعة الا من شهد بالحق وهي كلمة الاخلاص
وهي لا اله الا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله وهم يعلمون اي
بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون ان الله خلق عيسى والعزير
والملايكة ويعلمون انهم عباده ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله يعني
انهم اذا اقروا بان الله خالق العالم باسره فكيف اقدموا على عبادة غيره فانى
يوفكون اي يصرفون عن عبادته الى غيره وقيله يا رب يعني قول محمد
صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يا رب ان هولا قوم لا يومنون قال ابن عباس

تشكى

شكى الى الله تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه
فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وفي ضمنه منعه من ان يدعو عليهم بالعذاب
وقل سلام معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم فسوف
يعلمون اي عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق
وقال مقاتل نسختها اية السيف والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه ..

تفسير سورة الدخان

وهي مكية وهي سبع وقيل تسع وخمسون اية وثمانماية وست واربعون كلمة
والف واربعماية واحد وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم والكتاب المبين اي المبين ما يحتاج اليه الناس من
حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام انا انزلناه في ليلة مباركة قيل هي
ليلة القدر انزل الله فيها القران جملة من اللوح المحفوظ الى سما الدنيا ثم
نزل به جبريل نجوما على حسب الوقايع في عشرين سنة وقيل هي ليلة
النصف من شعبان عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سما الدنيا فيغفر
لاكثر من عدد شعر غنم كلب اخرجه الترمذي انا كنا منذرين اي
مخوفين عقابنا فيها اي في تلك الليلة المباركة يفرق اي يفصل كل امر
حكيم اي محكم قال ابن عباس يكتب في ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كاين
في السنة من الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان
ويحج فلان وقيل هي الليلة النصف من شعبان يبرم فيها امور السنة وينسخ
الاحيا من الاموات وروى البغوي بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع
الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه
في الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان
ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر امرا اي انزلناه امرا من عندنا انا كنا
مرسلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبيا رحمة من
ربك قال ابن عباس رافة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من
الرسل وقيل انزلناه في ليلة مباركة ورحمة من ربك انه هو السميع
اي لاقوالهم العليم اي باحوالهم رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين اي ان الله رب السموات والارض وما بينهما لا اله الا
هو يحيي ويميت ربكم ورب ابايكم الاولين قوله تعالى بل هم
في شك يعني من هذا القران يلعبون اي يهزون به لاهون عنه
فارتقب اي يا محمد يوم تاتي السما بدخان مبين يغشى الناس
هذا عذاب اليم عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود

وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان قاصا عند باب كندة
يقص ويزعم ان اية الدخان تجيء فتاخذ بانفاس الكفار وياخذ المومنين منها
كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان يا ايها الناس اتقوا الله من
علم منكم شيئا فليقل به ومن لا يعلم شيئا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول
لما لا يعلم الله اعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى من الناس
ادبارا قال اللهم سبع كسبع يوسف وفي رواية لما دعى قريشا فكذبوه واستعصوا
عليه قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شيء حتى
اكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر الى السما فيرى احدهم كهيئة الدخان
فاتاه ابو سفيان وقال يا محمد انك جئت تامر بطاعة الله وبصلة الرحم
وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تاتي
السما بدخان مبين الى قوله عايدون قال عبد الله افيكشف عذاب الاخرة
يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية
للبخاري قالوا **ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون** فقيل له ان كشفناه
عنهم فعادوا الى كفرهم فدعا ربك فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر وذلك
قوله فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت
كل شيء بالحا والصاد المهملتين اي حلقت واهلكت واستاصلت كل شيء **ق** عن
عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر
والدخان وقيل اصابهم من الجوع كالظلمة في ابصارهم وذلك انه في سنة القحط العظيم
تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهوى والجو وذلك يشبه
الدخان وقيل هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يات بعد فيدخل في اسماع الكفار
والمنافقين حتى يكون راسه كالراس الحنيذ يعني المشوي ويعتري المومن
كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار وهو قول ابن عباس
وابن عمر والحسن ويدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى
ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا
قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الاية يوم تاتي السما
بدخان مبين يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن
فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه
واذنيه ودبره **اني لهم الذكرى** اي كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة
وقد جاءهم رسول مبين معناه وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الطاعة
وهو ما ظهر على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والايات
الباهرات **ثم تولوا عنه** اي اعرضوا عنه **وقالوا معلم** اي يعلمه بشر **مجنون**

اي

اي يلقنون اليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي **انا كاشفوا العذاب**
اي الجوع **قليلا** اي زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر **انكم عايدون** اي الى كفركم
يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر **انا منتقمون** اي منكم في ذلك اليوم
وهو قول ابن مسعود واكثر العلما وفي رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة
قوله تعالى **ولقد فتنا قبلهم** اي قبل هولا **قوم فرعون وجاءهم رسول**
كريم اي على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام **ان ادوا الي عباد الله**
اي اطلقوا الي بني اسرايل ولا تعذبوهم **اني لكم رسول امين** اي على الوحي
وان لا تعلوا على الله اي لا تتجبروا عليه بترك الطاعة **اني اتيكم بسلطان**
مبين اي ببرهان بين على صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال
واني عذت بربي وربكم ان ترجمون اي تقتلون وقال ابن عباس تشتمون
وتقولون هو ساحر وقيل ترجموني بالحجارة **وان لم تومنوا لي فاعتزلون**
اي فاتركون لا معي ولا علي وقال ابن عباس اعتزلوا اذاي باليد واللسان فلم
يومنوا **فدعا ربه ان هولا قوم مجرمون** اي مشركون **فاسر بعبادي ليلا**
اي اجاب الله دعاه وامره ان يسري ببني اسرايل بالليل **انكم متبعون**
اي يتبعكم فرعون وقومه **واترك البحر** اي اذا قطعتموه انت واصحابك
رهوا اي ساكنا والمعنى لا تامره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون
وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه
بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده وقيل لموسى اترك البحر كما هو **انهم**
جند مغرقون يعني اخبر موسى انه يغرقهم ليطمئن قلبه في تركه البحر كما هو **كم تركوا**
اي بعد الغرق **من جنات وعيون وزروع ومقام كريم** اي مجلس
شريف حسن **ونعمة** اي وعيش لين رغيد **كانوا فيها فاكهين** اي في تلك
النعمة اي ناعمين وقرى فكهين اي اشرين بطرين **كذلك** اي افعل بمن عصاني
واورثناها قوما اخرين يعني بني اسرايل **فما بكت عليهم السما والارض**
وذلك ان المومن اذا مات تبكي عليه السما والارض اربعين صباحا وهولا لم يكن
لهم عمل صالح تبكي السما على فقده ولا لهم عمل على الارض عمل صالح فتبكي الارض
عليه عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن الا وله
بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك
قوله تعالى فما بكت عليهم السما والارض وما كانوا منظرين اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاوها حمرة اطرافها
قال مجاهد ما مات مومن الا بكت عليه السما والارض اربعين صباحا فقيل
او تبكي فقال وما للارض ان لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود
وما للسما لا تبكي على عبد كان تسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل
وقيل المراد اهل السما واهل الارض **وما كانوا منظرين** اي لم يمهلوا حين

اخذتهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل ولقد نجينا بني اسرائيل من
العذاب المهين اي من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب في العمل من فرعون
انه كان عاليا اي جبارا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم اي علمه الله
تعالى فيهم على العالمين اي على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين
اي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التي
انعمنا بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة ان هؤلاء يعني مشركي مكة
ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي لا موتة لنا الا هذه التي نموتها في الدنيا
ولا بعث بعدها وهو قوله وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعد موتتنا هذه
فأتوا بآبائنا الذين ماتوا قبل ان كنتم صادقين اي انا نبعث احياء بعد الموت
قيل طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم
مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى اهم خير ام قوم تبع اي ليسوا خيرا من
قوم تبع يعني في الشدة والقوة والكثرة وقيل هو تبع الحميري وكان من ملوك
اليمن وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا سمي تبعا لكثرة اتباعه لانه يتبع
صاحبه الذي قبله كما يسمى في الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم
ودعى قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم اخرجه احمد بن حنبل
في مسنده وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري تبعا
كان نبيا او غير نبي وعن عائشة قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وكان
من قصته ٢ عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو ابو كرب اسعد بن ملك وكان
سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل
طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بها ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو
مجمع على خرابها واستئصال اهلها فجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا بذلك
من امره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه
ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينا هو كذلك اذ جاءه حبران عالمان من احبار بني قريظة
وكانا ابني عم اسم احدهما كعب والآخر اسد حين سمعا ما يريد من اهل المدينة
فقالا له ايها الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم
نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش
اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذي انت فيه يكون به من
القتل والجراح امر كبير في اصحابه وفي عدوهم قال تبع من يقاتله وهو نبي
قالا يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة
ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة
وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه في الطريق نفر من هذيل
وقالوا له انا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال اي بيت

٢ كما في حل عن خازن وغيره وذكره عكرمة

هذا

هذا قالوا البيت بمكة وانما اراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده احد بسوء
الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله في الارض بيتا غير هذا
البيت الذي بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق راسك وما اراد
القوم الا هلاكك وما ناواه احد قط الا هلك فاكرمه واصنع عنده ما تصنعه
اهله فلما قالوا له ذلك اخذ اولئك النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم
وسمل اعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل بالشعب شعب المطابخ وكسى
البيت الوصايل وهي برود تنسج باليمن وهو اول من كسى البيت ونحر بالشعب
ستة الاف بدنة واقام به ستة ايام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنى من
اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وانت
قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا
الى النار وكانت باليمن نار في اسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل
الظالم ولا تضر المظلوم قال تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم وما يتقربون
به في دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما في اعناقهما حتى قعدوا للنار عند
مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار فاقبلت النار حتى غشيتهم واكلت الاوثان
وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان
التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها
الذي تخرج منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هناك كان اصل اليهودية
باليمن قال الرقاشي كان ابو كرب اسعد الحميري من التتابعة ممن آمن بالنبي
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه
ولم يذمه قوله تعالى والذين من قبلهم اي من الامم الكافرة اهلكناهم
انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق اي بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على
المعصية ولكن اكثرهم لا يعلمون قوله عز وجل ان يوم الفصل الذي
يفصل فيه بين العباد ميقاتهم اجمعين اي يوافي يوم القيامة الاولون
والآخرون يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا اي لا ينفع قريب قريبه ولا
يدفع عنه شيئا ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله الا من رحم الله
يعني المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض انه هو العزيز اي في انتقامه من
اعدائه الرحيم اي باوليائه المؤمنين قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم اي ذوي الاثم وهو ابو جهل كالمهل اي كدردي الزيت الاسود تغلي
في البطون اي في بطون الكفار كغلي الحميم يعني كالماء الحار اذا اشتد غليانه
عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت
فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه اخرجه الترمذي وقال لا نعرفه
الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا
لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه اخرجه الترمذي
وقال الحديث حسن صحيح قوله تعالى خذوه اي يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم
فاعتلوه اي ادفعوه وسوقوه بالعنف الى سواء الجحيم اي الى وسط النار ثم
صبوا فوق راسه من عذاب الحميم قيل ان خازن النار يضرب راسه فينقب
راسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له ذق اي هذا العذاب
انك انت العزيز الكريم اي عند قومك بزعمك وذلك ان ابا جهل كان يقول
انا اعز اهل الوادي واكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف
والتوبيخ ان هذا ما كنتم به تمترون اي تشكون فيه ولا تؤمنون ثم ذكر
مستقر المتقين فقال تعالى ان المتقين في مقام امين يعني في مجلس
امنوا فيه من الغير في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق
قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو معرب استبره
فان قلت كيف ساغ ان يقع في القران العربي المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرف
خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه
وتغييره عن منهاجه واجرائه الى وجه الاعراب متقابلين اي يقابل بعضهم
بعضا كذلك اي كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس
كذلك واكرمناهم بان زوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن ليس من عقد
التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اي جعلناهم اثنين اثنين والحور هن
النساء النقيات البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل
الحور الشديدات بياض العينين يدعون فيها بكل فاكهة يعني ارادوا
واشتهوها امنين اي من نفادها ومن مضرتها وقيل امنين فيها من
الموت والاوصاب والشيطان لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
اي لا يذوقون في الجنة الموت البتة سوى الموتة التي ذاقوها وقيل انما
استثنى الموتة من دون الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله
الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان يرون منازلهم في الجنة فكان
موتهم في الدنيا كانهم في الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها ووقاهم
عذاب الجحيم فضلا من ربك يعني كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من
عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك تفضلا
منه ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك اي سهلنا القران على
لسانك كناية عن غير مذكور لعلهم يتذكرون اي يتعظون فارتقب اي
انتظر النصر من ربك وقيل ارتقب لهم العذاب انهم مرتقبون اي منتظرون
قهرك بزعمهم وقيل منتظرون سوءك وقيل هذه الاية منسوخة باية السيف

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في
ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب
وعمر بن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة الجمعة غفر له
اخرجه الترمذي وقال هشام ابو المقدام احد رواته ضعيف والله اعلم

تفسير سورة الجاثية وتسمى الشريعة

وهي مكية وهي سبع وثلاثون اية واربعمائة وثمان وثمانون كلمة والفان
ومائة واحدى وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات
والارض اي ان في خلق السموات والارض ومما خلقا لعظمهما يدل لان على
قدرة القادر المختار وهو قوله لايات للمؤمنين وفي خلقكم اي وفي خلق
انفسكم من تراب ثم من نطفة الى ان يصير انسانا ذا عقل وتمييز وما يبث
من دابة اي وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات على اختلاف اجناسها في
الخلق والشكل والصورة ايات اي دلالات تدل على وحدانيته من خلقها
وانه لا اله الا الخالق المختار لقوم يوقنون يعني لا اله الا هو واختلاف
الليل والنهار يعني بالظلام والضياء والطول والقصر وما انزل الله من
السماء من رزق يعني المطر الذي هو سبب ارزاق العباد فاحيا به اي بالمطر
الارض بعد موتها اي بعد يبسها وتصريف الرياح اي في مهابها فمنها الصبا
والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك ايات لقوم
يعقلون فان قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله لايات للمؤمنين ولقوم
يوقنون ويعقلون قلت ان المنصفين من العباد اذا نظروا في هذه الدلايل
النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا به واقروا
انه لا اله الا القادر على كل شيء ثم اذا امعنوا النظر ازدادوا يقينا وزال
عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله
مراده في اسرار كتابه تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث
بعد الله اي بعد كتاب الله واياته يؤمنون قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم
اي كذاب صاحب اثم يعني النضر بن الحارث يسمع ايات الله يعني ايات القران
تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من
اياتنا شيئا يعني ايات القران اتخذها هزوا اي سخر منها اولئك اشارة الى
من هذه صفته لهم عذاب مهين ثم وصفه فقال تعالى من ورائهم جهنم يعني
امامهم جهنم وذلك خزيهم في الدنيا ولهم في الاخرة النار ولا يغني عنهم
ما كسبوا اي من الاموال شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي ولا

يعني عنهم ما عبدوا من دون الله من الالهة ولهم عذاب عظيم هذا يعني القران هدى
اي هو هدى من الضلالة والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله
الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله اي بسبب
التجارة واستخراج منافعه ولعلكم تشكرون نعمته على ذلك وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض يعني انه تعالى خلقها ومنافعها فهي مسخرة لنا من حيث اننا ننتفع بها
جميعا منه قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قوله عز وجل قل للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافون وقايع الله ولا يبالون نقمته قال
ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر ان
يبطش به فانزل الله هذه الاية وامره ان يعفو عنه وقيل نزلت في ناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في اذى شديد من المشركين
قبل ان يومروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
هذه الاية ثم نسخها باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي من
الاعمال ثم فسر ذلك فقال من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها ثم الى
ربكم ترجعون قوله تعالى ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب يعني التوراة والحكم
يعني معرفة احكام الله والنبوة ورزقناهم من الطيبات اي من الحلالات وهو ما
وسع عليهم في الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون وديارهم وانزل عليهم المن والسلوى
وفضلناهم على العالمين اي على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد في زمانهم
اكرم على الله ولا احب اليه منهم واتيناهم بينات من الامر اي بيان الحلال والحرام
وقيل العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره فما
اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم معناه التعجب من حالهم
وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجيء العلم سببا لحصول
الاختلاف وذلك انه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وان كان مقصودهم
منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا واظهروا النزاع والحسد
والاختلاف ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
ثم جعلناك يا محمد على شريعة اي طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى من الامر
اي من الدين فاتبعها اي اتبع شريعتك الثابتة ولا تتبع اهوا الذين لا يعلمون
يعني مراد الكافرين وذلك لانهم كانوا يقولون له ارجع الى دين ابايك فانهم كانوا
افضل منك فقال الله تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيا اي لن يدفعوا
عنك من عذاب الله شيا ان اتبعت اهواهم وان الظالمين بعضهم اوليا بعض
يعني ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الاخرة والله ولي
المتقين اي هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الاخرة هذا يعني القران
بصاير للناس اي معالم للناس في الحدود والاحكام يبصرون به وهدى

ورحمة

ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيات اي اكتسبوا
المعاصي والكفر ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات نزلت في نفر من
مشركي مكة قالوا للمومنين لان كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الاخرة
كما فضلنا في الدنيا سواء محياهم ومماتهم معناه احسبوا ان حياة الكافر
ومماتهم كحياة المومنين ومماتهم سوا كلا والمعنى ان المومن مومن في حياته ومماته
في الدنيا والاخرة والكافر كافر في حياته ومماته في الدنيا والاخرة وشتان
ما بين الحالتين في الحال والمال سا ما يحكمون اي بيس ما يقضون قال مسروق
قال لي رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الداري ولقد رايته قام ليلة
حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي ام
حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم وخلق الله السموات والارض
بالحق اي بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ومعنى الاية
لان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في
يوم القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات
قوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه
فلا يهوى شيا الا ركبه لانه لا يومن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله
وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة
والذهب والفضة فاذا راوا شيا احسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا
الاخر وقيل انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار واضله الله على علم
اي على ما علم منه لعاقبة امره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل ان يخلقه
وختم على سمعه وقلبه اي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه وجعل على بصره
غشاوة اي ظلمة فهو لا يبصر الهدى فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ان
اضله الله افلا تذكرون قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الاية
عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياهم عن الهدى حين اخبر انه ختم على سمعه
وقلبه وبصره وقالوا يعني منكري البعث ما هي الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيى اي يموت الاباء ويحيى الابناء وقيل تقديره نحيى ونموت وما يهلكنا
الا الدهر اي وما يفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار وما لهم
بذلك من علم اي لم يقولوه عن علم علموه ان هم الا يظنون ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يوذيني ابن ادم
بسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر ويقول يا خيبة الدهر فلا يقولن
احدكم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شيت قبضتهما
وفي رواية يسب ابن ادم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى
الاحاديث ان العرب كان من شانها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم
كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصايب والمكاره فيقولون اصابتهم

قوارع الدهر واباديهم الدهر كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر
فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدايد وسبوا فاعلها فكان مرجع سبهم
الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر لا الدهر
فنهوا عن سب الدهر وقيل قال لهم لا تنسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل
والدهر مصرف فيه يقع به التاثيرات كما يقع بكم والله اعلم قوله تعالى واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا باباينا ان كنتم صادقين
معناه ان منكرى البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فاتوا باباينا الذين ماتوا
يشهدوا لنا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة
لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم
تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون يعني في ذلك اليوم يظهر خسران اصحاب
الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار وترى كل امة جاثية اي باركة وهي
جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضا قال سلمان الفارسي ان في القيامة
ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثيا على الركب حتى ابراهيم ينادي ربه لا اسيلك
الا نفسي كل امة تدعى الى كتابها اي الذي فيه اعمالها ويقال لهم اليوم تجزون
ما كنتم تعملون اي من خير او شر هذا كتابنا يعني ديوان الحفظة فان قلت كيف
اضاف الكتاب اليهم اولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت
لا منافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب اعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو امر
الحفظة بكتبته ينطق عليكم بالحق اي يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل
المراد بالكتاب اللوح المحفوظ انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي نامر الملايكة
بنسخ اعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اي ناخذ نسخته وذلك ان
الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح
منه اللغو نحو قوله هلم واذهب وقيل الاستنساخ في اللوح المحفوظ تنسخ الملايكة
كل عام ما يكون من اعمال بني ادم والاستنساخ ما يكون الا من اصل فينسخ كتاب
من كتاب فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي
جنته ذلك هو الفوز المبين اي الظفر الظاهر واما الذين كفروا اي يقال
لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم يعني ايات القران فاستكبرتم اي عن الايمان بها
وكنتم قوما مجرمين يعني كافرين منكرين قوله عز وجل واذا قيل ان وعد الله
حق اي البعث كاين والساعة لا ريب فيها اي لا شك في انها كاينة قلتم ما ندري
ما الساعة اي انكرتموها وقلتم ان نظن الا ظنا اي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما
وما نحن بمستيقنين انها كاينة وبدا لهم اي في الاخرة سيات ما عملوا اي في
الدنيا والمعنى بدا لهم جزا سياتهم وحاق بهم اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون
وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقا يومكم هذا اي تركتم الايمان والعمل للقا
هذا اليوم وماواكم النار وما لكم من ناصرين اي ما لكم من مانعين يمنعونكم من

العذاب ذلكم اي هذا الجزا بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا
اي حين قلتم لا بعث ولا حساب فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولا هم
يستعتبون اي لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل
ذلك اليوم عذر ولا توبة فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شي من السموات والارض والعالمين
وان مثل الربوبية العامة يوجب الحمد والثنا على كل احد وله الكبريا اي وكبروه
فان له الكبريا والعظمة في السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم وهو
العزيز الحكيم م عن ابي سعيد وابي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
العز ازاره والكبريا رداوه فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم واخرجه البرقاني وابو
مسعود عنهما يقول الله عز وجل العز ازاري والكبريا ردايي فمن نازعني شيا منهما
عذبته ولابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبريا
ردايي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار شرح الحديث
قيل هذا الكلام خرج على عادة العرب في بديع استعاراتهم وذلك انهم يكنون
عن الصفة اللازمة بالثوب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب
الله عز وجل الازار والردا مثلا له في انفراده بصفة الكبريا والعظمة والمعنى
انهما ليسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم
وغيرهما وشبههما بالازار والردا لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الردا الانسان
ولانه لا يشاركه في ازاره وردايه احد فكذا الله تعالى لا ينبغي ان يشاركه فيهما احد
لانهما من الصفات اللازمة له المختصة به التي لا تليق لغيره والله تعالى اعلم بمراده

تفسير سورة الاحقاف

وهي مكية قيل غير قوله قل ارايتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
فانهما نزلتا بالمدينة وهي اربع وقيل خمس وثلثون اية وستماية واربع وتسعون
كلمة والفان وخمسماية وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق اي بالعدل واجل مسمى يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي
ينتهي اليه فنا السموات والارض والذين كفروا عما انذروا اي خوفوا به في القران
من البعث والحساب معرضون اي لا يومنون به قل ارايتم ما تدعون من دون
الله يعني الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني
بكتاب من قبل هذا اي بكتاب جاءكم من الله قبل القران فيه بيان ما تقولون
او اثارة من علم اي بقية من علم يوثر عن الاولين ويسند اليهم ويوثر عنهم وقيل
برواية عن علم الانبيا وقيل علامة من علم وقيل هو خط كانت العرب تخطه في الارض
وهو العيافة ان كنتم صادقين ان لله شريكا ومن اضل ممن يدعوا من دون الله

من لا يستجيب له يعني الاصنام لا تجيب عابديها الى شيء يسالونها الي يوم القيامة
يعني لا تجيب ابدا ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون يعني لانها جمادات
لا تسمع ولا تفهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا وكانوا بعبادتهم كافرين
اي جاحدين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم
هذا سحر مبين سموا القران سحرا ام يقولون افتراه اي اختلق محمد القران
من قبل نفسه قال الله عز وجل قل يا محمد ان افتريته فلا تملكون لي من
الله شيا اي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه ان عذبني على افترائي فكيف افتري
على الله من اجلكم هو اعلم اي الله اعلم بما تفيضون فيه اي تخوضون فيه من
التكذيب بالقران والقول فيه انه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم اي ان القران
جا من عنده وهو الغفور الرحيم اي في تاخير العذاب وقيل هو دعاؤهم الى التوبة
ومعناه انه الغفور لمن تاب منكم الرحيم به قوله تعالى قل يا محمد ما كنت بدعا
اي بديعا من الرسل اي لست باول مرسل فقد قبلي كثير من الانبيا فكيف تنكرون
نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اختلف العلما في معنى هذه الاية فقيل
معناه ما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة فلما نزلت هذه الاية فرح
المشركون وقالوا واللات والعزي ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد
وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من عند نفسه
لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة هنيا لك يا رسول الله قد علمت ما
يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار الاية وانزل وبشر المومنين بان لهم من الله
فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول انس وقتادة والحسن
وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران ذنبه
عام الحديبية فنسخ ذلك خ عن خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلا امراة
من الانصار كانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته انه اقتسم المهاجرون
قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه في ابياتنا فوجع وجعه الذي
توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في اثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا السائب فشهادتي عليك لقد اكرمك
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابي
انت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما هو فقد جاءه اليقين والله اني لارجو له الخير والله ما ادري وانا رسول الله
ما يفعل بي قالت والله لا ازكي بعده احدا يا رسول الله قالت ورايت لعثمان
في النوم عينا تجري فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال
ذلك عمله وفي رواية غير البخاري قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت

الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون رفيه والله ما ادري وانا رسول الله
ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا
واما في الاخرة فقد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار فعلى هذا الوجه
فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلا باصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم راي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة ارضا ذات سباخ
ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له اصحابه متى تهاجر الى الارض التي اريت فسكت
فانزل الله هذه الاية وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اانزل في مكاني ام اخرج انا
واياكم الى الارض التي رفعت لي وقيل لا ادري الى ما ذا يصير امري وامركم
في الدنيا اما انا فلا ادري اخرج كما اخرجت الانبيا من قبلي ام اقتل كما قتل
بعض الانبيا من قبلي واما انتم ايها المصدقون فلا ادري اتخرجون معي ام
تتركون لما ذا يفعل بكم وما ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة
من السما ام تخسف بكم ام اي شيء يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم اخبره
الله تعالى انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبامته
وقيل معناه ما ادري الى ما يصير امري وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم
اخبره انه يظهر دينه على الاديان وامته على سائر الامم ان اتبع الا ما يوحى
الي معناه ما اتبع غير القران الذي يوحى الي وما ابتدع من عندي شيا
وما انا الا نذير مبين اي انذركم العذاب وابين لكم الشرايع قل ارايتم
اي اخبروني ما ذا تقولون ان كان من عند الله يعني القران وكفرتم به
ايها المشركون وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي انه من عند الله
فامن يعني الشاهد واستكبرتم اي عن الايمان به والمعنى اذا كان
الامر كذلك اليس قد ظلمتم وتعديتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام امن بالنبي صلى الله
عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يومنوا يدل عليه ما روي عن
انس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله المدينة وهو في ارض
يخترف النخل فاتاه وقال اني سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط
الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة ومن اي شيء ينزع الولد الى ابيه ومن اي
شيء ينزع الولد الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن انفا
جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملايكة فقرا هذه الاية من
كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول
اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله
اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه في الولد فاذا الرجل اذا غشي المراة

فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله
ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت اذ علموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني
عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله بن سلام فقالوا اعلمنا وابن اعلمنا واخيرنا
وابن اخيرنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم افرايتم ان اسلم عبد الله قالوا
اعاذه الله من ذلك زاد في رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك فخرج عبد الله
ابن سلام اليهم فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا
شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد في رواية فقال يعني عبد الله بن سلام هو الذي
كنت اخاف يا رسول الله اخرجه البخاري في صحيحه ق عن سعد بن ابي وقاص
قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي على الارض انه من
اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله قال الرازي لا ادري قال مالك الاية او في الحديث وقال الشاهد هو
موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق في هذه الاية والله ما نزلت في عبد الله
ابن سلام لان الحم نزلت بمكة واسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الاية
في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القران التوراة
فشهد موسى على التوراة ومحمد على القران وكل يصدق الاخر فيكون المعنى
وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القران انها من عند الله كما شهد محمد
صلى الله عليه وسلم على القران انه كلام الله فامن من امن بموسى والتوراة
واستكبرتم انتم يا معشر العرب ان تؤمنوا بمحمد والقران ان الله لا يهدي القوم
الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير
قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين بل تكونوا
ضالين قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني اليهود للذين امنوا لو كان
خيرا يعني دين محمد صلى الله عليه وسلم ما سبقونا اليه يعني عبد الله
ابن سلام واصحابه وقيل نزلت في مشركي مكة وقالوا لو كان ما يدعونا
اليه محمد خيرا ما سبقونا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان
قالوا للذين امنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقونا
اليه رعاء البهم قال تعالى واذ لم يهتدوا به اي القران كما اهتدى اهل الايمان
فسيقولون هذا افك قديم اي كذب متقدم ومن قبله اي من قبل
القران كتاب موسى يعني التوراة اماما اي جعلناه اماما يقتدى
به ورحمة اي من الله لمن امن به وهذا كتاب يعني القران مصدق اي
للكتاب الذي قبله لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا يعني مشركي مكة
وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون
تقدم تفسيره قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي

يوصل

اي يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة حملته امه كرها يعني حين اثقلت وثقل
عليها الولد ووضعته كرها يعني شديدة الطلق وحمله وفصاله ثلاثون
شهرا يعني ومدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل
مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس
اذا حملت المراة تسعة اشهر ارضعت احدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر
ارضعت اربعة وعشرين شهرا حتى اذا بلغ اشده اي نهاية قوته وغاية شبابه
واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة وهو قوله تعالى وبلغ اربعين
سنة قيل نزلت هذه الاية في سعد بن ابي وقاص وقد تقدمت القصة
وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك
انه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم
ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي
صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال
له الراهب من الرجل الذي في ظل الشجرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى احد الا هذا
وهو نبي اخر الزمان فوقع في قلب ابي بكر التصديق واليقين وكان لا يفارق النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين
سنة اكرمه الله بنبوته واختصه برسالته امن به ابو بكر وصدقه وهو ابن
ثمان وثلاثين فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل فقال قال رب اوزعني
اي الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي بالايمان والهداية
وقال علي بن ابي طالب في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي بكر
اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين اسلم ابواه غيره اوصاه الله بهما
ولزم ذلك من بعده وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجابه الله تعالى
فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الا
اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله تعالى
فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع لابي بكر اسلام ابويه ابوه ابو قحافة عثمان
ابن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن
ابو عتيق محمد فهؤلاء اربعة ابو بكر وابوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم
ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم واسلم ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابي بكر
وقوله اني تبت اليك اي رجعت اليك الى كل ما تحب واني من المسلمين
اي واسلمت بقلبي ولساني اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني
اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن والاحسن بمعنى الحسن
فيثيبهم عليها ونتجاوز عن سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها في اصحاب الجنة
اي مع اصحاب الجنة وعد الصدق اي الذي وعدهم بان يتقبل حسناتهم

ونتجاوز عن سيئاتهم ووعده صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة الذي كانوا يوعدون
اي في الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والذي قال لوالديه
اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت اف لكما وهي كلمة كراهية
اتعدانني ان اخرج اي من قبري حيا وهما يستغيثان الله اي يستصرخان بالله عليه
ويقولان له ويلك آمن ان وعد الله حق اي بالبعث فيقول ما هذا اي الذي
تدعوني اليه الا اساطير الاولين قال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن ابي
بكر الصديق قبل اسلامه وكان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى ويقول احيوا
لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسئلهم عما تقولون
وانكرت عايشة ان يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن ابي بكر خ عن يوسف بن ماهك
قال كان ابن مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية
لكي يبايع له فقال عبد الرحمن بن ابي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عايشة فلم
يقدروا عليه فقال مروان ان هذا الذي انزل الله فيه والذي قال لوالديه اف
لكما فقالت عايشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيئا من القران الا ما انزل
الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الاية شخص
معين بل المراد كل شخص موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح
والايمان بالبعث فابى وانكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول
من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى اولئك
الذين حق عليهم اعلم ان هؤلا قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن
من افاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب اي وجب عليهم العذاب
القول في امم اي مع امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
ولكل درجات مما عملوا قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن
تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين
والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم
فيجازيهم عليها وقيل درج الجنة تذهب الى علو ودرج النار تذهب الى سفل
وليوفيهم اعمالهم اي جزاء اعمالهم وهم لا يظلمون قوله عز وجل ويوم يعرض
الذين كفروا على النار اي يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها يعني ان كل ما قدر لكم من الطيبات
واللذات فقد افنيتموه في الدنيا وتمتعتم بها فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم
منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون اي الذي فيه ذل وخزي بما كنتم
تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون علق هذا العذاب
بامرين احدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل ان يكون عن الايمان والثاني
الفسق وهي المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من الجوارح فصل
لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه

والصالحين

والصالحين بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الاخرة ق عن عمر بن الخطاب
قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبه
فقلت استأنس يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فجلست فرفعت راسي في
البيت فوالله ما رايت فيه شيئا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت ادع الله ان
يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا
ثم قال افي شك يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت
استغفر لي يا رسول الله ق عن عايشة قالت ما شبع آل محمد من خبز شعير
يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عنها قالت كان يأتي
علينا الشهر لا نوقد نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا ان نؤتى باللحيم وفي
رواية اخرى انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد
في ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار فقال لعروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم
قالت الاسودان التمر والماء الا انه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران
من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
البانها فيسقيناه صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز
الشعير اخرجه الترمذي وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد اخفت في الله ما لم يخف احد واوذيت في الله ما لم يؤذ احد ولقد اتى علي
ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام الا شيء يواري ابط بلال خ عن
ابي هريرة قال رايت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار
واما كساء قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين
فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته خ عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن
بن عوف اتي بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في
بردة ان غطي راسه بدت رجلاه وان غطي رجلاه بدا راسه قال واراه قال
وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا
ما بسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل
يبكي حتى ترك الطعام موقوفا لجابر بن عبد الله راى عمر بن الخطاب لحما معلقا
في يدي فقال ما هذا يا جابر فقلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر او كلما
اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الاية اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
قوله تعالى واذكر اخا عاد يعني هودا عليه السلام اذ انذر قومه
بالاحقاف قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل
عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع
واذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا
احياء باليمن وكانوا اهل رمل مشرفين الى البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف

جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون
جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل **وقد خلت النذر** اي مضت الرسل
من بين يديه اي من قبل هود **ومن خلفه** من بعده **الا تعبدوا الا الله اني
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** والمعنى ان هودا قد انذرهم بذلك واعلمهم
ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو
انذاره **قالوا اجئتنا لتافكنا** اي لتصرفنا **عن الهتنا** اي عبادتها **فاتنا
بما تعدنا** اي من العذاب **ان كنت من الصادقين** يعني ان العذاب نازل بنا
قال يعني هودا **انما العلم عند الله** يعني هو يعلم متى ياتيكم العذاب **وابلغكم
ما ارسلت به** يعني من الوحي الذي انزله الله علي وامرني بتبليغه اليكم **ولكني
اراكم قوما تجهلون** يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم **فلما راوه** يعني راوا
ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى **عارضا** يعني سحابا عارضا
وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السما ثم يطبق السما **مستقبل اوديتهم**
وذلك انه خرج عليهم سحابة سودا من ناحية واد يقال له المغيث وقد كان
حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما راوا تلك السحابة استبشروا بها ثم **قالوا
هذا عارض ممطرنا** قال الله ردا عليهم **بل هو ما استعجلتم به** يعني من العذاب
ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى **ريح فيها عذاب اليم** ثم وصف الريح
فقال تعالى **تدمر كل شي بامر ربها** يعني تهلك كل شي مرت به من رجال عاد
واموالهم بينا ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى
كانها جرادة فلما راوا ذلك دخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجات الريح فقلعت
الابواب وصرعتهم وامر الله الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل
سبع ليال وثمانية ايام ولهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم
واحتملتهم فرمت بهم في البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على
نفسه وعلى من معه من المومنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح
التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام
وقيل ان الله تعالى امر خازن الريح ان يرسل عليهم مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا
بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة **ق** عن عايشة قالت ما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد
في رواية وكان اذا راى غيما عرف في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم
فرحوا رجا ان يكون فيه المطر واراك اذا رايت غيما عرف في وجهك الكراهة فقال
يا عايشة وما يومنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد راى قوم
العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا راى مخيلة في السما اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت
السما سري عنه فعرفته عايشة ذلك فقال وما ادري لعله كما قال قوم هود

فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الاية وفي رواية قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما فيها
وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا تخيلت
السما تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت السما سري عنه فعرفت
ذلك عايشة فسالته فقال لعله يا عايشة كما قال قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل
اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحابة الذي يظن فيه مطر وتخيلت
السما اذا تغيمت وقولها سري عنه اي كشف وازيل ما كان به من الغم والحزن وقوله
تعالى **فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم** قرئ بالتا مفتوحة على انه خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمعنى لا ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس
فيها احد وقرئ يرى باليا المضمومة والمعنى لا يرى الا اثار مساكنهم لان الريح لم
تبق منها الا الاثار والمساكن معطلة **كذلك نجزي القوم المجرمين** تخوف بذلك
كفار مكة ثم قال تعالى **ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه** الخطاب لاهل مكة يعني
مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال **وجعلنا
لهم سمعا وابصارا وافئدة** يعني انا اعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما
ينفعهم من امر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم **فما اغنى
عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شي** يعني انه لما نزل بهم العذاب
ما اغنى عنهم ذلك شيا **اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون** يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزا
ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الخطاب لاهل مكة يعني اهلكنا قرى ديار
ثمود وهو الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف
اهل مكة بذلك **وصرفنا الايات** يعني وبينا لهم الحجج والدلالات الدالة على التوحيد
لعلهم يرجعون يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم
في الكفر **فلولا** يعني فهلا **نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة**
يعني انهم اتخذوا الاصنام الهة يتقربون بعبادتها الى الله والقربان كل ما
يتقرب به الى الله تعالى **بل ضلوا عنهم** يعني بل ضلت الالهة عنهم فلم تنفعهم
عند نزول العذاب بهم **وذلك افكهم** يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم
الى الله تعالى وتشفع لهم **وما كانوا يفترون** يعني يكذبون بقولهم انها الهة
وانها تشفع لهم عنده قوله عز وجل **واذ صرفنا اليك نفرا من الجن** ذكر
القصة في ذلك قال المفسرون لما مات ابو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم
وكان في حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يوذيه فلما مات وجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطايف يلتمس من ثقيف النصرة
والمنعة له من قومه فروى محمد بن اسحاق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي
قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطايف عمد الى نفر من ثقيف وهو

يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب
بنو عمرو بن عمير وعند احدهم امراة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله
تعالى وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه
فقال له احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر اما وجد
احدا يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة ابدا لئن كنت رسولا من الله كما
تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي
لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير
ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا
علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيذئرهم ذلك فيجرئهم
عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به
حتى اجتمع اليه الناس والجؤوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع
عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا
ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك المراة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على
الناس فانت رؤوف وانت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين وانت ربي الى من
تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي
ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت به الظلمات وصلح عليه
امر الدنيا والاخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى
لا حول ولا قوة الا بك فلما راى ابن ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما
لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك
الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق
حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان
هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اي البلاد انت يا عداس وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال
له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل
راسه ويديه وقدميه قال فقال احد ابني ربيعة اما غلامك فقد افسده عليك
فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه
وقدميه قال يا سيدي ما في الارض خير من هذا الرجل لقد اخبرني بامر ما
يعلمه الا نبي فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من

دينه

دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين
يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر
من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من
السما ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين
وقد امنوا به واجابوا لما سمعوا القران فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن وفي الاية قول اخر وسياتي في سورة الجن وهو حديث
مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروي ان الجن لما رجموا بالشهب بعث
ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان اول بعث بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن
وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال ابو حمزة اليماني بلغنا انهم من بني الشيصبان
وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا
قرانا عجبا وقال جماعة بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم
الى الله ويقرا عليهم القران فصرف الله عز وجل نفرا من الجن وهم من اهل نينوى
وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني امرت ان اقرا على الجن
الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود
وقال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا
باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي
خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك فانطلق حتى
قام عليهم فافتتح القران فجعلت ارى امثال النسور تهوي وسمعت لغطا
شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت
بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين
ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الي فقال انمت فقلت
لا والله يا رسول الله لقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم
بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم امن عليك ان يختطفك بعضهم
ثم قال هل رايت شيئا فقلت نعم رايت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك
جن نصيبين سالوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة
قالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى
بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا
يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم
اكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات في قتيل
قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله
عليه وسلم واتاني فقال هل معك ماء فقلت يا رسول الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ
التمر فاستدعاه فصببت على يده فتوضا وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة
ذكر لنا ان ابن مسعود قدم الكوفة راى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين

راءيهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هولا قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر
الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث الترمذي
يجيبنا انه ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده والجواب عنها
كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الجن منكم احد قال ما صحبه منا احد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل
فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جا من قبل حرا فقلنا يا رسول الله
فقدناك وطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات قوم قال اتاني داعي الجن
فذهبت معه فقرأت عليهم القران قال فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم
وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما
وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما
فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة اخرجه
مسلم في صحيحه واما تفسير الاية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في
عدد اولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال اخرون كانوا تسعة وروي عن زر بن
حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القران وروي ان الجن كانوا
ثلاثة اصناف صنف منهم له اجنحة يطيرون بها في الهوا وصنف على صور الحيات
والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا
قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة
الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القران ونحو ذلك
من المذاهب والبدع واطبق المحققون من العلما على ان الكل مكلفون سئل ابن
عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب **يستمعون القران فلما**
حضروه الضمير يعود الى القران يعني فلما حضروا استماع القران وقيل يحتمل
ان يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا الرسول صلى الله
عليه وسلم لاجل استماع القران **قالوا انصتوا** يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا
لنسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شي فانصتوا واستمعوا القران حتى
كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه **فلما قضي** اي فرغ من قراءته
ولوا اي رجعوا **الى قومهم منذرين** يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من
المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون
غيرهم الى استماع القران والتصديق الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له **قالوا يا قومنا**
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا قال عطا كان دينهم اليهودية
لذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا **لما بين يديه** يعني من

الكتب

الكتب الالهية المنزلة من السما وذلك ان كتب الانبيا كانت مشتملة على الدعوة
الى التوحيد وتصديق الانبيا والايمان بالمعاد والحشر والنشر وكذا جاء هذا
الكتاب وهو القران المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو
تصديقه لما بين يديه من الكتب **يهدي الى الحق والى طريق مستقيم** يعني
يهدي الى الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة **يا قومنا اجيبوا**
داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الاية دليل
على انه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس
والجن قبله **وامنوا به** فان قلت قوله تعالى اجيبوا داعي الله فان الله امر باجابته
في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم اعاد ذكره بلفظ التعيين قلت
انما اعاده لان الايمان اهم اقسام المامور به واشرفها فلذلك ذكره على التعيين
فهو من باب ذكر العام ثم عطف عليه اشرف انواعه فقال **يغفر لكم من ذنوبكم**
ويجركم من عذاب اليم قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم
ذنوبكم وقيل هي على اصلها وذلك هو ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام
فاذا اسلموا اجريت عليهم احكام الاسلام فمن اتى بذنب احدثه مما لم يتب منه
او يبقى تحت خطر المشية ان شا الله غفره وان شا اخذه بذنبه واختلف
العلما في حكم مومني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتاولوا
قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكي
عن الليث قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهايم
وعن ابي الزناد قال اذا قضي بين الناس قيل لمومني الجن عودوا ترابا فيعودون
ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال الاخرون لهم الثواب
في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو
قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن ابي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة
وياكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب
قال نعم وقرا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فالانسيات للانس والجنيات
للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مومني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا
فيها يعني في الجنة قوله تعالى **ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض**
يعني لا يعجز الله فيفوته **وليس له من دونه اوليا** يعني انصار يمنعونه
من الله **اولئك** يعني الذين لم يجيبوا داعي الله **في ضلال مبين** قوله تعالى
اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن يعني انه
تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه **بقادر**
على ان يحيي الموتى يعني ان اعادة الخلق واحياءه بعد الموت اهون عليه من
ابداعه وخلقه فالكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله **بلى**
انه على كل شي قدير يعني من اماتة الخلق واحيائهم لانه قادر على كل شي **ويوم**

يعرض الذين كفروا على النار فيه اضمار تقديره فيقال لهم اليس هذا بالحق يعني
هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق قالوا بلى وربنا قال اعتراف
منهم على انفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك
يقال لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله عز وجل فاصبر كما صبر اولو
العزم من الرسل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى بالاقتدا باولي العزم
من الرسل في الصبر على اذى قومه قال ابن عباس ذو والحزم وقال الضحاك ذو وا
الجد والصبر واختلفوا في اولي العزم من الرسل منهم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا
اولي العزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذو عزم وحزم وراي وكمال عقل وهذا القول
هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين
لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على
اذى قومهم ووصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبيا كلهم اولوا
العزم الا يونس لعجلة كانت فيه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن
كصاحب الحوت وقال قوم اولوا العزم هم نجبا الرسل المذكورون في سورة
الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشفة لاعدا الله وقيل
هم الستة نوح وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في
سورة الاعراف والشعرا وقال مقاتل ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم
صبر على النار واسحاق صبر على الذبح في قوله ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب
بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة
هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم
وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية روى البغوي بسنده عن عايشة
قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا
لال محمد يا عايشة ان الله لا يرضى من اولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر
على محبوبها ولم يرض الا ان كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا
قوة الا بالله قوله تعالى ولا تستعجل لهم يعني اصبر على اذاهم ولا تستعجل
بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كانه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر
فاحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم فامره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم
اخبر بقرب العذاب فقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون يعني
من العذاب في الاخرة لم يلبثوا يعني في الدنيا الا ساعة من نهار يعني
انهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه قدر ساعة من

نهار لان ما مضى وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو
ابدا لابدين بلا انقطاع ولا فنا تم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدا
فقال تعالى بلاغ هذا القران وما فيه من البينات والهدي بلاغ من الله اليكم
والبلاغ بمعنى التبليغ فهل يهلك يعني بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون
يعني الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تاويله لا يهلك مع رحمة
الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجا لرحمة الله
اية اقوى من هذه الاية والله اعلم

تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم

وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها ولم يتقبلها
منهم واراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من اعمال البر من اطعام الطعام وصلة
الارحام وفك العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم
اول هذه السورة متعلق باخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قايلا قال
كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم اعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من
الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان ذرة من خير فاخبر بان الفاسقين هم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها لم تكن لله
ولا بامره انما فعلوها من عند انفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب ابطلها
الله تعالى وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل
الداير عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون
الجيش يوم بدر وهم روسا كفار قريش منهم ابو جهل والحرث بن هشام وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار اهل
الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا
غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الاسلام او منعوا انفسهم من الدخول
في الاسلام اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا والذين امنوا وعملوا الصالحات
قال ابن عباس الذين كفروا مشركي قريش والذين امنوا هم الانصار وقيل
هم مومنوا اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مومن امن بالله ورسوله
وهذا هو الاولى ليشمل جميع المومنين وامنوا بما نزل على محمد يعني القران
الذي انزله الله على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الاختصاص
مع ما يجب من الايمان بجميع ما جا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما
لشان القران وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به واكد ذلك بقوله وهو
الحق من ربهم وقيل معناه دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ

الاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثوري في قوله والذين امنوا بما نزل
على محمد يعني لم يخالفوه في شيء كفر عنهم سيئاتهم يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح
ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم
واصلح بالهم يعني حالهم وشانهم وامرهم بالتوفيق في امور الدين والتسليط
على امور الدنيا بما اعطاهم من النصر على اعدائهم وقيل اصلح بالهم يعني قلوبهم
لان القلب اذا اصلح صلح ساير الجسد وقال ابن عباس عصمهم ايام حياتهم يعني ان
هذا الاصلاح يعود الى اصلاح اعمالهم حتى لا يعصوا ذلك بان الذين كفروا
اتبعوا الباطل يعني الشيطان وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم
يعني القران ومعنى الاية يعني ذلك الامر وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير
سيئات المومنين كاين بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المومنين الحق من
ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم الضمير في امثالهم راجع الى الناس على
انه تعالى يضرب للناس امثالا لانفسهم او انه راجع الى الفريقين على معنى انه تعالى
ضرب امثال الفريقين للناس يعتبروا بهم قال الزجاج كذلك يضرب الله امثال
حسنات المومنين واضلال اعمال الكافرين للناس قوله تعالى فاذا لقيتم
الذين كفروا من اللقا وهو الحرب فضرب الرقاب يعني فاضربوا رقابهم ضربا
وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان المراد ضرب الرقاب فقط دون ساير
الاعضا وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان اشنع ما يكون بضرب
رقبته فلذلك خصت بالذكر في الامر بالقتل ولان الراس من اشرف اعضا
البدن فاذا ابين عن بدنه كان اسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضا
حتى اذا اثخنتموهم يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم ماخوذ من الشيء الثخين
الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة
فشدوا الوثاق يعني في الاسر والمعنى فاسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا
يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به اي يشد به فاما منا بعد يعني بعد
الاسر اما ان تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فدا فصل
في حكم الاية اختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قوم هي منسوخة بقوله
فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي واصحاب الراي
قالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفدا بل اما القتل او الاسترقاق
ايهما راي الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فدا انما
هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يكون المراد ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا
او يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية اذ كانوا من اهل الذمة والمراد بالفدا ان يفادوا
باسراهم اساري المسلمين وقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور
عنه انه لا يرى فداهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين وذهب اكثر

العلما

العلما الى ان الاية محكمة وان الامام بالخيار في الرجال البالغين من الكفار اذا اسروا
بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال
او باسرى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطا واكثر الصحابة وهو
قول الثوري والشافعي واحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد
سلطانهم انزل الله عز وجل في الاساري فاما منا بعد واما فدا وهذا القول
هو الصحيح ولانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفا بعده ق عن ابي هريرة
قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له
ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم
وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شيت فتركه
النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان
تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط
منه ما شيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل
قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض ابغض الي من وجهك فقد اصبح
وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك
احب الاديان كلها الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك واصبح بلدك احب
البلاد كلها الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله
عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قايل صبوت قال لا ولكني اريد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى
ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله ولخصه البخاري عن عمران
بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه
وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين الذين اسرتهما ثقيف اخرجه الشافعي
في مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا وقوله تعالى حتى تضع
الحرب اوزارها يعني اثقالها واحمالها والمراد اهل الحرب يعني حتى يضعوا
اسلحتهم ويمسكوا عن القتال واصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة
اوزارا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار
الاثام ومعناه حتى تضع المحاربون اوزارهم بان يتوبوا من كفرهم فيومنوا بالله
ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار المشركين وقبايح اعمالهم
بان يسلموا ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل الملل
كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند
نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجا في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد

تماض منه بعثني الله الى ان يقاتل اخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند
وقال الكلبي معناه حتى يسلموا او يسالموا قال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم او مسالم
ذلك يعني الذي ذكر وبين من حكم الكفار ولو يشاء الله لانتصر منهم يعني
ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم امرهم ولكن يعني ولكن امركم بالقتال
ليبلو بعضكم ببعض يعني فيصير من قتل من المومنين الى الثواب ومن قتل
من الكافرين الى العذاب والذين قتلوا في سبيل الله يعني الشهداء وقرئ
قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله فلن يضل اعمالهم يعني فلن يبطلها بل
يوفيهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم
احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل سيهديهم يعني ايام حياتهم
في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الدرجات العلى ويصلح بالهم ويرضي
اعمالهم ويقبلها ويدخلهم الجنة عرفها لهم بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا
الى مساكنهم لا يخطونها ولا يستدلون عليها كانهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون
المومن اهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله واهله في الدنيا
هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو
الريح الطيبة وطعام معرف مطيب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تنصروا
الله يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اولياء الله وحزبه ينصركم
يعني على عدوكم ويثبت اقدامكم يعني عند القتال وعلى الصراط والذين كفروا
فتعسا لهم قال ابن عباس يعني بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم
وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس في الدنيا العثرة
وفي الاخرة التردي في النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا اقامته
وضده اذا دعوا له وارادوا اقامته وفي هذا اشارة جليلة وهي ان الله تعالى لما
قال في حق المومنين ويثبت اقدامكم يعني في الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم
متوهم ان الكافر ايضا يصبر ويثبت قدمه في الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان
لكم الثبات ايها المومنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال في حق المومنين
بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شيء وقال في حق الكفار بصيغة الدعاء
عليهم واضل اعمالهم يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان ذلك
يعني التعس والاضلال بانهم كرهوا ما انزل الله يعني القران الذي فيه
النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس
لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك
ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله فاحبط
اعمالهم يعني فابطل اعمالهم التي عملوها في طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل
ثم خوف الكفار فقال تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة دمر الله

عليهم

عليهم يقال دمره الله يعني اهلكه ودمر عليه اذا اهلك ما يختص به والمعنى اهلك الله
عليهم ما يختص بهم من انفسهم باموالهم واولادهم وللكافرين يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم
امثالها يعني ان لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا
التضعيف انما يكون في الاخرة ذلك يعني الاهلاك والهوان بان اي بسبب ان
الله مولى الذين امنوا يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولي امورهم وان الكافرين
لا مولى لهم يعني لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهي
جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين
قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى
هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل احد من
الناس ومالكهم فبان الفرق بين الايتين ولما ذكر الله تعالى حال المومنين والكافرين
في الدنيا ذكر حالهم في الاخرة فقال تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يعني هذا لهم في الاخرة والذين
كفروا يتمتعون يعني في الدنيا بشهواتها ولذاتها وياكلون كما تاكل الانعام
يعني ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم
في غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر
لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المومن في
الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا
لانها جنته وهي سجن المومن بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة من النعيم العظيم
الدائم والنار مثوى لهم يعني مقام الكفار في الاخرة والثواء المقام في المكان
مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم قوله تعالى وكاين من
قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك يعني اخرجك اهلها والمراد
بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هم اشد قوة من اهل مكة اهلكهم الله يدل
عليه قوله تعالى اهلكناهم ولم يقل اهلكناها فلا ناصر لهم يعني فلا مانع
يمنعهم من العذاب والهلاك الذي حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله ولولا ان المشركين
يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الاية افمن كان على بينة من ربه
يعني على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمومنون معه كمن زين له
سوء عمله وهم الكافرون ابو جهل ومن معه من المشركين واتبعوا اهواءهم يعني
في عبادة الاوثان قوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون لما بين الله
عز وجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بين في هذه الاية ما اعد لكل واحد
من الفريقين فبين اولا ما اعد للمومنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد
المتقون يعني صفة الجنة قال سيبويه حيث قال المثل هو الوصف ومعناه وصف
الجنة وذلك لا يقتضي مشابها به وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى

مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشيء عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو
قوله كمن هو خالد في النار **فيها** يعني الجنة التي وعد المتقون **انهار من ماء غير
آسن** يعني غير متغير ولا منتن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه
وانهار من لبن لم يتغير طعمه يعني كما يتغير البان الدنيا فلا يعود حامضا
ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم **وانهار من خمر لذة للشاربين** يعني ليس
فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولا تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي
بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد الالتذاذ
فقط **وانهار من عسل مصفى** يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من
بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحلة فهو خالص صاف من جميع شوائب عسل
الدنيا عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة
بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تنشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي
وقال الحديث حسن صحيح **و**عن ابي هريرة قال سيحان وجيحان والفرات والنيل
كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم سيحان وجيحان
المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما من بلاد الارمن فسيحان
نهر ادنه وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان وهذا
هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه
الانهار من الجنة ففيه تاويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها
مادة من الجنة والجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة وقال
كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر
خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا
نقله البغوي عنه وقوله تعالى **ولهم فيها من كل الثمرات** في ذكر الثمرات
بعد المشروب اشارة الى ان ماكول اهل الجنة للذة لا للحاجة فلهذا ذكر الثمار
بعد المشروب لانها للتفكه واللذة **ومغفرة من ربهم** فان قلت المومن
المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس
بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة من فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون
المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب اخر ولهم مغفرة
فيها برفع التكاليف عنهم فيما ياكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان ماكولها
يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه وقوله
تعالى **كمن هو خالد في النار** يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد
في النار يتجرع من حميمها وهو قوله **وسقوا ماء حميما** يعني شديد الحر قد استعرت
عليه جهنم منذ خلقت اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم
فاذا شربوه **فقطع امعاءهم** يعني فخرجت من ادبارهم والامعاء جمع معا وهو
جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد في النار راجع الى

ما تقدم

ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد
في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه حتى يمرق
قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب
صحيح عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه
قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه
فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع امعاءهم
ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي
وقال الحديث حسن غريب قوله تعالى **ومنهم** يعني ومن هولاء الكفار **من
يستمع اليك** وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا
به وتغافلا عنه **حتى اذا خرجوا من عندك** يعني ان هولاء المنافقين الذين
كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك **قالوا**
يعني المنافقين **للذين اوتوا العلم** يعني من الصحابة **ماذا قال آنفا**
يعني ما الذي قال محمد الان وهو من الائتناف يقال ائتنفت الامر اي ابتدأته
قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين
فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد
وقال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل **اولئك** يعني المنافقين **الذين طبع
الله على قلوبهم** يعني فلم يومنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم **واتبعوا اهواءهم** يعني في الكفر والنفاق والمعنى انهم لما
تركوا اتباع الحق امات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا
اهواءهم في الباطل **والذين اهتدوا** يعني المومنين لما بين الله ان المنافق
يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المومن المهتدي
الذي ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداية الله
اياهم الى الايمان **زادهم هدى** يعني انهم لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم مما جاء به عن الله عز وجل امنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم
ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم **واتاهم تقواهم** يعني وفقهم
للعمل بما امرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير اتاهم تقواهم وقيل
اتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل **فهل ينظرون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة** يعني ان الكافرين والمنافقين الذين
قعدوا عن الايمان فلم يومنوا فالساعة تاتيهم بغتة تفجاهم على كفرهم
ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة
اتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا فهل تنتظرون الا

فقيرا منسيا او غنا مطيغا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فشر غايب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى **فقد جا اشراطها** اي اماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة امرا مستبعدا في النفوس وقد قال الله تعالى هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فكان قايلا قال متى يكون قيام الساعة فقد قال تعالى فقد جا اشراطها قال المفسرون من اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن سهل بن سعد قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتي تلي الابهام وقال بعثت انا والساعة كهاتين وفي رواية قال بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ان ما بين مبعثه وقيام الساعة شي يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة ق عن انس قال عند قرب وفاته الا احدثكم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به احد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة او قال من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشوا الزنا ويذهب الرجال ويبقى النسا حتى يكون لخمسين امراة قيم وفي رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النسا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يتقارب الزمان وينتقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل وقال ويظهر الجهل خ عن ابي هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السايل عن الساعة قال ها انا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا اوسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وقوله تعالى **فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم** يعني فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون لهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت **فاعلم انه لا اله الا الله** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فايدة هذا الامر واجيب عنه بان معناه دم على ما انت عليه من العلم فهو كقول القايل للجالس اجلس اي دم على ما انت عليه من الجلوس

اويكون

اويكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من امته قال ابو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لا ملجا ولا منجا ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا لله الذي لا اله الا هو **واستغفر لذنبك** امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن به امته وليقتدوا به في ذلك م عن الاغر المزني اغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله ماية مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل ماية مرة في اليوم البخاري عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية اكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر اي يلبس على قلبي ويغطى وسبب ذلك ما اطلعه عليه من احوال امته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر في امور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من اعظم طاعة واشرف عبادة عن ارفع مقام مما هو فيه وهو التفرد به عز وجل وصفا وقته معه وخلوص همه من كل شي فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيات المقربين وقيل هو ماخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى السما فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين النووي عن القاضي عياض ان المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شانه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر او غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبي خوف الملايكة والانبيا خوف اعظام واجلال وان كانوا امنين من عذاب الله وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال افلا اكون عبدا شكورا وقيل في معنى الاية استغفر لذنبك اي لذنوب اهل بيتك **وللمؤمنين والمؤمنات** يعني من غير اهل بيته وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم **والله يعلم متقلبكم ومثواكم** قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني منصرفكم ومنتشركم في اعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة او الى النار وقيل متقلبكم في اشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم

وقيل متقلبكم من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا
وفي القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وان دق
وخفي قوله تعالى ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة وذلك ان المومنين
كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله وقالوا هلا انزلت سورة تامرنا بالجهاد
لكي نجاهد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال قال مجاهد كل سورة
ذكر فيها القتال فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين رايت الذين في
قلوبهم مرض يعني نفاقا وهم المنافقون ينظرون اليك شزرا وكراهية
منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو نظر المغشي عليه من الموت يعني كما ينظر
الشاخص بصره عند معاينة الموت فاولى لهم فيه وعيد وتهديد وهو
معنى قولهم في التهديد اولى لك اي وليك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند
هذا ثم ابتدا بقوله طاعة وقول معروف فعلى هذا هو مبتدا محذوف
الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل واولى بهم والمعنى لو اطاعوا وقالوا
قولا معروفا فهو امثل واحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في لهم
بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة
والمعنى لو اطاعوا واجابوا لكانت الطاعة والاجابة اولى بهم وهذا معنى
قول ابن عباس في رواية عطاء عنه فاذا عزم الامر فيه حذف تقديره فاذا
عزم صاحب الامر وقيل هو على اصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت
وهذا امر متوقع ومعنى الاية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا
فيما وعدوا به فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم يعني الصدق وقيل
معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم فهل
عسيتم اي فلعلكم ان توليتم يعني اعرضتم عن سماع القران وفارقتم
احكامه ان تفسدوا في الارض اي تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من
الفساد في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة
بعد ما جمعكم الله بالاسلام وتقطعوا ارحامكم قال قتادة كيف رايتم
القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام
وعصوا الرحمن ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة
من الرحمن يقول الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم
قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن قال مه فقال هذا مقام العائذ بك من
القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى
قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا ان شئتم فهل عسيتم
ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم
الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها الشجنة

القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو معقد الازار من الانسان وقد
يطلق على الازار والمعنى ان الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به
والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم
مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير
قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبر انما هي معنى من المعاني ليست
بجسم وانما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمي ذلك
الاتصال رحما والمعاني لا يتاتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها
هنا وتعلقها ضرب مثل حسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك
والمراد تعظيم وفضيلة اصلها وعظم اثم قاطعها ولهذا سمي العقوق قطعا
كانه قطع ذلك النسب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من
الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله تعالى هذا كلام
القاضي عياض في معنى هذا الحديث والله اعلم وقيل في الاية في قوله ان توليتم
هو من الولاية يعني فهل عسيتم ان توليتم امر الناس ان تفسدوا في الارض
يعني بالظلم وتقطعوا ارحامكم ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم
للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم فان قلت عسى طمع وترجي وتوقع
ذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شيء فما معناه قلت قال بعضهم معناه
كل من ينظر اليهم يتوقع ذلك منهم وقال الزمخشري معناه انه لما عهد منكم انفا
بان تقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء
ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا
في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا اولئك
اشارة الى من اذا تولى افسد في الارض وقطع الارحام الذين لعنهم الله
يعني ابعدهم من رحمته وطردهم عن جنته فاصمهم يعني عن سماع الحق واعمى
ابصارهم يعني عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القران لم يفهموه ولم
يومنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم
العمي وان كان لهم اسماع وابصار في الظاهر افلا يتدبرون القران يعني
يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر في عاقبة الشيء
وما يؤول اليه امره وتدبر القران انما يكون عن حضور القلب وجمع الهم وقت
تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية ام على قلوب
اقفالها يعني بل على قلوب اقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من
تعاطي فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت
اذا كان الله تعالى اصمهم واعمى ابصارهم وقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف
يمكنهم تدبر القران مع هذه المواضع الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق جائز
عندنا لان الله امر بالايمان من سبق في علمه انه لا يؤمن فكذلك هذا والله

قوله قال بعضهم معناه [illegible] البغوي وقال بعضهم معناه [illegible]

يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون القران المراد
به التائب وقيل ان هذه الاية محققة للاية المتقدمة وذلك ان الله تعالى
لما قال اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله افلا يتدبرون
القران كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة
او كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراده وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل
على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال الشاب في نفس
عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل عن عروة بن الزبير تابعي من كبار
التابعين واجلهم فلم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنين وعشرين
وقيل غير ذلك قوله عز وجل **ان الذين ارتدوا على ادبارهم** يعني رجعوا القهقرى
كفارا **من بعد ما تبين لهم الهدى** يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال
قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه
ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون
وذلك انهم امنوا اولا ثم كفروا ثانيا **الشيطان سول لهم** يعني زين لهم القبيح
حتى راوه حسنا **واملى لهم** قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم
يسم فاعله حتى امهلوا ومد لهم في العمر وقرئ واملى لهم بفتح الالف واللام
بمعنى واملى الشيطان بان مد لهم في الامل فان قلت الاملاء والامهال لا
يكون الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب
اهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملي هو الله تعالى في
الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما استند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى
قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم
في اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى اخر العمر **ذلك** اشارة الى التسويل
والاملاء **بانهم** يعني بان اهل الكتاب او المنافقين **قالوا للذين كرهوا ما
نزل الله** وهم المشركون **سنطيعكم في بعض الامر** يعني في التعاون
على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا
يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال **والله
يعلم اسرارهم** يعني انه لا يخفى عليه خافية من امرهم **فكيف اذا توفتهم الملائكة**
يعني فكيف حالهم اذا توفتهم الملائكة **يضربون وجوههم وادبارهم ذلك**
يعني ذلك الضرب **بانهم** يعني بسبب انهم **اتبعوا ما اسخط الله** يعني
ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس بما كتموا من التوراة
وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم **وكرهوا رضوانه** يعني كرهوا ما فيه رضوان الله
عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **فاحبط**

اعمالهم

اعمالهم التي عملوها من اعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره **ام حسب الذين في
قلوبهم مرض** اي شك ونفاق وهم المنافقون **ان لن يخرج الله اضغانهم**
يعني يظهر احقادهم على المومنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم
واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم **ولو نشا
لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم** لما قال الله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم
مرض ان لن يخرج الله اضغانهم فكان قائلا قال لم لم يخرج اضغانهم ويظهرها
فاخبر تعالى انه انما اخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منه فقال تعالى ولو
نشا لاريناكهم اي لا مانع لنا من ذلك ولأن راى بمعنى التعريف والعلم وقوله
فلعرفتهم لزيادة فائدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة
الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم
به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم
يعني بعلاماتهم اي نجعل لك علامة تعرفهم بها ما خفي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد نزول هذه الاية شيء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم
ولتعرفنهم في لحن القول يعني في معنى القول وفحواه ومقصده واللحن
معنيان صواب وخطا صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض
وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم
الحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم في لحن القول واما اللحن
المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب
او التصحيف ومعنى الاية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون
به من القول في تهجين امرك وامر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد
هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل
بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال تعالى **والله يعلم اعمالكم
ولنبلونكم** يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع
الاشياء قبل كونها ووجودها **حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** يعني
انا نامركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من
غيره لان المراد من قوله حتى نعلم علم الوجود والظهور **ونبلوا اخباركم** اي
نظهرها ونكشفها ليتبين من ياتي القتال ولا يصبر على الجهاد **ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول** يعني خالفوه فيما امرهم
به من الجهاد وغيره **من بعد ما تبين لهم الهدى** يعني من بعد ما ظهر لهم ادلة
الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم **لن يضروا الله شيئا** يعني انما
يضرون انفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك **وسيحبط اعمالهم** يعني
وسيبطل اعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الاخرة لانها لم تكن لله تعالى قال
ابن عباس هم المطعمون يوم بدر قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اطيعوا**

الله واطيعوا الرسول لما ذكر الله الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امر الله المومنين بطاعته وطاعة رسوله ثم قال تعالى
ولا تبطلوا اعمالكم قال عطا يعني بالشك والنفاق والمعنى دوموا على
ما انتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل اعمالكم وقيل لا
تبطلوا اعمالكم بترك طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ابطل اهل
الكتاب اعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبي
لا تبطلوا اعمالكم بالريا والسمعة لان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان
خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا اعمالكم بالمعاصي والكباير
قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر
مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكباير
بعده ان تحبط الاعمال واستدل بهذه الاية من يرى احباط الطاعات بالمعاصي
ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى ان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه
اجرا عظيما فالله تعالى اعدل واكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية
واحدة وروي عن ابن عمر انه قال كنا نرى انه لا شيء من حسناتنا الا مقبولة
حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكباير
الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من اصاب الكباير ونرجو
لمن يصيبها واستدل بهذه الاية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل في صلاة
تطوع او صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل
لهم في الاية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيح ان النبي
صلى الله عليه وسلم اصبح صايما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعايشة
قربيه فلقد اصبحت صايما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه والصحيح
ايضا ان سلمان زار ابا الدردا فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فاني
صايم قال لست باكل حتى تاكل فاكل معه وقال مقاتل في معنى الاية لا تمنوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل اعمالكم نزلت في بني اسد وسنذكر
القصة في تفسير سورة الحجرات ان شا الله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل نزلت في اهل القليب وهم
ابو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فلا تهنوا الخطاب
فيه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا
ايها المومنون وتدعوا الى السلم يعني لا تدعوا الكفار الى الصلح ابتدا
منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا

وانتم

وانتم الاعلون يعني وانتم الغالبون لهم الغالبون عليهم اخبر الله عز وجل
ان الامر للمسلمين والنصر والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين في بعض الاوقات
والله معكم يعني بالنصر والمعونة ومن كان الله معه فهو الغالب الغالب ولن
يتركم اعمالكم يعني لن ينقصكم شيا من ثواب اعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم
اعمالكم الصالحة بل يوتيكم اجورها ثم حض على طلب الاخرة بذم الدنيا فقال
تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو اي باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا عن
طلب الاخرة وقد علمت ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها في عبادة الله
عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة في الحال
ولا في المال ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه اشغاله
المهمة فهو اللعب وان شغله عن مهمات نفسه فهو اللهو وان تومنوا وتتقوا
يوتكم اجوركم يعني يوتكم جزا اعمالكم في الاخرة ولا يسالكم اموالكم يعني ان
الله لا يسال من عباده اموالهم لاجل الاجر عليهم لم يامرهم بالايمان والتقوى
والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسالكم محمد صلى الله عليه وسلم
اموالكم وقيل معناه لا يسالكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اموالكم كلها في
الصدقات انما يسال منكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من اموالكم وهي زكاة
اموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيها حاجة انما فرضها
الله في اموال الاغنيا وردها على الفقرا فطيبوا باخراج الزكاة انفسكم والى
هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى
ان يسالكموها الضمير عايد الى الاموال فيحفكم يعني يجهدكم ويطلبها كلها
والاحفا المبالغة في المسالة وبلوغ الغاية في كل شي يقال احفاه في المسالة
اذا لم يترك شيا من الالحاح تبخلوا يعني بالمال فلا تعطوها ويخرج اضغانكم
اي ضغينتكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله ان الاحفا
مسالة الاموال خروج الاضغان ها انتم هولا يعني انتم يا هولا المخاطبون
المومنون ثم استانف وصفهم فقال تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله
قيل اراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه
البر والكل في سبيل الله فمنكم من يبخل يعني مما فرض عليه اخراجه من الزكاة
او ندب الى انفاقه في وجوه البر ومن يبخل يعني بالصدقة واداء الفريضة
فلا يتعداه ضرر بخله وهو قوله تعالى فانما يبخل عن نفسه والله الغني
يعني عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض
وانتم الفقرا يعني اليه والى ما عنده من الخيرات والثواب في الدنيا والاخرة
وان تتولوا يعني عن طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن القيام
بما امركم الله به والزمكم اياه يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
يعني يكونوا اطوع لله ولرسوله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن

قال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن ابي هريرة قال تلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا
امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على
منكب سلمان ثم قال هذا وقومه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي
اسناده مقال وله في رواية اخرى عن ابي هريرة قال قال ناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هولاء الذين ذكر الله ان تولينا
استبدل وابنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذي
نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا
الحديث طرق في الصحيح ترد في سورة الجمعة ان شا الله تعالى والله اعلم بمراده
واحكامه واسرار كتابه

تفسير سورة الفتح مدنية

خ عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن
الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شي فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه
فقال عمر ثكلتك امك يا عمر نزرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات
كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت
ان ينزل في قران فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد
انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا فتحنا
لك فتحا مبينا اخرجه الترمذي وزاد فيه فقال في بعض اسفاره بالحديبية
ق عن انس لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر الى اخر قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن
والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت
علي اية هي احب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا
مبينا قال الحديبية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا
فما لنا فانزل الله ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار
قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت
له فقال انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس واما هنيئا مريئا فعن عكرمة
واخرجه الترمذي عن قتادة عن انس قال انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه من الحديبية فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لقد انزل علي الليلة اية احب الي مما على الارض ثم قراها النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل
بك فماذا يفعل بنا فنزلت هذه الاية ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري
من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل

قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده
والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا
الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد هو فتح خيبر وقيل هو
فتح فارس والروم وساير بلاد الاسلام التي يفتحها الله تعالى له فان قلت
على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال
الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم بالفتح وجي به بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في اخبار
لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكاينة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنا لك
في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كاين لا محالة وقال اكثر المفسرين
ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن انس ومعنى الفتح
فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا
متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه عن البرا قال
تعدون انتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة
الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة ماية
والحديبية بير فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ما فتوضا ثم تمضمض ودعا
ثم صبه فيها فتركها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وما شينا وركابنا
وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت
الروم على فارس ففرح المومنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزهري
لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين
فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام من قلوبهم فاسلم في ثلاث سنين خلق كثير
فعز الاسلام بذلك واكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي
والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك من المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال
الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمومنين
والمومنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وليدخل المومنين
والمومنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره
انه كان توابا ليغفر لك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما
قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط
المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا
لك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واعراض العاجل والاجل
وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد العدو وفيه الثواب والمغفرة

مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف
بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الاية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم
من ذنبك يعني قبل النبوة وما تاخر بعدها وهذا على قول من يجوز الصغاير على الانبيا
وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب ابويك آدم وحوا ببركتك
وما تاخر من ذنب امتك بدعايك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك
مما كان منك قبل النبوة وتاخر يعني كل شي لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التاكيد
كما تقول اعط من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع
لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة
وتاويل لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب
هنا ما عسى ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيات المقربين
فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله عز وجل
بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى **ويتم نعمته عليك**
يعني بالنبوة وما اعطاك من الفتح والنصر والتمكين **ويهديك صراطا مستقيما**
يعني ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع
الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه
ويهدي بك الى صراط مستقيم **وينصرك الله نصرا عزيزا** يعني غالبا ذا عز ومنعة
وظهور على الاعدا وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله
تعالى فان قلت وصف الله النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب
النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية اي ذات رضى
وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا كما يقول هذا الكلام
صادق كما يقال المتكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف
مجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من
الغلبة والعزيز الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل او
العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذي هو من الله
تعالى عزيز في نفسه لكونه من الله فصح وصف كونه نصرا عزيزا قوله تعالى
هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين يعني الطمانينة والوقار في
قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة في القرآن طمانينة
الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها كما قال الله
عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه
تعالى جعل السكينة التي هي الطمانينة والثبات في قلوب المومنين ويلزم
من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها فكان ذلك من اسباب
النصر الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى **ليزدادوا ايمانا**
مع ايمانهم وذلك انه تعالى جعل السكينة في قلوب المومنين سببا للزيادة

الايمان

الايمان في قلوبهم وذلك ان كل ما ورد عليهم امر او نهي فامنوا به وعملوا بمقتضاه
وكان ذلك زيادة في ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم
بشهادة ان لا اله الا الله فلما امنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة
ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل دينهم فكلما امروا بشي وصدقوه
ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبي
هذا في امر الحديبية حين صدق الله رسوله الرويا بالحق وقيل لما امنوا
بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن
الله عز وجل وامنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وامنوا بالفروع وهي جميع
التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم **ولله جنود السموات**
والارض لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المومنون في
قلة من العدد والعدد فكان قايلا قال كيف ينصره فاخبر الله تعالى ان له جنود
السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده
بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل
بل انزل سكينته في قلوبكم ايها المومنون ليكون نصره رسول الله صلى الله
عليه وسلم واهلاك اعدايه على ايديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفي
جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملايكة السموات والارض
الثاني ان جنود السموات الملايكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث
ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض
مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك **وكان الله عليما** يعني بجميع
جنوده الذين في السموات والارض **حكيما** يعني في تدبيرهم وقيل عليما
بما في قلوبكم ايها المومنون حكيما حيث جعل لكم النصر على اعدايكم قوله عز
وجل **ليدخل المؤمنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار** فقوله
ليدخل المومنين يستدعي سابقا تقديره هو الذي انزل السكينة في قلوب
المومنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب
المومنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم
ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقد تقدم ما روي عن انس انه لما
نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قال اصحابه هنيا مريا قد بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا
فانزل الله الاية التي بعدها ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من
تحتها الانهار **خالدين فيها ويكفر عنهم سياتهم** فان قلت تكفير السيات
انما يكون قبل دخول الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو
لا تقتضي الترتيب وقيل ان تكفير السيات والمغفرة من توابع كون المكلف
من اهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من اهل الجنة **وكان ذلك**

عند الله فوزا عظيما يعني ان ذلك الادخال والتكفير كان في علم الله فوزا
عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات يعني
المنافقين والمنافقات من اهل المدينة والمشركين والمشركات من اهل مكة
انما قدم المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين
كانوا اشد على المومنين من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد
لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره
اكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر اولى الظانين بالله ظن
السوء يعني انهم ظنوا ان الله لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عليهم
دايرة السوء يعني عليهم دايرة العذاب والهلاك وغضب الله عليهم زيادة
في تعذيبهم وهلاكهم ولعنهم يعني وابعدهم وطردهم عن رحمته واعد
لهم جهنم يعني في الاخرة وساءت مصيرا يعني ساءت جهنم منقلبا ولله
جنود السموات والارض تقدم تفسيره بقي ما فايدة التكرير ولم
قدم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المومنين الجنة ولم اخر ذكر
السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فايدة
التكرار للتاكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من
هو للعذاب فقدم ذكر السموات والارض قبل ادخال المومنين الجنة ليكون
مع المومنين جنود الرحمة فيثبتونهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا
الجنة افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد
ذلك الى شي واخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين
ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم ابدا فان قلت قال في الاية الاولى
وكان الله عليما حكيما وقال في هذه وكان الله عزيزا حكيما فما معناه قلت
لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله
ضعف المومنين ناسب ان يكون خاتمة الاية الاولى وكان الله عليما حكيما
ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب ان يكون خاتمة
الاية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله اليس الله بعزيز ذي انتقام
وقوله اخذناهم اخذ عزيز مقتدر وقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث
شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على اعمال امته ومبشرا يعني لمن
امن به واطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى امره بالعقاب ثم بين
فايدة الارسال فقال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله فالضمير فيه للناس
المرسل اليهم وتعزروه يعني وتقووه وتنصروه والتعزير نصر مع تعظيم
وتوقروه يعني وتعظموه فالتوقير التعظيم والتبجيل وتسبحوه من
التسبيح الذي هو التنزيه عن جميع النقايص والتسبيح هي الصلاة قال

الزمخشري

الزمخشري والضماير لله تعالى والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله
ومن فرق الضماير فقد ابعد وقال غيره الكنايات في قوله وتعزروه
وتوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعند هذا تم الكلام فالوقف
على وتوقروه وقف تام ثم يبتدي لقوله وتسبحوه بكرة واصيلا على
ان الكناية في وتسبحوه راجعة الى الله عز وجل يعني ويصلوا لله وتسبحوا
له بالغداة والعشي قوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما
يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد
الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفا
بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية
وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت
ببير هناك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بير قال مالك هي من الحرم
وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد
والتخفيف افصح وعامة المحدثين يشددونها م عن يزيد بن عبيد قال
قلت لسلمة بن الاكوع على اي شي بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال على الموت ق عن معقل بن يسار قال لقد رايتني يوم الشجرة والنبي
صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن راسه ونحن
اربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلما
لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع
على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا او ينتصروا وبايعه
جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا خ عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس
محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شان الناس
احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم
رجع الى عمر فخرج وبايع فقوله تعالى يد الله فوق ايديهم قال ابن
عباس يد الله بالوفا بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدي كانوا
ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم
كذا نقله البغوي عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا
من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها
وذلك لان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين
فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم
فوق احسانهم الى الله كما يقال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما
يد الله فوق ايديهم اي نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد

لقلان الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد في حق الله تعالى
بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق ايديهم
بالحفظ وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل
فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو
ايدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام
وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده
مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
هذا مذهب اهل التاويل وكلامهم في هذه الاية ومذهب السلف السكوت
عن التاويل وامرار ايات الله كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير
تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على
نفسه يعني من نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث
البيعة فانما وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه ومن اوفى بما
عاهد عليه الله اي من البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الاخرة وهو
الجنة قوله تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس
ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع واسلم وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا
استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من
قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدي
ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا
بالشغل فانزل الله فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب يعني الذين
خلفهم الله عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف
عنك شغلتنا اموالنا واهلونا يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا
من يخلفنا فيهم فلذلك تخلفنا عنك فاستغفر لنا مع عذرنا معترفون
بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك كذبهم الله تعالى فقال
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون
لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا قل فمن يملك لكم
من الله شيا ان اراد بكم ضرا يعني سوءا او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا
ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة
لهم في انفسهم واموالهم فاخبرهم الله انه ان اراد شيا من ذلك لم يقدر احد
على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب
الاستغفار واخفائكم النفاق بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى اهليهم ابدا يعني ظننتم ان العدو يستاصلهم فلا يرجعون الى اهليهم وزين
ذلك في قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار

الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب الانسان الشيء
ويزينه له حتى يقطع به وظننتم ظن السوء يعني وظننتم ان الله يخلف
وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة رأس يريدون بذلك قلتهم
فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انتظروا ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا
يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين ومن لم
يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا لما بين الله تعالى
حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد
وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك
الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف
وعده فانه كافر وانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض
يغفر لمن يشا ويعذب من يشا لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء اخبر انه له ملك
السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشا بمشيئته ويعذب
من يشا ولكن غفرانه ورحمته اعم واشمل واتم واكمل واليه الاشارة بقوله
وكان الله غفورا رحيما قوله عز وجل سيقول المخلفون يعني الذين
تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم وذهبتم ايها المؤمنون
الى مغانم لتاخذوها يعني غنايم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا
من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنايم شيا وعدهم
الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنايمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن
غنايم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيا ذرونا نتبعكم
يعني الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وفي هذا بيان كذب المخلفين عن الحديبية
حيث قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن هناك طمع في غنيمة وهنا
قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة يريدون ان يبدلوا
كلام الله يعني يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله حيث وعد بغنيمة
خيبر خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم احد الى خيبر وقال
ابن زيد هو قول الله تعالى فان استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا
والقول الاول اصوب قل اي قل لهم يا محمد لن تتبعونا يعني الى خيبر
كذلكم قال الله من قبل يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن
شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل تحسدوننا
يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنايم شيا بل كانوا لا يفقهون
الا قليلا يعني لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين
الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله قوله تعالى قل للمخلفين

من الاعراب لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا
كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من يرجى توبته وخيره بخلاف الذين
مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله لقبول توبتهم علامة وهي انهم
يدعون الى قوم اولي باس شديد فان اطاعوا كانوا من المومنين ويوتيهم
الله اجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا واعرضوا عما دعوا اليه كانوا من
المنافقين ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله **ستدعون
الى قوم اولي باس شديد** قال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس والروم وقال
سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم
حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة واصحاب مسيلمة
الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرا هذه الاية ولا نعلم منهم حتى دعى ابو بكر
الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر الى قتال فارس
وقال ابو هريرة لم يات تاويل هذه الاية بعد واقوى هذه الاقوال
قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابعده قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب اما
الدليل على صحة القول الاول هو ان العرب كان قد ظهر امرهم في اخر الامر
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مومن تقي ظاهر وكافر مجاهر واما
المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم
وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار فكانت
هوازن وثقيف من اشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله
عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي
هو النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا الممتنع لوجهين احدهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي ابدا فكيف كانوا يتبعونه
مع هذا النهي الوجه الثاني قوله اولي باس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم
حرب مع قوم اولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل في قلوب العرب كافة
فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان يكون قوله لن تتبعونا
ولن تخرجوا معي ابدا مقيدا بقيد وهو ان يكون تقديره قل لن تتبعونا
ولن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد
لا بد منه لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه ولا يجوز منعه من الخروج الى
الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الثاني في الجواب عن الوجه الاول ان المراد من
قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة
بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم لو لم يكن يدعهم الى الجهاد معه او منعهم من الخروج الى الجهاد معه
لامتنع ابو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من اخذ

الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من اخذها واما الجواب عن الوجه
الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم اولي باس شديد
فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم اولوا باس
شديد فثبت بهذا البيان ان الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم
واما قول من قال ان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب
وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر الدلالة وفيه دليل على صحة
خلافتهما لان الله وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار وقوله تعالى
تقاتلونهم او يسلمون فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما الاسلام
او القتل **فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا** يعني الجنة **وان تتولوا**
يعني تعرضوا عن الجهاد **كما توليتم من قبل** يعني عام الحديبية **يعذبكم
عذابا اليما** يعني النار ولما نزلت هذه الاية قال اصحاب الزمانة
والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل **ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج** يعني عن التخلف في الجهاد
وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لان اصحابها لا يقدرون على الكر
والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز
منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع
وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون
على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد وظاهرة ومن وراء ذلك اعذار
اخر دون ما ذكر وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه ان يستصحب معه ما يحتاج
اليه من مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد وكتمريض المريض الذي
ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان
عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه
يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره
اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب **ومن يطع الله ورسوله**
يعني في امر الجهاد وغيره **يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول**
يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق **يعذبه عذابا اليما**
يعني في الاخرة قوله عز وجل **لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك**
يعني بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا **تحت الشجرة** وكانت
هذه الشجرة سمرة **ق** عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت
بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد فقالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد
كان ابي ممن بايع تحت الشجرة فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت
علينا فلم نقدر عليها قال سعيد بن المسيب قال رايت الشجرة ثم اتيتها

بعد عام فلم اعرفها وروي ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال
اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم
قال سيروا ذهبت الشجرة خ عن ابن عمر قال رجعنا في العام المقبل فما اجتمع منا
اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى م عن ابي الزبير انه
سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه
وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختفى
تحت بطن بعيره زاد في رواية وقال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت
واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة فقال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر ولم نبايعه
على الموت ق عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة
قال ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا
خمس عشرة مائة ق عن عبد الله بن ابي اوفى قال كنا اصحاب الشجرة الفا وثلاثمائة
وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان بهذه الاية وكان
سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعى خراش بن امية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش
بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله
حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اخاف على نفسي قريشا وليس
بمكة من بني عدي بن كعب احد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن
ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عثمان بن عفان فبعثه الى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب
انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه ابان بن
سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين
يديه ثم اردفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
شئت ان تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى
نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان
الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن
الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم

وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه
على ان لا نفر وقد تقدم ايضاح الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه
على الموت وكان اول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني اسد يقال له ابو سنان
ابن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان احد من المسلمين حضرها الا جد بن
قيس اخو بني سلمة قال جابر لكاني انظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من
الناس ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي ذكر من امر عثمان باطل
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد ممن بايع تحت
الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع
تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقوله
تعالى فعلم ما في قلوبهم يعني من الصدق والاخلاص والوفا كما علم ما في قلوب
المنافقين من المرض والنفاق فانزل السكينة يعني الطمانينة عليهم
يعني على المؤمنين المخلصين حتى يثبتوا ويبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا
وفي هذه الاية لطيفة وهي ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب
لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى في الاية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان اهل بيعة الرضوان
من اهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قلت الفا في فعلم
للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه تعالى علم ما في قلوبهم من الصدق والايمان
فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب وفي قوله فعلم ما في قلوبهم قلت قوله
فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقدير لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى ان
الرضى لم يكن عند المبايعة الا عند ما علم الله بصدقهم والفا في قوله
فانزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فانزل
السكينة عليهم وقوله تعالى واثابهم فتحا قريبا يعني خيبر ومغانم كثيرة
ياخذونها يعني من اموال اهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار واموال
فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وكان الله عزيزا يعني منيعا
كامل العزة غنيا عن اعانتكم حكيما حيث حكم لكم بالغنايم ولاعدايكم
بالهلاك على ايديكم قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها يعني
المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم من اليوم الى يوم القيامة فعجل
لكم هذه يعني مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنايم
التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب يعجلها
الله لكم وهي في جنب ما وعد الله به من الغنايم كالقليل من الكثير وكف
ايدي الناس عنكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر

لما همت قبائل بني اسد وغطفان ان يغيروا على النبي صلى الله عليه وسلم وعيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكفهم الله عز وجل ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل ان الله كف ايدي اهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم **ولتكون آية للمؤمنين** هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم المغانم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعني وليحصل من بعدكم آية تدل لهم على انهما وسيكم الله يحصل مثله لهم وقيل ولتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم ويعلموا ان الله هو المتولي لحياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم **ويهديكم صراطا مستقيما** يعني ويهديكم الى دين الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية

ذكر غزوة خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع **ق** عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يغز بنا حتى يصبح وينظر فاذا سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين **م** عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم

تالله لولا الله ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا • فثبت الاقدام ان لاقينا
وانزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر اني مرحب • شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلهب

قال وبرز له عمي عامر فقال

قد علمت خيبر اني عامر • شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عمي عامر قتل نفسه فاتيت

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عمي عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال بل له اجره مرتين ثم ارسلني الى علي وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فاتيت عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرا واعطاه الراية فخرج مرحب فقال قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب اقبلت تلهب فقال علي رضي الله عنه

انا الذي سمتني امي حيدره • كليث غابات كريه المنظره
اوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحب فقتله ثم كان الفتح على يده اخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخاري طرفا منه قال البغوي وقد روي حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وانس بن مالك وابو هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ ابو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو اشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فاتى مدينة خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى راسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج له علي بن ابي طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق راسه حتى اخذ السيف في الاضراس ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت امه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحاق فكان اول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح القموص حصن ابن ابي الحقيق فاصاب منهم سبايا صفية بنت حيي بن اخطب جاء بها بلال واخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما راتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على راسها فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما راى من تلك اليهودية ما راى انزعت منكم الرحمة يا بلال حين تمر بامراتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رات

في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها
فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تتمنين ملك الحجاز محمدا
ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبها اثر منها فسألها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله فجحد ان يكون
يعلم مكانه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اني رايت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكنانة ارايت ان وجدناه عندك انقتلك قال نعم فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم
سأله ما بقي فابى ان يؤديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الزبير بن العوام ان يعذبه حتى يستاصل ما عنده فكان الزبير يقدح
بزند على صدره حتى اشرف على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب
عنقه باخيه محمود بن مسلمة ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزا خيبر قال فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلى
الله عليه وسلم وركب ابو طلحة وانا رديف ابي طلحة فاجرى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم حسر الازار عن فخذه حتى اني انظر الى بياض فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا
صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد
والخميس يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يا رسول الله
اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي فجاء رجل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اعطيت دحية صفية بنت حيي
سيدة قريظة والنضير لا تصلح لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي
صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله
عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها
اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من
الليل واصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ
به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الاخر يجيء بالسمن قال واحسبه
ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ق عن عبد الله بن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم
خيبر وقعنا في الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفئوا القدور ولا تاكلوا من لحوم الحمر
شيئا فقال ناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال اخرون انما نهى عنها البتة

ق

ق عن انس ان امرأة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة
فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت اردت
لاقتلك قال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال علي قالوا الا نقتلها
قال لا فما زلت اعرفها في لهوات محمد صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسماعيل
قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ازال اجد الم الطعام الذي
اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم خ عن عائشة
قالت لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر ق عن ابن عمر ان عمر اجلى
اليهود والنصارى من ارض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله
صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى
اجلاهم عمر في امارته الى تيماء واريحا قال محمد بن اسحاق لما سمع اهل فدك ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسألونه ان يحقن دماءهم وان يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم
ان اهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف ففعل
على ان لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر
للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا
عليها بخيل ولا ركاب ولما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له
زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية
وسألت اي عضو الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع
فاكثرت فيه السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها قطعة ولم يسغها ومعه
بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما
بشر فاساغها يعني ابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها وقال
ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك
فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه
وان كان نبيا فيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر
على مرضه الذي توفي فيه فقال يا ام بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت مع
ابنك تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري فكان المسلمون يرون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة عن عبيد الله
ابن سلمان ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا

غنايمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنايمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله
لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه احد من اهل هذا الوادي قال ويحك وما
ربحت قال وما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلاثمائة اوقية فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا انبيك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتين
بعد الصلاة اخرجه ابو داود وقوله تعالى **واخرى لم تقدروا عليها**
يعني وعدكم الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها **قد احاط الله بها** يعني
حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس علم
الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت
العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى اقدرهم الله
عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم
قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو
كل فتح فتحه المسلمون او يفتحونه الى اخر الزمان **وكان الله على كل شيء قديرا**
اي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك **ولو قاتلكم الذين كفروا** يعني
اسد وغطفان واهل خيبر **لولوا الادبار** اي لانهزموا عنكم **ثم لا يجدون
وليا ولا نصيرا** يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد **سنة
الله التي قد خلت من قبل** يعني هي سنة الله في نصر اوليائه وقهر اعدائه
ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله عز وجل **وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم** سبب نزول هذه الاية ما روي عن انس بن مالك ان ثمانين
رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم
مسلحين يريدون غدرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سبايا
فاستحياهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديهم عنكم ببطن مكة
من بعد ان اظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القران
وعلى ظهره غصن من اغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن ابي طالب
بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا
في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم
فقمنا اليهم فاخذناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد
او هل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الاية ان الله تعالى
ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي
كان اعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم يعني ايدي اهل
مكة وايديكم عنهم اي قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة **ببطن مكة**
قيل اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة **من بعد ان اظفركم عليهم**
اي امكنكم منهم حتى ظفرتم بهم **وكان الله بما تعملون بصيرا** قوله عز وجل

هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام ذكر صلح الحديبية روى الزهري
عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما
حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية
في بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه
سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما اتى
ذا الحليفة قلد الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة
يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا
من عسفان اتى عيينة الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وجمعوا
لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل على ذراري هولاء الذين عاونوهم فنصيبهم
فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا يكن عنقا قطعها الله او تروا راي قوم
البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يا رسول الله انما جيت عامدا لهذا
البيت لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال
امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم
في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم
بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى
كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت
فقالوا خلات القصوى خلات القصوى وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها
حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يدعونني قريش اليوم الى خطة
يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها
فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل يتبرضه
الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكى الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم
العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن
عمير وهو سايق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البير فغرزه في جوفه
فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جا بديل
بن ورقا الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي
نزلوا على اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك
عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجي لقتال احد ولكنا جينا معتمرين
وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاوا ماددتهم مدة ويخلوا
بيني وبين الناس فان اظهر فان شاوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا
والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى
تنفرد سالفتي ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق

حتى اتى قريشا فقال بديل انا جيناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول
قولا فان شيتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاوهم لا حاجة لنا ان تخبرنا
عنه بشي وقال ذو الراي منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم
بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال اي قوم
الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني
قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جيتكم
باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم
خطة رشد فاقبلوها ودعوني اتيه قالوا ايته فاتاه فجعل يكلم النبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال
عروة عند ذلك يا محمد ارايت ان استاصلت قومك فهل سمعت باحد من
العرب اجتاح اهله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لارى وجوها
واني لارى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال ابو بكر الصديق
امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابو بكر قال
والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك وجعل
يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة ابن شعبة قايم على
راس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة
بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال
اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة راسه فقال
من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك
وكان المغيرة قد صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جا فاسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه
في شي ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال
فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل
منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون
على وضوءه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما
له فرجع عروة الى اصحابه وقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك
ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رايت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم
اصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها
وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على
وضوءه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده ما يحدون النظر اليه تعظيما له
وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني اتيه فقالوا
ايته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له

واستقبله

واستقبله الناس يلبون فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهولاء ان
يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت
فما ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يوميذ
سيد الاحابيش فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتالهون
فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما راى الهدي يسيل اليه من عرض الوادي
في قلايده قد اكل اوباره من طول الحبس رجع الى قريش ولم يصل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما راى فقال يا معشر قريش اني قد
رايت ما لا يحل صد الهدي في قلايده قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله
قالوا له اجلس فانما انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك
وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم ايصد
عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلوا بين محمد
وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد قالوا مه كف عنا
يا حليس حتى ناخذ لانفسنا بما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص
فقال دعوني اتيه فقالوا ايته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلم
النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة
انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر
قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ادري
ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها
الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب
باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا
قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري
وذلك لقوله والله لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم
اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا
على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به
فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام
المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك
الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما

وروى عن البراء فى قصة الصلح وفيه قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك
شيا ولكن انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله
ثم قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا امحوك ابدا قال فارنيه فاراه اياها
فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال
البراء على ثلاثة اشيا على ان من اتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاهم من
المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها
بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن انس ان قريشا
صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا ان من جاء منكم لم نرده عليكم ومن
جاءكم منا رددتموه علينا فقال يا رسول الله اتكتب هذا قال نعم انه من
ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا
الى حديث الزهري قال فبينا هم كذلك اذ جاءه ابو جندل بن سهيل بن عمرو بن
يوسف في قيوده قد انفلت وخرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين
اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول من اقاضيك عليه ان ترده الي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم ننقض الكتاب بعد فقال فوالله اذا
لا اصالحك على شي ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه
لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش
فقال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جيت مسلما الا
ترون ما لقيت وقد كان عذب في الله عذابا شديدا وفي الحديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك
من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا
وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر يمشي الى جنب ابي جندل ويقول اصبر يا ابا
جندل فانما هم المشركون ودم احدهم دم كلب ويدني قايم السيف منه
ورجوت ان ياخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرويا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما راوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كادوا يهلكوا
وزادهم امر ابي جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت
الا يوميذ قال الزهري في حديثه عن مروان والمسور ورواه ابو وايل
عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
الست نبي الله حقا قال بلى قال السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى
قلت اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قلت فلم نعطي الدنية
في ديننا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت اولست كنت
تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى افاخبرك انك تاتيه العام

قال لا

قال لا قال فانك تاتيه ونطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك اعمالا
فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا
فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما
لم يقم احد منهم قام فدخل على ام سلمة فذكر لها ما لقي من الناس قالت ام
سلمة يا نبي الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم احدا كلمة حتى تنحر بدنك
وتدعوا حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه
ودعا حالقه فحلقه فلما راوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا
حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عباس وابن عمر حلق رجال يوم الحديبية
وقصر اخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا
يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين
قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين
دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا
لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في راسه برة من فضة ليغيظ المشركين
بذلك قال الزهري في حديثه ثم جا نسوة مومنات فانزل الله تعالى يا ايها
الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق
عمر امراتين يوميذ كانتا في الشرك فتزوج احداهما معاوية بن ابي سفيان
والاخرى صفوان بن امية قال فيهما هم ان يردوا النسا ويردوا الصداق
قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه ابو بصير عتبة بن اسيد
رجل من قريش وهو مسلم ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عبد عوف
والاخنس بن شريق الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث في طلبه
رجلا من بني عامر بن لوي ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالا العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا بصير انا قد اعطينا هولا القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر
وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم رده فعدا
الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا ياكلون من تمر لهم قال
ابو بصير لاحد الرجلين والله اني لارى سيفك هذا جيدا فاستله الاخر
فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال ابو بصير ارني انظر
اليه فاخذه منه فضربه حتى برد وفر الاخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدوا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راه لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويلك ما لك قال قتل والله صاحبي
واني لمقتول فوالله ما برح حتى طلع ابو بصير متوشح السيف حتى وقف
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اوفى الله ذمتك لقد رددتني

اليهم اعجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لو كان معه
احد فلما سمع ذلك عرف انه يرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر وبلغ المسلمين
الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بصير ويل
امه مسعر حرب لو كان معه احد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت ابو جندل
ابن سهيل فلحق بابي بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله ما
يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا
اموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم
لما ارسلت اليهم فمن اتاه فهو امن فارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم
فقدموا عليه المدينة وانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله
ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت اخرجه
البخاري بطوله سوى الفاظ منه وهي مستثناة في الحديث منها قوله فنزع
سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه الى قوله فوالله ما زال يجيش
لهم بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة الى قوله فقالوا لو كف عنا
يا حليس حتى ناخذ لانفسنا بما نرضى ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد
ابن عبد الله الى قوله وعلى ان يخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروي
عن البراء قصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهري ومنها قوله وفي الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل الى قوله قال عمر فاتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر
وابن عباس الى قوله وقال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه
الالفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه شرح غريب الفاظ الحديث
قوله بضع عشرة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح وهو ما بين الثلاثة الى
التسعة وقيل ما بين الواحد الى العشرة وقوله وبعث عينا له اي جاسوسا
قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم احياء من القارة وانضموا الى بني ليث في
محاربتهم قريشا وقيل حلفاء قريش وهم بنو الهون من خزيمة وبنو الحرث
ابن عبد مناف وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي
فسموا بذلك وقيل اسم واد باسفل مكة وقيل سموا لتجمعهم والتحبش
التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين اي منقوصين قوله نجدوا اي
مضوا وتخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم
وقوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على اخبار
العدو وقوله وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض
نذيرا النذير الذي يعلم القوم بالامر الحادث وقوله حل حل هو زجر للناقة
قوله خلات القصوى يعني انها لما توقفت عن المشي وتعسرت ظنوا ذلك

خلالا

خلالا في خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات
اي ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل اي منعها السير الذي
منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى وهو القصوى اسم ناقة النبي صلى الله
عليه وسلم ولم تكن قصوى وهو شق الاذن قوله خطة اي حالة وقضية
يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهي فروضه وما يجب القيام بها
يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديبية بتخفيف
اليا وتشديدها وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببير هناك عند
مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع
مراحل وقال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه في
المطالع والثمد الماء القليل الذي لا مادة له والتبرض اخذ الشيء قليلا
قليلا وقوله فما زال يجيش بالري يقال جاشت البير بالماء اذا ارتفعت
وفاضت والري ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورود وقوله وكانت
خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان اذا كان موضع
سره وثقته في ذلك قوله نزلوا اعداد مياه الحديبية اما العد الكثير
الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه اعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ
جمع عايذ وهي الناقة اذا وضعت الى ان يقوى ولدها وقيل هي كل انثى لها
سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة التي معها فصيلها
وهذا استعارة ذلك للناس واراد به ان معهم النساء والصبيان
قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب اي اضرت بهم واثرت فيهم وقوله ماددتهم
اي جعلت بيني وبينهم مدة قوله والا فقد جموا اي استراحوا والجمام بالجيم
الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتي السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا
العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو العنق الذي بينه وبين الكتف
وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله اني استنفرت يقال
استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية
معروفة وقوله بلحوا علي فيه لغتان التخفيف والتشديد واصل التبليح
الاعياء والفتور والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم به قوله استاصلت
قومك والجتاح اصل الاجتياح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجايحة
والاستيصال والاجتياح متقاربان في ما لغة الاذى قوله اني لارى
وجوها واشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع
يقال فلان خليق بذلك اي جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر
اللات هو اسم صنم كانوا يعبدونه والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة
من اللحمة التي تكون في فرج المراة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في
السنتهم قوله لولا يد لك عندي اليد النعمة وما يمتن به الانسان على

غيره قوله اي غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله فقد عرض عليكم خطة
رشد يقال خطة رشد وخطة غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد
منه انه قد طلب منكم طريقا واضحا في هدي واستقامة قوله وهو من قوم
يعظمون البدن اي الابل تهدى الى البيت في حج او عمرة وتقليدها هو ان يجعل
في رقابها شيء كالقلادة من لحا الشجر او نعل او غيره فيعلم بذلك انه هدي
والاشعار ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما راى الهدي
يسيل عليه اي يقبل عليه كالسيل من عرض الوادي اي جانبه وقوله هذا مكرز
وهذا رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث في شر فهو فجور قوله هذا
ما قاضى عليه اي فاعل من القضا وهو احكام الامر وامضاوه وهو في اللغة
على وجوه مرجعها الى انقطاع الشيء وتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر
والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف البا
ويروي بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعا من ادم شبه الجراب يوضع
فيه السيف مغمودا ويعلق في اخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها
لغتان وهو مشي المقيد قوله فاجره الي قال ابن الاثير يجوز ان يكون بالزاي
والرا اما الزاي فمن الاجازة اي اجعله جايزا غير ممنوع ولا محرم او
اطلقه الي وان كان بالرا المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما
صالح في هذا الموضع قوله فلم نعطا الدنية اي القضية التي لا نرضى بها ولا
يراد اي لم نرض بالادون والاقل في ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز
لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس فالمعنى فاستمسك به لا تفارقه ساعة
كما لا تفارق رجل الراكب قوله عز رجله فانه على الحق الذي لا يجوز لاحد
تركه قوله ويل امه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها ايضا
ومسعر حرب اي موقدها يقال سعرت النار واسعرتها اذا اوقدتها
والمسعر الخشب التي توقد بها النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله
والله اعلم واما تفسير الاية فقوله عز وجل هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام اي ان تطوفوا به **والهدي** اي وصدوا الهدي وهي البدن
التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة **معكوفا**
اي محبوسا **ان يبلغ محله** اي منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم **ولولا
رجال مومنون ونسا مومنات** يعني المستضعفين بمكة **لم تعلموهم**
اي تعرفوهم **ان تطيوهم** اي بالقتل وتوقعوا بهم **فتصيبكم منهم معرة
بغير علم** اي اثم وغرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله اوجب على
قاتل المومن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان
المشركين يعيبونكم ويقولوا قتلوا اهل دينهم والمعرة المشقة يقول
لولا ان تطيوا رجالا مومنين ونسا مومنات لا تعلموهم فيلزمكم به كفارة

اوسيئة

او سيئة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال
بينكم وبين ذلك لهذا السبب **ليدخل الله في رحمته من يشا** اي في
دين الاسلام من يشا اي من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها **لو تزيلوا**
اي تميزوا عن المومنين من الكفار **لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
اليما** اي بالسبي والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين احدهما
لولا رجال والثاني لولا تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشا
يعني المومنين والمومنات في رحمته اي في جنته قال قتادة في الاية
ان الله تعالى يدفع بالمومنين عن مشركي مكة كما دفع المستضعفين من
المومنين عن مشركي مكة قوله تعالى **اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحمية** اي الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا الهدي محله ولم يقروا ببسم الله
الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد رسول الله وقيل قال اهل
مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فيتحدث العرب
انهم دخلوا علينا على رغم انافنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا
فكانت هذه **حمية الجاهلية** التي دخلت قلوبهم **فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المومنين** اي حتى لا يدخلهم ما دخلهم في الحمية فيعصوا
الله في قتالهم **والزمهم كلمة التقوي** قال ابن عباس كلمة التقوي لا
اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر
كلمة التقوي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير وقال عطا الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله
وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم **وكانوا احق بها** اي من كفار
مكة **واهلها** اي كانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح **وكان الله بكل شيء عليما**
يعني من امور الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر المومنين
وما كانوا يستحقونه من الخير قوله تعالى **لقد صدق الله رسوله
الرويا بالحق** سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد
الحرام هو واصحابه امنين ويحلقون روسهم فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا
وحسبوا انهم داخلوا مكة عامهم فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم
ذلك وقال المنافقون اين روياه التي راها فانزل الله هذه الاية ودخلوا
في العام المقبل وروي عن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر
فقال بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

ثم جف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم
فلما اجتمع الناس قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر او فتح هو يا رسول الله
قال نعم والذي نفسي بيده دليل ان المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقق
الرؤيا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
اي اراه الرؤية التي اراه اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه
المسجد حق وصدق بالحق الذي راه حقا وصدقا وقيل يجوز ان يكون بالحق
قسما لان الحق من اسماء الله تعالى او قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه
لتدخلن المسجد الحرام وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه حكاية عن رؤيا فاخبر الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك
ان شاء الله آمنين قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب
وتاكيدا كقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
وقيل ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول في عام الحديبية
وكان المؤمنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن المسجد
الحرام ولكن لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء
واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله
عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت محلقين
رؤوسكم اي كلها ومقصرين اي تاخذون من بعض شعوركم لا تخافون اي
من عدو في رجوعكم لان قوله آمنين في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله
لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفي حال الرجوع فعلم ما لم تعلموا
يعني علم ان الصلاح كان في الصلح وتاخيرا للدخول وكون ذلك سببا لوطء
المؤمنين والمؤمنات وقيل علم ان دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا انتم
فظننتم انه في السنة الاولى فجعل من دون ذلك اي من قبل دخولكم الحرم
فتحا قريبا يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر قوله عز
وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق هذا لبيان صدق الرؤيا
وذلك ان الله لا يري رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون فحدث الناس فيقع
خلافه فيكون ذلك سببا للضلال فحقق الله امر الرؤيا بقوله صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى ليظهره على الدين
كله اي يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه وكفى
بالله شهيدا اي في انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب
المؤمنين وذلك انهم تاذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما صددناه
عن البيت فقال تعالى وكفى بالله شهيدا انه رسول الله ثم قال محمد رسول الله
اي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله ارسل رسوله قال ابن عباس

شهد

يشهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال تعالى والذين معه يعني اصحابه المؤمنين
اشداء على الكفار اي غلاظ اقوياء كالاسد على فريسته لا تاخذكم فيه
رافة رحماء بينهم يعني متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع
الولد كما قال في حقهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا
سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون اي يطلبون فضلا
من الله يعني الجنة ورضوانا اي ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص
بعمله لله يطلب اجره من الله والمرائي بعمله لا يبتغي له اجر وذكر بعضهم
في قوله والذين معه يعني ابا بكر الصديق اشداء على الكفار عمر بن الخطاب
رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون فضلا
من الله ورضوانا بقية الصحابة سيماهم اي علامتهم في وجوههم من اثر
السجود واختلفوا في هذه السيما على قولين احدهما ان المراد بها يوم القيامة
قيل هو نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا
لله في الدنيا وهو رواية عن ابن عباس وقيل يكون مواضع السجود من
وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة
يعرفون بذلك والقول الثاني ان ذلك في الدنيا وذلك انهم استنارت
وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع
والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته
وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن
يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل في الصلاة ويعرف ذلك
في رجلين احدهما سهر الليل في الصلاة والعبادة والاخر في اللهو واللعب
اذا اصبح ظهر الفرق بينهما فيظهر في وجه المصلي نورا وضياء وعلى وجه اللاعب
ظلمة وجفا وقيل هو اثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب
لا على الاثواب قال عطاء الخراساني دخل في هذه الاية كل من حافظ على
الصلوات الخمس ذلك مثلهم في التوراة يعني ذلك الذي ذكر من صفتهم
في التوراة وتم الكلام هاهنا ثم ابتدا بذكر نعتهم وصفتهم في الانجيل فقال
تعالى ومثلهم اي صفتهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه اي افراخه قيل
فراخه هو نبت يخرج بعده فهو شطاه فآزره اي قواه واعانه وشد
ازره فاستغلظ اي غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى اي تم وتلاحق
نباته وقام على سوقه جمع ساق اي على اصوله يعجب الزراع الذي يعجب
ذلك الزرع زارعه وهذا مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم مكتوب في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون
قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انه
سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر

قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطأ أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي بن أبي طالب يعجب الزراع يعني جميع المؤمنين **ليغيظ بهم الكفار** قيل هو قول عمر بن الخطاب لأهل مكة بعدما أسلم لا نعبد الله سرًا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية **فصل** في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **ق** عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم **م** عن عائشة قالت سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل زمان قيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن أبي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة أخرجه الترمذي وأخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا أصح من الحديث الأول عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر أشبه عيسى في ورعه قال عمر فتعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم أخرجه الترمذي مفرقًا في موضعين أحدهما إلى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر عن أبي ذر **خ** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت أحد أراه ضربه برجله فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا باللذين بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذي وقال حديث غريب **ق** عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالاً عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وصحبني في الغار وأعتق بلالاً من ماله رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرًا تركه الحق وما له من صديق رحم الله عثمان تستحيي منه الملائكة رحم الله عليًا اللهم أدر الحق معه

حيث

حيث دار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب **م** عن زر بن حبيش قال سمعت عليًا يقول والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت من أصحابي بأرض إلا بعث قائدًا ونورًا لهم يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال وقد روي عن ابن بريدة مرسلاً **ق** عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو كان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وعن أبي هريرة نحوه أخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم** لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني من الشطأ الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الإسلام إلى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطأ لا على لفظه ولذلك لم يقل منه **مغفرة وأجرًا عظيمًا** يعني الجنة وقيل إن المغفرة جزاء الإيمان فإن لكل مؤمن مغفرة والأجر العظيم جزاء العمل الصالح والله أعلم

تفسير سورة الحجرات

مدنية وهي ثمانية عشرة آية وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفًا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** من التقديم أي لا ينبغي لكم أن يصدر منكم تقديم أصلاً وقيل لا تقدموا فعلاً بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي أمر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا لأنفسكم تقدمًا عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه إشارة إلى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لأوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول وفعل قبل أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يفعل وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الآية فروي عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحى أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن ناسًا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فأمروا أن يعيدوا الذبح **ق** عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما نبدأ

به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا
ومن ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء
زاد الترمذي في اوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر
الحديث وروي عن عايشة انه في النهي عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا
قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد
عصى ابا القاسم صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الاية ما روي عن عبد الله بن الزبير
انه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع
ابن معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت
الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماديا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل
في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد
في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه
اخرجه البخاري وقيل نزلت الاية في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا او
صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الاية لا تفتاتوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه وقيل في القتال وشرايع
الدين لا تقضوا امرا دون الله ورسوله **واتقوا الله** في تضييع حقه ومخالفة
امره **ان الله سميع** اي لاقوالكم **عليم** اي بافعالكم قوله تعالى **يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي** اي لا تجعلوا كلامكم
مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت
دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهي عن فعل
وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهي عن قول **ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض** امرهم ان يجلوه ويعظموه ولا يرفعوا اصواتهم عنده ولا ينادوه
كما ينادي بعضهم بعضا فيقول يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله
ان تحبط اعمالكم اي لئلا تحبط وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم **وانتم لا
تشعرون** اي بذلك **ق** عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الاية يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية جلس ثابت بن قيس
في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال
النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان ثابت ايشتكي
فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه الاية ولقد علمتم
اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر
ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل هو من اهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة

لفظ

لفظ مسلم وللبخاري نحوه وروي لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق
يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف
ان تكون نزلت في وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم اخاف ان
يحبط عملي وان اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغلب ثابتا البكا فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول
فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فسدي علي الضبة بمسمار فضربتها بمسمار
وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره خبره فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فادعه
لي فجاء عاصم الى المكان الذي راه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده
في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر
الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان يكون هذه الاية
نزلت في فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل
شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله فانزل الله
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية قال انس فكنا ننظر
الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة
راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طايفة منهم قال اف
لهولاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت
وعليه درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اعلم ان
فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو في ناحية من العسكر عند
فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره
حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان
علي دينا حتى يقضي عني وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد الدرع
والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرويا فاجاز
ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا
هذه قال ابو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الاية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الاية
ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم
كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون
اي يخفضون اصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اجلالا له
وتعظيما **اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** اي اختبرها واخلصها
كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه **لهم مغفرة واجر عظيم** قوله عز وجل

ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا فتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابائهم يبكون وكان لكل امراة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور ابن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات **اكثرهم لا يعقلون** وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الاية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهو الاكثر **ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم** فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاؤا به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج **لكان خيرا لهم** اي الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل كان احسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله جزاهم وقيل نزلت الاية في اناس من اعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة ابن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر امرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه وقام شاعرهم فذكر ابياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا المؤتى له تكلم خطيبنا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه

فاعطاه

فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الايات الى قوله **والله غفور رحيم** اي لمن تاب منهم قال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جنابه فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الاية قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا** الاية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وامره ان يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رايت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم وسمع منهم اذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق يعني الوليد بن عقبة وهو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو اولى من حكم الاية على رجل بعينه لان الفسق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فاخطا فعلى هذا يكون معنى الاية ان جاءكم فاسق بنبا اي بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا اي توقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على كلام الفاسق **ان تصيبوا** اي كي لا تصيبوا بالقتل والسبي **قوما بجهالة** اي جاهلين حالهم وحقيقة امرهم **فتصبحوا على ما فعلتم** اي من اصابتكم بالخطا **نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله** اي فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا **لو يطيعكم** اي الرسول **في كثير من الامر** اي مما تخبرونه به فيحكم برايكم **لعنتم** اي لاثمتم وهلكتم عن ابي سعيد الخدري

انه قرأ واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ايمتكم لو اطاعهم في كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب **ولكن الله حبب اليكم الايمان** اي جعله احب الاديان اليكم **وزينه** اي حسنه وقربه منكم وادخله **في قلوبكم** حتى اخترتموه لان من احب شيئا اذا طال عليه فقد يسأم منه والايمان في كل يوم قد يزداد في القلب حسنا وثباتا ولذلك تطيعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم **وكره اليكم الكفر والفسوق** قال ابن عباس يريد الكذب **والعصيان** جميع معاصي الله تعالى وفي هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة اشياء في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر في مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المومن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهي لا اله الا الله والعصيان جعله في مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان بالاركان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى **اولئك هم الراشدون** اشارة الى المومنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم اي اولئك هم المهتدون الى محاسن الافعال ومكارم الاخلاق **فضلا من الله** اي فعل ذلك فضلا منه **ونعمة** عليكم **والله عليم** اي بكم وبما في قلوبكم **حكيم** في امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزاينه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزله من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم قوله عز وجل **وان طايفتان من المومنين اقتتلوا ق** عن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي ارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض **ق** عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فركبه واردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن ابي

واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردايه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي ابن سلول ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا توذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وذكر الحديث وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مماراة في حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شي فرقي بها الى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاوا وجا قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل وان طايفتان من المومنين اقتتلوا قيل المراد من الطايفتين الاوس والخزرج **فاصلحوا بينهما** اي بالدعا الى حكم كتاب الله والرضى بما فيه لهما وعليهما **فان بغت** اي تعدت **احداهما على الاخرى** وابت الاجابة الى حكم كتاب الله **فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء** اي ترجع **الى امر الله** اي الى كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته في الصلح الذي امر به **فان فاءت** اي رجعت الى الحق **فاصلحوا بينهما بالعدل** اي الذي يحملهما على الانصاف والرضى بحكم الله **واقسطوا** اي اعدلوا **ان الله يحب المقسطين** اي العادلين **انما المومنون اخوة** اي في الدين والولاية وذلك ان الايمان قد عقد بين اهله من النسب والقرابة كعقد النسب الملاصق وان بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم

ابي الاسلام لا اب لي سواه • اذا افتخروا بقيس او تميم

فاصلحوا بين اخويكم اي اذا اختلفا واقتتلا **واتقوا الله** اي فلا تعصوه ولا تخالفوا امره **لعلكم ترحمون** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة **فصل** في حكم قتال البغاة قال العلماء في هاتين الايتين دليل على ان البغي لا يزيل

اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مومنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روى
عن علي بن ابي طالب وهو القدوة في قتال اهل البغي وقد سيل عن اهل الجمل
وصفين امشركون هم فقال ليس هم من الشرك فقال امنافقون هم فقال
لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا
والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طايفة لهم قوة
ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتاويل محتمل ونصبوا لهم اماما
فالحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة
ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على البغي قاتلهم الامام حتى
يفيئوا الى الطاعة ثم الحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم
ولا يذفف على جريحهم نادى منادي يوم الجمل الا لا يتبع مدبر ولا يقتل
اسير ولا يذفف على جريح وهو بالذال المعجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير
قتله وتتميمه واتي علي يوم صفين باسير فقال لا اقتلك صبرا اني اخاف
الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطايفتين على الاخرى في حال القتال
من نفس ومال فلا ضمان عليهم قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف
في بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت
الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رايته اقتص من احد ولا اغرم مالا اما
من لم يجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لا منعة
لهم او لم يكن لهم تاويل ولم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا
ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم وروي
ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق
اريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم
الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم مع ايدينا ولا نبداكم بقتال قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم الاية نزلت في ثلاثة اسباب
السبب الاول من اولها الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت
بن قيس بن شماس وذلك انه كان في اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول
فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله
عليه وسلم من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فظن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع
احد لاحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قايما كما هو فلما فرغ
ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس
ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل اصبت
مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل

فقال

فقال من هذا فقال انا فلان فقال له ثابت ابن فلانة وذكر خالة كان يعير بها في
الجاهلية فنكس الرجل راسه واستحيى فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك
نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤن بفقراء اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم
مولى حذيفة لما راوه من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا يسخر قوم من قوم اي لا يستهزي غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن
لم يستر ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله
خير منه وهو قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم السبب الثاني قوله تعالى
ولا نساء من نساء اي ولا يستهزي نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن
روي عن انس انها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة
بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي
صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال لها ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني
بنت يهودي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وعمك نبي وانك لتحت
نبي ففيم تفخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح غريب السبب الثالث قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم
ولا تنابزوا بالالقاب عن ابي جبيرة بن الضحاك هو اخو ثابت بن الضحاك
الانصاري قال فينا نزلت هذه الاية في بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وليس منا رجل الا له اسمان او ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله
يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم
فانزل الله هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان اخرجه ابو داود والترمذي قال كان الرجل منا يكون له اسمان
والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا
بالالقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم
اي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض والمراد بالانفس الاخوان
ههنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب
عايب لاحد بعيب فكانه عاب نفسه وقيل لا يخلو احد من عيب فاذا عاب
غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكانه هو العايب لنفسه ولا تنابزوا
اي لا يدعو الانسان بغير ما سمي به قال ابن عباس التنابز بالالقاب
ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي ان يعير بما سلف من عمله
وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل
اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني
فنهوا عن ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير قال
العلماء المراد بهذه الالقاب ما يكرهه المنادى به او يفيد ذما له فاما

الالقاب التي صارت كاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما اشبه ذلك
فلا بأس به اذا لم يكرهه المدعو به واما الالقاب تكسب حمدا ومدحا وتكون
حقا وصدقا فلا يكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذي
النورين ولعلي ابو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان اي بئس الاسم ان تقولوا يا يهودي ويا نصراني لمن قد اسلم
ويا فاسق بعدما تاب وقيل معناه ان فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز
فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا
اسم الفسوق ومن لم يتب اي من ذلك كله فاولئك هم الظالمون اي
الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل اظلم من الذين قالوا
لهم ذلك قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قيل
نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما
الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي
الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام
ولم يهيئ لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني
عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه
طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده
فضل طعام وادام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا
كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد
عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا
يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما جاءا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم
في افواهكما قالا لا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما
تاكلان لحم سلمان واسامة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن يعني ان يظن باهل الخير سوءا نهى الله المؤمن ان يظن باخيه
المؤمن شرا وقيل هو ان يسمع من اخيه المسلم كلاما لا يريد به سوءا او يدخل
مدخلا لا يريد به سوءا فيراه اخوه المسلم فيظن به سوءا لان بعض الفعل
قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون
فاعله ساهيا ويكون الرائي مخطئا فاما اهل السوء والفسق المجاهرين
بذلك فلنا ان نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم ان بعض الظن اثم قال
سفيان الثوري الظن ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر

ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن انواع فمنه واجب ومامور به وهو
الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ
المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل
وسوء الظن بالاخ المسلم ولا تجسسوا اي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى
الله عن البحث عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على
ما ستره الله منها ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم
والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم المسلم اخو المسلم لا يظلمه
ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير
الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم
حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى صوركم واجسامكم ولكن
ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور واكثر ما
يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل
معناهما واحد وهو طلب الاخبار قوله ولا تنافسوا اي لا ترغبوا
فيما يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال
النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا اي لا يعطي كل واحد منكم اخاه
دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من اسلم بلسانه
ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا
عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع
الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة
فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال اتي ابن مسعود
فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن
التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء ناخذ به اخرجه ابو داود وله عن عقبة
بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها
كان كمن احيا موءودة م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد
عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة قوله تعالى ولا يغتب بعضكم
بعضا لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله
ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرأيت ان كان في اخي ما اقول قال
ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم
عن عائشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا

قال بعض الرواة يعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بما البحر لمزجته
قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته اي
خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث
من ابلغ الزواجر عن الغيبة قوله تعالى **ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا**
فكرهتموه قال مجاهد لما قيل ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا
لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غايبا قيل
تاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس
بذلك وفيه اشارة ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتالم
قلبه اذا ذكر بسوء كما يتالم جسده اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم
فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحم الناس فترك اعراضهم اولى وقوله لحم
اخيه اكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه وقوله
ميتا ابلغ في الزجر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج
بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي
نسخة وصدورهم فقلت من هولا يا جبريل قال هولا الذين ياكلون
لحوم الناس ويقعون في اعراضهم اخرجه ابو داود وقال ميمون بن سياه
بينا انا نايم اذا بجيفة زنجي وقايل يقول كل يا عبد الله قلت وما اكل
قال بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لا
ولكنك استمعت ورضيت وكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا
يغتاب احدا عنده قوله تعالى **واتقوا الله** في امر الغيبة واجتناب
نواهيه **ان الله تواب رحيم** قوله عز وجل **يا ايها الناس انا خلقناكم**
من ذكر وانثى قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في
الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر
فلانة قال ثابت انا يا رسول الله قال انظر وجوه القوم فنظر فقال
ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا
بالدين والتقوى فنزل في ثابت هذه الاية ونزل في الذي لم يفسح له يا ايها
الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الاية وقيل لما كان
يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة
واذن فقال عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي ولم ير هذا
اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود موذنا
وقال سهيل بن عمرو ان يكره الله شيا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول
شيا اخاف ان يخبره رب السما فنزل جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما قالوا وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الاية وزجرهم عن

التفاخر

التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازرا بالفقر فقال يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم وحوا والمعنى انهم متساوون في النسب
فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم ابنا رجل واحد وامراة واحدة وقيل
يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم ايها الموجودون من اب
وام فان كل واحد منكم خلق كما خلق الاخر سوا فلا وجه للتفاخر والتفاضل
في النسب **وجعلناكم شعوبا** جمع شعب بفتح الشين وهي روس القبايل
من ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبايل منهم
وقيل لتجمعهم **وقبايل** جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة
وتميم من مضر ودون القبايل العماير واحدتها عمارة بفتح العين وهم
كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العماير البطون واحدتها بطن وهم
كبني غالب ولوي من قريش ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهم
كبني هاشم وبني امية من لوي ودون الافخاذ الفصايل واحدتها فصيلة
بالصاد المهملة كبني العباس وبني هاشم ثم بعد ذلك العشاير واحدتها
عشيرة وليس بعد العشيرة شي يوصف وقيل الشعوب من العجم والقبايل
للعرب الذين ينتسبون الى ابايهم **لتعارفوا** اي ليعرف بعضكم بعضا
في قرب النسب وبعده لا للتفاخر ولا للانساب ثم بين الخصلة التي
بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال
تعالى **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** قيل اكرم الكرم التقوى والام
اللوم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنا وكرم الاخرة التقوى
عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال
والكرم التقوى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب **ق** عن ابي هريرة
قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله
اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله
بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالوني
قالوا نعم قال فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فقهوا
بضم القاف على المشهور وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع
عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان
بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال ثم قام فخطبهم
فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية
وتكبرها يا ايها الناس اي الناس رجلان بر تقي كريم على الله وكافر شقي
هين على الله ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول
قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والمحجن عصا محنية الراس كالصولجان
وقوله عبية الجاهلية يعني كبرها وفخرها **ان الله عليم** اي بظواهركم

بعمل الناس خبير اي ببواطنكم لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم
الى معادكم قيل المتقي هو العالم بالله المواظب لبابه المتقرب الى جنابه وقيل
حد التقوى ان يجتنب العبد المناهي ويأتي بالاوامر والفضائل ولا يغتر
ولا يأمن فان اتفق ان يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر
عليه التوبة والندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب في الحال واتكل على المهلة
وغره طول الامل فليس بمتقي لان المتقي لم يترك ما امر به ويترك ما نهى
عنه وهو مع ذلك خاشٍ لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت
لحظة الى نفسه واهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد توبة
جعلنا الله واياكم من المتقين فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا الآية نزلت
في نفر من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة
مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فافسدوا طرق
المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك
بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان
يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون
اعطنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت في الاعراب الذين ذكرهم
الله في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون
آمنا ليأمنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا عنها
فانزل الله عز وجل قالت الاعراب آمنا اي صدقنا قل لم تؤمنوا اي لم
تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا وانقدنا مخافة
القتل والسبي ولما يدخل الايمان في قلوبكم لان حقيقة الايمان
هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا
يكون ايمانا بالتصديق بالقلب والاخلاص ق عن سعد بن ابي وقاص قال
اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا جالس فترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو اعجبهم الي فقلت ما لك عن فلان والله اني لاراه مؤمنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا واجابه
بمثل ذلك ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية ان يكب في النار على
وجهه زاد في رواية قال الزهري فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان
العمل الصالح لفظ الحميدي اعلم ان الاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد
والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان
لقوله لابراهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد
باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في
قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمانينة النفس عليه

والاسلام

والاسلام هو الدخول في السلم والخروج ان يكون حربا للمسلمين مع اظهار
الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف يفهم ذلك
مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب
والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان
اخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا غيره فالعام
والخاص مختلفان في العموم والخصوص متحدان في الوجود فكذلك المؤمن
والمسلم وقوله تعالى وان تطيعوا الله ورسوله اي ظاهرا وباطنا سرا
وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان لا يلتكم اي لا ينقصكم
من اعمالكم شيئا اي من ثواب اعمالكم ان الله غفور رحيم ثم بين حقيقة
الايمان فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم
يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم فلما نزلت هاتان الآيتان اتت
الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون انهم مؤمنون صادقون
وعرف الله عنهم غير ذلك فانزل الله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم
اي لتخبرون الله بدينكم الذي انتم عليه والله يعلم ما في السموات وما
في الارض اي لا يخفى عليه خافية والله بكل شيء عليم اي لا يحتاج الى اخباركم
يمنون عليك ان اسلموا اي هو قولهم اسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بين ذلك ان اسلامهم لم يكن خالصا
قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعتدوا علي باسلامكم بل الله يمن عليكم
ان هداكم للايمان اي لله المنة عليكم ان ارشدكم وامدكم بتوفيقه حيث
هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى ان كنتم صادقين
اي انكم مؤمنين ان الله يعلم غيب السموات والارض اي انه سبحانه وتعالى
لا يخفى عليه شيء في السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم
وعلانيتكم والله بصير بما تعملون اي بجوارحكم الظاهرة والباطنة
والله اعلم

تفسير سورة ق

مكية وهي خمس واربعون آية وثلاثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة
واربعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل ق قال ابن عباس هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل اسم من اسماء الله
وقيل هو اسم من اسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر
والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضي الامر وقضي
ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه
بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفاها وخضرة

السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه الا الله تعالى وقيل هو من وراء الحجاب الذي
يغيب الشمس من ورايه بمسيرة سنة والقران المجيد اي الشريف الكريم على الله
الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم فقيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن
وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا بل عجبوا ان جاءهم
منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجيب وهو ان يخوفهم رجل منهم قد عرفوا
وساطته فيهم وعدالته وامانته وصدقه فقال الكافرون هذا شيء عجيب
اي معجب غريب ايذا متنا وكنا ترابا اي حين نموت ونبلى نبعث ترك ذكر
البعث لدلالة الكلام عليه ذلك رجع بعيد اي يبعد ان نبعث بعد الموت فقال
الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل الارض من لحومهم
ودمايهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شيء وعندنا اي مع علمنا بذلك كتاب حفيظ
يعني محفوظ من التغيير والتبديل وقيل حفيظ بمعنى حافظ اي حافظ لعددهم
واسمايهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه ما يكون
بل كذبوا بالحق اي بالقران لما جاءهم وقيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل
كذبوا المنذر لما جاءهم فهم في امر مريج مولج اي مختلط ملبس معنى اختلاط
امرهم هو قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم
مجنون ويقولون في القران مرة سحر ومرة رجز ومرة مفتري فكان امرهم
مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الاية من ترك الحق مرج عليه امره
والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم امرهم ثم دلهم
على عظيم قدرته فقال تعالى افلم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها
اي بغير عمد وزيناها اي بالكواكب وما لها من فروج اي شقوق
وصدوع والارض مددناها اي بسطناها على وجه الما والقينا فيها
رواسي اي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اي من كل صنف
حسن كريم يبهج به اي يسر به تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى اي
تذكرة لكل عبد منيب اي راجع الى الله تعالى ونزلنا من السما ما
مباركا اي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شي وهو المطر فانبتنا به اي
بذلك الما جنات اي بساتين وحب الحصيد يعني البر والشعير وساير
الحبوب التي تحصد والنخل باسقات اي طوالا وقيل مستويات لها طلع
اي ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا قبل ان يتشقق نضيد اي متراكب بعضه
على بعض في اكمامه فاذا انشق وخرج من اكمامه فليس بنضيد رزقا اي
جعلنا ذلك رزقا للعباد واحيينا به اي بالمطر بلدة ميتا فانبتنا
فيها الكلا والعشب كذلك الخروج اي من القبور احيا بعد الموت قوله
تعالى كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون
واخوان لوط واصحاب الايكة قيل كان لوط مرسلا الى طايفة من قوم

ابراهيم

ابراهيم فلذلك قال واخوان لوط وقوم تبع وهو ابو كرب تبع الحميري
وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون
لانه هو المكذب المستحق لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم كل كذب
الرسل فحق وعيد اي هولا المذكورين كذبوا رسولهم فحق وعيدي اي
وجب لهم عذابي وقيل فحق وعيد للرسل بالنصر افعيينا بالخلق
الاول هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين خلقناهم
اولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا
البعث بل هم في لبس اي شك من خلق جديد وهو البعث قوله عز وجل
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما يحدث
به قلبه فلا يخفى علينا سرايره وضمايره ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
بيان لكمال علمه اي نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم
ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الاية
ان اجزاء الانسان وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شي
وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا ويجري فيه
امرنا كما يجري الدم في عروقه اذ يتلقى المتلقيان اي يتلقى الملكان
الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه عن اليمين وعن
الشمال يعني احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب
الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات قعيد اي قاعد لان كلا منهما
قعيد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي
لا يبرح ما يلفظ من قول اي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه الا لديه
رقيب حافظ عتيد اي حاضر اينما كان سوى وقت الغايط وعند جماعه
فانهما يتاخران عنهما فلا يجوز لاحد ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا
يوذي الملايكة بدنوهما منه وهو على تلك الحال حتى يكتبان ما يتكلم به
وقيل انهما يكتبان عليه كل شي يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان
الا ما له اجر وثواب وعليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر
على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه ان ينظف عنفقته وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين
عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات
لعله يسبح او يستغفر قوله تعالى وجاءت سكرة الموت اي غمرته وشدته
التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق اي بحقيقة الموت وقيل
بالحق من امر الاخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما
يوول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة ذلك ما كنت منه

تحيد اي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد
اي ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه وجاءت اي في ذلك
اليوم كل نفس معها سائق اي يسوقها الى المحشر وشهيد اي يشهد عليها
بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدي
والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس لقد كنت في غفلة من هذا
اي من هذا اليوم في الدنيا فكشفنا عنك غطاءك اي الذي كان على سمعك
وقلبك وبصرك في الدنيا فبصرك اليوم حديد اي قوي ثابت نافذ تبصر
ما كنت تتكلم به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى
لسان ميزانك حتى توزن حسناتك وسيئاتك وقال قرينه يعني الملك
الموكل به هذا ما لدي عتيد اي عندي اي معد محضر وقيل يقول هذا
الملك الذي وكلتني به من ابن ادم قد احضرته واحضرت ديوان عمله القيا
في جهنم اي يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا امر للسائق والشهيد
كل كفار اي شديد الكفر عنيد اي عاص مسرف عن الحق معاند لله فيما
امره به مناع للخير اي للزكاة المفروضة وكل حق وجب في ماله معتد اي ظالم
لا يقر بتوحيد الله مريب اي شاك في التوحيد الذي جعل مع الله الها
اخر فالقياه في العذاب الشديد يعني الكفار قال قرينه يعني الشيطان
الذي قيض لهذا الكافر ربنا ما اطغيته قيل هذا جواب لكلام مقدر
وهو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول
الشيطان ربنا ما اطغيته اي ما اضللته وما اغويته ولكن كان في
ضلال بعيد اي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني
الملك يقول الكافر ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا
ما اطغيته اي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في
ضلال بعيد اي طويل لا يرجع الى الحق فيقول الله تعالى قال لا تختصموا
لدي اي لا تعتذروا عندي بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم وقد
قدمت اليكم بالوعيد اي بالقران وانذرتكم على السن الرسل وحذرتكم
عذابي في الاخرة لمن كفر ما يبدل القول لدي اي لا تبديل لقولي وهو
قوله عز وجل لاملان جهنم وقضيت عليكم ما انا قاض فلا يغير قولي
ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لاني
علام الغيوب واعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى يدل عليه انه
قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي وما انا بظلام للعبيد
اي فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فازيد على اساءة المسيء وانقص من
احسان المحسن قوله عز وجل يوم نقول لجهنم هل امتلات بيان لما

سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملاها من الجنة والناس وهذا السؤال
من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده وتقول يعني جهنم هل
من مزيد يعني تقول قد امتلات ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام
انكاري وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون
السؤال وهو قوله هل امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها وروي عن
ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
فلما سيق اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملاها شيء
فتقول الست قد اقسمت لتملاني فيضع قدمه عليها فيقول هل
امتلات فتقول قط قط قد امتلات وليس في مزيد عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل
من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول
قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم
فضول الجنة ولابي هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه احدا فصل
هذا الحديث من مشاهير احاديث الصفات وللعلماء فيه وفي امثاله مذهبان
احدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم في تاويلها
بل نؤمن بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى
يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين
انها تتاول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تاويل هذا الحديث
المراد بالقدم التقدم وهو شائع في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها
من قدمه لها من اهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود
الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان في المخلوقات
من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضي عياض اظهر التاويل
انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن
ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى
والله اعلم قوله قط قط اي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان
الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه احدا
يعني انه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذبه بذنب او بغير ذنب
فذلك عدل منه سبحانه وتعالى قوله تعالى وازلفت الجنة اي قربت
وادنيت للمتقين اي الذين اتقوا الشرك غير بعيد يعني انها
جعلت عن يمين العرش بحيث يراها اهل الموقف قبل ان يدخلوها
هذا ما توعدون اي يقال لهم هذا الوعد وعدتم به في الدنيا على السنة
الانبياء لكل اواب اي راجع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب
هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه

في الخلا يستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو
المصلي حفيظ قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه
حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل
هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب وقيل هو المحافظ على الطاعات
والاوامر من خشي الرحمن بالغيب اي خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره
وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه احد اذا القى الستر واغلق الباب
وجاء بقلب منيب اي مخلص مقبل على طاعة الله ادخلوها اي
يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة بسلام يعني بسلامة من
العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة
من زوال النعم ذلك يوم الخلود اي في الجنة لانه لا موت فيها لهم ما
يشاؤن فيها وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطون
ما سألوا ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه مما لم يخطر بقلب بشر وهو
قوله تعالى ولدينا مزيد وقيل المزيد هو النظر الى وجه الله الكريم قيل
يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد
قوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم اي من قبل كفار مكة من قرن هم اشد
منهم بطشا يعني سطوة والبطشة الاخذ بصولة وعنف فنقبوا
في البلاد اي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق هل من
محيص اي فلم يجدوا لهم محيصا من امر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا
من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة
لانهم على مثل سبيلهم ان في ذلك لذكرى اي فيما ذكر من اهلاك القرى
تذكرة وموعظة لمن كان له قلب قال ابن عباس اي عقل وقيل له قلب
حاضر او القى السمع اي استمع القران واستمع ما يقال له لا يحدث
نفسه بغيره وهو شهيد اي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه قوله
تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا
من لغوب اي اعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا
خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اولها الاحد واخرها
الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل
فيه فانزل الله هذه الاية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم
السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازي
في تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق
السموات والارض وما بينهما وقوله وما مسنا من لغوب اي ما تعبنا بالخلق
الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى افعيينا بالخلق الاول
الاية واما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو مما تخرصوه منهم او لم يعلموا

تأويله

تأويله وذلك ان الاحد والاثنين ازمنة متميزة بعضها عن بعض فلو كان خلق
السموات والارض ابتدا يوم الاحد لكان الزمان قبل الاجسام والزمان
لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام لان اليوم عبارة
عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض
لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق وقد يراد به الوقت والحين وقد
يعبر عنه عن مدة الزمان اي مدة كانت قوله عز وجل فاصبر على ما
يقولون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي اصبر يا محمد على ما يقولون
اي من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم وسبح
بحمد ربك اي صل حمدا لله قبل طلوع الشمس اي صلاة الصبح وقبل
الغروب يعني صلاة العصر وقال ابن عباس صلاة الظهر والعصر ومن
الليل فسبحه يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل يعني صلاة الليل اي
وقت صلى وادبار السجود قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعنهما
ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل
صلاة الفجر وهي رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا ق عن عائشة قالت
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتي
الفجر م عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها
يعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر
بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وقيل في قوله ادبار السجود التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات
خ عن ابن عباس قال امره ان يسبح في ادبار الصلوات كلها يعني قوله وادبار
السجود م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله
في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا
وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل
زبد البحر خ عنه ان فقراء المسلمين اتوا رسول الله فقالوا يا رسول الله
ذهب اهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك فقالوا
صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست
لنا اموال قال افلا اخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من
جاء بعدكم ولا ياتي احد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في كل
صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا قوله تعالى واستمع يوم
ينادي المنادي يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه
انتظر صيحة القيامة والنشور وقال المفسرون المنادي هو اسرافيل

يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول يا ايتها العظام البالية والاوصال
المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن
لفصل القضا وهو قوله تعالى من مكان قريب قيل ان صخرة بيت المقدس
اقرب الارض الى السما بثمانية عشر ميلا وقيل هي في وسط الارض يوم
يسمعون الصيحة بالحق اي الصيحة الاخرة ذلك يوم الخروج اي من
القبور انا نحن نحيى اي في الدنيا ونميت يعني عند انقضا الاجل والينا
المصير اي في الاخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيى للبعث والينا
المصير بعد الموت يوم تشقق الارض عنهم سراعا اي يخرجون سراعا الى
المحشر وهو قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير اي هين نحن اعلم بما يقولون
يعني كفار مكة في تكذيبك وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على
الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يومر بقتالهم فذكر بالقرآن
من يخاف وعيد اي ما اوعدت من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا
يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقران من يخاف وعيد اي عظ
بالقران من يخاف وعيدي والله تعالى اعلم بمراده

تفسير سورة الذاريات

وهي مكية وهي ستون اية وثلاثماية وستون كلمة والف ومايتان وتسعة
وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والذاريات ذروا يعني الرياح التي تذروا التراب فالحاملات وقرا
يعني السحاب يحمل ثقلا من الما فالجاريات يسرا يعني السفن تجري
في الما جريا سهلا فالمقسمات امرا يعني الملايكة يقسمون الامور
بين الخلق على ما امروا به وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبيا
الامين عليه وصاحب الغلظة وميكاييل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل
صاحب الصور واللوح وعزرايل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف
الاربعة في الرياح لانها تنشي السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجري به
جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب اقسم الله بهذه الاشيا
لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى اقسم
بالذاريات وبهذه الاشيا وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر
جواب القسم فقال تعالى انما توعدون اي من الثواب والعقاب يوم القيامة
لصادق اي لحق وان الدين اي الحساب والجزا لواقع اي لكاين ثم ابتدا
قسما اخر فقال تعالى والسما ذات الحبك قال ابن عباس ذات الخلق
الحسن المستوي وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان
المتقن وقيل ذات الطرايق كحبك الما اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها

لاترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله انكم يعني يا اهل مكة لفي قول
مختلف يعني في القران وفي محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القران سحر وكهانة
واساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون
وقيل في قول مختلف اي مصدق ومكذب يوفك عنه من افك يعني يصرف
عن الايمان به من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وبالقران وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن
الايمان به قتل الخراصون يعني الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا
عقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس
عن الاسلام وقيل هم الكهنة الذين هم في غمرة اي في غفلة وعمى وجهالة
ساهون اي لاهون غافلون عن امر الاخرة والسهو الغفلة عن الشي وذهاب
القلب عنه يسيلون ايان يوم الدين اي يقولون يا محمد متى يوم الجزا
يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزا قال الله تعالى يوم هم اي يكون
هذا الجزا في يوم هم على النار يفتنون اي يدخلون ويعذبون بها وتقول
لهم خزنة النار ذوقوا فتنتكم اي عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون
اي في الدنيا تكذيبا قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون
يعني في خلال الجنات عيون جارية اخذين ما اتاهم اي ما اعطاهم
ربهم من الخير والكرامة انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل
دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا ثم وصف احسانهم فقال تعالى
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون
اكثره وقال ابن عباس كانوا اقل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيا اما من
اولها او من اوسطها وعن انس بن مالك في قوله كانوا قليلا ما يهجعون
كانوا قليلا يصلون بين المغرب والعشا اخرجه ابو داود وقيل كانوا
لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجوعا كلها ووقف
بعضهم على قوله كانوا قليلا اي من الناس ثم ابتدا من الليل ما يهجعون
اي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة
وبالاسحار هم يستغفرون ربما مدوا واعيادهم الى وقت السحر ثم
اخذوا في الاستغفار وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي
كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى السما
الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من
يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ولمسلم قال فيقول انا الملك
انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضي الفجر وزاد في رواية من يقرض غير

عديم ولا مظلوم فصل هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه
مذهبان معروفان احدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جا من
غير تاويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي امثاله مع الايمان به وتنزيه
الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة
من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام والله
تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية
وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه
بالثلث الاخر من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعا وغفلة اكثر الناس
وعن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة
والرغبة الى الله متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله اعلم عن ابن
عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم
لك الحمد انت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات
والارض ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاوك الحق وقولك
الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق
اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت
واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
زاد في رواية وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت الموخر لا اله الا انت
ولا اله غيرك زاد النساي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل
فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي
قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي او قال دعا استجيب له فان توضا
وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا
انتبه وله صوت قوله عز وجل وفي اموالهم حق اي نصيب قيل انه
ما يصلون به رحما او يقرون به ضيفا او يحملون به كلا او يعينون به محروما
وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة للسايل اي
الذي يسال الناس ويطلب منهم والمحروم قيل هو الذي ليس له في الغنايم
سهم ولا يجري عليه من الفي شي قال ابن عباس المحروم الذي ليس له في
الاسلام سهم وقيل معناه الذي حرم الخير والعطا وقيل المحروم المتعفف
الذي لا يسال وقيل هو صاحب الحاجة الذي اصيب زرعه او ثمره او نسل
ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل
هو المكاتب والاظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسايل والمتعفف
لا يسال ولا يكاد الناس يعطون من لا يسال وانما يفطن له متيقظ وفي

الارض

الارض ايات اي عبر من البحار والجبال والاشجار والاثمار وانواع النبات
للموقنين اي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنايعه وفي انفسكم
ايات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان تنفخ فيه الروح وقال
ابن عباس يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبايع وقيل
يريد سبيل الغايط والبول ياكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من
سبيلين وقيل يعني تقدم الادوات والسمع والبصر والنطق والعقل
الى غير ذلك من العجايب المودعة في ابن ادم افلا تبصرون يعني كيف
خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث وفي السما رزقكم قال ابن عباس
هو المطر وهو سبب الارزاق وما توعدون يعني من الثواب والعقاب
وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه
فقال فورب السما والارض انه لحق اي ما ذكره من الرزق وغيره مثل ما
انكم تنطقون اي بلا اله الا الله وقيل شبه تحقيق ما اخبر به عنه بتحقيق
نطق الادمي ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه في صدقه
وجوده كالذي يعرفه ضرورة وقال بعض الحكما معناه كما ان كل انسان ينطق
بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان ياكل
رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر ان ياكل رزق غيره قوله تعالى هل
اتاك حديث ضيف ابرهيم يعني هل اتاك يا محمد حديث الذين جاوا
ابرهيم بالبشرى فاستمع نقصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم
في سورة هود المكرمين قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملايكة كراما عند الله
لانهم كانوا ضيف ابرهيم وهو اكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم
مكرمون وقيل لان ابرهيم عليه السلام اكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته
اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس سماهم مكرمين لانهم
كانوا غير مدعوين ق عن ابن شريح العدوي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون اي غربا لا نعرفكم قال
ابن عباس قال في نفسه هولا قوم لا نعرفهم وقيل انما انكر امرهم لانهم
دخلوا بغير استيذان وقيل انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض
فراغ اي عدل ومال الى اهله فجا بعجل سمين اي جيد وكان مشويا
قيل كانت عامة مال ابرهيم البقر فجا بعجل فقربه اليهم هذا من اداب الضيف
ان تقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم التسعي اليه فلما لم ياكلوا قال
الا تاكلون يعني انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير ان يامرهم
فاوجس اي فاضمر منهم خيفة لانهم لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف
وبشروه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وقيل عليم اي نبي فاقبلت امراته قيل

لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القايل اقبل
يفعل كذا اذا اخذ فيه **في صرة** اي في صيحة والمعنى انها اخذت تولول وذلك
من عادة النسا اذا سمعن شيا **فصكت وجهها** قال ابن عباس لطمت وجهها
وقيل جمعت اصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النسا اذا انكرن
شيا **وقالت عجوز عقيم** معناه انا لد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم
تلد قبل ذلك **قالوا كذلك قال ربك** اي كما قلنا لك قال ربك انك
ستلدين غلاما **انه هو الحكيم العليم** ثم ان ابراهيم عليه السلام لما علم حالهم
وانهم من الملايكة **قال فما خطبكم** اي فما شانكم وما طلبكم **ايها المرسلون**
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط **لنرسل عليهم حجارة**
من طين قيل هو الاجر **مسومة** اي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به
وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا **عند ربك للمسرفين**
قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك اسرف الذنوب واعظمها **فاخرجنا**
من كان فيها اي في قرى قوم لوط **من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت**
اي اهل بيت **من المسلمين** يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان
والاسلام جميعا لانه ما من مومن الا وهو مسلم لان الاسلام اعم من الايمان
واطلاق العام على الخاص لا يمنع منه فاذا سمي المومن مسلما لا يدل على
اتحاد مفهومهما **وتركنا فيها** اي مدينة قوم لوط **اية** اي عبرة **للذين**
يخافون العذاب الاليم والمعنى تركنا فيها علامة للخايفين تدلهم على
ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم وقوله عز وجل **وفي موسى** اي وتركنا
في ارسال موسى اية وعبرة **اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين**
اي بحجة ظاهرة **فتولى** اي اعرض عن الايمان **بركنه** اي بجمعه وجنوده
الذين كانوا يتقوى بهم **وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم**
في اليم اي فاغرقناهم في البحر **وهو مليم** اي اتى بما يلام عليه من دعوى
الربوبية وتكذيب الرسل **وفي عاد** اي وفي اهلاك عاد ايضا اية وعبرة
اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم يعني التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح
شجرا ولا تحمل مطرا **ما تذر من شي اتت عليه** اي من انفسهم واموالهم
وانعامهم **الا جعلته كالرميم** اي كالشي الهالك البالي وهو ما يبس وديس
من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه واصله من رم العظم اذا بلي **وفي ثمود**
اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني الى وقت انقضا اجالهم وذكروا انهم لما عقروا
الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة ايام **فعتوا عن امر ربهم** اي تكبروا عن
طاعة ربهم **فاخذتهم الصاعقة** اي بعد مضي ثلاثة ايام من بعد عقر الناقة
وهي الموت في قول ابن عباس وقيل اخذتهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك
وهم ينظرون اي يرون ذلك العذاب عيانا **فما استطاعوا من قيام**

اي

اي فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة **وما كانوا**
منتصرين اي منتقمين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من
امر الله **وقوم نوح** قرئ بكسر الميم ومعناه وفي قوم نوح وقرئ بنصبها
ومعناه واغرقنا قوم نوح **من قبل** اي من قبل هولا وهم عاد وثمود
وقوم فرعون **انهم كانوا قوما فاسقين** اي خارجين عن الطاعة قوله عز
وجل **والسما بنيناها بايد** اي بقوة وقدرة **وانا لموسعون** قيل هو
من السعة اي اوسعنا السما بحيث صارت الارض وما يحيط بها من السما
بالنسبة الى سعة السما كالحلقة الملقاة في الفلاة وقال ابن عباس معناه
قادرون على بنايها كذلك وعنه لموسعون الرزق على خلقنا وقيل معناه انا
ذوو السعة والغنى **والارض فرشناها** اي بسطناها ومهدناها لكم **فنعم**
الماهدون اي نحن **ومن كل شي خلقنا زوجين** اي صنفين ونوعين مختلفين
كالسما والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل
والصيف والشتا والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان
والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض **لعلكم**
تذكرون اي فتعلمون ان خالق الازواج فرد لا نظير له ولا شريك معه
ففروا الى الله اي قل يا محمد ففروا الى الله اي فاهربوا من عذابه الى ثوابه
بالايمان والطاعة قال ابن عباس ففروا الى الله واعملوا بطاعته قال سهل
ابن عبد الله ففروا مما سوى الله الى الله **اني لكم منه نذير** اي مخوف **مبين**
اي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع **ولا**
تجعلوا مع الله الها اخر اي وحدوه لا تشركوا به شيا **اني لكم منه نذير**
مبين قيل انما كرر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي
عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع
الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما **كذلك** اي كما كذبك قومك
وقالوا ساحر ومجنون كذلك **ما اتى الذين من قبلهم** اي من قبل كفار مكة
والامم الخالية **من رسول** يعني يدعوهم الى الايمان والطاعة **الا قالوا**
ساحر او مجنون قال الله تعالى **اتواصوا به** اي اوصى اولهم اخرهم
بعضهم بعضا بالتكذيب وتواطيوا عليه وفيه توبيخ لهم **بل هم قوم طاغون**
اي لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعهم على ذلك
علة واحدة وهي الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول **فتول عنهم** اي
اعرض عنهم **فما انت بملوم** اي لا لوم عليك فقد اديت الرسالة وبذلت المجهود
وما قصرت فيما امرت قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واشتد على اصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب
قد حضر اذ امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله عز وجل

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فطايب نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقران
كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله انه يؤمن منهم وقيل معناه عظ
بالقران من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله عز وجل وما خلقت الجن
والانس من المؤمنين الا ليعبدون قيل هذا خاص لاهل طاعته من الفريقين يدل
عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون
وقيل معناه وما خلقت السعدا من الجن والانس الا لعبادتي والاشقيا
منهم الا لمعصيتي وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال علي بن
ابي طالب الا ليعبدون اي الا لامرهم ان يعبدون وادعوهم الى عبادتي
وقيل معناه الا ليعرفوني وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده
وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا ويتذللوا لان معنى العبادة في اللغة
التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضا الله متذلل
للمشية لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدون
فاما المومن فيوحده اختيارا في الشدة والرخا واما الكافر فيوحده
اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة والرخا ما اريد منهم من رزق
اي ما اريد ان يرزقوا احدا من خلق الله ولا ان يرزقوا انفسهم لاني انا
الرزاق المتكفل لعبادي بالرزق القايم لكل نفس بما يقيمها من قوتها وما
اريد ان يطعمون اي ان يطعموا احدا من خلقي وانما اسند الاطعام الى
نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه لما صح من
حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول
يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب
العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو
عدته لوجدتني عنده يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف
اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه
اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن ادم استسقيتك فلم تسقني
قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم
تسقه اما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ثم بين ان لا رازق هو لا غيره
فقال تعالى ان الله هو الرزاق اي لجميع خلقه ذو القوة المتين يعني
هو القوي الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذي لا يعتريه في
افعاله مشقة فان للذين ظلموا اي من اهل مكة ذنوبا اي نصيبا
من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اي مثل نصيب اصحابهم الذين اهلكوا من
قوم نوح وعاد وثمود فلا يستعجلون اي بالعذاب لانهم اخروا الى يوم
القيامة يدل عليه قوله عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم الذي
يوعدون يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله سبحانه وتعالى اعلم
بالصواب

تفسير سورة الطور

مكية وهي تسع واربعون اية وثلاثمائة واثنتى عشر كلمة والف وخمسمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والطور اراد به الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام
بالارض المقدسة وقيل بمدين وكتاب مسطور اي مكتوب في رق يعني
الاديم الذي يكتب فيه المصحف منشور اي مبسوط واختلفوا في
الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير
القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم يوم
القيامة منشورا فاخذ بيمينه واخذ بشماله وقيل هو القران والبيت
المعمور يعني بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت في السما السابعة قدام
العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السما كحرمة الكعبة
في الارض وصح في حديث المعراج افراد مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم راى البيت المعمور في السما السابعة قال فاذا هو يدخل كل يوم
سبعون الف ملك لا يعودون اليه وفي رواية اخرى قال فانتهيت الى بنا
فقلت للملك ما هذا قال بنا بناه الله للملايكة يدخل فيه كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه يسبحون الله ويقدسونه وفي افراد البخاري
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى البيت المعمور يدخله كل يوم
سبعون الف ملك والسقف المرفوع يعني السما والبحر المسجور يعني
الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روي
ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم
وجا في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار
بحرا وقيل المسجور المملو وقيل هو اليابس الذي ذهب ماوه ونضب وقيل
هو المختلط العذب بالملح وروي عن علي انه قال في البحر المسجور هو بحر تحت
العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ما غليظ يقال له بحر
الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا فينبتون من
قبورهم اقسم الله بهذه الاشيا لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم
انه قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع يعني انه حق وكاين ونازل بالمشركين
في الاخرة ما له من دافع اي مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة
لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعت له وهو يصلي
باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرا والطور الى قوله
ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي حين سمعت ولم يكن

اسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن اني اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين انه متى يقع فقال تعالى **يوم تمور السماء مورا** اي تدور كدور الرحا وتتكفا باهلها كتكفي السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب **وتسير الجبال سيرا** اي تزول عن اماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة في مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها ازالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الاخرة **فويل** اي شدة عذاب **يومئذ للمكذبين** اي يوم القيامة **الذين هم في خوض** اي يخوضون في الباطل **يلعبون** اي غافلين لاهين عما يراد بهم **يوم يدعون** اي يدفعون **الى نار جهنم دعا** يعني دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدي الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم دفعا الى النار على وجوههم وزجرا في اقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها **هذه النار التي كنتم بها تكذبون** اي في الدنيا **افسحر هذا** وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطي على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم افسحر هذا **ام انتم لا تبصرون اصلوها** اي قاسوا شدتها **فاصبروا** اي على العذاب **او لا تصبروا** عليه **سواء عليكم** اي الصبر والجزع **انما تجزون ما كنتم تعملون** اي من الكفر والتكذيب في الدنيا قوله تعالى **ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين** اي معجبين بذلك ناعمين **بما آتاهم ربهم** اي من الخير والكرامة **ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا** اي يقال لهم كلوا **واشربوا هنيئا** اي مأمون العاقبة من التخمة والسقم **بما كنتم تعملون** اي في الدنيا من الايمان والطاعة **متكئين على سرر مصفوفة** اي موضوعة بعضها الى بعض **وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان** يعني الحقنا اولادهم الصغار والكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد ابويه **الحقنا بهم ذريتهم** يعني المؤمنين في الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك اعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفي رواية اخرى عنه ان معنى الاية والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم يعني البالغين بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم اخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المؤمن من ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم الله الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيه من غير ان ينقص

الاباء من اعمالهم شيئا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرا والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم الى آخر الاية عن علي قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما رأى الكراهة في وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم اخرج هذين الحديثين البغوي باسناد الثعلبي **وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ** اي كافر **بما كسب** اي من عمل الشرك **رهين** اي مرتهن بعمله في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين لا يكون مرتهنا ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى **وامددناهم بفاكهة** يعني زيادة عما كان لهم **ولحم مما يشتهون** اي من انواع اللحوم **يتنازعون** اي يتعاطون ويتناولون **فيها** اي في الجنة **كاسا لا لغو فيها** اي لا باطل ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا **ولا تاثيم** اي لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو واثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا ياثمون في شربها **ويطوف عليهم** اي للخدمة **غلمان لهم كانهم** اي في الحسن والبياض والصفا **لؤلؤ مكنون** اي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمرو ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قوله تعالى **واقبل بعضهم على بعض يتساءلون** يعني يسال بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا **قالوا انا كنا قبل في اهلنا** اي في الدنيا **مشفقين** اي خائفين من العذاب **فمن الله علينا** بالمغفرة **ووقانا عذاب السموم** يعني عذاب النار وقيل هو اسم من اسماء جهنم **انا كنا من قبل** اي في الدنيا **ندعوه** اي نخلص له الدعاء والعبادة له **انه هو البر** قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر اللطيف على عباده المحسن اليهم الذي عم بره جميع خلقه **الرحيم** بعبده قوله عز وجل **فذكر** يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة **فما انت بنعمة ربك** برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة **بكاهن ولا مجنون** وهو الذي يوهم انه يعلم

الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما تقول كفار مكة انه كاهن
ومجنون انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون ام يقولون يعني هولا
المقتسمين شاعر اي هو شاعر نتربص به اي ننتظر به ريب
المنون يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان
قبله من الشعرا ويتفرق عنه اصحابه وان اباه مات وهو شاب ونحن نرجوا
ان يكون موته كموت ابيه فالمنون اسم للموت والدهر واصله القطع سميا
بذلك لانهما يقطعان الاجل قل تربصوا اي انتظروا الى الموت فاني
معكم من المتربصين اي المنتظرين حتى ياتي امر الله فيكم فعذبوا يوم
بدر بالقتل والسبي ام تامرهم احلامهم اي عقولهم بهذا وذلك
ان عظما قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم
حتى لم يتميز لهم معرفة الحق من الباطل ام هم قوم طاغون اي يتجاوزون
الحق في الطغيان والكفر ام يقولون تقوله اي اختلق القران من تلقا
نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر
كما زعموا بل لا يومنون اي بالقران استكبارا ثم الزمهم الحجة فقال
فلياتوا بحديث مثله اي مثل القران في نظمه وحسنه وبيانه ان كانوا
صادقين يعني ان محمدا تقوله من قبل نفسه ام خلقوا من غير شي قال
ابن عباس من غير رب خالق والمعنى خلقوا من غير شي خلقهم فوجدوا بلا
خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم
فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجد وا بلا خالق ام هم الخالقون اي لانفسهم
وذلك في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان
قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليومنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل
في معنى الاية اخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يومرون ولا ينهون ام هم
الخالقون اي لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر ام خلقوا السموات والارض
يعني ليس الامر كذلك بل لا يوقنون اي بالحق وهو توحيد الله تعالى
وقدرته على البعث وان الله تعالى خالقهم وخالق السموات والارض فليومنوا
به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم ام عندهم خزاين ربك يعني النبوة ومفاتيح
الرسالة فيضعونها حيث شاوا وقيل خزاين المطر والرزق ام هم
المسيطرون اي المسلطون الجبارون وقيل ارباب قاهرون فلا يكونوا
تحت امر ولا نهي يفعلون ما يشاون ام لهم سلم يعني مرقى ومصعد
الى السما يستمعون فيه اي يستمعون عليه الوحي من السما فيعلمون
ان ما هم عليه حق فهم به مستمسكون فليات مستمعهم اي ان ادعوا
ذلك بسلطان مبين اي بحجة بينة ام له البنات ولكم البنون هذا انكار

عليهم

عليهم حتى جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم ام تسالهم اجرا اي جعلا على ما جيتهم
به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين فهم من مغرم مثقلون يعني اثقلهم
ذلك المغرم الذي سالتهم فمنعهم عن الاسلام ام عندهم الغيب اي علم
الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول من امر القيامة
والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون واعلموا ان محمدا
يموت قبلهم فهم يكتبون اي يحكمون قال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح
المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به ام يريدون كيدا اي مكرا
بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون اي المجزيون بكيدهم والمعنى
ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به في دار الندوة
ليقتلوه فقتلوا ببدر ام لهم اله غير الله يعني يرزقهم وينصرهم سبحان
الله عما يشركون والمعنى انه نزه نفسه عما يقولون فقوله تعالى وان
يروا كسفا من السما ساقطا هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السما
يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السما عليهم لم ينتهوا عن كفرهم يقولوا
لمعاندتهم سحاب مركوم اي بعضه على بعض يسقينا فذرهم حتى يلاقوا
اي يعاينوا يومهم الذي فيه يصعقون اي يموتون ويهلكون يوم لا
يغني عنهم كيدهم شيا ولا هم ينصرون اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت
ولا يمنعهم من العذاب مانع وان للذين ظلموا اي كفروا عذابا دون ذلك
اي عذابا في الدنيا قبل عذاب الاخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم
بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر ولكن اكثرهم
لا يعلمون اي ان العذاب نازل بهم فقوله عز وجل واصبر لحكم ربك اي
الى ان يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به فانك باعيننا اي بمراى منا
قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انا بحيث نراك ونحفظك فلا
يصلون اليك بمكروه وسبح بحمد ربك حين تقوم اي قل حين تقوم من
مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت به احسانا
وان كان غير ذلك كان ذلك كفارة له عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك
اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة
لما بينهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه
حتى تقوم من مقامك وقيل هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش
الى ان تدخل في الصلاة عن عاصم بن حميد قال سالت عايشة باي شي كان
يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سالتني عن شي
ما سالني عنه احد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله تعالى عشرا وسبح
عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني

وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة اخرجه ابو داود
والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما
روي عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناوك ولا اله غيرك اخرجه
الترمذي وابو داود وقال قد تكلم في احد رواته وقوله تعالى ومن الليل
فسبحه اي فصل له يعني صلاة المغرب والعشا وادبار النجوم يعني الركعتين
قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر
المفسرين يدل عليه ما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار
النجوم الركعتان بعد المغرب اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ادبار
النجوم هي فريضة صلاة الصبح ق عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة النجم

وهي مكية وهي اثنتان وستون اية وثلاثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة
احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والنجم اذا هوى قال ابن عباس يعني الثريا اذا سقطت وغابت والعرب
تسمي الثريا نجما ومنه قولهم ٭ اذا طلع النجم عشا ٭ ابتغى الراعي كسا ٭ وجا
في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شي
الا رفع اراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السما كلها وهو بها عن وبها فعلى
هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وفيه روي عن ابن عباس ان الرجوم من النجوم
وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم اذا انتثرت
يوم القيامة وقيل اراد بالنجم القران سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في
عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل النجم هو النبت الذي لا ساق له
وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم
وهويه نزوله ليلة المعراج من السما وجواب القسم قوله تعالى ما ضل صاحبكم
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدي وما غوى اي ما جهل وقيل
الفرق بين الضلال والغي ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا
اصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال
اكثر استعمالا من الغواية وما ينطق عن الهوى اي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل
وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القران من تلقا نفسه ان هو اي ما هو يعني
القران وقيل نطقه في الدين الا وحي من الله يوحى اليه علمه شديد
القوى يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه الله عز وجل وكونه
شديد القوي انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السما

ثم قلبها

220

ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبيا
اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس
ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن فاستوى يعني جبريل عليه
السلام وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد
ليلة المعراج بالافق الاعلى عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني
جبريل وهو كناية عن جبريل ايضا اي قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو
بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه السلام كان ياتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صورة الادميين كما كان ياتي الانبيا قبله فسأله رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فاراه نفسه
مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما التي في الارض فبالافق الاعلى
والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان بحرا فطلع له جبريل عليه السلام من ناحية المشرق فسد الافق الى
المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه
السلام في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه
وهو قوله ثم دنى فتدلى واما التي في السما فعند سدرة المنتهى ولم يره
احد من الانبيا على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اختلف العلما في
معنى هذه الاية فروي عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعايشة فاين
قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قالت ذلك جبريل كان ياتيه
في صورة الرجل وانه اتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد
الافق اخرجاه في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله فكان قاب قوسين
او ادنى وفي قوله ما كذب الفواد ما راى وفي قوله لقد راى من ايات ربه
الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال راى جبريل عليه السلام له ستماية
جناح زاد في رواية راى جبريل في صورته اخرجه مسلم والبخاري في قوله
تعالى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فعلى هذا يكون
معنى الاية ثم دنى جبريل بعد استوايه بالافق الاعلى من الارض فتدلى
الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين او ادنى اي بل ادنى قال
ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتاخير تقديره ثم
تدلى فدنى لان التدلي سبب الدنو وقال اخرون ثم دنى الرب عز وجل
من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اي فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين
او ادنى وقد ورد في الصحيحين من حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله
بن ابي نمر عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
او ادنى وهذه رواية ابي سلمة عن ابن عباس والتدلي هو النزول الى الشي

صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر
حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير
معروفة وقد روى حديث الاسرا جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت
البناني وقتادة يعني عن انس فلم يات احد منهم بما اتى في صحيحه وفي رواية شريك
وقدم واخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث
وقال الضحاك دنى محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى فاهوى
للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى والقاب الوتر والقوس الذي يرمي
به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان
جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تاكيد القرب
واصله ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا عقد الصفا والعهد بينهما خرجا بقوسيهما
فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه
وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي
يقاس بها من قاس يقيس او ادنى بل اقرب فاوحى اي فاوحى الله الى عبده
محمد ما اوحى وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اوحى جبريل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه ربه عز وجل قال سعيد بن جبير اوحى الله اليه
الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة
محرمة على الانبيا حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك قوله عز
وجل **ما كذب الفواد** قرئ بالتشديد ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم
ما راى اي بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف اي
اي ما كذب فواد محمد الذي راه بل صدقه والمعنى ما كذب الفواد فيما راى
واختلفوا في الذي راه فقيل راى جبريل وهو قول ابن عباس م عن ابن عباس
ما كذب الفواد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفواده مرتين
وذهب جماعة الى انه راه بعينه حقيقة وهو قول انس بن مالك والحسن
وعكرمة قالوا راى محمد ربه عز وجل فروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله
عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالروية
وقال كعب ان الله قسم رويته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين
وراه محمد مرتين اخرجه الترمذي باطول من هذا وكانت عايشة تقول
لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الاية على روية جبريل عن مسروق
قال قلت لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت
اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد
كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب ومن حدثك انه يعلم
ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس

باي ارض

باي ارض تموت ومن حدثك انه كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما
انزل اليك من ربك ولكنه راى جبريل في صورته مرتين اخرجاه في الصحيحين
م عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال
نور انى اراه قوله عز وجل **افتمارونه على ما يرى** يعني افتجادلونه على ما
يرى وذلك انهم جادلوه حين اسري به وقالوا له صف لنا بيت المقدس
واخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه
جدالا ترومون به دفعه عما راه وعلمه **ولقد راه نزلة اخرى** يعني راى
جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السما نزلة اخرى وذلك انه
راه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهى عن ابن
ولقد راه نزلة اخرى قال راى جبريل وعلى قول ابن عباس يعني نزلة اخرى
هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسالة التخفيف
من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه عز وجل في بعضها وروى
عن ابن عباس انه راى ربه بفواده مرتين وعنه انه راى بعينه **عند
سدرة المنتهى** م عن ابن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة واليها ينتهي
ما يعرج من الارض فيقبض منها وقال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال
فراش من ذهب وفي رواية الترمذي اليها ينتهي علم الخلايق لا علم
لهم فوق ذلك وفي حديث المعراج المخرج في الصحيح ثم صعد بي الى السما السابعة
ثم قال رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كاذان
الفيلة قال فلما غشيها من نور الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله
يستطيع ان ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سال ابن عباس
كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش
على روس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه
الا الله عز وجل وعن اسما بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب في ظل الغصن فيها ماية
سنة او قال يستظل بظلها ماية الف راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها
القلال اخرجه الترمذي وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار
من جميع الالوان لو وضعت ورقة منها في الارض لاضاءت لاهل الارض وهي
شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد **عندها جنة الماوى** قال
ابن عباس جنة الماوى ياوي اليها جبريل والملايكة وقيل ياوي اليها ارواح
الشهدا **اذ يغشى السدرة ما يغشى** قال ابن مسعود فراش من ذهب
وقيل يغشاها ملايكة امثال الغربان وقيل امثال الطير حتى يقعن عليها
وقيل غشيها نور الخلايق وغشيتها الملايكة من حب الله تعالى امثال

الغربان حتى يغشي عليها وقيل هو نور رب العزة فاستنارت ويروي في الحديث
قال رايت على كل ورقة منها ملكا قايما يسبح الله عز وجل **ما زاغ البصر**
وما طغى اي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة
المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا جاوز ما راي وقيل ما امر به وهذا
وصف ادبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف انه لم يلتفت الى شي
سوى ما امر به وفي معنى الاية ان قلنا ان الذي يغشى السدرة هو نور
رب العزة ففيه وجهان انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت يمنة ولا يسرة ولا
يستنفل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثاني ما زاغ البصر بصعقة ولا
غشية كما اخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك انه لما تجلى رب العزة
وظهر نوره على الجبل فانه قطع نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم
ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتنزل فيه الاقدام وتميل
فيه الابصار فوصف الله عز وجل جلاله قوة نبينا صلى الله عليه وسلم
في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وقوله تعالى **لقد**
راى من ايات ربه الكبرى يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات العظيمة
وقيل اراد ما راى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد راى
من ايات ربه الكبرى م عن عبد الله بن مسعود قال لقد راى من ايات
ربه الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستماية جناح خ عنه قال لقد
راى من ايات ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضر عند افق السما **فصل**
من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في معنى قوله تعالى ولقد راه نزلة هل
راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسرا قال القاضي عياض
اختلف السلف والخلف هل راى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسرا
فانكرته عايشة كما وقع في صحيح مسلم وجا مثله عن ابي هريرة وجماعة وهو
المشهور وعن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروى
عن ابن عباس انه راه بعينه ومثله عن ابي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على
ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وابي هريرة واحمد بن حنبل وحكى اصحاب
المقالات عن ابي الحسن الاشعري وجميع اصحابه انه راه ووقف بعض مشايخنا
في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جايز ورؤية الله عز وجل في الدنيا
جايزة وسوال موسى اياها دليل على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز او يمتنع
على ربه واختلفوا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه تعالى ليلة الاسرا
بغير واسطة ام لا فحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزي
بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك
اختلفوا في قوله ثم دنا فتدلى فالاكثر على ان هذا الدنو والتدلي منقسم
بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم او مختص باحدهما من الاخر او من سدرة

المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه
دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه او من الله تعالى فعلى هذا القول
يكون الدنو والتدلي متاولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد
الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقيل دنو النبي صلى الله عليه وسلم
وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق انوار معرفته عليه واطلاعه
من غيبه واسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه والدنو من الله تعالى
له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب
قوسين او ادنى هذا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة
وابانة المنزلة هذا اخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين واما
اصحاب التحرير فانه اجاز اثبات الرؤية قال والحجج في المسيلة وان كانت كثيرة
ولكن لا يتمسك الا باقوي منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة
لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وعن عكرمة
قال سيل ابن عباس هل راي محمد ربه قال نعم وقد ورد باسناد لا باس به عن
شعبة عن قتادة عن انس قال راي محمد ربه عز وجل والاصل في المسيلة
حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه في المعضلات
وقد راجعه ابن عمر في هذه المسيلة وراسله هل راي محمد ربه عز وجل
فاخبره انه راه ولا يقدح في هذا حديث عايشة لان عايشة لم تخبر انها
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم ار ربي وانما ذكرت ما ذكرت متاولة
لقول الله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم
لم يكن قوله حجة واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسيلة
باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما تدرك بالعقل
وتوخذ بالظن وانما تتلقى بالسمع ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس انه
تكلم في هذه المسيلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر
اختلاف عايشة وابن عباس ما عايشة عندنا باعلم من ابن عباس ثم
ابن عباس اثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب
التحرير في اثبات الرؤية قال الشيخ محيي الدين والحاصل ان الراجح عند
اكثر العلما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بعيني راسه
ليلة الاسرا لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا ياخذونه
الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي ان يتشكك
فيه ثم ان عايشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الايات

وسنوضح الجواب عنها اما احتجاج عايشة بقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحيط
به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الروية بغير احاطة وهذا الجواب
في نهاية الحسن مع اختصاره واما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا فالجواب عنه من اوجه احدها انه لا يلزم مع الروية وجود الكلام
حال الروية فيجوز وجود الروية من غير كلام الثاني انه عام مخصوص بما تقدم
من الادلة الثالث ما قاله بعض العلما ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة
وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحي هنا الالهام
والروية في المنام وكلاهما يسمى وحيا واما قوله تعالى او من وراء حجاب فقال
الواحدي وغيره معناه غير مجاهد لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه
من حيث لا يرونه وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع
ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم
وقول عايشة في اول الحديث لقد قف شعري فمعناه قام شعري من الفزع
لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال تقول العرب عند انكار الشي قف شعري
واقشعر جلدي واشمازت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر
نور اني فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في اني وتشديد النون المفتوحة
ومعناه حجابه نور فكيف اراه قال الماوردي الضمير في اراه عايد على الله
تعالى والمعنى ان النور يمنعني من الروية كما جرت العادة باغشا الانوار
الابصار ومنعها من ادراك ما حالت بين الراي والمرئي وفي رواية رايت
نورا معناه النور فحسب ولم ار غيره وفي رواية ذات نور اني اراه معناه
هو خالق النور المانع من رويته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل
ان يكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعالى منزه عن
ذلك هذا مذهب جميع ايمة المسلمين والله اعلم قوله عز وجل **افرايتم
اللات والعزى** هذه اسما اصنام اتخذوها الهة يعبدونها اشتقوا
لها اسما من اسما الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل
العزى تانيث الاعز والمعنى اخبرونا عن هذه الالهة التي تعبدونها من
دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شي وقيل
كان اللات بالطايف وقيل بيت بنخلة كانت قريش تعبده وقرى اللات
بالتشديد خ عن ابن عباس قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل
فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان رجل له غنيمة يسلا منها
السمن ويوخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم الحاج وكان
ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجل من ثقيف يقال له
صرمة بن غنم وكان يسلي السمن فيضعه على صخرة فتاتيه العرب فتلت به

اسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها ثم بالطايف على موضع اللات
واما العزى فقيل هي شجرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول يا عزى كفرانك
لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية
ويلها واضعة يدها على راسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال قد قطعتها فقال له ما رايت فقال ما رايت شيا فقال له ما قطعت معاودها
ومعه المعول فقطعها واجتث اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا قيل
وهي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وقيل انه قدم مكة فراي
الصفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة وقال لقومه
ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا
فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من
المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذي اخذه من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذه من المروة وقال هذه المروة ثم
اخذ ثلاثة احجار واسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين
ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وامر
برفع الحجارة وامر خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقيل هي بيت بالطايف
كانت تعبده ثقيف وقوله **ومناة** قيل هي لخزاعة كانت بقديد وقالت
عايشة في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل بيت بالمشلل
تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبدها اهل مكة وقيل
اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها **الثالثة
الاخرى** الثالثة نعت لمناة اذ الثالثة للصنم في الذكر فان العرب لا تقول
الثالثة الاخرى وانما الاخرى هنا نعت للثالثة قال الخليل فالها لوفاق
روس الاي كقوله مارب اخرى ولم يقل اخر وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره
افرايتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هي صفة ذم كانه
تعالى قال ومناة الثالثة المتاخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتيب
مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة ادمي والعزى شجرة فهو نبات ومناة
صخرة فهي جماد وهي في اخريات المراتب ومعنى الاية هل رايتم هذه الاصنام
حق الروية فان رايتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تضر ولا تنفع
وقيل افرايتم ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله الكم الذكر
وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملايكة بنات الله
كان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم **الكم
الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى** قال ابن عباس
اي قسمة جايرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجا غير معتدلة

ان هي اي ما هي هذه الاصنام الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم والمعنى انكم
سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا بمعبودة حقيقة وقيل معناه قلتم
لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة ما انزل الله بها من سلطان
اي حجة بما تقولون انها آلهة ان يتبعون الا الظن اي في قولهم انها آلهة وما
تهوى الانفس يعني هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا
عباداتهم بمقتضى شهواتهم والذي ينبغي ان تكون العبادة بمقتضى الامر لا بما تهوى
النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل
ان الاصنام ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار قوله
تعالى ام للانسان ما تمنى معناه ايظن الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة
الاصنام اي ليس الامر كما يظن ويتمنى فلله الآخرة والاولى اي لا يملك احد
فيهما شيئا ابدا الا باذنه وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ما
تمناه واشتهاه فلله الآخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء في الدنيا
او الآخرة وان شاء امهله الى الآخرة وكم من ملك في السموات اي ممن يعبد
هولاء ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيئا يعني ان الملائكة
مع علو منزلتهم لا تغني شفاعتهم شيئا فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها
ثم اخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى الا من بعد ان يأذن الله
اي في الشفاعة لمن يشاء ويرضى اي من اهل التوحيد قال ابن عباس
يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضي الله عنه وقيل الا بعد ان يأذن الله
لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة يعني الكفار الذين انكروا البعث ليسمون الملائكة تسمية الانثى
اي بتسمية الانثى حيث انهم قالوا بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى
ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ اليق
بهذا الموضع لمناسبة رؤس الاي وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه
تسمية الانثى وذلك انهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد
منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم اي بالله فيشركون به
ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث ان يتبعون
الا الظن اي في تسميتهم اي لا يقوم الظن مقام العلم الذي هو الحق وقيل معناه
انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم
وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا يعني القرآن وقيل عن الايمان
ولم يرد الا الحياة الدنيا يعني انهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يريدوها
ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى
ذلك مبلغهم من العلم اي ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم ان آثروا الدنيا

الملائكة بنات الله وان الظن لا يغني من الحق شيئا صح

على الآخرة

على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله
وانهم لم يشفعوا لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القرآن والايمان ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اي هو عالم بالفريقين ويجازيهم
باعمالهم ولله ما في السموات وما في الارض وهذه اشارة الى كمال قدرته
وغناه وهو معترض بين الآية الاولى وبين قوله ليجزي الذين اساؤا بما عملوا
والمعنى اذا كان اعلم بهما جازى كل احد بما يستحقه فيجزي الذين اساؤا بما عملوا
اي اشركوا بما عملوا من الشرك ويجزي الذين احسنوا اي وحدوا ربهم
بالحسنى يعني الجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء اذا كان كثير الملك
كامل القدرة فلذلك قوله ولله ما في السموات وما في الارض ثم وصف المحسنين
فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم قيل الاثم الذنب الذي يستحق
صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل
ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة
متعارفة في كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر والفواحش جمع فاحشة
وهي ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هي ما فحش من الكبائر الا
اللمم اي الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هي مقارنة المعصية من قولك
الممت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا في معنى الآية فقيل هذا
استثناء صحيح واللمم الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا ان يلم بالفاحشة
مرة ثم يتوب او يقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن
وفي رواية عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك
وقال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم
بالذنب ثم لا يعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال اعانك عليها ملك كريم
عن ابن عباس في قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا
اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد
لك لا الما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب قيل اصل
اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة
وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم
اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به
في الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا
فانزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل
اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون
الزنا وهو قول ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي والرواية الاخرى
عن ابن عباس ق عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا

ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي
والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك
ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه
الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق
ذلك الفرج او يكذبه وقيل اللمم على وجهين احدهما انه كل ذنب لم يذكر الله
تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي يكفره الصلوات
الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الثاني هو الذنب
العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب اي
خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان عاد النظر فليس بلمم
فهو ذنب **فصل** ٢٥٥ في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة قال
العلماء اكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى ان الشرك
لظلم عظيم ويليه القتل بغير الحق فاما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب
الخمر وشهادة الزور واكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق
الوالدين والفرار من الزحف واكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص
فلها تفاصيل واحكام يعرف بها مراتبها ويختلف امرها باختلاف الاحوال والمفاسد
المترتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي الكبائر بالنسبة الى ما دونها
وقد جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر اسبع هي قال الى السبعين وفي رواية
الى سبعمائة اقرب وقد اختلف العلماء في حق الكبيرة وتمييزها من الصغيرة
فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة ولهذا قال الاستاذ ابو اسحاق
الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة
فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع
الطوائف الى انقسام المعاصي الى كبائر وصغائر وقد تظاهر على ذلك الكتاب
والسنة واستعمال سلف الامة واذا اثبتنا انقسام المعاصي الى كبائر وصغائر
فقد اختلف في ضبطها فروي عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله
تعالى بنار او غضب او لعنة او عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ما وعد الله عليه
بنار في الآخرة او حد في الدنيا قال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في
ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف او استحداث
ندم كالمتهاون في ارتكابها والمستجرئ عليها اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف
والتهاون فهو كبيرة وما يحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا
ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس
بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد اذا اردت معرفة
الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص
عليها فان نقصت عن اقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وان ساوت ادنى مفاسد

الكبائر

الكبائر او زادت عليه فهي من الكبائر فمن امسك امراة محصنة لمن يزني بها او
امسك مسلما لمن يقتله فلا شك ان مفسدة ذلك اعظم ممن اكل درهما
من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين
مع علمه بانهم يستاصلونهم بدلالته فان تسببه الى هذه المفسدة اعظم
من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب
على انسان كذبا يعلم انه ياخذ منه بثمرة بسبب كذبه من يكون ذلك
من الكبائر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر
وعظم عظما يصح معه ان يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على
الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها امارات منها ايجاب الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب
بالنار ونحوها ومنها ما وصف فاعلها بالفسق ويضاف اليها اللعن كلعن الله
من غير منار الارض ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى ان ربك واسع المغفرة
قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب واناب وروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس
قالا لا كبيرة في الاسلام اي لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه
ان الكبيرة ايضا تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها
وقيل في حد الاصرار هو ان تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته
بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدا فقال هو اعلم بكم
اي قبل ان يخلقكم وهو قوله اذ انشاكم من الارض اي خلق اباكم آدم من
التراب واذ انتم اجنة جمع جنين في بطون امهاتكم سمي جنينا
لاستتاره في بطن امه فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها
وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صائرة فلا تزكوا
انفسكم فلا تبرؤوها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل في
معنى الآية هو اعلم بكم ايها المؤمنون علم ما لكم من اول خلقكم الى آخر يومكم
فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك
وانا ازكى منك او اتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف
العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى هو اعلم
بمن اتقى اي بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل في معنى الآية فلا تزكوا
انفسكم اي لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا
تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها
فقد علم الله المزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم
وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت في اناس كانوا يعملون اعمالا
حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الآية
قوله عز وجل افرايت الذي تولى نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع
النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال اتركت دين

الاشياخ وضللت قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه ان اعطاه
كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك
واعطى الذي وعده بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله
افرايت الذي تولى اي ادبر واعرض عن الايمان **واعطى** اي لصاحبه الذي عيره
قليلا واكدى اي بخل بالباقي وقيل اعطى قليلا اي من الخير بلسانه واكدى
اي قطعه وامسك ولم يقم بالعطية وقيل نزلت في العاص بن وايل السهمي
وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل نزلت
في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله
واعطى قليلا واكدى اي لم يومن به ومعنى اكدى اي قطع واصله من الكدية
وهي حجر يظهر في البير يمنع من الحفر **اعنده علم الغيب فهو يرى** اي ما
غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه **ام لم ينبا** اي يخبر **بما في صحف
موسى** يعني اسفار التوراة **وابراهيم** اي ويخبر بما في صحف ابراهيم **الذي
وفى** اي كمل وتمم ما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض
عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى بما فرض عليه
في سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية
الاتمام وقيل وفى في شان المناسك وروى البغوي بسنده عن ابي امامة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى قال اربع كلمات اول النهار
عن ابي الدرداء وابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى
انه قال ابن ادم اركع لي اربع ركعات من اول النهار اكفك اخره اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال **الا تزر وازرة
وزر اخرى** اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى والمعنى لا تؤخذ نفس
باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه
الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل بذنب غيره كان
الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامراته وعبده به حتى كان ابراهيم
عليه السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ان لا تزر وازرة وزر
اخرى **وان ليس للانسان الا ما سعى** اي عمل وهذا ايضا في صحف
ابراهيم وموسى ايضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة
بقوله الحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابنا الجنة بصلاح الابا وقيل كان ذلك
لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما
روي عن ابن عباس ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا
حج قال نعم ولك اجر اخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال يا رسول الله ان امي
توفيت اينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفي رواية ان سعد بن عبادة
اخا بني ساعدة ذكر نحوه اخرجه البخاري وعن عايشة رضي الله عنها قالت ان

رجلا

رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي افتلتت نفسها واظنها ان تكلمت
تصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه في الصحيحين وفي
حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك واحمد وجماهير العلما ان
حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل يقع
تطوعا وقال ابو حنيفة لا يصح حجه وان كان يكون ذلك تمرينا للعبادة
وفي الحديثين الاخرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله
ثوابها وهو اجماع العلما ولذا اجمعوا على وصول الدعا وقضا الدين بالنصوص
الواردة في ذلك ويصح عن الميت حجة الاسلام وكذا لو وصى بحج تطوع على الاصح
عند الشافعي واختلف العلما في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه
عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي ان قراة القران
لا يصله ثوابها وقال جماعة من اصحابه يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل
واما الصلوات وساير التطوعات فلا تصله عند الشافعي والجمهور وقال
احمد يصله ثواب الجميع والله اعلم وقيل اراد بالانسان الكافر والمعنى ليس
له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى
في بدنه حتى لا يبقى له في الاخرة خير وروي ان عبد الله بن ابي بن سلول
كان اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الاخرة حسنة يثاب عليها وقيل
ليس للانسان الا ما سعى من باب العدل فاما من باب الفضل فجايز ان
يزيده الله ما يشا من فضله وكرمه **وان سعيه سوف يرى** اي
يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمومن وذلك ان الله تعالى يريه
اعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما
ثم يجزاه اي يجزى السعي **الجزا الاوفى** اي الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان
يجزى جزا سعيه بالجزا الاوفى قوله عز وجل **وان الى ربك المنتهى** اي اليه
منتهى الخلايق ومصيرهم اليه في الاخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفي الخطاب
بهذا وجهان احدهما انه عام تقديره وان الى ربك ايها السامع او العاقل
كاينا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع
المسيء عما هو عليه ويزداد المحسن في احسانه الوجه الثاني ان الخطاب بهذا
للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا فيه تسلية والمعنى لا تحزن فان الى
ربك المنتهى وقيل في معنى الاية منه ابتدا المنة واليه انتها الامال وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة
مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة
ومعناه لا فكرة في الرب اي انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته

سبحانه وتعالى وانه هو اضحك وابكى اي هو القادر على ايجاد الضدين في محل
واحد والضحك والبكا فقيل ذ دليل على ان جميع ما يعمله الانسان فبقضا الله
وقدره وخلقه حتى الضحك والبكا قيل اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار
في النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السما بالمطر وقيل افرح واحزن
لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكا عن جابر بن سمرة قال جالست
النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون
اشيا من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله
عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب
فاصحكونا ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسيل ابن عمر
هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم
اعظم من الجبل ق عن انس قال خطب رسول الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها
قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو البكا المعجز اي بكا مع صوت يخرج من الانف
وانه هو امات واحيى اي امات في الدنيا واحيا للبعث وقيل امات الابا
واحيا الابنا وقيل امات الكافر بالنكرة واحيى المومن بالمعرفة وانه خلق
الزوجين الذكر والانثى اي من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات
التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شي لا يصل اليه
فهم العقلا ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة من
نطفة اذا تمنى اي تصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته
لان النطفة شي واحد يخلق الله منها اعضا مختلفة وطباعا متباينة وخلق
منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يوكده
بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق على الكمال
يقدر احد ان يدعي خلق السموات والارض وان عليه النشاة الاخرى اي
الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة وانه هو اغنى واقنى اي اغنى
الناس بالاموال واعطى القنية وهي اصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية
وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية
واقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اي اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى
اي اعطى فارضى وقيل اغنى يعني رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شي لانه يغني
ضد الفقر واقنى اي زاد في الغنا وانه هو رب الشعرى اي رب معبودهم
وكانت خزاعة الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له
ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السما عرضا والشعرى تقطعها
طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابي كبشة تشبيها له بخلافه لهم

كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضيء خلف الجوزا ويسمى كلب الجبار
ايضا وهما شعريان يمانية وشامية تقابل له لاحدهما العبور والاخرى الغميصا
سميت بذلك لانها اخفا من العبور والمجرة بينهما واراد بالشعرى هنا العبور
وانه اهلك عادا الاولى وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم
عقب فكانوا عادا الاخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعني اول الخلق هلاكا
بعد قوم نوح وثمودا وهم قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة فما ابقى يعني منهم
احد وقوم نوح من قبل يعني اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق انهم
كانوا هم اظلم واطغى يعني لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية
والتكذيب والموتفكة يعني قرى قوم لوط اهوى اي اسقط وذلك
ان جبريل رفعها الى السما ثم اهوى بها فغشاها اي البسها الله ما غشى
يعني الحجارة المنضودة المسومة فباي الاء ربك تتمارى اي تشك ايها
الانسان وقيل اراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى تكذب هذا
نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى اي رسول من الرسل المتقدمة
ارسل اليكم كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما انذر الرسل من قبله
ازفة الازفة اي قربت القيامة واقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة
اي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها
اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف
كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها
رد يعني اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم
احد قوله تعالى افمن هذا الحديث يعني القران تعجبون تنكرون وتضحكون
اي استهزا ولا تبكون اي مما فيه من الوعيد وانتم سامدون اي لاهون
غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغنى بلغة اهل اليمن وكانوا
اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا واصل السمود في اللغة رفع الراس ماخوذ
من سمد البعير اذا رفع راسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمغني وقيل
معناه اشرون بطرون وقال مجاهد غضبا متبرطمون فقيل له ما البرطمة
قال الاعراض فاسجدوا لله يعني ايها المومنون فاشكروا على الهداية
وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة واعبدوا
اي اعبدوا الله وانما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة
في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من
قريش اخذ كفا من حصبا او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال
عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال اول سورة
نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في اخره وهو امية بن خلف خ عن ابن عباس

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون
والجن والانس **ق** عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
النجم فلم يسجد فيها فعلى هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب
وهو قول الشافعي واحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا ان
نشاء وذهب قوم الى وجوبها على القاري والمستمع وهو سفيان واصحاب
الراي والله اعلم

تفسير سورة القمر

مكية وهي خمس وخمسون اية وثلاثمائة واثنتان واربعون كلمة والف
واربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **اقتربت الساعة** اي دنت القيامة **وانشق القمر**
قيل فيه تقديم وتاخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق
القمر من ايات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل
عليه ما روي عن انس ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم
اية فاراهم انشقاق القمر مرتين اخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي
فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب
ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية اخرى قال
بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمر فلقتين فلقة
فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما
عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم **م** عن
ابن عمر قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل
فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهدوا
وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد اعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا
ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم اخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون
الركبان فيخبرونهم بانهم قد راوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم
التام بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسألوا
السفارة فقالوا نعم قد رايناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة
القران المجيد بذلك فانه ادل دليل واقوى مثبت وامكانه لا يشك فيه
مومن وقد اخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه قال الشيخ
محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة

المضاهين

المضاهين لمخالفة الملة وذلك لما اعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر
مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في اخر امره فاما قول
بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في رويته
ومعرفته ولم يختص بها اهل مكة فاجاب العلما عن هذا بان هذا الانشقاق
حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون
بثيابهم فقل من يتفكر في السما او ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو
مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السما في الليل من العجايب
والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا احاد
الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا
الانشقاق اية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رويتها
فلم يتاهب غيرهم لها قال العلما وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري
والمنازل التي تظهر لبعض الافاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غايبا
عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد والله اعلم وقيل في معنى الاية
ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع
المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل
بعيد يفتقر الى قرينة تنقله او دليل يدل عليه وفي قوله تعالى **وان يروا
اية يعرضوا** دليل على وجود هذه الاية العظيمة وقد كان ذلك في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله تعالى وان يروا اية اي تدل
على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد بالاية هنا انشقاق القمر
يعرضوا اي عن التصديق بها **ويقولوا سحر مستمر** اي دايم مطرد وكل شي دايم
حاله قيل فيه مستمر وذلك لما راوا تتابع المعجزات وترادف الايات قالوا
هذا سحر مستمر وقيل مستمر اي قوي محكم شديد يعلو كل سحر وقيل
مستمر اي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية
لانفسهم وتعليلا **وكذبوا** يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة
الله **واتبعوا اهواءهم** اي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم
انه سحر القمر **وكل امر مستقر** اي لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر
وما كان منه في الاخرة فسيعرف وقيل كل امر مستقر فالخير مستقر
باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين
والمكذبين حين يعرفوا حقيقته بالثواب او العقاب وقيل معناه لكل حديث
منتهى وقيل ما قدر فهو كاين وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر
يعني ليس امره بذاهب كما زعمتم بل كل امر من اموره مستقر وان امر محمد
صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق **ولقد جاءهم** يعني اهل مكة
من الانباء اي من اخبار الامم الماضية المكذبة في القران **ما فيه مزدجر**

اي منتهي وموعظة حكمة بالغة يعني القران حكمة تامة قد بلغت الغاية
فما تغني النذر اي غني تغني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم فتول عنهم اي
اعرض عنهم نسختها اية القتال يوم يدع الداعي اي اذكر يا محمد يوم يدع
الداعي وهو اسرافيل ينفخ في الصور قايما على صخرة بيت المقدس الى شي
نكر اي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما خاشعا وقرئ خشعا
ابصارهم اي ذليلة خاضعة عند روية العذاب يخرجون من الاجداث
اي من القبور كانهم جراد منتشر مثله في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض
حياري فزعين مهطعين مسرعين مادي اعناقهم مقبلين الى الداعي
اي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم
يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفيه اشارة الى ان
ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المومنين قوله تعالى كذبت
قبلهم اي قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا يعني نوحا وقالوا
مجنون وازدجر اي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد
بقولهم لين لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين فدعا يعني نوحا ربه
وقال اني مغلوب اي مقهور فانتصر اي فانتقم لي منهم ففتحنا ابواب
السما قيل هو على ظاهره وللسما ابواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك
لانه قد صح في الحديث ان للسما ابوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر
ان يكون المطر من السحاب بما منهمر اي منصب انصبابا شديدا لم ينقطع
اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا اي وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل
بالما فالتقى الما يعني ما السما وما الارض على امر قد قدر اي قضي عليهم
في ام الكتاب وقيل قدر الله ان يكون الماءان سوا فكانا على ما قدر وحملناه
يعني نوحا على ذات الواح يعني سفينة ذات الواح واراد بالالواح
خشب السفينة العريضة ودسر اي مسامير التي تشد بها الالواح
وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هي عوارض السفينة واضلاعها وقيل
الالواح جانبا السفينة والدسر اصلها وطرفاها تجري يعني السفينة
باعيننا بمراى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا جزا لمن كان كفر يعني فعلنا
ذلك به وبهم من انجا نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد امره
وقيل لمن بمعنى ما اي جزا لمن كان كفر من ايادي الله ونعمه عند الذين غرقهم
وقيل جزا لمن صنع بنوح واصحابه ولقد تركناها اية يعني الفعلة التي
فعلنا بهم اية يعتبر بها وقيل اراد السفينة قال قتادة ابقاها الله تعالى
بباقردي من ارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها اوايل هذه الامة فهل من
مدكر اي متذكر معتبر متعظ خايف مثل عقوبتهم ق عن ابن مسعود قال
قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم مدكر فردها علي وفي رواية اخرى

سمعته يقول مدكرا لا فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري ولقد يسرنا
القران اي سهلنا القران للذكر اي ليتذكر ويعتبر به وقال سعيد بن جبير
يسرناه للحفظ والقراة وليس شي من كتب الله يقرا كله ظاهرا الا القران فهل
من مدكر اي متعظ بموعظة وفيه الحث على تعليم القران والاشتغال به لانه
قد يسره الله وسهله على من يشا من عباده بحيث يسهل حفظه على الصغير والكبير
والعربي والعجمي وغيرهم قوله عز وجل كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر
اي انذاري لهم بالعذاب انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي شديدة البرد
في يوم نحس اي في يوم شوم مستمر اي دايم الشوم استمر عليهم
بنحوسته فلم يبق منهم احدا الا اهلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعا
في اخر الشهر تنزع الناس اي الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على روسهم فتدق
رقابهم وقيل كانت تنزعهم من قبورهم كانهم اعجاز نخل قال ابن عباس
اصول نخل منقعر اي منقطع من مكانه ساقط على الارض وقيل كانت الريح
تبين روسهم من اجسامهم فتبقى اجسامهم بلا روس كعجز النخلة الملقاة فكيف
كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت
ثمود بالنذر اي بالانذار الذي جاء به صالح فقالوا ابشرا منا واحدا
يعني ادميا واحدا منا نتبعه اي ونحن جماعة كثيرة انا اذا لفي ضلال
اي خطا وذهاب من الصواب وسعر قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب
وقيل انا لفي عنا وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل في بعد
عن الحق االقي الذكر عليه يعني انزل عليه الوحي من بيننا بل هو كذاب
اشر اي بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بادعايه النبوة سيعلمون غدا
اي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وانما ذكر الغد للتقريب
من الكذاب الاشر اي صالح ام من كذبه انا مرسلو الناقة اي باعثوها
ومخرجوها من الهضبة التي سالوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسالوه ان يخرج
لهم من الصخرة حمرا ناقة عشرا فقال الله تعالى انا مرسلو الناقة فتنة
اي محنة واختبارا لهم فارتقبهم اي فانتظر ما هم صانعون واصطبر اي
على اذاهم ونبيهم اي اخبرهم ان الما قسمة بينهم اي بين الناقة وبينهم
لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلا كل شرب اي نصيب
من الما محتضر اي يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها
واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعني يحضرون الما اذا غابت الناقة فاذا
جات حضروا اللبن فنادوا صاحبهم يعني قدار بن سالف فتعاطى اي
فتناول الناقة بسيفه فعقر يعني الناقة فكيف كان عذابي
ونذر ثم بين عذابهم فقال تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يعني
صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه

خطيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم
وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر
اذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله عز وجل كذبت قوم لوط بالنذر
انا ارسلنا عليهم حاصبا يعني الحصباء وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون
الحاصب الرامي فعلى هذا يكون المعنى انا ارسلنا عليهم عذابا يحصبهم اي يرميهم
بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى الا آل لوط يعني لوطا وابنتيه نجيناهم
يعني من العذاب بسحر نعمة من عندنا اي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم
كذلك نجزي اي كما انعمنا على آل لوط كذلك نجزي من شكر يعني آمن وحد
الله لم يعذبه مع المشركين ولقد انذرهم اي لوط بطشتنا يعني اخذنا
اياهم بالعقوبة فتماروا بالنذر يعني شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا
ولقد راودوه عن ضيفه اي طلبوا منه ان يسلم اليهم اضيافه فطمسنا
اعينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت
الرسل انا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه
فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب فاخرجهم لوط
عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا اعينهم اي صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها
شق وقيل طمس الله ابصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا
فاين ذهبوا فلم يروهم فذوقوا عذابي ونذر يعني ما انذركم به لوط من العذاب
ولقد صبحهم بكرة اي جاءهم وقت الصبح عذاب مستقر اي دائم استقر
بهم حتى افضى بهم الى عذاب الآخرة فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر قوله عز وجل ولقد جاء آل فرعون النذر يعني
موسى وهارون عليهما السلام وقيل النذر الآيات التي انذرهم بها موسى
كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات التسع فاخذناهم اي بالعذاب
اخذ عزيز مقتدر اي غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه ما
اراد ثم خوف كفار مكة فقال اكفاركم خير من اولئكم يعني اقوى واشد
من الذين احللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل
فرعون هذا استفهام انكاري اي ليسوا باقوى منهم ام لكم براءة يعني من
العذاب في الزبر اي في الكتب انه لن يصيبكم مثل ما اصاب الامم الخالية
ام يقولون يعني كفار مكة نحن جميع اي امرنا منتصر اي من اعدائنا والمعنى
نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرين ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة
رؤس الآي وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم اي كل واحد
منهم عالم قال الله تعالى سيهزم الجمع يعني كفار مكة ويولون الدبر اي
الادبار فوحد لاجل رؤس الآي وقيل في الافراد اشارة الى انهم في التولية

كنفس

كنفس واحدة فلا يتخلف احد من الهزيمة ولا يثبت احد للزحف فهم في ذلك
دبر واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة
يوم بدر اللهم اني انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم
ابدا فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك فخرج
وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر وصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد
ابن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر
كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب
في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ويقول سيهزم الجمع ويولون
الدبر علمت تاويلها بل الساعة موعدهم يعني جميعا والساعة ادهى وامر
اي اعظم داهية واشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر قوله عز وجل ان
المجرمين يعني المشركين في ضلال وسعر قيل في بعد عن الحق وسعر اي نار
تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا ونار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال
اي عن طريق الجنة وعذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى يوم يسحبون
اي يجرون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر اي ذوقوا
ايها المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر
اي مقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شيء من خلقه
قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك

فصل في سبب نزول الآية وما ورد في القدر وما قيل فيه (م) عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف
سنة وعرشه على الماء (م) عن ابي هريرة قال جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله
عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين في ضلال وسعر
الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله
ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يؤمن باربع
يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث
بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان
ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب
لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبريل
المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت فيه ذم القدرية عن
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه

الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم
فلا تعودوه وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابو داود
وله عن ابي هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم في الكلام وعن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهما في الاسلام
نصيب المرجئة والقدرية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وروى
ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا فينادي نداء يسمعه الاولون
والاخرون اين خصماء الله فتقوم القدرية فيؤمر بهم الى النار يقول الله
ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال ابن الجوزي وانما قيل خصماء الله
لانهم يخاصمون في انه لا يجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها
وروي عن الحسن قال والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل ويصلي حتى
يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى ذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في
سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال الشيخ محيي الدين
النواوي رحمه الله اعلم ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله
تعالى قدر الاشياء في القدر وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع في اوقات معلومة
عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدره الله تعالى
وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها
وانها مستانفة العلم اي انما يعلمها سبحانه وتعالى وقد تبرا عز وجل عن اقوالهم
الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال اصحاب
المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع
الباطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه وصارت القدرية في الازمان المتاخرة
تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم
علوا كبيرا وحكى ابو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث وابو المعالي امام
الحرمين في كتابه الارشاد في اصول الدين ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية
بل انتم القدرية قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة
ومباهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر
والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى انفسهم ومدعي الشيء لنفسه
ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه
قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس
هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الارادة كما قسمت المجوس
فصرفت الخير الى يزدان والشر الى اهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية
وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه ابو حازم عن ابن عمر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود في سننه والحاكم ابو عبد الله في المستدرك

على الصحيحين وقال صح على شرط الشيخين ان صح سماع ابي حازم من ابن عمر وقال
الخطابي انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس
في قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعل
الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره
والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء الخير والشر جميعا لا يكون شيء منه الا بمشيئته
فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده
فعلا واكتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر
اجبار الله العبد وقهره على ما قدره وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار
عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكتساب العباد وصدورها عن تقدير منه
وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال
قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه
الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن وقد تظاهرت الادلة
القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل من السلف
والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك ائمة المتكلمين احسن
تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية والله اعلم واما معاني الاحاديث
المتقدمة فقوله جاء مشركوا قريش الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر الى قوله
انا كل شيء خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره
الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر في الازل معلوم لله
تعالى مراد له وكذلك قوله كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة في اللوح
المحفوظ او غيره لا اصل القدر فان ذلك ازلي لا اول له وقوله وعرشه على الماء اي
قبل ان يخلق السموات والارض وقوله كل شيء بقدر حتى العجز والكيس وقال الكيس
ذا العجز العجز عدم القدرة وقيل ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتاخيره عن
وقته قيل ويحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في امور الدنيا والاخرة
والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان
العاجز قدر عجزه والكيس قد ركيسه قوله تعالى وما امرنا الا واحدة
اي وما امرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما امرنا للشيء اذا اردنا تكوينه الا
كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا اذا اراد الله سبحانه وتعالى شيئا
قال له كن هذا بيان الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله
واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر كلمح
بالبصر قال ابن عباس ايضا معناه وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة الا
كطرف البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم ونظراءكم من الكفر من
الامم السالفة فهل من مدكر اي متعظ ان ذلك حق فيخاف ويعتبر

يريد ان قضائي في خلق اسرع من لمح البصر وعن ابن عباس
ح

وكل شيء فعلوه يعني الاشياء من خير او شر في الزبر اي في كتب الحفظة وقيل في
اللوح المحفوظ وكل صغير وكبير اي من الخلق واعمالهم واجالهم مستطر
اي مكتوب قوله عز وجل ان المتقين في جنات اي بساتين ونهر اي انهار
وانما وحده لموافقة روس الاي واراد انهار الجنة من الما والخمر واللبن والعسل
وقيل معناه في ضيا وسعة ومعناه النهار والمعنى لا ليل عندهم في مقعد صدق
اي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وقيل في مجلس حسن وقيل في مقعد لا كذب
فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق عند
مليك قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان مقتدر اي قادر
لا يعجزه شي وقيل مقربين عند مليك امره في الملك والاقتدار اعظم شي فلا
شي الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة
كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق
فلا يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرحمن عز وجل

مكية وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول من احدي القولين عن ابن عباس
وهي ثمان وسبعون اية وثلثماية واحد وخمسون كلمة والف وستماية وستة
وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الرحمن علم القران قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال
كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فانزل الله الرحمن
يعني الذي انكرتموه هو الذي علم القران وقيل هذا جواب لاهل مكة حين
قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القران يعني علم محمدا القران
وقيل علم القران يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه
علي عباده فقدم اعظم نعمه واعلاها رتبة وهو القران العزيز لانه اعظم وحي
الله الى انبيايه واشرفه منزلة عند اوليايه واصفيايه واكثره ذكرا واحسنه
في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزل علي افضل البرية خلق
الانسان يعني ادم عليه السلام قاله ابن عباس علمه البيان يعني اسما
كل شي وقيل علمه اللغات كلها فكان ادم يتكلم بسبعماية لغة افضلها العربية
وقيل الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان
اي النطق الذي يتميز به عن ساير الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام
حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم بلسانهم الذي يتكلمون به
وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون وما
كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبي عن خبر الاولين والاخرين وعن يوم الدين وقيل
علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام الشمس والقمر

بحسبان

بحسبان قال ابن عباس يجريان بحسبان ومنازل لا يعدونها وقيل يعني بهما
بحسب الاوقات والاجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد
كيف يحسب ما يريد الحساب هو الفلك تشبيها بحسبان الرحي وهو ما يدور
الحجر بدورانه والنجم والشجر يسجدان قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول
والشجر ما له ساق يبقى في الشتا وسجودها سجود ظلها وقيل النجم هو الكوكب
وسجوده طلوعه والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس
والقمر ولانهما ارضيان في مقابلة سماويين والسما رفعها اي فوق الارض ووضع
الميزان قيل اراد بالميزان العدل لانه الة العدل والمعنى انه امر بالعدل
يدل عليه قوله ان لا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا العدل وقيل اراد به الالة
التي يوزن بها ليصل بها الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير ان لا
تطغوا في الميزان اي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان واقيموا
الوزن بالقسط اي بالعدل وقيل واقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل
الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا اي لا تنقصوا الميزان ولا
تطففوا في الكيل والوزن امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتدا
وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا
للتوصية للامر باستعماله والحث عليه والارض وضعها اي خفضها مدحوة
علي الما للانام اي للخلق الذي بث فيها وهي كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس
والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها اي في الارض فاكهة اي من
انواع الفاكهة وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى والنخل ذات الاكمام
يعني الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلاف وهو الطلع ما لم
ينشق وكل شي ستر شيا فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر علي ذكر النخل
من بين ساير الشجر لانها اعظمها واكثرها بركة والحب يعني جميع الحبوب
التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما اخر ذكر الحب علي سبيل الارتقا
الى الاعلي لان الحب انفع من النخل واعم وجودا في الاماكن ذو العصف
قال ابن عباس يعني التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر اذا قطع روسه ويبس
وقيل العصف ورق كل شي يخرج منه الحب يبدو اصلاحه ورقا وهو العصف
ثم يكون سوقا ثم يحدث فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب والريحان
يعني الرزق وقال ابن عباس كل ريحان في القران فهو رزق وقيل هو الريحان
الذي يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمره فذكر قوت الناس والانعام
ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى فباي الا ربكما تكذبان يعني ايها الثقلان
يريد هذه الاشيا المذكورة وكرر هذه الاية في هذه السورة في احد وثلاثين
موضعا تقريرا للنعمة وتاكيدا في التذكير بها ثم عدد علي الخلق الاه وفصل
بين كل نعمتين بما نبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها لقول الرجل لمن احسن

اليه وتابع اليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها الم نكن فقيرا فاغنيتك افتنكر
هذا الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا
وقيل هذا الكلام شايع في كلام العرب لحسن تقريرا وذلك ان الله تعالى ذكر في
هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس
والقمر والسما والارض الى غير ذلك مما انعم به على خلقه خاطب الانس والجن فقال
فباي الاء ربكما تكذبان من الاشيا المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها
الى اخرها فسكتوا فقال لقد قراتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا
منكم كنت كلما اتيت على قوله فباي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشي من نعمك ربنا
نكذب فلك الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره كانوا
احسن منكم ردا وفيه ولا بشي قوله تعالى **خلق الانسان من صلصال** يعني من
طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر **كالفخار** يعني الطين المطبوخ
بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلف العلما في صفة خلق الانسان الذي
هو ادم فقال تعالى من تراب وقال من حما مسنون وقال من طين لازب وقال
من ما مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس في هذه العبارات اختلاف
بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا
لما اختلط بالما ثم حما مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا
كالفخار **وخلق الجان** وهو ابو الجن وقيل هو ابليس **من مارج من نار** يعني
الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من
اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت **فباي الاء ربكما
تكذبان رب المشرقين** يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق
الشتا وهو غاية انحطاط الشمس **ورب المغربين** يعني مغرب الصيف ومغرب
الشتا وقيل يعني مغرب الشمس ومغرب القمر **فباي الاء ربكما تكذبان
مرج البحرين** يعني ارسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لا فصل
بين الماءين لان من شانهما الاختلاط وهو قوله **يلتقيان** لكن الله تعالى منعهما
عما في طبعهما بالبرزخ وهو **بينهما برزخ** اي حاجز من قدرة الله **لا يبغيان**
اي لا يبغي احدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على
الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما
وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزاير وقيل بحر السما وبحر الارض يلتقيان
في كل عام **فباي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما** قيل انما يخرج من البحر الملح دون
العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل اراد يخرج من احدهما فحذف المضاف
وقيل لما التقى البحران فصارا كالشي الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما يقال
يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ما السما

وما البحر قيل اذا امطرت السما فتفتح الاصداف افواهها فحيث ما وقعت صارت
لؤلؤة على قدر القطرة وقوله تعالى **اللؤلؤ** قيل هو ما عظم من الدر **والمرجان**
صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر **فباي الاء ربكما تكذبان
وله الجوار** يعني السفن الكبار **المنشات** اي المرفوعات التي رفع خشبها
بعضها على بعض وقيل هو ما رفع قلعها في السفن اما ما لم ترفع التي ترفع
قلعها فليس من المنشات وقيل معنى المنشات المحدثات المخلوقات المسخرات
في البحر كالاعلام اي كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر
بالجبال في البر **فباي الاء ربكما تكذبان** قوله عز وجل **كل من عليها** اي على الارض
من حيوان وانما ذكر بلفظة من تغليبا للعقلا **فان** اي هالك لان وجود الانسان
في الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف
الزمن اليسير الى الطاعة **ويبقى وجه ربك** يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة
وفي المخاطب وجهان احدهما انه على كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان
السامع والوجه الثاني انه يحتمل ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم **ذو
الجلال** اي ذو العظمة والكبريا ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه
بخلقه **والاكرام** اي المكرم لانبيايه واوليايه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم
مع جلاله وعظمته **فباي الاء ربكما تكذبان** عن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذي وقال الحاكم
حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا الزموا هذه الدعوة واكثروا منها **يسئله
من في السموات والارض** يعني من ملك وانس وجن ولا يستغني عن فضله اهل
السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسالونه المغفرة واهل الارض
يسالونه الرزق والمغفرة وكل واحد يسئله الرحمة وما يحتاج اليه من دينه ودنياه
وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن
تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى **كل يوم هو في شان** قيل نزلت
ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيا قال المفسرون
انه من شانه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويمرض صحيحا ويفك
عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سايلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من
افعاله واحداثه في خلقه ما يشا سبحانه وتعالى وروى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضا دفتاه من ياقوتة
حمرا قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثماية وستين نظرة يخلق ويرزق
ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشا فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شان
قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخر
يوم القيامة والشان الذي هو فيه مدة ايام الدنيا والاخرة يوم القيامة
والاختبار بالامر والنهي والاحيا والاماتة والاعطا والمنع وشان يوم القيامة

الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير
الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كاين فاذا
جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده في ذلك الوقت وقال ابو سليمان
الداراني في هذه الاية كل يوم له العبيد بر جديد وقيل شانه تعالى انه يخرج في
كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات وعسكرا
من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله
تعالى **فباي الاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايها الثقلان** قيل هو وعيد
من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغ عن شغل لان الله تعالى لا يشغله
شان عن شان فهو كقول القايل لمن يريد تهديده لافرغن لك وما به شغل
وهذا قول ابن عباس وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشان وقيل معناه
سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ في امركم فهو كقول القايل للذي
لا شغل له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد اهل التقوى واوعد اهل الفجور
فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ما وعدناكم
فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل واراد بالثقلين الانس والجن سميا
ثقلين لانهما ثقلا على الارض احياء وامواتا وقيل كل شي له قدر ووزن ينافس
فيه فهو ثقل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم واني تارك فيكم الثقلين كتاب
الله وعترتي فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق
سمي الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب **فباي الاء ربكما تكذبان
يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا** اي تخرجوا **من اقطار السموات
والارض** اي جوانبهما واطرافها **فانفذوا** اي فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان
تهربوا من الموت والخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها
فحيث ما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى
ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر
عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم ان تهربوا من قضايي وتخرجوا من ملكي
ومن سمايي وارضي فافعلوا وقدم الجن والانس في هذه الاية لانهم اقدر على النفوذ
والهرب من الانس واقوى على ذلك ثم قال تعالى **لا تنفذون الا بسلطان**
يعني لا تقدرون على النفوذ الا بقهر وغلبة واني لكم ذلك لانكم حيث ما توجهتم
كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات
والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان اي ببينة من الله تعالى **فباي الاء ربكما
تكذبان** وفي الخبر يحاط بالملايكة وبلسان من نار ثم ينادي يا معشر الجن
والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض الاية فذلك قوله
تعالى **يرسل عليكما شواظ من نار** قال اكثر المفسرين هو اللهب الذي
لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار **ونحاس** وقيل هو الدخان

وهو رواية

وهو رواية ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على روسهم وهو الرواية الثانية
عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا
مرة وقيل يجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالاخر **فلا تنتصران**
اي فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه **فباي الاء ربكما تكذبان فاذا
انشقت السما** اي انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملايكة وقيل المراد
منه خراب السما وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى اهل الارض ذكر في
هذه الاية بيان حال سكان السما وقيل فيه تهويل وتعظيم للاهوال وفيه اشارة
الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السما وذوبانها
وهو قوله تعالى **فكانت وردة كالدهان** جمع دهن شبه تلون السما عند
انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب الى الحمرة وقيل ان
السما تتلون يوميذ الوانا كالوان الفرس الورد يكون في الربيع اصفر وهو
اول الشتا احمر فاذا اشتد البرد صار اغبر فشبه السما في تلونها عند
انشقاقها بهذا الفرس في تلونه وقيل كالدهان اي كعصير الزيت وقيل لانه
يتلون في الساعة الوانا وقيل تصير السما كالدهن الذايب وذلك حين يصليها
حر جهنم وقيل كالدهان اي الاديم الاحمر **فباي الاء ربكما تكذبان فيوميذ
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان** قيل لا يسيلون عن ذنوبهم ليعلم من جهتهم
لان الله تعالى علمها منهم وكتبت الحفظة عليهم وهذه رواية ابن عباس وعنه
لا تسال الملايكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن
عباس ايضا في الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين
وقيل لا يسالهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك منهم ولكنه يسالهم لم عملتم
كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسال عن بعضها ولا يسال عن بعضها وعن ابن عباس
ايضا قال لا يسالون سوال شفا ورحمة انما يسالون سوال التقريع والتوبيخ
وقيل لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم **فباي الاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون
بسيماهم** يعني بسواد وجوههم وزرقة عيونهم **فيوخذ بالنواصي والاقدام**
قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف ظهورهم وقيل تجعل روسهم
على ركبهم ونواصيهم في اصابع ارجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصي
وبعضهم بالاقدام ثم يلقون في النار **فباي الاء ربكما تكذبان هذه جهنم**
اي يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها **التي يكذب بها المجرمون** يعني المشركين
يطوفون بينها وبين حميم ان يعني قد انتهى حرها والمعنى انهم يسعون بين
الجحيم وبين الحميم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الان الذي صار
كالمهل وقال كعب الاحبار ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار
فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه
وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعالى يطوفون

بينهما وبين حميم آن فباي الاء ربكما تكذبان فان قلت هذه الامور المذكورة في هذه الايات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف قال عقب هذه الايات فباي الاء ربكما تكذبان قلت في هذه الايات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصي فصارت نعما فحسن ختم كل اية منها بقوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما اعد لمن اتقاه وخافه من عباده المومنين فقال تعالى ولمن خاف مقام ربه يعني مقامه بين يدي ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير اخلصه لله ولا يحب ان يطلع عليه احد قيل ان المومنين يخافون ذلك المقام فيعملون لله مع الاخلاص ودابوا الليل والنهار جنتان يعني جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذي قوله ادلج الادلاج مخففا السير اول الليل ومثقلا السير اخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد في اول الامر فان من سار اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروي البغوي بسنده عن ابي ذر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق فقال وان زنا وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال وان زنا وان سرق على رغم انف ابي ذر فباي الاء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال تعالى ذواتا افنان اي اغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا الوان الفواكه وجمع عطا بين القولين فقال لكل غصن فنون من الفواكه وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احدهما من ماء غير اسن والاخرى من خمر لذة للشاربين فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان ونوعان وقيل معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش جمع فراش بطائنها جمع بطانة وهي التي تلي الارض من تحت الظهارة من استبرق

وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو هريرة هذه البطاين فما ظنكم بالظهاير وقيل لسعيد بن جبير البطاين من استبرق فما الظهاير فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعنه ايضا قال البطاين من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطاين وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهو يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر بطائنها من الاستبرق ولا بد ان تكون الظهاير خيرا من البطاين فهو مما لا يعلمه الا البشر وجنا الجنتين دان يعني ان ثمرهما قريب ينا له القايم والقاعد والنايم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله ان شا قايما وان شا قاعدا وقيل لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك فباي الاء ربكما تكذبان فيهن فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف اي غاضات الاعين قصرت طرفهن الا على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يريدن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة شيا احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك لم يطمثهن اي لم يجامعهن ولم يفترعهن والطمث لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن الي لم يطمثهن قبلي ... وهن اصح من بيض النعام

اي لم يمسسهن والمعنى لم يطامن ولم يغشهن انس قبلهم اي من ازواجهن من اهل الجنة ولا جان وقيل انما نفى الجن لان لهم ازواجا في الجنة منهم وفي الاية دليل على ان الجني يغشى كما يغشى الانسي وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرا هذه الاية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الاية ثم قال الانسيات اذا جامع ولم يسم انطوى الجني على احليله فجامع معه ولذلك فيه هولاء اللواتي لم يطمثهن فقيل من الحور العين لانهن خلقهن في الجنة لم يمسهن احد قبل ازواجهن وقيل لم يطمثهن قيل من الحور العين لانهن خلقهن وقيل انهن من نسا الدنيا انشئن خلقا اخر ابكارا كما وصفهن لم يمسهن منذ انشئن خلقا اخر وفا لهن الادميات اللاتي ينشين ابكارا ومعنى الاية المبالغة في نفي الطمث عنهن لان ذلك اقر لاعين ازواجهن اذا لم يغش احد غيرهم فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اراد بالصفا الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللولو مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب بحمرة والاصح انهن شبهن بالياقوت لصفايه فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايت السلك من ظاهره لصفايه وقال عمرو بن ميمون ان المراة من الحور العين لتلبس

سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورا الحلل كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة
البيضا يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان المراة من نسا اهل الجنة ليرى بياض ساقها من ورا سبعين حلة حتى
يرى مخها وذلك بان الله تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت
فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته من ورايه اخرجه الترمذي
قال وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه ومواضح ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة
القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السما
اضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون انيتهم الذهب والفضة
وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان
يرى مخ سوقهما من ورا اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم
قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشية وللبخاري قلوبهم على قلب رجل
واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة يعني بخورهم العود
فباي الا ربكما تكذبان هل جزا الاحسان الا الاحسان اي ما
جزا من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة وقال ابن عباس هل
جزا من قال لا اله الا الله وعمل بما جا به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة
روى البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال قرا رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل جزا الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال
ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزا من انعمت عليه بالتوحيد
الا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية يقول الله عز وجل هل جزا من انعمت عليه
بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في
معنى الاية هل جزا من اتى بالفعل الحسن الا ان يوتى في مقابلته بفعل
حسن وفي الاية دلالة على رفع التكليف في الاخرة لان الله وعد المومن
بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الاخرة وتركه العبد لاستحق
العذاب على ترك العمل والعقاب على ترك الاحسان اليه فلا تكليف **فباي
الا ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان** اي ومن دون الجنتين الاوليين جنتان
اخريان وقال ابن عباس ومن دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال
ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين
وقال ابن جريج هن اربع جنات جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل
فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل
ورمان ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من
فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم ان

ينظروا الى ربهم الا ردا الكبريا على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما
جنتان يعني امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب
والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما افضل من الاوليين **فباي
الا ربكما تكذبان** ثم وصف الجنتين فقال تعالى **مدهامتان** اي ناعمتان
سودا وان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى
السواد **فباي الا ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان** اي فوارتان
بالما لا ينقطعان وقال ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على اهل
الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على اوليا الله تعالى
وقال انس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كطش المطر
فباي الا ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان يعني فيهما من انواع الفواكه
كلها وانما فصل النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها
على فضلهما على ساير الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين واهل اللغة
قالوا انما فضلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله
وملايكته ورسله وجبريل وميكايل فضلهما وان كانا من جملة الملايكة لشرفهما
وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة
وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودوا فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال ابو حنيفة
اذا حلف لا ياكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا
القول خلاف اهل اللغة ولا حجة لهم في الاية وروى البغوي بسنده عن ابن عباس
موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكرمها ذهب احمر وسعفها
كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال او الدلا اشد بياضا من
اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس لهم عجم وروي ان الرمانة من
رمان الجنة كجلد البعير المقتب وقيل ان نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال
كلما قطعت عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا **فباي الا ربكما
تكذبان فيهن** اي في الجنان الاربع **خيرات حسان** روي عن ام سلمة
قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن الخيرات الحسان قال خيرات
الاخلاق حسان الوجوه **فباي الا ربكما تكذبان حور مقصورات** اي مخدرات
مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لو ان امراة من نسا اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملات
ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرت طرفهن
وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهن بدلا **في الخيام** قيل هي في البيوت
قال ابن الاعرابي الخيمة لا تكون الا من اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام ويقال
خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا اقام بها وتظلل فيها
وقيل كل خيامها من در ولولو وزبرجد مجوف تضاف الى القصور في الجنة ق عن

ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمومن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السما وفي رواية عرضها ستون ميلا للمومن فيها اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان تقدم تفسيره فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى هذا عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل في مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل كل ثوب عريض هذا عند العرب فهو رفرف وعبقري حسان قيل هي الزرابي والطنافس المخملة الى الرقة ما هي وقيل كل ثوب موشى عند العرب عبقري عنده وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيره فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم ار عبقريا يفري فريه واصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهي ارض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شي رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وانهم ياتون بكل امر عجيب ولما كان عبقر معروفا بسكنى الجن نسبوا اليها كل امر عجيب بليغ فباي الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعمة الاخرة بهذه الاية وهو اشارة الى تحميده وتمجيده م عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اخرجه ابو داود والنسائي غير قوله لم يقعد الا مقدار ما يقول والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الواقعة

وهي تسع وتسعون اية وثلثماية وثمان وسبعون كلمة وسبعماية وثلاثة احرف روى البغوي بسنده عن ابي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وكان ابو ظبية لا يدعها ابدا واخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا وقعت الواقعة اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالازفة ليس لوقعتها كاذبة اي ليس كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس

لوقعتها

لوقعتها قصة كاذبة اي يكل ما اخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة اي ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس اخبرت عن وقوعها خافضة رافعة اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض اقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع اقواما كانوا في الدنيا منخفضين وقيل تخفض اقواما بالمعصية وترفع اقواما بالطاعة اذا رجت الارض رجا اي اذا حركت وزلزلت وذلك ان الله عز وجل اذا اوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بنا عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا اي فتتت صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من اصلها وصيرت على وجه الارض حتى ذهب بها فكانت هبا منبثا اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهبا وكنتم ازواجا اي اصنافا ثلاثة ثم فسر الازواج فقال تعالى فاصحاب الميمنة يعني اصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يوخذ بهم الى ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين ادم حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله وهم التابعون باحسان ما اصحاب الميمنة تعجب من حالهم في السعادة والمعنى اي شي هم واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة يعني اصحاب الشمال وهم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم كانوا على شمال ادم عند اخراج الذرية فقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا ابالي وقيل هم الذين يوتون كتبهم بشمايلهم وقيل هم المشايم على انفسهم وكانت اعمالهم في المعاصي لان العرب تسمي اليد اليسرى الشومى والسابقون السابقون قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة هم السابقون في الاخرة الى الجنة السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل المسارعون الى التوبة والى ما دعا الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة فان قلت لم اخر ذكر السابقين وكانوا اولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر في اول السورة من الامور الهايلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة في الثواب واما مسي فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين فقال تعالى اوليك المقربون اي من الله في جواره وفي ظل عرشه ودار كرامته

وهو قوله **في جنات النعيم** قوله تعالى **ثلة** اي جماعة غير محصورة العدد **من الاولين** اي من الامم الماضية من لدن ادم الى زمن نبينا **وقليل من الاخرين** يعني من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبيا وصدقوهم من الامم الماضية اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وقيل ان الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الاخرين يعني التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقليل من الاخرين اي ممن جا بعدهم من الصحابة **على سرر موضونة** اي منسوجة بالذهب والجوهر وقيل موضونة يعني موصوفة **متكئين عليها** اي على السرر **متقابلين** يعني لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة في المجالسة وقيل لانهم صاروا ارواحا روحانية صافية ليس لهم ادبار وظهور **يطوف عليهم** اي للخدمة **ولدان** اي غلمان **مخلدون** لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق في الاذن واختلفوا في هولا الولدان فقيل هم اولاد المومنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله اخبر انه يلحقهم باباهم ولان من المومنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بابي الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وقيل هذا القول اقرب من الاول لانه قد اختلف في اولاد المشركين على ثلاث مذاهب فقال الاكثرون هم في النار تبعا لابايهم وتوقف فيهم طايفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم في الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال ماتوا ليس لهم حسنات فيثابوا ولا سيات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان شا الله انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت **باكواب** جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا اذن لها وهي عري **واباريق** جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرى سميت اباريق لبريق لونها من الصفا وقيل لانها يري باطنها كما يري ظاهرها **وكاس من معين** اي من خمر جارية **لا يصدعون عنها** اي لا تصدع روسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها **ولا ينزفون** اي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرى بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم **وفاكهة مما يتخيرون** اي ياخذون خيارها **ولحم طير مما يشتهون** قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فياكل منه ما يشتهي ثم يطير فان قلت فهل في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتها بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القران بلاغة

وفصاحة والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجايع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجايع مشتهيه والشبعان غير مشتهيه بل هو يتخير واهل الجنة انما ياكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القران بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله اعلم **وحور عين** اي ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجا في تفسير حور اي بيض عين اي ضخام العيون **كامثال اللولو المكنون** اي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهوا فيكون في نهاية الصفا روي انه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا فقال ثغر حورا ضحكت وروي ان الحورا اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت ليضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لولو يصران بالتسبيح **جزا بما كانوا يعملون** اي فعلنا ذلك بهم جزا بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعتنا **لا يسمعون فيها** اي في الجنة **لغوا** قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع **ولا تاثيما** قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به اهل الدنيا وقيل معناه لا ياثمون تاثيما اي ما هو سبب التاثيم من قول وفعل قبيح **الا قيلا** معناه لكن يقولون قيلا ويسمعون قيلا **سلاما سلاما** يعني يسلم بعضهم على بعض وقيل يسلم الملايكة عليهم او يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من شانهم فقال تعالى **واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين** لما بين حال السابقين شرع في بيان حال اصحاب اليمين فقال تعالى **في سدر مخضود** اي لا شوك فيه كانه خضد شوكه اي قطع ونزع منه فهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا وقيل ثمره اعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطايف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الاية **وطلح** قيل هو الموز عند اكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر ام غيلان له شوك وله نور طيب الرايحة فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفون الا ان فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا **منضود** اي متراكم قد نضد بالحمل من اوله الى اخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى اغصانه مثمر وليس شي من ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كلها ماكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه **وظل ممدود** اي دايم لا تنسخه الشمس كظل اهل الدنيا وذلك لان اصل الجنة ظل كلها لا شمس فيها **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها

ماية سنة واقرؤوا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال
شجرة في الجنة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون في اصلها فيتشهى بعضهم
لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحا من الجنة فتتحرك تلك الشجرة بكل لهو في
الدنيا **وماء مسكوب** اي مصبوب يجري دايما في غير اخدود ولا ينقطع **وفاكهة**
كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من احد اذا اراد
اخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا
في الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا
وجا في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله عز وجل مكانها ضعفين
وفرش مرفوعة قال علي مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي
مرفوعة عالية عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش
مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السما والارض ومسيرة ما بينهما خمسماية عام اخرجه
الترمذي وقال الحديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم معنى
هذا الحديث ارتفاعها كما بين السما والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة
في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السما والارض وقيل اراد بالفرش
النسا والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون
معنى مرفوعة اي رفعن بالفضل والجمال على نسا الدنيا ويدل على هذا التاويل
قوله في عقبه **انا انشاناهن انشا** اي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس
يعني الادميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم والكبر خلقا اخر **فجعلناهن**
ابكارا يعني عذارى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انشاناهن
انشا قال ان من المنشيات اللاتي كن في الدنيا عجايز عمشا رمصا اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وضعفه بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن قال
اتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة
فقال يا ام فلان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي قال اخبروها انها لا تدخلها
وهي عجوز ان الله تعالى قال انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا هذا حديث مرسل
وروى باسناد الثعلبي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا انشاناهن
انشا قال عجايز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن ابكارا قال المسيب
ابن شريك هن عجايز الدنيا انشاهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن
وجدوهن ابكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور
العين انشاهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى وليس هناك وجع
عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه
انها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام
اترابا يعني امثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات
ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة

الجنة جردا مردا مكحلين ابنا ثلاثين او قال ثلاث وثلاثين سنة اخرجه الترمذي
وقال الحديث حسن غريب **لاصحاب اليمين** يعني انشاناهن لاصحاب
اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لاصحاب اليمين **ثلة من الاولين** يعني
من المومنين الذين هم قبل هذه الاية **وثلة من الاخرين** يعني مومني هذه
الامة يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما
انزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل
من الاخرين بكى عمر فقال يا نبي الله امنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو
منا قليل فانزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن
ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادم الينا ثلة
ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا السودان من رعاة الابل ممن
قال لا اله الا الله **ق** عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عرضت على الامم فرايت النبي ومعه الرهيط والنبي معه الرجل والرجلان
والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي فقيل لي هذا
موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي انظر
الى الافق الاخر فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا
يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس
في اوليك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم
الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا
في الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا اشيا فخرج عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون
ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال
ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقام رجل اخر فقال يا رسول الله
ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط تصغير رهط
وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين **ق** عن عبد الله بن مسعود قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحو من اربعين فقال اترضون ان
تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة
قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده اني لارجو ان تكونوا نصف اهل
الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مومنة مسلمة وما انتم في اهل
الشرك الا كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود او كالشعرة السودا
في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة
عشرون وماية صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من ساير الامم
اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن وذهب جماعة الى ان الثلتين

جميعا من هذه الامة وهو قول ابي العالية ومجاهد وعطا بن ابي رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سلف من هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة ايضا في اخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من امتي وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وعاينه وجماعة ممن امن به وكان بعده ولم يعاينه فان قلت كيف قال في الاية الاولى وقليل من الاخرين وقال في هذه الاية وثلة من الاخرين قلت الاية الاولى في السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الاخرين وهذه الاية في اصحاب اليمين وهم كثيرون في الاولين والاخرين وحكي عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الايتين خبر والخبر لا يدخله النسخ قوله تعالى **واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال** قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمايلهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم من العذاب فقال تعالى **في سموم** اي في حر النار وقيل في ريح شديد الحرارة **وحميم** اي ما حار يغلي **وظل من يحموم** يعني في ظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سودا واهلها سود وكل شيء فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسما النار **لا بارد ولا كريم** يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فايدة الظل ترجع الى امرين احدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل اهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان اسود حار ثم بين بما استحقوا ذلك فقال تعالى **انهم كانوا قبل ذلك** يعني في الدنيا **مترفين** يعني منعمين **وكانوا يصرون على الحنث العظيم** يعني الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى **وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون** رد الله تعالى عليهم بقوله **قل ان الاولين والاخرين** يعني الابا والابنا **لمجموعون الى ميقات يوم معلوم** يعني انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب **ثم انكم ايها الضالون** يعني عن الهدى **المكذبون** يعني بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب **لاكلون من شجر من زقوم** تقدم تفسيره **فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم** يعني الابل العطاش قيل ان الهيم دا يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التي لا تروى بالما قيل يلقي

على

على اهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون **هذا نزلهم** يعني ما ذكر من الزقوم والحميم اي رزقهم وغداوهم وما اعد لهم يوم الدين يعني يوم يجازون باعمالهم ثم احتج عليهم بالبعث بقوله تعالى **نحن خلقناكم** ولم تكونوا شيا وانتم تعلمون ذلك **فلولا** اي فهلا **تصدقون** يعني بالبعث بعد الموت قوله عز وجل **افرايتم ما تمنون** يعني ما تصبون في الارحام من النطف **ءانتم تخلقونه** اي ءانتم تخلقون ما تمنون بشرا **ام نحن الخالقون** اي انه خلق النطفة وصورها واحياها ثم تصدقون بانه واحد قادر على ان يعيدكم كما انشاكم احتج عليهم بالبعث بالقدرة على ابتدا الخلق **نحن قدرنا بينكم الموت** يعني الاجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الاجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السما واهل الارض فيه سوا شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا **وما نحن بمسبوقين** يعني لا يفوتني شي اريده ولا يمتنع مني احد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى **على ان نبدل امثالكم** اي ناتي بخلق مثلكم بدلا منكم في اسرع حين **وننشئكم** اي نخلقكم **فيما لا تعلمون** اي من الصور والمعنى نغير حليتكم الى ما هو اسمج منها من خلق شيا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم ان اردنا ان نفعل ذلكم بكم ما فاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل طيور سود كانها الخطاطيف ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على النسخ وعلى انه لو شا ان يبدلهم بامثالهم من بني ادم قدر ولو شا ان يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض اهل المعاني هذا يدل على ان النشاة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشا الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على ان ننشيكم في وقت لا تعلمون يعني وقت البعث والنشاة وفيه فايدة وهي التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشا هو الموت والبعث فاذا كان ذلك واقعا في الازمان لا يعلمه احد فينبغي ان لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة **ولقد علمتم النشاة الاولى** اي الخلقة الاولى ولم تكونوا شيا وفيه تقرير للنشاة الثانية يوم القيامة **فلولا تذكرون** يعني باني قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم اول مرة قوله تعالى **افرايتم ما تحرثون** لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق وما فيه من دلايل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقا وذكر امورا ثلاثة الماكول والمشروب وما به اصلاح الماكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر الماكول اولا لانه هو الغذا واتبعه المشروب لانه

لاستمرا انتم النار التي بها الاصلاح وذكر من انواع الماكول الحب لانه هو الاصل ومن
المشروب الما لانه ايضا هو الاصل وذكر من المصطلحات النار لان بها اصلاح اكثر
الاغذية فقوله افرايتم ما تحرثون اي تثيرون من الارض وتلقون فيها البذر
ءانتم تزرعونه اي تنبتونه وتنشئونه حتى يشتد ويقوم على سوقه ام
نحن الزارعون معناه انتم فعلتم ذلك ام الله ولا شك ان في ايجاد الحب
في السنبل ليس يفعل احد غير الله تعالى وان كان القا البذر من فعل الناس
لو نشا لجعلناه يعني ما تحرثون وتلقون فيه من البذر حطاما اي
تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند
يقول نحن نحرث وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله
على هذا المعاند بقوله لو نشا لجعلناه حطاما فهل تقدرون انتم على حفظه
او هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الافات التي تصيبه ولا يشك احد في
ان دفع الافات ليست الا بحفظ الله وارادته فظلتم تفكهون اي تتعجبون
بما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف
منكم من المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون
وقيل هو تلهف على ما فات انا لمغرمون اي وتقولون في ذا القول ومعنى
الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لمولع بنا وقال ابن عباس لمعذبون
يعني انهم عذبوا بذهاب اموالهم بغير فايدة والمعنى انا غرمنا الحب الذي بذرناه
فذهب بغير عوض بل نحن محرومون اي ممنوعون والمعنى حرمنا الذي كنا
نطلبه من الريع في الزرع افرايتم الما الذي تشربون ءانتم انزلتموه من
المزن ام نحن المنزلون ذكرهم الله نعمه عليهم بانزال المطر الذي لا يقدر
عليه الا الله عز وجل لو نشا جعلناه اجاجا قال ابن عباس شديد الملوحة
وقيل مرا لا يمكن شربه فلولا اي فهلا تشكرون يعني نعمه عليكم افرايتم
النار التي تورون يعني تقدحون من الزند ءانتم انشاتم شجرتها
يعني التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح منهما
النار وهما رطبتان وقيل اراد جميع الشجر الذي يوقد منه النار ام نحن
المنشئون نحن جعلناها يعني نار الدنيا تذكرة اي للنار الكبرى اذا
راى الرائي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل
موعظة يتعظ بها المومن ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله
ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وتسعين جزءا
كلها مثل حرها ومتاعا اي بلغة ومنفعة للمقوين يعني للمسافرين
والمقوي النازل في الارض القوي وهي القفر الخالية البعيدة من العمران
والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادي والسفار فان منفعتهم اكثر من المقيم

فانهم

فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي بها الضال الى غير ذلك
من المنافع هذا قول اكثر المفسرين وقيل للمقوين المستمتعين بها في الظلمة
ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع
وقيل المقوي من الاضداد يقال للفقير مقوي لخلوه من المال ويقال للغني
مقوي لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة للفقرا والاغنيا جميعا
لا غنى لاحد عنها فسبح باسم ربك العظيم لما ذكر ما يدل على وحدانيته وقدرته
وانعامه على ساير الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا
لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم اي برئ الله ونزهه
عما يقول المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح
باسم ربك العظيم قوله عز وجل فلا اقسم قال اكثر المفسرين معناه
فاقسم ولا صلة موكدة وقيل لا على اصلها وفي معناها وجهان احدهما انها
ترجع ومعناه النهي وتقديره ومعناه فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته
من النعم والحجج الوجه الثاني ان لا رد لما قاله الكفار في القران من انه سحر
وشعر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف القسم فقال
اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل لان لا هنا معناها النفي
فهو كقول القايل لا تسال عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهي عن السوال
بمواقع النجوم قال ابن عباس اراد نجوم القران فانه كان ينزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل اراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل
اراد منازلها وقيل انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها
في اتباع الشياطين عند الرجم وانه لقسم لو تعلمون عظيم قيل هذا
يدل على ان المراد بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم
بذلك وقيل معنى لو تعلمون فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم
والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم انه لقران كريم اي ان الكتاب
الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قران كريم اي عزيز مكرم لانه كلام الله
تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شانه ان يعطي
الكثير وسمي القران كريما لانه يفيد الدلايل التي تودي الى الحق في الدين
وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقران كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور
والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به وياخذ منه والحكيم يستمد
منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب اصل
علمه منه وقيل سمي كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكي
وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسامه السامعون
ويهون في الاعين وتمله الاذان والقران كريم عزيز لا يهون بكثرة التلاوة
ولا يخلق بكثرة الرد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل هو غض

طرى بيضا ابد الدهر كذلك **في كتاب مكنون** اي مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشيطان من ان يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول اصح **لا يمسه** اي ذلك الكتاب المكنون **الا المطهرون** وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث يروي هذا القول عن ابن عباس وانس وهو قول سعيد بن جبير وابي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثاني بان المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون اي من الشرك وقال ابن عباس يعني ان يتمكن اليهود والنصارى من قراءة القران قال الفرا لا يجد طعمه ونفعه الا من امن به وقيل معناه لا يقرؤه الا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الاية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطا وطاووس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي واكثر الفقها يدل عليه ما روى مالك في الموطا عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القران الا طاهرا اخرجه مالك مرسلا وقد جا موصولا عن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القران الا طاهر والمراد بالقران المصحف سماه قرانا على قرب الجوار والاتساع كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو واراد به المصحف وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل القران ومسه بغلافه فان قلت اذا كان الاصح ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان الضمير في لا يمسه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يصح للمحدث مس المصحف قلت من قال ان الشافعي اخذه من صريح الاية حمله على التفسير الثاني وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من طريق الاستنباط قال نفي المس بغير طهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشر المصحف الكريم والصحيح انه اخذه من السنة ودليل ما تقدم من الاحاديث والله اعلم **تنزيل من رب العالمين** صفة للقران اي القران منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال بان القران شعر او سحر او كهانة فقال الله تعالى بل القران تنزيل من رب العالمين قوله عز وجل **افبهذا**

الحديث يعني القران **انتم** يا اهل مكة **مدهنون** قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن الكذاب والمنافق وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر هذا اصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر **وتجعلون رزقكم** اي حظكم ونصيبكم من القران **انكم تكذبون** قال الحسن في هذه الاية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي بنعمة الله عليكم وهذا في الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم اي شكركم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القران والمعنى اتجعلون بدل الشكر التكذيب **ق** عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر بالكواكب فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء فلان فذلك كافر بي مومن بالكواكب رواه مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فنزلت هذه فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون **م** عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انزل الله من السما من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب قوله على اثر سماء اي اثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء اذا سقط وغاب وقيل اذا نهض وطلع واختلف العلما في معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين احدهما انه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب اليه جماهير العلما منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له ومراده انا مطرنا في وقت طلوع نجم ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نوء الثريا

فقال ان العلما يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد وقوعها فقوا الله ما مضت
تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد عمر كم بقي من الوقت الذي جرت العادة
انه اذا تم اتى الله بالمطر فهذا جايز لاخلاف فيه واختلفوا في كراهية مد ذلوا الانوا
انها كراهية تنزيه لا اثم فيه ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة
بين الكفر وغيره فيسا الظن بقايلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم
والقول الثاني في تاويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفران النعمة لله تعالى لاقتصاره
على اضافة الغيث الى الكوكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويويد
هذا التاويل حديث ابي هريرة ما انزل الله من السما من بركة الا اصبح فريق
بها كافر فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم قوله تعالى فلولا اي
فهلا اذا بلغت الحلقوم اي النفس او الروح الى الحلقوم عند الموت وانتم
يعني يا اهل الميت حينيذ تنظرون يعني الى الميت متى تخرج نفسه وقيل
ينظرون الى امري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيا ونحن اقرب
اليه منكم اي بالعلم والقدرة والروية وقيل ورسلنا الذين يقبضون
روحه اقرب الى الميت منكم ولكن لا تبصرون اي الذين حضروه من الملايكة
لقبض روحه وقيل لا تبصرون اي لا تعلمون ذلك فلولا ان كنتم غير مدينين
اي مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين ترجعونها ان كنتم صادقين
اي تردون نفس هذا الميت الى جسده بعدما بلغت الحلقوم فاجاب عن قوله
فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد
وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب
ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم
يمكنهم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فامنوا به ثم ذكر طبقات
الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى فاما ان كان من المقربين
يعني السابقين فروح اي فله روح وهو الراحة وقيل فله فرج وقيل رحمة
وريحان اي وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذي يشم
قال ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يوتى ببعض من ريحان
الجنة فيشمه فتقبض روحه وجنة نعيم اي وله جنة نعيم يفضي اليها
في الاخرة قال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دار القرار
واما ان كان يعني المتوفى من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين
اي فسلام لك يا محمد والمعنى فلا تهتم بهم فانهم سلموا من عذاب الله او انك
ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله تعالى يتجاوز عن سياتهم ويقبل حسناتهم
وقيل معناه انهم من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين واما
ان كان من المكذبين اي بالبعث الضالين اي عن الهدى وهم اصحاب
الشمال فنزل من حميم اي الذي يعد لهم حميم جهنم وتصلية جحيم

اي

اي وادخال نار عظيمة ان هذا يعني ما ذكر من قصة المحتضرين لهو حق
اليقين اي لا شك فيه وقيل ان هذا الذي قصصناه عليك في هذه السورة
من الاقاصيص وما اعد الله لاوليايه من النعيم وما اعد لاعدايه من
العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه فسبح باسم
ربك العظيم اي فنزه ربك العظيم من كل سوء وقيل معناه فصل بذكر
ربك العظيم وبامره عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك
العظيم قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها
في سجودكم اخرجه ابو داود عن حذيفة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم
فكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى
وما اتى على اية رحمة الا وقف وسال وما اتى على اية عذاب الا وقف وتعوذ
اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة م عن ابي ذر قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى
قال سبحان الله وبحمده ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان
الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث اخرجه
في صحيح البخاري والله اعلم

تفسير سورة الحديد

مدنية وهي تسع وعشرون اية وخمسماية واربع واربعون كلمة والفان
واربعماية وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل سبح لله ما في السموات والارض يعني كل ذي روح وغيره يسبح
لله تعالى فتسبيح العقلا تنزيه الله عز وجل من كل سوء وعما لا يليق
بجلاله وتسبيح غير العقلا من ناطق وجماد فاختلفوا فيه فقيل تسبيحه
دلالته على صانعه فكانه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل
عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم قولهم والحق ان التسبيح هو القول
الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي
تسبيحه وجهان احدهما انها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني ان جميع
الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشا فان حملنا التسبيح
المذكور في الاية على القول كان المراد بقوله ما في السموات من السموات
وهم الملايكة ومسبحون الارض هم المومنون العارفون بالله وان حملنا
التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع اجزا السموات وما فيهما من شمس وقمر
ونجوم وجميع ذرات الارضين وما فيهما من جبال وبحار وشجر ودواب وغير
ذلك كلها مسبحة خاشعة لجلال الله خاشعة منقادة له يتصرف فيها كيفه

بجلاله وتنقاد لمشيته

بشا فان قلت قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها
يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشيا
مسبح لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي
وستكون مسبحة ابدا في المستقبل **وهو العزيز** اي الغالب الكامل
القدرة الذي لا ينازعه شي **الحكيم** اي الذي جميع افعاله على وفق
الحكمة والصواب **له ملك السموات والارض** اي انه الغني عن جميع خلقه
وكلهم محتاجون اليه **يحيي ويميت** اي يحيي الاموات للبعث ويميت
الاحيا في الدنيا **وهو على كل شي قدير** قوله عز وجل **هو الاول
والاخر والظاهر والباطن** يعني هو الاول قبل كل شي بلا ابتدا كان هو
ولم يكن شي موجود والاخر بعد فنا كل احد بلا انتها يفنى الاشيا ويبقى هو
والظاهر الغالب العالي على كل شي والباطن العالم بكل شي هذا معنى قول
ابن عباس وقيل هو الاول ليس قبله شي والاخر ليس بعده شي وقيل هو
الاول بوجوده في الازل وقبل الابتدا والاخر بوجوده في الابد وبعد
الانتها والظاهر بالدلايل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب
عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول سبق وجوده كل موجود والاخر
الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الامام ابو بكر الباقلاني معناه انه تعالى
الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الازل ويكون
كذلك بعد موت الخلايق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق اجسامهم
قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فنا الاجسام وذهابها
بالكلية قالوا ومعناه انه الباقي بعد فنا خلقه ومذهب اهل الحق يعني
اهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الاخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم
كما يقال اخر من بقي من بني فلان فلان يراد حياته ولا يراد فنا اجسامهم
وموتاهم وذهابهم بالكلية هذا اخر كلام ابن الباقلاني وقيل هو الاول السابق
للاشيا والاخر الباقي بعد فنا الاحيا والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه
النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب
عن ابصار الخلق فلا يستولي عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والاخر
الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك
توحيده طريق التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود
له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح
القلوب والاخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن
بعلم الغيوب وسيل عمر كعبا عن هذه الاية فقال معناها ان علمه بالاول
كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن **وهو بكل شي عليم**
عن سهيل بن ابي صالح قال كان ابو صالح يامرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان

يضطجع

يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش
العظيم ربنا ورب كل شي فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقران
اعوذ بك من شر كل شي انت اخذ بناصيته وفي رواية من شر كل دابة
انت اخذ بناصيتها اللهم انت الاول وليس قبلك شي وانت الاخر فليس
بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي والباطن فليس دونك شي
اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروي ذلك عن ابي هريرة قال
بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال
هذا العنان هذه زوايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه
ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال
فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون ما
بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسماية سنة
ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سمايين
بعد ما بينهما خمسماية سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سمايين
كما بين السما والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله
اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السما بعد ما بين السمايين
ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها
الارض ثم قال هل تدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال
فان تحتها ارض اخرى بينهما مسيرة خمسماية سنة حتى عد سبع ارضين
بين كل ارضين مسيرة خمسماية سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو
انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرا هو
الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم اخرجه الترمذي
وقال الحديث غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم في تفسير هذا
الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله في كل مكان
وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه العنان اسم للسموات ومعنى
زوايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسما وقيل هو اسم السما الدنيا قوله
عز وجل **هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما
وما يعرج فيها** تقدم تفسيره **وهو معكم اينما كنتم** اي بالعلم والقدرة
فليس ينفك احد من تعلق علم الله تعالى وقدرته اينما كان من ارض
او سما برا وبحرا وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله **والله بما تعملون
بصير** يدل على صحة القول الاول **له ملك السموات والارض
والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**

وهو عليم بذات الصدور تقدم تفسيره قوله تعالى **آمنوا بالله ورسوله**
لما ذكر انواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب
كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض
عنها والنفقة في جميع وجوه البر وهو قوله **وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه** يعني المال الذي كان بيد غيركم فاهلكهم واعطاكم اياه فكنتم
في ذلك المال خلفاء عن من مضى **فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير
وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم**
يعني واي عذر لكم في ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم
عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج **وقد اخذ ميثاقكم**
اي اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بان الله ربكم
لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب
لكم الادلة والبراهين والحجج التي تدعو الى متابعة الرسول **ان كنتم
مؤمنين** اي يوما ما لان لاحدى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام
ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى **هو الذي ينزل على
عبده** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **آيات بينات** يعني القرآن
ليخرجكم يعني الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة **من الظلمات
الى النور** اي من ظلمات الشرك الى نور الايمان **وان الله بكم لرؤوف
رحيم** قوله تعالى **وما لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث
السموات والارض** يقول اي شيء لكم في ترك الانفاق فيما يقرب من الله
تعالى وانتم ميتون تاركون اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها انتم
فيما يقربكم الى الله وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق
في سبيل الله وفي الجهاد فقال تعالى **لا يستوي منكم من انفق من قبل
الفتح وقاتل** يعني فتح مكة في قول اكثر المفسرين وقيل هو صلح
الحديبية والمعنى لا يستوي في الفضل من انفق ماله وقاتل العدو
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من انفق وقاتل بعد الفتح
اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا قال الكلبي
ان هذه الآية نزلت في ابي بكر الصديق لانه اول من اسلم واول من انفق ماله
في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود
اول من اظهر اسلامه سبع منهم النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال ما لي
ارى ابا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل
فتح مكة قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض انت

عني

عني في فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر
ان الله يقرئك السلام ويقول لك اراض انت في فقرك هذا ام ساخط
فقال ابو بكر اسخط على ربي اني على ربي راض اني على ربي راض **وكلا وعد الله
الحسنى** يعني الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا
قبل الفتح في افضلها **والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا** اي صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه
وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض
قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة وهي ان
يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج
اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك
وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس
وان تستحقر ما تعطي وتتصدق به وان كان كثيرا وان يكون من احب
اموالك اليك وان لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة خصال
اذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا **فيضاعفه له** يعني يعطيه
اجره على انفاقه مضاعفا **وله اجر كريم** يعني وذلك الاجر كريم
في نفسه قوله عز وجل **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات** يعني على الصراط
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اي عن ايمانهم وقيل اراد
جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة
ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره
من المدينة الى عدن وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء
نوره الا موضع قدميه قال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر
اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم
وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد مرة وقيل في معنى الآية
يسعى نورهم بين ايديهم ويعطون كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملائكة
**بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو
الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا**
اي انتظرونا **نقتبس من نوركم** اي نستضيء من نوركم قيل تغشى الناس
ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطي الله المؤمنين نورا على قدر اعمالهم
يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم
يمشون اذ بعث ريحا وظلمة فاطفأت نور المنافقين فذلك قوله
تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب
نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النور

فاذا سبقهم المؤمنون بقوا في الظلمة قالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم
قيل ارجعوا وراءكم قال ابن عباس يقول لهم المومنون وقيل يقول
لهم الملايكة ارجعوا وراءكم اي من حيث جيتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا
فيها اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا
وراءكم فالتمسوا اي اطلبوا لانفسكم هناك نورا اي لا سبيل لكم
الى الاقتباس من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيا فينصرفون
اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المومنين فذلك قوله تعالى فضرب
بينهم اي المومنين والمنافقين بسور وهو حايط بين الجنة والنار
له اي لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة اي في باطن ذلك السور
الرحمة وهي الجنة وظاهره من قبله العذاب اي من قبل ذلك الظاهر العذاب
وهو النار روي عن عبد الله بن عمر قال السور الذي ذكره في القران
هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب
وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب
الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور
له باب الاية ينادونهم يعني ينادي المنافقون المومنين من وراء ذلك
السور حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة الم نكن معكم اي في الدنيا نصلي ونصوم
قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق والكفر
واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة وتربصتم اي بالايمان
والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت
فنستريح منه وارتبتم اي شككتم في نبوته وفيما اوعدكم به وغرتكم
الاماني اي الاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدواير بالمومنين
حتى جاء امر الله يعني الموت وقيل هو القاوهم في النار وهو قوله تعالى
وغركم بالله الغرور يعني الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة
من الشيطان حتى قذفهم الله في النار فاليوم لا يوخذ منكم فدية
اي عوض وبدل بان تفتدوا انفسكم من العذاب وقيل لا يوخذ منكم ايمان
ولا توبة ولا من الذين كفروا يعني المشركين وانما عطف الكفار على
المنافقين وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر
والكافر اظهره فصار غير المنافق بجنس عطفه على المنافق ماواكم
النار اي هي مصيركم هي مولاكم اي وليكم وقيل هي اولى بكم لما
اسلفتم من الذنوب والمعنى هي التي تلي عليكم لانها ملكت امركم واسلمتم
اليها فهي اولى بكم من كل شي وقيل معنى الاية لا مولى لكم ولا ناصر لكم لان من كانت
النار مولاه فلا مولى له وبيس المصير قوله تعالى الم يان للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة

لسنة

بسنة وذلك انهم قالوا لسلمان الفارسي ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها
العجايب فنزلت نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القران احسن
من غيره فكفوا عن سوال سلمان ما شا الله ثم عادوا فسالوه مثل ذلك فنزلت
هذه الاية الله نزل احسن الحديث فكفوا عن سواله ما شا الله ثم عادوا فسالوه
فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول يكون تاويل قوله الم يان للذين امنوا يعني
في العلانية باللسان ولم يومنوا بالقلب وقيل نزلت في المومنين وذلك انهم
لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا
عليه فعوتبوا ونزل في ذلك الم يان للذين امنوا ان تخشع الاية قال ابن مسعود
ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الا اربع سنين وقال ابن
عباس ان الله تعالى استبطا قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة
من نزول القران فقال الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم اي ترق وتلين
وتخضع لذكر الله اي لمواعظ الله وما نزل من الحق يعني القران ولا يكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل يعني اليهود والنصارى فطال عليهم
الامد اي الزمان الذي بينهم وبين انبيايهم فقست قلوبهم قال ابن
عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القران والمعنى ان الله نهى
المومنين ان يكونوا في صحبة القران كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال
عليهم الدهر روي عن ابي موسى الاشعري انه بعث الى قرا اهل البصرة فدخل
عليه ثلاثماية رجل قد قروا التوراة فقال انتم خيار اهل البصرة وقراوهم
فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان
قبلكم وكثير منهم فاسقون يعني الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم قوله عز وجل اعلموا ان الله يحيي الارض اي بالمطر بعد موتها اي
يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على احيا الموتى وقال ابن عباس
يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة يحيي القلوب الميتة بالعلم
والحكمة والا فقد علم احيا الارض بالمطر مشاهدة قد بينا لكم الايات
اي الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا اي بالنفقة والصدقة في سبيل الله
يضاعف لهم اي ذلك القرض ولهم اجر كريم اي ثواب حسن وهو
الجنة والذين امنوا بالله ورسله اوليك هم الصديقون اي المكثرون الصدق
قال مجاهد كل من امن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الاية فعلى هذا
الاية عامة في كل من امن بالله ورسوله وقيل ان الاية خاصة في ثمانية نفر
من هذه الامة سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلي
وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه
الله لما عرف من صدق نيته والشهدا عند ربهم قيل اراد بالشهدا

المومنين المخلصين قال مجاهد كل مومن صديق شهيد وتلا هذه الاية وقيل
هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون
ثم ابتدا والشهدا عند ربهم وهم الانبيا الذين يشهدون على الامم يروى
ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم
اي بما عملوا من العمل الصالح ونورهم يعني على الصراط والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم لما ذكر حال المومنين اتبعه بحال الكافرين
قوله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا اي مدة الحياة في هذه الدار الدنيا وانما
اراد ان من صرف حياته في غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته في
طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله لعب اي باطل لا حاصل
له كلعب الصبيان ولهو اي فرح ساعة ثم ينقضي عن قريب وزينة اي
منظر يزينون به وتفاخر بينكم يعني انكم تشتغلون في حياتكم بما يفتخر
به بعض على بعض وتكاثر في الاموال والاولاد اي مباهاة بكثرة الاموال
والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل فيتطاول بماله وخدمه وولده على اوليا
الله تعالى واهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة الدنيا مثلا فقال تعالى كمثل
غيث اعجب الكفار اي الزراع انما سمي الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر
نباته اي ما نبت بذلك الغيث ثم يهيج اي ييبس فتراه مصفرا
اي بعد خضرته ثم يكون حطاما اي يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى
وفي الاخرة عذاب شديد اي لمن كان حياته بهذه الصفة قال اهل المعاني
زهد الله بهذه الاية في العمل للدنيا ومن صفة حياة الكافر وحياة
من يشتغل باللعب واللهو ورغب في العمل للاخرة بقوله ومغفرة
من الله ورضوان اي لاوليايه واهل طاعته وقيل عذاب شديد
لاعدايه ومغفرة من الله ورضوان لاوليا الله في الاخرة لان الاخرة
اما عذاب واما جنة وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن عمل
لها ولم يعمل للاخرة فمن اشتغل في الدنيا بطلب الاخرة قوله عز وجل
سابقوا الى مغفرة من ربكم معناه ليكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم
عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الاخرة والمعنى سارعوا مسارعة
المسابقين في المضمار الى المغفرة اي الى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من
الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فيدخل فيها التوبة وغيرها
وجنة عرضها كعرض السما والارض قيل ان السموات السبع والارضين
السبع لو جعلت صفايح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا
وقال ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل
ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولا شك ان الطول
يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل

ان هذا

ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم واكثر ما يقع في
نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض
على ما يعرفه الناس اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه اعظم رجا واقوى
امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن امن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيا
اخر يدل عليه قوله في سياق الاية ذلك فضل الله يوتيه من يشا فبين انه لا
يدخل احد الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله والله ذو الفضل العظيم
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم الجنة
عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه
بفضل ورحمة قد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين
قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير سورة النحل قوله تعالى
ما اصاب من مصيبة في الارض يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار
ولا في انفسكم يعني الامراض وفقد الاولاد الا في كتاب يعني اللوح
المحفوظ من قبل ان نبراها اي من قبل ان نخلق الارض والانفس وقال
ابن عباس من قبل ان نبرا المصيبة ان ذلك على الله يسير اي اثبات
ذلك على كثرته هين على الله عز وجل لكيلا تاسوا اي تحزنوا على ما
فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا اي تبطروا بما اتاكم اي اعطاكم قال
عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن لكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن
صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من احد يملك نفسه عند مضرة تنزل
به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت الحزن المخرج الى ما يذهل
صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجا ثواب الصابرين والفرح المطغي
الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام
والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر وقال جعفر بن محمد الصادق
يا ابن ادم ما لك تاسف على مفقود ولا يرده اليك الفوت وما لك تفرح
بموجود لا يتركه في يديك الموت والله لا يحب كل مختال اي متكبر بما اوتي
من الدنيا فخور اي بذلك الذي اوتي على الناس الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل قيل هذه الاية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين
يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا وخطا من الدنيا فلحبهم
له وعزته عندهم فيبخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله ووجوه الخير ولا
يكفيهم انهم يبخلون به حتى يامرون الناس بالبخل وقيل ان الاية كلام مستانف
لا تعلق له بما قبله انها صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وبخلوا ببيان نعته ومن يتول قال ابن عباس عن الايمان فان الله هو
الغني اي عن عباده الحميد اي الى اوليايه قوله عز وجل لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات اي بالدلالات بالايات والحجج وانزلنا معهم الكتاب

اي المتضمن للاحكام وشرايع الدين **والميزان** يعني العدل اي وامرنا بالعدل
وقيل المراد بالميزان هو الالة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله
ليقوم الناس بالقسط اي ليتعاملوا بينهم بالعدل **وانزلنا الحديد**
قيل ان الله تعالى انزل مع ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض السندان
والمطرقة والكلبتين وروي عن ابن عمر يرفعه ان الله انزل اربع بركات
من السما الى الارض الحديد والنار والما والملح وقيل انزلنا هنا بمعنى انشانا
واحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى اخرج الحديد من المعادن وعلمهم
صنعته بوحيه والهامه **فيه باس شديد** اي قوة شديدة فمنه جنة
وهو الة الدفع ومنها الة السلاح وهو الة الضرب **ومنافع للناس** اي
ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفاس والابرة ونحو ذلك
اذ الحديد الة لكل صنعة فلا غنا لاحد عنه **وليعلم الله** اي وارسلنا
رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشيا ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله
من ينصره اي من ينصر دينه **ورسله بالغيب** اي الذين لم يروا
الله ولا الاخرة وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب وقيل ينصرونه ولا
يبصرونه **ان الله قوي** في امره **عزيز** في ملكه **ولقد ارسلنا نوحا
وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب** معناه انه تعالى شرف
نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا
من نسلهما **فمنهم** اي من الذرية **مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا**
اي اتبعنا **على اثارهم برسلنا** والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت
الرسالة الى عيسى بن مريم وهو قوله **وقفينا بعيسى بن مريم واتيناه
الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه** اي على دينه **رافة ورحمة** يعني
انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض **ورهبانية ابتدعوها** ليس هذا
عطف على ما قبله والمعنى انهم جاوا بها من قبل انفسهم وهي ترهبهم في الجبال
والكهوف والغيران والديارة فارين من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق
في العبادة الزايدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب
والملبس مع التقلل من ذلك **ما كتبناها عليهم** اي ما فرضناها نحن عليهم
الا ابتغا رضوان الله اي لكنهم ابتدعوها ابتغا رضوان الله **فما رعوها
حق رعايتها** يعني انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها
وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى صلى الله عليه وسلم
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين
وسبعين فرقة نجى منها ثلاث وهلك سايرهن فرقة وازت الملوك
وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة

بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعوهم الى دين الله ودين عيسى
فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من امن بي وصدقني
واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يومن بي فاوليك هم الهالكون
وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن
ام عبد هل تدري من اين اتخذت بنو اسرايل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال
ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب اهل الايمان
فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا
لهولا افنونا ولم يبق احد يدعو اليه فتعالوا نتفرق في الارض الى ان يبعث
الله النبي الذي وعدنا عيسى به يعني النبي صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران
الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلى هذه
الاية ورهبانية ابتدعوها الى فاتينا الذين امنوا منهم اي من الذين ثبتوا
عليها اجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية
امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة
والتكبير والبلاغ وروي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة
رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت
ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وفيهم جماعة مومنون
يقرون التوراة والانجيل ويدعون الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هولا
الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض
عليهم القتل او يتركوا قراة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا
ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طايفة منهم ابنوا
اسطوانا ثم ارفعونا فيها ثم اعطونا شيا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد
عليكم وطايفة قالت دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب
الوحش فان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طايفة ابنوا لنا
دورا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم
وليس احد من القبايل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى اوليك على
منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول
نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ
دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك
قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها
حق رعايتها يعني الاخرين الذين جاوا من بعدهم فاتينا الذين امنوا منهم
اجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون هم
الذين جاوا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل

خطر رجل من صومعته وجا سياح من سياحته وصاحب دير من ديره فامنوا به
وصدقوه فقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله
يوتكم كفلين من رحمته اجرين بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانكم بمحمد
صلى الله عليه وسلم وتصديقهم وقال ويجعل لكم نورا تمشون به القران واتباعهم
النبي صلى الله عليه وسلم قال لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم الا
يقدرون على شي من فضل الله الاية اخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس
وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم
تركوا الحق واكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة
والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية من غير مذكور
فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وهم اهل الرافة والرحمة وكثير منهم
فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله
ابتغاء رضوان الله على هذا التاويل ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله
اتباع ما امر الله به دون الترهيب لانه لم يامر به قوله تعالى **يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله** الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا ايها
الذين امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد وامنوا به وهو قوله **وامنوا
برسوله** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **يوتكم كفلين** اي نصيبين **من
رحمته** يعني يوتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم
والقران ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم
والعبد المملوك الذي ادى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده امة يطاوها
فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله
اجران **ويجعل لكم نورا تمشون به** يعني على الصراط وقال ابن عباس النور
هو القران وقيل هو الهدى والبيان اي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون
به **ويغفر لكم** اي ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب قيل لما سمع من لم يومن من اهل
قوله تعالى اوليك يوتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من امن منا بكتابكم
فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يومن به فله اجر كاجركم
فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم اي ليعلم ولا صلة اهل الكتاب يعني الذين
لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المومنين **ان لا يقدرون**
يعني انهم لا يقدرون **على شي من فضل الله** والمعنى جعلنا الاجرين
لمن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يومنوا به انهم لا اجر لهم ولا
نصيب من فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي اهل الكتاب اوليك يوتون اجرهم
مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجرين فشق ذلك على المسلمين فنزل

ليلا

لئلا يعلم اهل الكتاب يعني المومنين منهم ان لا يقدرون على شي من فضل الله
وان الفضل بيد الله يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلايق وقيل
يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك
ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فانزل الله
هذه الاية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة **يوتيه من يشا** يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيد الله اي في ملكه وتصرفه يوتيه من يشا
لانه قادر مختار **والله ذو الفضل العظيم** عن عبد الله بن عمر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم على المنبر يقول انما بقاوكم
فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس واوتي اهل
التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا
ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا واعطوا
قيراطا قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين
قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله تعالى هل
ظلمتكم من اجركم شيئا قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشا وفي رواية
انما اجلكم في اجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس
وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل
لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط
قيراط ثم قال من يعمل من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط
فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط ٣ ثم قال من ٣قيراط صح
يعمل لي من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم
الذين تعملون من صلاة العصر الى غروب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت
اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطا قال الله عز وجل وهل
ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلي اصيبه به من شيت
اي اعطيه من شيت خ عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استاجر قوما يعملون له الى
الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك
الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم اعملوا بقية يومكم هذا وخذوا
اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر اخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم
ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا
ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم
فان ما بقي من النهار شي يسير فابوا فاستاجر قوما ان يعملوا بقية يومهم
حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما
قبلوا من هذا النور والله اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير سورة المجادلة**

مدنية وهي ثنتان وعشرون آية واربعماية وثلاث وسبعون كلمة والف وسبعماية
واثنان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في خولة
بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت
وكان به لمم وكانت هي حسنة الجسم فاراد ها فابت عليه فقال لها انت علي
كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلا من طلاق الجاهلية فقال
ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق واتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعايشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان
زوجي اوس بن الصامت تزوجني وانا شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا
اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شي
يجمعني واياه تنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت
يا رسول الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدي
واحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكوا
الى الله وحدتي وفاقتي فقد طالت له صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشي
فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكوا الى الله فاقتي وشدة حالي وان
لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع
راسها الى السما وتقول اللهم اشكوا اليك اللهم انزل على لسان نبيك فرجي
وهذا كان اول ظهار في الاسلام فقامت عايشة تغسل شق راسه الاخر
فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عايشة اقصري حديثك
ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي
اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله
الاية عن عايشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت
المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما
اسمع ما تقول فانزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي
الى الله واما تفسير الاية فقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في
زوجها اي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في امر زوجها وتشتكي الى الله
اي شدة حالها والله يسمع تحاوركما اي مراجعتكما الكلام ان الله سميع
اي لمن يناجيه ويتضرع اليه بصير اي بمن يشكوا اليه ثم ذكر الظهار فقال
تعالى الذين يظهرون منكم من نسائهم يعني يقولون لهن انتن كظهور
امهاتنا ما هن امهاتهم يعني ما اللواتي يجعلونهن من ازواجهن كالامهات

بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا اللائي ولدنهم
يعني المظاهرون وانهم ليقولون منكرا من القول يعني لا يعرف في شرع وزورا
يعني كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة
تحريما موبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما موبدا فلا جرم صار
منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب
الكفارة عليهم

فصل في احكام الظهار وفيه مسايل المسيلة الاولى
في معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ
ليس الظهر باولى من ظاهر الاعضا التي هي مواضع التلذذ والمباشرة فثبت
بهذا انه ماخوذ من الظهر الذي هو العلو لان مراة الرجل مركب له وظهر يدل
عليه قول العرب في الطلاق ونزلت عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي
كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام
كعلوي امي وعلوها علي حرام المسيلة الثانية كان الظهار من اشد طلاق الجاهلية
لانه في التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت
الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل في الشرايع لا في الاحكام
الجاهلية وعاداتهم المسيلة الثالثة في الالفاظ المستعملة لهذا المعنى
في الشريعة وعرف الفقها الاصل في هذا قوله انت علي كظهر امي او انت مني
او معي او عندي كظهر امي وكذا لو قال انت علي كبطن امي او كراس امي او كيد امي
او قال بطنك او راسك او يدك علي كظهر امي او شبه عضوا منها بعضو من اعضا
امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه او بفرجها او بفخذها
يكون ظهارا وان شبهها بعضو من غير هذه الاعضا لا يكون ظهارا ولو قال انت
علي كامي او كروح امي واراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده
ولو شبهها بجدته فقال انت علي كظهر جدتي يكون ظهارا وكذا لو شبهها
بامراة محرمة عليه بالقرابة بان قال انت علي كظهر اختي او عمتي او خالتي او
شبهها بامراة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الاصح المسيلة الرابعة
فيمن يصح ظهاره قال الشافعي الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره
فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال ابو حنيفة لا يصح احتج الشافعي بعموم قوله
والذين يظهرون من نسايهم واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب للمومنين فيدل
على ان الظهار مخصوص بالمومنين واجيب عنه بان هذا الخطاب يتناول جميع
الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمومنين قوله تعالى والذين يظهرون
من نسايهم يعني يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن ثم يعودون لما قالوا
اختلف العلما في معنى العود في قوله ثم يعودون لما قالوا ولا بد اولا من
بيان اقوال اهل العربية ثم بيان اقوال الفقها فنقول قال الفرا لا فرق
في اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو علي الفارسي

كلمة الى واللام يتعاقبان كقوله واوحي الي نوح وان ربك اوحي لها واما لفظة ما في قوله ان يقال يعودون الى ما قالوا وفيما قالوا وفيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الثاني المراد لما قالوا اي للمقول فيه وهو الذي حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا اي يعودون الى شيء وذلك الشيء هو الذي قالوا فيه ذلك المقول ثم اذا فسرنا هذا اللفظ بالوجه الاول ويجوز ان يكون المعنى عادوا لما فعلوا اي فعله مرة اخرى وعلى الوجه الثاني يجوز ان يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيا ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر مما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا امثاله مرة اخرى ويحتمل ان يكون المراد يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلف فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه اذا ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من انقطاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على انه ندم على ابتدائه من التحريم فحينئذ يجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثاني تفسير العود وهو قول ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطي والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشيا ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطيها وهو قريب من قول ابي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطاها قال العلما والعود المذكور هنا انه صالح للجماع او للعزم عليه او للاستباحة الا ان الذي قاله الشافعي هو اقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعلق الحكم عليه لانه هو الذي به يتحقق مسمى العود واما الباقي فزيادة لا دليل عليه واما الاحتمال في قوله ثم يعودون اي يفعلون مثل ما فعلوه وعلى هذا الاحتمال في الاية وجوه ايضا الاول قال مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام وتجب الكفارة بنفس الظهار والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الاسلام على خلاف حكمه عندهم ومعنى ثم يعودون لما قالوا اي في الاسلام فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثالث قال ابو العالية اذا كرر لفظ

لفظ الظهار فقد عاد وان لم يكن عودا وهذا قول اهل الظاهر واحتجوا عليه بان الظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وقوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطي امراته التي ظاهر منها ما لم يكفر ذلكم توعظون به يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه والله بما تعملون اي من التكفير وتركه خبير ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين اي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع اي الصيام فكفارته اطعام ستين مسكينا اي الفرض الذي وضعناه ذلك لتومنوا بالله ورسوله اي لتصدقوا الله فيما امر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عن الله تعالى وتلك حدود الله يعني ما وصف من الكفارة في الظهار وللكافرين اي لمن جحد هذا وكذب به عذاب اليم اي في نار جهنم يوم القيامة

فصل في احكام الظهار وما يتعلق بالظهار وفيه مسايل المسيلة الاولى اختلفوا فيما يحرمه الظهار وللشافعي قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة المسيلة الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي وابو حنيفة كل ظهار كفارة الا ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار للتاكيد فانه عليه كفارة واحدة وقال مالك فمن ظاهر من امراته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة المسيلة الثالثة الاية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سوا اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالاطعام وعند مالك ان اراد التكفير بالطعام يجوز له الوطي قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الاطعام من قبل ان يتماسا فدل على ذلك وعند الاخرين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابي حنيفة والشافعي واحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي المسيلة الرابعة كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مومنة وقال ابو حنيفة تجزيه الرقبة سوا كانت مومنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب دليلنا اجماعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى المسيلة الخامسة الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا

اونسي النية يجب عليه استيناف الشهرين فلو شرع في الصوم ثم جامع في خلال
الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استيناف
الشهرين وعند ابي حنيفة يجب عليه استيناف الشهرين المسئلة السادسة فان
عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام
ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به اهل البلد من
حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر او نحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين
نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من شعير فلو اطعم مسكينا واحدا
ستين جزوا لا يجوز عند الشافعي وقال ابو حنيفة يجزيه حجة الشافعي ظاهر
الاية هو ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الاية
وحجة ابي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل واجيب بان ادخال سرور على
قلب ستين مسكينا اولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد المسئلة
السابعة ان كانت له رقبة الا انه يحتاج الى الخدمة او له ثمن الرقبة لكنه
محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعي
يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة
ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا
لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله ان يصوم المسئلة الثامنة قال اصحاب الشافعي
الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر في الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل
عليه ما روي عن سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرا اصيب من النساء ما لا يصيب
غيري كلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امراتي شيئا يتتابع بي حتى اصبح
فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذ تكشف
لي منها شيئا فما لبثت ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومي فاخبرتهم الخبر
قال فقلت امشوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذلك
يا سلمة قلت انا بذلك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم بما امرك
الله به قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق نبيا ما املك رقبة غيرها وضربت
صفحة رقبتي قال فصم شهرين متتابعين قال وهل اصبت الذي اصبت الا
من الصيام قال فاطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا قلت والذي بعثك
بالحق لقد بتنا وحشين لا املك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بني
زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها
فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الراي ووجدت عند النبي
صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الراي وقد امر لي بصدقتكم وبنو بياضة
بطن من زريق اخرجه ابو داود قوله نزوت عليها اي وثبت عليها واراد به الجماع
وقوله تتابع بي التتابع الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعا
وقوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام واوحش الرجل اذا جاع

وعن

وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت فجئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني
فيه ويقول اتقي الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول
التي تجادلك في زوجها الى الفرض فقال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم
شهرين متتابعين قالت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال
فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شيء يتصدق به قال فاني ساعينه
بعرق اخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي
الى ابن عمك اخرجه ابو داود وفي رواية قالت ان اوسا ظاهر مني وذكرت ان
به لمما وقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك الا رحمة له في منافع وذكرت نحوه
العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة
عشر صاعا وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابي ليس المراد
من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحالة لم يلزمه
شيء بل معنى اللمم هنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والتشبق والله اعلم
قوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادون الله ورسوله
ويشاقون ويخالفون امرهما كبتوا اي ذلوا واخزوا واهلكوا كما كبت
الذين من قبلهم اي كما اخزي من كان قبلهم من اهل الشرك وقد انزلنا
آيات بينات يعني فرايض واحكاما وللكافرين اي الذين لم يعملوا بها
ويجحدوها عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا
احصاه الله اي حفظ الله اعمالهم ونسوه اي نسوا ما كانوا يعملون في
الدنيا والله على كل شيء شهيد قوله تعالى الم تر اي الم تعلم ان الله
يعلم ما في السموات وما في الارض يعني انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات
لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السموات ثم اكد ذلك بقوله تعالى ما يكون
من نجوى ثلاثة اي من سرار ثلاثة وهي المسارة والمشاورة والمعنى
ما من شيء يناجي به الرجل صاحبه وقيل ما تكون من متناجين ثلاثة يسار
بعضهم بعضا الا هو رابعهم اي بالعلم يعني يعلم نجواهم كانه حاضر معهم
ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم ولا
خمسة الا هو سادسهم فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت اقل ما
يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي
والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة
ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما
بينهما مقبول القول وقيل ان العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا خص
الله تعالى الثلاثة والخمسة قال الله تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر
يعني ولا اقل من ثلاثة وخمسة ولا اكثر من العدد الا هو معهم اينما كانوا

أي بالعلم والقدرة **ثم ينبئهم بما عملوا** أي في يوم القيامة **إن الله بكل شيء عليم** قوله عز وجل **ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى** نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون بما يسوؤهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ما نراهم إلا وقد بلغهم عن إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل وهزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فأنزل الله ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى أي المناجاة فيما بينهم **ثم يعودون لما نهوا عنه** أي يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها **ويتناجون بالإثم والعدوان** يعني ذلك السر الذي كان بينهم لأنه إما مكر وكيد بالمسلمين أو شيء يسوؤهم وكلاهما إثم وعدوان **ومعصية الرسول** وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا إليها وقيل معناه يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول **وإذا جاءوك** يعني اليهود **حيوك بما لم يحيك به الله** وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت ويوهمونه أنهم يسلمون عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم **ويقولون في أنفسهم** يعني إذا خرجوا من عنده قالوا **لولا يعذبنا الله بما نقول** يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول منا لاستخفافا فقال الله **حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير** المعنى أن تقديم العذاب إنما يكون بحسب المشيئة والمصلحة إذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم **ق** عن عائشة قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا السام عليك قالت ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخاري أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ما قالوا قال أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في السام الموت قال الخطابي عامة المحدثين يروون إذا سلم عليكم أهل الكتاب فإنما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لأنه إذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه مردودا عليهم بعينه وإذا أثبت الواو وقع الاشتراك معهم لأن الواو تجمع

بين

أبين الشقين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردي من القول قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول** في المخاطبين بهذه الآية قولان أحدهما أنه خطاب للمؤمنين وذلك أنه لما قدم اليهود والمنافقون على التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول أتبعه بأن نهى المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقهم ويفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالإثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدي إلى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثاني وهو الأصح أنه خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كأنه قال لهم لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول **وتناجوا بالبر والتقوى** أي بالطاعة وترك المعصية **واتقوا الله الذي إليه تحشرون إنما النجوى من الشيطان** أي من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم من الإثم والعدوان ومعصية الرسول **ليحزن الذين آمنوا** أي إنما يريد ذلك ليحزن المؤمنين **ق** عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود في رواية فإن ذلك يحزنه هذه الزيادة لأبي داود **وليس بضارهم شيئا** يعني ذلك التناجي وقيل الشيطان بضارهم شيئا **إلا بإذن الله** أي إلا ما أراده الله تعالى وقيل إلا بإذن الله في الضر **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** أي فليكل المؤمنون أمرهم إلى الله تعالى ويستعيذون به من الشيطان فإن من توكل على الله لا يخيب أمله ولا يبطل سعيه قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا** الآية قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضيقوا بمجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والأقرب أن المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فأمرهم الله

المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا في المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله
عليه وسلم ليتساوى الناس في الاخذ بالحظ منه والقرب في المجالس لان كل واحد
يحب ان يتنعم بمجلسه ومعناه ليفسح كل رجل في مجلسه فافسحوا اي فاوسعوا في المجالس
امروا بان يوسعوا في المجالس لغيرهم **يفسح الله لكم** اي يوسع الله لكم في الجنة
والمجالس فيها **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم
رجلا من مجلسه ثم يجلس ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم عن جابر
ابن عبد الله قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد
فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدي في افراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه
غير الحميدي وقال في معنى الاية ان هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال
كان الرجل ياتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيابون عليه لحرصهم
على القتال ورغبتهم في الشهادة فامروا بان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل
الشديد الباس قد يكون متاخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه
فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقران
والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير والراحة
وسع الله عليه خيري الدنيا والاخرة **واذا قيل انشزوا فانشزوا**
اي اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل
كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة اذا نودي لها فانزل الله هذه
الاية والمعنى اذا نودي للصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا
الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فانهضوا اليه ولا تقصروا عنه **يرفع الله
الذين امنوا منكم** اي بطاعتهم لله ولرسوله وامتثالهم لاوامره في قيامهم
من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم **والذين اوتوا العلم** اي ويرفع الذين
اوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم **درجات** اي على من سواهم
في الجنة وقيل يقال للمؤمن الذي ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل
ويقال للعالم قف واشفع في الناس واخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله
عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وان
النفر من اهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام **والله بما تعملون
خبير** قال الحسن قرا ابن مسعود هذه الاية وقال يا ايها الناس افهموا هذه
الاية ولترغبكم في العلم فان الله يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن
الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة
ما لا يحصل لغيره لانه يقتدي بالعالم في اقواله وافعاله كلها عن قيس
ابن كثير قال قدم رجل من المدينة على ابي الدرداء وهو بدمشق فقال ما اقدمك
يا اخي قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما
جئت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت في تجارة قال لا قال ما جئت الا في

طلب

طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع
اجنحتها لطالب العلم وان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى
الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء
ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما اورثوا العلم فمن
اخذه فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه **ق** عن معاوية
ابن ابي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به
خيرا يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذي وروى البغوي
بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين
بمسجده احد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والاخر يتعلمون الفقه
ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون
الى الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء افضل
وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم
الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** يعني اذا اردتم مناجاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقدموا امام ذلك صدقة فان الانسان اذا وجد الشيء
بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك
الصدقة المتقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سألوا رسول الله
واكثروا حتى شق عليه فاراد الله تعالى ان يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم
عن ذلك فامرهم ان يقدموا صدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون
مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول
جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء واهل
العسرة فلم يجدوا شيئا واما الاغنياء واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة قال مجاهد نهوا عن المناجاة
حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن ابي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت
الرخصة فكان علي يقول اية في كتاب الله لم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد
بعدي وهي اية المناجاة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا ايها
الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي
النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت
لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أأشفقتم
ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الاية قال فبي خفف الله عن هذه الامة
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة اي وزن شعيرة
من ذهب وقوله انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت

في هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ لم يعمل بها أحد غيره
قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك أن الوقت
لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وقد تقدم
اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك وعلى تقدير اتساع الوقت إنما هو مراعاة لقلوب
الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو أن هذه
المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب إليها
بل إنما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة أولى
بأن تترك فلم يعملوا بها وليس فيها طعن على أحد منهم وقوله ذلك خير لكم
يعني تقديم الصدقة في المناجاة ولما فيه من طاعة الله ورسوله وأطهر
أي لذنوبكم فإن لم تجدوا يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به فإن
الله غفور رحيم يعني أنه تعالى عفى عنهم ذلك أأشفقتم قال ابن عباس
أبخلتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم وهو قوله أن تقدموا
بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا أي ما أمرتم به وتاب الله عليكم
أي تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ
وقال الكلبي ما كانت إلا ساعة من نهار ثم نسخ فأقيموا الصلاة أي المفروضة
وآتوا الزكاة أي الواجبة وأطيعوا الله ورسوله أي فيما أمر ونهى والله
خبير بما تعملون أي أنه محيط بأعمالكم ونياتكم قوله عز وجل ألم تر إلى الذين
تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت في المنافقين وذلك أنهم تولوا اليهود
وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم وأراد بغضب الله عليهم اليهود ما هم
يعني المنافقين منكم أي من المؤمنين في الدين والولاء ولا منهم يعني ولا
من اليهود ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أي أنهم كذبة نزلت في عبد الله
ابن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه إلى
اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال يدخل عليكم
رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق
العين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما
فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فأنزل الله هذه الآية أعد الله لهم عذابا
شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم جنة أي يستجنون بها
من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم فصدوا عن سبيل الله يعني
أنهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم وقيل معناه صدوا
الناس عن دين الله الذي هو الإسلام فلهم عذاب مهين يعني في الآخرة لن تغني
عنهم أموالهم ولا أولادهم يوم القيامة من الله شيئا أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
يعني كاذبين أنهم ما كانوا مشركين كما يحلفون لكم أي في الدنيا وقيل كان

الحالف

الحالف جنة لهم في الدنيا فظنوا أنها تنفع في الآخرة أيضا ويحسبون أنهم
على شيء يعني مع أيمانهم ألا إنهم هم الكاذبون يعني في أقوالهم وأيمانهم استحوذ
عليهم الشيطان أي غلب واستولى عليهم وملكهم فأنساهم ذكر الله أولئك
حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون إن الذين يحادون
الله ورسوله أولئك في الأذلين يعني في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا
والآخرة لأن ذل أحد الخصمين على حسب عزة الخصم الثاني ولما كانت عزة
الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية كتب الله لأغلبن
أنا ورسلي أي قضى الله ذلك قضاء ثابتا وقيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من
بعث بالحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة إن الله
قوي أي على نصر رسله وأوليائه عزيز أي غالب على أعدائه قوله تعالى لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله أخبر الله
تعالى أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وأن من كان مؤمنا لا يوالي
من كفر لأن من أحب أحدا امتنع أن يحب عدوه فإن قلت قد أجمعت الأمة على
أنه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة [illegible]
وإرادة الخير لهم دنيا ودينا مع كفرهم فأما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم إنه
تعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم
أو عشيرتهم يعني أن الميل إلى هؤلاء من أعظم أنواع الميل ومع هذا فيجب أن
يطرح الميل إلى هؤلاء والمودة لهم بسبب الدين قيل نزلت هذه الآية في
حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة وستأتي قصته في سورة الممتحنة
وروي عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قيل لو كانوا آباءهم يعني أبا عبيدة
ابن الجراح قتل أباه الجراح يوم أحد أو أبناءهم يعني أبا بكر الصديق دعا ابنه
يوم بدر إلى البراز وقال يا رسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو إخوانهم يعني مصعب
ابن عمير قتل أخاه عبد الله بن عمير أو عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل
خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن أبي طالب وحمزة وأبو
عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر أولئك
كتب في قلوبهم الإيمان أي أثبت التصديق في قلوبهم فهي مؤمنة موقنة
مخلصة وقيل حكم لهم بالإيمان وإنما ذكر القلوب لأنها موضعه وأيدهم
بروح منه أي قواهم بنصر منه وإنما سمى نصره إياهم روحا لأن به يحيى أمرهم
وقيل بالإيمان وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته ويدخلهم جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه إنما ذكر
رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لأنه أعظم النعم وأجل المراتب ثم لما ذكر
هذه النعم أتبعه بما يوجب ترك المودة لأعداء الله سبحانه وتعالى فقال

أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الحشر

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير
وهي مدنية وهي أربع وعشرون آية وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف
وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم
هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم قال المفسرون
نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا
يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله إنه النبي
الأمي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحدا وهزم
المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب
كعب بن الأشرف في أربعين راكبا من اليهود إلى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم
وعاهدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل
أبو سفيان في أربعين من قريش وكعب بن الأشرف في أربعين من اليهود المسجد
الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة ثم رجع كعب وأصحابه
إلى المدينة ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما عاقد
عليه كعب وأبو سفيان وأمره بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة
وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين
قتلهما عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبي
صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم وأخبره بذلك وقد تقدمت
القصة في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة
فلما سار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف فقالوا
يا محمد واعية على إثر واعية وباكية على إثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبكي شجونا
ثم ائتمر أمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت
أقرب إلينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب وآذنوا بالقتال ودس المنافقون
عبد الله بن أبي وأصحابه إليهم أن لا يخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن
معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة

وحصنوا

وحصنوها ثم إنهم أجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا إليه
أن اخرج في ثلاثين رجلا من أصحابك ويخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان
نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج
النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبرا من اليهود
حتى كانوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون إليه ومعه
ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن أرسلوا إليه كيف نفهم
ونحن ستون اخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك ثلاثة من علمائنا
فيسمعون منك فإن آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله
في ثلاثة أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود ومعهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله
فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته
بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أخوها
سريعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل أن يصل إليهم
فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب
وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فأبى عليهم
إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى
أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم
وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على أن يحمل كل أهل بيت على بعير ما شاءوا
من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل أعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء
ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام إلا أهل
بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة
بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي أخرج الذين كفروا يعني بني النضير من
ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن إسحاق كان إجلاء بني النضير مرجع
النبي صلى الله عليه وسلم من أحد وفتح قريظة مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان
لأول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله
قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا وقال ابن عباس من شك
أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر إلى الشام وقيل
إنما قال لأول الحشر لأنهم كانوا أول من أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب
ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل هذا كان أول الحشر من
المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب ثم إلى أذرعات وأريحا
من أرض الشام في أيام عمر وقيل كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم
يوم القيامة من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث
قالوا ما ظننتم يعني أيها المؤمنون أن يخرجوا أي من المدينة لعزهم

ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون ونخل كثير وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي وظن بنوا النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله فاتاهم الله اي اتاهم امر الله وعذابه من حيث لم يحتسبوا وهو ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقذف في قلوبهم الرعب اي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المومنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المومنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون من دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل وجعل اعداء الله ينقبون دورهم في ادبارهم فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما بينهم ويرمون بالتي خرجوا منها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاعتبروا اي فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم يا اولي الابصار اي ذوي العقول والبصائر ولولا ان كتب الله عليهم الجلا يعني الخروج من الوطن لعذبهم في الدنيا يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار ذلك اي الذي لحقهم ونزل بهم بانهم شاقوا الله ورسوله اي خالفوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله الاية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افا الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى ق عن ابن عمر قال احرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم موضع لبني النضير وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه

وهان على سراة بني لوي ∴ حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا العجوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم

يقطع

يقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها الا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثنا وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه هي لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهي شديدة الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف واحب اليهم من وصيف فلما راوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمومنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل قايما هي لمن غلب عليها فاخبر الله ان قطعها كان باذنه وليخزي الفاسقين يعني اليهود والمعنى ولاجل اخزا اليهود اذن الله في قطعها احتج العلما بهذه الاية على ان حصون الكفار وديارهم لا باس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها قوله عز وجل وما افا الله على رسوله اي ما رد الله على رسوله منهم اي من يهود بني النضير فما اوجفتم عليه يعني اوضعتم وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب يعني الابل التي تحمل القوم وذلك ان بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنايم خيبر فبين الله تعالى في هذه الاية انها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا نالوا مشقة وانما كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل ولكن الله يسلط رسله على من يشا من اعدايه والله على كل شي قدير اي فهي له خاصة يضعها كيف يشا فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة ق عن مالك بن اوس بن الحدثان النصري ان عمر دعاه اذ جا حاجبه يرفا فقال هل لك يا امير المومنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جا يرفا فقال هل لك في عباس وعلي يستاذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا امير المومنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم اجل يا امير المومنين اقض بينهما وارح احدهما من الاخر فقال مالك بن انس يخيل الي انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتيدوا انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السما والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم اقبل عمر على العباس وعلي ثم قال انشدكما بالله انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السما والارض تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال

عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها احدا غيره فقال
وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فقال فقسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بني النضير فوالله ما استاثرها
عليكم ولا اخذها دونكم فقد اعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ منه نفقة سنة ثم ما بقي فيجعله مجعل
مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم انشدكم الله
الذي باذنه تقوم السماء والارض اتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم انشد
عباسا وعليا بمثل ما انشد القوم اتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقبضه ابو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم حينئذ
واقبل على علي وعباس وقال تذكران ان ابا بكر كما فيه تقولان والله يعلم انه
فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله ابا بكر فقلت انا ولي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابي بكر فقبضته سنتين من امارتي اعمل فيها بما عمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر والله يعلم اني فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم
جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وامركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فقلتما ادفعها الينا فلما بدا لي ان ادفعه
اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه انكما لتعملان
فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وما عملت فيه منذ
وليت والا فلا تكلماني فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان
مني قضاء غير ذلك فوالله الذي باذنه تقوم السماء والارض لا اقضي فيه بقضاء
غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الي فاني اكفيكماه
فيه قوله تعالى **ما افاء الله على رسوله من اهل القرى** يعني من اموال كفار اهل
القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة **فلله**
وللرسول ولذي القربى يعني بني هاشم وبني المطلب **واليتامى والمساكين**
وابن السبيل قد تقدم تفسيره في سورة الانفال وحكم الغنيمة وقسمها
واما حكم الفيء فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث
يشاء فكان ينفق على اهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله في الكراع
والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلماء في مصرف الفيء بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما
للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم
من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب قوم الى انه يخمس فخمسه
لاهل خمس الغنيمة واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا
يخمس بل مصرفه جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرا عمر بن الخطاب ما

افاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين
جاءوا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض
مسلم الا وله في هذا الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم **كيلا يكون** الفيء **دولة**
والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم **بين الاغنياء منكم**
يعني بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان اهل
الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع
ثم يصطفي منها بعد الربع ما شاء فجعله الله لرسوله صلى الله
عليه وسلم يقسمه فيما امره به **وما آتاكم الرسول فخذوه** اي من مال الفيء
والغنيمة **وما نهاكم عنه** اي من الغلول وغيره **فانتهوا** وهذا نازل
في اموال الفيء وهو عام في كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم او نهى عنه
من قول او عمل من واجب او مندوب او مستحب او نهي عن محرم فيدخل
فيه الفيء وغيره ق عن عبد الله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات
والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ
ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرا القران فاتته
فقالت ما حديث بلغني عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله
وما لي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى
فقالت المراة لقد قرات لوحي المصحف فما وجدته فقال ان كنت قراتيه
لقد وجدتيه قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة حتى يحشى بكحل والمستوشمة
التي تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة
هي التي تتكلف تفريج ما بين اسنانها بصناعة وقيل هي التي تتفلج في مشيتها
فكل ذلك منهي عنه ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه
امرنا فهو رد عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم
متكئا على اريكته ياتيه امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما
وجدنا في كتاب الله اتبعناه اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
الاريكة كل ما اتكي عليه من سرير او فراش او منصة او نحو ذلك **واتقوا الله**
اي في امر الفيء **ان الله شديد العقاب** اي على ترككم ما امركم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم او نهاكم عنه ثم بين من له الحق في الفيء فقال عز وجل **للفقراء**
المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يعني اخرجهم كفار مكة الى الخروج
يبتغون فضلا من الله اي رزقا وقيل ثوابا من الله **ورضوانا** اي
خرجوا من ديارهم طلبا لرضى الله عز وجل **وينصرون الله ورسوله**
اي بانفسهم واموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته **اولئك هم**

الصادقون في ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الدنيا والاموال
والعشاير وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه
من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه
من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفرة في الشتاء ما له دثار غيرها **م** عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين
خريفا عن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صعاليك
المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس
بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة اخرجه ابو داود قوله عز وجل **والذين
تبوءوا الدار والايمان** يعني الانصار توطنوا الدار وهي المدينة
واتخذوها سكنا **من قبلهم** يعني انهم اسلموا في ديارهم واثروا الايمان
وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى
والذين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وقد امنوا لان الايمان ليس بمكان
يتبوأ **يحبون من هاجر اليهم** وذلك انهم انزلوا المهاجرين في منازلهم
واشركوهم في اموالهم **ولا يجدون في صدورهم حاجة** اي حزازة وغيظا
وحسدا **مما اوتوا** اي اعطوا المهاجرون من الفيء دونهم وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قسم اموال النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها
شيئا الا ثلاثة فطابت انفس الانصار بذلك **ويؤثرون على انفسهم**
اي ويؤثروا الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم على انفسهم **ولو كان
بهم خصاصة** اي فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به **ق** عن ابي هريرة قال جاء
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه
فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا الماء ثم ارسل الى اخرى فقالت
مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه
يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فقال انا يا رسول الله
فانطلق به الى رحله فقال لامراته عندك شيء قالت لا الا قوت صبياني
قال فعلليهم بشيء ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فاريه انا نأكل فاذا اهوى بيده
لياكل فقومي الى السراج كي تصلحيه فاطفيه ففعلت فقعدوا واكل الضيف
وباتا طاويين فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله او ضحك الله من فلان وفلانة زاد في رواية
فانزل الله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة **خ** عن ابي هريرة قال
قالت الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل
قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا واطعنا **خ** عن انس
ابن مالك قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع بينهم

البحرين

البحرين فقالوا لا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها قال اما لا
فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فانكم ستصيبكم اثرة بعدي وفي رواية
ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض الاثرة بفتح الهمزة
والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء والاول اشهر ومعناه
الاستيثار وهو ان يستاثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا
يجعل لكم في الامر نصيب وقيل هو من اثر اذا اعطى اراد انه يستاثر عليكم غيركم
فيفضل في نصيبه من الفيء والاستيثار الانفراد بالشيء وقيل الاثرة الشدة
والاول اظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير
للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من دياركم واموالكم وتشاركونهم في
هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت
الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم
فيها فانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع الحرص
وقد فرق بعض العلماء بين الشح والبخل فقال البخل نفس المنع والشح هو
الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس
لاجرم قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اي الفائزون
بما ارادوا وروي ان رجلا قال لابن مسعود اني اخاف ان اكون قد هلكت
قال وما ذاك قال اسمع الله يقول **ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون** وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس
ذلك بالشح الذي ذكر الله في القران ولكن الشح ان تاكل مال اخيك ظلما
ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل
ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد
الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم ياخذ شيئا نهاه الله عن
اخذه ولم يمنع شيئا امره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم
القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا
دماءهم واستحلوا محارمهم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال شر الطعام ما في الرجل شح هالع وجبن خالع اخرجه ابو داود الهلع
اشد الجوع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شيء يفوته
او يخرج من يده والخالع الذي يخلع فؤاده لشدة قوته وجزعه عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله
ودخان جهنم في جوف رجل ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا
اخرجه النسائي قوله تعالى **والذين جاءوا من بعدهم** يعني من بعد المهاجرين

والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان اخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين
سبقوهم بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا اي غشا وحسدا وبغضا للذين آمنوا
ربنا انك رءوف رحيم فكل من كان في قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه
الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين ثم من بعدهم
الانصار ثم من بعدهم التابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين
بهذه الصفة كان خارجا عن اقسام المؤمنين وليس له في المسلمين نصيب
وقال ابن ابي ليلى الناس على ثلاث منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوءوا
الدار والايمان والذين جاءوا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه
الثلاث منازل ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن اختي امروا ان يستغفروا
لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد
آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي
وقال مالك بن انس من انتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او كان في قلبه غل عليهم فليس له حق في المسلمين ثم تلا هذه الآية ما افاء
الله على رسوله من اهل القرى الى والذين جاءوا من بعدهم الى رءوف رحيم وقال
مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة
فضلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسئلت
النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر
اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا ان يستغفروا لهم
فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا تثبت
لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمائهم
وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة وروي عن
جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى ابا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل واحب الله ان لا
يقطع عنهم الاجر وروي ان ابن عباس سمع رجلا ينال من احد اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له امن المهاجرين الاولين قال لا قال فمن الانصار انت قال لا
قال فانا اشهد بانك لست من التابعين لهم باحسان قوله عز وجل الم تر
الى الذين نافقوا يعني اظهروا خلاف ما اضمروا وهو عبد الله بن ابي بن سلول

واصحابه

واصحابه يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يعني
اليهود والنصارى من بني قريظة والنضير وانما جعل المنافقين اخوانهم
لانهم كفار مثلهم لئن اخرجتم اي من المدينة لنخرجن معكم اي منها ولا
نطيع فيكم احدا ابدا يعني ان سألنا احد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم
وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعيننكم ولنقاتلن معكم والله يشهد
انهم يعني المنافقين لكاذبون اي فيما قالوا ووعدوا ثم اخبر الله عن
حال المنافقين فقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم
وقوتلوا فلم ينصروهم ولئن نصروهم ليولن الادبار يعني لو
قدروا او وجدوا نصرهم او لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين
ثم لا ينصرون يعني بني النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم
لانتم يعني يا معشر المسلمين اشد رهبة في صدورهم من الله اصل
الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم
ويخافون منكم اشد من رهبتهم من الله ذلك اي الخوف منكم بانهم قوم
لا يفقهون يعني عظمة الله تعالى لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة
اي لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله
تعالى او من وراء جدار وقرئ جدر باسهم بينهم شديد اي بعضهم فظ على
بعض وعداوة بعضهم لبعض شديدة وقيل باسهم فيما بينهم من وراء الحيطان
والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله تحسبهم جميعا
وقلوبهم شتى اي متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة
اهواؤهم مختلفة اعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون في عداوة اهل
الحق وقيل اراد ان دين المنافقين واراءهم تخالف دين اليهود واراءهم
ذلك بانهم قوم لا يعقلون ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى كمثل
الذين من قبلهم قريبا يعني مشركي مكة ذاقوا وبال امرهم يعني القتل
ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من
قبلهم كمثل بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما
سنتان ولهم عذاب اليم اي في الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين
واليهود جميعا في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى كمثل
الشيطان اي مثل المنافقين في غزوة بني النضير وخذلانهم اياهم كمثل
الشيطان اذ قال للانسان اكفر وذلك ما روي عن عطاء وغيره عن
ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة
له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل
فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم يكفيني امر برصيصا

فقال له الابيض وهو صاحب الانبيا وهو الذي تصدي للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه
في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه
الى اقصى الهند فقال له الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة
الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا
ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة ايام مرة فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل
على العبادة في اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته
فراى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة على هيئة الرهبان فلما راى ذلك
من حاله ندم في نفسه اي لام نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتني
وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال له الابيض حاجتي اني احببت ان اكون
معك فاتادب بادبك واقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وادعو لك
قال برصيصا اني في شغل عنك فان كنت مومنا فان الله سيجعل لك فيما
للمومنين نصيبا ان استجاب لي ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل
الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعدها
راه قائما يصلي فلما راى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك
قال حاجتي ان تاذن لي فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته
فاقام معه يتعبد لا يفطر في كل اربعين الا مرة ولا ينفتل عن صلاته الا كذلك
وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه
واعجبه شان الابيض فلما حال الحول قال لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحبا
غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت وكان يبلغنا عنك غير الذي رايت
فدخل ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته لما راى من كثرة اجتهاده
فلما ودعه الابيض قال له ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك
مما انت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي به المبتلى والمجنون قال برصيصا
انا اكره هذه المنزلة لان لي في نفسي شغلا واني اخاف ان علم الناس شغلوني
عن العبادة فلم يزل به حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت
الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاءه في صورة رجل
متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا افاعالجه قالوا نعم فعالجه
فلم يقدر فقال لهم اني لا اقوى على جنيته ولكن سارشدكم الى من يدعو
الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعا به اجيب
قال فانطلقوا اليه فسالوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان
فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون
فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل ولها ثلاث اخوة
وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عم تلك الجارية ملك بني
اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان ياتي الناس في صورة متطبب فقال

لهم اهلها قالوا نعم فقال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سارشدكم
الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد
عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان
يجيبنا الى هذا وهو اعظم شانا من ذلك فقال انطلقوا فابنوا صومعة
الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها في صومعتها وقولوا
له هذه امانة عندك فاحتسب امانتك قال فانطلقوا فسالوه ذلك
فابى عليهم فبنوا صومعة على ما امرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية
في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها
ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وما هي عليه
من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاء الشيطان فخنقها
فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا
على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض
لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب
بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك
ياتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت
فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سالوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقو عليه
فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها
بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته
واقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون في بعض
الايام يسالون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا
قال جاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا
وهم مكروبون جاء الشيطان الى اكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا
فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو
من الشيطان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث
فانطلق الى الاخ الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثلها فقال الاكبر
ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله
لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط انا والله قد رايت مثله فقال الاكبر
وانا والله قد رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما
فعلت اختنا قال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم قد اتهمتموني فقالوا والله
لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها
لمدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا
فراوا اختهم على ما راوه في النوم فمشوا مواليهم وغلمانهم معهم الفؤوس والمساحي
فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به الى الملك

فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها وتكاتم
يجتمع عليك امران قتل ومكابرة فلما اعترف امر بقتله وصلبه على خشبة فلما
صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا اتعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي
علمتك الدعوات وكنت دعوت بهن فيستجيب لك ويحك ما اتقيت الله
في امانتك خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بني اسرائيل اما استحييت فلم يزل
يعيره ويعنفه حتى قال له في اخر ذلك الم يكفك ما صنعت على اقرارك على نفسك
وفضحت اشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن
تفلح ابدا ولن يفلح احد من نظرائك قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة
واحدة حتى اخلصك مما انت فيه واخذ باعينهم واخرجك من مكانك قال
وما هي قال تسجد لي قال افعل فسجد له برصيصا فقال يا برصيصا هذا
الذي اردت منك صار عاقبة امرك الى ان كفرت بربك فلما كفر قال
اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين قال الله تعالى فكان عاقبتهما
يعني الشيطان وذلك الانسان انهما في النار خالدين فيها وذلك
جزاء الظالمين قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير
والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم
باجلاء بني النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا
الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان اخرجكم خرجنا
معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين
حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين فخذلوهم
وتبروا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين
النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون في بني اسرائيل
الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسق والفجور في الاحبار ورموهم بالبهتان
حتى كان من امر جريج الراهب ما كان فلما براه الله مما رموه به من الزنا
انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ما روي
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في المهد الا ثلاثة
عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا صالحا عابدا فاتخذ صومعة
فكان فيها فاتته امه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي
فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت يا جريج فقال
يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه
المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امراة بغي يتمثل
بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها
فاتت راعيا كان ياوي الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت
فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه واستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا

يضربونه

يضربونه فقال ما شانكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال
اين الصبي فجاؤوا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف اتى الصبي
فطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي قال فاقبلوا
على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب
قال لا اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من امه فمر رجل
راكب على دابة فارهة ذو شارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابني
مثل هذا فترك الثدي واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلني مثل
هذا ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكاني انظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة في فيه فجعل يمصها قال
ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله
ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها
فقال اللهم اجعلني مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن
الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا
بهذه الامة وهم يضربونها وهم يقولون زنيت وسرقت فقلت اللهم
لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال ان ذلك الرجل كان
جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن
وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها اخرجه مسلم بتمامه وهذا
لفظه واخرجه البخاري متفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المراة
وابنها خاصة المومسات الزواني جمع مومسة وهي المراة الفاجرة
والبغي الزانية ايضا وقوله يتمثل بحسنها اي تتعجب منه ويضرب به
المثل وقوله ذو شارة حسنة اي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبوس
والمركب ونحو ذلك والجبار العاتي المتكبر الظاهر للناس قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي لينظر
احدكم اي شيء قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه ام سيئا توبقه
والغد يوم القيامة يأتي غدا وكل ما هو ات فهو قريب واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون قيل كرر الامر بالتقوى تاكيدا وقيل معنى
الاول واتقوا الله في اداء الواجبات ومعنى الثاني اتقوا الله فلا تاتوا
المنهيات ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي تركوا امر الله فانساهم
انفسهم اي انساهم حظوظ انفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها
عنده اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب
الجنة هم الفائزون لما ارشد المومنين الى ما يصلحهم بقوله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم
انفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوي اصحاب النار

يعني الذين هم في العذاب الدائم واصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم
ثم اتبعه بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من حصل له النعيم
المقيم فقد فاز فوزا عظيما قوله تعالى **لو انزلنا هذا القران على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله** قيل معناه انه لو جعل في
الجبل تمييزا وعقلا كما جعل فيكم وانزل عليه القران لخشع اي لتطامن وخضع
وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع رزانته وصلابته
مشفق من خشية الله وحذر من ان لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القران
والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والحكم كان لم يسمعها وصفه
بقساوة القلب فهو غافل عما تضمنه القران من المواعظ والامثال والوعد
وتمييز الحق من الباطل فالواجب مما لا يجب باحسن بيان واوضح برهان
ومن وقف على هذا وفهمه اوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان
الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله له تمييزا وعقلا
يدل على انه تمثيل قوله **وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**
اي الغرض من هذا التمثيل التشبيه على فساد قلوب هولاء الكفار وقساوة
وغلظ طباعهم ولما وصف القران بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة يعني انه
تعالى عالم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه
وما علموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم
وقيل عالم بحال الدنيا والاخرة **هو الرحمن الرحيم** اسمان مشتقان
اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمته
ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن اشد مبالغة من
الرحيم ولهذا قيل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة لان احسانه تعالى في الدنيا
يعم المومن والكافر وفي الاخرة يختص احسانه وانعامه بالمومنين **هو الله
الذي لا اله الا هو الملك** اي المتصرف بالامر والنهي في جميع خلقه المالك
لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته **القدوس** اي الطاهر عن كل عيب المنزه
عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته **السلام** اي الذي سلم من
النقائص وكل افة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس
والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القران قلت
الفرق بينهما ان كونه قدوسا هو اشارة الى براءته من جميع العيوب والنقائص
في الماضي والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرا عليه شي من العيوب والنقائص
في المستقبل فان الذي يطرا عليه شي من ذلك فانه تزول سلامته ولا يبقى
سليما وقيل السلام اي سلم خلقه من ظلمه **المومن** قال ابن عباس هو الذي
امن الناس من ظلمه وامن من امن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار

المعجزات

المعجزات لهم والمصدق للمومنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين
من العذاب **المهيمن** قال ابن عباس اي الشهيد على عباده باعمالهم الذي
لا يغيب عنه شي وقيل هو القائم على خلقه برزقه وانشد في معناه
الا ان خير الناس بعد نبيه ۞ مهيمنه التاليه في العرف والنكر
اي القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل
هو القاضي وقيل هو بمعنى الامين والمومن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس
يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في ابيات منها
حتى احتوى بيتك المهيمن من ۞ خندف علياء تحتها النطق
وقيل المهيمن اسم من اسماء الله تعالى هو اعلم بتأويله وانشد
جل المهيمن عن صفات عبيده ۞ ولقد تعالى عن عقول اولي النهى
راموا بزعمهم صفات مليكهم ۞ والوصف يعجز عن مليك لا يرى
العزيز اي الذي لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر **الجبار** قال
ابن عباس وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر
الذي يغني الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه كذلك
يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يجبر الخلق ويقهرهم على ما اراد
وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا اراد امرا فعله
لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يدانى والجبار في صفة
الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذلك المتكبر في صفة
الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص
في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر
كان كاذبا في فعله فكان مذموما في حق الناس واما **المتكبر** في صفة الله
تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال في اخر
الاية **سبحان الله عما يشركون** كانه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون
ذلك نقصا في حقه اما الله تعالى فله العز والعظمة والعزة والكبرياء فان
اظهر ذلك كان ضم كمالا الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذي تكبر بربوبيته
فلا شي مثله وقيل هو الذي تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق
بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع
وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون اي في ادعاء الكبر
لانفسهم **هو الله الخالق** اي المقدر لما يوجده ومعناه انه يقدر افعاله
على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل المقدر المقلب للشي بالتدبير
الى غيره **البارئ** اي المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود **المصور**
الذي يخلق صورة الخلق على ما يريده الممثل للمخلوقات بالعلامات التي
يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبتدي للخلق المخترع له على غير مثال سبق

البارئ المنشئ لما يريد خلقه فيظهره من العدم إلى الوجود والمصور لما خلقه وأنشأه على صور مختلفة وأشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فأولا يكون خلقا ثم برءا ثم تصويرا وإنما قدم الخالق على البارئ لأن ترجيح الإرادة على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لأن إيجاد الذات مقدم على إيجاد الصفات **له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الممتحنة

مدنية وهي ثلاث عشرة آية وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف **بسم الله الرحمن الرحيم**

قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** الآية **(ق)** عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرءا ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء قوله سواء السبيل روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة وقيل إنه موضع قريب من مكة والأول أصح والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية في حاطب

ابن أبي

ابن أبي بلتعة كما جاء في الحديث وذلك أن سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسلمة جئت قالت لا قال أمهاجرة جئت قالت لا قال فما حاجتك قالت كنتم الأهل والعشيرة والموالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها وأين أنت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها بني عبد المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى فكتب معها إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وإن لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال أخرجي الكتاب وإلا لأجردنك ولأضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب فقال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله تعالى ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء يعني أصدقاء وأنصارا **تلقون إليهم بالمودة** أي بأسباب المحبة وقيل معناه تلقون إليهم أخبار النبي

صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينه وقد كفروا اي وحالهم انهم
كفروا بما جاءكم من الحق يعني القران يخرجون الرسول واياكم يعني من مكة
ان تؤمنوا اي لان امنتم كانه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله ربكم ان كنتم
خرجتم هذا شرط جوابه تقدم والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء
مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء قوله تسرون اليهم بالمودة
اي بالنصيحة وانا اعلم بما اخفيتم اي من المودة للكفار وما اعلنتم اي اظهرتم
بالسنتكم منها ومن يفعله منكم اي الاسرار والقاء المودة اليهم فقد
ضل سواء السبيل اي اخطا طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار
فقال تعالى ان يثقفوكم اي يظفروا بكم ويروكم يكونوا لكم اعداء
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بالضرب والقتل والشتم
والسب وودوا اي تمنوا لو تكفرون اي ترجعون الى دينهم كما كفروا
والمعنى ان اعداء الله لا يخلصون المودة لاولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من
الخلاف فلا تناصحوهم ولا توادوهم لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي لا
ولا يحملنكم ذووا ارحامكم وقراباتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول
صلى الله عليه وسلم والمومنين وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة اعدائهم
فانه لا تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم يوم القيامة
يفصل بينكم اي يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار
والله بما تعملون بصير قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
يخاطب حاطبا والمومنين ويامرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام
والذين معه اي من اهل الايمان اذ قالوا لقومهم يعني المشركين انا
برآء منكم جمع بري ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي
جحدناكم وانكرنا دينكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى
تومنوا بالله وحده والمعنى ان ابراهيم واصحابه تبروا من قومهم وعادوهم
لكفرهم فامر حاطبا والمومنين ان يتاسوا بهم الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك يعني لكم ان تتاسوا بابراهيم في جميع اموره الا في الاستغفار لابيه المشرك
فلا تتاسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له
انه مصر على الكفر تبرا منه وما املك لك من الله من شيء هذا من قول
ابراهيم لابيه يعني ما اغني عنك عذاب الله ان عصيته واشركت به وانما وعده
بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المومنين
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا
بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم ذلك
واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم يعني في ابراهيم

ومن معه اسوة حسنة اي قدوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم
الاخر اي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول
اي يعرض عن الايمان ويوالي الكفار فان الله هو الغني اي عن خلقه الحميد
اي الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله المومنين بعداوة الكفار عادى
المومنون اقرباءهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة
وجد المومنين بذلك انزل الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم اي من كفار مكة مودة ففعل الله تعالى ذلك
بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج
النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان ولان لهم ابو سفيان
والله قدير اي على جعل المودة والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم واسلم
ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم ان تبروهم اي لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم وتقسطوا
اليهم اي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم وبرهم ان الله يحب المقسطين
اي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله في برهم
وقال عبد الله بن الزبير نزلت في اسماء بنت ابي بكر وذلك ان امها قتيلة بنت
عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا واقطا وسمنا وهي مشركة
فقالت اسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلي على بيتي حتى استاذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسالته فانزل الله تعالى هذه الاية فامرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وتحسن اليها ق عن اسماء
بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت قدمت علي امي وهي مشركة في عهد
قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها
قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن
الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الذين نهاه الله تعالى عن صلتهم وبرهم فقال
تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من
دياركم وظاهروا على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ومن
يتولهم ومن يتولهم فاولئك هم[٢] قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم
[٢] الظالمون
المومنات مهاجرات فامتحنوهن الاية خ عن عروة بن الزبير انه
انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي
صلى الله عليه وسلم انه لا ياتيك احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت

بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم
على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا
رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت ام كلثوم
بنت عقبة بن ابي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي
عاتق فجاء اهلها يسألون النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها
حتى انزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن
الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتنا عايشة ان رسول الله صلى الله عليه
كان يمتحنهن بهذه الاية يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم
قال عروة قالت عايشة فمن اقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امراة قط في
المبايعة ولا بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركوا مكة على ان من اتاه من اهل
مكة رده اليهم ومن اتى مكة من اصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا
عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل
زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر
فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا
وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فانزل الله يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم
المؤمنات مهاجرات اي من دار الكفر الى دار الاسلام قال ابن عباس امتحانها
ان تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا لحدث
احدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا محبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله
فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة
فحلفت فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب
قال المفسرون المراد بقوله يا ايها الذين امنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد
الامتحان ويعطي ازواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال فاختلف العلماء
هل جاز رد النساء في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد
ومنع منه وابقاه في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن من
العقد لفظا صريحا وانما اطلق اللفظ فكان ظاهره العموم لاشتماله على
النساء والرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن
وبين الرجال في الحكم الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله اعلم
بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن
حل لهم ولا هم يحلون لهن اي اذا اقررن بالايمان فلا تردوهن الى الكفار
لان الله لم يبح مؤمنة لكافر واتوهم يعني ازواجهن ما انفقوا عليهن اي

من المهر

من المهر الذي دفعوه اليهن ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن
اجورهن اي مهورهن اباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب
الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق
بينهن وبين ازواجهن ووقعت الفرقة على انقضاء عدتها فان اسلم الزوج
قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد ومالك
والشافعي واحمد وقال ابو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين ولا تمسكوا
بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والنسب نهى الله
تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات بقول الله تعالى وان كانت امراة
كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري
لما نزلت هذه الاية طلق عمر بن الخطاب امراتين كانتا بمكة مشركتين قريبة
بنت امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة
والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي ام ابنه عبيد الله فتزوجها
ابو جهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما وكانت اروى بنت ربيعة بن الحرث
ابن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها
ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص
ابن امية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة
ابي العاص بن الربيع فاسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم واقام
ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة واسلم وردها عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم واسألوا اي ايها المؤمنون ما انفقتم اي ان لحقت امراة
منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما انفقتم من المهر اذا منعوها عن من
منهم وليسألوا يعني المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم ما انفقوا
اي من المهر ممن تزوجها منكم ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم
قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه
وبين قريش لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك يصنع بمن جاء من
المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اقر المؤمنون بحكم الله تعالى
وادوا ما امروا به من اداء نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا
بحكم الله فيما امر من نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل وان فاتكم ايها
المؤمنون شيء من ازواجكم الى الكفار اي فلحقت بهم مرتدة فعاقبتم
معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم
وكانت العاقبة لكم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم اي الى الكفار مثل ما انفقوا معناه
اعطوا الذين ذهبت ازواجهم منكم الى الكفار مرتدة مثل ما انفقوا عليها من
الغنائم التي صارت في ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين
من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وكانت تحت

عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت
تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة
وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن فضلة وتزوجها عمرو
بن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل
وام كلثوم بنت جرول وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام
فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة ه
واختلف القول في رد مهر من اسلمت من النسا الى ازواجهن هل كان واجبا
او مندوبا واصل هذه المسئلة ان الصلح هل كان وقع على رد النسا ام لا
فيه قولان احدهما انه وقع على رد الرجال والنسا جميعا لما روي انه لا يأتيك
منا احد الا رددته ثم صار الحكم في رد النسا منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن
الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح لم يقع على رد
النسا لانه روي عن علي انه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا
رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المراة
من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت واكرهت لضعف
قلبها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار
كلمة الايمان وطمانينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته
فعلى هذا يكون المهر مندوبا واختلفوا في انه هل العمل به اليوم في رد المال
اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الاية منسوخة وهو
عطا ومجاهد وقتادة وقال قوم الاية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات
يبايعنك الاية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النسا يبايعنه وعمر بن الخطاب
اسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة
مع النسا خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابايعكن على ان لا يشركن بالله شيئا فرفعت هند
راسها وقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال
وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت
من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء
فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال
لها انك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفى الله عنك فقال
ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن
فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها

حنظلة بن ابي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق
ولا يعصينك في معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا
ان نعصيك في شيء فاقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزي
وجملة من احصي من المبايعات اربعماية وسبعة وخمسون امراة ولم يصافح
في البيعة امراة وانما بايعهن بالكلام ق عن عايشة رضي الله عنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النسا بالكلام بهذه الاية لا يشركن
بالله شيئا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة الا يملكها واما
تفسير الاية قوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اراد به واد البنات الذي كان
يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا ياتين ببهتان
يفترينه بين ايديهن يعني لا يلحق المراة بزوجها غير ولده وذلك ان المراة
كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان
المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي قد تقدم ذكره ومعنى
بين ايديهن وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها
ولا يعصينك في معروف اي في كل ما تامرهن به وتنهاهن عنه وقيل
في كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح
والدعا بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا
تحدث المراة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر
مع غير ذي محرم قال ابن عباس قوله ولا يعصينك في معروف انما هو
شرط شرطه الله على النسا اخرجه البخاري ق عن ام عطية قالت بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا علينا ان لا يشركن بالله شيئا ونهانا
عن النياحة فقبضت امراة منا يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا اريد
ان اجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ثم رجعت فبايعها ق وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا
من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن اسيد بن اسيد
عن امراة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المعروف الذي اخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو
ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه ابو داود عن انس رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النسا حين بايعهن ان لا ينحن
فقلن يا رسول الله نسا اسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا اسعاد في الاسلام اخرجه النسائي م عن ابي مالك
الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة ما لم

تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
النائحة والمستمعة اخرجه ابو داود وقوله تعالى **فبايعهن** يعني اذا
بايعنك على هذه الشروط فبايعهن **واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم**
عن اميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال
لنا فيما استطعتن واطعتن قلت الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا قلت
يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما قولي لمائة امراة كقولي لامراة واحدة اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن
صحيح قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم**
يعني من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار
المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك
قد يئسوا من الاخرة يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم
وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه فيئسوا من ان يكون لهم ثواب او خير
في الاخرة **كما يئس الكفار من اصحاب القبور** يعني كما يئس الذين ماتوا على
الكفر وصاروا في القبور من ان يكون لهم ثواب في الاخرة وذلك ان الكفار
اذا دخلوا قبورهم يئسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من اصحاب
القبور ان يرجعوا اليهم والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الصف

وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها
مكية وهي اربع عشرة اية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم**
يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قيل سبب نزولها ما روي عن عبد الله بن
سلام رضي الله عنه قال قعدنا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملنا فانزل الله سبح لله ما في
السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا
تفعلون قال عبد الله بن سلام فقراها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه الترمذي قال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله
لعملناه ولبذلنا فيها اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا وانزل هل ادلكم على تجارة الاية فابتلوا بذلك
يوم احد فولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم
تقولون ما لا تفعلون وقيل لما اخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب

اهل

اهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم
احد فعيرهم الله بهذه الاية وقيل نزلت في شان القتال كان الرجل يقول
قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب فنزلت هذه وقيل
نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون
كبر مقتا عند الله اي عظم بغضا عند الله **ان تقولوا ما لا تفعلون** معناه
ان تعدوا من انفسكم شيئا ثم لم توفوا به **ان الله يحب الذين يقاتلون في**
سبيله صفا اي يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن اماكنهم
كانهم بنيان مرصوص اي قد رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض واحكم
فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث راصوا في الصف ومعنى ان الله يحب
من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص قوله
تعالى **واذ قال موسى لقومه** اي واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه
بني اسرائيل **يا قوم لم تؤذونني** وقيل انهم كانوا يؤذونه بانواع الاذى
والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها
انهم رموه بالادرة **وقد تعلمون اني رسول الله اليكم** يعني تؤذونني وانتم
عالمون علما قطعيا اني رسول الله والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى
فلما زاغوا اي عدلوا ومالوا عن الحق **ازاغ الله قلوبهم** اي امالها عن
الحق الى غيره **والله لا يهدي القوم الفاسقين** اي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق
خارج عن طاعته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان اذاهم يؤدي الى الكفر
وزيغ القلوب عن الهدى **واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول**
الله اليكم اي اني رسول ارسلت اليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة
مصدقا لما بين يدي من التوراة اي اني مقر ومعترف باحكام التوراة وكتب الله
وانبيائه جميعا ممن قد تقدم **ومبشرا برسول ياتي من بعدي** اي يصدق
بالتوراة على مثل تصديقي فكانه قيل له ما اسمه قال **اسمه احمد** عن ابي
موسى قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان ناتوا النجاشي وذكر
الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانه
الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من امر الناس
لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب
في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه فقال ابو داود المدني
قد بقي في البيت موضع قبر اخرجه الترمذي عن كعب الاحبار ان الحواريين
قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد
حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم في الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق
ويرضى الله عنهم باليسير من العمل **ق** عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي

الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يوم القيامة
وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقد سماه الله تعالى رؤوفا رحيما واحمد
يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبيا كلهم حمادون
لله عز وجل وهو اكثر حمدا لله من غيره والثاني انه مبالغة من المفعول ومعناه
ان الانبيا كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع
للفضايل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها من غيره فلما جاءهم بالبينات
قيل هو عيسى عليه السلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا سحر
مبين اي ظاهر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي ومن اكثر ظلما
ممن بلغ افتراوه ان يكذب على الله وذلك انهم علموا ان ما نالوه من نعمة فمن الله
ثم كفروا به وهو يدعى الى الاسلام معنى الاية ان الناس اشد ظلما ممن يدعوه
ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين
فيجعل مكان اجابته افترا الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين والله
لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم للهداية لما علم خالهم عقوبة لهم
يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم يعني ارادتهم ابطال الاسلام
بقولهم في القران سحر والله متم نوره يعني متم الحق ومظهره ومبلغه
غايته وقال ابن عباس مظهر دينه ولو كره الكافرون هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اي ليغلبه على الاديان المخالفة
له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين
الاسلام ولو كره المشركون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم نزلت هذه الاية حين قالوا
لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيها
رضى الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين ذلك التجارة فقال
تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
ذلكم خير لكم اي الذي امركم به من الايمان والجهاد في سبيله ان كنتم تعلمون
يغفر لكم ذنوبكم هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
لان معناه معنى الامر المعنى امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله اي اذا فعلتم
ذلك يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم يعني هذا الجزا الذي ذكر هو
الفوز العظيم واخرى تحبونها اي ولكم تجارة اخرى وقيل ولكم خصلة
اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الاخرة وتلك الخصلة نصر من الله وفتح
قريب قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل هو فتح فارس والروم
وبشر المومنين اي يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة ثم حضهم
على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال يا ايها الذين امنوا كونوا انصارا

لله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي مع الله والمعنى انصروا
دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من انصاري الى الله قال
الحواريون نحن انصار الله وكانوا اثني عشر رجلا اول من امن بعيسى عليه
السلام وحواري الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
حواري الزبير فامنت طايفة من بني اسرايل وكفرت طايفة قال
ابن عباس في زمن عيسى عليه السلام وذلك لما رفع تفرق قومه ثلاث
فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه
وفرقة كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم مومنون واتبع كل فرقة منهم
طايفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المومنين
حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المومنة على الكافرة
فذلك قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين
يعني غالبين وقيل معناه فاصبحت حجة من امن بعيسى ظاهرة بتصديق
محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمته والله اعلم

تفسير سورة الجمعة

مدنية وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعماية وعشرون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز
الحكيم هو الذي بعث في الاميين يعني العرب وكانت العرب امة امية
لا تكتب ولا تقرا حتى بعث فيهم نبي الله وقيل الامي هو الذي على ما خلق عليه
كانه منسوب الى امه رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم وانما كان اميا لان نعته
في كتب الانبيا النبي الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة
بالكتابة على ما اتى به من الوحي والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال امته
الذين بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه يتلو عليهم اياته التي تبين
رسالته وقيل اياته التي يبين بها الحلال من الحرام والحق من الباطل ويزكيهم
اي يطهرهم من دنس الشرك ويعلمهم الكتاب اي القران وقيل الفرايض
والحكمة وقيل هي السنة وان كانوا من قبل اي من قبل ارسال محمد
صلى الله عليه وسلم اليهم لفي ضلال مبين واخرين منهم اي من المومنين
الذين يدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم كانوا
امة واحدة وقيل اراد بالاخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير
ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا
جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ

واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا
فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا وقال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده على سلمان وقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله
رجال من هؤلاء اخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من
دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة لما يلحقوا
بهم لم يدركوهم ولكنهم جاؤا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في الفضل والسابقة
لان التابعين لا يدركون شأن الصحابة وهو العزيز اي الغالب الذي قهر
الجبابرة الحكيم اي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء يعني الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله
عليه وسلم والله ذو الفضل العظيم اي على خلقه حيث ارسل فيهم رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة يعني اليهود
حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من
الحمالة والحميل هو الكفيل ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا
حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا وهو الكتب العظام من العلم سمي سفرا لانه
يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود والذين اعرضوا
عن العمل بالتوراة وبالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبه اليهود اذ لم ينتفعوا
بما في التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب
ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤن التوراة ولا
ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن
ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران
يا اهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلى هذه الاية ثم ذم هذا المثل
والمراد منه ذمهم فقال تعالى بئس مثل القوم اي بئس مثلا مثل القوم
الذين كذبوا بايات الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما اتى من ايات
القرآن وقيل المراد من الايات التوراة لانهم كذبوا بها حتى تركوا الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي من
سبق في علمه انه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا انفسهم بتكذيب ايات الله
وانبيائه قل اي يا محمد يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله
من دون الناس اي من دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فتمنوا
الموت اي ادعوا على انفسكم بالموت ان كنتم صادقين يعني فيما
زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه لان الاخرة
خير لاولياء الله من الدنيا ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي بسبب ما
قدموا من الكفر والتكذيب والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي
تفرون منه فانه ملاقيكم اي لا ينفعكم الفرار منه ثم تردون الى عالم

الغيب

الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيه وعيد وتهديد قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا اذا نودي للصلاة اي لوقت الصلاة من يوم الجمعة اي
في يوم الجمعة واراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة
لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال خ عن السائب بن زيد قال كان النداء
يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء زاد في
رواية فثبت الامر على ذلك ولابي داود قال كان يؤذن بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه
الزوراء موضع عند سوق المدينة قريبا من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة
واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه بين خلق ادم
وقيل لان الله فرغ من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع
الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال
ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لؤي وكان اول من سمى الجمعة جمعة فكان
يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة
وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل
يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود
ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم انزل الله تعالى في ذلك
يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة الاية عن كعب بن مالك انه كان اذا
سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا ابت
اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا في هذا
البيت من حرة بني بياضة نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ
قال اربعون اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
باصحابه على ما ذكره اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم دخل المدينة
مهاجرا نزل بقبا على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من
ربيع الاول حين امتد الضحى فاقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء
ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا
الى المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم
قد اتخذ في ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخطب وقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا اليه واعملوا له
وليس المراد من السعي الاسراع في المشي وانما المراد منه العمل وكان عمر
ابن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن اما والله ما هو بالسعي على

الاقدام ولكن يمشوا اليها وياتوا الى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن
بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة في هذه الاية فاسعوا الى ذكر الله قال
قال السعي ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتاول قوله فلما بلغ
معه السعي بقوله فلما مشى معه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة
والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي رواية فاذا اقيمت
الصلاة فلا تاتوها تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة وذكره زاد مسلم
فان كان احدكم يعمل الى الصلاة وهو في الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله
الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام **وذروا البيع** يعني
البيع والشرا لان البيع يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشرا
عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا
زالت الشمس حرم البيع والشرا **ذلكم** اي الذي ذكرتم من حضور الجمعة وترك
البيع **خير لكم** اي من المبايعة في ذلك الوقت **ان كنتم تعلمون** اي
مصالح انفسكم **فصل** في فضل الجمعة واحكامها واثم تاركها وفيه مسايل
الاولى في فضلها **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم
طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج
من الجنة زاد في رواية لا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة **ق** عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم
وهو يصلي يسال الله فيها شيا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها **ق** عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم
راح فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن
راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة
الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة
فاذا خرج الامام حضرت الملايكة يستمعون الذكر وفي رواية اذا كان
يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المساجد ملايكة يكتبون الاول فالاول
فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاوا يستمعون الذكر قوله من اغتسل
يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة **م** عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من توضا فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة واستمع وانصت
غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغى
قوله ومن مس الحصى فقد لغى معناه ان يشتغل عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام
فجعله كاللغو **خ** عن عباية قال ادركني ابو عبس وانا ذاهب الى الجمعة فقال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه
الله على النار عن ابي هريرة قال خرجت الى الطور فرايت كعب الاحبار فجلست

معه

معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما
حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت
عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه
وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح
حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها
عبد مسلم وهو يصلي يسال الله شيا الا اعطاه اياه قال كعب ذلك في
كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرا كعب التوراة فقال صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي
مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد
علمت اي ساعة هي قال ابو هريرة فقلت اخبرني بها ولا تكن عني وفي رواية
فضن علي قال هي اخر ساعة في يوم الجمعة قال ابو هريرة قلت وكيف
يكون اخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها
عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها قال عبد الله بن سلام الم
يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في
صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك اخرجه مالك في
الموطا والنساي **خ** عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يغتسل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه
ويمس من طيب بيته ثم خرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم
ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى عن اوس
ابن اوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول من
غسل واغتسل وابكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنى من الامام ولم يلغ
واستمع كان له بكل خطوة اجر عمل سنة صيامها وقيامها اخرجه ابو داود
والنساي قال ابو داود سيل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل راسه
وجسده المسيلة الثانية في اثم تاركها **م** عن عبد الله بن عمرو بن العاص
وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين
اقوام عن ودعهم الجمعات وليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين
عن ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه اخرجه ابو داود والنساي والترمذي
نحوه **م** عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم
يتخلفون عن الجمعة هممت ان امر رجلا يصلي بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون
عن الجمعة بيوتهم المسيلة الثالثة في تاكيد وجوبها قال العلماء صلاة
الجمعة هي من فروض الاعيان فيجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم
اذا لم يكن له عذر في تركها من غير عذر استحق الوعيد اما الصبي والمجنون

فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة على المسافر بالاتفاق يدل
عليه ما روي عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق
واجب على كل مسلم في جماعة الا على اربعة عبد مملوك وامراة وصبي ومريض
اخرجه ابو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء اخرجه ابو داود
وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة وعن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم من آواه الليل الى اهله اخرجه الترمذي ولا يجب الجمعة
على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي ولا على العبد المكاتب وعن احمد
في العبيد روايتان وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادي اذا سمعوا النداء
من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم
وبه قال الشافعي واحمد واسحاق والشرط ان يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت
يؤذن في وقت تكون الاصوات هادية والرياح ساكنة فكل قرية تكون في موضع
الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد
ابن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان
على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة
اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل السواد سواء كانت القرية قريبة
او بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روي البخاري عن ابن عباس قال
ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
عبد القيس بجواثا من البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى
البحرين المسئلة الرابعة في تركها بالعذر وكل من له عذر من مرض او تعهد
مريض او خوف جاز له ترك الجمعة وكذا لو تركها بعذر المطر والوحل يدل
على ذلك ما روي عن ابن عباس انه خطب في يوم ذي ردغ فامر المؤذن فلما بلغ
حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كانهم انكروا
ذلك فقال كانكم انكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله
عليه وسلم وانها عزمة واني كرهت ان احرجكم زاد في رواية فتمشون على الطين
والدحض والزلق اخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر
وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين تنعقد
بهم الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر كمل به العدد المسئلة الخامسة في
العدد الذي تنعقد بهم الجمعة اختلف اهل العلم في العدد الذي تنعقد
بهم الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بان
يكونوا احرارا بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا
صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم والي والوالي

غير

غير شرط عند الشافعي وقال علي بن ابي طالب لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول
اصحاب الراي ثم ان عند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط عنده وقال
الاوزاعي وقال الاوزاعي وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم والي
وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني
عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمراة والمسافر
والصبي ولا تنعقد الا في موضع واحد من البلد وبه قال الشافعي ومالك
وابو يوسف وقال احمد تصح في موضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع
المسئلة السادسة لا يجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل
ان يصلي الجمعة وجوز اصحاب الراي ان يسافر بعد الزوال اذا كان يفارق
البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر
فانه يجوز غير انه يكره الا ان يكون سفره سفر طاعة لحج او غزو وذهب
بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل
على جوازه ما روي عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
ابن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف
فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله
عليه وسلم رآه فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك فقال اردت ان اصلي معك
ثم الحقهم فقال لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت فضل غدوتهم
اخرجه الترمذي وروي ان عمر رأى رجلا عليه اهبة السفر سمعه يقول
لولا ان اليوم يوم جمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس
وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر
كفاية والله اعلم قوله عز وجل **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض**
اي اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في
حوائجكم **وابتغوا من فضل الله** يعني الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس
ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل فانتشروا
في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ
في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك انه
كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك
وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير
الرازقين **واذكروا الله كثيرا** اي اذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى
التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة
وقيل لا تكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا
لعلكم تفلحون قوله تعالى **واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها**
وتركوك قائما عن جابر قال بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا اقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنى عشر رجلا فنزلت هذه الاية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قايما فجاءت عير من الشام وذكر نحوه وفيه الا اثنى عشر رجلا فيهم ابو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنى عشر رجلا انا فيهم وذكر الحديث حجة لمن يرى صحة الجمعة باثنى عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد قال ابن عباس في رواية عنه لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلا سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة بزيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما راوه بالبقيع قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم احد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم يبق عاتق بالمدينة الا اتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وزيت وغيره وكان ينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنى عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلا لسومت لهم الحجارة من السما فانزل الله هذه الاية واراد باللهو الطبل وكانت العير اذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اي نفروا وذهبوا نحوها والضمير في اليها راجع الى التجارة لانها اهم اليهم وتركوك قايما اي اتفقوا على ان هذا القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سيل ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قايما او قاعدا فقال اما نفروا وتركوك قايما قال العلما الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري مستحبة ويجب ان يخطب الامام قايما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابو حنيفة واحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في احد القولين واقل ما يقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث الشروط في الخطبتين جميعا ويجب ان يقرا في الاولى اية من القران ويدعو للمومنين في الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لا تتم جمعته عند الشافعي وذهب ابو حنيفة الى انه لو اتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزاه وهذا القدر لا يقع عليه

اسم الخطبة وهو مامور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا لابي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلما والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلي تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابي حنيفة ومالك ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام ق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية اخرى كان يخطب يوم الجمعة قايما ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الان م عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا القران ويذكر الناس زاد في رواية فمن حدثك انه كان يخطب جالسا فقد كذب م عن كعب بن عجرة رضي الله عنه انه دخل المسجد وعبد الرحمن ابن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقال الله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما م عن جابر ابن سمرة رضي الله عنه قال كنت اصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد ابو داود ويقرا ايات من القران ويذكر الناس عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذما اخرجه ابو داود والترمذي ولابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدا فيه بالحمد لله فهو اجذم عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيا وفي رواية ان يونس سال ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسال الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه انما نحن به وله اخرجه ابو داود م عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم بعثت انا والساعة كهاتين ويفرق بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مومن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي عن ابن مسعود رضي الله

عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا
اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت عن نافع
ان ابن عمر راى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما ان اصمتا اخرجه
مالك في الموطا قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع
الكلام فاما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس شروط
الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد
والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه الشرايط الخمس يجب
ان يصلي ظهرا ولا يجوز للامام ان يبتدي الخطبة قبل تمام العدد وهو عدد اربعين
عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة او انفض
واحد من العدد لا يجوز ان يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة
ثم انفضوا فاصح اقوال الشافعي ان بقا الاربعين شرط الى اخر الصلاة كما ان
بقا الوقت شرط الى اخر الصلاة فلو نقص واحد قبل ان يسلم الامام يجب على
الباقين ان يصلوها ظهرا وفيه قول اخر وهو ان بقي معه اثنان انها جمعة وعند
المزني ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة انها جمعة وان بقي وحده وان كان
في الركعة الاولى انها اربعا وان نقص من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة
لكن في العدد الذي يشترط كالمسبوق اذا ادرك اقل من ركعة انها اربعا خ عن
انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس
م عن عبيد الله بن ابي رافع قال استخلف مروان ابا هريرة وخرج الى مكة فصلى
بنا ابو هريرة الجمعة فقرا بعد الحمد سورة الجمعة في الاولى واذا جاءك المنافقون
في الثانية قال فلما ادركت ابا هريرة حين انصرف فقلت له انك قرات بسورتين
كان علي بن ابي طالب يقرا بهما في الكوفة قال ابو هريرة سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا بهما م عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم
ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وقال اذا اجتمع العيد والجمعة في
يوم واحد يقرا بهما في الصلاتين عن سمرة بن جندب رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث
الغاشية اخرجه ابو داود والنسائي قوله تعالى **قل ما عند الله** اي ما
عند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم
خير من اللهو ومن التجارة الذين جا بهما دحية **والله خير الرازقين**
يعني انه تعالى موجد الارزاق وواصلها منه فاياه فاسالوا ومنه فاطلبوا والله
تعالى اعلم

تفسير سورة المنافقين

مدنية وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **اذا جاءك المنافقون** يعني عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه
قالوا نشهد انك لرسول الله وتم الخبر عنهم ثم ابتدا فقال تعالى **والله
يعلم انك لرسوله** اي هو الذي ارسلك فهو عالم بك **والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون** يعني في قولهم نشهد انك لرسوله لانهم اضمروا خلاف
ما اظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام
فمن اخبر عن شي واعتقد خلافه او اضمر خلاف ما اظهر فهو كاذب الا ترى
انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم
خالف اعتقادهم **اتخذوا ايمانهم جنة** اي سترا يستترون بها من
القتل ومعنى ايمانهم ما اخبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقوله نشهد انك
لرسول الله **فصدوا عن سبيل الله** اي اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة
رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
انهم ساء ما كانوا يعملون يعني حيث اثروا الكفر على الايمان **ذلك بانهم
امنوا** اي في الظاهر وذلك اذا راوا المؤمنين اقروا بالايمان **ثم كفروا**
اي في السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تاكيد لقوله والله يشهد
انهم لكاذبون **فطبع على قلوبهم** اي بالكفر **فهم لا يفقهون** اي الايمان
وقيل لا يتدبرون القران **واذا رايتهم** يعني المنافقين مثل عبد الله
ابن ابي بن سلول **تعجبك اجسامهم** يعني ان لهم اجساما ومناظر حسنة
وان يقولوا تسمع لقولهم اي فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان
عبد الله بن ابي بن سلول فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله
عليه وسلم قوله **كانهم خشب مسندة** اي اشباح بلا ارواح واجسام
بلا احلام وشبههم بالخشب المسندة الى جدر وليست باشجار مثمرة
ينتفع بها **يحسبون كل صيحة عليهم** يعني انهم لا يسمعون صياحا في العسكر
بان ينادي مناد او انفلتت دابة او انشدت ضالة الا ظنوا من خبثهم
وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد اتوا لما في قلوبهم من الرعب
وقيل انهم على خوف ووجل من ان ينزل فيهم امر يهتك استارهم ويبيح دماءهم
وتم الكلام على قوله عليهم ثم ابتدا فقال تعالى **هم العدو فاحذرهم** اي
ولا تامنهم يعني انهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم
ولا تامنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم اسرارك
قاتلهم الله اي لعنهم الله **انى يؤفكون** اي يصرفون عن الحق قوله تعالى
واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم اي اما لوها واعرضوا
بوجوههم رغبة عن الاستغفار **ورايتهم يصدون** اي يعرضون عما دعوا

ليه وهم مستكبرون اي عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم سواء
عليهم استغفرت لهم اي يا محمد ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله
لا يهدي القوم الفاسقين ذكر القصة في سبب نزول هذه الاية
قال محمد بن اسحاق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه
ان بني المصطلق يجمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ابي ضرار وهو ابو جويرية
زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج
اليهم حتى لقيهم على ما من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل
فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وامكن منهم ونفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم فافاءها عليهم فبينما الناس
على ذلك الما اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بني غفار
يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن
وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الما فاقتتلا وصرخ الجهني يا معشر
الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين واعان جهجاه رجل من المهاجرين
يقال له جعال وكان فقيرا فقال له عبد الله بن ابي جعال وانك لهناك
فقال جعال وما يمنعني ان افعل ذلك فغضب عبد الله بن ابي وعنده رهط
من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن ابي
افعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال
القايل سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل ثم اقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم ادخلتموهم
بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام
لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من
حول محمد صلى الله عليه وسلم فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل
المنتقص في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من
المسلمين فقال عبد الله بن ابي اسكت فانما كنت العب فمشى زيد بن ارقم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر
وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر
اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن اذن بالرحيل وذلك في ساعة
لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي فاتاه فقال له انت صاحب
هذا الكلام الذي بلغني فقال عبد الله والذي انزل عليك الكتاب ما قلت
شيا من ذلك وان زيدا لكاذب وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال
من حضر من الانصار من اصحابه يا رسول الله عسى ان يكون الغلام قد وهم
في حديثه ولم يحفظ ما قال له فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة

لزيد

لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما اردت الا ان كذبك
رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله
عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك ان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم
عليه ثم قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت
تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اوما بلغك ما قال صاحبك
عبد الله بن ابي فقال اسيد وما قال قال يزعم انه ان رجع الى المدينة اخرج
الاعز منها الاذل فقال اسيد انت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله
الذليل وانت والله العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله
بك وان قومه لينتظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته ملكا
وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من ابيه فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن ابي لما
بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت
الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى ان تامر به غيري فيقتله
فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي على الارض فاقتله فاقتل
مسلما بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن
صحبته ما بقي معنا فقفلوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى
امسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى اذا اذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا
ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث
عبد الله بن ابي الذي كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ما بالحجاز
فويق النقيع يقال له نقعا فهاجت ريح شديدة اذتهم وتخوفوها وضلت
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة
قيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف
يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته الا يخبره الذي ياتيه بالوحي فاتاه
جبريل عليه السلام فاخبره بقول المنافقين وبمكان ناقته فاخبر بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب ولا اعلمه ولكن الله
اخبرني بقول المنافقين وبمكان ناقتي بالشعب قد تعلق زمامها بشجرة
فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاوا بها فامن ذلك المنافق
وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن رفاعة بن التابوت قد
مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله
صلى الله عليه المدينة قال زيد بن ارقم جلست في البيت لما بي من الهم والحيا
فانزل الله تعالى سورة المنافقين في تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبد الله

ابن ابي فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد
ان الله قد صدقك ووافى باذنك ق عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابي لا تنفقوا
على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبرته بذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي فسأله
فاجتهد يمينه ما فعل فقال كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع
في نفسي مما قالوه شدة حتى انزل الله بتصديقي اذا جاءك المنافقون ثم
قال دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤسهم
وقوله كانهم خشب مسندة قيل كانوا رجالا اجمل شيء ق عن جابر قال
غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى
كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصاري غضبا
شديدا حتى تداعوا وقال الانصاري يا آل الانصار وقال المهاجري يا آل المهاجرين
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما
شانهم فاخبر بكسعة المهاجري الانصاري فقال دعوها فانها خبيثة وقال
عبد الله بن ابي بن سلول قد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل فقال عمر الا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث يعني عبد الله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية
وفيها فقال لا باس ولينصر الرجل اخاه ظالما كان او مظلوما ان كان ظالما
فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له
ابنه عبد الله بن عبد الله لا تنقلب حتى تقر انك الذليل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم العزيز ففعل فقال اصحاب السير وكان عبد الله بن ابي بقرب المدينة
فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى اناخ على مجامع طرق المدينة فلما
جاء عبد الله بن ابي قال له ابنه وراءك قال ويلك ما لك قال لا والله لا يدخلها
ابدا الا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلمن اليوم من الاعز من
الاذل فشكى عبد الله بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه عبد الله
فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال لعبد الله يستغفر
لك فلوى راسه وقال امرتموني ان امن فامنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالي
فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر
لكم رسول الله لووا رؤسهم الاية ونزل هم الذين يقولون لا تنفقوا على
من عند رسول الله حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه ولله خزائن
السموات والارض يعني بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي احدا شيئا الا باذنه
ولا يمنعه الا بمشيئته ولكن المنافقين لا يفقهون يعني ان امره اذا اراد

شيئا ان يقول له كن فيكون يقولون لئن رجعنا الى المدينة يعني من غزوة
بني المصطلق ليخرجن الاعز منها الاذل فرد الله عليهم بقوله ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة
رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر
الله اياهم على اعدائهم ولكن المنافقين لا يعلمون اي ذلك ولو علموا ما قالوا
هذه المقالة قال اصحاب السير فلما نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي سلول
فلم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله يعني عن
الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم كما شغلت المنافقين
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك اي ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله
فاولئك هم الخاسرون اي في تجارتهم حيث اثروا الفاني على الباقي وانفقوا
مما رزقناكم قال ابن عباس يريد زكاة الاموال من قبل ان ياتي احدكم الموت
اي دلايل الموت ومقدماته وعلامته فيسال الرجعة فيقول رب لولا
اخرتني اي هلا امهلتني وقيل لو اخرت اجلي الى اجل قريب فاصدق
اي فازكي مالي واكون وفي قراءة واكن من الصالحين اي المؤمنين وقيل
هذه الاية نزلت في المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لا يسال الرجعة
وقيل الاية نزلت في المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من
احد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته او اطاق الحج ولم يحج الا سال الرجعة
عند الموت وقرا هذه الاية واكن من الصالحين اي احج وازكي ولن يؤخر
الله نفسا اذا جاء اجلها يعني انه تعالى لا يؤخر من حضر اجله وانقضت
مدته والله خبير بما تعملون يعني انه لو رد الى الدنيا واجيب ما حج وما
زكى وقيل هو خطاب شايع لكل عامل عملا من خير او شر والله اعلم

تفسير سورة التغابن

مدنية في قول الاكثرين وقيل هي مكية الا ثلاث ايات من قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم الى اخر ثلاث ايات وهي ثمانية عشر اية
ومايتان واحد واربعون كلمة والف وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد
يعني انه تعالى متصرف في ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله
الحمد لان اصول النعم كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الاحوال
الا هو وهو على كل شيء قدير يعني انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما
يشاء بلا مانع ولا مدافع هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن قال

ابن عباس ان الله تعالى خلق بني آدم مومنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مومنا وكافرا (م) عن عايشة رضي الله تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال جماعة في معنى الاية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وامنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن فروي عن ابي سعيد الخدري انه قال فمنكم كافر حياته مومن في العاقبة ومنكم مومن حياته كافر في العاقبة وقال عطا بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مومن بالكواكب ومنكم مومن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر اي بان الله خلقه وهم الدهرية واصحاب الطبايع ومنكم من يومن اي بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المومن وايمانه فعلا وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمومن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه وهذا طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية والله بما تعملون خبير اي انه عالم بكفر الكافر وايمان المومن خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم اي انه اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة في الاعضا وقد علم ان صورة الانسان احسن صورة واكملها واليه المصير اي المرجع في القيامة يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور معناه انه لا يخفى عليه خافية فاستوي في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم قوله تعالى الم ياتكم يخاطب كفار مكة نبأ الذين كفروا من قبل يعني خبر الامم الخالية فذاقوا وبال امرهم اي جزا اعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك اي الذي نزل بهم من العذاب بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا معناه انهم انكروا ان يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا فكفروا اي جحدوا وانكروا وتولوا اي اعرضوا واستغنى الله اي عن ايمانهم وعبادتهم والله غني اي عن خلقه حميد اي في افعاله ثم اخبر تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل اي قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن يوم القيامة ثم لتنبؤن اي لتخبرن

بما عملتم

بما عملتم وذلك على الله يسير اي في امر البعث والحساب يوم القيامة فامنوا بالله ورسوله لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فامنوا انتم بالله ورسوله ليلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة والنور الذي انزلنا يعني القران سماه نورا لانه يهتدى به في ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمة والله بما تعملون خبير يعني انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه قوله عز وجل يوم يجمعكم ليوم الجمع يعني يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السموات والارضين ذلك يوم التغابن من الغبن وهو فوت الحظ المراد في المجازاة والتجارة وذلك انه اذا اخذ الشي بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن اهله ومنازله في الجنة وذلك لان لكل كافر له اهل ومنزل في الجنة لو اسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مومن بتقصيره في الاحسان وقيل ان قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا غبن اعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الاخرة غابنا لظالمه واصل الغبن في البيع والشرا وقد ذكره في حق الكافرين انهم خسروا وغبنوا في شرايهم فقال تعالى اشتروا الضلالة والعذاب بالمغفرة وقال في حق المومنين هل ادلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المومنين ومن يومن بالله اي على ما جاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار ويعمل صالحا اي في ايمانه الى ان يموت على ذلك يكفر عنه سياته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا اي بوحدانية الله وقدرته وكذبوا باياتنا اي الدالة على البعث اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بقضا الله وقدرته وارادته ومن يومن بالله اي يصدق انه لا يصيبه من موت او مرض او ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضا الله وقدره واذنه يهد قلبه اي يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضا الله وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخا والصبر عند البلا والله بكل شيء عليم واطيعوا الله اي فيما امر واطيعوا الرسول فيما جاء به عن الله وما امركم به فان توليتم اي عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو اي لا معبود ولا مقصود الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم عن ابن عباس قال هولا رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي

صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في
الدين هموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فاطاعوهم
وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة
وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر
ثم هاجر فراى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم ان يعاقب
زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه من الهجرة لما لحقوا به ولم ينفق
عليهم ولم يصبهم بخير فامره الله بالعفو والصفح وقال عطاء بن يسار
نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو
بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله
تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم
اي ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اي فلا تعاقبوهم على خلافكم
فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء واختبار وشغل
عن الاخرة وقد يقع الانسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول
الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك والله عنده اجر عظيم يعني الجنة
والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب اولادكم ولا تؤثروهم على ما عند الله من
الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقال
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في
قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب
بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من
الفتنة فانه ليس منكم احد يرجع الى اهل ومال وولد الا مشتمل على فتنة
ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة رضي الله عنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسين والحسن وعليهما
قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم
فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت
حديثي ورفعتهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله فاتقوا
الله ما استطعتم اي ما اطقتم وهذه الاية ناسخة لقوله اتقوا الله حق
تقاته واسمعوا واطيعوا اي لله ولرسوله فيما يامركم به وينهاكم
عنه وانفقوا اي من حق الله الذي امركم به خيرا لانفسكم اي
ما انفقتم في طاعة الله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
تقدم تفسيره ان تقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هو التصدق

من الحلال

من الحلال مع طيبة نفس يعني ان تقرضوا اي تنفقوا في طاعة الله متقربين
اليه بالانفاق يضاعفه لكم اي يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما شاء
من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يعني يجيب المتقربين اليه حليم
اي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الطلاق

مدنية وهي ثنتا عشرة اية ومائتان وتسع واربعون كلمة والف وستون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء نادى النبي صلى الله عليه وسلم
ثم خاطب امته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت امته
داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا ايها النبي قل لامتك فاضمر القول اذا
طلقتم النساء اي اردتم تطليقهن فطلقوهن لعدتهن اي لزمان عدتهن
وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب
الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن
فطلقوهن من قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لان غير المدخول بها لا
عدة عليها نزلت هذه الاية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امراته في حال
الحيض ق عن ابن عمر رضي الله عنهما انه طلق امراته وهي حائض فذكر
ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر
فان بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله
ان يطلق لها النساء زاد في رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت
من طلاقها وراجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه طلق
امراته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك
قال ابن عمر وقرا النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن
من قبل عدتهن فصل اعلم ان الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة
وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شاء
طلق قبل ان يمس والطلاق السني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا
وهذا في حق امراة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها
في حال الحيض او طلق الصغيرة التي لم تحض او الايسة بعد ما جامعها
او طلق الحامل بعد ما جامعها او في حال رؤية الدم لا يكون بدعيا ولا
سنيا ولا بدعة في طلاق هؤلاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها
طاهرا او حاملا والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا

ولا سنة ولا بدعة في طلاق مؤلا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها
طاهرًا او حاملا والخلع في حال لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت
ابن قيس في مجامعة زوجته قبل ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال
لا شبه ان يتعرف الحال ولو طلق امراته في حال الحيض او في طهر جامعها فيه
قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابن عمر
بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يامره بالمراجعة واذا راجعها في حال الحيض
يجوز ان يطلقها في حال الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه
يونس بن جبير وانس وابن سيرين عن ابن عمر ولم يقولوا ثم تحيض ثم تطهر
وما رواه نافع عن ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب
استحب تاخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته ايها للطلاق
كما انه يكره النكاح للطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند
بعض اهل العلم كما لو طلق امراته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو
قول الشافعي وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الراي
قوله تعالى **وَاحصوا العدة** اي عدد اقرائها فاحفظوها قيل امر باحصاء
العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم
ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى **واتقوا الله ربكم**
اي واخشوا الله ولا تعصوه فيما امركم به **لا تخرجوهن من بيوتهن**
يعني اذا كان المسكن الذي طلقها فيه الزوج للزوجة بملك او كرا وان كان
عارية فارتجعت كان على الزوج ان يكري لها منزلا غيره **ولا يخرجن**
يعني ولا يجوز للمراة ان تخرج ما لم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان
خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما او غرقا
جاز لها ان تخرج الى منزل اخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع
غزل او شرا قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا
استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا فاذن لهن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تاوي كل
امراة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر طلقها زوجها
ان تخرج لجذاذ نخلها فاذا لزمتها العدة في السفر تعتد ذاهبة وراجعة
والبدوية تتبوا حيث يتبوا اهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة
في حق المقيم وقوله تعالى **الا ان ياتين بفاحشة مبينة** قال ابن عباس
الفاحشة المبينة ان تبذو على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها
وقيل اراد بالفاحشة ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها
يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها
ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها

فاحشة

اي على قدر غناه **ومن قدر عليه** اي ضيق عليه **رزقه** فكان بمقدار
القوت **فلينفق مما اتاه الله** اي على قدر ما اتاه الله من المال **لا يكلف**
الله نفسا اي في النفقة **الا ما اتاها** يعني من المال والمعنى لا يكلف الفقير
مثل ما يكلف الغني في النفقة **سيجعل الله بعد عسر يسرا** اي بعد ضيق
وشدة غنى وسعة قوله تعالى **وكاين من قرية عتت** اي عصت وطغت
والمراد اهل القرية **عن امر ربها ورسله** اي وامر رسله **فحاسبناها**
حسابا شديدا اي بالمناقشة والاستقصا وقيل حاسبها بعملها في الكفر
فجازاها النار وهو قوله **وعذبناها عذابا نكرا** اي منكرا فظيعا وفيه
تقديم وتاخير مجازها فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف
وساير انواع البلا وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا **فذاقت**
وبال امرها اي شدة امرها وجزا كفرها **وكان عاقبة امرها خسرا**
اي خسرانا في الدنيا والاخرة **اعد الله لهم عذابا شديدا** يخوف كفار
مكة ان ينزل بهم ما نزل بالامم الماضية **فاتقوا الله يا اولي الالباب**
اي يا ذوي العقول ثم نعتهم فقال **الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا**
يعني القران **رسولا** اي وارسل اليكم رسولا **يتلو عليكم ايات الله**
مبينات قري مبينات بالخفض اي تبين الحلال من الحرام والامر
والنهي وقري بالنصب ومعناه انها واضحات **ليخرج الذين امنوا وعملوا**
الصالحات من الظلمات الى النور اي من ظلمة الكفر الى نور الايمان
ومن ظلمة الجهل الى نور العلم **ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات**
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا يعني
الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقه الله طاعة في الدنيا وثوابا في
الاخرة **الله الذي خلق سبع سموات** يعني بعضها فوق بعض **ومن**
الارض مثلهن اي في العدد **يتنزل الامر بينهن** اي الوحي الذي خلقه
من السما العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجايب
تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات وياتي بالليل والنهار وبالصيف
وبالشتا ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاته وينقله من حال الى حال
فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل في كل
سما من سمايه وارض من ارضه خلق من خلقه وامر من امره وقضا من قضايه
لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما يعني انه
سبحانه وتعالى عالم بكل شي لا يخفى عليه خافية وانه قادر على الانشا
بعد الافنا وكل الكاينات تحت قدرته داخلة في علمه والله تعالى اعلم بمراده
واسرار كتابه

تفسير سورة التحريم

فاحشة وتلك حدود الله يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام
ومن يتعد حدود الله اي يطلق لغير السنة او تجاوز هذه الاحكام فقد ظلم
نفسه اي ضر نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي يوقع
في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب
ان تفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم امكنه المراجعة
عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احل الله شيا ابغض
اليه من الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق من غير ما باس فحرام
عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن
اي اذا قربن من انقضاء عدتهن فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف او فارقوهن
بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيبن منكم واشهدوا ذوي عدل
منكم اي على الرجعة والفراق امر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق عن عمران
ابن حصين انه سئل عن رجل يطلق امراته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها
ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها
وعلى رجعتها ولا تعد اخرجه ابو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند
ابي حنيفة كما في قوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب
في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما
التجاحد وان لا يتهم في امساكها وان لا يموت احد الزوجين فيدعي الاخر
ثبوت الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة
المراجعة فتنقضي العدة وتنكح زوجا غيره واقيموا الشهادة يعني ايها
الشهود لله اي طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق
واد وها على الصحة ذلكم يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر ومن
يتق الله يجعل له مخرجا قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له
مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك اسر ابن له
يسمى مالكا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اسر العدو
ابني وشكى اليه ايضا فاقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر
واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته
اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه وعن ابن
عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهي اربعة الاف
شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا اي في ابنه ويرزقه من حيث
من حيث لا يحتسب يعني ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم
رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وساله

مدنية وهي ثنتا عشرة اية ومايتان وسبع واربعون كلمة والف وستون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك
والله غفور رحيم ذكر سبب نزولها عن عايشة رضي الله عنها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلوى وكان اذا انصرف من العصر
دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس
عندها اكثر مما كان يحتبس فغرت فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت
لها امراة من قومها عكة فيها عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة
فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة فقلت اذا دخل عليك
فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا
فقولي ما هذه الريح التي اجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة
عسل فقولي له جرست نحلة العرفط وسا قول ذلك وقولي انت يا حفصة
ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو
لقد كدت اباديه بالذي قلت وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنى منها
قالت له سودة يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح
التي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة العرفط
فلما دخل علي قلت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله
الا اسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد
حرمناه قالت لها اسكتي ق عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت انا
وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم ان تقول اني اجد منك ريح
مغافير اكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت له فقال لا بل شربت
عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له فنزلت يا ايها النبي لم تحرم ما احل
الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعايشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه
حديثا لقوله بل شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبرين بذلك احدا
زاد في رواية تبتغي مرضات ازواجك شرح غريب الفاظ الحديثين
وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل
الحلوى بالمد وهو كل شي حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا في جملة الحلوى
تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها في الحديث
الثاني فتواطيت بالهمز اي اتفقت انا وحفصة قولها اني لاجد منك ريح
مغافير وهو بغين معجمة وفا بعدها يا وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله
رايحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفا يكون

البجل له ان يأكل ما اتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت هذه الاية
وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شيء هو ان يعلم انه من قبل
الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق وقيل
مخرجا عما نهاه الله عنه ومن يتوكل على الله فهو حسبه يعني من يثق بالله فيما
نابه كفاه ما اهمه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله
حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو اخماصا وتروح بطانا ان الله بالغ
امره اي منفذ امره وممضي في خلقه ما افضاه قد جعل الله لكل شيء قدرا
اي جعل لكل شيء من شدة او رخا اجلا ينتهي اليه وقال مسروق في هذه الاية
ان الله بالغ امره توكل عليه ام لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه سيآته
ويعظم له اجرا قوله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم قيل لما
نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان
ابن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى
فانزل الله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني القواعد اللاتي
قعدن عن المحيض فلا يرجون ان يحضن ومن العجائز الآيسات من المحيض ان
ارتبتم اي شككتم في حكمهن فلم تدروا ما عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر
واللائي لم يحضن يعني الصغاير اللاتي لم يحضن بعد فعدتهن ايضا ثلاثة
اشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات
فذهب اكثر اهل العلم الى ان عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة
اقراء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلي
وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطا واليه ذهب الشافعي
واصحاب الراي وحكي عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض فتعتد
بثلاثة اشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد
بثلاثة اشهر وهذا كله في عدة الطلاق واما المتوفى عنها زوجها فعدتها
اربعة اشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض او لا تحيض واما الحامل فعدتها
بوضع الحمل سواء طلقها زوجها او مات عنها وقوله تعالى واولات الاحمال
اجلهن ان يضعن حملهن ق عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة
وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي
حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت
للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي
اراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة
اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتاني باني قد حللت حين
وضعت حملي وامرني بالتزويج ان بدا لي لفظ البخاري ولمسلم نحوه وزاد

قال

قال ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير
انه لا يقربها زوجها حتى تطهر ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي يسهل
عليه امر الدنيا والاخرة ذلك اي ذلك الذي ذكره من الاحكام امر الله
انزله اليكم اي لتعملوا به ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا
قوله تعالى اسكنوهن يعني مطلقات نسائكم من حيث سكنتم من وجدكم
اي من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة
وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة ولا تضاروهن اي لا تؤذوهن لتضيقوا
عليهن يعني في مساكنهن فيخرجن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن اي فيخرجن من عدتهن فصل في حكم الاية
اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما
دامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التي طلقها
الزوج فيها ملك الزوج يجب على الزوج ان يخرج منها ويترك الدار لها
مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية
فرجع المعير فعليه ان يكتري لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة
بالخلع او بالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا كانت او غير
حامل عند اكثر اهل العلم وروي عن ابن عباس انه قال لا سكنى لها الا
ان تكون حاملا واختلفوا في نفقتها فذهب قوم الى انه لا نفقة لها الا
ان تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس والحسن والشعبي وبه قال
الشافعي واحمد ومنهم من اوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو
قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري واصحاب الراي وظاهر القران يدل
على انها لا تستحق الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل
فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن واما الدليل على ذلك من السنة فما
روي عن فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غايب
فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله ما لك علينا من شيء
فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه
نفقة فامرها ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك امراة يغشاها اصحابي
فاعتدي عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك فاذا حللت فاذنيني
قال فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن ابي سفيان وابا جهم خطباني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما
معاوية فصعلوك لا مال له انكحي اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي
اسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم واحتج
بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
امرها ان تعتد في بيت عمرو بن ام مكتوم ولا حجة له فيه لما روي عن عايشة

رضي الله عنها انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها ذرابة واما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا واما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان احدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعايشة وبه قال عطا والحسن وهو قول ابي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري واحمد واسحاق واحتج من اوجب لها السكنى بما روي عن فريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سالته ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له ابقوا حتى كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى كنت في الحجرة ناداني فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شان زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسالني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به اخرجه ابو داود والترمذي فمن قال بهذا القول قال اذنه للفريعة اولا بالرجوع صار منسوخا بقوله لها امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث في بيتها اخرا استحبابا لا وجوبا قوله عز وجل **فان ارضعن لكم** يعني اولادكم **فاتوهن اجورهن** يعني على ارضاعهن وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها ان تاخذ عليه اجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد **واتمروا بينكم بمعروف** اي ليقبل بعضكم من بعض اذا امره بالمعروف وقيل بتراضي الاب والام على اجل مسمى والخطاب للزوجين جميعا يامرهم ان ياتوا المعروف وما هو الاحسن ولا يقصدا الضرار وقيل المعروف هاهنا ان لا يقصر الرجل في حق المراة ونفقتها ولا المراة في حق الولد ورضاعه **وان تعاسرتم** اي في حق الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي المراة اجرة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستاجر للصبي مرضعا غير امه وذلك قوله **فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته**

اي

بالحجاز وقيل المغافير نبات له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمرة خبيثة الرائحة وقال اهل اللغة المغفور من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رايحته كرايحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان توجد منه رايحة كريهة قولها جرست نحلة العرفط هو بالجيم والراء والسين المهملتين ومعناه اكلت نحلة العرفط فصار منه العسل قولها في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عايشة وسودة وحفصة هن اللواتي تظاهرن عليه قال القاضي عياض والصحيح الاول قال النسائي اسناد حديث حجاج ومحمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيلي حديث حجاج اصح وهو اولى بظاهر كتاب الله واكمل فايدة يريد قوله تعالى وان تظاهرا عليه فهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عايشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسياتي الحديث قال وقد انقلبت الاسماء على الراوي في الرواية الاخرى يعني الحديث الاول الذي فيه الشرب كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي ايضا وقال المفسرون في سبب النزول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هي جاريتي قد احلها الله لي اسكتي فهي علي حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امراة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عايشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عايشة بما رات وكانتا متصافيتين متظاهرتين على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عايشة فلم يزل نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له امة يطاها فلم تزل به عايشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك الاية اخرجه النسائي قال العلماء الصحيح في سبب نزول الاية انها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين ولم تات قصة مارية من طريق صحيح

قال النسائي اسناد حديث عايشة في العسل جيد صحيح غاية ولعل التفسير
فقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اي من العسل وملك اليمين على
اختلاف الروايتين فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بهما او بالعسل
لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما احله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم
امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال لا تبتغي مرضات ازواجك
اي تطلب رضاهن بترك ما احل الله لك والله غفور رحيم اي غفر لك التحريم
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي بين واوجب لكم تحليل ايمانكم بالكفارة
وهو ما ذكر في سورة المايدة فامره الله ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق
رقبة والله مولاكم اي وليكم وناصركم وهو العليم اي بخلقه الحكيم اي
فيما فرض من حكمه فصل اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو
بيمين فان قال لزوجته انت علي حرام او قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق
وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين
بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم
ذاتها واطلق فعليه كفارة اليمين وان قال ذلك لطعام حرمته على نفسه فلا شي
عليه وهذا قول ابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي
وان لم ينو شيئا ففيه قولان للشافعي احدهما انه يلزمه كفارة يمين والثاني
لا شي عليه وانه لغو فلا يترتب عليه شي من الاحكام وذهب جماعة الى انه
يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا يجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما
لو حلف انه لا يطاوها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف ان لا ياكله فلا كفارة عليه
ما لم ياكله واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
اذا حرم الرجل امراته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة وفي رواية اذا حرم امراته ليس بشي وقال لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لفظ الحميدي قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا
يعني ما اسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله
لا تخبري بذلك احدا وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة
قال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عايشة يكونان خليفتين على امتي من بعدي
وقيل لما راى الغيرة في وجه حفصة اراد ان يتراضاها فاسر اليها بشيين بتحريم
مارية على نفسه وان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها عمر فلما نبات به اي
اخبرت به حفصة عايشة واظهره الله عليه اي اطلع نبيه صلى الله عليه وسلم
على قول حفصة لعايشة عرف بعضه قري بتخفيف الراء اي عرف بعض
الذي فعلته حفصة فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ
عمر ذلك قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاءه جبريل عليه السلام وامره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم حفصة وانما امر بطلاقها فاتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها
صوامة قوامة وانها من نسايك في الجنة وقري عرّف بالتشديد ومعناه
عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما كان منها واعرض عن بعض ولم
يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى
عرف بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة
ببعض ما اخبرت به عايشة وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه
صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس فلما نباها به اي اخبر حفصة
بما اظهره الله عليه قالت يعني حفصة من انباك هذا اي من اخبرك
باني افشيت السر قال نباني العليم اي بما تكنه الضماير الخبير بخفيات
الامور قوله عز وجل ان تتوبا الى الله يخاطب عايشة وحفصة اي في
التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذا له فقد صغت قلوبكما
اي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بان سرهما ما كره
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية ق عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال لم ازل حريصا على ان اسال عمر بن الخطاب عن المراتين من ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت
قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت
معه بالاداوة فتبرز ثم اتاني فسكبت على يديه فتوضا فقلت يا امير المومنين
من المراتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله ان تتوبا الى الله
فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهري كره الله
ما سأله عنه ولم يكتمه قال هما عايشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث
قال كنا معشر قريش قوما نغلب النسا فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما
تغلبهم نساوهم فطفق نساونا يتعلمن من نسايهم قال وكان منزلي في بني
امية بن زيد بالعوالي فغضبت يوما على امراتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان
تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة
فقلت اتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره
احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خاب من فعل ذلك منكن
وخسر افتامن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تساليه
شيا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عايشة وكان لي جار من الانصار
فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما
وياتيني بخبر الوحي واتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل

يبعثرونا فنزل صاحبي الانصاري يوم نوبته ثم اتاني عشا فضرب بابي ثم ناداني فخرجت
فقال حدث امر عظيم قلت ما ذا جاءت غسان قال لا بل اعظم منه واهول طلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن
هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت
على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا ادري ها
هو ذا معتزل في هذه المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استاذن لعمر فدخل
ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده
رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت
استاذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا
الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال الحصير قد اثر في جنبه فقلت اطلقت
يا رسول الله نساءك فرفع راسه الي فقال لا فقلت الله اكبر لو رايتنا يا
رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النسا فلما قدمنا المدينة وجدنا
قوما تغلبهم نساؤهم فطفقن نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امراتي
يوما فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله
ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل
فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتامن احداكن ان يغضب الله
لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك
ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم
اخرى فقلت استانس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت
فوالله ما رايت فيها شيئا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع
الله ان يوسع على امتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدون الله
فاستوى جالسا انشك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في
الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان قد اقسم ان لا يدخل عليهن
شهرا من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عايشة من شدة موجدته
عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فاخبرني عروة عن عايشة قالت لما
مضت تسع وعشرون دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا بي فقلت يا رسول الله
انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت في تسع وعشرين ليلة اعدهن
فقال ان الشهر تسع وعشرون زاد في رواية زاد في رواية وكان ذلك الشهر
تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي
حتى تستامري ابويك ثم قال يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة
الدنيا وزينتها حتى بلغ اجرا عظيما قالت عايشة قد علم رسول الله ان ابوي

لم يكونا ليامراني بفراقه فقلت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله
والدار الاخرة زاد في رواية ان عايشة قالت لا تخبر نساءك اني اخترتك
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ارسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا
ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله
ما يشق عليك من شان النسا فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته
وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت واحمد الله
بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الاية عسى
ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه انه استاذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فاذن له وانه قام على باب
المسجد فنادى باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شرح
بعض الفاظه قوله فتدلت منه بالاداوة فمكث معه ما الركوة فتبرز اي اتى
البراز وهو الفضا من الارض لقضا الحاجة العوالي جمع عالية وهي اماكن
باعلى اراضي المدينة قوله ولا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة
وهي عايشة اوسم منك اي اكثر حسنا وجمالا منك قوله وكنا نتناوب
النزول هو ان يفعله الانسان مرة ويفعله الاخر بعد المشربة بضم الرا
وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكئ على رمال الحصير يقال رملت الحصير اذا
ضفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطا سوى الحصير قوله ما
رايت فيه ما يرد البصر الا اهبة ثلاثة الاهبة الاهاب وهو الجلد قوله
من شدة موجدته الموجدة الغضب قوله تعالى **وان تظاهرا عليه** اي
تتعاونا على ايذا النبي صلى الله عليه وسلم **فان الله هو مولاه** اي وليه وناصره
وجبريل اي وجبريل وليه وناصره ايضا وانما افرده وان كان داخلا في جملة
الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته **وصالح المؤمنين**
روي عن ابن مسعود وابي بن كعب صالح المؤمنين ابو بكر وعمر وقيل هم
المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبيا **والملائكة**
بعد ذلك اي بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين **ظهير** اي اعوان
للنبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه **عسى ربه** اي واجب من الله **ان طلقكن**
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم **ان يبدله ازواجا خيرا منكن** ثم وصف
الازواج اللواتي كان يزوجه بهن فقال **مسلمات** اي خاضعات لله
بالطاعة **مؤمنات** اي مصدقات بتوحيد الله تعالى **قانتات** اي
طايعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل **تائبات** اي تاركات
الذنوب لقبحها **عابدات** اي كثيرات العبادة **سائحات** اي صائمات
وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح **ثيبات** جمع ثيب وهي التي

تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه **وابكارا** اي عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار
عن القدرة لا على الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فاخبر عن
قدرته انه ان طلقهن ابدله ازواجا خيرا منهن تخويفا لهن قوله عز وجل **يا ايها
الذين امنوا قوا انفسكم** قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم عنه والعمل
بطاعته **واهليكم** يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم
تقوهم بذلك **نارا وقودها الناس والحجارة** يعني الكبريت لانه
اشد الاشياء واسرع ايقادا **عليها ملائكة** يعني خزنة النار يعني
الزبانية **غلاظ** اي فظاظ على النار **شداد** يعني اقوياء يدفع الواحد
منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم **لا
يعصون الله ما امرهم** اي لا يخالفون الله فيما امرهم به ونهاهم عنه
ويفعلون ما يؤمرون لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامره والانتقام
من اعداء الله **يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم** اي يقال لهم لا
تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينوا النار وشدتها لانه قد قدم اليهم
الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول
النار **انما تجزون ما كنتم تعملون** يعني انما اعمالكم السيئة الزمتكم
العذاب قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا**
ذات نصح اي ينصح صاحبها بترك العود من الذنب الذي تاب منه قال
عمر بن الخطاب وابي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود
الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد نادما
على ما مضى مجمعا على ان لا يعود اليه وقال الكلبي ان يستغفر باللسان
ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة
تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها
اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان
ومهاجرة سيئ الاخوان **فصل** قالت العلماء التوبة واجبة من كل
ذنب على الفور ولا يجوز تاخيرها سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت
المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق ادمي فلها ثلاث شروط ان
يقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لا يعود
اليها فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها
لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق ادمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة
المتقدمة والرابع ان يبرا من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه
رده الى صاحبه وان كان حد قذف ونحوه مكنه من نفسه او طلب عفوه
وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان
تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب

اهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب
التوبة م عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة خ عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله
واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة ق عن انس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده المومن من احدكم
سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة الحديث م عن ابي موسى الاشعري رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء
النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل
توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم هذا اطماع من الله تعالى لعباده في قبول
التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه **ويدخلكم جنات تجري من
تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه** اي لا يعذبهم بدخول
النار **نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم** يعني على الصراط **يقولون ربنا**
يعني اذا طفي نور المنافقين **اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير**
**يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم
وبئس المصير** تقدم تفسيره قوله تعالى **ضرب الله مثلا** اي بين شبهها وحالا
للذين كفروا امراة نوح واسمها واعلة **وامراة لوط** واسمها والهة وقيل
اسمها والعة وواهلة **كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين** وهما نوح ولوط
عليهما السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم **فخانتاهما** قال
ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما
وكانت امراة نوح كانت تقول للناس انه مجنون واذا امن به احد اخبرت به
الجبابرة من قومها واما امراة لوط كانت تدل قومها على اضيافه فاذا نزل به
ضيف بالليل اوقدت النار واذا نزل به بالنهار دخنت لتعلم قومها انه قد نزل
به ضيف وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان **فلم يغنيا عنهما من الله
شيئا** اي لم يدفعا عن امراتيهما مع نبوتهما عذاب الله **وقيل ادخلا النار
مع الداخلين** وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء
وانه لا ينفع العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة
متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذي يتصل
به الكافر نبيا كامراة نوح وامراة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان
عن امراتيهما شيئا فقطع بهذه الاية طمع من يرتكب المعصية وانه ينفعه صلاح
غيره وفي هذا المثل تعريض بامي المومنين عائشة وحفصة وما فرط منهما

وتخير لهما في اغلظ وجه واشده ثم ضرب مثلا اخر يتضمن ان معصية الغير لا
تضره اذا كان مطيعا وان وصلة المومن للكافر لا تضر فقال تعالى وضرب الله
مثلا للذين امنوا امرات فرعون يعني اسية بنت مزاحم قال المفسرون لما
غلب موسى السحرة امنت به فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة
اوتاد والقاها في الشمس فكانت تعذب في الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها
الملايكة اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكشف الله لها عن
بيتها في الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة
قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فابصرت بيتها في الجنة من درة بيضا وانتزع
روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد المًا وقيل رفع الله امراة
فرعون الى الجنة فهي تاكل وتشرب فيها ونجني من فرعون وعمله يعني
وشركه وقال ابن عباس عمله يعني جماعه ونجني من القوم الظالمين يعني
الكافرين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها اي عن الفواحش
المحصنة العفيفة فنفخنا فيه اي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية
من روحنا اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله وصدقت بكلمات ربها
يعني الشرايع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على انبيايه وكتبه يعني
الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام وكانت
من القانتين يعني كانت من القوم القانتين اي المطيعين وهم رهطها
وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله عن انس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نسا العالمين مريم
ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون
اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله تعالى اعلم •

• تفسير سورة تبارك الذي بيده الملك •

وهي مكية وهي ثلاثون اية وثلثمائة وثلاثون كلمة والف وثلاثمائة وثلاثة
عشر حرفا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
القران سورة ثلاثون اية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده
الملك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولابي داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها
عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباه على قبر وهو لا يحسب
انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ضربت خبايي على قبر انسان وانا لا احسب انه قبر فاذا قبر
انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة
هي المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
بسم الله الرحمن الرحيم

قوله

والوسوسة قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الذلول المنقاد من
كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها لحزونتها وغلظها فامشوا في
مناكبها اي امر اباحة وكذا قوله وكلوا من رزقه ومناكبها جوانبها واطرافها
ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل
لكم السلوك في جبالها وهو ابلغ التذلل وكلوا من رزقه اي مما خلقه الله لكم
في الارض واليه النشور اي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة
فقال تعالى اامنتم من في السما قال ابن عباس يعني عقاب من في السما ان
عصيتموه ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور اي تتحرك باهلها وقيل تهوي
بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف حتى يقلبهم الى اسفل ويعلو
الارض عليهم وتمور فوقهم اي تجي وتذهب ام امنتم من في السما ان يرسل
عليكم حاصبا يعني ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط فستعلمون اي عند
الموت وفي الاخرة كيف نذير اي انذاري اذا عاينتم العذاب ولقد كذب
الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية فكيف كان نكير
اي انكاري عليهم اليس وجدوا العذاب حقا قوله عز وجل اولم يروا الى
الطير فوقهم صافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن
اي ويضممن اجنحتهن اذا ضربن بها جنوبهن عند البسط ما يمسكهن اي حال
القبض والبسط الا الرحمن والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم
يكن بقاوها وثبوتها في الجو الا بامساك الله اياها وحفظه لها انه بكل شي
بصير يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية امن هذا الذي هو جند لكم استفهام
انكاري اي لا جند لكم ينصركم اي يمنعكم من دون الرحمن اي من عذاب الله
قال ابن عباس اي ينصركم مني ان اردت عذابكم ان الكافرون الا في غرور
اي من الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم امن هذا الذي يرزقكم ان
امسك رزقه يعني من ذا الذي يرزقكم المطر ان امسكه الله عنكم بل لجوا
اي تمادوا في عتو اي تبو وتكبر ونفور اي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للمومن
والكافر فقال تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اي كابا راسه في الضلالة
وليجها لا اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب على
الكفر والمعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة اهدى اي هو
اهدى امن يمشي سويا اي قايما معتدلا يبصر الطريق على صراط مستقيم
يعني المومن يمشي يوم القيامة سويا قل هو الذي انشاكم اي خلقكم
وجعل لكم السمع والابصار والافيدة يعني انه تعالى ركب فيكم هذه القوى
لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا
تاملتم فكانكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها في غير ما خلقت له فلهذا
قال قليلا ما تشكرون وذلك لان شكر نعم الله صرفها في وجه مرضاته

فكانكم ما تشكرتم رب هذه النعم الواهب لها قل هو الذي ذراكم اي خلقكم وبثكم
في الارض واليه تحشرون اي يوم القيامة والمعنى ان القادر على الابدا قادر
على الاعادة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا سوال يحتمل
وجهين احدهما انه سوال عن نزول العذاب بهم والثاني انه سوال عن يوم القيامة
فاجاب الله عن ذلك بقوله قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين امره
باضافة العلم الى الله تعالى وبتبليغ ما اوحي اليه فلما راوه يعني العذاب
في الاخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعني العذاب ببدر زلفة اي قريبا
سيئت وجوه الذين كفروا اي اسودت وعلاها الكآبة والمعنى قبحت
وجوههم بالسواد وقيل اي لهم اي وقالت لهم الخزنة هذا الذي كنتم به
تدعون من الدعا اي تتمنون وتطلبون ان يعجله لكم وقيل من الدعوى
اي تدعون انه باطل قل يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك
ارايتم ان اهلكني الله ومن معي اي من المومنين او رحمنا فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم اي انه واقع بهم لا محالة وقيل في معنى الاية قل
ارايتم ان اهلكني الله اي تعذيبي ومن معي او رحمنا اي فغفر لنا فنحن مع
ايماننا خايفون ان يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم ويمنعكم
من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس قل اي قل لهم في انكار ذلك
عليهم وتوبيخا لهم هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا اي نحن امنا به وعبدناه
وانتم كفرتم به فستعلمون اي عند معاينة العذاب من هو في ضلال مبين
نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج
فقال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماوكم قيل يريد زمزم وقيل يريد غيرها
من المياه غورا اي غايرا ذاهبا في الارض لا تناله الايدي ولا الدلا فمن
ياتيكم بما معين اي ظاهر تراه العيون وتناله الايدي والدلا وقال
ابن عباس معين اي جار والمقصود من الاية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم
ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى اخبروني ان صار ماوكم ذاهبا في
الارض فمن ياتيكم بما معين فلا بد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينيذ
فلم تجعلون معه من لا يقدر على شي اصلا شريكا له في العبودية وهذه المحالة
والله اعلم

تفسير سورة ن والقلم

مكية وهي اثنان وخمسون اية وثلاثماية والف ومايتان وستة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ن قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وعنه ان اول
ما خلق الله القلم فجرى بما هو كاين الي يوم القيامة ثم خلق النون فبسط
الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر

على الارض ثم قرا ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل ليونا وعن
علي بلهوت قال اصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع ارضين
بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل الارضين السبع حتى ضبطها
فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف
قرن واربعون الف قايمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه
فاخذ الله ياقوتة خضرا من اعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسماية سنة
فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك
الثور خارجة من اقطار الارض ومتحازة في الارض فهو يتنفس كل يوم نفسا
فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جذب البحر فلم يكن لقوايم الثور قرار
فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوايم
الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة
مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وساير
جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة
فثقل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس
كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض
فوسوس اليه فقال له اتدري ما على ظهرك يا نونا من الامم والدواب
والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم ليونا ان يفعل ذلك فبعث
له دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله منها فاذن
لها فخرجت قال كعب الاحبار والذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر
اليه ان هم بشي من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس ايضا ان النون هو الدواة
ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم ۞ القت النون بالدمع السجام

اراد بالنون الدواة وعن ابن عباس ايضا ان النون حرف من حروف الرحمن اذا
جمعت الرحمن وقيل مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة والقلم
هو الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السما والارض ويقال
اول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كاين الى
يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجري الناس على امر قد
فرغ منه وما يسطرون اي وما يكتب الحفظة من اعمال بني ادم وقيل ان
حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد وما يسطرون به
في اللوح المحفوظ ويكون الجمع وما يسطرون للتعظيم لا للجمع ما انت يا محمد
بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم اقسم بنون والقلم وما يسطرون
ما انت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك
لمجنون والمعنى انك لا تكن مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفي

عنه الجنون وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لله وقيل هو كما يقال ما انت
بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة
والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب
والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة ووجودها
ينافي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الاية على كونهم كاذبين في قولهم انك
لمجنون **وان لك لاجرا غير ممنون** اي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد
لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمن طعامها اي ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في
معنى الاية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على
احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترايهم عليك لاجرا عظيما دايما
لا ينقطع وقيل ذلك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعا الخلق الى الله تعالى
والصبر على ذلك وبيان الشرايع لهم اجرا عظيما فلا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون
عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما ينافي حال المجنون
فقال تعالى **وانك لعلى خلق عظيم** وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك
بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان
كذلك لم يجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
كاملة وافعاله الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق
قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والاداب
المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من
الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى
الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاداب
والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسمح بما يلزم من الحقوق وترك
التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة
البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان
جميع ذلك للنبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك
لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الي ولا ارضى
عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو اداب القران سيلت عايشة
عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقال قتادة
هو ما كان ياتمر به من امر الله وينتهي عنه من نهي الله تعالى والمعنى انك على
الخلق الذي امرك الله به في القران وقيل سمي الله خلقه عظيما لانه امتثل
تاديب الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين **فصل**
في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك
روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس

عن عايشة

قوله عز وجل **تبارك الذي بيده الملك** اي له الامر والنهي والسلطان
يعز من يشا ويذل من يشا **وهو على كل شيء قدير** اي من الممكنات
الذي خلق الموت والحياة قيل اراد موت الانسان وحياته في الدنيا
جعل الله الدنيا دار حياة وجعل الاخرة دار جزا وبقا وانما قدم الموت
لانه اقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه اقدم وذلك لان الاشياء كانت
في الابتداء في حكم الموت كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم اعترضت
عليها الحياة قال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا
يجد ريحه شي الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقا وهي التي كان جبريل
والانبيا يركبونها لا تمر بشي ولا يجد ريحها شي الا حيي وهي التي اخذ السامري
قبضة من اثرها فالقاها في العجل فخار وحيي وقيل ان الموت صفة وجودية
مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح
عن الجسد وضد الحياة وهي القوة الحاسية مع وجود الروح في الجسد
وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف
في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها
لم يتنعم احد في الدنيا ولم يصل اليها الثواب في الاخرة **ليبلوكم** اي
ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت **ايكم احسن عملا** روي عن ابن عمر
مرفوعا احسن عملا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته
وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل
حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل
ايكم ازهد في الدنيا **وهو العزيز** اي الغالب المنتقم ممن عصاه **الغفور**
اي لمن تاب عليه ورجع عن اساءته قوله تعالى **الذي خلق سبع سموات
طباقا** يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سما مقببة على الاخرى وسما
الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سما الدنيا موج مكفوف والثانية
مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة صفر وقيل نحاس والخامسة
فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وما بين السما الى الحجب
السبعة صحاري من نور **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت** اي ما ترى يا ابن
ادم فيما خلق الرحمن اعوجاج واختلاف وتناقض بل خلقهن مستقيمة
مستوية **فارجع البصر** اي كرر النظر **هل ترى من فطور** اي من شقوق
وصدوع **ثم ارجع البصر كرتين** قال ابن عباس مرة بعد مرة **ينقلب**
اي ينصرف **اليك** فيرجع **البصر خاسيا** اي صاغرا ذليلا مبعدا
لم ير ما يهوى **وهو حسير** اي كليل منقطع لم يدرك ما طلب **ولقد زينا
السما الدنيا** اي الادنى من الارض وهي التي يراها الناس **بمصابيح**
اي بكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهي اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم

لها نور وقيل خلق الله النجوم لثلاث زينة السماء وعلامات يهتدى بها في ظلمات
البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين
قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل
الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها
فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام
الكواكب بل يجوز ان ينفصل من الكواكب مثل نور يرمى بها الشياطين بتلك الشعلة
وهي الشهب ومثله كمثل قبس يؤخذ منه النار وهي على حالها واعتدنا لهم
واعتدنا للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا عذاب السعير اي في الآخرة
وهي النار الموقدة وللذين كفروا بربهم اي ما هو العذاب مختص بالشياطين
بل لكل من كفر بالله من انس وجن عذاب جهنم وبئس المصير وصف جهنم
فقال تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا هو اول صوت
نهيق الحمار وذلك اقبح الاصوات وهي تفور اي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل
تفور كما يفور الماء الكثير بالحب القليل تكاد تميز اي تتقطع من الغيظ
اي من تغيظها عليهم كلما القي فيها فوج اي جماعة سألهم خزنتها يعني
سؤال توبيخ وتقريع الم يأتكم نذير اي رسول ينذركم قالوا بلى قد جاءنا
نذير فكذبنا وقلنا يعني للرسول ما نزل الله من شيء وهذا اعتراف
منهم بانه ازاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ان انتم الا في
ضلال كبير فيه وجهان احدهما وهو الاظهر انه من جملة قول الكفار للرسل
والثاني يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في
ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل اي من الرسل ما جاؤوا به او نعقل
اي نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل به ما كنا
في اصحاب السعير وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعي ونعقل عقل من
يميز وينظر ونتفكر ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم وهو في
معنى الجمع اي بتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شيء فسحقا اي بعدا
لاصحاب السعير قوله عز وجل ان الذين يخشون ربهم بالغيب
اي يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه لهم مغفرة اي
لذنوبهم واجر كبير يعني جزاء اعمالهم الصالحة واسروا قولكم او اجهروا
به قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع اله
محمد فاخبره الله انه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى انه عليم بذات الصدور
ثم اكد ذلك بقوله تعالى الا يعلم من خلق يعني الا يعلم من خلق مخلوقه
وقيل الا يعلم الله من خلق والمعنى الا يعلم الله ما في صدور من خلق وهو
اللطيف اي باستخراج ما في الصدور الخبير بما فيها من السر

والوسوسة

عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم اخرجه ابو داود وعنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا والطفهم
باهله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن
وان الله تعالى يبغض الفاحش البذيء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
وله عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم
الى الله واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا ق عن البراء رضي الله
عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا
ليس بالطويل ولا بالقصير ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول
خياركم احاسنكم اخلاقا ق عن انس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله
عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا
فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احسن الناس خلقا وما مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان الين
من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان
اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم خ عنه قال كانت الامة لتاخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد في رواية
ويجيب اذا دعي وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله
الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف
وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه
بين يدي جليس له اخرجه الترمذي ق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم
يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم
عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما
الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى ق عن انس قال كنت امشي مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه
جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله
الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء
ق عنه رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وخلقا
وكان لي اخ يقال له ابا عمير وكان فطيم كان اذا جاءنا قال يا ابا عمير ما فعل

النغير لنغير كان يلعب به النغير طاير صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار
ع عن الاسود قال سيلت عايشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل
في بيته قال كان يكون في مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة يتوضا ويخرج الى
الصلاة المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رايت احدا اكثر
تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قوله تعالى **فستبصر**
يا محمد **ويبصرون** يعني اهل مكة اذا نزل بهم العذاب **بايكم المفتون** قال ابن
عباس معناه بايكم المجنون وقيل الباء بمعنى في مجازه فستبصر ويبصرون في اي
الفريقين المجنون وقيل في فريقك او في فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان
الذي فتن بالجنون **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين**
معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية
فاعلم الله تعالى انه العالم بالفريقين الضال والمهتدي والمجنون والعاقل
فلا تطع المكذبين يعني مشركي مكة وذلك انهم دعوه الى دين ابايه فنهاه الله
ان يطيعهم **ودوا لو تدهن فيدهنون** اصل الادهان اللين والمصانعة
والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في امره اذا خان فيه
واظهر خلاف ما ابطن معنى الاية انهم تمنوا لو تترك بعض ما انت عليه مما لا
يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين
لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد الهتهم مدة
ويعبدون الله مدة **ولا تطع كل حلاف** اي كثير الحلف بالباطل **مهين**
اي ضعيف حقير وقيل هو من المهانة وهو قلة الراي والتمييز وقال ابن عباس
كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل
هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق
هماز اي مغتاب ياكل لحوم الناس بالطعن وقيل هو الذي يغمز باخيه في المجلس
مشاء بنميم اي قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس **مناع للخير** اي بخيل
بالمال وقال ابن عباس مناع للخير اي يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول
لان دخل واحد منكم في دين محمد لا انفعه بشي ابدا **معتد** اي ظلوم يتعدى
الحق **اثيم** اي فاجر يتعاطى الاثم **عتل** اي غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيء
الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل
هو العتل الاكول الشروب القوي الشديد لا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك
من اوليك سبعين الفا في النار دفعة واحدة **بعد ذلك زنيم** اي مع ما وصفنا
به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم قيل قال
ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم انما ادعاه ابوه بعد ثماني
عشر سنة وقيل الزنيم الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في هذه
الاية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم تعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها

وعنه ايضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعرف
ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة
فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الاخرة **ان كان ذا مال وبنين**
قري على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين اي لا
تطعه لماله وبنيه وقري ان كان ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه الان
كان ذا مال وبنين **اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين** اي جعل
مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين الكفر باياتنا وقيل لان كان
ذا مال وبنين تطيعه ثم اوعده فقال تعالى **سنسمه على الخرطوم** اي على
الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما في الاخرة وهو سواد الوجه فعبر
بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر
وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه اي سنسمه ميسم سوء يريد نلحق
به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا تمحى ولا يعفى اثرها وقد الحق الله به مما ذكر
من عيوبه عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم على الخرطوم الذي لا
يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه قوله تعالى **انا بلوناهم** اي اختبرنا
اهل مكة بالقحط والجوع **كما بلونا اصحاب الجنة** روي عن ابن عباس في قوله
تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان
دون صنعا بفرسخين يطاه اهل الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلاة
وكان لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان يكون للمساكين اذا صرموا نخلهم
كل شي تعداه المنجل فلم يجزه اذا طرح من فوق النخل الى البساط فكل شي يخرج
من المنجل الى البساط فهو ايضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شي تعداه
المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شي ينتثر ايضا فلما مات الاب وورثه
بنوه هذه الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال لكثير وانما
كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر
العيال فانا لا نستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما ليغدون غدوة قبل
خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى **اذ اقسموا** اي تحالفوا
ليصرمنها اي ليقطعن ثمرها **مصبحين** اي اذا اصبحوا قبل ان يخرج
اليهم المساكين وقبل ان يعلم بها المساكين **ولا يستثنون** اي ولم يقولوا
ان شا الله وقيل ولا يستثنون شيا للمساكين من ثمر جنتهم **فطاف عليها**
طايف من ربك اي عذاب من ربك ولا يكون الطايف الا بالليل وهو
قوله تعالى **وهم نايمون** وكان ذلك الطايف نارا نزلت من السما فاحرقتها
وهو قوله تعالى **فاصبحت** اي الجنة **كالصريم** اي كالليل الاسود المظلم
وقيل صرم منها الخير فليس فيها شي ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد
الاسود وهو بلغة خزيمة **فتنادوا** اي فنادى بعضهم بعضا **مصبحين**

يعني لما اصبحوا ان اغدوا على حرثكم يعني لثمار والزرع والاعناب ان كنتم
صارمين اي قاطعين ثماركم فانطلقوا اي مشوا اليها وهم يتخافتون
اي يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا ان لا يدخلنها اليوم عليكم
مسكين وغدوا على حرد اى قصد ومنع وغضب وقيل معناه على جد
وجهد وقيل على امر مجتمع قد اسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب وقيل
معناه من المساكين وقال ابن عباس على قدرة قادرين اى عند انفسهم
على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها احد فلما راوها اى الجنة متفرقة
قالوا انا لضالون اى لمخطئون الطريق اضللنا عن مكان جنتنا وليس
هذه بجنتنا بل نحن محرومون اى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها
بمنعنا المساكين وتركنا الاستثنا قال اوسطهم اي اعدلهم واعقلهم
وافضلهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون انكر عليهم ترك الاستثنا
في قوله ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون سماه تسبيحا لانه تعظيم الله
واقرار بانه لا يقدر احد على شيء الا بمشيئته وعلى التفسير الثاني ان الاستثنا
بمعنى لا يتركون شيا للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون اي
تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين
وقيل كان استثناوهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه
على ما اعطاكم من نعمه قالوا سبحان ربنا معناه انهم نزهوه عن ان ظلم
فيما فعلوا واقروا على انفسهم بالظلم فقالوا انا كنا ظالمين اي بمنعنا
المساكين حقوقهم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا
قالوا يا ويلنا دعوا على انفسهم بالويل انا كنا طاغين اي في منعنا
حق الفقرا والمساكين وقيل معناه طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع
ما كان يصنع اباونا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا عسى ربنا
ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون قال ابن مسعود
بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها
الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا قال الله تعالى كذلك العذاب
اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا خوف به كفار مكة
ثم قال تعالى ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ثم اخبر
بما اعد الله للمتقين فقال تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم
اي عند ربهم في الاخرة ولما نزلت هذه الاية قال المشركون انا نعطى في الاخرة
افضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين افنجعل المسلمين
كالمجرمين يعني ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جايز فكيف يكون
افضل او يعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار
قال لهم على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات ما لكم

كيف

اي تشتهون ان لكم فيه اي في ذلك
الكتاب لما تخيرون اي

كيف تحكمون يعني هذا الحكم المعوج ام لكم كتاب اى نزل من عند الله
فيه اي في ذلك الكتاب تدرسون اى تختارون وتشتهون
ام لكم ايمان علينا بالغة معناه الكم عهود ومواثيق موكدة عاهدناكم
عليها فاستوثقتم منا بها الى يوم القيامة اي لا تنقطع تلك الايمان
والعهود الى يوم القيامة ان لكم اي في ذلك العهد لما تحكمون اى لانفسكم
من الخير والكرامة عند الله ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم سلهم
ايهم بذلك زعيم اي ايهم كفيل لهم بان لهم في الاخرة ما للمسلمين ام لهم
شركاء اى بل لهم شركا يعني ما كانوا يجعلون لله شريكا وانما اضاف الشركا
اليهم لانهم جعلوها شركا لله وقيل معنى شركا شهدا يشهدون بصدق ما دعوه
فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اي في دعواهم يوم اي فلياتوا
بشركائهم في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم يكشف عن ساق اي عن امر
فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة في القيامة تقول العرب
للرجل اذا وقع في امر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر
عن ساقك اذا قام في ذلك اليوم ويقال اذا اشتد الامر في الحرب كشف
الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الاية فقال اذا خفي عليكم شيء من
القران فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق ... وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وانشد اهل اللغة ابياتا في هذا المعنى
فمنها ما انشده ابو عبيدة لقيس بن زهير

اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا ... ربيع فلا انساما

ومنها قول جرير

الا رب ساه الطرف من ال مازن ... اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقد كثر مثل هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل تضارون في روية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب
وهل تضارون في روية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله
قال فما تضارون في روية الله يوم القيامة الا كما تضارون في روية احدهما
اذا كان يوم القيامة اذن موذن لتتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد
كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى
اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى
اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير بن الله فيقال
كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا

فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كانهم سراب يحطم بعضهم
بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون
قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا
ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار
اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها لهم سراب يحطم بعضهم بعضا فيتساقطون
في النار حتى لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة
من التي راوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا
فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم
فيقولون نعوذ بالله لا نشرك بالله شيئا مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد
ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه اية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف
عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود
فلا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما اراد
ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي راوه فيها
اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل
الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول الله وما الجسر قال دحض
مزلقة فيها خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان
فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب
فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من
النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفاء
الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا
يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم
على النار فيخرجون خلقا كثيرا وقد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبتيه
ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر
فيها ممن امرتنا به احدا ثم يقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار
من خير فاخرجوه ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقال ارجعوا
فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث
فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت
من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع
المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما
لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر
الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها ما يكون الى الحجر

او الى الشجر

اي فيما امركم به من عبادة الله وتقواه يغفر لكم من ذنوبكم اي يغفر لكم
ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك
بعض الذنوب ويؤخركم الى اجل مسمى اي الى منتهى اجالكم فلا يعاقبكم ان اجل
الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون معناه يقول امنوا قبل الموت تسلموا
من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر قال الزمخشري ان قلت
كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت
قضى ان قوم نوح ان امنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على
راس تسعماية فقيل لهم امنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله
وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول الى الالف ثم
اخبر انه اذا جاء الاجل لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم يكن لهم حيلة فبادروا
في اوقات الامهال والتاخير عنكم ولا يمكنكم الايمان قال يعني نوح عليه
السلام رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا
اي تنافرا وادبارا عن الايمان واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي ليؤمنوا
بك فتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا دعوتي واستغشوا
ثيابهم اي غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يروني واصروا على كفرهم واستكبروا
عن الايمان بك استكبارا اي تكبرا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا اي معلنا
قال ابن عباس باعلى صوتي ثم اني اعلنت لهم اي كررت لهم الدعاء معلنا
واسررت لهم اسرارا قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا
بيني وبينه ادعوه الى عبادتك وتوحيدك فقلت استغفروا ربكم انه كان
غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا
طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت
اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اي من الشرك واطلبوا المغفرة
بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة سببا
لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا
بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه في الدنيا وروى الشعبي
عن عمر بن الخطاب ان عمر بن الخطاب خرج يستسقي بالناس فلم يزد على
الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال لقد طلبت
الغيث بمجاديح السماء الذي يستنزل بها القطر ثم قرا استغفروا ربكم
انه كان غفارا الاية قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم
وقيل هو الدبران وقيل هي ثلاثة كواكب كالاثافي شبهها بالمجدح الذي
له شعب وهو عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار
مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون من شانها المطر
لا انه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا

واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكى الجدب فقال استغفروا الله وشكى اخر اليه الفقر وقلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلى هذه الاية وقوله يرسل السما عليكم مدرارا اي يرسل ما السما وذلك لان ما المطر ينزل من السما الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل اراد بالسما السحاب وقيل اراد بالسما المطر من قول الشاعر

اذا نزل السما بارض قوم • فحلوا حيثما نزل السما •

يعني المطر مدرارا اي كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا اي متتابعا ويمددكم باموال وبنين اي يكثر اموالكم واولادكم ويجعل لكم جنات اي البساتين ويجعل لكم انهارا وهذا كله مما يميل طبع البشرية اليه ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابن عباس اي لا ترون لله عظمة معناه لا تخافون عظمة الله فالرجا بمعنى الخوف والوقار والعظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه ما لكم لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا وقد خلقكم اطوارا يعني تارة حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا يعني في السما الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بني تميم وانما اتى رجلا منهم وجعل الشمس سراجا يعني مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوؤهما اي الشمس والقمر جميعا واقفيتهما الى الارض ويروى ان هذا عن ابن عباس ايضا والله انبتكم من الارض نباتا يعني انه اراد خلق ادم واصله خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل موضع المصدر اي انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهو انه لو قال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني اولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة احيا الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف ثم يعيدكم فيها اي في الارض بعد الموت ويخرجكم اي منها يوم البعث اخراجا يعني اخراجا حقا لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا اي فرشها لكم مبسوطة تتقلبون فيها

كما

والى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر او اخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هولا عتقا الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شي افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخاري نحوه بمعناه

فصل في شرح غريب الفاظ الحديث وما يتعلق به اما الروية وما يتعلق بها فسياتي الكلام عليها في موضعها ان شا الله تعالى قوله حتى لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة راوه فيها وفي رواية ابي هريرة فياتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا حتى اذا جا عرفناه فياتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله وغيره اعلم ان هذا الحديث من اكبر احاديث الصفات واعظمها وللعلما فيه وفي امثاله قولان احدهما وهو معظم السلف او كلهم انه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا ان نومن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شي وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابي هذا الحديث يهاب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثاني وهو معظم مذهب المتكلمين انها تاول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تاويلها لمن كان من اهله فعلى هذا المذهب يقال في قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رويتهم اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رويته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجي هنا عن الروية مجازا وقيل الاتيان فعل من افعال الله سماه اتيانا وقيل ياتيهم الله في بعض ملايكته قال القاضي عياض وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم في الصورة التي انكروها من سمات الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه ياتيهم الله في صورة اي يصوره فيظهر لهم من صور ملايكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا اخر امتحان المومنين فاذا قال لهم هذا الملك او هذه الصورة انا ربكم راوا عليه علامة من علامة المخلوقات ما ينكرونه ويعلمون بذلك انه ليس ربهم

فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله في صورته التي
يعرفون فالمراد بالصورة الصفة ومعناه فيتجلى الله تعالى لهم في الصفة
التي يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته وان لم يكن تقدمت لهم روية
له سبحانه وتعالى لانهم على الصفة يرونه لا يشبه شيا من مخلوقاته وقد علموا
انه لا يشبه شيا من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما
عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياه وللمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة
وقوله في حديث ابي سعيد اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه فيها معنى راوه
فيها اي علموها وهي صفته المعلومة للمومنين وهو انه لا يشبهه شي وقولهم
نعوذ بالله منك لا نشرك بالله انما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم راوا سمات
المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفي رواية للبخاري يكشف ربنا عن ساقه
ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الاسما والصفات قال ابو سليمان
الخطابي فيحتمل ان يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه اي عن قدرته
التي تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح اليا وضمها وقد تقدم تفسير
كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك في
حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون
له سجدا انفرد به روح بن حبان عن مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامي باق باحاديث
منكرة لا يتابع عليها وموالي عمر بن عبد العزيز كثيرون ففي اسناده مجهول
ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك نوما يتجدد للمومن عند روية الله تعالى
من الفوايد والالطاف قال القاضي وقد يكون الساق علامة بينه وبين
المومنين من ظهور جماعة من الملايكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساق مخلوقة
جعلها الله علامة للمومنين خارجة عن الساق المعتاد وقيل معناه كشف الخوف
وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمين حينيذ
نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم فيخرون سجدا قال الخطابي وهذه الروية في
هذا المقام يوم القيامة غير الروية التي في الجنة لكرامة اوليا الله انما
هذه الروية امتحان لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقا
نفسه الا اذن الله له في السجود ولا يبقى من كان يسجد اتقا وريا الا جعل الله
ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة
اي فقاره واحدة كالصفيحة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون روسهم
وقد تحول في صورته التي راوه فيها اول مرة ثم يرفعون روسهم وقد زال المانع
لهم من رويته وتجلى لهم فيقولون انت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم
الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط ويحل الشفاعة بكسر الحا وقيل
بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويوذن فيها ودحض مزلقة اي تزلق فيه

الاقدام

الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشي وكلا
جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان
نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس
في نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا يناله شي اصلا وقسم يخدش
ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس اي يلقى ويسقط في نار جهنم وفي هذا اثبات
الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم
وهو ارق من الشعر واحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمومنون ينجون
على حسب منازلهم واعمالهم والاخرون يسقطون في جهنم اعاذنا الله
منها ومعنى مناشدة المومنين الله يوم القيامة في الشفاعة لاخوانهم
الذين في النار وقوله فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال
نصف دينار من شر ومثقال ذرة قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين
قال والصحيح ان معناه شي زايد على مجرد الايمان لان الايمان الذي هو
التصديق لا يتجزى وانما يكون هذا الخير زايدا عليه من عمل صالح وذكر
خفي وعمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين او خوف من الله
تعالى او نية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير
وقول المومنين لم نذر فيها خيرا اي صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملايكة
هو بفتح الفا وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين
فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هولا الذين
معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله بعلم ما تكنه القلوب
فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة اي جمع جماعة
قوله قد عادوا حمما اي صاروا فحما فيلقيهم في نهر من افواه الجنة جمع فوهة
وهي اول النهر قوله فيخرجون كاللولو اي من الصفا في رقابهم الخواتيم قيل
معناه ان يعلق في رقابهم اشيا من ذهب او غير ذلك مما يعرفون بها والله
اعلم قوله تعالى **ويدعون الى السجود فلا يستطيعون** السجود يعني الكفار
والمنافقين يصير اصلابهم كصياصي البقر او كصفيحة نحاس فلا يستطيعون
السجود **خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة** وذلك ان المومنين يرفعون روسهم
من السجود ووجوههم اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبها وتسود
وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة **وقد كانوا
يدعون الى السجود** يعني في دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة
بالاذان والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح
فلا يجيبون **وهم سالمون** يعني انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحا
فلا ياتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين
يتخلفون عن الجماعة قوله عز وجل **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث**

اي دعني والمكذبين بالقران وخل بيني وبينهم ولا تشتغل قلبك بهم وكلهم الي
فاني اكفيك اياهم **سنستدرجهم** اي سناخذهم بالعذاب **من حيث لا يعلمون**
اي فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل معنى الاية كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم
نعمة وانسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه
تفضيلا لهم على المومنين على المومنين وهي في الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى
العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا ان
يعالجه بالاستغفار والتوبة **واملي لهم** اي امهلهم واطيل لهم المدة وقيل معناه
امهلهم الى الموت فلا اعاجلهم **ان كيدي متين** اي عذابي شديد وقيل الكيد
ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المودي الى العذاب **ام تسالهم
اجرا** اي على تبليغ الرسالة **فهم من مغرم مثقلون** المغرم الغرامة والمعنى
اطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك
عن الايمان **ام عندهم الغيب فهم يكتبون** اي عندهم اللوح المحفوظ فهم
يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار **فاصبر لحكم ربك**
اي اصبر على اذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ باية السيف **ولا تكن** في الضجر
والعجلة **كصاحب الحوت** يعني يونس بن متى **اذ نادى** ربه اي في بطن الحوت
وهو مكظوم اي مملوء غما **لولا ان تداركه نعمة من ربه** اي حين رحمه وتاب
عليه **لنبذ بالعراء** اي لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الارض **وهو مذموم**
اي يذم ويلام بالذنب وقيل في معنى الاية لولا نعمة من ربه لبقي في بطن
الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعرا القيمة اي بارضها وصحرايها فان قلت
هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه
من ثلاثة اوجه احدها ان كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه ما يوجب الذم
الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيات المقربين
الثالث لعل هذه المواقفة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى **فاجتباه
ربه** والفا للتعقيب اي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه **فجعله من
الصالحين** اي النبيين قوله تعالى **وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بابصارهم** وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم
بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت
العين في بني اسد حتى اذا كانت الناقة او البقرة تمر باحدهم فيعاينها ثم
يقول لجاريته خذي المكتل والدراهم فاتينا من لحم هذه فما تبرح حتى تقع
بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا ياكل يومين او ثلاثة ثم يرفع
جانب خبايه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه
فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها عدة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه
ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العاين بعينه ما يعجبه وقيل
وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عن ما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما
اراد منهم ينظرون اليك اذا قرات القران نظرا شديدا بالعداوة والبغضا
يكاد يسقط ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني او يكاد ياكلني يدل على صحة
هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القران وهو قوله **لما سمعوا الذكر**
لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهية ويحدون النظر اليه بالبغضا **ويقولون
انه لمجنون** يعني ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرا القران قال الله
تعالى ردا عليهم **وما هو** يعني القران **الا ذكر للعالمين** قال ابن عباس
موعظة للمومنين قال الحسن دوا من اصابة العين ان يقرا الانسان هذه الاية
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين
حق زاد البخاري ونهى عن الوشم **م** عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو كان شي سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا عن
عن عبيد الله بن رفاعة الزرقي ان اسما بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد
جعفر تسرع اليهم العين انستغسل لهم فقال صلى الله عليه وسلم لو كان سابق القدر
لسبقته العين اخرجه الترمذي قوله العين حق وانكره طوايف من المبتدعة
والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يودي الى قلب
حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشارع
بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة ان العين
انما تفسد عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العاين لشخص اخر فيوثر فيه
بقدرة الله تعالى وفعله قوله ولو كان شي سابق القدر لسبقته العين فيه
اثبات فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشيا كلها بقدر الله ولا يقع الا
على حسب ما قدر الله وسبق بها علمه ولا يقع ضرر العين وغيره من الخير والشر
الا بقدرة الله وفيه صحة اثر العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر
والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الحاقة

مكية وهي اثنتان وخمسون اية ومايتان وست وخمسون كلمة واربع وثلاثون
حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله
عز وجل **الحاقة** يعني القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعني انها ثابتة
الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها
يحق الجزاء على الاعمال اي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها
وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم اي تقع بهم **ما الحاقة** استفهام
ومعناه التفخيم لشانها وتهويل لها والمعنى اي شي هي الحاقة **وما ادراك**

ما الحاقة اي انك لا تعلمها اذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الاهوال على انه من العظم
والشدة امر لا يبلغه دراية احد ولا فكره وكيف قدرت حالها فاذا هي اعظم
من ذلك كذبت ثمود وعاد بالقارعة قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة
لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي وعدهم نبيهم
حتى نزل بهم فقرع قلوبهم فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بطغيانهم وكفرهم
وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فاهلكت قوم ثمود بسببهم
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة
وقيل هي الباردة من الصر والذي يؤيدها البرد وكثرة فهي تحرق بشدة بردها
عاتية اي عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد
والمقدار فلم يعرفوا لها ما خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على رفعها
عنهم بقوة ولا حيلة سخرها عليهم اي ارسلناها وسلطناها وفيها رد على من
قال ان كان سبب ذلك اتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها
عليهم فبين الله تعالى ان ذلك بقضايه وقدره ومشيئته لا باتصال الكواكب
سبع ليال وثمانية ايام ذات برد ورياح شديدة قال وهب هي الايام
التي تسميها العرب ايام العجوز لانها ايام ذات برد ورياح شديدة وسميت
عجوزا لانها تاتي في عجز الشتا وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعها
الريح حتى قتلها حسوما اي متتابعة دايمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح البارد
اشتد عليهم في مدة الاية فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل
حسوما شوما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها وقيل
الحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستيصال فلم يبق منهم احد فترى
القوم فيها اي في تلك الايام والليالي صرعى اي هلكى جمع صريع قد صرعهم
الموت كانهم اعجاز نخل خاوية اي ساقطة وقيل خالية الاجواف بجذوع نخل
ساقطة ليس لها روس فهل ترى لهم من باقية اي من نفس باقية قيل انهم لما
اصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى اعجاز نخل خاوية حملتهم
الريح فالقتهم في البحر فلم يبق منهم قوله تعالى وجا فرعون ومن قبله قرى
بكسر القاف وفتح البا اي ومن معه من جنوده واتباعه وقرى بفتح القاف وسكون
البا اي ومن قبله من الامم الكافرة والموتفكات يعني قرى قوم لوط ويريد
اهل الموتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله بالخاطئة
اي بالخطيئة والمعصية وهو الشرك فعصوا رسول ربهم قيل يعني موسى بن
عمران وقيل لوطا والاولى ان يقول المراد بالرسول كلاهما المتقدم المخبر عنهم كر
لا يبين جميعا فاخذهم اخذة رابية يعني نامية وقال ابن عباس شديدة
وقيل زايدة على عذاب الامم انا لما طغى الما اي طغا وعتا وجاوز حده حتى
علا على كل شي وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه السلام وهو الطوفان حملناكم

في الجارية

في الجارية يعني حملنا اباكم وانتم في اصلابهم فصح خطاب الحاضرين في الجارية
اي السفينة التي تجري في الما لنجعلها اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها
من اغراق قوم ونجاة من حملنا معه لكم تذكرة اي عبرة وموعظة وتعيها
اي تحفظها اذن واعية اي حافظة لما جا من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت
ما سمعت واوعت قيل لتحفظها كل اذن فتكون عظة وعبرة لمن ياتي بعد والمراد
صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالمواعظ قوله عز وجل فاذا نفخ في
الصور نفخة واحدة يعني النفخة الاولى وحملت الارض والجبال اي رفعت
من اماكنها فدكتا دكة واحدة اي كسرتا وفتتتا حتى صارتا هبا منبثا
والضمير عايد الى الارض والجبال فعبر عنها بلفظ الاثنين فيومئذ وقعت
الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السما فهي يومئذ واهية
اي ضعيفة لانشقاقها والملك يعني الملايكة على ارجايها يعني نواحيها
واقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملايكة على حافتها
حتى يامرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها ويحمل عرش ربك
فوقهم اي فوق روسهم يعني الحملة يومئذ اي يوم القيامة يعني ثمانية
املاك جا في الحديث انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة امرهم الله
باربعة اخرى فكانوا على صورة الاوعال بين فوس الجبل وروي السدي عن ابي مالك
قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلايق على ارجايها
يحمل اربعة من الملايكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد
ووجه ثور ووجه نسر قيام عليها قد احاطوا بالسموات والارض وروسهم تحت
العرش وعن عروة بن الزبير قال لحملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان
ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من
صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم
امية بن ابي الصلت في شي من الشعر فقال رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر
للاخرى وليث يرصد عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذن لي ان احدث عن ملك من ملايكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة
اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح عن العباس
ابن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا في
البطحا في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظر اليها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذا
السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان
قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد
ما بين السما والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما
قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة والعدد الذي فوقها

كذلك وكذلك حتى عد دهن سبع سموات كذلك ثم فوق السما السابعة بحر اعلاه
واسفله كما بين السما والارض وفوق ذلك العرش بين اعلاه واسفله مثل ما
بين السما الى السما والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود وزاد
في رواية وليس يخفى عليه من اعمال بني ادم شيء عن ابن مسعود ما بين السما
والارض مسيرة خمسماية عام وما بين كل سما وارض خمسماية عام وقصا
كل سما وارض خمسماية عام وما بين السما السابعة والكرسي خمسماية عام
وما بين الكرسي والما مسيرة خمسماية عام والعرش على الما والله على العرش
لا يخفى عليه شيء من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا
عن ابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب قال حملة العرش
قرون ما بين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسماية عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة
خمسماية عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسماية عام وعن عبد الله
ابن عمر قال والذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى موخر عينيه خمسماية
عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك بعد حلمك واربعة يقولون سبحانك اللهم
وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروي عن ابن عباس في قوله يومئذ
ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل **يومئذ
تعرضون** اي على الله للحساب **لا يخفى منكم خافية** اي فعلة خافية
والمعنى انه تعالى عالم بما عملوا لكم لا يخفى عليه شيء منها وان عرضكم يوم القيامة
عليه فقيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان
مخفيا في الدنيا فانه يظهر احوال الخلايق فالمحسنون يسرون باحسانهم
والمسيئون يحزنون باساتهم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال
ومعاذير واما العرضة الثالثة فتطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ
بشماله اخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث قيل ان الحسن لم يسمع من
ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى **فاما من اوتي** اي اعطى **كتابه بيمينه فيقول هاؤم** اي
تعالوا **اقرؤا كتابيه** والمعنى انه لما بلغ الغاية في السرور وعلم انه من
الناجين باعطا كتابه بيمينه احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له
وقيل يقول ذلك لاهله واقربائه **اني ظننت** اي علمت وايقنت وانما
اجري الظن مجرى العلم لان الظن في الغالب يقوم مقام العلم في العادات
والاحكام **اني ملاق حسابيه** اي في الاخرة والمعنى اني كنت في الدنيا
ايستيقن اني احاسب في الاخرة **فهو في عيشة راضية** اي في حالة من
العيش مرضية وذلك بانه لقي الثواب وامن من العقاب **في جنة عالية**

رقيعة

ولا نبا حلاوته اخرجه ابو داود عن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه
هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم اخر السورة
قوله تعالى **انا سنلقي عليك قولا ثقيلا** قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا
يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شيء له
خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى نصير نفسك مستعدة لقبوله يعني القول
العظيم لثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهي
فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد
والحلال والحرام والحدود والفرايض والاحكام وقيل ثقيل على المنافقين
لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة
ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا اي ليس بالخفيف
ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين
في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام مبين وهذا قول له وزن اذا
استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من
المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا يعني الوحي وذلك انه
صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه القران والوحي يجد له مشقة **ق** عن عايشة
رضي الله عنها ان الحرث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا
ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشده علي فيفصم عني وقد وعيت
ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عايشة
ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان
جبينه ليتفصد عرقا **م** عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له وجهه وفي رواية
كان اذا نزل عليه الوحي عرفنا ذلك في فيه وغمض عينيه وتربد وجهه
مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد اصله التابس من
الاشيا الصلبة كالجرس ونحوه قوله فيفصم عني ويفارقني وقد وعيت
ما قال اي حفظت وقولها ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم
من الفاصد قوله تربد وجهه التربد تغير الالوان غبرة مع سواد
وقوله تعالى **ان ناشئة الليل** اي ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة
لانها تنشى عن التي قبلها وقال ابن ابي مليكة سالت ابن عباس وابن الزبير
عنها فقالا الليل كله ناشئة وهو عبارة عن الامور التي تحدث وتنشا
في الليل وقالت عايشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هي قيام
اخر الليل وقيل اوله وقيل اي ساعة قام الانسان من الليل فقد نشا
وروي عن زين العابدين علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشا

ويقول ... ناشئة من الليل وقيل كل صلاة بعد عشا الاخرة فهي ناشئة
من الليل وقيل ناشئة الليل وطاوه **هي اشد وطا** قري بكسر الواو مع
المد بمعنى المواطاة والموافقة وذلك لان مواطاة القلب واللسان والسمع
والبصر يكون بالليل اكثر مما يكون بالنهار وقري وطا بفتح الواو
وسكون الطا اي اشد على المصلي واثقل من صلاة النهار لان الليل جعل
للنوم والراحة فكان قيامه على النفس اشد واثقل وقال ابن عباس كانت
صلاتهم اول الليل اشد وطا يقول هي اجدر ان تحصوا ما فرض الله عليهم
من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لا يدري متى يستيقظ وقيل اثبت
في الخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل هي اوطا للقيام واسهل على المصلي
من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة
بربها للعباد ولان الليل افرغ للقلب من النهار ولا يعرض له في الليل
حوايج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد من الريا وهو قوله
تعالى **واقوم قيلا** اي اصوب قراءة واصح قولا من النهار لهداة الناس
وسكون الاصوات وقيل معناه ابين قولا بالقران والحاصل ان عبادة
الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا وابعد عن الريا واكثر بركة وابلغ
في الثواب وادخل في القلوب **ان لك في النهار سبحا طويلا** اي تصرفا
وتقلبا واقبالا وادبارا في حوايجك واشتغالا لك وقيل فراغا وسعة
لنومك وتصرفك في حوايجك فصل من الليل **واذكر اسم ربك** اي بالتوحيد
والتعظيم والتقديس والتسبيح **وتبتل اليه تبتيلا** قال ابن عباس
اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى
تبتل نفسك واقطعها عن كل شي سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها
والتماس ما عند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد في العبادة
وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شي واقبل على العبادة قد تبتل اي انقطع
عن كل شي الا امر عبادة الله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان
تبتلا وهو يجي على مصدره قلت جا تبتيلا على بتل نفسك اليه تبتيلا
فوقع المصدر موقع مقارنه في المعنى ويكون التقدير وتبتل نفسك
اليه تبتلا وهو كقوله انبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل
نفسك فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل في تبتل
ان يقال تبتلت تبتيلا وتبتلت تبتلا فتبتيلا محمول على معنى
تبتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة
وهي ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف
لا يكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا
اليه لانه لا بد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكروا اولا التبتل لانه

المقصود

رفيعة **قطوفها دانية** اي ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قايما وقاعدا
ومضطجعا يقطعونها كيف شاؤا **كلوا** اي يقال لهم كلوا **واشربوا هنيا بما**
اسلفتم اي بما قدمتم لاخرتكم من الاعمال الصالحة **في الايام الخالية**
اي الماضية يريد ايام الدنيا **واما من اوتي كتابه بشماله** قيل تلوى يده اليسرى
خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف
ظهره ثم يعطى كتابه بها **فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه** وذلك لما نظر
في كتابه ورأى قبايح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يوت كتابه لما حصل
له من الخجل والافتضاح **ولم ادر ما حسابيه** ولم ادر اي شي حسابي لانه
لا طايل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له **يا ليتها كانت القاضية** يتمنى انه
لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية
من كل ما بعدها والقاطعة للحياة اي ما احيى بعدها قال قتادة تمنى
الموت ولم يكن شي عنده اكره اليه منه اي من الموت في الدنيا لانه راى تلك
الحالة اشنع وامر مما ذاقه من الموت **ما اغنى عني ماليه** اي لم يدفع عني
شيا من العذاب ومالكي من المال شيا **هلك عني سلطانيه** اي ضلت عني حجتي
التي كنت احتج بها في الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح
بالشرك وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلا
حقيرا **خذوه** يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه **فغلوه** اي اجمعوا
يده الى عنقه **ثم الجحيم صلوه** اي ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم
في الدنيا **ثم في سلسلة** وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة **ذرعها**
اي مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد وغيرها **سبعون**
ذراعا قال ابن عباس بذراع الملك وقال ابو نوف البكالي سبعون ذراعا
كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة
وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم اي ذراع هو
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السما
الى الارض وهي مسيرة خمسماية سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها
ارسلت من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل
ان تبلغ قعرها او اصلها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن الرصاص
الحصى الصغار وقوله مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة الجمجمة قدح
من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الراس وهو اشرف الاعضا وقال كعب
لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها وقوله تعالى **فاسلكوه** اي ادخلوه
فيها قال ابن عباس تدخل في حلقه وتخرج من دبره **انه كان لا يؤمن**
بالله العظيم اي لا يصدق بوحدانية الله وعظمته **ولا يحض على**

طعام

طعام المسكين اي ولا يحث نفسه على اطعام المسكين ولا يامر اهله بذلك
وفيه دليل على تعظيم الجرم في حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر
وجعله قرينة قال الحسن هذه الاية ادركت اقواما يقسمون على اهليهم
ان لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يامر اهله بتكثير المرقة لاجل المساكين
ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثاني بالاطعام
فليس له اليوم ههنا حميم اي ليس له في الاخرة قريب ينفعه او يشفع
له ولا طعام الا من غسلين يعني صديد اهل النار ماخوذ من الغسل كانه
غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر ياكله اهل النار لا ياكله الا الخاطئون
اي الكافرون قوله عز وجل فلا اقسم قيل ان لا صلة والمعنى اقسم وقيل
لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى
اقسم وقيل لا ههنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق
فيه كانه قال لا اقسم على ان القران قول رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى
عن القسم وقوله بما تبصرون وما لا تبصرون يعني بما ترون وتشاهدونه
وبما لا ترون ولا تشاهدون اقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات
والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والاخرة وقيل بما تبصرون يعني على ظهر
الارض وما لا تبصرون اي ما في بطنها وقيل ما تبصرون يعني الاجسام وما
لا تبصرون يعني الارواح وقيل ما تبصرون يعني الانس وما لا تبصرون يعني
الملائكة والجن وقيل ما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم
الباطنة وقيل ما تبصرون ما اظهره الله من مكنون غيبه للملائكة واللوح
والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استاثر الله بعلمه فلم يطلع عليه
احد من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى انه يعني القران لقول
رسول كريم يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول
كريم والقول الاول اصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا
بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو ان جمهور
الامة وهم اهل السنة مجمعون على ان القران كلام الله فكيف تصح اضافته
الى الرسول قلت اما اضافته الى الله تعالى لانه هو المتكلم به واما اضافته
الى الرسول لانه هو المبلغ عن الله تعالى ما اوحي اليه ولهذا اكده بقوله تنزيل
من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول
وانما اراد انه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وفي الرسول ما يدل على ذلك
فاكتفى فيه من ان يقول عن الله تعالى وما هو بقول شاعر يعني القران
ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه قليلا ما تؤمنون
اراد بالقليل ايمانهم اي اصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان القران من عند الله

تعالى

تعالى ولا بقول كاهن اي وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة
قليلا ما تذكرون يعني لا يتذكرون البتة تنزيل اي هو تنزيل يعني
القران من رب العالمين وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه
بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قوله تعالى ولو تقول
علينا اي اختلق علينا محمد بعض الاقاويل يعني واتى بشيء عند نفسه
لم نقله نحن ولم نوحه اليه لاخذنا منه باليمين اي لاخذناه بالقوة والقدرة
وانتقمنا منه باليمين اي بالحق وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة
وقال الشماخ يمدح عرابة باليمين ملك اليمن

• اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين •

اي بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شيء في ميامنه والمعنى لاخذنا
منه اليمين اي سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى
الاية لاذللناه واهناه كفعل السلطان بمن يريد ان يهينه يقول لبعض
اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر لانه اشرف العضوين
ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو حبل
الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه
وقيل هو عرق يتصل من القلب بالراس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه
بل المراد منه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك
اما بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه
فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول
الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته فما منكم من احد
عنه حاجزين اي ما منكم يحجزنا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلم الكذب
علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلمه لعاقبناه ولا يقدر احد على رفع عقوبتنا
عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو فعل واحد ردا على معناه وانه يعني
القران وذلك انه لما وصفه انه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى
النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال لتذكرة اي لعظة للمتقين اي
لمن اتقى عقاب الله وانا لنعلم ان منكم مكذبين فيه وعيد لمن كذب بالقران
وانه يعني القران لحسرة على الكافرين يعني يوم القيامة والمعنى انهم
يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من امن به وانه لحق اليقين
معناه انه حق يقين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه فسبح
باسم ربك العظيم اي نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك اهلا لايحائه
اليك والله اعلم

• تفسير سورة المعارج •

وتسمى سال سائل مكية وهي ثمان وعشرون اية ومائتان واربع وعشرون

كلمة وتسعماية وتسعة وعشرون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **سال سايل** قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول انه لغة في السؤال
والثاني انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من
اودية جهنم وقرئ سال سايل بالهمز من السوال **بعذاب** قيل البا بمعنى
عن عذاب **واقع** اي نازل وكاين وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله
تعالى مجيبا لذلك السوال **للكافرين** وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبي
صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو
سلوا عنه النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه فانزل الله تعالى سال سايل
بعذاب واقع للكافرين اي هو للكافرين واللام صلة ومعنى الاية وطلب
طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السايل هو النضر بن الحرث حيث دعا
على نفسه وسيل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فنزل
به ما سال فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس **ليس له دافع**
اي ان العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه او لم يطلبوه اما في الدنيا بالقتل
واما في الاخرة لان العذاب واقع بهم في الاخرة لا يدفعه عنهم دافع **من الله**
اي العذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع
يدفعه عنهم **ذي المعارج** قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لان
الملايكة تنزل فيها وهي ذي الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملايكة فيها
وقيل ذو الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهي تصل
الى الخلق على مراتب مختلفة **تعرج الملايكة والروح** يعني جبريل عليه السلام
وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملايكة لشرفه وفضل منزلته وقيل
ان الله تعالى اذا ذكر الملايكة في معرض التخويف والتهويل افرد الروح بالذكر
وهذا يقتضي ان الروح اعظم الملايكة **اليه** اي الى الله عز وجل **في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة** اي من سني الدنيا والمعنى انه لو صعد
غير الملك من بني ادم لما صعد من منتهى امر الله تعالى من اسفل الارض السابعة
الى منتهى امر الله تعالى من فوق السما السابعة لما صعد في اقل من خمسين
الف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة او اقل من ذلك وذكر ان
مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين الف
سنة وقيل ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة واراد
ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين الف سنة من سني
الدنيا وليس يعني ان مقدار طول ذلك اليوم خمسين الف سنة دون غيره
من الايام لان يوم القيامة له اول وليس له اخر لانه يوم ممدود لا اخر له ولو
كان له اخر كان منقطعا وهذا القول في حق الكفار دون المومنين قال ابن عباس
يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوي

بسنده

بسنده عن ابي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كان
فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
انه ليخفف على المومن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا
وقال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ
منه في خمسين الف سنة قال عطا ويفرغ الله تعالى في مقدار نصف يوم
من ايام الدنيا وقال الكلبي يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم
الملايكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين الف سنة
وانا افرغ منه في ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون
موطنا كل موطن الف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة وقيل معناه سال سايل بعذاب واقع في يوم
كان مقداره الف سنة وفيه تقديم وتاخير **فاصبر** اي يا محمد على تكذيبهم
اياك **صبرا جميلا** اي لا جزع فيه وهذا قبل ان يومر بالقتال ثم نسخ باية
السيف **انهم يرونه** اي العذاب **بعيدا** اي غير كاين **ونراه قريبا** اي
كاينا لا محالة لان كل ما هو ات قريب وقيل الضمير في يرونه بعيدا يعود
الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار
والاحالة ونحن نراه قريبا في قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه
يوم تكون السما كالمهل اي كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة ..
وتكون الجبال كالعهن اي الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من
الصوف لانها ذات الوان احمر وابيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بثت
الجبال وسيرت اشبهت العهن المنقوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف
الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا
منفوشا ثم تصير هبا منثورا **ولا يسال حميم حميما** اي لا يسال قريب
قريبه لشغله بشان نفسه والمعنى لا يسال الحميم حميمه كيف حالك
ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يساله الشفاعة اي لا
يساله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يساله في الدنيا وذلك
لشدة الامر وهو يوم القيامة **يبصرونهم** اي يرونهم وليس في القيامة
مخلوق من جن او انس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه
وقرابته فلا يساله ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال
ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل
يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يساله عن حاله لشغله بنفسه وقيل
يبصرونهم اي يعرفونهم اما المومن فيعرف ببياض وجهه واما الكافر
فيعرف بسواد وجهه **يود المجرم** اي يتمنى المشرك **لو يفتدي من عذاب
يومئذ** اي عذاب يوم القيامة **ببنيه وصاحبته** اي زوجته **واخيه**

وفصيلته اي عشيرته وقيل قبيلته وقيل اقرباءه الاقربين التي
تؤويه اي تضمه ويأوي إليها ومن في الارض جميعا يعني انه يتمنى لو ملك
هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدي بهم جميعا ثم ينجيه اي ذلك الفدا
من عذاب الله كلا اي لا ينجيه من عذاب الله شيء ثم ابتدا فقال تعالى انها
لظى يعني النار ولظى اسم من اسمايها وقيل الدركة الثانية من النار
سميت لظى لانها تتلظى اي تلتهب نزاعة للشوى يعني الاطراف كاليدين
والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها
لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم
دون العظام وقيل تاكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تاكله فذلك دابها
وقيل المكارم خلقه ومحاسن وجهه واطرافه تدعو يعني النار الى نفسها
من ادبر عن الايمان وتولى اي عن الحق فتقول له يا مشرك يا منافق
قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق باسمايهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم
كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو اي تعذب قال اعرابي لاخر دعاك الله
اي عذبك الله وجمع فاوعى يعني وتدعو من جمع المال في الوعا ولم يود
حق الله منه ان الانسان خلق هلوعا قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا
يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب
والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو
قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا يعني اذا اصابه
الفقر لم يصبر واذا اصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله
الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده باتفاق ما يحب
والصبر على ما يكره وقيل المراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه
ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى الا المصلين وهذا استثنا الجمع
من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع الذين هم على صلاتهم
دايمون يعني يقيمونها في اوقاتها وهي الفرايض فان قلت كيف قال
على صلاتهم دايمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم
عليها ان يواظبوا على اداها وان لا يتركوها في شيء من الاوقات وان لا
يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها يرجع الى الاهتمام
بحالها وهو ان ياتي بها العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل باموار
ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد
المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها
وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل واما الامور
المقارنة للصلاة فهو ان لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون
حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما

الامور

الامور الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن الريا والسمعة وخوفا ان لا يقبل
منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى في سوال قبولها وطلب الثواب
فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها
وهياتها وروى البغوي بسنده عن ابي الخير قال سألنا عقبة بن عامر
عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دايمون اهم الذين يصلون ابدا قال
لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه والذين في
اموالهم حق معلوم يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة
وقيل هي صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل على نفسه شيئا
من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في اوقات معلومة للسايل
والمحروم يعني الفقير المتعفف عن السوال فيحسب غنيا فيحرم
والذين يصدقون بيوم الدين اي يومنون بالبعث بعد الموت والحشر
والنشر والجزا يوم القيامة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
اي خايفون ثم اكد ذلك الخوف فقال تعالى ان عذاب ربهم غير مامون
يعني ان الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب
المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون وقع منه التقصير عن الجانبين
فلا جرم ينبغي ان يكون العبد بين الخوف والرجا وقوله تعالى والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاوليك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون تقدم تفسيره في سورة المومنون قوله والذين هم بشهاداتهم
قايمون اي يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه
الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيى
الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل اراد بالشهادة بان لا اله
الا الله وحده لا شريك له ولذا عطف عليها والذين هم على صلاتهم
يحافظون ثم ذكر ما اعده لهم فقال تعالى اوليك يعني من
هذه صفته في جنات مكرمون قوله تعالى فمال الذين كفروا
اي فما بالهم قبلك مهطعين اي مسرعين مقبلين اليك مادي اعناقهم
ومديمي النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا
يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزون به
ويكذبونه فقال تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا
ينتفعون بما يسمعون منك عن اليمين وعن الشمال عزين يعني انهم
كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزين جماعات
في تفرقة ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم قال ابن عباس
معناه ايطمع كل رجل منهم ان يدخل جنة نعيم كما يدخله المسلمون ويتنعمون

وقد كذب نبيي كلا اي لا يدخلها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون
اي من الاشيا المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه ابدا الناس
على انهم خلقوا من اصل واحد وشيي واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون
الجنة بالايمان والطاعة روي البغوي باسناد الثعلبي عن بشر بن جحاش قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها اصبعه فقال
يقول الله عز وجل يا ابن ادم اني يعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا
سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين وللارض منك وئيد وجمعت ومنعت
حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان الصدقة واخرجه ابن الجوزي
في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الاية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو
الامر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون
ولا نخلقهم كالبهايم بلا علم ولا عقل فلا اقسم يعني واقسم وقد تقدم
بيانه برب المشارق والمغارب يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه
وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم معناه
انا لقادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله وما نحن
بمسبوقين اي بمغلوبين عاجزين عن اهلاكهم وابدالكم بمن هو خير منكم
فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون نسختها اية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى
يوم يخرجون من الاجداث يعني القبور سراعا اي الى اجابة الداعي
كانهم الى نصب يعني الى شي منصوب كالعلم والراية ونحوه وقري بضم
النون والصاد وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها يوفضون اي يسرعون
ومعنى الاية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين اليه
كما كانوا يستبقون الى انصابهم ليستلموها خاشعة ابصارهم اي ذليلة
خاضعة ترهقهم ذلة اي يغشاهم هوان ذلك اليوم الذي كانوا
يوعدون يعني يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا والله
اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة نوح عليه السلام

مكية وهي ثمان وعشرون اية ومايتان واربعة وعشرون كلمة وتسعماية
وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان خوف قومك
وحذرهم من قبل ان ياتيهم عذاب اليم يعني الغرق بالطوفان والمعنى انا
ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يومنوا قال يا قوم اني لكم نذير مبين
اي انذركم وابين لكم ان اعبدوا الله اي وحدوه ولا تشركوا به
شيا واتقوه اي وخافوه بان تحفظوا انفسكم مما يوثمكم به واطيعون

اطيعون

كما ينقلب الرجل الى بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة قوله
تعالى قال نوح رب انهم عصوني اي لم يجيبوا دعوتي واتبعوا من لم يزده ماله
وولده الا خسارا يعني اتبع السفلة والفقرا القادة والروسا الذين
لم يزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الاخرة
ومكروا مكرا كبارا يعني كبيرا عظيما يقال كبيرا وكبارا بالتشديد
اشد واعظم في المبالغة والماكرون هم الروسا والقادة ومكرهم
احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش السفلة على اذاه
وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو
قولهم لا تذرن الهتكم وتعبدوا اله نوح قال ابن عباس في مكرهم
قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله وقالوا
يعني القادة للاتباع لا تذرن الهتكم لا تتركن عبادتها ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه اسما الهتهم وانما افردها
بالذكر وان كانت داخلة في جملة قوله ولا تذرن الهتكم لانهم كانت
لهم اصنام وهذه الخمسة المذكورة وهي اعظمها عندهم قال محمد بن كعب
هذه اسما قوم صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا وكان اتباع هولا
يقتدون بهم وياخذون بعدهم باخذهم بالعبادة فجاءهم ابليس وقال
لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا
ذلك ثم نشا قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا
يعبدونهم فابتدا عبادة الاوثان كان من ذلك من وسميت تلك
الصور بهذه الاسما لانهم صوروها على صورة اوليك القوم الصالحين
من المسلمين خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال صارت الاوثان التي
كانت تعبدهم قوم نوح في العرب بعد اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل
واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف
بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لال
ذي الكلاع اسما رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان
الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها
باسمايهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اوليك ونسخ العلم عبدت
الاوثان وروي عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وكلها
التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت
للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم
ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونايلة وهبل كانوا لاهل مكة
ولذلك سمت العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو
ذلك من الاسما وقد اضلوا كثيرا اي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس

وقد اضلوا كثيرا قوم نوح كثيرا من الناس **ولا تزد الظالمين الا ضلالا** لا
يعني ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعا عليهم وذلك
ان نوحا عليه السلام كان قد امتلا قلبه غضبا وغيظا فدعا عليهم فان قلت
كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه
قلت انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله انهم لا يومنون وهو قوله تعالى انه لن
يومن من قومك الا من قد امن وقيل انما اراد بالضلال الامر الدنيا وما يتعلق
بها لا في امر الاخرة **مما خطاياهم اغرقوا** اي بالطوفان **فادخلوا نارا**
اي في حالة واحدة وذلك في الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون
من جانب واستدل بعضهم بهذه الاية على صحة عذاب القبر وذلك لان
الفا تقتضي التعقيب في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على
انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكنه حمله على عذاب الاخرة
لانه يبطل دلالة الفا وقيل معناه انهم سيدخلون نارا في الاخرة فعبر
عن المستقبل بلفظ الماضي لصدق الوعد في ذلك والاول اصح **فلم يجدوا
لهم من دون الله انصارا** يعني ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله الذي نزل
بهم **وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا** يعني احدا
يدور في الارض فيذهب ويجي من الدوران وقيل اصله من الدار اي نازل
دار **انك ان تذرهم يضلوا عبادك** قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق
بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت
الكبير وينشا الصغير على ذلك **ولا يلدوا الا فاجرا كفارا** انما قال نوح هذا
حين اخرج الله كل مومن من اصلابهم وارحام نسايهم واعقم بعد ذلك ارحام
النسا وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة
وقيل بسبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لا يومنون ولا يلدون مومنا
فحينيذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبي
وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم قبل العذاب **رب اغفر لي** وذلك
انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الافضل
وقيل يحتمل انه حين دعا على الكفار انه انما دعا عليهم بسبب تاذيه
فكان ذلك الدعا عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب
حظ النفس ولانه ترك الاحتمال **ولوالدي** وكان اسم ابيه لمك بن
متوشلخ واسم امه سمحا بنت انوش وكانا مومنين وقيل لم يكن بين ادم ونوح
عليهما السلام من ابايه كافر وكان بينهما عشرة ابا **ولمن دخل بيتي
مومنا** اي داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي **وللمومنين والمومنات**
وهذا عام في كل مومن امن بالله وصدق الرسل وانما بدا بنفسه لانها اولى
بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق بدعايه من غيرهم

ثم

ثم عم جميع المومنين والمومنات ليكون ذلك ابلغ في الدعا **ولا تزد
الظالمين الا تبارا** يعني هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاه
فاهلكهم جميعا والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الجن

مكية وهي ثمان وعشرون اية وماتان وخمس وثمانون كلمة وثمانماية
وسبعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن** اختلف الناس قديما
وحديثا في ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم
جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من
الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل
والشرايع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل
الجن حيوان هوايي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست
باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها
خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة شديدة محبة للشرور
والافات ولا يعلم عدة انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية
لكن تجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلة في الحيز موصوفة بالطول
والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع
في بعض الاجسام اللطيفة الهوايية ان تكون مخالفة لساير انواع الاجسام
الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة او
شاقة يعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار
الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست
البنية شرطا للحياة وانه لا بد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال
الشاقة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وشذ قاويل المعتزلة من هذه
الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لا بد من صلابة
البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب
هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة
فصل واختلفت الرواية هل راى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فاثبته
ابن مسعود في ما رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم صحته في تفسير
في سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها
ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل
بين الشياطين وبين خبر السما وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين

الي قومهم فقالوا ما لكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب
قالوا وما ذاك الا من شيء قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا
ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فانطلقوا يضربون مشارق الارض
ومغاربها فمر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة
عامدين الي سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران
استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الي قومهم
فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك
بربنا احدا فانزل الله على نبيه قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن زاد في
رواية وانما اوحي اليه قول الجن اخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح
مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا
يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادفوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم
لم يعلم باستماعهم ولا يكلمهم انما اعلمه الله عز وجل بما اوحي اليه من قوله قل
اوحي الي انه استمع نفر من الجن واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن
اخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بان الجن والشياطين
موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقهم بحالهم
وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الي الانس والجن فمن دخل في دينه
فهو من المومنين ومعهم في الدنيا والاخرة والجنة ومن كذبه فهو من الشياطين
المعذبين المعذبين فيها والنار مستقره وهذا الحديث يقتضي ان الرجم
بالنجوم لم يكن قبل المبعث ذهب قوم الي انه كان قبل مبعثه وذهب اخرون
الي انه كان لكن زاد بهذا البعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين
هذا اخر كلام القرطبي والله اعلم عكاظ سويقة معروفة بقرب مكة
كان العرب يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية واول الاسلام وتهامة
كلما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوايها ومكة من تهامة
معدودة ونخلة وادي من اودية مكة قريب منها واما التفسير فقوله
سبحانه وتعالى قل اوحي الي امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه
واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو ايضا مبعوث الي الجن وتعلم قريش
ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القران عرفوا اعجازه فامنوا به استمع نفر
من الجن النفر ما بين الثلاثة الي العشرة وقيل كانوا تسعة من جن نصيبين
وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم **فقالوا** اي لما رجعوا
الي قومهم **انا سمعنا قرانا عجبا** قال ابن عباس رضي الله عنهما بليغا اي
ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته **يهدي الى الرشد** اي يدعو
الي الصواب يعني التوحيد والايمان **فامنا به** اي بالقران **ولن نشرك**

بربنا احدا اي ولن نعود الي ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان
اوليك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل
مجوسا ومشركين **وانه تعالى جد ربنا** اي جلال ربنا وعظمته ومنه قول انس
كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا اي عظم قدره وقيل الجد
الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى
غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل فعله وقيل
الاوه ونعماوه على خلقه وقيل علا ملك ربنا **ما اتخذ صاحبة ولا ولدا** اي
انه تعالى جلال ربنا وعظمته ان يتخذ صاحبة او ولدا لان الصاحبة
تتخذ للحاجة والولد للاستيناس به والله تعالى منزه عن كل نقص
وانه كان يقول سفيهنا يعني جاهلنا قيل هو ابليس **على الله شططا**
اي كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط هو
مجاوزة الحد في كل شيء **وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على
الله كذبا** اي كنا نظن ان الانس والجن صادقين في قولهم ان لله
صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما سمعنا القران
علمنا انهم قد كذبوا على الله قوله تعالى **وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن** وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا
سافر فامسى في ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفها
قومه فيبيت في امن وجوار منهم حتى يصبح روي البغوي باسناد الثعلبي
عن كردم بن ابي السايب الانصاري قال خرجت مع ابي الى المدينة
في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاوانا المبيت
الي راعي غنم فلما انتصف الليل جا ذيب فاخذ حملا من الغنم فوثب
الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان ارسله
فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله
صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
فزادوهم رهقا وذكر ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى
الاية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس
اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا
يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظما الجن
سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم
وانهم ظنوا يعني الجن **كما ظننتم** اي يا معشر الكفار من الانس
ان لن يبعث الله احدا يعني بعد الموت **وانا** يعني تقول الجن **لمسنا
السما** اي طلبنا بلوغ السما الدنيا واستماع كلام اهلها **فوجدناها
ملئت حرسا** يعني من الملايكة **شديدا وشهبا** اي من النجوم

وانا كنا نقعد منها اى من السما مقاعد للسمع يعنى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والان قد مليت المقاعد كلها فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمي به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملايكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السما يستمعون الوحي فاذا سمعوا كلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم يكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما يصلي بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث في الارض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك اصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم من الاستراق بالكلية وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض اى برمي الشهب ام اراد بهم ربهم رشدا ومعنى الاية لا ندري هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اراد بهم صلاحا وخيرا وانا منا الصالحون اي المومنون الخالصون ومنا دون ذلك اى دون الصالحين مرتبة وقيل المراد بهم غيرا الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون ويدخل فيهم الكافر وغيره كنا طرايق قددا اى جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهوا مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوا كاهوا الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجية والرافضة والخوارج وغير ذلك من اهل الاهوا فعلى هذا التفسير يكون معنى طرايق قددا سنصير طرايق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه وكنا في اختلاف احوالنا مثل الطرايق المختلفة وانا ظننا الظن معنا بمعنى العلم واليقين اي علمنا وايقنا ان لن نعجز الله في الارض اى لن نفوته ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اي ان طلبنا فلن نعجزه اين ما كنا وانا لما سمعنا الهدى امنا به اي لما سمعنا القران امنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا اى نقصانا من عمله وثوابه ولا رهقا يعنى ظلما وقيل مكروها يغشاه وانا منا المسلمون وهم الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنا القاسطون اي الجايرون العادلون عن

عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله ندا فمن اسلم فاوليك تحروا رشدا اى قصدوا طريق الحق وتوخوه واما القاسطون يعني الذين كفروا فكانوا لجهنم حطبا يعني وقودا للنار يوم القيامة فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الاية من لا يرى لمومني الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المومنين منهم قلت ليس فيه متمسك له وكفى بقوله فاوليك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعدل واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلنا وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيية وصاروا خلقا اخر والله تعالى قادر ان يعذب النار بالنار قوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنة لانعمنا عليهم وانما ذكر الما كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القران على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القران ولم يسلموا لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا الرزق عليهم لنفتنهم فيه وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وان استقاموا على الطريقة يعني كفار مكة اي الحق والايمان والهدى فكانوا مومنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو امنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الما الغدق مثلا لان الخير والرزق كله اصله من المطر قوله لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الاية لو استقاموا اي لو ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا بها فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهي طريقة الهدى والقول بان الاية في الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر ومن يعرض عن ذكر ربه اي عن عبادة ربه نسلكه اي ندخله عذابا صعدا قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة قوله تعالى وان المساجد لله يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنايس والبيع التي لليهود والنصارى فلا تدعوا مع الله احدا قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله عز وجل المومنين

ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت وان المساجد لله وروي عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضا التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضا التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجد عليها لغيره م عن العباس بن عبد المطلب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وجهه ويداه وكفاه وركبتاه وقدماه الاراب الاعضا ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعضا وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والقدمين والركبتين وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعضا على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكفف الثياب ولا الشعر كفت الشعر عقصه وغرز طرفه في اعلى الظفيرة وقد نهي عن ذلك قوله عز وجل وانه لما قام عبد الله يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه يعني يعبد الله ويقرا القران وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة كادوا يعني الجن يكونون عليه لبدا يعني يركب بعضهم بعضا ويزدحمون عليه حرصا على استماع القران قاله ابن عباس وعنه ايضا ان هذا من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الاية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه واصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل يعني في الامر انما ادعوا ربي وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جيت بشي عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر على ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق اليكم رشدا وانما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد اي لن يمنعني من احد ان عصيته ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا الجا اليه وقيل حرزا احترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه الا بلاغا من الله ورسالاته اي ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل الا بلاغا

من الله

من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا لكن ابلغ بلاغا عن الله تعالى فانما انا مرسل لا املك الا ما ملكت ومن يعص الله ورسوله يعني ولم يؤمن فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون يعني العذاب يوم القيامة فسيعلمون اي عند نزول العذاب من اضعف ناصرا واقل عددا اهم ام المؤمنون قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون يعني العذاب وقيل يوم القيامة ام يجعل له ربي امدا اي اجلا وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل عالم الغيب اي هو عالم ما غاب عن العباد فلا يظهر اي فلا يطلع على غيبه احدا اي الغيب الذي يعلمه وانفرد به احدا اي من الناس ثم استثنى فقال الا من ارتضى من رسول يعني الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهر على من يشا من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر عن المغيبات فيكون ذلك معجزة له واية دالة على نبوته قال الزمخشري وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اوليا مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شي من الرضى وادخله في السخط قال الواحدي وفي هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حياة او موت ونحو ذلك فقد كفر بما في القران فاما الزمخشري فانكر كرامات الاوليا جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق الواحدي وغيره من المفسرين في ابطال الكهانة والتنجيم قال الفخر الدين والسنة الاية في الصورتين واحدة فان جعل الله الاية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغي ان تكون دالة على المنع من الكرامات قال وعندي ان الاية لا دلالة فيها على شي من ذلك والذي يدل عليه ان قوله فلا يظهر على غيبه احدا ليس فيه صيغة عموم فيكفي العمل بمقتضاه ان لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الاية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى في الاية دلالة على انه لا يظهر شيئا من الغيوب لاحد ثم ذكر انه يجوز ان يطلع الله على شي من المغيبات غير الرسل كالكهانة وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي ينبغي ان مذهب اهل السنة اثبات كرامات الاوليا خلافا للمعتزلة فانه يجوز ان يلهم الله بعض اوليايه وقوع بعض الوقايع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة هذا ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبيا وان يكن في امتي احد فانه عمر اخرجه البخاري قال ابن وهب

تفسير محدثون ملهمون والمسلم عن عايشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الامم قبلكم محدثون فان لم يكن
في امتي منهم احد فان عمر بن الخطاب منهم وفي هذا اثبات كرامات الاولياء ولا
يقال لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم عن غيرها
ولانسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة
النبي وكرامة الولي ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون
بالتحدي ولا يجوز للولي ان يدعي خرق العادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي
لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولي
امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبي
لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم تكن
نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه واما الكاهن فليس بمتبع للرسول
وقد استد باب الكهانة ببعث النبي صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على
غيب فقد كفر بما جاء به القران وكذلك حكم المنجم والله تعالى اعلم وقوله
تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه اي من بين يدي الرسول ومن
خلفه وذكرا ليعض دالا على جميع الجهات رصدا اي حفظة من الملايكة
يحفظونه من الشيطان ان يسترقوا السمع من الملايكة ويحفظونه من
الجن ان يسمعوا الوحي فيلقوه الى الكهانة فيخبروا به قبل الرسول وقيل
ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك فيبعث الله
من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملايكة يحرسونه ويطردون الشيطان
عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره وان
جاءك ملك قالوا هذا رسول ربك ليعلم اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم
ان اي ان جبريل بلغ رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله
قد ابلغوا رسالات ربهم وان الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم
الله ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيجب
فيه الثواب واحاط بما لديهم اي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شي
من امورهم واحصى كل شي عددا قال ابن عباس احصى ما خلق وعرف ما خلق
لم يفته شي حتى مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة المزمل

مكية قيل غير ايتين منها وهما قوله واصبر على ما يقولون وقيل غير
ذلك وهي ان ربك يعلم انك تقوم وهي عشرون اية ومايتان وخمس وثمانون
كلمة وثمانماية وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل يا ايها المزمل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصله

المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف قال المفسرون كان النبي
صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه اول ما جاءه جبريل فرقا منه فكان
يقول زملوني زملوني حتى انس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس
ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة حاملها
والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب
بالنبي والرسول لانه كان في اول الامر ومبدايه ثم خوطب بالنبي والرسول
بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في ثوبه فنودي
يا ايها المزمل قم الليل اي للصلاة والعبادة والمراد هذه الحالة واشتغل
بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة في ابتداء الاسلام
الا قليلا اي صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر
القيام فقال تعالى نصفه اي ثم نصف الليل او انقص منه قليلا
اي الى الثلث او زد عليه اي على النصف الى الثلثين خيره بين هذه
المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير
وكان الرجل منهم لا يدري متى ثلث الليل او متى نصفه او متى ثلثاه فكان
يقوم كله حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم
حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله فاقروا
ما تيسر منه قيل ليس في القران سورة نسخ اخرها اولها الا هذه السورة
وكان بين نزول اولها ونزول اخرها سنة وقيل ستة عشر سنة وكان قيام
الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك في حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت فريضته
على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك م
عن سعيد بن هشام قال انطلقت الى عايشة فقلت يا ام المومنين اخبريني
عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا القران قلت
بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القران قلت فقيام رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ام المومنين قالت الست تقرا المزمل قلت بلى
قالت فان الله افترض القيام في اول هذه السورة فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها
اثني عشر شهرا في السما ثم انزل التخفيف في اخر هذه السورة فصار قيام
الليل تطوعا بعد فريضة وقوله تعالى ورتل القران ترتيلا قال
ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقراه على هينتك ثلاث ايات واربعا
او خمسا وقيل الترتيل التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين
القراءة حرفا حرفا اثره في اثر بعض بالمد والاشباع والتخفيف وترتيلا
تاكيد في الامر به وانه لا بد للقاري منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام
الليل اتبعه بترتيل القراءة حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتامل

والفكر في حقايق الايات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله يستشعر
بقلبه عظمة المشهود وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجا والخوف
وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك
بنور المعرفة والاسراع في القراءة ولا يحصل فيها ذلك لان المقصود من
الترتيل انما هو حضور القلب فصل خ عن قتادة قال سئل انس
كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرا
بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم
عن ام سلمة رضي الله عنها وقد سألها يعلي بن مالك عن قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا
هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائي وللترمذي قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين
ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول ملك يوم الدين ثم يقف وفي
رواية لابي داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين يقطع قراءته اية اية
ق عن عبد الله بن مغفل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة على ناقته يقرا سورة الفتح فرجع في قراءته ق عن ابي وايل
شقيق بن سلمة قال جا رجل الى ابن مسعود فقال اني لاقرا المفصل في ركعة
فقال عبد الله هذا كهذ الشعر ان اقواما يقرون القران لا يجاوز تراقيهم
ولكن اذا وقع في القلب فرسخ نفع ان افضل الصلاة الركوع والسجود اني
لاعرف النظاير التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن
سورتين في كل ركعة وفي رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ
سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لا يجاوز
تراقيهم التراقي جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق
وعند مخرج الصوت والنظاير جمع نظير وهي الشبه والمثل عن عايشة
رضي الله عنها قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم باية من القران اخرجه الترمذي
وللنسائي عن ابي ذر نحوه وزادوا الاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر
وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقروا قبل ان يقراه اقوام يقيمونه
كما يقام السهم يتعجل قراءته ولا يتاجله اخرجه ابو داود وزاد غيره
في رواية لا يجاوز تراقيهم عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا القران وفينا العربي والعجمي
فقال اقرا وكل حسن وسيجي اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه

ولا

المقصود وذكر التبتيل اشعارا بانه لا بد منه رب المشرق والمغرب
يعني ان التبتل والانقطاع لا يليق الا الى الله تعالى الذي هو رب
المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا اي فوض امرك الى الله
وتوكل عليه وقيل معناه اتخذه يا محمد كفيلا بما وعدك من النصر على
الاعدا واصبر على ما يقولون اي من التكذيب لك والاذى واهجرهم
هجرا جميلا اي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الاية
منسوخة باية القتال وذرني والمكذبين اي دعني ومن كذبك
لا تهتم به فاني اكفيك هو اولي النعمة اي اصحاب التنعم والترفه نزلت
في صناديد قريش المستهزيين وقيل نزلت في المطعمين يوم بدر ومهلهم
قليلا يعني الى يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل اراد
بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال ان لدينا اي عندنا في
الاخرة انكالا يعني قيودا عظاما ثقالا لا تنفك ابدا وقيل اغلالا
من حديد وجحيما وطعاما ذا غصة اي غير سايغ في الحلق لا ينزل ولا
يخرج وهو الزقوم والضريع وعذابا اليما اي وجيعا يوم ترجف الارض
والجبال اي تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة وكانت الجبال كثيبا
مهيلا يعني رملا سايلا وهو الذي اذا اخذت منه شيا تبعك ما
بعده انا ارسلنا اليكم يعني يا اهل مكة رسولا يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم شاهدا عليكم اي بالتبليغ وايمان من امن منكم وكفر من
كفر كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى بن عمران عليه السلام قيل
انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين ساير الامم والرسل لان محمدا
صلى الله عليه وسلم اذوه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون
ازدرى بموسى واذاه لانه رباه فعصى فرعون الرسول فاخذناه يعني
فرعون اخذا وبيلا اي شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة
يخوف بذلك كفار مكة ثم خوف كفار مكة يوم القيامة فقال تعالى
فكيف تتقون ان كفرتم اي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة اي في
الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معنى
فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وباي شي تتحصنون من عذاب
ذلك اليوم وكيف تنجون منه اذا كفرتم في الدنيا يوما يجعل الولدان
شيبا يعني شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين
يقال لادم عليه السلام قم فابعث بعثا الى النار من ذريتك ق عن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ادم فيقول لبيك وسعديك زاد
في رواية والخير بيديك فينادي بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك

بعثا الي النار قال يارب وما بعث النار قال من كل الف تسعماية وتسعة
وتسعون فحينيذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس
سكاري وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس
حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من ياجوج وماجوج تسعماية وتسعة
وتسعون ومنكم واحد ثم قال انتم في الناس كالشعرة السودا
في جنب الثور الابيض او كالشعرة البيضا في جنب الثور الاسود وفي
رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا
ثم قال ثلث اهل الجنة ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا اما ما يتعلق
بمعنى الحديث فقوله ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار فمعناه ميز اهل
الجنة من اهل النار واما الرقمة بفتح الرا وسكون القاف هي الاثرة
في باطن عضد الحمار وقوله اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة وثلث اهل
الجنة وشطر اهل الجنة ففيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم
ربع اهل الجنة اولا ثم الثلث ثم الشطر فلفايدة حسنة وهي ان ذلك
اوقع في نفوسهم وابلغ في اكرامهم فان اعطا الانسان مرة بعد مرة
يدل على الاعتنا به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد
اخرى وفيه ايضا حملهم على شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم
لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها اما ما يتعلق بمعنى الاية الكريمة
والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا
وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الاول انه
عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره
الثاني انه في القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة
ليس فيها شيب وانما هو مثل في شدة الامور وهوله يقال في اليوم
الشديد يوم تشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم
والاحزان اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبي •
• والهم يخترم الجسيم نحافة • ويشيب ناصية الصبي ويهرم • •
فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوا الشيب كناية
عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا
حقيقة لان الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك
اليوم بالطول بيلغون من الشيوخة **السما منفطر به** وصف اليوم
بالشدة ايضا وان السما مع عظمتها تنفطر وتنشق فما ظنك بغيرها
من الخلايق وقيل تنشق لنزول الملايكة وقيل به اي بذلك المكان وقيل
انها ترجع الي الرب سبحانه وتعالي اي بامره وهيبته **كان وعده مفعولا**

اي كاينا

اي كاينا لا محالة فيه ولا خلف **ان هذه** اي ايات القران **تذكرة** اي موعظة
يتذكر فيه **فمن شا اتخذ الي ربه سبيلا** اي بالايمان والطاعة قوله تعالى
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل من ثلثي الليل
ونصفه وثلثه اي وتقوم نصفه وثلثه **وطايفة من الذين معك**
يعني المومنين وكانوا يقومون من الليل **والله يقدر الليل والنهار** يعني
المعالم بمقادير الليل والنهار واجزايهما وساعاتهما هو الله تعالى لا
يفوته علم ما يفعلون فيعلم القدر الذي يقومون من الليل والذي
ينامون فيه **علم ان لن تحصوه** يعني ان لن تطيقوا معرفته على الحقيقة
وقيل قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوه
وقيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر الله به من
القيام فقال تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك
فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفى عنكم
ما لم تحيطوا بعلمه ودفع المشقة عنكم **فاقروا ما تيسر من القران**
فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراة القراة في الصلاة وذلك
لان القراة احد اجزا الصلاة فاطلق اسم الجزو على الكل والمعنى فصلوا
ما تيسر عليكم وقال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشا قال قيس بن
ابي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرا في اول ركعة بالحمد واول
اية من البقرة ثم قام في الثانية فقرا بالحمد والاية الثانية من البقرة
ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا بوجهه فقال ان الله تعالي يقول فاقروا
ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك
ايضا بالصلوات الخمس وذلك في حق الامة وثبت قيام الليل في حقه
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول
الثاني ان المراد بقوله فاقروا ما تيسر من القران دراسته وتحصيل
حفظه وان لا يعرض للنسيان فقيل يقرا ما اية ونحوها وقيل
بل قراة السورة القصيرة كافية روى البغوي باسناده عن انس
رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا خمسين
اية في يوم او ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا ماية اية كتب من
القانتين ومن قرا مايتي اية لم يحاججه القران يوم القيامة ومن
قرا خمسماية اية كتب الله له قنطارا من الاجر وذكره الشيخ محيي الدين
في كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال في رواية من قرا اربعين اية
بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا عشر ايات لم يكتب من
الغافلين **ق** عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال لي

رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يا رسول الله ولم أرد بذلك إلا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقرأ القرآن في كل شهر قال قلت بلى يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في كل عشر قال قلت بلى يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال علم أن سيكون منكم مرضى يعني أن المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف الله عنه لأجل ضعفه وعجزه عنه وآخرون يضربون في الأرض يعني المسافرين للتجارة يبتغون من فضل الله أي يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة وآخرون يقاتلون في سبيل الله يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لأن المجاهد والمسافر مشتغل في النهار بالأعمال الشاقة فلو لم يتم بالليل لتوالت عليه أسباب المشقة عليهم فخفف الله عنهم لذلك روي عن ابن مسعود قال أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه أي من القرآن وإنما أعاده للتأكيد وأقيموا الصلاة يعني المفروضة وآتوا الزكاة أي الواجبة وأقرضوا الله قرضا حسنا قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بأن يخرجها على أحسن وجه من كسب طيب ومن أكثر الأموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والإخلاص وابتغاء مرضات الله تعالى بما يخرج والصرف إلى المستحق وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله أي ثوابه وأجره هو خيرا وأعظم أجرا يعني أن الذي قدمتم لأنفسكم خير من الذي أخرتموه ولم تقدموه وروى البغوي بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر واستغفروا الله أي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل إن الله غفور رحيم أي لجميع الذنوب والله أعلم

تفسير سورة المدثر

مكية قيل عشر آية من آخرها وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا أيها المدثر وعن يحيى بن كثير قال سألت أبا سلمة عن

عبد الرحمن

عبد الله عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه فإذا هو قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل فأخذتني رجفة شديدة ق عن جابر رضي الله عنه من رواية الزهري عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر إلى والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلي وذكره وفيه قال أبو سلمة الرجز الأوثان قال ثم حمي الوحي وتتابع فإن قلت دل هذا الحديث على أن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في الصحيحين أيضا في بدء الوحي وسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وفيه فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذي عليه جمهور العلماء أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة ومن قال إن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن فضعيف لا يعتد به وإنما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ويدل عليه أيضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر ويدل عليه أيضا قوله فإذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر وأيضا قوله ثم حمي الوحي وتتابع فالصواب أن أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله أعلم قوله فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة

ثم ثا مثلثة ساكنة ثم تا الضمير وروي جثثت بثاين مثلثتين بعد الجيم ومعناه فزعت
منه وفزعت وقوله وحمي الوحي وتتابع اي كثر نزوله وازداد بعد فترته
من قولهم حميت الشمس والنهار اذا ازداد حرهما وقوله فصبوا علي الماء فيه
انه ينبغي لمن فزع ان يصب عليه الماء حتى يسكن فزعه والله اعلم واما
التفسير فقوله عز وجل يا ايها المدثر اصله المتدثر وهو الذي يتدثر
في ثيابه ليستدفي بها واجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما
سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل يا ايها المدثر بدثار
النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار
واللباس مجازا **قم فانذر** اي حذرهم من عذاب ربك ان لم يومنوا والمعنى
قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذي
تحملته **وربك فكبر** اي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان **وثيابك
فطهر** فيه اربعة اوجه احدها ان ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والثاني
ان ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث ان ينزل
لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع ان ينزل لفظ الثياب
والتطهير على المجاز اما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات
والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فامر صلى الله
عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسة وغيرها خلافا للمشركين الوجه الثاني
معناه وثيابك فقصر وذلك ان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون
اذيالهم على النجاسات وفي الثوب الطويل من الخيلا والكبر والفخر ما ليس
في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب وامره بتقصيره لذلك وقيل معناه
وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب
طيب الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة

• وشككت بالرمح الاصم ثيابه •• ليس الكريم على القنا بمحرم •

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرها وكنى
بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير
على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك
فحسن وسيل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية
ولا غدر اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي •

• واني بحمد الله لا ثوب فاجر •• لبست ولا من غدرة اتقنع •

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفا هو طاهر الثياب وتقول
لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب في ذلك ان الثوب كالشي الملازم للانسان
فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره
وقيل من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى **والرجز فاهجر** يعني اترك الاوثان

ولا

ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كلما اوجب
لك العذاب من الاعمال والاقوال **ولا تمنن تستكثر** يعني لا تعط مالك
مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين وهذا النهي مختص
بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى
شيا لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد وان يتواضع لذلك الذي اعطاه
ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره
من الامة ذلك كما قيل هما رباان حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها
الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل
معناه لا تعط شيا للمجازاة الدنيا اعط لله واردبه وجه الله وقيل معناه
لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثرن عملك في عينك فانه مما
انعم الله به عليك واعطاك قليلا وقيل معناه لا تمنن على اصحابك بما
تعلمهم من امر الدين وتبلغهم من الوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا
تمنن عليهم بنبوتك فتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به وقيل معناه لا
تمنن لا تضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس بما
تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل
ولربك فاصبر اي على طاعته واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله
تعالى وقيل معناه فاصبر لله على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت
امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل
معناه فاصبر تحت موارد القضا لاجل الله **فاذا نقر في الناقور** اي
نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وهي النفخة الاولى
وقيل الثانية وهو الاصح **فذلك يومئذ** يعني يوم النفخة وهو
يوم القيامة **يوم عسير** اي شديد **على الكافرين** يعني يعسر
عليهم في ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمايلهم وتسود وجوههم
غير يسير اي هين فان قلت ما فايدة قوله غير يسير وعسير مغن
عنه قلت فايدة التكرار للتاكيد كقوله انا محب لك غير مبغض
وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المومنين
بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين ••
وبشارة المومنين قوله تعالى **ذرني ومن خلقت وحيدا** اي خلقته
في بطن امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي
لم يشاركني في خلقه احد والمعنى ذرني واياه فانا اكفيك هو نزلت هذه
الاية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه **وجعلت
له مالا ممدودا** اي كثيرا يمد بعضه بعضا دايما غير منقطع وقيل
ما يمد بالنما كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان

الف دينار وقيل اربعة الاف درهم وقيل الف الف وقال ابن عباس تسعة الاف
مثقال فضة وعنه كان له بمكة والطايف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة
وعبيد وجواري وقيل كان له بستان بالطايف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا
وقيل كان له بستان بالطايف غلة شهر بشهر **وبنين شهودا** اي حضورا
بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب
وقيل معنى شهودا اي رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا
عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وعمارة وهشام والعاص وقيس
وعبد شمس وخالد بن اسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة **ومهدت
له تمهيدا** اي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض
والرياسة في قومه وكان الوليد من اكابر قريش **ثم يطمع** اي يرجوا **ان
ازيد** اي ازيده مالا وولدا وتمهيدا **كلا** اي لا افعل ولا ازيده قالوا
فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان ماله وولده حتى هلك
انه كان لاياتنا عنيدا اي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلايل
التوحيد والقدرة والبعث والنبوة وكان منازعا منكرا للكل وقيل
كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو
اقبح الكفر وافحشه **سارهقه صعودا** يعني سأكلفه مشقة من العذاب
لا راحة له فيها وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصعود عقبة من النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوي فيها
سبعين خريفا فهو كذلك ابدا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
سارهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده
ذابت فاذا رفعها عادت قال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف
الكافر ان يصعدها بسلاسل الحديد يجذب من امامه لا يبلغ يتنفس
في صعوده ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في اربعين
عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها يجذب من
امامه ويضرب من خلفه فذلك دابه ابدا قوله عز وجل **انه فكر وقدر**
اي فكر في الامر الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاما وهياه
لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اي وقدر ذلك الكلام في قلبه
وذلك ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد
يصلي والوليد بن المغيرة قريبا منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم
لاستماعه اعاد قراءة الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بني
مخزوم فقال والله لقد سمعت محمدا يقرا كلاما ما هو من كلام البشر ولا

من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد
وليصبون قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى
جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي فقال وما
يمنعني ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك
ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة
لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش اني من اكثرهم
مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام
ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون
فهل رايتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه
قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه ينطق بشعر
قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا
لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت
قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر اما رايتموه
يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك
قوله عز وجل انه فكر اي في امر محمد والقران وقدر في نفسه ماذا يمكنه
ان يقول في محمد والقران **فقتل كيف قدر** اي عذب وقيل لعن كيف قدر
وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ **ثم قتل كيف قدر** كرره للتاكيد
وقيل معناه لعن على اي حال قدر من الكلام **ثم نظر** اي في طلب ما يدفع
به القران ويرده **ثم عبس وبسر** اي كلح وكره وجهه كالمهتم المتفكر في شيء
يريده **ثم ادبر** اي عن الايمان **واستكبر** اي حين دعي اليه **فقال ان هذا**
اي الذي يقوله محمد ويقروه **الا سحر يؤثر** يروى ويحكى عن السحرة **ان
هذا الا قول البشر** يعني يسارا وجبرا فهو يوثره عنهما قال الله تعالى
ساصليه اي سادخله **سقر** وهو اسم من اسماء جهنم وقيل اخر دركاتها
وما ادراك ما سقر وما اعلمك اي شيء هي سقر وانما ذكره على سبيل
التهويل والتعظيم لامرها **لا تبقي ولا تذر** قيل هما بمعنى كما تقول
صد عني واعرض عني وقيل لا بد من الفرق والا لزم التكرار فقيل معناه
لا تبقي لاحد من المستحقين للعذاب الا اخذته ثم لا تذر من لحومهم وليس
شيئا الا اكلته واهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيى اي لا تبقي من فيها حيا
ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لا تبقي لهم لحما
ولا تذر لهم عظما وقيل لكل شيء ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة
فهي لا تبقي عليهم ولا تذرهم **لواحة للبشر** جمع بشرة اي مغيرة للجلد حتى
يجعله اسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه اشد سوادا من الليل وقال

ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا **عليها تسعة عشر**
اي على النار تسعة عشر من الملايكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في
الاثر ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم
ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين
الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة
الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه
الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع من ابن ابي كبشة يخبر ان خزنة
النار تسعة عشر وانتم الدهم يعني الشجعان فيعجز كل عشرة منكم ان يبطش
بواحد منهم يعني خزنة جهنم فقال ابو الاسود بن الاسود كلدة بن خلف الجمحي
انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني انتم
اثنان ويروى عنه انه قال انا امشي بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي
الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فانزل الله تعالى
وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة يعني لا رجالا ادميين فمن ذا يغلب الملايكة
وانما جعلهم ملايكة ليكونوا من غير جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية
مظنة الرافة والرحمة **وما جعلنا عدتهم** اي عددهم في القلة **الا فتنة
للذين كفروا** اي ضلالة لهم حين قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هو قولهم لم لم يكونوا
عشرين وما الحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم قولهم كيف يقدر
هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار واجيب عن قولهم لم لم يكونوا
عشرين بان افعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية
بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر ان العدد
يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان الاحاد اقل الاعداد واكثرها
تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع اقل الكثير واكثر
القليل لهذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر
واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار
وذلك بان الله جل جلاله يعطي هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون
على ذلك بكمال قدرة الله وانه على كل شيء قدير وان احوال القيامة على خلاف
احوال الدنيا فزال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية **ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب** يعني ان هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل وانهم
تسعة عشر **ويزداد الذين امنوا ايمانا** يعني من امن من اهل الكتاب
يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان العدد كان موجودا
في كتابهم واخبر به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة
وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحي السماوي فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا
بمحمد صلى الله عليه وسلم **ولا يرتاب** اي ولا يشك **الذين اوتوا الكتاب**

والمؤمنون يعني في عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل
على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك ابلغ واكد
لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين
من اهل الكفر والنفاق **وليقول الذين في قلوبهم مرض** اي شك ونفاق
والكافرون اي مشركي مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول
الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان
في علم الله تعالى ان النفاق يحدث فاخبر الله عما سيكون وهو كساير الاخبار
بالغيوب فعلى هذا تصير الاية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار
عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم
مرض اهل مكة لان منهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب **ماذا اراد الله
بهذا مثلا** يعني اي شيء اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه
استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم
بهذا العدد واستبعادا له والمعنى اي غرض قصد في جعل الملايكة تسعة عشر
لا عشرين ومرادهم بذلك انكاره من اصله وانه ليس من عند الله فلهذا
سموه مثلا **كذلك** اي كما اضل من انكر عدد الخزنة وهدى من صدق به
كذلك **يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء** لان الله تعالى اليه الهداية
والاضلال **وما يعلم جنود ربك الا هو** هذا جواب لابي جهل حين قال
اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان
وجنود من الملايكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب اهل النار
وقيل كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية
وما هي يعني النار **الا ذكرى للبشر** اي الا تذكرة وموعظة للناس وقيل
وما هي يعني ايات القران ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها **كلا** اي
لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفي
اصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا **والقمر والليل اذ ادبر** اي ولى
ذاهبا وقيل دبر بمعنى اقبل تقول العرب دبر فلان اي جاء خلفي فالليل
ياتي خلف النهار **والصبح اذا اسفر** اي اضاء وتبين وهذا قسم جوابه **انها
لاحدى الكبر** يعني ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر
دركات النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم
والهاوية **نذيرا للبشر** قيل يحتمل ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى
ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما انذر بشيء ادهى من النار وقيل
يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها وقيل
هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر اي يتقدم في الخير والطاعة او يتاخر عنها

فيقع في الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن امن وكفر وقد تمسك بهذه الاية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه واجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر كل نفس بما كسبت رهينة اي مرتهنة في النار بكسبها وماخوذة بعملها الا اصحاب اليمين فانهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي عليه واختلفوا في اصحاب اليمين من هم فقيل هم المومنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين ادم يوم اخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هولاء في الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملايكة في جنات اي هم في جنات يتساءلون عن المجرمين اي يتساءلون المجرمين وعن صلة فيقولون لهم ما سلككم في سقر وقيل هذا يقوي قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التي توجب النار وقيل معناه يسال بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم يقول المسيولون للسايلين قلنا للمجرمين ما سلككم اي ادخلكم وقيل ما حبسكم في سقر وقيل هذا سوال توبيخ وتقريع فقالوا مجيبين لهم لم نك من المصلين اي لله في الدنيا ولم نك نطعم المسكين اي لم نتصدق عليه وكنا نخوض مع الخايضين اي في الباطل وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة حتى اتانا اليقين يعني الموت قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود تشفع الملايكة والنبيون والشهدا والصالحون وجميع المومنين فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلى قالوا لم نك من المصلين الاية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل احد دون هولاء الذين تسمعون روى البغوي بسنده عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان ما تريد فيقول اما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ما تريد فيقول اما تذكر رجلا وهب لك وضوا يوم كذا وكذا فيقول نعم وانك

لانت

لانت هو فيقول نعم فيشفع فيه فما لهم عن التذكرة معرضين اي عن مواعظ القران كانهم حمر جمع حمار مستنفرة قرئ بالكسر اي نافرة وقرئ بالفتح اي منفرة مذعورة محمولة على النفار فرت من قسورة قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد لها من لفظه وهو رواية عن ابن عباس وعنه انها القناص وعنه قال هي حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال اقويا وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم واصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال ابو هريرة هي الاسد وذلك لان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هولاء المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرا القران هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة والبله وذلك انه لا يرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت من شي بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله نومر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرايل كان يصبح وعند راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك كلا اي لا يوتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات بل لا يخافون الاخرة اي لا يخافون عذاب الاخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الايات بعد قيام الادلة لانها لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت كلا اي حقا انه تذكرة يعني انه موعظة عظيمة فمن شاء ذكره اي اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه وما يذكرون الا ان يشاء الله اي الا ان يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا هو اهل التقوى واهل المغفرة اي هو حقيق بان تتقيه عباده ويخافوا عقابه فيومنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان تتقى محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه عن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب وفي اسناده سهيل بن عبد الله القطعي وليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به ثابت بن يونس والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القيامة

مكية وهي اربعون اية ومايه وتسع وتسعون كلمة وستماية واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل لا اقسم بيوم القيامة اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا

في لفظ لا فقيل ادخال لفظ لا على القسم مستفيض في كلام العرب واشعارهم قال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامري ۞ لا يدعي القوم اني افر ۞

قالوا وفايدتها تاكيد القسم كقولك لا والله ما ذاك كما تقول يريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ في الرد مع اثباتها وقيل انها صلة كقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون وفيه ضعف لانها لا تزاد الا وسط الكلام لا في اوله واجيب عنه بان القران في حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض بدليل عليه قوله قد يجي ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة اخرى كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة ن والقلم ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القران في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فقيل غير جايز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث اي ليس الامر كما زعموا ثم ابتدا فقال اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لا هي للنفي والمعنى في ذلك كانه قال لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما له فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شانه وقيل معناه لا اقسم بهذه الاشيا على اثبات هذا المطلوب فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه وروي البغوي في تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الايات في ذلك وقوله **ولا اقسم بالنفس اللوامة** قيل هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السرا والضرا وقيل اللوامة هي التي تلوم على الخير والشر وتندم على ما فات فتقول ما فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول يا ليتني لم افعل وقال الحسن هي نفس المومن ان المومن ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي وان الكافر يمضي قدما لا يحاسب ولا يعاتبها وقيل هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين احوال يوم القيامة فتقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله فان قلت اي مناسبة بين يوم القيامة وبين النفوس اللوامة حتى جمع ما بينهما في القسم قلت وجه المناسبة ان في يوم القيامة يظهر احوال النفوس اللوامة من الشقاوة والسعادة قلت هذا احسن الجمع بينهما في القسم وقيل انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستغفر فعلها واجتهادها

في

في طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة كانه قال اقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة او الفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشيا قسم بربها في الحقيقة فكانه قال اقسم برب القيامة وقيل لله تعالى ان يقسم بما يشا من خلقه وجواب القسم محذوف وتقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى **ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه** وقيل جواب القسم قوله **بلى قادرين على ان نسوي بنانه** ومعنى ايحسب الانسان ايظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما سفتها الرياح فطيرتها في ابا عد الارض ان لن نجمع عظامه لا يمكننا جمعها مرة اخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابدا يقدر على الاعادة نزلت هذه الاية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم اصدق ولم او من بك او يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعني هذا الكافر ان لن نجمع عظامه يعني بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان اول مرة وقيل ذكر العظام واراد نفسه جميعها لان العظام قالب النفس ولا يستوي الخلق الا باستوايها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر ويجمع الله العظام بلى قادرين على جمع عظامه وتاليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك وهي ان نسوي بنانه يعني انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيا واحدا كخف البعير وحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما وقيل معناه ظن الكافر ان لن نقدر على جمع عظامه بل نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها ونولف بينها حتى نسوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول هو اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه اخر ما يتم به الخلق **بل يريد الانسان ليفجر امامه** اي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب قال سعيد ابن جبير يقدم الذنب ويوخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى ياتيه الموت وهو على اسوء حالة وشر اعماله وقيل هو طول الامل تقول

عيش وأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق **يسأل أيان يوم القيامة** اي متى تكون القيامة والمعنى ان الكافر يسأل سؤال تعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى **فاذا برق البصر** اي اذا شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما رأى من العجائب التي يكذب بها في الدنيا وقيل تبرق ابصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل اي شق عينه وفتحها من البرق وهو التلألؤ **وخسف القمر** اي اظلم وذهب ضوءه **وجمع الشمس والقمر** يعني اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمع بينهما في الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى **يقول الانسان** يعني الكافر المكذب **يومئذ اين المفر** اي المهرب وهو موضع الفرار **كلا** اي لا ملجأ لهم يرهبون اليه وهو قوله **لا وزر** اي لا حرز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجأوا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وكلما التجأت اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

الناس ألب علينا فيك ليس لنا ... الا السيوف واطراف القنا وزر

ومعنى الآية انه لا شيء يعصمهم من امر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستندون اليه من النار **الى ربك يومئذ المستقر** يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء ادخله الجنة برحمته ومن شاء ادخله النار بعدله **ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر** قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او سيئ وما اخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وعن ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله فضيعه وقيل باول عمله واخره وهو ما عمله في اول عمره واخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما اخر من ماله لورثته **بل الانسان على نفسه بصيرة** اي بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة **ولو القى معاذيره** يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل

معناه

معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره وقيل ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق الابواب ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا **لا تحرك به لسانك لتعجل به** عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فقال لي ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه [٣ فحرك شفتيه صح] فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا ان تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه وفي رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدي ورواه البغوي من طريق البخاري وقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الآية التي في لا اقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال ان علينا ان نجمعه في صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه اي نجمعه في صدرك وقرآنه اي نقرأه ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به اي باخذه **ان علينا جمعه وقرآنه** اي وقراءته عليك والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصير لا تنساه **فاذا قرأناه فاتبع قرآنه** اي لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحي اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل بالوحي ونظيره ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول اولى لان هذا ليس موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحي اصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه **ثم ان علينا بيانه** اي نبينه بلسانك فتقرأه كما اقرأك جبريل وقيل اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شيء سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله تعالى **كلا** اي حقا **بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة** اي يختارون الدنيا على العقبى ويعملون لها يخاطب كفار مكة **وجوه يومئذ** يعني يوم القيامة **ناضرة** من النضارة وهي الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نورها وقيل مشرقة بالنعيم **الى ربها ناظرة** قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق ان تنضر وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وابي صالح انهما فسرا النظر في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما امر لها به وقال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى الشيء بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اي انتظرته ومنه قول الحطيئة وقد نظرتكم ايناء صادرة للورد طال بها حوزي وتنساسي فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين فاذا قلت نظرت في الامر احتمل ان يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تاويله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الرؤية واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى اتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظرا بمعنى نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه فاذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق للرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله سبحانه وتعالى

فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة قال علماء اهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا اذ اجمعوا على وقوعها في الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة من اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مشهورة في كتب المتكلمين

من اهل

من اهل السنة وكذلك باقي شبههم واجوبتها مستوفاة في كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه ولا يشترط فيه اتصال ولا اشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك من الاحاديث الواردة في اثبات الرؤية فمنها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقال وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه **ق** عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد ايضا ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروي بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئي بالمرئي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي وليس عنده في اوله ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ليس دونها سحاب قال الترمذي وقد روي مثل هذا الحديث عن ابي سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد اخرجه البخاري ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود **م** عن صهيب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث

في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم قوله عز وجل ووجوه يومئذ
باسرة اي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت
اثار النعمة والسرور منها لما ادركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك
حين يميز بين اهل الجنة والنار تظن اي تستيقن والظن هنا بمعنى
اليقين ان يفعل بها فاقرة اي يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة
الداهية العظيمة والامر الشديد الذي يكسر فقار الظهر ويقصمه
وقيل انها فترة دخول النار وقيل هي ان تحجب تلك الوجوه عن رويه
الله تعالى كلا اي حقا اذا بلغت يعني النفس كناية عن غير مذكور
التراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى
ببلوغ النفس التراقي عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة

• ولرب عظيمة دافعت عنها • وقد بلغت نفوسهم التراقي •

وقيل يعني وقال من حضره من راق اي هل من طبيب يرقيه ويداويه
مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوايه وقيل لما نزل
قضا الله به في امر الله تعالى ما نزل التمسوا له الاطبا فلم يغنوا عنه من
قضا الله شيا وقيل هذا من قول الملايكة الذين يحضرون عند الموت
يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملايكة الرحمة
او ملايكة العذاب وظن اي ايقن الذي بلغت روحه التراقي انه الفراق
اي الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد والتفت اي اجتمعت
الساق بالساق اي الشدة بالشدة يعني مفارقة الدنيا كشدة
الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الاخرة وقيل تتابعت عليه الشدايد
لا يخرج من كرب الا جاءه اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة
فكان في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة وقيل الناس
يجهزون جسده والملايكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا
التفتا في الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت الا تراه كيف يضرب باحدى
رجليه على الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت
احداهما بالاخرى الى ربك يومئذ المساق اي مرجع العباد الى الله
تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم قوله تعالى فلا صدق
ولا صلى يعني ابا جهل لم يصدق بالقران ولم يصل لله تعالى ولكن
كذب وتولى اي اعرض عن الايمان والتصديق ثم ذهب الى اهله
يتمطى اي يتبختر ويختال في مشيته وقيل اصله يتمطط اي يتمدد
من المطي اولى لك فاولى هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهي
كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهذا
دعا عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك احد بهذا العذاب واحق

واولى

واولى يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية اخذ بمجامع ثوب ابي جهل
بالبطحا وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل
اتوعدني يا محمد والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا واني لاعز
من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله اشد قتلة
وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل نبي امة فرعونا وان فرعون هذه
الامة ابو جهل ايحسب الانسان ان يترك سدى اي مهملا لا يومر ولا ينهى
ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الاخرة الم يك نطفة اي ما قليلا
من مني يمنى اي تصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شي قذر
مستقذر ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة ثم كان علقة اي صار الانسان
علقة بعد النطفة فخلق فسوى اي فقدر خلقه وسواه وعدله
وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاءه فجعل منه اي من الانسان
الزوجين اي الصنفين ثم فسرهما فقال الذكر والانثى اي خلق من
مايه اولادا ذكورا واناثا اليس ذلك اي الذي فعل هذا وانشا
الاشيا بقادر على ان يحيي الموتى اي على اعادته بعد الموت عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا منكم والتين
والزيتون فانتهى الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على
ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرا المرسلات فبلغ فباي حديث
بعده يومنون فليقل امنا بالله اخرجه ابو داود وله عن ابي موسى
ابن ابي عايشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرا اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسالوه عن ذلك فقال سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة الانسان

مدنية قاله مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس
وعطا بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع
منهم اثما او كفورا وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدني من
اولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا ومن هذه الاية الى اخرها
مكي حكاه الماوردي وهي احد وثلاثون اية ومايتان واربعون كلمة والف واربع
وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل هل اتى قد اتى على الانسان يعني ادم عليه السلام حين
من الدهر يعني مدة اربعين سنة وهي من طين سلالة عن انس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله ادم في الجنة تركه ما شا الله

ان يتركه فجعل ابليس يطوف به وينظر اليه فلما راه اجوف اي صاحب جوف
لايتمالك قوله يطوف به يدور حوله فلما راه اجوف اي صاحب جوف وقيل
هو الذي داخله خال وقوله عرف انه خلق لايتمالك اي لايملك نفسه ويحبسها
عن الشهوات وقيل لايملك دفع الوسواس عنه وقيل لايملك نفسه عند
الغضب ويروى في تفسير الاية ان ادم بقي اربعين سنة طينا واربعين سنة
حما مسنونا واربعين صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة واربعين سنة
لم يكن شيا مذكورا اي لايذكر ولايعرف ولايدرى ما اسمه ولا ما يراد به
وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان شيا ولم يكن شيا يذكر روي عن عمر انه سمع
رجلا يقرا هذه الاية لم يكن شيا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان
عليه ويروى نحوه عن ابي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان
وهو بنو ادم بدليل قوله انا خلقنا الانسان فالانسان في الموضعين
واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر مقدر لم
يكن شيا مذكورا يعني انهم كانوا نطفا في الاصلاب ثم علقا ومضغا في الارحام
لم يذكروا بشي انا خلقنا الانسان يعني ولد ادم من نطفة اي من الرجل ومني
المراة امشاج اي اخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ماء الرجل وماء المراة يختلطان
في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل ابيض غليظ وماء المراة اصفر رقيق فايهما
علا صاحبه كان الشبه له فما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من
لحم ودم وشعر فمن ماء المراة وقيل الامشاج اختلاف الوان النطفة فنطفة
الرجل بيضا ونطفة المراة صفرا وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود
هي العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشيج اي خلطت بدم وهو دم
الحيض فاذا حبلت المراة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج اطوار الخلق نطفة
ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم تكسوه لحما ثم تنشاه خلقا اخر وقيل ان الله
تعالى جعل في النطفة اخلاطا من الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة
والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات امشاج
نبتليه اي لنختبره بالامر والنهي فجعلناه سميعا بصيرا قيل فيه
تقديم وتاخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلا لا يقع
الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلا
والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلا وهو السمع والبصر وهما كنايتان
عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما
خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها انا هديناه السبيل اي بينا له
سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل
ارشدناه الى الهدى لانه لايطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل
نصب الدلايل وبعثة الرسل وانزال الكتب اما شاكرا واما كفورا يعني

اما موحدا طايعا واما مشركا بالله في علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل
التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل في
معنى الاية اما مومنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الخبر اي بينا له
الطريق ان شكر او كفر وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا معترفا بوجوب
شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لايقر بوجوب
الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر واوعد الكافر فقال تعالى
انا اعتدنا للكافرين اي هيانا في جهنم للكافرين سلاسل اي يشدون بها
واغلالا اي في ايديهم تغل بها الى اعناقهم وسعيرا يعني وقودا لاتوصف
شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين
الموحدين فقال تعالى ان الابرار يعني المومنين الصادقين في ايمانهم المطيعين
لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر المتوسع في الطاعة يشربون
من كاس يعني فيه شراب كان مزاجها كافورا وقيل يمزج لهم شرابهم بالكافور
ويختم بالمسك فان قلت والكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم
به قلت قال اهل المعاني اراد بالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده لان
الكافور لايشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في الجنة والمعنى ان ذلك الشراب
يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولايكون في ذلك ضرر لان اهل
الجنة لايمسهم ضرر فيما ياكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم
ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم
بذلك الكافور والمسك والزنجبيل عينا بدلا من الكافور وقيل اعني عينا
يشرب بها اي يشرب منها عباد الله قال ابن عباس اولياء الله يفجرونها
تفجيرا اي يقودونها الى حيث شاوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا
يمتنع عليهم قوله تعالى يوفون بالنذر لما وصف الله تعالى ثواب الابرار في
الاخرة وصف اعمالهم في الدنيا حتى يستوجبوا هذا الثواب والمعنى كانوا
في الدنيا يوفون بالنذر والنذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم
فيدخل فيه جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج
والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر من عرف الشرع واللغة ان
يوجب الرجل على نفسه شيا ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله علي كذا
وكذا موصولة من صدقة او صلاة او صوم او حج او عمرة يعلق ذلك بامر
يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضي او قدم غايبي كان
لله علي كذا اولو نذر في معصية لايجب الوفا به خ عن عايشة رضي الله عنها
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليف
بنذره ومن نذر ان يعصي الله فلا يف به وفي رواية فليف بنذره فليطعه
ولا يعصه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يعصي الله فلا يف

وفي رواية فليف بنذره فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يف به وفي رواية فلا يعصه
وفي رواية فليطعه ولا يعصه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في
معصية الله وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي خ عن
ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر
كان على امه فتوفيت قبل ان تقضيه فامره ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة وفي
الاية دليل على وجوب الوفا بالنذر وهذا مبالغة في وصفهم على اداء الواجبات
لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى **ويخافون يوما
كان شره مستطيرا** اي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه في اهل
السموات واهل الارض وفي اوليا الله واعدايه وقيل فشى شره في السموات فانشقت
وتناثرت الكواكب وفزعت الملايكة وكورت الشمس والقمر وفي الارض وتشققت
الجبال وغارت المياه وكسر كل شي على الارض من جبل وبنا والمعنى انهم يوفون بالنذر
وهم خايفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته قوله عز وجل **ويطعمون الطعام
على حبه** اي حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى
بانهم يوثرون غيرهم على انفسهم بالطعام ويواسون به اهل الحاجة وذلك لان
اشرف انواع الانسان والبر اطعام الطعام لان به قوام الابدان وقيل على حب الله
عز وجل اي حب الله **مسكينا** يعني فقيرا وهو الذي لا مال له ولا يقدر على الكسب
ويتيما اي صغيرا وهو الذي لا اب له يكتسب له وينفق عليه **واسيرا** قيل
هو المسجون من اهل القبلة يعني من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك
امر الله بالاسرا ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ لاهل الشرك فعلى هذا الوجه
يجوز اطعام الاسرا وان كانوا غير دينا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من
الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المراة
لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النسا فانهن عندكم عوان يعني اسرا
وقيل غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك واختلفوا في سبب نزول هذه الاية
فقيل نزلت في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت
الافطار رجاه مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقي له ولاهله
رغيف واحد فنزلت هذه فيه وروي عن ابن عباس انها نزلت في علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وذلك انه عمل ليهودي بشي من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن
منه ثلاثة واصلحوا منه شيا ياكلونه فلما فرغ اتى مسكين فسال فاعطوه
ذلك ثم عمل الثلث الثاني فلما فرغ اتى يتيم فسال فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث
الثالث فلما تم نضجه اتى اسير من المشركين فسال فاعطوه ذلك وطووا يومهم
وليلتهم فنزلت هذه الاية وقيل الاية عامة في كل من اطعم المسكين واليتيم
والاسير لله تعالى واثر على نفسه **انما نطعمكم لوجه الله** اي لاجل وجه الله
لا نريد منكم جزا ولا شكورا قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى

به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافاة وقيل قالوا ذلك
ليقتدي بهم غيرهم في ذلك وذلك ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله
تعالى لا يريد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافاة او لطلب
الحمد من الناس او لهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى
لان فيهما شركا وريا فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزا ولا شكورا **انا نخاف من ربنا يوما** يعني انا احسنا اليكم للخوف
من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافاتكم **عبوسا** وصف لذلك اليوم
بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صايم والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه
من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة **قمطريرا**
يعني شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي
لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو اشد ما يكون من الايام واطوله
في البلا **فوقاهم الله شر ذلك اليوم** اي الذي يخافونه **ولقاهم نضرة** اي
حسنا في وجوههم **وسرورا** اي في قلوبهم **وجزاهم بما صبروا** اي على طاعة
الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفا بالنذر والايثار
جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير **متكئين فيها** اي في الجنة
على الارايك جمع اريكة وهي السرر في الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا اجتمعا
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يعني لا يوذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير
كما كان يوذيهم في الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى الزمخشري قولين ان
الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه في لغة طي وانشد
• وليلة ظلامها قد اعتكر • قطعتها والزمهرير ما ظهر •
والمعنى ان الجنة ضيا لا يحتاج فيها الى شمس وقمر **ودانية عليهم ظلالها** اي
قريبة منهم ظلال اشجارها **وذللت** اي سخرت وقربت **قطوفها** اي ثمارها
تذليلا اي ياكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها
كيف شاوا وعلى اي حال ارادوا **ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب**
قيل هي الكيزان التي لا عرى لها كالقدح ونحوه **كانت قواريرا قوارير من فضة**
قال اهل التفسير اراد بياض الفضة في صفا القوارير وهو الزجاج والمعنى
يرى ما في باطنها من ظاهرها قال الكلبي ان الله تبارك وتعالى جعل قوارير
كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون
فيها وقيل ان القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من
الفضة ولكنها اصفى من الزجاج **قدروها تقديرا** اي قدر الكوس على
قدر ريهم وكفايتهم لا يزيد ولا ينقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين
يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم **ويسقون فيها** اي في الجنة
كاسا كان مزاجها زنجبيلا قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها الابرار

يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لاهل الجنة جميعهم
وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل في شرابهم لانه يحصل
فيه ضرب من اللذع لاترى ان العسل والشار المستخرج من بيوت النحل
وقال المسيب معناه فكان طعم الزنجبيل به اذا ذاقه وشابه الخمر فلما
كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة على
بردالكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كلما ذكر الله في القران
مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا شبيه وذلك لان زنجبيل الجنة لايشبه
زنجبيل الدنيا عينا فيها تسمى سلسبيلا اي مسيلة منقادة لهم يصرفو
حيث شاوا وقيل حديدة الجرية سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم
في طرقهم ومنازلهم ينبع من اصل العرش من جهة عدن الى ساير الجنان
وقيل سميت بذلك لانها في غاية السلامة سلسل في الحلق وقيل تسمى اي توصف
لان اكثر العلماء على ان سلسبيل صفة لا اسم ويطوف عليهم ولدان مخلدون
اي في الخدمة وقيل مخلدون اي مقرطون اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا
يعني في بياض اللولو الرطب وحسنه وصفايه واللولو اذا انتشر على البساط
كان احسن منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة قوله عز
وجل واذا رايت قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل
الجنة والمعنى اذا رايت ببصرك ونظرت به ثم يعني الى الجنة رايت نعيما
اي لايوصف عظمه وملكا كبيرا قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر في ملكه
مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل هو ان رسول رب العزة
من الملايكة لايدخل عليه الا باذنه وهو استيذان الملايكة عليهم وقيل معناه
ملكا لازوال له ولا انتقال عاليهم اي فوقهم ثياب سندس خضر
وهو مارق من الديباج واستبرق وهو ماغلظ منه وكلاهما داخل في اسم
الحرير وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا
من الاقذار والادران لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل
انه لايستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم
يوتون بالطعام ثم من بعد ذلك يوتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر
بطونهم ويكون ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر
بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من
شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد ان هذا كان لكم جزاء
اي يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء
قد اعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل اخبار من الله تعالى
لعباده انه قد اعده لهم في الاخرة وكان سعيكم مشكورا اي شكرتكم
عليه واثبتكم افضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه عنهم

بالقليل

بالقليل من الطاعة واعطاه اياهم الكثير من الخيرات قوله عز وجل انا نحن نزلنا
عليك اي يا محمد القران تنزيلا قال ابن عباس متفرقا اية بعد اية ولم ينزل
جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القران متفرقا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص
كل شيء بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشرح صدره وان الذي انزل عليه وحي ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك
الوحشة التي حصلت له من قول الكفار انه سحر او كهانة اي من العبادات
فمن حكمة محضة قيل معناه فاصبر لحكم ربك اي في تاخير الاذن في القتال
وقيل هو عام في جميع التكاليف اي فاصبر لحكم ربك في كل ما حكم الله به سواء
كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات او عاما متعلقا بالغير كالتبليغ
واداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك ولا تطع منهم اثما او كفورا يعني
وكفورا وقيل اراد به ابا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها فقال لان رايت محمدا يصلي لاطان عنقه وقيل
اراد بالاثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبي
صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا
الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتي واسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد
انا اعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه
الاية فان قلت هل من فرق بين الاثم والكفر قلت نعم مران الاثم هو المقدم
على المعاصي اي معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور اثم ولا ينعكس لان
من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد
عصاه وجحد نعمه عليه واذكر اسم ربك بكرة واصيلا قيل المراد من الذكر
الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة
الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا
تكون الاية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس وسبحه ليلا طويلا يعني صلاة
التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الاية هو الذكر باللسان
والمقصود ان يكون ذاكرا الله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار بقلبه
ولسانه قوله عز وجل ان هولاء يعني كفار مكة يحبون العاجلة يعني
الدار العاجلة وهي الدنيا ويذرون وراءهم يعني امامهم يوما ثقيلا
يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركون فلا يومنون به ولا يعملون
له نحن خلقناهم وشددنا اي قوينا واحكمنا اسرهم اي خلقهم وقيل
اوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى
البول والغايط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضتا واذا شينا بدلنا
امثالهم تبديلا اي اذا شينا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم
ان هذه اي السورة تذكرة اي تذكير وعظة فمن شاء اتخذ لنفسه

في الدنيا الى ربه سبيلا اي وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما يتمسك
بها القدرية ويقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله وهو الى اختيار
العبد ومشيئته قال اهل السنة ويرد عليهم قوله عز وجل في سياق الاية وهو
قوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله اي لستم تشاؤن الا بمشيئة الله تعالى
لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة بفعل العبد لجميع ما يصدر عن العبد
بمشيئة الله جل جلاله وتعالى عطاؤه وشانه ان الله كان عليما اي باحوال
خلقه وما يكون منهم حكيما اي حيث خلقهم مع علمه بهم يدخل من يشاء في رحمته
اي في دينه وجنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت
بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه
وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق والظالمين يعني المشركين اعد لهم
عذابا اليما والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه ‌.

تفسير سورة المرسلات

مكية وهي خمسون اية ومائة وثمانون كلمة بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا
فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اعلم ان المفسرين ذكروا في هذه الكلمات
الخمس وجوها الاول ان المراد بشرها الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت
متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا اي كثيرا فالعاصفات عصفا يعني الرياح
الشديدة الهبوب والناشرات يعني الرياح اللينة وقيل الرياح التي ارسلت
نشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح تنشر السحاب وتاتي بالمطر فالفارقات
فرقا يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني ان الرياح
اذا ارسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الاثار
فيحصل بذلك خوف للعباد في القلوب فيلجوا الى الله تعالى ويذكروه فصارت
تلك الرياح كانها القت الذكر والمعرفة في القلوب عند حدوث هبوبها الوجه
الثاني ان المراد بشرها الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى ومعنى المرسلات
عرفا هم الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من امر الله ونهيه وهذا القول رواية
عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعني الملائكة تعصف في طيرانهم ونزولهم كعصف
الرياح في السرعة والناشرات نشرا يعني انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم
وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا
قال ابن عباس يعني الملائكة تاتي بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا
يعني الملائكة تلقي الذكر الى الانبياء وقيل يجوز ان يكون من الذكر القران خاصة
فعلى هذا يكون الملقي جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم الوجه
الثالث ان المراد بشرها ايات القران ومعنى المرسلات عرفا ايات القران

المتابعة

المتتابعة في النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا
يعني ايات القران تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو
التبن المتكثر والناشرات نشرا يعني ايات القران تنشر انوار الهداية
والمعرفة في قلوب المومنين فالفارقات فرقا يعني ايات القران تفرق
بين الحق والباطل فالملقيات يعني ايات القران هي الذكر الحكيم التي تلقي
القران والنور في قلوب المومنين الوجه الرابع انه ليس المراد من هذه الكلمات
الخمس شيا واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا
فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة
حتى جمع بينهما في القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة
حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهم من هذا الوجه فحسن الجمع
بينهم في القسم عذرا او نذرا الاعذار والانذار وقيل عذرا من الله ونذرا
منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله تعالى انما توعدون
لصادق اي من امر الساعة ومجيئها لواقع اي نازل لا محالة وقيل
انما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى تقع فقال تعالى
فاذا النجوم طمست اي محي نورها وقيل محقت واذا السماء فرجت اي ثقبت
وقيل فتحت واذا الجبال نسفت اي قلعت من اماكنها واذا الرسل اقتت
وقرئ وقتت بالواو ومعنى ذلك واحد اي جمعت لميقات يوم معلوم وهو
يوم القيامة ليشهدوا على الامم لاي يوم اجلت اي اخرت وضرب
الاجل لجميعهم كانه تعالى يعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت
الرسل في ذلك اليوم لتعذيب من كذبه وتعظيم من امن به ثم بين ذلك
اليوم فقال تعالى ليوم الفصل قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن بين
الخلايق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى وما ادراك ما يوم
الفصل اي وما اعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته ويل يومئذ
للمكذبين اي بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب وقوله
تعالى الم نهلك الاولين يعني الامم الماضية بالعذاب في الدنيا حتى
كذبوا رسلهم ثم نتبعهم الاخرين يعني السالكين سبيلهم في الكفر
والتكذيب وهم كفار قريش نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم
كذلك نفعل بالمجرمين اي انا نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين ويل يومئذ
للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين يعني النطفة فجعلناه في قرار مكين
يعني الرحم الى قدر معلوم يعني الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم
ذلك غيره فقدرنا قرئ بالتشديد من التقدير اي قدرنا ذلك تقديرا
فنعم القادرون اي المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة اي قدرنا

في خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن صورة وهيئة ويل يومئذ للمكذبين اي المنكرين للبعث لان القادر على الابتدا قادر على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا يعني وعاء واصله الضم والجمع احياء وامواتا يعني تكفتهم على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا في بطنها في قبورهم ولذا تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها وجعلنا فيها اي في الارض رواسي شامخات يعني جبالا عاليات واسقيناكم ماء فراتا يعني عذبا ويل يومئذ للمكذبين يعني ان هذا كله اعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث قوله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي يقال للمكذبين يوم القيامة في الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب يعني دخان جهنم اذا سطع وارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق وكذلك شان الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى في ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم لا ظليل اي ذلك لا يظل من حر ولا يغني من اللهب اي يرد عنهم لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب انها يعني جهنم ترمي بشرر جمع شرارة وهي ما تطاير من النار كالقصر اي كالبناء العظيم ونحوه وقيل هو اصول الشجر والنخل العظيم واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمي بشرر كالقصر فقال هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء كنا نسميها القصر كانه يعني الشرر جمالات جمع الجمال قال ابن عباس هي حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى يكون كاوساط الجبال صفر جمع اصفر يعني انه لون تلك الشرار وانشد بعضهم •

• وغنهم باعلا صوتها ورمتهموا بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوا •

وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء في الحديث شرر نار جهنم اسود كالقير والعرب تسمي سواد الابل صفرا لانه يضرب سوادها شيء من الصفرة وقيل هي قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرار يرتفع كانه شيء مجموع غليظ اصفر ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون يعني لا حجة تنفعهم وقيل هذا في بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الاي بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الايات والعرب تستحب وفاق الفواصل وتحب وفاق القوافي والقران نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بلغة العرب من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد

اي

اي عذر لمن اعرض عن منعمه واعرض وكفر باياديه ونعمه فان قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لانه ربما يخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم في ذلك العذر الفاسد ويل يومئذ للمكذبين يعني انه لما تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم ولا جرم قال في حقهم ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل يعني بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحكمات جمعناكم والاولين يعني مكذبي هذه الامة والذين كذبوا انبياءهم من الامم الماضية فان كان لكم كيد فكيدون اي ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا لان الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا في نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا عقبه بقوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل ان المتقين اي الذين اتقوا الشرك في ظلال جمع ظل وهو ظل الاشجار وعيون اي في ظلهم عيون ماء وفواكه مما يشتهون اي يتلذذون بها كلوا واشربوا اي ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما اعظمها من نعمة ويكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام هنيئا اي خالص اللذة لا يشوبه تنغيص بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الطاعات انا كذلك نجزي المحسنين قيل المقصود منه تذكير الكفار وما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل كلوا وتمتعوا قليلا اي يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا الى منتهى اجالكم وهذا وان كان في ظاهر اللفظ امرا الا انه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم انكم مجرمون اي مشركون بالله مستحقون العقاب لاجرم اتبعه بقوله ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي واذا قيل لهم صلوا مع محمد واصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون اي بعد نزول القران اذا لم يؤمنوا به فباي شيء يؤمنون والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه •

تفسير سورة النبأ العظيم وتسمى سورة عم والتساؤل

مكية وهي اربعون اية ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل عم اصله عن ما يتساءلون اي شي يتساءلون يعني المشركين
ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك اي شي زايد اذا اعظمت شانه
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد
الموت وتلى عليهم القران جعلوا يتساءلون بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عن ماذا تساءلهم فقال تعالى عن
النبا العظيم اي الخبر العظيم الشان قال الاكثر هو القران وقيل هو البعث
وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ٢ فمن فسر النبا العظيم بالقران
قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر وشعر او كهانة ونحو ذلك مما قالوه
في القران ومن فسر النبا العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به
وهم المومنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القران كلا هي ردع وزجر
وقيل بل نفي لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا سيعلمون وعيد
على اثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم
ثم كلا سيعلمون المومنون عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشيا من عجايب
صنايعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلمون انه قادر على ايجاد العالم
وفنايه بعد ايجاده مرة اخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال
تعالى الم نجعل الارض مهادا اي فراشا وبساطا لتستقر عليها الاقدام
والجبال اوتادا يعني للارض حتى لا تميد وخلقناكم ازواجا يعني اصنافا
ذكورا واناثا وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم وليس الغرض
ان السبات الراحة بان المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع
ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع من الحركة
والتصرف في الاعمال وجعلنا الليل لباسا اي غطا وغشا يستتر كل شي
بظلمته ولهذا سمي الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة في ذلك هو ان
الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك
وجعلنا النهار معاشا اي سببا للمعاش والتصرف في المصالح وقال
ابن عباس يبتغون من فضل الله وما قسم لكم من رزقه وبنينا فوقكم
سبعا شدادا يعني سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا
فطور على ممر الزمان الى ان ياتي امر الله تعالى وجعلنا سراجا
وهاجا يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل
في الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة وانزلنا من
المعصرات يعني الرياح التي تعصر السحاب وهو رواية عن ابن عباس
وقيل الرياح ذوات الاعاصير وعلى المعنى يكون من بمعنى البا اي وانزلنا
بالمعصرات وذلك ان الريح تستدر المطر وقيل هي السحاب وفي الرواية

٢ الذين هم فيه مختلفون

الاخرى

الاخرى عن ابن عباس قيل المعصرات السحاب التي تتحلب بالمطر ولا تمطر وقيل
وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرات السموات
وذلك ان المطر ينزل من السما الى السحاب ماء ثجاجا اي صبابا مكارا
متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع
الصوت بالتلبية وصب دما الهدي لنخرج به اي بذلك الما حبا
اي ما ياكله الناس كالحنطة ونحوها ونباتا اي ما ينبت في الارض من
الحشيش مما ياكل منه الانعام وجنات الفافا اي ملتفة بالشجر
ليس بينهما خلال فدل على البعث ابتدا الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى
ان يوم الفصل اي الحساب كان ميقاتا اي لما وعد الله من الثواب
والعقاب وقيل ميقاتا يجمع فيه الخلايق ليقتص بينهم يوم ينفخ في الصور
يعني النفخة الاخيرة فتاتون افواجا يعني زمرا زمرا من كل مكان
للحساب وفتحت السما فكانت ابوابا يعني فكانت ذوات ابواب
لنزول الملايكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها ابوابا وطرقا وسيرت
الجبال اي عن وجه الارض فكانت سرابا اي هبا منبثا كالسراب
في عين الناظر ان جهنم كانت مرصادا اي طريقا وممرا فلا سبيل لاحد
الى الجنة حتى يقطع النار وروي عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس
يسال العبد عن اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة
جاز الى الثاني فيسال عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث
فيسال عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسال عن الصوم
فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسال عن الحج فان جاء به تاما جاز الى
السادس فيسال عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسال عن
المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكمل به اعماله
فاذا فرغ انطلق الى الجنة وقيل كانت مرصادا اي معدة لهم وقيل هو
من رصدت الشي ارصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه
الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار اي تنتظرهم للطاغين
اي الكافرين مابا اي مرجعا يرجعون اليها لابثين فيها اي في جهنم
احقابا جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر
ثلاثون يوما كل يوم الف سنة يروى ذلك عن علي بن ابي طالب وقيل
الحقب الواحد سبعون الف سنة فان قلت الاحقاب وان طالت فهي
متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناه فما معنى قوله احقابا قلت
ذكروا فيه وجوها احدها ما روي عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل
لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا
مضى حقب دخل الى الابد وليس للاحقاب عدة الا الخلود وروي عن عبد الله

ابن مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا
ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا الوجه الثاني
ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناهي والمعنى انهم يلبثون
فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت
لانواع العذاب الذي يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث الاية
منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد
حصل لا يذوقون فيها بردا قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا اي روحا
وراحة وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم ولا شرابا اي يغنيهم عن عطش الا
حميما وغساقا اي لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الما
المذاب الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم
ببرده وقيل هو صديد اهل النار جزاء وفاقا اي جازيناهم جزاء وافق
اعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم
من النار انهم كانوا لا يرجون حسابا اي لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى
انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبون وكذبوا باياتنا كذابا
اي التي جاءت بها الانبيا وقيل كذبوا بدلايل التوحيد والنبوة والبعث
والحساب كذابا اي تكذيبا قال الفرا هي لغة يمانية فصيحة يقولون
في مصدر التفعيل فعال وقد سال اعرابي منهم يستفتيني الحلق احب اليك ام
القصار يريد التقصير وكل شيء من الاعمال احصيناه اي ثبتناه كتابا في
كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شيء علمناه علما لا يزول ولا
يتغير ولا يتبدل والمعنى انا عالمون بجميع ما فعلوه من خير او شر وانا نجازيهم
على قدر اعمالهم جزاء وفاقا فذوقوا اي يقال لهم ذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا قيل هذه الاية اشد اية في القران على اهل النار كلما استغاثوا
من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه قوله عز وجل ان للمتقين مفازا
اي فوزا اي نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل ان
يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل
لهم من النعيم ثم فسره فقال حدايق جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه
كل ما يشتهون واعنابا يدل على تعظيم ذلك العنب وكواعب جمع كاعب
يعني جواري نواهد قد تكعب ثديهن اترابا يعني مستويات في السن
وكاسا دهاقا قال ابن عباس مملوة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية
لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في حال شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون
بالباطل في حال شربهم لغوا اي باطلا من الكلام ولا كذابا اي تكذيبا
والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به جزاء من ربك عطاء حسابا
اي جازاهم جزاء واعطاهم عطاء حسابا اي كافيا وقيل حسابا يعني كثيرا

وقيل

وقيل جزاء بقدر اعمالهم رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون
منه خطابا اي لا يقدر الخلق ان يكلموا الرب الا باذنه وقيل لا يملكون
منه خطابا لا يملكون شفاعة الا باذنه في ذلك اليوم يوم يقوم الروح
والملايكة صفا قيل هو جبريل عليه السلام وقال ابن عباس الروح ملك
من الملايكة ما خلق الله مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده
صفا وقامت الملايكة صفا واحدا فيكون من اعظم خلقه مثلهم وقال ابن
مسعود الروح ملك عظيم اعظم من السموات والارض والجبال وهو في
السما الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل
تسبيحة ملكا يجيء يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة
بني ادم وليسوا بناس يقومون صفا والملايكة صفا هولا جند وهولا جند
وقال ابن عباس الروح على صورة بني ادم وما ينزل من السما ملك الا ومعه
واحد منهم وعنه انهم بنو ادم يقومون صفا والملايكة صفا قيل يقومون
سماطان سماط من الروح وسماط من الملايكة لا يتكلمون يعني الخلق كلهم
اجلالا لعظمة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاوه وشانه من هول ذلك اليوم
الا من اذن له الرحمن اي في الكلام وقال صوابا اي حقا في الدنيا وعمل
به وقيل قال لا اله الا الله وقيل الاستثنا يرجع الى الروح والملايكة ومعنى
الاية لا يشفعون في شخص اذن الرحمن له في الشفاعة وذلك الشخص من كان
يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله ذلك اليوم الحق اي الكاين الواقع
لا محالة وهو يوم القيامة فمن شا اتخذ الى ربه مابا اي سبيلا يرجع اليه
وهو طاعة الله وما يتقرب به اليه انا انذرناكم اي خوفناكم في الدنيا
عذابا قريبا اي في الاخرة وكل ما هو ات قريب يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه من خير او شر مثبتا في صحيفته ينظر اليها يوم القيامة ويقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا قال عبد الله بن عمر اذا كان يوم القيامة مدت الارض
مد الاديم وحشر الدواب والبهايم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهايم حتى
يقتص للشاة الجما من الشاة القرنا نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها
كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل يقول الله
عز وجل للبهايم بعد القصاص انا خلقناكم وسخرناكم لبني ادم وكنتم مطيعين
ايام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا راى الكافر ذلك تمنى
وقال يا ليتني كنت ترابا والذي في صورة بعض هذه البهايم وكنت اليوم
ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وامر اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى
النار وقيل لسائر الامم سوى الناس ومومني الجن عودوا ترابا فيعودون
ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا
راى ما انعم الله به على المومن من الخير والرحمة قال يا ليتني كنت ترابا يعني متواضعا

في طاعة الله في الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس
وذلك انه عاب ادم كونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار فاذا كان
يوم القيامة وراى ما فيه ادم وبنوه المومنون من الثواب والرحمة وما هو
فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال ابو هريرة يقول التراب
لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي والله اعلم

تفسير سورة النازعات

مكية وهي ست وقيل خمس واربعون اية ومائة وسبعة وتسعون كلمة وسبعماية
وثلاثة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا اختلفت عبارات المفسرين في هذه
الكلمات هل هي صفات لشيء واحد ام لاشيا مختلفة على اوجه واتفقوا
على ان المراد بقوله فالمدبرات امرا وصف لشيء واحد وهم الملايكة الوجه الاول
في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني الملايكة تنزع ارواح الكفار من اقاصي
اجسادهم كما يغرق النازع من القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من
الاغراق اي والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه
ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل
فتخرج نفس الكافر كالغريق في الما والناشطات نشطا الملايكة تنشط
نفس المومن اي تحلها حلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير
وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المومن لان بينهما فرقا فالنزع
جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعني الملايكة يقبضون
ارواح المومنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجها
كالسابح في الما يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملايكة ينزلون من السما
مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع في جريه يقال له سابح فالسابقات
سبقا يعني الملايكة سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملايكة
تستبق بارواح المومنين الى الجنة الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا
يعني النفس حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات
نشطا قال ابن عباس هي نفوس المومنين تنشط للخروج عند الموت لما
ترى من الكرامة وذلك لانه تعرض عليه مقعده في الجنة قبل ان يموت
وقال علي بن ابي طالب هي ارواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار حتى
تخرج من افواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعني ارواح المومنين
حين تسبح في الملكوت فالسابقات سبقا يعني استباقها الى الحضرة
المقدسة الوجه الثالث في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني النجوم

تنشط

تنشط من افق الى افق ثم تطلع ثم تغيب والناشطات يعني النجوم تنشط
من افق الى افق اي تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر
يسبحون في الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم يسبق بعضها بعضا
في السير الوجه الرابع في قوله والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع في
اعنتها وتغرق في عنقها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى
ميدانها وهي السابحات في جريها وهي السابقات سبقا فاستبقت هنا
الى الغاية الوجه الخامس في قوله والنازعات يعني الغزاة حين تنزع
بقسيها في الرمي فيبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا
اي السهام في الرمي والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعني الخيل والابل
حين تخرجونها اصحابها الى الغزو والوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات
شيئا واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا حين
يبلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من القدمين
بمعنى تجذب والسابحات سبحا يعني السفن والسابقات سبقا يعني مسابقة
نفوس المومنين الى الخيرات والطاعات اما قوله فالمدبرات امرا فاجمعوا
على انهم الملايكة قال ابن عباس هم الملايكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل
العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا اربعة جبرايل
واسرافيل وميكايل وملك الموت واسمه عزرايل فاما جبريل فوكل بالرياح
والجنود واما ميكايل فوكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فوكل بقبض
الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى ومنه اقسام
الله بهذه الاشيا لشرفها ولله ان يقسم بما يشاء من خلقه او يكون التقدير
ورب هذه الاشيا وجواب القسم محذوف على تقدير لتبعثن ولتحاسبن
وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل قوله قلوب يومئذ واجفة
يوم ترجف الراجفة يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شي ويموت
منها جميع الخلق تتبعها الرادفة يعني النفخة الثانية ردفت الاولى
وبينهما اربعون سنة قال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شي
والاخرى تحيي كل شي باذن الله عز وجل وقيل الراجفة التي تزلزل
الارض والجبال والرادفة تشق السما وقيل الراجفة القيامة والرادفة
البعث يوم القيامة روى البغوي بسنده الثعلبي عن ابي بن كعب قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس
اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جا الموت بما فيه قوله عز وجل
قلوب يومئذ واجفة اي خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة وقيل
زايلة عن اماكنها ابصارها خاشعة اي ابصار اهلها خاشعة ذليلة
والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى يقولون يعني منكرين للبعث

اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت ائنا لمردودون في الحافرة يعني نرد الى اول
الحال وابتداء الامر فنصير احيا بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول
رجع فلان الى حافرته اي رجع من حيث جا والحافرة عندهم لابتدا الشي
اول الشي وقيل يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جا بها يحفرها
بمشيه تحفر باثر قدميه حفر فهي محفورة في الحقيقة وقيل الحافرة
الارض التي يحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر
والمعنى ائنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها
وقيل الحافرة النار ائذا كنا عظاما نخرة اي بالية وقري ناخرة وهما
بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التي يمر فيها الريح فتنخر اي تصوت
قالوا يعني المنكرين للبعث اذا عاينوا اهوال القيامة تلك اذا كرة
خاسرة اي راجعة غابنة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا
بعد الموت فانما يعني النفخة الاخيرة زجرة واحدة اي صيحة واحدة يجمعون
جميعا فاذا هم بالساهرة يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان
وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطي عليها كانها سهرت والمعنى انهم كانوا
في بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هي ارض الشام
وقيل ارض القيامة وقيل هي ارض جهنم قوله عز وجل هل اتاك حديث
موسى يعني قد اتاك حديث موسى يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم
شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه السلام وانه كان
يتحمل المشاق من قومه ليتاسى به اذ ناداه ربه بالواد المقدس اي المطهر
طوى هو اسم واد بالشام عند الطور اذهب الى فرعون انه طغى اي علا
وتكبر وكفر بالله فقل هل لك الى ان تزكى اي تزكى اي تطهر من الشرك
والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان
لا اله الا الله واهديك الى ربك اي ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده
فتخشى يعني عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كان دعوة موسى
شاملة لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته لجميع قومه
فاراه اي موسى لفرعون الاية الكبرى يعني اليد البيضا والعصى
فكذب يعني فرعون بانها من الله وعصى اي تمرد واظهر التجبر ثم ادبر
اي اعرض عن الايمان يسعى بعمل الفساد في الارض فحشر اي فجمع
قومه وجنوده فنادى اي لما اجتمعوا فقال يعني فرعون لقومه
انا ربكم الاعلى اي لا رب فوقي وقيل اراد ان الاصنام ارباب وهو ربها
وربهم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اي عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه
في الدنيا ويدخله النار في الاخرة وقيل اراد بالاخرة والاولى كلمتي
فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما

اربعون

اربعون سنة ان في ذلك اي في الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى لعبرة
اي عظة لمن يخشى اي يخاف الله عز وجل ثم خاطب منكري البعث فقال
تعالى أانتم اشد خلقا ام السما بناها معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق
السما عندكم في تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد
لان خلقة الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السما مع عظمها
وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السما اعظم واذا كان كذلك
كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه
خلق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خلق
السما والارض فقال تعالى رفع سمكها يعني علو سمتها وقيل رفعها
بغير عمد فسواها اي اتقن بناها فليس فيها شقوق ولا فطور
واغطش اي اظلم ليلها والغطش الظلمة واخرج اي واظهر وابرز
ضحاها اي نهارها وانما عبر بالنهار لانه اكمل اجزائها في النور
والضوء وانما اضاف الليل والنهار الى السما لانهما يجريان بسبب غروب
الشمس وطلوعها وهي في السما بدليل قوله بعد ذلك وقد قال تعالى
في حم السجدة ثم استوى الى السما ثم ذكر كيفية خلق الارض فقال تعالى
والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها ومدها قال امية ابن ابي الصلت
دحيت البلاد فسويتها • وانت على طيها قادر •
فان قلت ظاهر الاية يقتضي ان الارض خلقت بعد السما فكيف الجمع بين
الايتين وما معناهما قلت خلق الله الارض اولا ثم سمك السما ثانيا
ثم دحى الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين
الايتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من
غير ان يدحوها قبل السما ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات
ثم دحى الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله
عتل بعد ذلك زنيم اي مع ذلك اخرج منها ماءها ومرعاها اي فجر من الارض
عيونها ومرعاها اي رعيها وهو ما ياكله الناس والانعام واستعير
الرعي للانسان على سبيل التجوز والجبال ارساها اي اثبتها متاعا لكم
ولانعامكم اي الارض الذي اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم
قوله عز وجل فاذا جاءت الطامة الكبرى يعني النفخة الثانية التي فيها
البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شي فتعلو
عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع يوم يتذكر
الانسان ما سعى اي ما عمل في الدنيا من خير او شر وبرزت الجحيم لمن يرى
يعني انه يكشف عنها الغطا فينظر اليها الخلق فاما من طغى اي كفر واثر
الحياة الدنيا اي على الاخرة فان الجحيم هي الماوى اي هي منه صفته

واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اي المحارم التي يشتهيها وقيل
هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها
لذلك فان الجنة هي الماوى اي لمن هذه صفته قوله عز وجل يسألونك
اي يا محمد عن الساعة ايان مرساها اي متى ظهورها وقيامها فيم انت من
ذكراها اي لست في شي من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها
الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل
معناه فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قال انت يا محمد من ذكراها
اي من علامتها لانك اخر الرسل وخاتم الانبيا فكفاهم ذلك دليلا على
رمزها ووجوب الاستعداد لها انما انت منذر من يخشاها اي انما ينفع انذارك
من يخافها كانهم يعني الكفار يوم يرونها اي يعاينوا يوم القيامة
لم يلبثوا اي في الدنيا وقيل في قبورهم الا عشية او ضحاها فان
قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها قلت ان الالف
والهاصلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقيل اضافة الضحى الى
العشي اضافة الى يوم كانه قال الا عشية او ضحى يومها والله اعلم

تفسير سورة الاعمى

مكية وهي احدى واربعون اية ومائة وثلاثون كلمة وخمسماية وثلاثة
وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل عبس وتولى اي كلح وقطب وجهه وتولى اي اعرض بوجهه
ان جاءه الاعمى يعني ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح
ابن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زايدة بن الاصم بن زهرة بن
رواحة القرشي الفهري من بني عامر بن لوي واسم امه عاتكة بنت عبد الله
المخزومية وهو ابن خال خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه
اتى النبي صلى الله عليه وسلم مناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام
والعباس بن عبد المطلب وابي بن خلف واخاه امية بن خلف وهو يدعوهم
الى الله يرجوا اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله اقريني وعلمني
مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدري انه مقبل على غيره
حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه
وقال في نفسه يقول هولا الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد
والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم
فانزل الله هذه الايات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه اذا راه ويقول مرحبا بمن عاتبني
الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة ثلاثة

عشر مرة

عشر مرة في غزواته وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية
قال انس رايته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سودا عن عايشة قالت
انزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظما
قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على
الاخرين ويقول اترى بما اقول باسا فيقول لا ففي هذا انزل اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وما يدريك اي شي يجعلك داريا لعله يزكى اي يتطهر
من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك او يذكر اي يتعظ فتنفعه
الذكرى اي الموعظة اما من استغنى قال ابن عباس عن الله وعن الايمان
بما له من المال فانت له تصدى اي تتعرض له وتقبل عليه وتصغي الى كلامه
وما عليك الا يزكى اي لا يومن ولا يهتدي وانما عليك البلاغ واما من
جاءك يسعى يعني يمشي يعني ابن ام مكتوم وهو يخشى الله عز وجل
فانت عنه تلهى اي تتشاغل وتعرض عنه كلا اي لا تفعل بعدها مثلها
انها يعني الموعظة وقيل ايات القران تذكرة اي موعظة للخلق فمن
شا اي من عباد الله ذكره اي اتعظ به يعني القران ثم وصف جلاله
القران ومحله عنده فقال عز وجل في صحف مكرمة يعني القران في اللوح
المحفوظ مرفوعة اي رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة في السما
السابعة مطهرة يعني الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملايكة بايدي
سفرة قال ابن عباس يعني كتبة وهم الملايكة الكرام الكاتبون واحدهم
سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملايكة الى الانبيا واحدهم
سفير ثم اثنى عليهم بقوله كرام اي هم كرام على الله بررة اي مطيعين
له جمع بار قوله عز وجل قتل الانسان اي لعن الكافر وطرد ما اكفره
اي ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه واياديه عنده وهذا على سبيل
التعجب اي اعجبوا من كفره وقيل معناه اي شي حمله على الكفر نزلت هذه
الاية في عتبة بن ابي لهب وقيل في امية بن خلف وقيل في الذين قتلوا يوم
بدر وقيل الاية عامة في كل كافر ثم بين من امره ما كان ينبغي منه ان يعلم
ان الله تعالى خالقه فقال تعالى من اي شي خلقه لفظه استفهام ومعناه
التقرير ثم فسر ذلك بقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره يعني خلقه
اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى اخر خلقه وقيل قدره يعني خلق راسه
وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما اراده ثم السبيل يسره اي سهل
له طريق خروجه من بطن امه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل
وقيل تيسر على كل احد ما خلق له وقدر عليه ثم اماته فاقبره اي جعل له
قبرا يواري فيه وقيل معناه مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش

والطيور واقبره معناه ستره الله بجبث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه
تكرمة لبني ادم على ساير الحيوانات ثم قال تعالى ثم اذا شا انشره اي احياه
بعد موته للبعث والحساب وانما قال ثم اذا شا انشره لان وقت البعث
غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله تعالى متى شا ان يحيي الخلق احياهم
كلا ردع وزجر للانسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره واصراره
على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب لما يقض ما امره اي لم يفعل ما
امره به ربه ولم يود ما فرض عليه ولما ذكر خلق ادم ذكر رزقه ليعتبر فانه
موضع الاعتبار فقال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه اي كيفية
قدرة ربه وما دبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه
ثم بين ذلك فقال تعالى انا صببنا الما صبا يعني المطر ثم شققنا الارض
شقا اي بالنبات فانبتنا فيها اي بذلك الما حبا يعني الحبوب الذي
يتغذي بها الانسان وعنبا يعني انه غذا من وجه وفاكهة من وجه فلهذا
اتبعه للحب وقضبا يعني القت وهو الرطب سمي بذلك لانه يقتضب اي يقطع
في كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذي يعلف به الدواب وزيتونا
وهو ما يعصر منه الزيت ونخلا وحدايق جمع حديقة غلبا يعني غلاظ
الاشجار وقيل الغلبا الشجر الملتف بعضه في بعض وقال ابن عباس طوالا
وفاكهة يعني جميع الوان الفاكهة وابا يعني الكلا والمرعى الذي لم يزرعه
الناس مما ياكله الدواب والانعام وقيل الفاكهة ما ياكله الناس والاب
ما ياكله الدواب وقال ابن عباس ما انبتت الارض مما ياكل الناس والانعام
روي ابراهيم التيمي ان ابا بكر سيل عن قوله وفاكهة وابا فقال اي سما
تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم خ عن انس ان عمر
قرا وفاكهة وابا قال فما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا بهذا
لفظ البخاري وزاد غيره قال ثم اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه
متاعا لكم يعني الفواكه والحب والعشب منفعة لكم ولانعامكم ثم ذكر
اهوال القيامة فقال تعالى فاذا جاءت الصاخة يعني صيحة القيامة
سميت صاخة لانها تصخ اسماع الخلق اي تبالغ في اسماعهم حتى تكاد
تصمها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اي انه
لا يلتفت الى واحد منهم لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد
والسبب في ذلك ان الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول ما
واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفني
حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر هابيل
من اخيه قابيل والنبي صلى الله عليه وسلم من امه وابراهيم عليه السلام من
ابيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المومن من موالاة هولا

ونصرتهم

ونصرتهم والمعنى ان هولا الذين كانوا يقربونهم في الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون
فانه يفر منهم في الدار الاخرة وفايدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من
اخيه بل من ابويه لانهما اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقه بهم
اشد من تعلقه بالابوين لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي
يشغله شان نفسه عن شان غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة ايبصر احدنا او يرى بعضنا عورة
بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة واهوالها بين حال
المكلفين وانهم على قسمين منهم السعدا والاشقيا فوصف السعدا بقوله
تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضا
وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من اثر الوضوء وقيل من الغبار في سبيل الله
ضاحكة اي عند الفراغ من الحساب مستبشرة اي بالسرور وفرحة
بما نال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقيا فقال ووجوه يومئذ
عليها غبرة سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم ترهقها قترة اي يعلوها
ويغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس يغشاها ذلة والفرق بين
القترة والغبرة ان الغبرة ما كان اسفل في الارض والقترة ما ارتفع من الغبار
فلحق بالسما اوليك اي الذين صنع بهم هذا هم الكفرة الفجرة جمع كافر وفاجر
والله تعالى اعلم

تفسير سورة التكوير

مكية وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات وخمسماية وثلاثون حرفا
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة
كانه راي العين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السما انفطرت واذا السما
انشقت اخرجه الترمذي بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل اذا الشمس كورت قال ابن عباس اظلمت وغورت وقيل اضمحلت
وقيل لفت كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض الشي الى بعض فمعناه
فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها
قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر
ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا م عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس
والقمر جمادان فالقاهما في النار يكون سببا لازدياد الحر في جهنم واذا
النجوم انكدرت اي تناثرت من السما وسقطت على الارض قال
الكلبي وعطا تمطر السما يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الا وقع واذا الجبال
سيرت اي عن وجه الارض فطرت فصارت هبا منثورا واذا العشار

عطلت يعني النوق الحوامل التي اتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشرا
ثم لايزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي انفس ما عند العرب فاذا
كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راعي اهملها اهلها وقد كانوا لازمين
لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيامة وَاذا
الوُحُوشُ يعني دواب البر حشرت اي جمعت يوم القيامة لتقتص
لبعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شيء موته
غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة وَاذا البحارُ سجرت قال ابن عباس
اوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت
البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم الابل لاهل النار وقيل
سجرت اي يبست وذهبت ماوها فلم يبق فيها قطرة قال ابي بن كعب
ست ايات قبل يوم القيامة بين الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس
بينماهم كذلك[2] اذ تناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الجن والانس
واختلف الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى
اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت
واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت قال فتقول الجن والانس نحن ناتيكم
بالخبر فينطلقوا الى البحر فاذا هي نار تاجج فبينماهم كذلك اذ تصدعت الارض
صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السما السابعة العليا اذ
جاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هم اثنا عشر خصلة ستة في الدنيا
وستة في الاخرة وهي ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى وَاذا النفوسُ زوجت
روي النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الاية يقرن بين
الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار
وقيل الحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل
يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس باعمالها وقيل زوجت
نفوس المومنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل
معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد وَاذا الموؤدة سئلت يعني الجارية
التي دفنت وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيردها اي يثقلها
حتى تموت وكانت العرب تفعل بذلك في الجاهلية تدفن البنات حية مخافة
العار والحاجة وروي عن ابن عباس قال كانت المراة في الجاهلية اذا حملت
وكانت اولان ولادتها حفرت حفيرة فتمخضت على راس الحفرة فان ولدت جارية
رمت بها في الحفيرة وان ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل في الجاهلية
اذا ولدت له بنت واراد بقاءها حيا البسها جبة صوف او شعر وتركها
ترعى الابل والغنم في البادية فاذا اراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال
لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر بيرا في الصحرا فيبلغ

[2] اذ وقعت الجبال على الارض بينماهم كذلك

لها البير فيقول لها انظري فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب
حتى تستوي بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوايدة والموؤدة في النار اخرجه ابو داود وكان ابن صعصعة بن ناجية
ممن منع الموؤدة ولم يويد فافتخر به الفرزدق في شعره ومنا الذي منع الوايدات
واحيا الوئيد فلم يويد باي ذنب قتلت معناه قال الموؤدة فيقال
لها باي ذنب قتلت ومعنى سوالها توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب
واذا الصحف نشرت يعني صحايف الاعمال تنشر للحساب واذا السما
كشطت اي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وازيلت
عمن فيها واذا الجحيم سعرت اي اوقدت لاعداء الله تعالى واذا الجنة
ازلفت اي قربت لاوليا الله علمت نفس ما احضرت يعني عند ذلك
تعلم كل نفس ما احضرت من خير او شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت
الى هنا قوله عز وجل فلا اقسم لا زايدة والمعنى اقسم وقد تقدم ذلك في
قوله لا اقسم بيوم القيامة بالخنس الجوار الكنس يعني النجوم تبدا بالليل
فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس وعن هذا المعنى وروي عن علي
ابن ابي طالب وقيل هي النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد
تخنس في مجاريها ان ترجع وراها في الفلك وتكنس اي تستتر وقت اختفايها
وقيل انها تخنس ان تتاخر عن مطالعها في كل عام تتاخر تاخره عن تعجيل
ذلك المطلوع تخنس عنه والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هي الظبا
وهي رواية عن ابن مسعود واصل الخنوس الرجوع الى ورا والكنوس هو ان
تاوي الى كناسها وهو الموضع الذي ياوي اليه الوحش والليل اذا عسعس
اي اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرف
الليل والصبح اذا تنفس اي اقبل وبدا اوله وقيل اسفر وفي تنفسه
قولان احدهما ان في اقبال الصبح روح ونسيم فجعل ذلك تنفسا على المجاز
الثاني انه شبه الليل بالكوكب المحزون فاذا حصل له التنفس وجد راحة
فكانه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر
المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى انه يعني القران انه لقول رسول
كريم يعني جبريل عليه السلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله ذي قوة
وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الما الاسود وحملها على
جناحه فرفعها الى السما وانه ابصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب
الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح
صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السما الى الارض ثم يصعد في اسرع
من الطرف عند ذي العرش مكين اي في المنزلة والجاه مطاع ثم اي في
السموات تطيعه الملايكة ومن طاعة الملايكة له انهم فتحوا ابواب السموات

ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله
امين يعني على وحي الله تعالى الى انبيايه وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم يخاطب كفار مكة بمجنون وهذا ايضا من جواب القسم
اقسم على ان القران نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول
اهل مكة وذلك قالوا انه مجنون وانما يقوله ليس هو من عند نفسه فنفى الله
عنه الجنون ولقد راه يعني راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام
على صورته التي خلق فيها بالافق المبين يعني الافق الاعلى من ناحية المشرق
حتى تطلع الشمس وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك على صورتك
التي تكون فيها في السما قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشا ان اتخيل
لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فبمنى قال لا يسعني ذلك قال فبعرفات
قال لا يسعني ذلك قال فبحرا قال يسعني ذلك فواعده فخرج النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة
وكلكلة قد ملا ما بين المشرق والمغرب وراسه في السما ورجلاه في الارض
فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته فضمه
الى صدره وقال يا محمد لا تخف وكيف لو رايت اسرافيل وراسه تحت
العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل
احيانا من مخافة الله عز وجل وعلا علاه وشانه حتى يصير كالصعو يعني
العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وما هو يعني محمد صلى الله
عليه وسلم على الغيب اي الوحي وخبر السما وما اطلع عليه مما كان غايبا
من علمه من القصص والانبا بظنين قري بالظا ومعناه بمتهم والمظنة
التهمة وقري بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه ياتيه علم الغيب ولا
يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى ياخذ عليه
حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراءة الظا اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى
الله تعالى عنه تلك التهمة ولو اراد البخل لقال وما هو بالغيب وما هو يعني
القران بقول شيطان رجيم يعني القران ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش
وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله تعالى ذلك عنه
فاين تذهبون اي فاين تعدلون عن القران وفيه الشفا والهدى والبيان
وقيل معناه اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ان هو
اي ما في القران الا ذكر للعالمين اي موعظة للخلق اجمعين لمن شا منكم
ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم عليه ثم بين ان مشية العبد موقوفة
بمشيته فقال وما تشاون الا ان يشا الله رب العالمين اعلمهم الله
تعالى ان المشية في التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك

الا بمشية الله تعالى وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله
تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيته والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الانفطار

مكية وهي تسع عشرة اية وثمانون كلمة وثلاثماية وتسعة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا السما انفطرت اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي
تساقطت واذا البحار فجرت اي فجر بعضها في بعض واختلط العذب
بالمالح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت واذا القبور بعثرت
اي بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احيا علمت نفس ما
قدمت واخرت يعني علمت في ذلك الوقت ما قدمت من عمل صالح او سي
واخرت بعدها من حسنة او سيية وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت
من الزكاة وهو احوال يوم القيامة قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم اي ما خدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ما صنعت
وضيعت ما وجب عليك والمعنى ماذا امنك من عقابه قيل نزلت في الوليد
ابن المغيرة وقيل في ابي الاشدين واسمه اسيد بن كلدة وقيل كلدة بن
خلف وكان كافرا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وانزل الله تعالى
هذه الاية وقيل الاية عامة في كل كافر وعاص وقيل غره حمقه وجهله
وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حتى لم يعاجله بالعقوبة
في اول مرة بربك الكريم اي المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته
بل بسط لك المدة لرجا التوبة قال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو
الله به يوم القيامة فيقول يا ابن ادم ما غرك بي ماذا عملت فيما علمت
يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله
يوم القيامة فيقول لك يا ابن ادم ما غرك بربك الكريم ماذا كنت
تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة فقال يحيى بن معاذ لو اقامني بين
يديه وقال ما غرك بي اقول غرني بك سبرك بي سالفا واثفا وقال
ابو بكر الوراق ولو قال لي ما غرك بي لقلت غرني بك انك اكرم الاكرمين
وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون ساير اسمايه وصفاته
كانه لقنه حجته في الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم الذي خلقك
اي اوجدك من العدم الى الوجود فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضا
تسمع وتبصر فعدلك اي عدل خلقك في مناسبة الاعضا فلم يجعل
بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قايما معتدلا احسن الصورة
ولم يجعلك كالبهيمة في اي صورة ما شا ركبك اي في اي شبه من

اب او ام او خال او عم وجا في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضر كل عرق بينه وبين ادم ثم قرا في اي صورة ما شا ركبك وقيل معناه ان شا ركبك في صورة انسان وان شا في صورة دابة او حيوان وقيل في اي صورة ما شا ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي هذا دلالة على قدرة الصانع المختار والقادر وذلك انه لما اختلفت الهيات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى قوله عز وجل **كلا بل تكذبون بالدين** اي بيوم الحساب والجزا **وان عليكم لحافظين** يعني رقبا من الملايكة يحفظون عليكم اعمالكم **كراما** اي على الله تعالى **كاتبين** اي يكتبون اقوالكم واعمالكم **يعلمون ما تفعلون** يعني من خير او شر قوله تعالى **ان الابرار** يعني الذين بروا وصدقوا في ايمانهم باداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه **لفي نعيم** يعني نعيم الجنة **وان الفجار لفي جحيم** روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدني ليت شعري ما لنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله تعالى فانك تعلم ما لك عند الله فقال واين اجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين **يصلونها يوم الدين** يعني يوم القيامة لانه يوم الجزا **وما هم عنها بغايبين** اي عن النار ثم عظم شان ذلك اليوم فقال **وما ادراك ما يوم الدين** قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى اي شي علمك به لو لم يعرفك احواله **ثم ما ادراك ما يوم الدين** التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شانه **يوم لا تملك نفس لنفس شيا** اي لا تملك نفس لنفس كافرة شيا من المنفعة **والامر يومئذ لله** يعني انه لم يملك الله احدا شيا كما ملكهم في الدنيا والله اعلم بمراده

تفسير سورة المطففين

مدنية في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان ايات مكية وهي قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة في الهجرة وهي ست وثلاثون اية وماية وتسع وستون كلمة وسبعماية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **ويل** اي قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلا يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم **للمطففين** يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق في الكيل والوزن الا الشي اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقيل لما قدم

رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فانزل الله هذه الاية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى **الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون** يعني انهم اذا اكتالوا من الناس لانفسهم ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اي اشتروا شيا استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن **واذا كالوهم او وزنوهم** يعني الناس كما يقال نصحتك ونصحت لك **يخسرون** اي ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من ياخذ لنفسه زايدا او يدفع لغيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكباير وذلك لان عامة الخلق يحتاجون الى المعاملات وهي مبنية على امر الكيل والوزن [2] قال نافع كان ابن عمر يمر بالبايع فيقول له اتق الله واوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة **الا يظن** اي الا يعلم ويستيقن **اوليك** الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون **انهم مبعوثون ليوم عظيم** يعني يوم القيامة **يوم يقوم الناس** يعني من قبورهم **لرب العالمين** اي لامره وجزايه وحسابه **ق** عن نافع ان ابن عمر تلا الا يظن اوليك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وروي مرفوعا **م** عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من روس الخلايق يوم القيامة حتى يكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذي او اثنين قال سليم ابن عامر والله ما ادري ما يعني بالميل المسافة الارض او الميل الذي يكحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه قوله تعالى **كلا** قيل انه ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتدا يتصل بما بعده على معنى حقا **ان كتاب الفجار** اي الذي كتب فيه اعمالهم **لفي سجين** قال ابن عمر هي الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروى البغوي باسناد الثعلبي عن البرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليين في السما السابعة تحت العرش قال شمر بن عطية جا ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول الله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان روح الكافر يصعد بها الى السما فتابى السموات ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى

[2] قال الفرع فلينظر المشبه عظم الله امر الكيل والوزن صح

الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين ثم ينتهى بها الى سجين وهو موضع
جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند
لمعرفتها الملائكة بحساب يوم القيامة وقيل هي صخرة تحت الارض السابعة
السفلى خضرا اخضرت السموات منها فقلبت او يجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب
هي اخر سلطان ابليس وجا في الحديث الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب
في جهنم مفتوح وقيل معناه لفي سجين لفي خسارة وضلال وقيل انه مشتق
من السجن ومعناه لفي حبس وضيق شديد وما ادراك ما سجين اي ذلك
ما كنت تعلمه انت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين كتاب
مرقوم ليس في هذا تفسير للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور
في قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم اي مكتوب اعمالهم
مثبت عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه
وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم
اي مختوم وهي بلغة حمير ويل يومئذ للمكذبين وقيل هو انه متصل
بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين والمعنى ويل لمن كذب بهذا اليوم
وقيل مرقوم معناه مرقوم على الشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين
ان في ذلك من ذلك الكتاب المرقوم عليهم من الشقاوة الذين يكذبون
بيوم الدين اي بيوم القيامة لانه يوم الجزا وما يكذب به اي بيوم
القيامة الا كل معتد اي متجاوز عن منهج الحق اثيم هو مبالغة في الاثم
او هو المرتكب للاثم والمعاصي اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
اي اكاذيب الاولين قوله عز وجل كلا اي لا يؤمنون ثم استانفه فقال
تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان العبد اذا اخطا خطيئة نكتت في قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر
وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه وهو الران الذي قال الله
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن
صحيح واصل الرين الغلبة ومعنى الاية ان الذنوب والمعاصي غلبت على
قلوبهم احاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس
ران قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع
ان يطبع الله على القلب وهو اشد من الرين ويقال اشد من الطبع وقيل
الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب شيء كالصدا فيغطيه فعند ذلك
يموت القلب كلا قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس
الامر كما يقولون ان لهم في الاخرة خيرا ثم استانف فقال تعالى انهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله
تعالى لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف لما حمله على منع

الكرامة

الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل ولكنا الوجه الثاني فان
من حجب عن الله تعالى فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيهم وهو الذي
ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن رويته وهذا هو الصحيح والمحتج
بهذه الاية من اثبت الروية للمومنين قالوا ولولا ذلك لم يكن للتخصيص
فايدة ووجه اخر وهو ان الله تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد
للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله للمومنين فوجب
ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المومنين قال الحسن لو علم الزاهدون
والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا وقيل
كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الاخرة عن رويته وسيل مالك عن
هذه الاية فقال لما حجب الله اعداءه فلم يروه تجلى لاوليايه وقال الشافعي
في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله تعالى يرون
الله جل جلاله وعنه كما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى
ثم اخبر بان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله تعالى يدخلون النار فقال
تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار ثم يقال اي تقول
لهم الخزنة هذا اي هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون يعني في
الدنيا كلا اي ليس الامر كما تتوهمونه ايها الفجار من انكار البعث وقيل
كلا اي لا يومن بالعذاب الذي يصلاه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى
ان كتاب الابرار لفي عليين جمع علي من العلو وقيل هو موضع على صفة
الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم في حديث البرا المرفوع عليين في السما
السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضرا معلق
تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قايمة تحت العرش اليمنى وقال
ابن عباس في رواية عنه هي الجنة وقيل هي سدرة المنتهى وقيل معناه علو
بعد علو وشرف بعد شرف وقيل وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة
قد عظمها الله تعالى واعلاها وما ادراك ما عليون تنبيها له على عظم شانه
كتاب مرقوم ليس بتفسير لعليين والمعنى ان كتاب الابرار لفي عليين
كتاب مرقوم قيل لهم فيه بخير واهوما اعد لهم من الكرامة وقيل مكتوب
فيه اعمالهم وعليين محل الملايكة وضده سجين وهو محل ابليس وجنوده
يشهده المقربون يعني الملايكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون
ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا
صعد به الى عليين المقربون من الملايكة لكرامة المومن قوله تعالى ان
الابرار يعني المطيعين لله لفي نعيم يعني نعيم الجنة على الارايك جمع
اريكة وهي الاسرة في الحجال ينظرون الى ما اعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل
ينظرون الى اعدايهم كيف يعذبون في النار وقيل ينظرون الى ربهم تعالى

تعرف في وجوههم نضرة النعيم يعني انك اذا رايتهم تعرف انهم من اهل الجنة
لما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض وقيل النضرة في الوجه والسرور
في القلب يسقون من رحيق يعني الخمر الصافية الطيبة البيضا مختوم
يعني ختم على ذلك الشراب ومنع من ان تمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار فان قلت
قد قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار من خمر والنهر لا يختم فيه فكيف
طريق الجمع بين الايتين قلت يحتمل ان يكون المذكور في هذه الاية في اوان
مختوم عليها وهي غير تلك الخمر التي في الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها
ختامه مسك اي طينه الذي ختم عليه مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها
طين وقال ابن مسعود مختوم اي ممزوج ختامه اي اخر طعمه وعاقبته
مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى ليحصل لهم هذا الشراب
المختوم بالمسك وقيل اصله من الشي النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس
ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يغضب ويبخل ومزاجه
من تسنيم اي من شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في
الهوا متسنما فينصب في اواني على قدر ملئها فاذا امتلات امسك واصل
هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم
فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين عينا يشرب
بها اي منها وقيل يشرب بها المقربون صرفا قوله عز وجل ان الذين اجرموا
اي اشركوا يعني كفار قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل واصحابهم
من اهل مكة كانوا من الذين امنوا اي عمار وخباب وصهيب وبلال
واصحابهم من فقرا المومنين يضحكون اي منهم ويستهزؤن بهم واذا مروا
بهم يعني مر المومنون الفقرا بالكفار الاغنيا يتغامزون يعني يتغامز
الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب يشيرون اليهم بالاعين استهزا
بهم واذا انقلبوا الى اهلهم يعني الكفار انقلبوا فاكهين اي معجبين
بما هم فيه وقيل ينقلبون بذكرهم كانهم يتفكهون بحديثهم واذا راوهم
يعني راوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ان هؤلا لضالون يعني في
ضلال يأتون محمدا ويروا انهم على شي قال الله تعالى وما ارسلوا يعني
المشركين عليهم يعني على المومنين حافظين اي لاعمالهم والمعنى
انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم قوله عز وجل فاليوم يعني في الاخرة الذين
امنوا من الكفار يضحكون وسبب هذا الضحك ان الكفار اذا لما كانوا
في الدنيا يضحكون من المومنين لما هم فيه من الشدة والبلا فلما افضوا الى
الاخرة انعكس ذلك الامر فصار المومنون في السرور وصار الكفار في
العذاب والبلا فضحك المومنون على الكفار لما راوا من حالهم وقال ابو صالح

يفتح للكفار ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها اغلقت
دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمومنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال
كعب بين الجنة والنار كوى اذا اراد المومن ان ينظر الى عدو له من الكفار كان
في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب ضحك منه فذلك قوله تعالى
فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك جمع اريكة وهو
السرير يتخذ فيها الحجلة وهي اريكة يزين بها البيت وارايك الجنة من الدر
والياقوت ينظرون يعني اليهم وهم في النار يعذبون قال الله تعالى
هل ثوب الكفار اي جوزي الكفار ما كانوا يفعلون اي من الاستهزا
والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب واثاب واثيب بمعنى
قال اوس

• ساجزيك او يجزيك عني مثوب • وحسبك ان يثنى عليك ويحمد •

والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الانشقاق

مكية وهي خمس وعشرون اية ومائة وسبع كلمات واربعمائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا السما انشقت يعني عند قيام الساعة وهي من علاماتها
واذنت لربها اي سمعت امر ربها بالانشقاق وطاعته من الاذن وهو
الاستماع وحقت اي حق لها ان تطيع ربها واذا الارض مدت
يعني مد الاديم العكاظي وزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل
والقت ما فيها اي اخرجت ما في بطنها من الموتى والكنوز وتخلت
اي من ذلك الذي كان في بطنها واذنت لربها وحقت واختلفوا في
جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشيا يرى الانسان
الثواب والعقاب وقيل جوابه يا ايها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت
السما لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت وحينئذ تكون الواو زائدة
يا ايها الانسان انك كادح اي ساع اليه في عملك سعيا والكدح عمل الانسان
وجهده في الامرين من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل
معناه انك كادح في لقا ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر
بك الى الموت وقيل معناه انك لكدح في دنياك كدحا تصير به الى ربك
كدحا فملاقيه اي فملاق جزا عملك خيرا كان او شرا وقيل فملاق ربك
فاما من اوتي كتابه بيمينه يعني ديوان عمله فسوف يحاسب حسابا
يسيرا سوف من الله واجب والحساب اليسير هو ان تعرض عليه اعماله
فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا

هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت
هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه من طولب بذلك لم يجد عذرا
ولا حجة فيفتضح ق عن ابن ابي مليكة ان عايشة كانت لا تسمع شيا لا تعرفه
الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب
قالت فقلت اوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت
فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وينقلب الى اهله
يعني في الجنة من الحور العين والادميات مسرورا اي مما اوتي من الخير
والكرامة واما من اوتي كتابه وراء ظهره يعني تغل يده اليمنى وتجعل
يده اليسرى وراء ظهره فيعطى بها كتابه فسوف يدعوا ثبورا يعني
اذا اعطي كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم انه من اهل النار فيدعوا بالويل
والهلاك فيقول ويلاه يا ثبوراه ويصلى سعيرا اي فيقاسي التهاب
النار وحرها انه كان في اهله يعني في الدنيا مسرورا يعني باتباع
هواه وركوب شهواته انه ظن ان لن يحور اي لن يرجع الينا ولن يبعث
والحور الرجوع بلى اي ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويبعث ويحاسب
ان ربه كان به بصيرا اي من يوم خلقه الى ان يبعث قوله تعالى فلا اقسم
بالشفق تقدم الكلام في تفسير لا اقسم في سورة القيامة واما الشفق
فقال مجاهد هو النهار كله وحجته في ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان
يكون المذكور اولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار
اللذين فيهما معايش العالم وسكونه وقيل هو ما بقي من النهار وقال ابن عباس
واكثر المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب
عامة العلما وقيل هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابي حنيفة
والليل وما وسق اي جمع وضم مما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب
والهوام وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شي الى ماواه وقيل ما عمل فيه
ويحتمل ان يكون ذلك تهجد العباد فيجوز ان يقسم بهم والقمر اذا اتسق
اي اجتمع وتم نوره وذلك في الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر
المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى لتركبن قري بفتح البا وهو
خطاب للواحد والمعنى لتركبن يا محمد طبقا عن طبق يعني سما بعد سما
وقد فعل الله معه ذلك ليلة اسري به فاصعده سما بعد سما وقيل درجة بعد
درجة ورتبة بعد رتبة الى القربة من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا
بعد حال خ عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا
نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين
حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم على كفرهم
وقري لتركبن بضم البا وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن ايها

الانسان

الانسان حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك في موقف القيامة فتنقلب
بهم الاحوال فيصيرون في الاخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا
وقال ابن عباس يعني الشدايد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض
وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم
كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم ق عن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم ولتحذوهم
شبرا بعد شبر وذراعا بعد ذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا
يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى الاية انه اراد به
السما تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق
مرة وتطوي اخرى فما لهم لا يومنون يعني بالبعث والحساب وهو
استفهام انكار واذا قري عليهم القران لا يسجدون اي لا يصلون عبر
بالسجود عن الصلاة لانه جز منها وقيل اراد به سجود التلاوة وهذه
السجدة احدى سجدات القران عند الشافعي ومن وافقه عن رافع قال صليت
مع ابي هريرة العتمة فقرا اذا السما انشقت فسجد فقلت ما هذه قال
سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى
القاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا
باسم ربك واذا السما انشقت بل الذين كفروا يكذبون يعني بالقران
والبعث والله اعلم بما يوعون يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب
فبشرهم بعذاب اليم يعني على تكذيبهم وكفرهم الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم اجر غير ممنون يعني غير مقطوع ولا منقوص في
الاخرة والله اعلم

تفسير سورة البروج

مكية وهي اثنان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعماية وخمس
وستون حرفا ان صح العدد بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والسما ذات البروج يعني البروج الاثنا عشر وانما حسن
القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري سبحانه وتعالى وهو سير الشمس
والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب
العظام سميت بروجا لظهورها واليوم الموعود يعني يوم القيامة
وشاهد ومشهود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة
ما طلعت شمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها
عبد مومن يدعوا الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شي الا
اعاذه الله منه اخرجه الترمذي وضعف احد رواته من قبل حفظه وهذا

قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود عرفة وقيل الشاهد
يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود
يوم عرفة انما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجماع المسلمين
فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد
هم الانبيا والمشهود عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود
عليه هو ادم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم
والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبيا والمشهود
له محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبيا قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسما
ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اقسام اقسم الله تعالى
بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قتل اصحاب الاخدود اي لعن
وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل
في الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك اني
قد كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه السحر وكان
في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى
الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر
قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكى ذلك الى الراهب
فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني
الساحر فبينما هو كذلك اذا اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال
اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان
امر الساحر امر فاقتل هذه حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس
فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ
من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرى
الاكمه والابرص ويداوي الناس من ساير الادوا فسمع جليس للملك كان قد
عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ها هنا لك اجمع ان انت شفيتني فقال اني لا اشفي
احدا انما يشفي الله عز وجل فان امنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك
فامن بالله فشفاه الله عز وجل فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال
له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال الله ربي
وربك فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له
الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبري الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال
اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على
الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع
المنشار في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل

له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل
كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه
فذهبوا فصعدوا به الجبل فقال اللهم رب العالمين اكفنيهم بما شيت فرجف
بهم الجبل وجا يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم
الله تعالى بقدرته فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في
قرقورة وتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به
فقال اللهم اكفنيهم بما شيت فانكفيت بهم السفينة فغرقوا وجا يمشي الى
الملك فقال له ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك انك
لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد
واحد وتصلبني على جذع نخل ثم تاخذ سهما من كنانتي ثم تضع السهم في
كبد القوس ثم قل بسم الله رب هذا الغلام ثم ارمني به فانك ان فعلت
ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما
من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب هذا الغلام
ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات
فقال الناس امنا برب الغلام ثلاثا فاتى الملك فقال له ارايت ما كنت
تحذر قد والله نزل بك حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود فخدت
بافواه السكك واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاحموه او قال
فاقحموه فيها وقيل له اقتحم ففعلوا ذلك حتى جاءت امراة معها صبي لها
فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبري ولا تقاعسي فانك
على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وفي هذا الحديث اثبات كرامات
الاوليا وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع الى الدين وفي انقاذ النفس
من الهلاك والاكمه هو الذي خلق اعمى والمنشار بالنون وتخفيف الهمزة وروي
اليعوبي بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه ورجف تحرك واضطرب
والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة وانكفيت اي انقلبت
والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق وافواهها والاخدود
الشق العظيم في الارض واقحموه اي ارموه فيها وتقاعست اي تاخرت وكرهت
الدخول في النار قال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له
يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم
بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه
يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا عن طاعة ابيه
فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت
فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان
قد بقي على دين عيسى فرفع الى نجران فاحبوه فسار اليه ذو نواس اليهودي

بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخدود وحرق
اثني عشر الفا ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا واقتحم البحر
بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحاق عن عبد الله بن ابي بكر ان خربة احترقت
في زمن عمر بن الخطاب فوجد عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة
في راسه اذا اميطت يده عنها انبعثت دما وان تركت ارتدت مكانها
وفي يده خاتم من حديد فيه مكتوب ربي الله فبلغ ذلك عمر فقال اعيدوا
عليه الذي وجد ثم وقال سعيد بن جبير وابن ابزي لما انهزم اهل اسفندهار
قال عمر بن الخطاب اي شيء جري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا اهل كتاب
فقال علي بن ابي طالب بلى قد كان لهم كتاب وكان الخمر قد احلت لهم فتناولها
ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه السكر
ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه
ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات لكم فقال الناس
باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقر به وما جاءنا به من نبي ولا انزل علينا
كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا
به فخد لهم الاخدود واوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن ابي قذفه في النار
ومن اجاب سبيله وروي عن علي قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشي
بعث من الحبشة الي قومه ثم قرا علي ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم
من قصصنا عليك الاية فدعاهم فتابعه ناس فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه
واخذ من انفلت منهم فاوثقوه ثم خدوا لهم اخدودا فملؤها نارا فمن اتبع
ذلك النبي رمي به في النار ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامراة معها صبي رضيع فجزعت
فقال الصبي يا اماه قعي ومري ولا تتقاعسي وقيل كانت الاخدود ثلاثة
فواحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار
فاما التي بالشام فهو انطياخوس الرومي واما التي بفارس فبختنصر وزعموا
انهم اصحاب دنيال واما التي باليمن فذو نواس فاما التي بالشام وفارس
فلم ينزل الله فيهما قرانا وانزل في التي بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة
كانت مشهورة عند اهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره في الدين فقوله تعالى **النار**
ذات الوقود هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله المومنين
الذين القوا في النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار
الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم **اذ هم عليها قعود** اي
جلوس عند الاخدود **وهم** يعني الملك الذي خد الاخدود واصحابه **على**
ما يفعلون بالمومنين اي من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا
الى دينهم **شهود** اي حضور وقيل يشهدون ان المومنين ضلال حين تركوا

عبادة الصنم **وما نقموا منهم** قال ابن عباس ما كرهوا منهم **الا ان يومنوا بالله**
وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله **العزيز** يعني الذي يستحق العبادة
هو العزيز اي الغالب القاهر الذي لا يغالب ولا يدافع **الحميد** الذي يستحق
ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك وهو الله تعالى **الذي له ملك السموات والارض**
اي هو المستحق للعبادة **والله على كل شيء** من افعالهم بالمومنين **شهيد**
وفيه وعد عظيم للمومنين ووعيد عظيم للكافرين قوله عز وجل **ان الذين فتنوا**
اي عذبوا واحرقوا **المومنين والمومنات** بالنار **ثم لم يتوبوا** اي لم يرجعوا عما هم
عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وامنوا يقبل منهم وخرجوا من هذا
الوعيد وان الله يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق اي لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب
الحريق بما احرقوا المومنين وقيل لهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان الله
تعالى احرقهم بالنار التي احرقوا بها المومنين ارتفعت اليهم من الاخدود
فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الاخرة ثم ذكر ما اعد للمومنين فقال تعالى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها
الانهار ذلك الفوز الكبير قوله تعالى **ان بطش ربك لشديد** قال ابن عباس
ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد **انه هو يبدئ ويعيد** اي
يخلقهم اولا في الدنيا ثم يعيدهم احياء بعد الموت ليجازيهم باعمالهم يوم القيامة
وهو الغفور اي لذنوب جميع المومنين **الودود** اي المحب لهم وقيل المحبوب
اي يوده اولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى
اوليائه بالمغفرة **ذو العرش** اي خالقه ومالكه **المجيد** قري بالرفع
على انه صفة لله تعالى لان المجيد من صفات التعالي والجلال وذلك لا يليق
الا بالله تعالى وقري المجيد بالكسر على انه صفة للعرش اي السرير العظيم
اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل اراد حسنه فوصفه
بالمجيد فقد قيل ان العرش احسن الاجسام **فعال لما يريد** يعني انه
لا يعجزه شيء ولا يمتنع من شيء طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه
معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك
مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر **هل اتاك** اي قد اتاك **حديث**
الجنود اي خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال
تعالى **فرعون** يعني وقومه **وثمود** وكانت قصتهم مع اهل مكة مشهورة
بل الذين كفروا يعني من قومك يا محمد **في تكذيب** يعني لك وللقران
كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم **والله من ورائهم**
محيط اي عالم بهم لا يخفى عليه شيء من اعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن
كان قبلهم **بل هو قران مجيد** اي كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم

المشركون انه شعر وكهانة في لوح محفوظ قرئ بالرفع على انه نعت للقران يعني ان القران محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت للوح المحفوظ لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب وفيه نسخ الكتب وسمي محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضا طوله ما بين السما والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمرا وقلمه من نور وكلامه معقود بالعرش واصله في حجر ملك والله اعلم

تفسير سورة الطارق

وهي سبعة عشر اية واحدى وستون كلمة ومايتان وتسعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والسما والطارق قيل نزلت في ابي طالب وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلا ما ثم نارا ففزع ابو طالب وقال اي شي هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله فتعجب ابو طالب فانزل الله تعالى والسما والطارق يعني النجم يظهر بالليل وكلما اتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى في الغالب النهار وسمي النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

تريد ان ابانا نجم في علوه وشرفه وما ادراك ما الطارق قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه له بقوله النجم الثاقب اي المضي المنير وقيل المتوهج وقيل هو المرتفع العالي وقيل الذي ترمى به الشياطين فيثقبهم اي ينفذه والنجم الثاقب قيل هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه اقسام اقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشيا وجواب القسم قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ يعني ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملايكة وقيل حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلي عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها قوله تعالى فلينظر الانسان نظر تفكر واعتبار مم خلق اي من اي شي خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى خلق من ما اي

مني

من مني دافق اي مدفوق مصبوب في الرحم واراد به ما الرجل وما المراة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما يخرج يعني ذلك الما وهو المني من بين الصلب والترايب يعني صلب الرجل وترايب المراة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هو موضع القلادة من الصدر وعنه انه بين ثديي المراة وقيل ان المني يخرج من جميع اعضا الانسان واكثر ما يخرج من الدماغ فينصب في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المراة وهي الترايب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر انه على رجعه لقادر يعني انه تعالى قادر على ان يرد النطفة في الاحليل وقيل قادر على رد الما في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ما كما كان من قبل وقيل معناه ان شيت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه قادر على حبس ذلك الما حتى لا يخرج وقيل معناه وان الذي قدر على خلق الانسان ابتدا قادر على ان يعيده حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الاية لقوله تعالى بعده يوم تبلى السراير وذلك هو يوم القيامة وقيل معناه تظهر الخفايا ومعنى تبلى تختبر وقيل السراير هي فرايض الاعمال كالصوم والصلاة والوضو والغسل من الجنابة فكل هذه سراير بين العبد وربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من اداها ممن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدي الله تعالى كل سر يكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من ادى الفرايض كما امر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها او انتقص منها كان وجهه اغبر فما له اي لهذا الانسان المنكر للبعث من قوة اي يمتنع بها من عذاب الله تعالى ولا ناصر اي ينصره من الله ثم ذكر قسما اخر فقال تعالى والسما ذات الرجع اي ذات المطر سمي به لانه يجي ويرجع ويتكرر والارض ذات الصدع اي تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى انه يعني القران لقول فصل يعني انه حق وجد يفصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل اي باللعب والباطل انهم يعني مشركي مكة يكيدون كيدا يعني يحتالون في المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه واكيد كيدا يعني اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم في الدنيا بالسيف وفي الاخرة بالنار فمهل الكافرين يعني لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم وقال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال تعالى امهلهم رويدا يعني قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال باية السيف والله سبحانه اعلم

تفسير سورة الاعلى

مكية وهي تسع عشرة اية واثنان وسبعون كلمة ومايتان واحدى وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح اسم ربك الاعلى اي قل سبحان ربي الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى ذكره البغوي باسناد الثعلبي وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بان تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح اي صل بامر ربك الاعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود الذي خلق فسوى اي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة والذي قدر فهدى قيل قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شي شكله فهدى اي عرف كيف ياتي الذكر والانثى وقيل قدر مدة الجنين في الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطايفتين سلوك سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقدر اي اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وساير الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى والذي اخرج المرعى اي انبت العشب وما ترعاه الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغير ذلك فجعله يعني المرعى بعد الخضرة غثاء اي هشيما يابسا باليا كالغثاء الذي تراه فوق السيل احوى اي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا جف ويبس اسود قوله تعالى سنقريك اي نعلمك القران بقراءة جبريل عليك فلا تنسى يعني ما يقرا عليك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل عليه السلام بالوحي لم يفرغ من اخر الاية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باولها مخافة ان ينساها فانزل الله تعالى سنقريك فلا تنسى فلم ينس شيا بعد ذلك الا ما شا الله يعني ان تنساه وهو ما نسخ الله تلاوته من القران ورفعه من الصدور وقيل معناه الا ما شا الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عايشة رضي الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرا في سورة الليل فقال يرحمه الله لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وفي رواية كنت اسقطتهن من سورة كذا اخرجاه في الصحيحين وقيل هذا الاستثنا لم يقع ولم يشا الله ان ينسيه شيا انه يعلم الجهر

يعني من القول والفعل وما يخفى يعني منهما والمعنى انه الله يعلم السر والعلانية ونيسرك لليسرى اي نهون عليك لان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما تقروه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى ما تقروه في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى اي نهون عليك الوحي حتى تحفظه ولا تنساه فذكر اي فعظ بالقران ان نفعت الذكرى اي مدة نفع الموعظة والتذكير والمعنى عظ انت وذكر ان نفعت او لم تنفع انما عليك البلاغ سيذكر من يخشى اي سيتعظ من يخشى الله تعالى ويتجنبها اي الذكرى ويتباعد عنها الاشقى اي في علم الله تعالى الذي يصلى النار الكبرى اي النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى هي نار الاخرة والنار الصغرى هي نار الدنيا ثم لا يموت فيها اي في النار فيستريح ولا يحيى اي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل قد افلح من تزكى اي تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قال ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روي عن ابي سعيد الخدري في قوله قد افلح من تزكى قال اعطى صدقة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرا تصدق ثم صلى ثم يقرا هذه الاية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعني يوم العيد قال يا نافع اخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالان فاخرج فانما هذه الاية في هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فما وجه هذا التاويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه اخر انه كان في علم الله تعالى انه سيكون ذلك فاخبر عنه وقيل ذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد وقوله عز وجل بل توثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى يعني ان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي خير من الفاني وانتم توثرون الفاني على الباقي قال عرفجة الاشجعي كنا عند ابن مسعود فقرا هذه الاية فقال للناس اتدرون لما اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساوها ولذاتها وبهجتها وان الاخرة نعتت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الاجل وقيل ان اريد بذلك الكافر فالمعنى انهم يوثرون الدنيا على الاخرة لانهم لا يومنون بالاخرة وان اريد بذلك المسلمين فالمعنى يوثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل

وكان ذلك يوم بدر قال عمر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر

في الاخرة وهو خير وابقى ان هذا الذي ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا وهو
اربع ايات لفي الصحف الاولى اي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القران
ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي وايثارا لدنيا وان الاخرة خير وابقى
ثم بين ذلك فقال صحف ابراهيم وموسى يعني ان هذا القدر المذكور في صحف
ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور في صحف جميع الانبيا التي منها صحف ابراهيم
وموسى لان هذا القدر المذكور في هذه الايات لا تختلف فيه شريعة في جميع
الشرايع متفقة عليه عن ابي ذر قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله
ان للمسجد تحية قلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله
هل انزل الله عليك شيا مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا ابا ذر اقرا قد
افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير
وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت
صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن
ايقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن راي الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمين
اليها عجبت لمن ايقن بالقدر ثم يغضب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لا يعمل
خرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الاثير في كتابه جامع الاصول
ولم يعلم عليه شيا عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الوتر
سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة اخرجه
الترمذي والنساي عن عبد الرحمن بن جزيج قال سالنا عايشة باي شي
كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرا في الاولى سبح اسم ربك
الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين
اخرجه ابو داود والنساي والترمذي وقال حديث حسن غريب والله تعالى
اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الغاشية

وهي ست وعشرون اية واثنان وتسعون كلمة وثلاثماية واحدى وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل هل اتاك اي قد اتاك يا محمد حديث الغاشية يعني القيامة
سميت غاشية لانها تغشى كل شي باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك
لانها تغشى وجوه الكفار وجوه يومئذ يعني يوم القيامة خاشعة يعني ذليلة
والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه اشرف اعضا الانسان
عاملة ناصبة قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين
الاسلام ومن عبادة الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب
الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة يدخلون النار يوم القيامة
ومعنى النصب الدرب في العمل والتعب ق عن عايشة قالت قال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه فهو رد وفي رواية من
عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اما الرواية الاولى فانها تختص بمن احدث
في دين الاسلام شيا ابتدعه من عنده فهو رد مردود عليه لا يقبل منه واما
الرواية الثانية فانها تشتمل على كل عامل في دين الاسلام او غير دين الاسلام
فانه مردود عليه اذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل في الاية
عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الاخرة في النار وقيل عاملة ناصبة في النار
لانها لم تعمل لله في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال
وهي رواية عن ابن عباس قال ابن عباس تخوض في النار كما تخوض الابل في
الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار وقيل يكلفون ارتقا جبل من حديد
في النار وهو قوله تصلى نارا حامية قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى
على اعداء الله عز وجل تسقى من عين انية اي متناهية في الحرارة قد اوقدت
عليها جهنم مذ خلقت لو وقع منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعوا
اليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى ليس لهم طعام
الا من ضريع قيل هو نبت ذو شوك لاطي بالارض تسميه قريش الشبرق
فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهي رواية عن ابن عباس
فاذا يبس لا تقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس
له ورق وهو في الاخرة شوك من نار وجا في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع
شي في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار
قال ابو الدردا ان الله يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه
من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام
ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يحيزون الغصص في الدنيا بالما فيستغيثون
فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين انية شربة لا هنية ولا مريئة فاذا
ادنوه من وجوههم سلخ جلد وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها
فذلك قوله تعالى وسقوا ما حميما فقطع امعاءهم قال المفسرون فلما نزلت
هذه الاية قال المشركون ان ابلنا تسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل
انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تاكله فانزل الله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع
يعني ان هذا الطعام لا تقدر البهايم على اكله فهو اذا لا يسمن ولا يغني من جوع
فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الاية لا طعام لهم الا من ضريع وذكر في
موضع اخر لا طعام لهم الا من غسلين فكيف الجمع بينهما قلت ان النار دركات
فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه
الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ثم وصف
اهل الجنة فقال تعالى وجوه يومئذ ناعمة اي متنعمة ذات بهجة وحسن
في نعمة وكرامة لسعيها راضية اي لسعيها في الدنيا راضية في الاخرة

حين اعطيت الجنة بعملها **في جنة عالية** قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض **لا يسمع فيها لاغية** اي ليس فيها لغو ولا باطل **فيها عين جارية** على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث ارادوا من منازلهم وقصورهم **فيها سرر مرفوعة** قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجي اهلها فاذا اراد اهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى موضعها **واكواب** يعني الكيزان التي لا عرى لها **موضوعة** يعني عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافة العين الجارية كلما ارادوا الشرب منها وجدوها مملوءة **ونمارق مصفوفة** يعني وسائد ومرافق مصفوفة بعضها جنب بعض اينما اراد ان يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى **وزرابي** يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية **مبثوثة** اي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس قوله عز وجل **افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت** قال ابن عباس قال اهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوهم فذكرهم الله صنعه فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدا بالابل لانها من انفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت علما التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر من بين ساير الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم يشاهدوا الفيل الا الشاذ منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية وسيل الحسن عن هذه الاية وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فان العرب بعيدة العهد منه ثم هو لا خير فيه لانه لم يركب على ظهره ولا يوكل لحمه ولا يحلب دره والابل اعز مال العرب وانفسه تاكل النوى وعيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقايد الضعيف حتى ان الصبي الصغير ياخذ بزمامها فيذهب بها حيث شا ومنها انها فضلت على ساير الحيوانات باشيا وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة او للركوب او للحمل او للبن او لاجل لحمه ولا توجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير وياكل من لحمها الجم الكثير الغفير وتصبر على العطش مدة ايام ومنها انها تحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف ساير الحيوانات ومنها انها ترعى كل نبات في البراري مما لا ترعاه غيرها من الحيوانات وهي سفن البر يحمل

عليها

عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة ولان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال قلت لان المراد ذكر الدلايل الدالة على توحيده وقدرته وانه مولى الخالق لهذه الاشيا جميعا وكانت الابل من اعظم شي عند العرب ينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا واسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدا بها ولانها من اعظم الحيوانات عندهم **والى السما كيف رفعت** يعني فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شي **والى الجبال كيف نصبت** على الارض نصبا ثابتا راسخا لا تزول **والى الارض كيف سطحت** اي بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شي قال ابن عباس والمعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السما او ينصب مثل الجبال او يبسط مثل الارض غير الله القادر على كل شي ولما ذكر الله تعالى دلايل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال له تعالى **فذكر انما انت مذكر** اي فعظ انما انت واعظ **لست عليهم بمسيطر** اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الايمان وهذه الاية منسوخة نسختها اية القتال **الا من تولى وكفر** استثنا منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير **فيعذبه الله العذاب الاكبر** وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار اكبر من هذا كله **ان الينا ايابهم** اي رجوعهم بعد العذاب **ثم ان علينا حسابهم** يعني جزاهم بعد الرجوع على الله تعالى والله اعلم

تفسير سورة الفجر مكية

وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاثون اية ومايه وثلاثون كلمة وخمسماية وسبعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **والفجر** اقسم الله بالفجر وما بعده لشرفها وفيها من الفوايد الدينية وهي ايضا دلايل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوايد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معنى هذه الالفاظ فروي عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضا الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وساير الحيوانات في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهورة يشهدها الملايكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه تعرف به الليالي العشرة وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك

الحج وفيه القربات **وليال عشر** قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا
يحصل في غيرها روي عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها ايام
الاشتغال باعمال الحج واخرج الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من ايام العمل فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر
الحديث قال العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان شد المئزر وايقظ اهله
يعني للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه
يوم عاشوراء **والشفع والوتر** قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى
ذلك عن ابي سعيد الخدري وقيل الشفع الخلق كله كالايمان والكفر والهدى
والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس
والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى
وقيل الخلق كله ومنه شفع ومنه وتر وقيل هما الصلاة منها شفع ومنها وتر
عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر
قال هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله
ابن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروي ان رجلا سئل
عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال اما الشفع والوتر فقول الله عز وجل
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر
واما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالي
والوتر اليوم الذي لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة
لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه اقسم بالجنة والنار وقيل
الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز
والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت
والحياة والوتر صفات الله تعالى التي تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز
وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت **والليل اذا يسر**
اي اذا سار وذهب وقيل اذا جاء واقبل واراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة
وهي ليلة النحر التي يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى
والليل اذا يسار فيه **هل في ذلك** اي فيما ذكرت **قسم** مقنع ومكتفى في
القسم فهو استفهام بمعنى التاكيد **لذي حجر** اي لذي عقل سمي بذلك
لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغي ولا يحل كما سمي عقلا لانه يعقل صاحبه
عن القبائح وسمي نهى لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغي واصل الحجر المنع ولا يقال
لذي حجر الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها
ما تريد والمعنى ان من كان ذا عقل ولب علم ان ما اقسم الله عز وجل به من هذه

الاشيا

الاشيا فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به
لدلالته على خالقه وقيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض
بين القسم وجوابه قوله تعالى **الم تر كيف فعل ربك بعاد** وقيل
جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشيا ليعذبن الكافر يدل
عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب
وقوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك الم تعلم وانما اطلق لفظ الرؤية على
العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم وقوله الم
تعلم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد كيف فعل ربك بعاد
ارم ذات العماد يعني ان المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم
وهم كانوا اطول اعمارا واشد قوة من هؤلاء فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم
ابن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وانه اهلك
عادا الاولى ارم هو جد عاد على ما ذكره في نسبة عاد وقيل ان المتقدمين
على قوم عاد كانوا يسمون ارم باسم جدهم وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان
فيهم الملك وكانوا بمهرة موضع باليمن وكان عاد اباهم فنسبوا اليه وهو
ارم بن عاد بن سيم بن سام بن نوح وقال الكلبي ارم هو الذي يجتمع اليه
نسب عاد وثمود واهل السواد واهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب
ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل
عاد كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان
عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود
ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنات وزروع ومنازلهم بوادي
القرى وهي التي قال الله تعالى **التي لم يخلق مثلها في البلاد** وسموا
ذات العماد لانهم كانوا على عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي
ورواية ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم مثل العماد في الشدة
قال مقاتل كان طول احدهم اثني عشر ذراعا وقوله التي لم يخلق مثلها في
البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا
من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع
بناءه وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد
فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان
يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء
مثلها عتوا على الله وتجبرا فروي وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه
خرج في طلب ابل له شردت فبينما هو يسير في صحاري عدن اذ وقع على مدينة
في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن
ان فيها احدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها

وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو بنا بين عظيمين وهما مرصعين
بالياقوت الاحمر فلما راى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة
لم ير احد مثلها واذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف
مبنية بالذهب والفضة واحجار اللولو والياقوت واذا ابواب تلك القصور
مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللولو وبنادق
المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة
فاذا في تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انهار مطردة يجري ماوها
في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لولوها
ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث
بما راى فبلغ ذلك لمعاوية فارسل اليه فقدم فساله عن ذلك فقص عليه
ما راى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحاق هل في
الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد
ابن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما اراد شداد بن عاد عملها امر عليها
مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان
يمدوهم بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا
ارضا موافقة فوقفوا على صحرة نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج
فقالوا هذه الارض التي امر الملك ان تبني فيها فوضعوا اساسها من الجزع
اليماني واقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما
اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله
الف قصر وعند كل قصر الف علم ليكون في كل قصر الف وزير من وزرائي ففعلوا
وامر الملك وزرائه وهم الف وزير ان يتهيوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان
الملك واهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من على مسيرة
يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السما فاهلكتهم ولم يبق
منهم احد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر
قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت
فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل قوله عز وجل
وثمود اي وفعل بثمود مثل ما فعل بعاد **الذين جابوا** اي قطعوا **الصخر**
بالواد يعني بواد القرى وكانت ثمود اول من قطع الصخر ونحته واتخذوا
مساكن في الجبال وبيوتا **وفرعون ذي الاوتاد** وسمي بذلك لكثرة
جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه
ذي الملك كما قيل ٭ في ظل ملك راسخ الاوتاد ٭ وقيل سمي بذلك لانه كان
يعذب الناس بالاوتاد روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس ان فرعون
انما سمي ذي الاوتاد لانه كانت امراة وهي امراة خازنه حزقيل وكان مومنا

كتم

كتم ايمانه مائة سنة وكانت امراته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم
تمشط راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله
فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله السموات
والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على ابيها وهي تبكي فقال لها ما
يبكيك قالت الماشطة امراة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات
والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت
فقال لها ويحك اكفري بالهك واقري اني الهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة
اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك
بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان
لها ابنتان فجا بابنتها الكبرى فذبحها على قلبها ثم قال اكفري بالله والا
ذبحت الصغرى على فيك وكان رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض على في
ما كفرت بالله عز وجل فاتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها واراد ذبحها
جزعت المراة فاطلق لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا في
المهد صغارا اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتا
في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام
الى ان ماتت فاسكنها الله الجنة وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه
فقيل لفرعون انه قد روي في جبل كذا في موضع كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهى
اليه الرجلان وهو يصلي وثلاث صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما راوا ذلك
انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر على
احد فايما هذين الرجلين كتم علي فاهده الى دينك واعطه في الدنيا سوله
وايما هذين الرجلين اظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الاخرة
الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وامن واما الاخر
فاخبر فرعون بالقصة على روس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم
فلان فدعي به فقال احق ما يقول هذا قال ما رايت مما يقول شيا فاعطاه
فرعون فاجزل واما الاخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امراة
من اجمل نسا بني اسرائيل يقال لها اسية بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون
بالماشطة فقالت وكيف يسعني ان اصبر على ما ياتي فرعون وانا مسلمة
وفرعون كافر فبينما هي كذلك تومر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس
قريبا منها فقالت لفرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها
قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وان الهها والهك
واله السموات والارض واحد لا شريك له فبسق عليها وضربها وارسل الى
ابيها وامها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة اصابها قالت
اعوذ بالله من ذلك اني اشهد ان ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك

له فقا لا بوها يا اسية الست من غير نسا العالمين وزوجك الملك العماليق قالت
اعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا منقولا له ان يتوج حتى تاجا تكون الشمس
امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني ثم مدها
بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها
فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا في الجنة ونجنى من فرعون
وعمله فقبض الله روحها وادخلها الجنة قوله عز وجل **الذين طغوا في البلاد**
يعني عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان
بقوله **فاكثروا فيها الفساد** يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان
الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع اقسام الاثم
فصب عليهم ربك سوط عذاب يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو
تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط
لهم من العذاب لان اصل السوط خلط الشي بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة
لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل هو جعل سوطه الذي
ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرا هذه الاية يقول ان عند الله تعالى اسواطا
كثيرة فاخذهم بسوط منها **ان ربك لبالمرصاد** قال ابن عباس يعني بحيث
يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته احد وقيل عليه ممر الناس لان
الرصد والمرصاد الطريق وقيل يرجع الخلق الى حكمه وامره واليه مصيرهم
وقيل انه يرصد اعمال بني آدم والمعنى انه لا يفوته شي من اعمال العباد ...
كما لا يفوت من بالمرصاد وقيل ارصد الناس على طريقهم حتى يهلكهم قوله
عز وجل **فاما الانسان اذا ما ابتلاه** اي امتحنه **ربه** بالنعمة **فاكرمه** اي
بالمال **ونعمه** اي بما وسع عليه **فيقول ربي اكرمني** اي بما اعطاني من المال
والنعمة **واما اذا ما ابتلاه** يعني بالفقر **فقدر عليه** اي فضيق عليه وقيل
قتر رزقه اي وقد اعطاه ما يكفيه **فيقول ربي اهانن** اي اذلني بالفقر
قيل نزلت في امية بن خلف الجمحي الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد
جنس الكافر وهو الذي تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في
الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة
فقال تعالى **كلا** اي ليس الامر كذلك لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر
لاهانته فاخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته
ولكن الغنى والفقر بتقديره جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا
لكرامته ويضيق على المومن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما
يكرم المؤمن بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصناف المال
ليختبره ايشكر ام يكفر ويضيق عليه فيختبره ايصبر ام يضجر ويقلق **بل لا يكرمون
اليتيم** اي لا يعطونه حقه الثابت له في الميراث قال مقاتل كان قدامة بن

مظعون يتيما في حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه **ولا يحضون على
طعام المسكين** اي لا يطعمون مسكينا ولا يامرون باطعامه وقرئ ولا
يحاضون ومعناه ولا يحض بعضكم بعضا على ذلك **ويأكلون التراث** اي
الميراث **اكلا لما** اي شديدا والمعنى انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك
انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النسا والصبيان وياكلون نصيبهم وقيل
الاكل اللم الذي ياكل كل شي يجده لا يسال احلال ام حرام وياكل الذي له
ولغيره **ويحبون المال حبا جما** اي كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به
ويحبه **كلا** اي ما ينبغي ان الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل
معناه لا يفعلون ما امروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر
عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى **اذا
دكت الارض دكا دكا** اي دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شي
عليها من جبال وبنا وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شي **وجا ربك** اعلم ان هذه
الاية من ايات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض
الخلف فلم يتكلموا فيها وامروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تاويل
وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراوها على ظاهرها وتاولها بعض المتاخرين
وغالب المتكلمين وقالوا ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله محال فلا بد
من تاويل الاية فقيل في تاويلها وجا امر ربك بالمحاسبة والمجازاة وقيل
وجا امر ربك وقضاوه وقيل وجا دلايل ايات ربك فجعل مجيئها مجيئا
له تفخيما لتلك الايات **والملك صفا صفا** اي تنزل ملايكة كل سما صفا
صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون
سبع صفوف **وجيء يومئذ** يعني يوم القيامة **بجهنم** قال ابن مسعود
في الاية ان تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك
لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش **يومئذ** يعني يوم يجاء بجهنم
يتذكر الانسان اي يتعظ الكافر ويتوب **وانى له الذكرى** يعني انه
يظهر التوبة ومن اين له التوبة **يقول يا ليتني قدمت لحياتي** اي قدمت
الخير والعمل الصالح لحياتي في الاخرة التي لا موت فيها **فيومئذ لا يعذب
عذابه احد** اي لا يعذب احد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ **ولا
يوثق وثاقه احد** يعني لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق
وهو الاسار في السلاسل والاغلال وقرئ ولا يعذب ولا يوثق بفتح الذال
والثا ومعناه ولا يعذب عذاب هذا الكافر احد ولا يوثق وثاقه احد وهو
امية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه قوله عز وجل **يا ايتها النفس
المطمينة** اي الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله الموقنة
التي قد ايقنت بالله تعالى وبان الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل

المطمينة المومنة الموقنة وقيل هي الراضية بقضا الله وقيل هي الامنة من
عذاب الله وقيل هي المطمينة بذكر الله قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب
حين استشهد باحد وقيل في حبيب بن عدي الانصاري وقيل في عثمان
حين اشترى بير رومة وسبلها وقيل في ابي بكر الصديق والاصح ان الاية
عامة في كل نفس مومنة مطمينة لان هذه السورة مكية **ارجعي الى ربك**
اي الى ما وعدك ربك من الخير والثواب وقيل يقال لها عند خروجها من الدنيا
قال عبد الله بن عمر اذا توفي العبد المومن ارسل الله عز وجل اليه ملكين
وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقول اخرجي ايتها النفس المطمينة اخرجي الى
روح وريحان وربك عليك راض فتخرج كاطيب ريح ومسك وجد احد
في انفه والملايكة على ارجا السما يقولون قد جا من الارض روح طيبة ونسمة
طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يوتى بها الرحمن جل
جلاله فتسجد له ثم يقال لميكايل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المومنين
ثم يومر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله
وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شي من القران كفاه نوره وان لم
يكن جعل له فيه نورا مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام
فلا يوقظه الا احب اهله اليه واذا توفي الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل
قطعة من بجاد اي من كسا انتن من كل نتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها
النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان وقيل في
معنى قوله ارجعي الى ربك اي الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها عند البعث
فيامر الله الارواح ان ترجع الى اجسادها وهو قول عكرمة وعطا والضحاك
عن ابن عباس وقيل ارجعي الى ثواب ربك وكرامته **راضية** عن الله بما اوعد
الله لك **مرضية** اي رضي الله عنها وقيل لها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية
مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها **فادخلي في عبادي** اي في جملة
عبادي الصالحين المصطفين **وادخلي جنتي** قال سعيد بن جبير مات
ابن عباس بالطايف فشهدت جنازته فجا طاير لم ير على خلقته فدخل
نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا
يدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال بعض اهل الاشارة في تفسير هذه الاية
يا ايتها النفس المطمينة الى الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك
سبيل الاخرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة البلد مكية

وهي عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **لا اقسم بهذا البلد** تقدم الكلام على قوله لا اقسم في اول
سورة القيامة والبلد هي مكة في قول جميع المفسرين **وانت حل بهذا البلد**
اي مقيم به فانزل فيه فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم
بها وقيل حل اي حلال والمعنى احلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر
ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها احل الله عز وجل مكة يوم الفتح
حتى قاتل وقتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس
ابن صبابة وغيرهما فاحل دما قوم وحرم دما قوم اخرين فقال من دخل دار
ابي سفيان فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن ثم قال
بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي
ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله
الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها
وشرفها وحرمتها ومع ذلك توعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له
حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى في الماضي وهو مقيم
بمكة ان يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعده
وقيل في معناه قوله وانت حل بهذا البلد قال يحرمون ان يقتلوا به صيدا
ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه **ووالد وما ولد** يعني ادم وذريته
اقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبادم وبالانبيا والصالحين من ذريته
لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله
تعالى **لقد خلقنا الانسان في كبد** قال ابن عباس في نصب وقيل يكابد مصايب
الدنيا وشدايد الاخرة وعنه ايضا قال في شدة خلقه وحمله وولادته ورضاعه
وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته واصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق
الله خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس
ايضا قال الكبد الاستوا والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان
منتصبا معتدل القامة وكل شي من الحيوان يمشي منكبا وقيل منتصبا
راسه في بطن امه فاذا اذن الله في خروجه انقلب راسه الى اسفل وقيل
في كبد اي في قوة نزلت في ابي الاسد اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا
يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا وكذا
فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى مزق الاديم بقدر موضع
قدمه **ايحسب** يعني ابا الاسد من قوته **ان لن يقدر عليه احد** يعني يظن
لشدته في نفسه ان لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي
يقول يعني هذا الكافر **اهلكت** اي انفقت **مالا لبدا** اي كثيرا من التلبيد
الذي يكون بعضه فوق بعض يعني في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم **ايحسب**

أن لم يره أحد يعني أيظن أن الله لم يره ولا يسأله عنه ما له من أين اكتسبه
وفيما أنفقه وقيل كان كاذبا في قوله إنه أنفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى
أيظن أن الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر
فقال تعالى ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين يعني أن نعم الله على عبده متظاهرة
مقررة بها كيما يشكروه وجاء في الحديث أن الله عز وجل يقول ابن آدم إن نازعك
لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه وإن نازعك
فرجك فيما حرمت عليه فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وهديناه
النجدين قال أكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى
والضلال وقال ابن عباس الثديين فلا اقتحم العقبة أي فهلا أنفق
ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب وإطعام السغبان فيكون ذلك
خيرا له من إنفاقه على عداوة من أرسله الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الأمر الشديد
وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال
الخير والبر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على
نفسه المشقة بعتق الرقبة والإطعام وقيل شبه ثقل الذنوب على مرتكبها
بعقبة فإذا أعتق رقبة أو أطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها
وروي عن ابن عمر أن هذه العقبة جبل في جهنم وقيل هي عقبة شديدة في النار
دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هي الصراط يضرب
على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا
وإن بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش
ومكردس في النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح
العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر
كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار
وقيل معنى الآية هلا سلك طريق النجاة ثم بين ما هي فقال تعالى وما أدراك
ما العقبة أي وما أدراك ما اقتحام العقبة فك رقبة يعني عتق الرقبة
وهو إيجاب الحرية لها وإبطال الرق من العبودية عنها وذلك بأن يعتق الرجل
الرقبة التي ملكها أو يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن أعتق رقبة
كانت فداه من النار ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه
وروى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت قصرت الخطبة
لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليسا واحدا قال لا
أعتق الرقبة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها والمنحة الركوب

والنفى

والنفي على ذي الرحم الظالم فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير وقيل في
معنى الآية فك رقبته من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات
والطاعات حتى يصير بها إلى رضوان الله والجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص
بها من النار أو إطعام في يوم ذي مسغبة أي يوم ذي مجاعة والسغب الجوع
يتيما ذا مقربة أي ذا قرابة يريد يطعم يتيما بينك وبينه قرابة أو مسكينا
ذا متربة يعني قد لصق بالتراب في فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح
في التراب لا يقيه شيء والمتربة الفقر ثم بين أن هذه القرب لا تنفع إلا مع
الإيمان بقوله ثم كان من الذين آمنوا والمعنى أنه إن كان مؤمنا تنفعه هذه
القرب وكان مقتحما للعقبة وإن لم يكن مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا
يقتحم العقبة وتواصوا بالصبر يعني أوصى بعضهم بعضا على الصبر على أداء
الفرائض وجميع أوامر الله ونواهيه وتواصوا بالمرحمة أي برحمة
الناس وفيه الإشارة إلى تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله أولئك
يعني أهل هذه الخصال أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب
المشأمة عليهم نار مؤصدة يعني مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح
ولا يخرج منها غم والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبع وأربعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والشمس وضحاها أي ضوؤها حين ترتفع الشمس ويصفو ضوؤها
وقيل الضحى النهار كله لأن الضحى هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل
الضحى هو حر الشمس لأن حرها ونورها متلازمان فإذا اشتد نورها قوي
حرها وهذا أضعف الأقوال والقمر إذا تلاها أي تبعها وذلك في النصف الأول
من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها
في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوؤه ويستدير وذلك في الليالي البيض
وقيل تلاها تبعها في الطلوع وذلك في نصف أول ليلة من الشهر إذا غربت
الشمس ظهرت الهلال فكأنه تبعها والنهار إذا جلاها يعني جلا ظلمة الليل
بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا والليل
إذا يغشاها أي يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق قيل هذه الأقسام
الأربعة ترجع إلى الشمس في الحقيقة لأن بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى
وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر والسماء وما بناها أي ومن بناها وقيل
والذي بناها فعلى هذا كأنه أقسم به وبأعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها

وقيل انها بمعنى المصدر اي والسما وبنايها **والارض وما طحاها** اي بسطها وسطحها
على الما **ونفس وما سواها** اى وعدل خلقها وسوي اعضاءها هذا اذا اريد
بالنفس الجسد وان اريد بها المعنى القايم بالجسد فيكون معنى سواها اعطاها
القوي الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والفكر والمخيلة وغير
ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه اراد بها النفس الشريفة المكلفة التي
تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من خلق من الانس والجن **فالهمها فجورها وتقواها**
قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها
ما تاتي وما تتقي وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه
اياها للتقوي وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المومن التقوى
وفي الكافر الفجور عن ابي الاسود قال قال لي عمران بن حصين ارايت ما يعمل
الناس اليوم ويكدحون فيه اشي قضي عليهم ومضى عليهم وبقي عليهم من
قدر قد سبق اوفيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم
وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شي قضي عليهم ويمضي فقال افلا يكون ظلما
قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شي خلق الله وملك يده فلا يسئل
عما يفعل وهم يسيلون فقال لي يرحمك الله اني لم ارد بما سالتك الا لاحزر عقلك
ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت
ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشي قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق
او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم
فقال لا بل شي قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها
فالهمها فجورها وتقواها م عن جابر قال جا سراقة بن مالك بن جعشم فقال
يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان فيم العمل اليوم قال فيما جفت
به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل امر فيما يستقبل قال لا بل فيما
جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر
لما خلق له وبه فاقسم الله بالشمس وضحاها وما بعدها الى الشرف هذه المصالح
العالم بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها واورد على هذا القول انه قد
دخل في جملة هذا القسم قوله والسما وما بناها وذلك قوله تعالى فيكون التقدير
ورب السما ورب من بناها وذلك خطا لا يجوز واجيب عنه بان ما ان فسرت بالمصدر
فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السما الذي بناها وجواب
القسم قوله تعالى **قد افلح من زكاها** اي فازت نفس وسعدت زكاها الله
اى اصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة **وقد خاب من**
دساها اي خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وافسدها واصله من دس
الشي اذا اخفاه فكانه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من
طهره وزكاه وخسارة من خذله واضله حتى لا يظن احد انه يتولى تطهير نفسه

اوهلاكها

اوهلاكها بالمعصية من غير قدر سبق منه تقدم وقضا سابق م عن زيد بن ارقم قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والبخل
والهرم وعذاب القبر اللهم ات نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها
ومولاها اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع
ومن دعوة لا يستجاب لها قوله عز وجل **كذبت ثمود** وهم قوم صالح عليه
السلام **بطغواها** اي بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على
التكذيب حتى كذبوا **اذ انبعث اشقاها** اي قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا
بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا
اشقر ازرق العينين قصيرا قام بعقر الناقة ق عن عبد الله بن زمعة انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل
ابي زمعة لفظ البخاري قوله عارم اي شديد ممتنع قوله تعالى **فقال لهم**
رسول الله يعني صالحا عليه السلام **ناقة الله** اي ذروا ناقة الله
وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما اضافها الى الله
تعالى لشرفها كبيت الله **وسقياها** اي وشربها اي ذروا شربها ولا
تتعرضوا للما يوم شربها **فكذبوه** يعني صالحا **فعقروها** يعني الناقة **فدمدم**
عليهم ربهم اي فدمر عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة هلاك استيصال
وقيل دمدم اي اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت منهم احد **بذنبهم** اي
فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه السلام وعقرهم الناقة
فسواها اي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى
بين الامة وانزل العذاب بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم **ولا يخاف عقباها** اي
لا يخاف الله تبعة من احد في هلاكهم قال ابن عباس وقيل يرجع الى العاقر
والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما فعل عليهم من عقر الناقة وقيل يرجع الى صالح
عليه السلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما انزل الله عليهم من العذاب اذ نجاه
احد بسبب ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والليل اذا يغشى مكية

وهي احدى وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة وثلاثماية وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **والليل اذا يغشى** اي يغشى الليل بظلمته فيذهب الله بضوء
اقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق ياوي فيه كل حيوان الى ماواه
ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار فقال **والنهار اذا تجلى**
اي بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق في طلب الرزق **وما خلق الذكر**

والانثى اي ومن خلق فعلى هذا يكون اقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر
العظيم الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد ان اريد به جنس الذكر
والانثى وقيل هما ادم وحوا وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدع خلق ادم من
طين وخلق منه حوا من غير ام وجواب القسم قوله تعالى **ان سعيكم لشتى**
اي ان اعمالكم مختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها وروي ابن مالك
الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبايع
نفسه فمعتقها او موبقها قوله موبقها اي مهلكها قوله تعالى **فاما من اعطى**
اي انفق ماله في سبيل الله عز وجل **واتقى** اي ربه وفيه اشارة الى الاحتراز
عن كل ما لا ينبغي **وصدق بالحسنى** قال ابن عباس صدق بقول لا اله الا الله
وعنه صدق بالخلف اي يقين ان الله سيخلف عليه ما انفقه في طاعته وقيل
صدق بالجنة وقيل صدق بموعد الله عز وجل الذي وعده انه يثيبه **فسنيسره**
اي فسنهيئه في الدنيا **لليسرى** اي للخلة والعظمة اليسرى وهو العمل بما
يرضاه الله قوله عز وجل **واما من بخل** اي بالنفقة في الخير والطاعة **واستغنى**
عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه **وكذب بالحسنى** اي بلا اله الا الله اي كذب
بما وعده الله من الجنة والثواب **فسنيسره للعسرى** اي فسنهيئه للشر
بان يجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل
نعسر عليه ان ياتي خيرا وفي الاية دليل لاهل السنة وصحة قولهم في القدر
وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل
من ما سبق في الازل **ق** عن علي بن ابي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد
فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس
وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده
من الجنة زاد مسلم الا وقد كتبت شقية او سعيدة فقال يا رسول الله افلا
نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من
اهل السعادة فيصير لعمل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فيصير
لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة
بكسر الميم كالسوط والعصى ونحو ذلك مما يمسكه بيده والنكت بالتاء المثناة
فوق ضرب الارض بذلك او غيره ذلك مما يوثر فيه الضرب وهذه الاية نزلت
في ابي بكر الصديق وذلك انه اشترى بلالا من امية بن خلف ببردة وعشرة
اواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى
يعني سعي ابي بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها
في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا طلع نخلته لياخذ منها
الثمر فربما سقطت الثمرة فياخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته

حتى

حتى ياخذ الثمرة من ايديهم وان وجدها في فم احدهم ادخل اصبعه في فيه حتى يخرجها
فشكى ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقي صاحب النخلة فقال
له تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل
ان لي نخلا وما فيه اعجب الي منها ثم ذهب فسمع بذلك ابن الدحداح رجل من
الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك ان تبيعنيها بحيف يعني حايطا له
فيه نخل فقال هي لك فاتى ابو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اشتريها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعى النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك الرجل الفقير جار الانصاري صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك
فانزل الله هذه الاية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه
القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة قد نزلت
بالمدينة وبمكة فظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في ابي بكر الصديق
وامية بن خلف لان سياق الايات يقتضي ذلك قوله عز وجل **وما يغني عنه
ماله** اي الذي بخل به **اذا تردى** اي اذا مات وقيل هوى في جهنم **ان علينا
للهدى** اي علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك انه لما
عرفهم ما للمحسن وما للمسيء من العسرى لخيرهم بان بيده الارشاد والهداية
وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا الهدى والاضلال فاكتفى بذكر
احدهما والمعنى ارشد اوليائي الى العمل بطاعتي واصرف اعدائي عن العمل بطاعتي
وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله **وان لنا للاخرة والاولى**
اي لنا ما في الدنيا والاخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطا الطريق ∴
فانذرتكم اي يا اهل مكة **نارا تلظى** اي تتوقد وتتوهج **لا يصلاها الا
الاشقى** يعني الشقي **الذي كذب** يعني الرسل **وتولى** اي عن الايمان **وسيجنبها
الاتقى** يعني التقي **الذي يؤتي** اي يعطي **ماله يتزكى** اي يطلب عند الله
ان يكون زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق في قول
جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه اي
بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهري اريد فانزل الله وسيجنبها الاتقى
الى اخر السورة وذكر محمد بن اسحاق قال كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن
رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن
خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه ببطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة
فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول
وهو في ذلك احد احد قال محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة عن ابيه
قال مر به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابي بكر في بني جمح فقال
لامية الا تتقي الله في هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى فقال
ابو بكر افعل عندي غلام اسود واجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيكه

قال قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ست
رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا
واحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وام عميس وزهرة فاصيب بصرها حين
اعتقها ابو بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت
كذبوا ورب البيت ما يضر اللات والعزى وما ينفعان فرد الله تعالى عليها
بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانتا لامراة من بني عبد الدار فمر بهما ابو بكر
وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهي تقول والله لا اعتقكما ابدا فقال
ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا
وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها
واعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق
ابي بكر اياهم وكان اسم ابي بكر عتيقا فقال في ذلك

جزا الله خيرا عن بلال وصحبه • عتيقا واخزى فاكها وابا جهل •
عشية هما في بلال بسوءة • ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل •
بتوحيده رب الانام وقوله • شهدت بان الله ربي على مهل •
فان تقتلوني تقتلوني ولم اكن • لاشرك بالرحمن من خيفة القتل •
فيا رب ابراهيم والعبد يونس • وموسى وعيسى نجني ثم لا تملي •
لمن ظل يهوي الغي من ال غالب • على غير حق كان منه ولا عدل •

وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال
له اتبيعه قال نعم ابيعه بنسطاس عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة
الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا فحمله ابو بكر على الاسلام
على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما قال امية ابيعه بغلامك
نسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال
الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل **وما لاحد عنده من نعمة تجزى**
اي عند ابي بكر من نعمة تجزى اي من يد يكافيه عليها **الا ابتغاء وجه ربه الاعلى**
اي لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له عنده ولكن فعله ابتغاء وجه ربه
الاعلى وطلب رضاه **ولسوف يرضى** اي بما يعطيه الله عز وجل في الاخرة من الجنة
والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله اعلم بمراده واسرار كتابه •

تفسير سورة والضحى مكية

وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة وسبعون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **والضحى** اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة
اقوال القول الاول **ق** عن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امراة فقالت يا محمد اني لارجو
ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاثا فانزل الله عز وجل
والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى اخرجه الترمذي عن جندب
قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم

• هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت •

قال فابطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمدا ربه فانزل الله عز وجل
ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المراة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي ام جميل
امراة ابي لهب القول الثاني قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الروح وعن ذي القرنين واصحاب الكهف فقال ساخبركم غدا ولم
يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عليه القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب
احتباس الوحي وجبريل عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا
في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر
يوما وقيل اربعين يوما فلما نزل جبريل عليه السلام عليه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اليك اشد
شوقا ولكني عبد مأمور ونزل وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله هذه
السورة قوله عز وجل والضحى قيل اراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل
كله في قوله **والليل اذا سجى** وقيل يعني وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع
الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء والليل اذا سجى قال
ابن عباس اقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شيء بظلامه
وقيل معناه سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك هذا قسم اقسم الله
بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى **ما ودعك ربك وما قلى**
اي ما تركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك وانما قال قلى ولم
يقل قلاك لموافقة رؤوس الاي وقيل معناه وما قلى احدا من اصحابك ومن
هو على دينك الى يوم القيامة **وللاخرة خير لك من الاولى** اي
اعطاك ربك في الاخرة ما هو خير لك واعظم من الذي اعطاك في الدنيا
وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اهل بيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا **ولسوف يعطيك ربك فترضى**
قال ابن عباس هي الشفاعة في امته حتى يرضى **م** عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتي وبكى فقال الله يا جبريل
اذهب الى محمد واسأله ما يبكيه وهو يعلم فاتاه جبريل فسأله فاخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله عز وجل يا جبريل
اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك **ق** عن ابي هريرة ان

النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فيتعجل كل نبي دعوته واني
اختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نايلة ان شا الله تعالى من
مات من امتي لا يشرك بالله شيا عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتاني ات من عند ربي فيخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين
الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نايلة ان شا الله تعالى من مات ولا يشرك بالله
شيا اخرجه الترمذي قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول
انكم يا معشر اهل العراق تقولون ارجى اية في القران قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل بيت نقول ارجى اية في كتاب
الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الاية ولسوف يعطيك ربك
من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المومنين فترضى وقيل
حمل الاية على ظاهرها خيري الدنيا والاخرة معا اولى وذلك ان الله تعالى
اعطاه في الدنيا من النصر والظفر على الاعدا وكثرة الاتباع والفتوح في
زمنه وبعده الى القيامة واعلى دينه وان امته خير الامم واعطاه في الاخرة
الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما اعطاه في الدنيا
والاخرة ثم اخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقبل الوحي وذكر نعمه عليه واحسانه
اليه فقال عز وجل **الم يجدك يتيما** صغيرا **فاوى** اي الم يعلمك الله يتيما
من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمعنى لم يجدك يتيما صغيرا حتى مات ابوك
ولم يخلف لك مالا ولا ماوى فجعل لك ماوى تاوي اليه وضمك الى عمك ابي
طالب حتى احسن تربيتك وكفاك المونة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله
صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله
عمه ابو طالب الى ان قوي واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة
يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا من قريش عديم النظير فاواك اليه وايدك
وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته **ووجدك ضالا** اي عما انت عليه
اليوم **فهدى** اي فهداك الى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا اي عن
علم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فراه ابو جهل منصرفا
من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو
راكب ذات ليلة ظلمة جا ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق
فجا جبريل عليه السلام فنفخ على ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورده
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله بذلك وقيل ووجدك ضالا
نفسك لا تدري من انت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك من اهل الضلال
فعصمك عن ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة

وذلك

وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حرا في طلب ما يتوجه به الى ربه حتى
هداه الله لدينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك
لبيانه فهذا ما قيل في هذه الاية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم
كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم
وكذلك الانبيا قبله منذ ولدوا ونشاوا على التوحيد والايمان قبل النبوة
وبعدها وانهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده
ويدل على ذلك ان قريشا عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى
الشرك وامر الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا اذ لو كان فيه لما سكتوا
عنه ولنقل ذلك ولبراه الله تعالى مما قالوه فيه وعيروه به ويوكد هذا ما
روي في قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى
وذلك حين سافر مع عمه ابي طالب الى الشام فراى بحيرا علامات النبوة
فيه وهو صبي فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسالني بهما
فوالله ما ابغضت شيا بغضهما ويوكد هذا ايضا شرح صدره صلى الله عليه وسلم
في حال الصغر واستخراج العلقة منه وقال جبريل هذا حظ الشيطان
منك وملاه حكمة وايمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال الزمخشري
ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه على خلوهم من العلوم
السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم فمعاذ الله والانبيا يجب ان يكونوا
معصومين قبل النبوة وبعدها من الكباير والصغاير الشاينة فما بال
الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شي والله اعلم قوله
عز وجل **ووجدك عايلا فاغنى** يعني فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم
بالغنايم وقيل ارضاك بما اعطاك واغناك عن الورق وهذه حقيقة الغنى **ق** عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض
ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والرا المال **م** عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق
كفافا وقنعه الله بما اتاه وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت ربي عز وجل مسالة وددت
اني لم اكن سالته قلت يا رب انك اتيت سليمان بن داود ملكا عظيما واتيت
فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فاويتك قلت بلى يا رب
قال الم اجدك عايلا فاغنيتك قلت بلى يا رب زاد في رواية الم اشرح لك
صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يا رب فان قلت كيف يحسن بالجواد
الكريم ان يمن بانعامه على عبده والمن مذموم في صفة المخلوق فكيف
يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت انما حسن ذلك لانه سبحانه وتعالى
قصد بذلك ليقوي قلبه ويعده بدوام نعمته عليه فظهر الفرق بين امتنان

الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق وهو المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة
في انعامه كانه قال لما لك تقطع رجاءك عني لست الذي ربيتك يتيما واويتك
وانت يتيما صغيرا اتظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل لابد وان اتم نعمتي
عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه
باليتامى والمساكين والفقرا فقال عز وجل **فاما اليتيم فلا تقهر** اي لا تحقر
اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا
كانت العرب في الجاهلية تفعل في امر اليتامى ياخذون اموالهم ويظلمونهم
حقوقهم روى البغوي بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت
فيه يتيم يسا اليه ثم قال انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشير باصبعيه
عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم
في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما **واما السايل فلا تنهر**
يعني السايل على الباب يقول لا تزجره اذا سيلك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه
واما ان ترده ردا لينا برفق ولا تنكشر بوجهك في وجهه قال ابراهيم بن ادهم
نعم القوم السوال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم السايل بريد
الاخرة يجيى الى باب احدكم فيقول هل توجهون الى اهليكم بشي وقيل السايل
هو طالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهر
ولا يلقى بمكروه **واما بنعمة ربك فحدث** قيل اراد بالنعمة النبوة اي بلغ ما
ارسلت به وحدث بالنبوة التي اتاك الله وقيل النعمة هي القران امره
ان يقراه ويقرا به غيره وقيل اشكر لما ذكر نعمه عليك في هذه السورة من جبر
اليتيم والهدى بعد الضلالة والاغنا بعد العيالة والفقر امره ان يشكره
على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول
صلى الله عليه وسلم قال من اعطا عطا فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان
من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس
ثوبي زور اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله
والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة
في قراة اهل مكة ان يكبر من اول سورة الضحى على راس كل سورة حتى يختم
القران فيقول الله اكبر وسبب ذلك ان الوحي لما احتبس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم

لذلك

لذلك فلما نزلت والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه
سنة والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الم نشرح مكية

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الم نشرح لك صدرك** استفهام بمعنى التقرير اي قد فعلنا
ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصد عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه
صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصد عن ادراك
الحق وقيل معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان والمواعظة والعلم
والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق صدره
عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك
ثم غسله في طست من ذهب بما زمزم ثم لامه ثم اعاده الى مكانه وجا
الغلمان يسعون الى امه يعني ظيرته فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه
وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى اثر المخيط في صدره **ووضعنا
عنك وزرك** اي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل الخطا والسهو وقيل ذنوب
امتك فاضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره
من اعبا الرسالة حتى يبلغها لان الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل
وقيل معناه عصمناك من الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا
فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول في عصمة الانبيا قد تقدم مستوفى
في سورة طه عند قوله وعصى ادم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر **الذي انقض ظهرك** اي اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض
وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل او الرحل فوق البعير فمن حمل الوزر
على ما قبل النبوة قال هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور كان فعلها قبل
نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها
اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل
ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيات
المقربين وقوله عز وجل **ورفعنا لك ذكرك** روى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عن هذه الاية
ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عباس
يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبد الله
وصدقه في كل شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع من ذلك بشي

وكان كافرا وقال قتادة ورفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب
ولا شهيد ولا صاحب صلاة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال
مجاهد يريد التاذين وفيه يقول حسان ابن ثابت الشاعر رضي الله تعالى
عنه

اغر عليه للنبوة خاتم • من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه • اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله
وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسم محمد رسول الله ونبي الله وفرض طاعته
على الامة بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله ونحو
ذلك مما جا في القران وغيره من كتب الانبيا ثم وعده باليسر والرخا بعد الشدة
والعنا وذلك انه كان في شدة بمكة فقال تعالى **فان مع العسر يسرا ان مع
العسر يسرا** اي مع الشدة التي انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخا بان
يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جيتهم به ان مع العسر يسرا وانما كرره
لتاكيد الوعد وتعظيم الرجا قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين قال ابن مسعود
لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قال
المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر
وذكره بلفظ المعرفة وذكر اليسر بلفظ النكرة ومن عادات العرب اذا ذكرت
اسما معرفا ثم اعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة وليس مكررا
بلفظ النكرة فكانا يسرين فكانه مع العسر يسران كان الثاني غير الاول
كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثاني غير الاول واذا كسبت
درهما فانفقت الدرهم فالثاني غير الاول واذا كسبت درهما انفقت الدرهم
فالثاني هو الاول فالعسر في الاية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا
لا مع العسر يسرا وزيف ابو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا
القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه
غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسرا واحدا ويسران
وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا
فهذا لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب
عسر يسرين ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت
قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنا جمعنا لك ما لا حتى تكون
كايسر اهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن قومه انما كذبوه

لفقره

لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك
عما خامره من الغم فقال تعالى ان مع العسر يسرا اي لا يحزنك الذي يقولون
فان مع العسر الذي في الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ما وعده وفتح عليه القرى
القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطي الماييتين من الابل ويهب الهبة السنية
ثم ابتدا فضلا اخر من امر الاخرة فقال تعالى مع العسر يسرا والدليل
على ابتدايه تعريه من الفا والواو وهذا وعد لجميع المومنين والمعنى ان العسر
الذي في الدنيا للمومنين يسرا في الاخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا
ويسر الاخرة تغليب يسر الدنيا وهو ما ذكره في الاية الاولى ويسر الاخرة
وهو ما ذكره في الاية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اي ان عسر الدنيا
اليسر الذي وعده الله المومنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الاخرة
انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فدايم ابدا غير زايل لا
يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا
يجتمعان في النقص قال القشيري كنت يوما بالبادية بحالة من الغم
فالقي في روعي بيت شعر فقلت • ان الموت لمن اصبح مغموما له اروح
فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الفمري

الا ايها المرء الذي • الهم به برح
وقد انشد تنابينا • لم يزل في فكره يسبح
اذا اشتد بك العسر • تفكر في الم نشرح
فعسر بين يسرين • اذا ابصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عني وقال اسحاق بن بهلول القاضي

فلا تياس اذا اعسرت يوما • فقد ايسرت في دهر طويل
فلا تظنن بربك ظن سوء • فان الله اولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار • وقول الله اصدق كل قيل

وقال سليمان بن احمد الرقي في المعنى شعرا

توقع ربك الخطوب سرورا • يسرد ها عنك تسهل
نرى الله لا يخلف ميعاده • وقد قال ان مع العسر يسرا

وقال غيره

وكل الحادثات اذا تناهت • يكون وراها فرج قريب

قوله عز وجل **فاذا فرغت فانصب** لما عدد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم
نعمه السالفة بعثه على الشكر وعلى الاجتهاد في العبادة والنصب فيها
وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى والنصب
التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك
في الدعا وارغب اليه في المسيلة وقال ابن مسعود واذا فرغت من

الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعا وارغب اليه في المسئلة وقال ابن مسعود
واذا فرغت من الفرايض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد
فادع لدنياك وآخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة
ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب في الاستغفار لك وللمومنين
قال عمر بن الخطاب اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سهلا لا في عمل دنياه
ولا في عمل آخرته السهل الذي لا شي معه وقيل السهل الباطل **والى
ربك فارغب** اي تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار وقيل اجعل
رغبتك الى الله في جميع احوالك لا الى احد سواه والله اعلم بمراده واسرار
كتابه

تفسير سورة والتين والزيتون مكية

وهي ثمان آيات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **والتين والزيتون** قال ابن عباس هو تينكم الذي تاكلون
وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه
فاكهة مخلصة من شوايب التنغيص وفيه وعد وبشارة فواكه الجنة لكونه
بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويخرج
بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم واما الزيتون فانه من شجرة
مباركة فيه ادام ودهن يوكل ويستصبح به وشجره في اغلب البلاد ولا يحتاج
الى خدمة وتربية وينبت في الجبال التي ليست فيها دهنية ويمكث في الارض
الوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما
لا جرم اقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الذي عليه دمشق والزيتون
الجبل الذي عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور سينا وطور زيتا
لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون
مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل
التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقيل التين مسجد نوح
الذي بناه في الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس **وطور سينين** يعني
الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وسينين اسم المكان الذي فيه
الجبل سمي سينين وسينا لحسنه ولكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة
يسمى سينين وسينا **وهذا البلد الامين** يعني الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى
لانه الحرم الذي يامن فيه الناس في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا
يعضد شجره ولا يلتقط لقطته الا المنشد وهذه اقسام اقسم الله بها لما
فيهما من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى **لقد خلقنا الانسان في
احسن تقويم** يعني في اعدل قامة واحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل

حيوان منكبا على وجهه ياكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن
الصورة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والمنطق
ثم رددناه اسفل سافلين يعني الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص
عقله والسافلون هم الصغار والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير اسفل من
هولاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه
وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض
ثم استثنى فقال تعالى **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** فانهم لا يردون
الى النار او الى اسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثنا منقطعا والمعنى
ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة
لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى ايام الشيخوخة والهرم
والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخوف مثل الذين كانوا يعملون في
حال الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل العمر على زمن
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذين عملوا
قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص والحكم عام قال عكرمة
ما يضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ما كان يعمل وروي عن ابن
عباس قال الا الذين قروا القرآن من قرا القرآن لم يرد الى ارذل العمر
فلهم اجر غير ممنون يعني غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال
الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة **فما يكذبك** يعني يا ايها الانسان
وهو خطاب على طريق الالتفات **بعد** اي بعد هذه الحجة والبرهان **بالدين** اي
بالحساب والجزا والمعنى فما الذي يجعلك ايها الانسان الى هذا الكذب
الا تتفكر في صورتك وشبابك ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان
الذي فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة
وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول
بعد ظهور هذه الدلايل والبراهين **اليس الله باحكم الحاكمين** يعني باقضى
القاضين يحكم بينكم وبين اهل التكذيب يوم القيامة عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصلى العشا الآخرة فقرا
من قرا بالتين والزيتون فقرا اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى
وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذي ق عن البرا ان النبي صلى الله
كان في سفر فصلى العشا الآخرة فقرا في احدى الركعتين بالتين والزيتون
فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم والله سبحانه
وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة اقرا باسم ربك مكية

وهي تسع عشرة اية واثنان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا قال
اكثر المفسرين هذه السورة اول سورة نزلت من القران واول ما نزل
خمس ايات من اولها الى قوله ما لم يعلم ق عن عايشة ام المومنين انها قالت
اول ما بدا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصالحة ولمسلم
الصادقة في النوم وكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا
فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان
ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه
الحق وفي رواية حتى فجاه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فقال اقرا قال ما
انا بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا
بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت
ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم حتى بلغ
ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة
بنت خويلد فقال زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة
واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا
يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق فانطلقت خديجة حتى اتت
به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة وكان
امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الانجيل بالعبرانية
ما شا الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن العم
اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ما ترى فاخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل الله على موسى
يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جيت به الا
عودي وان يدركني يومك حيا انصرك نصرا موزرا ثم لم يلبث ورقة ان
توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رووس شواهق الجبال
فلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد
انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت
عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل لكي لا يلقي نفسه
منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك **فصل** في هذا الحديث دليل
صحيح على ان سورة اقرا اول ما نزل من القران وفيه رد على من قال ان المدثر
اول ما نزل وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في اول سورة المدثر

وهذا

وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عايشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها
سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم ومن غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند
جميع العلما الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وانما ابتدا صلى الله
عليه وسلم بالرويا لئلا يفجاه الملك فياتيه بصريح النبوة بغتة فلا يحتملها القوى
البشرية فبدا باوايل علامات النبوة توطية للوحي واما التحنث فقد فسر
في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان اصل الحنث من الحنث وهو الاثم
والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم قوله فجية الحق اي جاه الحق بالوحي
بغتة قوله فغطني بالغين المعجمة والطا المهملة المشالة اي عصرني وضمني
ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ مني الجهد قال العلما والحكمة في الغط شغله عن
الالتفات الى غيره والمبالغة في صفا قلبه ولهذا اكرره ثلاثا قوله زملوني
كذا هو في الروايات مكرر مرتين ومعناه غطوني بالثياب وقولها حتى ذهب
عنه الروع اي الفزع قولها كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله يروى بضم
اليا وبالخا المعجمة من الخزي اي لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك ولا
يذلك وروى بفتح اليا وبالحا والنون لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح
وقولها وتحمل الكل اي الثقل والحوايج المهمة وتكسب المعدوم اي تعطي المال
لمن هو معدم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك
من مكارم الاخلاق وحميد الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة
من مصارع السو قولها كان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية
وفي رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الانجيل بالعبرانية
ما شا الله تعالى ان يكتب ومعناهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية
بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب اي موضع شا منه بالعبرانية ان اراد
او بالعربية ان اراد ذلك قوله هذا الناموس الذي نزل الله على موسى وهو
بالنون والسين المهملة يعني جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس
صاحب خبر الخير انما سمي جبريل بذلك لان الله خصه بالوحي الى الانبيا عليهم
الصلاة والسلام يا ليتني فيها اي في ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اي
شابا قويا حتى ابالغ في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا
اي قويا بالغا قولها فلم ينشب ورقة ان توفي اي فلم يلبث ان مات قبل ظهور
النبي صلى الله عليه وسلم قوله حتى يتردى التردي الوقوع من علو وذروة الجبل
اعلاه تبدى له اي ظهر له قوله فيسكن لذلك جاشه اي قلبه وقيل الجاش هو
ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجاش هو ما ثار من فزعه وهاج
من حزنه والله اعلم بمراده **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **اقرا باسم ربك** قيل البا زايدة مجازه اقرا اسم ربك والمعنى
اذكر اسم ربك امره ان يبتدي القراة باسم الله تادبا وقيل البا على اصلها والمعنى

اقرا القران مفتتحا باسم ربك اي قل بسم الله ثم اقرا فعلى هذا يكون في الاية دلالة
على استحباب البداية بالتسمية في اول القراءة وقيل معناه اقرا القران
وقيل معناه اقرا القران مستعينا باسم ربك على ما يحمله من النبوة واعبا
الرسالة الذي خلق يعني جميع الخلايق وقيل هو حصل منه الخلق واستاثر
به لا خالق سواه وقيل هو الذي خلق كل شي خلق الانسان يعني ادم وانما
خص الانسان بالذكر من بين ساير المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة
من علق جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق
للمشاكلة روس الاي ايضا اقرا كرره تاكيدا وقيل الاول اقرا في نفسك
والثاني اقرا للتبليغ وتعليم امتك ثم استانف فقال تعالى وربك
الاكرم هو الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقد قيل يكون
الاكرم بمعنى الكريم كما جا الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاء الشي
من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض
عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاوه وشانه
يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك في وصفه لانه اكرم الاكرمين وقيل
الاكرم الذي له الابتدا في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد
فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى
اقرا وربك الاكرم لانه يجزي بكل حرف عشرا الذي علم بالقلم اي الخط
والكتابة التي بها تعرف الامور الغايبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة
لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم
وبها عرف اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة
ما استقام امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة
لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسال بعضهم عن الكلام فقال ريح
لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب
اللسان عنه علم الانسان ما لم يعلم قيل يحتمل ان يكون المراد علم
بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحد وقيل
علمه من انواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم ادم
الاسما كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل
كلا اي حقا ان الانسان ليطغى اي يتجاوز الحد ويستكبر على ربه
ان اي لان راه استغنى اي راى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى
منزلة اخرى في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل وكان اذا
اصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ان الى ربك
الرجعى اي المرجع في الاخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من
عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى

نزلت

نزلت في ابي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة م عن ابي هريرة
قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات
والعزى لان رايته يفعل ذلك لاطان على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب
قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطا على رقبته قال فما فجيهم
منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك قال ان بيني وبينه
لخندقا من نار وهولا واجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني
لاختطفته الملايكة عضوا عضوا فانزل الله عز وجل هذه الاية لا ندري
في حديث ابي هريرة او شي بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه
قال وامره بما امره به زاد في رواية فليدع ناديه يعني قومه خ عن ابن
عباس قال قال ابو جهل لان رايت محمدا يصلي عند البيت لاطان على عنقه
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لاخذته الملايكة
زاد الترمذي عيانا ومعنى ارايت تعجيب للمخاطب وهو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفايدة التنكير في قوله عبدا يدل على انه كامل العبودية والمعنى
ارايت الذي ينهى اشد الخلق عبودية في العبودية وهذا دابه وعادته وقيل
ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا
يلزم منه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة
لانه قد ورد النهي عن ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك
منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف
لان ذلك استيفا مصلحة الا ان ياذن فيه المولى او الزوج ارايت ان كان
على الهدى يعني العبد المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم او امر بالتقوى
يعني بالاخلاص والتوحيد ارايت ان كذب يعني ابا جهل وتولى اي عن
الايمان وتقدير نظم الاية ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى امر
بالتقوى والناهي مكذب متولى عن الايمان اي اعجب من هذا الم يعلم
يعني ابا جهل بان الله يرى يعني يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه
وعيد شديد وتهديد عظيم كلا اي لا يعلم ذلك ابو جهل لين لم ينته
يعني عن ايذا محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه لنسفعا بالناصية
اي لناخذن بناصيته فنجريه الى النار يقال سفعت بالشي اذا اخذته
وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الراس والسفع الضرب
اي لنضربن وجهه في النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل
ناصية كاذبة خاطية اي صاحبها كاذب خاطي قال ابن مسعود لما نهى ابو جهل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ابو جهل اتنتهرني فوالله لاملان عليك هذا الوادي ان شيت
خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يصلي فجاء ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم
فزبره فقال ابو جهل انك لتعلم ان ما بها ناد اكثر مني فانزل الله تعالى
فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس والله لو دعا ناديه
لاخذته زبانية الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح
ومعنى فليدع ناديه اي عشيرته وقومه فليستنصر بهم واصل النادي
المجلس الذي يجمع الناس ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه اهله سندع الزبانية
يعني الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك
لانهم يدفعون اهل النار بشدة ماخوذ من الزبن وهو الدفع **كلا** ليس
الامر ما عليه ابو جهل **لا تطعه** اي في ترك الصلاة **واسجد** اي صل لله
واقترب اي من الله م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعا وهذه السجدة
من عزايم سجود التلاوة عند الشافعي فيسن للقاري والمستمع ان يسجد
عند قراتها يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك واذا السما انشقت اخرجه مسلم والله
سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القدر مدنية

وقيل انها مكية والاول هو الاصح وهو قول الاكثرين وقيل انها اول ما نزل
في المدينة وهي خمس ايات وثلاثون كلمة واثنا عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **انا انزلناه** يعني القران كناية عن غير مذكور **في ليلة القدر**
وذلك ان الله تعالى انزل القران العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ
الى سما الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به جبريل على النبي
صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة عشرين سنة فكان ينزل بحسب
الوقايع والحاجة اليه وقيل انما انزله الى السما الدنيا لشرف الملايكة
بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملايكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة
وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والاجال
وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله
ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله تعالى يظهر ذلك للملايكة ويامرهم
بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم
اياه وليس المراد منه ان يحدثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير
قبل ان يخلق السموات والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل اليس
قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له

فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضا المقدر
وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان
قدر عند الامير اي منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون
فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق
بالملايكة فيها **فصل** في فضل ليلة القدر وما ورد فيها ق عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا
واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلما في وقتها فقال بعضهم
انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله
عليه وسلم حين تلاحا الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحا
فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا
القول لان اخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال في اخره
فالتمسوها في العشر الاواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو
كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها وعامة الصحابة والعلما من بعدهم
على انها باقية الى يوم القيامة روي عن عبد الله بن كنيس مولى معاوية
قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك
قلت هي في شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقايها ووجودها
اختلفوا في محلها فقيل هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة اخرى
في ليلة اخرى هكذا ابدا قال وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في اوقاتها
المختلفة وقال مالك والثوري واحمد واسحاق وابو ثور انها تنتقل في
العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل انها في
ليلة معينة لا تنتقل عنها ابدا في جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا
هي في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابي حنيفة وصاحبيه
وروي عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله
ابن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما علم انها في شهر رمضان ولكن
اراد ان لا يتكل الناس وقال جمهور العلما انها في شهر رمضان واختلفوا في
تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلي في اول ليلة من شهر رمضان وقيل هي
ليلة تسعة عشرة وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر ويحكى هذا عن
زيد بن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون
انها في العشر الاواخر من رمضان ذكر الاحاديث الواردة في ذلك م عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة القدر ثم ايقظني
بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان وذهب الشافعي
الى انها ليلة احدى وعشرين ق عن ابي هريرة ان سعيد قال اعتكفنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كان صبيحة عشرين فقلنا

متاعنا فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى
معتكفه واني اريت هذه الليلة ورأيتني اسجد في ماء وطين فلما رجع الى
معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر
ذلك اليوم وكان المسجد على عريش فلقد رأيت على انفه وارنبته اثر الماء
والطين وفي رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كان ليلة احدى وعشرين
وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف
العشر الاواخر وورد في ليلة القدر اثنين وعشرين حديثا عن عبد الله
بن انيس قال كنت في مجلس بني سلمة واني اصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احد وعشرين من
رمضان فخرجت فوافيته رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقلت
ارسلني اليك رهط من بني سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة
فقلت اثنان وعشرين فقال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد
ثلاث وعشرين اخرجه ابو داود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم الى ان
ليلة القدر ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي ايضا خ عن الصنابحي انه
سأل رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيئا قال اخبرني بلال مؤذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انها في اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر
عن عبد الله بن انيس قال قلت يا رسول الله ان لي بادية اكون فيها وانا اصلي
فيها بحمد الله فمرني بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث
وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر
فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد
فجلس عليها ولحق بباديته اخرجه ابو داود ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال رأيت ليلة القدر ثم نسيتها واراني اسجد صبيحتها في ماء وطين
قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانصرف وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن
انها ليلة اربع وعشرين خ عن ابن عباس قال التمسوها في اربع وعشرين
وقيل هي في ليلة خمس وعشرين فذلك قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة
القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين
يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وابن عباس واليه ذهب
احمد م عن زر بن حبيش قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله
بن مسعود يقول من اقام السنة اصاب ليلة القدر فقال ابي والله الذي
لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف لا يستثني ووالله اني لاعلم اي ليلة
هي الليلة التي امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة
سبع وعشرين وامارتها ان تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع

لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة القدر سبع
وعشرين اخرجه ابو داود وقيل في ليلة سبع وعشرين دليله قوله تحروا
ليلة القدر آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هي في كل رمضان اخرجه ابو داود وقال وروي
موقوفا عليه ذكر ليال مشتركة عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان وليلة
احدى وعشرين وليلة ثلاث ثم سكت اخرجه ابو داود وعن عيينة بن عبد الرحمن
قال حدثني ابي قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة فقال ما انا بملتمسها
لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني
سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين او في سبع يبقين او في خمس يبقين
او ثلاث يبقين او آخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلي في العشرين من رمضان
كصلاته في سائر السنة فاذا دخل العشر اجتهد اخرجه الترمذي خ عن
عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر
فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم
بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها
في التاسعة والسابعة والخامسة قوله فتلاحى رجلان اي تخاصم رجلان
وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد
رفع وجودها لم يأمر بالتماسها خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هي في العشر في سبع يمضين او سبع يبقين يعني ليلة القدر وفي
رواية في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال ابو عيسى روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة
ثلاث وعشرين وتسع وعشرين وفي رواية خمس وعشرين وآخر ليلة من
رمضان قال الشافعي كان هذا عندي والله اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يجيب على نحو ما يسأل عنه فيقال له فلنلتمسها في كذا فيقال التمسها في ليلة
كذا قال الشافعي واقوى الروايات عندي فيها ليلة احدى وعشرين قال
البغوي وفي الجملة ابهم الله هذه الليلة على الامة ليجتهدوا في العبادة
ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى
الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في القرآن في اسمائه
ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها
واخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها ومن علامتها
ما روي عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس
من صبيحتها بيضاء لا شعاع لها ق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر

ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا
لا يجتهد في غيره ق عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من
رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف بعده ازواجه ق عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان عن عايشة
قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولي اللهم
انك عفو تحب العفو فاعف عنا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح واخرجه النسايي وابن ماجه قوله عز وجل وما ادراك ما ليلة القدر
اي اي شي يبلغ درايتك قدرها ويبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم
والتشريف لها خيرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى ...
ليلة القدر خير من الف شهر قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل من بني اسرايل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت امتي
اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه ليلة القدر فقال ليلة القدر خير
من الف شهر التي حمل الاسرايلي فيها السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى
يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم اري اعمار الناس قبله او ما شا الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار امته
اي لا يبلغون من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى
ليلة القدر خير من الف شهر اخرجه مالك في الموطا قال المفسرون معناه
العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر
وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير
والبركة الوجه الثاني من فضلها قوله عز وجل تنزل الملايكة يعني الى الارض
وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف
ما قالوه وتبين حال المومنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد
والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا مما قالوه ويعتذرون
ويستغفرون لهم لما يرون من تقصير قد يقع في بعضهم والروح يعني
جبريل عليه السلام قاله اكثر المفسرين وفي حديث انس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملايكة يصلون
ويسلمون على كل عبد قايم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزي وقيل
ان الروح طايفة من الملايكة لا تراهم الملايكة الا في تلك الليلة ينزلون
من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع
الملايكة تلك الليلة فيها اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامر ربهم
من كل امر اي بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امره وقضاه من كل
امر الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى سلام اي سلام على اوليا الله

واهل

واهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملايكة في ليلة القدر على اهل المساجد
من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملايكة ينزلون فيها كلما لقوا
مومنا او مومنة يسلموا عليه من ربه وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر
ثم ابتدا فقال سلام هي يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل
لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة
لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوا ويحدث فيها اذى حتى مطلع الفجر اي
ان ذلك السلام والسلامة تدوم الى مطلع الفجر والله اعلم بمراده

تفسير سورة لم يكن وتسمى البينة مدنية

قال الجمهور وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان ايات واربع
وتسعون كلمة وثلاث مائة وتسعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى
والمشركين اي ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار
كانوا جنسين احدهما اهل كتاب وسبب كفرهم ما احدثوه في دينهم
اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصارى
فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون
اهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين في قوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين اي منتهين
عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زايلين حتى تاتيهم لفظه مضارع ومعناه
الماضي البينة الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقران
فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان
فامنوا فانقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم
قبل بعثه اليهم بالاية فيمن امن من الفريقين قال الواحدي في بسيطه وهذه
الاية من اصعب ما في القران نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلما
قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وانا اقول
وجه الاشكال ان تقرير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى
تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لانتها الغاية فهذه الاية
تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند بيان الرسول ثم قال وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم
قد ازداد عند مجي الرسول فحينيذ يحصل بين الاية الاولى والثانية
مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه
اولها واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين

اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم
لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي
هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله
تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي انهم
كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول
ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في
الكلام ان يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى
يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه
لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا
بعد اليسار فيذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين
وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله لم يكن الذين كفروا
منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة مذكور حكاية حالهم وهو قوله
تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي وقع
كان خلاف ما ادعوا وثانيهما ان تقرير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين
عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقرير يزول الاشكال الا ان
تفسير لفظة حتى يلبس من اللغة في شي وذكر وجوها اخر قال والمختار
هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى **رسول من الله** اي تلك البينة
رسول من الله **يتلو** اي يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم **صحفا** اي كتابا
يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القران لانه كان صلى الله
عليه وسلم يقرا عن ظهر قلب لا عن كتاب **مطهرة** اي من الباطل والكذب
والزور والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل مطهرة مكرمة معظمة وقيل
مطهرة اي لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون **فيها** اي في الصحف **كتب**
اي الايات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الحكم **قيمة** اي عادلة مستقيمة
غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قايمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر
اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يومن من اهل الكتاب فقال تعالى
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني في امر محمد صلى الله عليه وسلم **الا من
بعد ما جاءتهم البينة** يعني جاءهم البيان في كتبهم انه نبي مرسل قال
المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم
حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فيه وامن به
بعضهم وكفر به اخرون ثم ذكر ما امروا به في كتبهم فقال تعالى
وما امروا يعني هولاء الكفار **الا ليعبدوا الله** اي وما امروا الا ان
يعبدوا الله قال ابن عباس ما امروا في التوراة والانجيل الا باخلاص العبادة
لله موحدين له **مخلصين له الدين** الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها

عن شوائب الدنيا وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص في ابتدا الفعل الى
انتهائه والمخلص هو الذي ياتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية
الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الاية على ان كل مامور
به فلا بد وان يكون منويا فلا بد من اعتبار النية في جميع المامورات قال
اصحاب الشافعي الوضوء مامور به ودلت هذه الاية على ان كل مامور به يجب
ان يكون منويا فتجب النية في الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان
ياتي بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا عرضا
اخر حتى قالوا في ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا
وان كان لا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا للرب
عز وجل بالربوبية وقيل في معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية
وقيل قاصدين بقلوبهم رضى الله تعالى بالعبادة **م** عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى اجسامكم ولا الى
صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم **حنفا** اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام
وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه السلام وقيل حنفا اي حجاجا وانما قدمه
على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفا مختونين
محرمين كالحاج المحرم وقيل الحنيف الذي امن بجميع الانبيا والرسل ولا
يفرق بين احد منهم فمن لم يومن باشرف الانبيا وهو محمد صلى الله عليه وسلم
فليس بحنيف **ويقيموا الصلاة** اي المكتوبة في اوقاتها **ويوتوا الزكاة**
اي المفروضة عند محلها **وذلك** اي الذي امروا به **دين القيمة** اي
الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما اضاف الدين الى القيمة وهو
نعت لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا الى الملة وقيل الهاء في القيمة للمبالغة
كعلامة وقيل القيمة الكتب التي جرى ذكرها اي وذلك دين اصحاب الكتب
القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقايم واحد والمعنى وذلك
دين القايمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الاية من يقول ان الايمان قول
وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد اولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال
وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله
فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
ثم ذكر ما للفريقين فقال تعالى **ان الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين** فان قلت لم تقدم اهل الكتاب على المشركين قلت لان جنايتهم
اعظم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستحقون به
وقبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث انكروه وكذبوه وصدوه مع العلم
به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان
المشركين اعظم جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع والنبوة

والقيمة واهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم احق فلم سوى بين الفريقين في العذاب قلت لما اراد اهل الكتاب لترفعهم في الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذلهم الله في الدنيا وادخلهم اسفل سافلين في الاخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم في العذاب **في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية** اي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل قال بل تبقون خالدين فيها فكانهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية** يعني انهم بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم **جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه** قيل الرضى ينقسم الى قسمين رضى به ورضى عنه فالرضى به ان يكون ربا ومدبرا والرضى عنه بما يقضي ويدبر قال السري اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضى عنك وقيل رضي الله اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة **ذلك** اي هذا الجزاء والرضى عنه **لمن خشي ربه** اي لمن خاف ربه في الدنيا وانتهى عن المعاصي **ق** عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان الله عز وجل امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية للبخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرئك القران قال الله سماني لك قال نعم فبكى وفي رواية البخاري قال وذكرت عند رب العالمين قال نعم فذرفت عيناه شرح الحديث اما بكاء ابي فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تاهيله لهذه النعمة العظيمة واعطائه المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار واما الحكمة في امر النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة على ابي فهي ان يتعلم ابي القراءة من الفاظه صلى الله عليه وسلم وصيغة ادائه واسلوبه والوزن المشروع قدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره فكانت قراءته على ابي ليتعلم ابي منه لا ليتعلم هو من ابي وقيل انما قرا على ابي ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القران ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابي ويحث الاخذ عنه وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم راسا واماما في القراءة وغيرها وكان احد علماء الصحابة رضي الله عنهم اجمعين والله اعلم

تفسير سورة الزلزلة مكية وقيل مدنية

وهي ثمان ايات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون حرفا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القران وقل هو الله احد تعدل ثلث القران وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القران اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له نصف القران ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت له ثلث القران وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **اذا زلزلت الارض زلزالها** اي تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة قيل تزلزلت من شدة صوت اسرافيل حين ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفي وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها في الدنيا وهي من اشراط الساعة والثاني انها زلزلة يوم القيامة **واخرجت الارض اثقالها** قال اثقالها كنوزها وما في بطنها من الدفائن والاموات فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا ياخذون منه شيئا اخرجه مسلم والافلاذ جمع فلذة وهي القطعة المقطوعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور في الجوف وانما خص الكبد لانها من اطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القيء للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم القيامة قال تلقي اثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سمي الانس والجن بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء وامواتا **وقال الانسان ما لها** اي ما لها زلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الانسان وجهان احدهما انه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فسال بعضهم بعضا عن ذلك والثاني انه اسم للكافر خاصة وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسال عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سال عنها وقيل مجاز الاية **يومئذ تحدث اخبارها** فيقول الانسان والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل عليها وعلى ظهرها من

خيرا وشر فنشكوا العاصي ونشهد عليه ونشكر الطايع ونشهد له عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال
اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على عبد
وامة بما عمل على ظهرها تقول يوم كذا وكذا فهذه اخبارها اخرجها الترمذي
وقال حديث حسن صحيح **بان ربك اوحى لها** اي امرها بالكلام واذن لها ان تخبر
بما عمل عليها قال ابن عباس اوحى لها وقيل ان الله تعالى يخلق في كل الارض
الحيوة والعقل والنطق حتى تخبر بما امرها الله به وهذا مذهب اهل السنة
قوله تعالى **يومئذ يصدر الناس اشتاتا** اي عن موقف الحساب بعد العرض
اشتاتا اي متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار
ليروا اعمالهم قال ابن عباس ليروا اعمالهم وقيل معناه ليروا صحايف
اعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله تعالى **فمن يعمل مثقال ذرة** اي
وزن نملة صغيرة وقيل هي ما لصق من التراب باليد **خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره** قال ابن عباس ليس مومن ولا كافر عمل خيرا او شرا
في الدنيا الا اراه الله اياه يوم القيامة فاما المومن فيرى حسناته وسياته
فيغفر الله عز وجل له سياته ويثيب بحسناته واما الكافر فترد حسناته
ويعذب بسياته قال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر
يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وولده واهله وما له حتى يخرج من الدنيا وليس
له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مومن يرى عقوبته في الدنيا
في نفسه وما له وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر
قيل نزلت هذه الاية في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه
وكان احدهما ياتيه السايل فيستقل ان يطعمه التمرة والكسرة والجوزة ونحو
ذلك ويقول هذا ليس بشي يوجر عليه انما يوجر على ما يعطي ونحن نحبه وكان الاخر
يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة والنميمة واشباه ذلك ويقول
انما وعد الله النار على الكباير وليس في هذا اثم فانزل الله هذه الاية يرغبهم
في القليل من الخير يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم من اليسير من الذنب
فانه يوشك ان يكثر وفي الاثم الصغير عن صاحبه فانه يصير مثل الجبل العظيم
يوم القيامة قال ابن مسعود احكم اية في القران فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية الجامعة الفاذة حتى سيل عن زكاة الحمير فقال ما انزل الله فيها شي الا
هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعايشة كل واحد منهما بحبة عنب
وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرما
الصحابة رضي الله عنهم وقال الربيع ابن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه

السورة فلما بلغ اخرها قال حسبي الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى
اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والعاديات مكية

في قول ابن مسعود وغيره مدنية وفي قول ابن عباس وهي احدى عشرة اية واربعون
كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **والعاديات ضبحا** فيه قولان احدهما انه الابل في الحج قال علي
كرم الله وجهه هي الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى
قال كان اول غزاة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير
وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون
معنى ضبحها وهو مد اعناقها في السير واصله من حركة النار في العود
فالموريات قدحا يعني ان اعناق الابل تري بالحجارة من شدة عدوها
فيضرب الحجر حجرا اخر فيوري النار وقيل هي النيران بجمع **فالمغيرات
صبحا** يعني ان الابل ترفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا
يدفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير
فاثرن به نقعا اي هيجن بمكان سيرها غبارا **فوسطن به جمعا** اي وسطن
بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل
لما فيها من المنافع الكثيرة وتعرضه بابل الحج الترغيب فيه وفيه تقريع ممن لم
يحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف
بذلك القول الثاني في تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هي الخيل
العادية في سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا عدت قال ابن عباس
وليس شي من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح
هذه الحيوانات اذا تغير حالها من تعب او فزع ومن قول العرب ضبحته
النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعني انها تورى النار بحوافرها اذا
سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال
ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تاوي بالليل فيرون اصحابها
نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب تقول اذا اراد
الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك بالمغيرات
صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس في غفلة
في ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به اي بالمكان نقعا اي غبارا فوسطن
به جمعا اي دخلنا اي بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط
جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه الايات اولى بالصحة
واثبت بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايرا النار بحوافرها وانثار

الخيل ايضا وانما اقسم الله بالخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى **ان الانسان لربه لكنود** اى لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكفور والكفور الجحود لنعم الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصايب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير ماخوذ من الارض الكنود وهي التي لا تنبت شيا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذي انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة **وانه على ذلك لشهيد** قال اكثر المفسرين وان الله على كونه لشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع **وانه** يعني الانسان **لحب الخير** اي المال **لشديد** اى لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوي شديد **افلا يعلم** يعني هذا الانسان **اذا بعثر** اى اثير واخرج **ما في القبور** يعني من الموتى **وحصل ما في الصدور** اي ميز وابرز ما فيها من خير او شر **ان ربهم بهم** انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس **يومئذ لخبير** اي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات في القلوب لما حصلت اعمال الجوارح والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القارعة مكية

وهي ثمان ايات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **القارعة** سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلايق من شدة صوت نفخته **ما القارعة** تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت في الهول والشدة **وما ادراك ما القارعة** معناه لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها فهم احد وكيف ما قدرت امرها فهي اعظم من ذلك **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحد بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يفزعوا فيذهب كل واحد الى غير جهة الاخر المبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كانهم جراد

وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفرا كغوغا الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** وذلك انه تتفرق اجزاوها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على تاثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى **فاما من ثقلت موازينه** يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيوتى بحسنات المومن في احسن صورة فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويوتى بسيات الكافر في اقبح صورة فتخف في ميزانه فيدخل النار وقيل انما يوزن اعمال المومنين فمن ثقلت موازينه حسناته على سياته دخل الجنة ومن ثقلت سياته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو عنه الله بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته واما الكافرون فقد قال في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روي ابو بكر الصديق انه قال وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق الميزان ان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق الميزان ان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله تعالى **فهو في عيشة راضية** اي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها **واما من خفت موازينه** اي رجحت سياته على حسناته **فامه هاوية** اي مسكنه النار سمي المسكن اما لان الاصل في السكنى الامهات وقيل معناه فام راسه هاوية في النار والهاوية اسم من اسماء النار وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في امر شديد فقال هوت امه اي هلكت خوفا وثكلا **وما ادراك ما هيه** يعني الهاوية ثم فسرها فقال **نار حامية** اي حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة التكاثر مكية

وهي ثمان ايات وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الهاكم التكاثر** اي اشغلكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة

بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم ان من
اشتغل بشيء اعرض عن غيره فينبغي للمومن العاقل ان يكون سعيه وشغله
في تقديم الاهم وهو ما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان
والاقرباء تفاخر باخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال
بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة الابدية ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة
بالمال مذموم روى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية الهاكم التكاثر قال يقول ابن ادم
مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فابقيت او ما اكلت فافنيت وما
لبست فابليت اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح **ق** عن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد
يتبعه ماله واهله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله **حتى زرتم المقابر**
اي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الاية
الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك
قيل نزلت هذه الاية في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من
بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حيين من قريش وهما
بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو فكان بينهم تفاخر فتعادوا السادة والاشراف
ايهم اكثر فقال بنو عبد مناف نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا واكثر عددا
وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى
حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم
بثلاثة ابيات لانهم كانوا في الجاهلية اكثر عددا فانزل الله عز وجل هذه الاية
وهذا القول اشبه بظاهر القران لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على امر مضى
فكانه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول متعجبا انكم اكثر منهم عددا فماذا ينفع ثم
رد الله تعالى عليهم فقال **كلا** اي ليس الامر كما يتوهمه هولاء بالتكاثر والتفاخر
وقيل المعنى حقا **سوف تعلمون** وعيد لهم **ثم كلا سوف تعلمون** كرره
تاكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد
بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني
المومنين وصاحب هذا القول كان يقرا الاولى بالياء والثانية بالتاء **كلا
لو تعلمون علم اليقين** اي علما يقينا وجواب لو محذوف المعنى لو تعلمون علما
يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم
اليقين ان يعلم ان الله عز وجل باعثه بعد الموت **لترون الجحيم** اللام تدل على
انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا يدخله
شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت **ثم لترونها** يعني
مشاهدة **عين اليقين** وقيل انما كرر الروية لتاكيد الوعيد **ثم لتسئلن**

يومئذ

يومئذ عن النعيم يعني كفار مكة في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة
عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على
ترك الشكر وذلك ان الكفار لما الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة
الله تعالى والاشتغال بشكره فيسئلهم عن ذلك وقيل هذا السؤال يعم الكافر
والمومن وهو الاولى لكن سؤال الكافر سؤال توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما
انعم الله به عليه والمومن يسال سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم الله به
عليه واطاع ربه فيكون السؤال في حقه تذكيره بنعم الله عليه يدل على ذلك ما
روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله
واي نعيم نسال عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن اختلفوا في النعيم الذي يسال العبد عنه فروي
عن ابن مسعود رفعه قال لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يسال العبد عنه يوم
القيامة من النعيم فيقال له الم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب **م** عن ابي هريرة قال خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم وليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما
هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني
الذي اخرجكما قوموا فقاموا معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته
فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين فلان
قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال
فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فاكلوا من الشاة
ومن ذلك العذق فشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم
من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم واخرجه الترمذي باطول
من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروي ابن عباس قال النعيم صحة
الابدان والاسماع والابصار ويسال الله العبيد يوم القيامة فيما استعملوها
وهو اعلم بذلك منهم وقيل يسال عن الصحة والفراغ والمال **خ** عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة
والفراغ وقيل الذي يسال العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه
فانه لا بد لكل احد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسال عن تخفيف
الشرائع وتيسير القران وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسال
عما انعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم انقذكم به من الضلالة الى الهدى والنور

والمنن به عليكم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة العصر مكية

قال ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث ايات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **والعصر** قال ابن عباس هو الدهر اقسم الله به لما فيه من العبر والعجايب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم يضيفون النوايب والنوازل الى الدهر فاقسم الله به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوايب والنوازل كان بقضا الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران تنبيه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد وقيل اراد بالعصر اخر طرفي النهار اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى وقيل اراد صلاة العصر اقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قيل هي صلاة العصر والذي هو في مصحف عايشة رضي الله عنها وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله وقيل اراد بالعصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسم بزمانه كما اقسم بمكانه في قوله لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد نبه بذلك على ان زمانه افضل الازمان واشرفها وجواب القسم قوله تعالى **ان الانسان لفي خسر** اي لفي خسران ونقصان قيل اراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثرت الدراهم في ايدي الناس اي الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما ان تكون تلك الساعة في طاعة او معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت في طاعة فلعل غيرها افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييع وخسران فبان بذلك انه لا ينفك احد من خسران وقيل ان سعادة الانسان في طلب الاخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الاخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان اكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار وبوار قد اهلكوا انفسهم بتضييع اعمارهم وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المومنين فقال تعالى **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان في طاعة الله تعالى فهو في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك **وتواصوا** اى وصى بعض المومنين بعضا **بالحق** يعني بالقران والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد **وتواصوا**

بالصبر

بالصبر اي على اداء الفرايض واقامة امر الله وحدوده وقيل اراد ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين امنوا فانه يكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الهمزة مكية

وهي تسع ايات وثلاثون كلمة ومايه وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **ويل لكل همزة لمزة** قال ابن عباس هم المشاوون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرا العيب وقيل معناهما واحد وهو العياب والمغتاب للناس في بعضهم قال الشاعر

اذا لقيتك عن كره تكاشرني • وان تغيبت كنت الهامز اللمزه

وقيل هل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل الهمزة الذي يوذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يرمض بعينه ويشير براسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة الطعان في الناس واللمزة الطعان في انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى اصل الواحد وهو الطعن واظهار العيب واصل الهمز الكسر والقبض على الشي بالعنف والمراد منه هنا الكسر من اعراض الناس والغض منهم ومما نعتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في الاخنس ابن شريف بن وهب الثقفي كان يقع في الناس يغتابهم وقال محمد بن اسحاق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورايه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاصي بن وايل السهمي وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفته كاينا ما كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ والحكم ومن قال انها في اناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى ان تحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى **الذي جمع مالا** وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو باعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى ما هو اكثر منه كالشي الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشي الحقير **وعدده** اي احصاه

المعدد وقيل يوما من العدة إلى مدته وجعله ذخيرة وغنا له **يحسب ان ماله اخلده**
اي يظن انه يخلده في الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن ما رايت يقينا لا
شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت
مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت **كلا** رد عليه اي لا يخلده
ماله بل يخلده ذكره العلم والعمل الصالح ومنه قول علي مات خزان المال وهم
احيا والعلما باقون ما بقي الدهر وقيل معناه حقا **لينبذن** واللام في لينبذن
جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن في الحطمة
اي في النار وهو اسم من اسمايها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها
وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا ايها الهمزة اللمزة الذي
ياكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراك الحطمة التي تاكل اللحوم وتكسر
العظام **في الحطمة وما ادراك ما الحطمة** اي نار لا كسائر النيران **نار الله** اي انما
اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لامرها **الموقدة** اي لا تخمد ابدا عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت
فهي سودا مظلمة اخرجه الترمذي قال ويروى عن ابي هريرة موقوفا وهو اصح
التي تطلع على الافيدة اي يبلغ المها ووجعها على القلوب والمعنى انها تاكل كل شي
حتى تنتهي الى الفواد وانما خص الفواد بالذكر لانه الطف شي في بدن الانسان
وانه يتالم بادنى شي فكيف اذا اطلعت عليه واستولت به ثم انه مع لطافته
لا يحترق اذ لو احترق لمات صاحبه وليس في النار موت وقيل انما خصه بالذكر
لان القلب موطن الكفر والعقايد والنيات الفاسدة **انها عليهم موصدة**
اي مطبقة مغلقة **في عمد ممددة** قال ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم
بعماد وفي اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها
عمد يعذبون بها في النار وقيل هي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار والمعنى
انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت الاوتاد عليهم ثم سدت باوتاد
من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا تنفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم
روح والممدودة من صفة العمد اي مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ
بالله من النار وحرها والله

تفسير سورة الفيل مكية

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وست وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل** وكانت قصة اصحاب
الفيل على ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة
عن ابن عباس وذكره الواقدي ان النجاشي ملك الحبشة كان بعث ارباط

فقتل عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن صباح بن يكسوم فساخط ارباط
في امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طايفة مع ارباط وطايفة مع ابرهة
فتزاحفا فقتل ابرهة ارباط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي
على عمله ثم ان ابرهة راى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل
فبنى كنيسة بصنعا وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعا كنيسة لم يبن لملك مثلها
ولست منتهيا حتى اصرف اليها حاج العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج
اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال
من اجترى علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت فسمع بالذي
قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة ثم يهدمها فكتب الى النجاشي
يخبره بذلك وسال ان يبعث اليه بفيل وكان فيلا يقال له محمود وكان فيلا لم
ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سايرا الى
مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه وراوا جهاده حقا
عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله
فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال يا ايها الملك استبقني فان بقاي خير لك
من قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنى من
بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من
قبايل اليمن فهزمهم واخذ نفيلا فقال نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب
وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى
اذا مر بالطايف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال ايها
الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذي بمكة نحن
نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان
بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة
يقال له الاسود بن مسعود مقدمة خيله وامره بالغارة على نعم الناس
فجمع الاسود اليه اموال اصحاب الحرم واصاب لعبد المطلب مايتي بعير ثم
ان ابرهة ارسل حناطة الحميري الى اهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم ابلغه
ما ارسلك به اليه اخبره اني لم ات لقتال انما جيت لاهدم هذا البيت فانطلق
حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك ارسلني اليك لاخبرك
انه لم يات لقتال الا ان تقاتلوه انما جا لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم
فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال ولا لنا يدان نخلي بينه وبين ما جا له
فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه السلام فان يمنعه فهو
بيته وحرمه وان يخلي بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق
معي الى الملك فزعم بعض العلما انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض
بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر

هل عندك من عنا فيما نزل بنا فقال لهم ما غنا رجل اسير لا يا من ان يقتل بكرة وعشية
ولكن سابعث الى انيس سايس الفيل فانه لي صديق فاساله ان يصنع لك عند
الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى انيس
فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل
والوحوش في روس الجبال وقد اصاب الملك له ماتي بعير فان استطعت ان
تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس
على ابرهة فقال يا ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم
الناس في السهل والوحوش في روس الجبال يستاذن عليك وانا احب ان تاذن
له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب
رجلا جسيما وسيما فلما راه ابرهة عظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير
وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال
لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال له الترجمان ذلك قال له عبد المطلب
حاجتي الى الملك ان يرد علي ماتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له قد
كنت اعجبتني حين رايتك ولقد زهدت الان فيك قال لم قال جيت الى بيت
هو دينك ودين ابايك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في
ماتي بعير اصبتها لك قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب
يمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني قال فانت وذلك فامر بابله فردت عليه
فلما ردت الابل الى عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا
في الشعاب ويتحرزوا في روس الجبال خوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا
واتى عبد المطلب الكعبة واخذ حلقة الباب وجعل يقول

يا رب لا ارجو لهم سواكا • يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا • امنعهم ان يخربوا فناكا

وقال ايضا

لاهم ان العبد يمنع رحله • وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم • ومحالهم عدوا محالك
جروا جميع بلادهم • والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم • جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا • فامر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح ابرهة
بالمغمس وقد تهيا للدخول وهيا جيشه وهيا فيله وكان فيلا لم ير مثله في
العظم والقوة ويقال كانت اثني عشر فيلا فاقبل نفيل الى الاعظم ثم اخذ باذنه
وقال له ابرك محمودا وارجع رشيدا فانك ببلد الله الحرام فبرك فبعثوه فابى
وضربوه بالمعول في راسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه

ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل
ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل
وارسل الله عز وجل طيرا من البحر امثال الخطاطيف مع كل طاير منها ثلاثة احجار
حجران في رجليه وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشين القوم ارسلتها
عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل القوم اصابت وخرجوا هاربين
لا يهتدون الى الطريق الذي جاوا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم
على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفي ذلك يقول نفيل

الا ردي ركابنا ردينا • نعمناكم على الهجران عينا
فانك لو رايت ولن تريه • لدى جنب المحصب ما راينا
حمدت الله اذ ابصرت طيرا • وحصب حجارة تلقى علينا
وكلهم سايل عن نفيل • كان علي للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون في كل منهل
وبعث الله على ابرهة داء في جسده فجعل يتساقط اناملة كلما سقطت انملة
اتبعتها مدة من قيح فانتهى الى صنعا وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من اصحابه وما
مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدي واما محمود فيل النجاشي
فربض ولم يشجع على الحرم فنجى والفيل الاخر شجع فحصبوا اي رموا بالحصبى
وقال بعضهم انفلت ابو يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير فحلق فوق راسه حتى بلغ
النجاشي فقص عليه القصة فلما انهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين
يدي النجاشي وفي ذلك يقول امية بن الصلت

ان ايات ربنا ساطعات • ما يماري فيهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى • ظل يحبو كانه معقور

روي عن عايشة رضي الله عنها قالت رايت قايد الفيل وسايسه بمكة يستطعمان
الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر اصحاب الفيل ان فتية من
قريش اججوا نارا حين خرجوا تجارا الى ارض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم
بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واستووا فلما ارتحلوا
تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق
البريد الى النجاشي فاستغضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وقال فيه
ان كان بمكة يومئذ ابو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطايف
ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب
فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه عن رايك فقال ابو مسعود
اصعد بنا الى حرا فصعد الجبل فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى ماية
من الابل فقلدها نعلا واجلها لله ثم اثبتها في الحرم فلعل بعض السودان
يعقر منها شيا فيغضب رب هذا البيت فياخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد

القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال له
ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت
واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما راى تبع ذلك
كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب
فقال ارى طيورا بيضا نشات من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك اين
قرارها فقال اراها قد دارت على رؤوسنا قال هل تعرفها قال والله ما اعرفها
ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال اشباه اليعاسيب
في مناقيرها حصى كانها حصى الخذف قد اقبلت كالليل يكسع بعضها بعضا امام
كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى اذا
حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت الطير
ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها انصاعت راجعة
من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم
يونسا احدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم ساهدين فاصبحوا نياما
فلما دنيا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم
فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من
شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من فؤوسهم فحفر حتى اعمق في الارض
فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملاه ثم قال لابي
مسعود هات فاختر ان شئت حفرتي وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك
معا فقال ابو مسعود فاختر لي عن نفسك فقال عبد المطلب اني لم ال ان اجعل
اجود المتاع في حفرتي فهي لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب
في الناس فتراجعوا واصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك
قريشا واعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود في اهليهما
في غنا من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلفوا في تاريخ عام الفيل
فقيل كان قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث
وعشرين سنة والاصح الذي عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل
التفسير انه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم
يقولون انه ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم واما
التفسير فقوله تعالى الم تر اي الم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل
مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا
معروفا بمكة وانه كان كذلك فكانه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا
فلهذا قال تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد
وقيل كانت افيلة ثمانية وقيل اثني عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل
الاعظم الذي كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الاي وفي قصة اصحاب

الفيل

الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل في العقل ان
طيرا ياتي من قبل البحر تحمل حجارة وترمي بها اناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة
على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل
ذلك لينصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعي الى توحيده واهلاك
من سخط عليه وليس ذلك لنصر قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة
لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك النصر نصر محمد صلى الله عليه وسلم
فكانه تعالى قال انا الذي فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا
لمقدمك واذا قصدت نصرتك قبل قدومك فكيف اتركك بعد ظهورك وقوله
تعالى الم يجعل كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة في تضليل
اي تضييع وخسار وابطال لما ارادوا واضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا
من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا
وهو قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها
بعضا وقيل ابابيل اقاطيع كالابل المؤبلة وقيل ابابيل جماعات في تفرقة
قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل ابول مثل عجول
قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب
وقيل لها رؤوس كرؤوس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر
لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر
ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا يصيب شيئا الا هشمه ويمكن
الجمع بين هذه الاقاويل في اختلاف اجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات
كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره واخبر كل واحد بما
بلغه عن صفاتها والله تعالى اعلم وقوله تعالى ترميهم بحجارة قال ابن مسعود
صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله تعالى ريحا فضربت الحجارة فزادتها
شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الاخر وان وقع على راسه
خرج من دبره من سجيل قيل السجيل اسم علم للديوان الذي كتب فيه عذاب
الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة
العذاب المكتوب المدون مما كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من طين
مطبوخ كما يطبخ الاجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط واصله من سنك كيل
فارسي معرب وقيل السجيل الشديد فجعلهم كعصف ماكول يعني كزرع
وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم
وتفرقها بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل
كالحب اذا اكل وصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على
حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى اعلم بمراده

تفسير سورة قريش مكية

وقيل مدنية والاول اصح واكثر وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **لإيلاف قريش** اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته فيما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش اي اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل ابي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما واجيب عن مذهب ابي في جعل هذه السورة والتي قبلها سورة واحدة بان القران كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله لايلاف قريش فقيل هي لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادة فهو كقولك على وجه التعجب لزيد واكرامنا اياه اي اعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من الفت الشيء الفا وهو بمعنى الايتلاف فيكون المعنى لايلاف قريش هاتين الرحلتين فيتصلا ولا ينقطعا وقيل هو من الفت كذا اي لزمته والفنيه الله اي الزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي (م) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم (م) عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في هذا الشان مسلمهم وكافرهم لكافرهم عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد هوان قريش اهانه الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا فاذق اخرهم نوالا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال تقرش لعياله ويقترش لهم اي يكتسب وذلك لان قريشا كانوا اهل تجارة وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال ابو ريحانة سال معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا فقال لدابة

تكون

تكون في البحر من اعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف ذلك العرب في اشعارها قال نعم وانشده شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر • بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر • على سائر البحور جيوشا
تاكل الغث والسمين ولا • تترك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش • ياكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم اخر الزمان نبي • يكثر القتل فيهم والخموشا
يملا الارض خيله ورجا لا • يحشرون المطي حشر كميشا

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وانزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا اجتمعوا وسمي مجمعا لذلك قال الشاعر

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبائل من فهر

وقوله تعالى **ايلافهم** هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه **رحلة الشتاء والصيف** قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فامرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء الى اليمن لانها ادفى ورحلة في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام واخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن الى اهل مكة واهل البر حملوا على الابل والحمير فالقى اهل الساحل بجدة والقى اهل البر بالمحصب واخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة والقوا بالابطح فامتار اهل مكة من قريب وكفاهم الله تعالى مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي كان اول من حمل السمراء يعني القمح من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طلب السماحة والندى • هلا مررت بال عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم • منعوك من ضر ومن اكفاف
الرايشين وليس يوجد رايش • والقايلين هلم للاضياف

ولخالطين غنيهم بفقيرهم • حتى يكون فقيرهم كالكافي •
والقايلين بكل وعد صادق • والراحلين برحلة الايلاف •
عمرو العلى هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •
سفرين سنهما له ولقومه • سفر الشتا ورحلة الاصياف •

قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين احدهما رفع الضرر وهو ما ذكره في سورة الفيل والثاني جلب نفع وهو ما ذكره في هذه السورة ولما رفع الله تعالى عنهم الضرر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ومعنى الذي اطعمهم من جوع اي بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر وقيل في الاية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف اي بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم يتعرض لهم احد في رحلتهم وقيل امنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل امنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله اعلم •

تفسير سورة الماعون مكية

وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وايل والنصف الثاني بالمدينة في عبد الله ابن ابي بن سلول المنافق وهي سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين قيل نزلت في العاص بن وايل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في عمرو بن عايذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الاية هل عرفت الذي يكذب بيوم الدين والحساب فان لم تعرفه فذلك الذي يدع اليتيم ولفظ ارايت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارايت يا ايها الانسان او يا ايها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلايله ووضوح بيانه فكيف يليق ذلك فذلك الذي يدع اليتيم اي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفو والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقري يدع بالتخفيف اي يدعوه يستخدمه قهرا واستطالة ولا يحض على طعام المسكين اي لا يطعمه ولا

يامر

يامر باطعامه لانه يكذب بيوم الجزا وهذا غاية البخل لانه يبخل بما له وبمال غيره فلا يامر غيره بالاطعام قوله عز وجل فويل للمصلين يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون روي البغوي بسنده عن سعيد قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراءون وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس وقيل ساهون عنها لا يبالي اصلى ام لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال الله تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمومن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمومن اذا سهي في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع اجزا الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافقين الذي يعتقد انه لا فايدة في الصلاة فاما المومن الذي يعتقد فايدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة بمعنى انه يصير ساهيا في بعض اجزا الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان وهذا قل ان يخلو منه احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من افعال المنافق والسهو في الصلاة من افعال المومن الذين هم يراءون يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من اهل الدين والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتدى به ويامن على نفسه من الريا فلا باس بذلك وليس هو برياء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى ويمنعون الماعون روي عن علي بن ابي طالب انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة قال ابن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روي عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر اخرجه ابو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون اعلاه الزكاة المفروضة •• وادناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي

يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل اصل الماعون من القلة فسميت الزكاة والصدقة
والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما يحل منعه مثل الما والملح
والنار ويلحق بذلك البير والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما
ومعنى الاية الزجر عن البخل بهذه الاشيا القليلة الحقيرة فان البخل بها من
غاية البخل قال العلما ويستحب ان يكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران
فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يستقر على الواجب والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده
واسرار كتابه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تفسير سورة الكوثر مكية

قال ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث
ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل انا اعطيناك الكوثر الكوثر نهر في الجنة اعطاه الله عز وجل
محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القران العظيم وقيل هو النبوة والكتاب
والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس
خ عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي
اعطاه الله تعالى اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر
في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب
تسمي كل شي كثير في العدد او كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضايل الكثيرة
الذي فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جا في تفسير الكوثر فقد اعطيه النبي صلى الله
اعطي النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود
وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعدا وكثرة الفتوح
في زمنه وبعده الى يوم القيامة واولى الاقاويل في الكوثر والذي عليه جمهور
العلما انه نهر في الجنة كما جا مبينا في الحديث ق عن انس قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاة ثم رفع راسه متبسما قلنا ما
اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر
قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير
وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد نجوم السما فيختلج العبد منهم
فاقول يا رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدثوا بعدك لفظ مسلم وللبخاري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السما اتيت نهرا حافتاه قباب
اللولو المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا
طينه او طينته مسك اذفر شك الراوي عن انس قال سيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر اعطانيه الله عز وجل يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن

واحلى

واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه
من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماوه احلى من العسل
وابيض من الثلج اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح خ عن عامر بن عبد الله
ابن مسعود قال سالت عايشة رضي الله عنها عن قوله انا اعطيناك الكوثر
فقال الكوثر نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطياه در مجوف انيته كعدد
نجوم السما ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حوضي مسيرة شهر ماوه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم
السما من شرب منه لا يظما ابدا زاد في رواية وزواياه سوا ق عن ابن عمر رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امامكم حوضي ما بين جنبيه كما بين
جربا واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة ايام
وفي رواية فيه اباريق كنجوم السما من ورده فشرب منه شربة لم يظما بعدها
ابدا ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتي وفي رواية
ما بين حوضي كما بين صنعا والمدينة وفي رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفي
رواية قال ان قدر حوضي كما بين ايلة وصنعا اليمن وان فيه من الاباريق كعدد
نجوم السما م عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما انية الحوض قال والذي نفسي
بيده لانيته اكثر من عدد نجوم السما وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية انية
الجنة من شرب منها لم يظما اخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل
طوله ما بين عمان الى ايلة وماوه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل م عن ثوبان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني بعقر حوضي اذود الناس لاهل اليمن اضرب
بعصاي حتى يرفض عليهم فسيل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسيل عن شرابه
فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يصب فيه ميزابان يمدانه من الجنة
احدهما من ذهب والاخر من ورق ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم
لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا
بعدك ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال
ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن رب اصحابي فيقالن انك لا
تدري ما احدثوا بعدك وفي رواية ليردن علي اناس من امتي الحديث وفي اخره
فاقول سحقا لمن بدل بعدي ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي او قال من امتي
فيحلون عن الحوض فاقول يا رب اصحابي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك
انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

تردا أمتي علي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدرون ما أحدثوا بعدك وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض م عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن والذي نفسي بيده لأذودن عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن إبله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم عن زيد بن أرقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما أنتم إلا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة أخرجه أبو داود

فصل في شرح هذه الأحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض

قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض أحاديث الحوض صحيحة والإيمان بها فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبي سعيد وسهل بن سعد وجندب ابن عبد الله بن عمرو وأبي سعيد وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وأبي ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبد الله ابن زيد وسويد بن غفلة وعبد الله الصنابحي والبراء بن عازب وأسماء بنت أبي بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيي الدين ورواه البخاري ومسلم أيضا من رواية أبي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرات قلت وقد اتفقا على إخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره في الحديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما وأخرجا أيضا حديث الحوض عن أسماء بنت أبي بكر الصديق فذكرها القاضي عياض فيمن خرج له في غير الصحيحين قال القاضي عياض وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا وأما صفة الحوض ومقداره فقد قال في رواية حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبيه كما بين جربا وأذرح وفي رواية كما بين أيلة وصنعاء اليمن وفي رواية عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة وفي رواية إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن فهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لأنه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها

من النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضرب بها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على أفهام السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل لإعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافات منع من الكثير فإن الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول في آنية الحوض أن العدد المذكور في الأحاديث على ظاهره وأنها أكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك إذ قد وردت الأحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول في الواردين إلى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنتم إلا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وإنما ضربه مثلا لأكثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب فهذا صريح فإن جميع الواردين يشربون وإنما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك وفي رواية وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الأحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه والمراد به منهم فقيل المراد بهم المنافقون والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنهم إذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم إنهم قد بدلوا بعدك أي لم يكونوا على ما ظهر من إسلامهم وقيل المراد بهم من أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بعده في زمن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهم الذين قاتلهم على الردة وهم أصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من إيمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم أصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام وأصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكبائر فعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز أن يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال أبو عمر ابن عبد البر كل من أحدث في الدين كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذا الظلمة المترفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف أن يكونوا ممن عني بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ أبدا قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من

النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب منها بالظما بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المومنين ياخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله تعالى من شا من عصاتهم وقيل انما ياخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله شرح غريب الفاظ الاحاديث قوله فيختلج العبد منهم اي اي ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح واما جربا فبجيم ثم را ساكنة ثم با موحدة ثم الف مقصورة ووقع عند رواة البخاري رحمه الله تعالى فيها المد والقصر اولى وهي قرية من الشام واما اذرح فبهمزة ثم ذال ثم را ثم حا مهملة وهي مدينة لا طرف الشام قريبة من الشوبك واما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بلبدة بالبلقا من ارض الشام واما ايلة فبفتح الهمزة واسكان اليا المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة في طرق الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر وبينها وبين المدينة نحو خمسة عشر مرحلة وهي اخر الحجاز واول الشام واما صنعا فهي قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيده باليمن في الحديث لان بدمشق موضع يعرف بصنعا دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب منه ميزابان بفتح اليا المثناة تحت وبالشين المعجمة اي يسيل منه وفي الحديث الاخر يغت بفتح اليا وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد المثناة الفوقية اي يدفق منه ميزابان تدفقا شديدا متتابعا قوله اني بعقر بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو موخر الحوض قوله اذود الناس اي اضرب الناس لاهل اليمن بعصاي حتى ترفض عليهم معناه اطرد الناس عنه غير اهل اليمن ومعنى يرفض اي يسيل عليه وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله انا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفا والرا هو الذي يتقدم على الوارد ليصلح لهم الحياض والدلا ونحوها من امور الاستقا والمعنى انا سابقكم على الحوض كالمهيئ له قوله فاقول سحقا اي بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذ لا يقال للمومن سحقا بل يشفع قلت في حديث انس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفا اغفاة يعني نام نومة ثم رفع راسه متبسما والله اعلم قوله تعالى **فصل لربك وانحر** معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فامر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي له وينحر متقربا اليه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر اي ضع يدك اليمنى على الشمال في الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير

الى النحر

الى النحر حكاه ابن الجوزي ومعنى الاية قد اعطيتك ما لا غاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك فاعبد ربك الذي اعطاك هذا العطا الجزيل والخير الكثير وعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم وصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه **ان شانئك** يعني عدوك ومبغضك **هو الابتر** يعني هو الاذل الاقل المنقطع دابره نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الابتر الذي يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وايل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال انتم خير منه فنزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت الاية ونزلت في الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر اي المنقطع من كل خير قولهم في النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المنفردة يدق اسفلها وتسمى الصنبور وقيل هي النخلة التي تخرج من اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنابير سعفات تنبت من جذع النخلة تضر بها ودواها ان تقطع تلك الصنابير منها فاراد كفار مكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة صنبور نبت من جذع نخلة فاذا انقلع استراحت النخلة وكذا محمد صلى الله عليه وسلم اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا من غريب فاكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم اشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت الاعز الاشرف الافضل والله تعالى اعلم

٥ تفسير سورة قل يايها الكافرون مكية ٥

وهي ست ايات وستة وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له نصف القران ومن قرا قل يايها الكافرون عدلت له ربع القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت له ثلث القران اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القران ان

القرآن مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب
والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة
على النهي من عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب
فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم
الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن عبد المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم واتبع ديننا
ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله نعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان
كان الذي جئت به خيرا كنا قد اشركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذي
بايدينا خيرا كنت قد اشركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك
ونعبد الهك قال حتى انظر ما ياتي من ربي فانزل الله عز وجل قل يا ايها الكافرون
الى اخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه اولئك
الملا من قريش فقام على رؤوسهم ثم قراها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا
منه عند ذلك فاذوه واذوا اصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا ابا الفضل
لو ان ابن اخيك استلم بعض الهتنا لصدقناه فيما يقول ولامنا بالهه فاتاه العباس
فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل هذا في ابي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن
منهم ومعنى قل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ جميع ما اوحي اليه فلما
قال الله تعالى قل يا ايها الكافرون اداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل
عليه السلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال امرت بتبليغ ما انزل علي وكان
فيما انزل عليه قل يا ايها الكافرون وقيل ان النفوس تابى سماع الكلام الغليظ
الشنيع من النظير ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله
عليه وسلم قال ليس هذا من عندي انما هو من عند الله تعالى وقد انزل علي قل يا ايها
الكافرون والمخاطبون بقوله قل يا ايها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق
في علم الله تعالى انهم لا يؤمنون لا اعبد ما تعبدون في معنى الاية قولان احدهما
انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون اي لا افعل في المستقبل ما
تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون
في المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم
اي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم
في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثاني للاستقبال
وقيل يصلح ان يكون كل واحد منهما للحال وللاستقبال ولكن تخص احدهما بالحال
والثاني بالاستقبال لانه اخبر اولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون

المعنى

المعنى لا اعبد ما تعبدون في الحال ولا انتم عابدون ما اعبد في الحال ولا انا عابد
ما عبدتم في الاستقبال ولا انتم عابدون ما اعبد في الاستقبال وما بمعنى من
ويحتمل ان يكون بمعنى الذي اي لا اعبد الذي تعبدون القول الثاني حصول التكرار في
الاية فعلى هذا القول ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة في تاكيد
اشد كان التكرار احسن ولا موضع احوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار
راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا فحسن التاكيد والتكرار في
هذا الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم
التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف
والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم ان سرك ان ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه
السورة جوابا لهم عن قولهم لكم دينكم ولي دين اي لكم كفركم ولي اخلاصي
وتوحيدي والمقصود منه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الاية
منسوخة باية القتال والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النصر مدنية

وهي ثلاث ايات وسبع عشرة كلمة وسبع وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما
ذكره محمد بن اسحاق واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح
قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين وقيل
عشر سنين يامن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب ان يدخل في
عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد
قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة
وهم على ماء لهم باسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني
الديل من بني بكر حتى بيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا
ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا
حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش على خزاعة
ليلتئذ بانفسهم متنكرين صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو
مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الحرم
فقال كلمة عظيمة انه لا اله له اليوم يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون
في الحرم فلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة
واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

من العهد والميثاق فاستغاثوا من خزاعة وكانوا في عقدة خرج عمرو بن سالم الخزاعي
حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة
فوقف عليه وهو في المسجد جالسا بين ظهراني الناس فقال

يا رب اني ناشد محمدا   حلف ابينا وابيه الاتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا   ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا   وادع عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا   ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فلق كالبحر يجري مزبدا   ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا   وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا ان لست ادعو احدا   وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا   وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا ابدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عنان من السما فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب
وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقا في نفر من خزاعة حتى قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش
بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال للناس كانكم بابي سفيان قد جا ليشد في العقد ويزيد في المدة ومضى
بديل بن ورقا واصحابه حتى لقوا ابا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول
صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما
لقي ابو سفيان بديلا قال له من اين اقبلت يا بديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وهل اتيت
محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لين كان جا المدينة لقد علف
بها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففتته فراى فيه النوى فقال
احلف بالله لقد جا بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة بنت ابي سفيان فلما ذهب
ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ارغبت
بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانت رجل مشرك نجس فلم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال والله لقد اصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم
اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله
لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم عليه ثم خرج فدخل على علي بن ابي طالب وعنده

فاطمة

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلام يدب بين
يديها فقال يا علي انك امس القوم رحما وقربهم مني قرابة وقد جيت في حاجة
فلا ارجعن كما جيت خايبا اشفع لنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك
يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه
فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك ان تامري بنيك هذا فيجير
بين الناس فيكون سيد العرب الى اخر الدهر قالت والله ما بلغ بني ان يجير
بين الناس فيكون سيد العرب وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله ما اعلم
شيا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك
قال وترى ذلك مغنيا عني شيا قال لا والله ما اظن ذلك ولكن لا اجد لك
غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال يا ايها الناس اني قد اجرت بين الناس
ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما ورا لك قال جيت محمدا فكلمته
فوالله ما رد علي شيا ثم جيت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جيت ابن
الخطاب فوجدته اعدا القوم ثم اتيت علي بن ابي طالب فوجدته الين القوم
وقد اشار علي بشي صنعته فوالله ما ادري هل يغني ذلك شيا ام لا قالوا
وماذا امرك قال امرني ان اجير الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد
قال لا قالوا ويلك والله ان زاد علي ان لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا
والله ما وجدت غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز
وامر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر رضي الله عنه على ابنته عايشة وهي تصلح
بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي بنية امركم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لا والله
ما ادري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه ساير الى مكة وامرهم
بالجد والتهيو وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في
بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي
اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في تفسير سورة
الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة
ابا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان
وامج افطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة الاف من المسلمين ولم يتخلف
من المهاجرين والانصار عنه احد فلما نزل مر الظهران وقد عميت الاخبار عن
قريش فلا ياتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل
وخرج من تلك الليالي ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقا

يتحسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا ويسمعون به وقد كان العباس بن
عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة
مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله
عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس
ابن عبد المطلب فقلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة عنوة قبل ان ياتوه فيستامنوه انه لهلاك قريش الى اخر الدهر قال
فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت
الاراك لعلي اجد حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة ياتي مكة فيخبرهم بمكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستامنوه قبل ان يدخلها
عليهم عنوة قال العباس فوالله اني لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذ
سمعت كلام ابي سفيان وبديل بن ورقا وهما يتراجعان وابو سفيان يقول
ما رايت كالليلة نيرانا قط قال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب
فقال ابو سفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها قال فعرفت
صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال ابو الفضل فقلت نعم فقال
ما لك فداك ابي وامي فقلت ويحك يا ابا سفيان هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة الاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله
لئن ظفر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة
حتى اتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فردفني ورجع صاحباه
فخرجت اركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من
نيران المسلمين نظروا وقالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام الي فلما
راى ابا سفيان على عجز البغلة قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن
منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة المبطية الرجل البطي قال فاقتحمت
عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله
هذا ابو سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب
عنقه قال فقلت يا رسول الله اني قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخذت براسه وقلت والله لا يناجيه الليلة احد دوني فلما اكثر عمر
في شانه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بني عبد مناف
ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك
يوم اسلمت كان احب الي من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذهب يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فاتني به قال فذهبت به الى رحلي فبات
عندي فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه قال ويحك

يا ابا

يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله واني رسول الله قال بابي انت وامي
ما احلمك واكرمك واوصلك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد
اغنى عني شيئا بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال
بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه فان في النفس منها حتى
الان شيئا فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله
ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان
فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن فلما ذهب لينصرف
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم
الخيل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث امرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان احبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال
من هولاء يا عباس فاقول سليم فيقول ما لي ولسليم ثم القبيلة فيقول من
من هولاء فاقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفدت القبائل لا تمر
قبيلة الا سالني عنها فاذا اخبرته عنها قال ما لي ولبني فلان حتى مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره
فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله
من هولاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار
قال ما لاحد بهولاء من قبل ولا طاقة والله يا ابا الفضل لقد اصبح ملك
ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا قلت الحق بقومك الان فحذرهم
فخرج سريعا حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد
قد جاءكم فيما لا قبل لكم به قال فمن دخل دار ابي سفيان فهو امن قالوا ويحك وما
تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد فهو امن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد
قالوا وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى
قريش يدعوهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقا من عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث في اثرهما الزبير واعطاه
رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره ان يركز رايته باعلى مكة
بالحجون وقال لا تبرح حيث امرتك ان تركز رايتي حتى اتيك ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بسيفه عليه
برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع راسه تواضعا لله عز وجل
حين راى ما اكرمه به من الفتح حتى ان راسه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلى مكة وامر خالد بن
الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبني سليم ان يدخل من اسفل مكة وبها بنو بكر

وقد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الاحابيش امرتهم
قريش ان يكونوا باسفل مكة وان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل
ابن عمرو وكانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلان الا من قاتلكما وامر سعد بن عبادة
ان يدخل في بعض الناس من كدا فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة
اليوم تستحل المحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال
يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة وما يامن ان يكون له في قريش صولة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب ادركه فخذ الراية فكن انت الذي
تدخل بها فلم يكن باعلى مكة من قبل الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم
على قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله تعالى ولم
يكن بمكة قتال غير هذلك وقتل من المشركين اثنى عشر او ثلاثة عشر رجلا الا
ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلا من خيل خالد ورجلان
يقال لهما كرز بن خابس وخنيس بن خالد بن الوليد فشذ عنه وسلك طريقا
غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرايه من المسلمين
حين امرهم ان يدخلوا مكة ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا سماهم امر بقتلهم
وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وانما امر بقتله
لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى
اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمان اهل مكة فاستامن له وعبد الله
ابن خطل رجل من بني تيم بن غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى
ان يذبح له شيا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيا فعدى عليه
فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان يغنيان بهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر بقتلهما معه والحويرث بن نقيد بن وهب وكان ممن يوذيه بمكة ومقيس بن
ضبابة وانما امر بقتله للانصاري الذي قتل اخاه خطا ورجوعه الى قريش مرتدا
وسارة مولاة لبني عبد المطلب كانت ممن توذيه بمكة وعكرمة بن ابي جهل فاما
عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امراته ام حكيم بنت الحارث بن هشام فاستامنت
له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله
عليه وسلم واما عبد الله بن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومي وابو برزة الاسلمي
اشتركا في دمه واما مقيس بن ضبابة فقتله نميلة بن عبد الله ورجل من قومه واما
قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استومن لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى اوطاها رجل من الناس فرسا له في زمن
عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها واما الحويرث بن نقيد فقتله علي بن ابي طالب قالت
ام هاني بنت ابي طالب لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فر الي رجلان

من احمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن ابي وهب المخزومي قالت فدخل علي علي
ابن ابي طالب اخي فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما بيتي ثم جيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها لاثر العجين وفاطمة
ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به فلما صلى ثمان ركعات الضحى
ثم انصرف الي فقال مرحبا واهلا يا ام هاني ما جاءك فاخبرته خبر الرجل وخبر علي بن
ابي طالب فقال قد اجرنا من اجرت وامنا من امنت فلا تقتلهما ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمان بالناس حتى جا البيت فطاف به سبعا على راحلته
يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فاخذ منه مفتاح
الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم
وقف على باب الكعبة وقد استنكف له الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده
لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل ماثرة او دم او مال
يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطا شبه
العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلظة ماية من الابل اربعون منها في بطونها
اولادها يا معشر قريش ان الله تعالى قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها
بالابا الناس من ادم وادم من تراب ثم تلا هذه الاية يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى الاية ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ
كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد كان الله امكنه منهم عنوة فبذلك سمي اهل مكة الطلقا ثم جلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المسجد فقام اليه علي بن ابي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله
اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن
طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفا وبر قال واجتمع الناس
للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب
اسفل منه ياخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما
فرغ من بيعة الرجال بايع النسا قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن امية
يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا رسول الله ان صفوان
ابن امية سيد قومي قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه في البحر فامنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو امن قال يا رسول الله اعطني شيا يعرف به
امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج
بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال يا صفوان فداك ابي
وامي اذكر الله في نفسك ان تهلكها فهذا امان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد جيتك به فقال ويلك اعزب عني ولا تكلمني قال اي صفوان فداك ابي
وامي افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه
عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم

من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
صفوان ان هذا يزعم انك امنتني قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين
قال انت فيه بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا
فيما بينهم اترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ افتح الله عليه ارضه وبلده يقيم
بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى
اخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم
قال ابن اسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة الاف وكان فتح مكة
لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة بعد فتحها خمسة عشر ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف
وقد نزلوا حنينا ق عن ابي هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام الفتح
بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله
واثنى عليه وقال ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
الا وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الا وانما احلت لي ساعة من نهار
الا وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها الا
لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفدى واما ان يقيد فقال العباس
الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا الاذخر فقام ابو شاه رجل من اهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاه قال الاوزاعي يعني الخطبة التي
سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله اذا جاء نصر الله
والفتح يعني اذا جاءك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش
ومعنى مجيء النصر ان جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها
او تاخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا
المعين قال اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين
وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق
بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب
وهو كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف عليه بالفتح وقيل ان النصر
هو كمال الدين واظهاره فالفتح هو الاقبال الدنياوي الذي هو تمام النعمة
ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا يعني زمرا وارسالا القبيلة
باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله عز وجل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله عز وجل محمدا
باهل الحرم وكان قد اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون
في دين الله افواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل

اراد بالناس اهل اليمن ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاكم
اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله
هو الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله ورايت
الناس يدخلون في دين الله افواجا يعني فانك حينئذ لاحق به خ عن
ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى
معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني
معهم قال وما رايته دعاني يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون في قول الله
عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله
ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي اكذلك
تقول يا ابن عباس قلت لا قال فما تقول قلت هو اجل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا قال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم ق عن عائشة
قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه اذا جاء نصر الله
والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم
وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقال
اخبرني ربي اني سارى علامة في امتي وفي رواية اكثرت من قول سبحان الله
وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح
مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم
انه نعيت اليه نفسه قال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح
والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم
بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة اذا جاء نصر الله والفتح
ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد
والاستغفار فان الاشتغال بهذه الطاعات يصير سببا لمزيد درجات الدنيا
والاخرة وفي معنى التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده
والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من اجزاء الصلاة ثم قيل عني به صلاة
الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل
هي صلاة الضحى وفي الاية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل
ذلك كافيا في اداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى
هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قلت انه تعبده الله
بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يامن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده

ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو عن ترك الافضل والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغاير على الانبيا يكون المعنى واستغفره لما عسى ان يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب امته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة تبت يدا ابي لهب مكية

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **تبت يدا ابي لهب** ق عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحا فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليدين صاحبهما وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه وقيل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فادمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وابو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بابي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه احدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه لما كان من اهل النار وماله الى النار والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها **وتب** قيل الاول اخرج مخرج الدعا عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا ابي لهب يعني ماله وملكه كما يقال لفلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه اي وقد اهلك نفسه **ما اغنى عنه ماله وما كسب** قال ابن عباس لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرباءه الى الله

تعالى قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله عز وجل ما اغنى عنه ماله اي اي شيء يغني عنه ماله اي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال وكان صاحب مواشي وما كسب اي ربح بعد راس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جا في الحديث ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي ثم اوعده بالنار فقال تعالى **سيصلى نارا ذات لهب** اي نارا تلتهب عليه **وامراته** يعني ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية بن ابي سفيان وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم **حمالة الحطب** قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاة بالليل فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لتعقرهم بذلك وهي رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها او يحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين في ذلك باحد بل تفعله هي بنفسها وقيل كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به وقيل حمالة الخطايا والاثام التي حملتها في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كالحطب في مسيرها الى النار **في جيدها** اي في عنقها **حبل من مسد** قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سايرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل الذي كانت تحتطب به فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة اعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت خرزات في عنقها وقيل كانت قلادة فاخرة فقالت لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم بمراده

تفسير سورة الاخلاص مكية

وقيل مدنية وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وتسعة واربعون حرفا **فصل** في فضل سورة الاخلاص خ عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القران وفي رواية قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القران في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله احد الله الصمد ثلث القران عن ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال ان الله جزا القران ثلاثة اجزا فجعل قل هو الله احد جزا من القران م عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرا عليكم
ثلث القران فقرا قل هو الله احد الله الصمد حتى ختمها فذكر العلما في كونه
صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القران اقوالا متقاربة
فقيل ان القران العزيز لا يعدو ثلاثة اقسام وهي الارشاد الى معرفة
ذات الله تعالى وتقديسه او صفاته واسمايه او معرفة افعاله وسننه مع
عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهي
التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القران لان منتهى التقديس
في ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه
ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه
قوله ولم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا ممن هو
له ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع ذلك كله قل هو الله احد
وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا سر من اسرار القران
المجيد الذي لا تتناهى اسراره ولا تنقضي عجايبه وقال الامام فخر الدين الرازي
لعل الغرض منه ان يكون المقصود الاشرف في جميع الشرايع والعبادات
معرفة ذات الله تعالى ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة
مشتملة على معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاه وشانه فلهذا كانت
هذه السورة معادلة بثلث القران وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله
قيل معناه ان القران على ثلاثة انحا قصص واحكام وصفات الله تعالى وقل
هو الله احد متمحضة للصفات فهي ثلث القران وجزء من ثلاثة اجزا وقيل
معناه ان ثواب قراتها تتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القران بغير تضعيف وقوله
يتقللها يقال استقللت الشي وتقللته وتقاللته اذا عددته قليلا في بابه
ونظرت اليه بعين القلة وقيل سميت قل هو الله احد سورة الاخلاص اما لانها
خالصة لله تعالى في صفته او لان قاريها قد اخلص لله التوحيد ومن فوايد
هذه السورة ان الاشتغال بقراتها يفيد الاشتغال بالله تعالى وملازمته
الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراته عن كل ما لا
يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية
وعدم النظير عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا كل يوم مايتي مرة قل
هو الله احد محي الله عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وفي رواية
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه
ثم قرا قل هو الله احد ماية مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب تبارك
وتعالى يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وعنه ان رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله

احد

احد الله الصمد قال حبك اياها ادخلك الجنة اخرجه الترمذي عن ابي هريرة
قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرا قل هو الله احد الله
الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة اخرجه
الترمذي وقال حديث صحيح غريب والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **قل هو الله احد** عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله احد الله الصمد
والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت وليس شي يموت
الا سيورث وان الله تعالى لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم
يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شي اخرجه الترمذي وقد روي عن ابي
العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل
عليه السلام بهذه السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي
ابن كعب وهذا اصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا
النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد قال الى الله تعالى قال
صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه
السورة واهلك الله اربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون وقد تقدم ذكرهما
في سورة الرعد وقيل جا ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
صف لنا ربك لعلنا نومن بك فان الله تعالى انزل نعته في التوراة فاخبرنا من
اي شي هو وهل ياكل ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فانزل الله عز وجل
السورة قل هو الله احد يعني الذي سالتموني عنه هو الله الواحد في الالهية والربوبية
الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبيه والمثل والنظير وقيل
لا يوصف احد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل احد ودرهم احد بل احد
صفة من صفات الله تعالى استاثر بها فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد
ان الواحد يدخل في الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد
في النفي تقول في الاثبات رايت رجلا واحدا وفي النفي ما رايت احدا فيفيد
العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه احد والاحد هو المنفرد
بالمعنى فلا يشاركه فيه احد **الله الصمد** قال ابن عباس الصمد الذي لا
جوف له وقال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشي
المصمت الصلب الذي ليس فيه جوف ولا رخاوة ومنه قيل لسداد القارورة
الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام وتعالى الله عن صفات
الجسمية وقيل وجه هذا القول هو ان الصمد الذي ليس باجوف معناه هو
الذي لا ياكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شي فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال
والقصد بقوله تعالى الله الصمد التنبيه على انه تعالى بخلاف ما اثبتوا له الالهية

واليه الاشارة بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس باجوف شيئان احدهما
دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني اشرف من الانسان واعلى منه
وهو الباري جل وعلا وقال ابي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من
يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في افراده عن ابي وايل شقيق
ابن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سودده وهي رواية عن ابن عباس
ايضا قال هو السيد الذي كمل فيه جميع انواع السودد وقيل هو السيد المقصود
في جميع الحوايج المرغوب اليه في الرغايب المستغاث به عند المصايب وتفريج الكرب
وقيل هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وتلك دلالة على انه المتناهي في السودد
والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدايم
الباقي بعد فنا خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه احد وهو قول علي وقيل هو
الذي لا تعتريه الافات ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه
وقيل الصمد هو الاول الذي ليس له زوال والاخر الذي ليس لملكه انتقال
والاولى ان يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضي
ان لا يكون في الوجود صمد سوى الله العظيم القادر على كل شي تعالى وانه اسم
خاص لله تعالى انفرد به له الاسما الحسنى والصفات العلى ليس كمثله شي وهو السميع
البصير قوله تعالى **لم يلد ولم يولد** وذلك ان مشركي العرب قالوا الملايكة
بنات الله وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله فاكذبهم
الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد كما ولد عيسى وعزير
ولم يولد معناه ان من ولد كان له الوالد فنفى عنه احاطة النسب من جميع
الجهات فهو الاول الذي لم يتقدمه والد كان عنه وهو الاخر الذي لم
يتاخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا احد
اي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله **ولم يكن له
كفوا احد** العديل والنظير والصاحبة والولد **خ** عن ابي هريرة عن النبي
قال قال الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي
من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الفلق مدنية

وقيل مكية والاول اصح وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة واربعة وسبعون
حرفا **م** عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر ايات
انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس

فيه بيان عظم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القران
وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل
من القران ايضا وانه منه ومن اول السورتين بعد البسملة وقد اجمعت الامة على
هذا كله بعد خلاف ذكر فيه **خ** عن زر بن حبيش قال سالت ابي بن كعب عن
المعوذتين قلت ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله
ابن خبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصلي بنا فخرج فقال قل فقلت ما اقول قال قل هو الله احد الله الصمد
والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شي وفي رواية قال قلت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل فقلت ما اقول فقال قل قلت ما
اقول قال قل اعوذ برب الفلق حتى ختمها ثم قل اعوذ برب الناس حتى
ختمها ثم قال ما تعوذ الناس بافضل منهما اخرجه النساي عن جابر بمثله
ومعناه **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **قل اعوذ برب الفلق** قال ابن عباس وعايشة كان غلام
من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به
حتى اخذ من مشاطة راس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان
مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن اعصم رجل من
اليهود فنزلت السورتان فيه **ق** عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشي ولم يصنعه وفي رواية انه
ليخيل اليه فعل الشي وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله
ودعاه ثم قال اشعرت يا عايشة ان الله عز وجل قد افتاني فيما استفتيته
فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاني رجلان فجلس احدهما عند راسي
والاخر عند رجلي ثم قال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال
ومن طبه قال لبيد بن اعصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط
ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في بير ذروان قال وذروان
بير في بني زريق فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس من اصحابه الى البير فنظر
اليها وعليها نخل قال ثم رجع الى عايشة فقال والله لكان ماها نقاعة الحنا ولكان نخلها
رووس الشياطين قلت يا رسول الله فاخرجته قال اما انا فقد عافاني الله وشفاني
وقد خشيت ان اثور على الناس منه شرا وفي رواية للبخاري انه كان يرى انه ياتي النسا
ولا ياتيهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذا عن زيد بن ارقم
قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى ذلك اياما فاتاه جبريل فقال

ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بير كذا فارسل رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجا بها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك
خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك
لليهودي ولا راه في وجهه قط لخرجه النسا وروي انه كان تحت صخرة في البير
فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من راس النبي صلى الله
عليه وسلم واسنان مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل
كانت مغروزة بالابر فانزل الله عز وجل هاتين السورتين وهما احد عشرة
اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات فكان كلما قرا اية انحلت
عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كانما نشط من
عقال وروي انه لبث ستة اشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان
عن ابي سعيد الخدري ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
اشتكيت قال نعم بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك ومن شر كل نفس او
عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك **فصل** وقبل
الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر
وجواز الرقيا قولها في الحديث انه صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل له انه
يصنع الشي ولم يصنعه قال الامام المازري مذهب اهل السنة وجمهور
علما الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشيا الثابتة
خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة
لا حقيقة لها وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر فيه
اشارة الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن ان
يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث صحيح مصرح باثباته ولا يستنكر في
العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق او تركيب
اجسام او المزج بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه لا فاعل الا الله
تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة اجراها الله تعالى على يد من يشا من عباده
فان قلت المستفاد منه هل هو بقضا الله تعالى وقدره فكيف يامر بالاستعاذة
مع ان ما قدر لا بد واقع وان لم يكن بقضا الله وقدره فذلك قدح في القدرة
قلت كلما وقع في الوجود هو بقضا الله وقدره والاستشفا بالتعوذ والرقى
من قضا الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن ابي خزامة عن
ابيه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت
رقى نسترقي بها ودوا نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيا
قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وقول عمر نفر
من قدر الله الى قدر الله **فصل** وقد انكر بعض المبتدعة حديث
عايشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة صلى الله عليه وسلم ويشكك

فيها

فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل
لان الدلايل القطعية والعقلية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم
وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه
باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا وهو ما يعرض للبشر غير بعيد ان يخيل اليه من امور
الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل انه كان يخيل اليه انه وطي زوجاته وليس بواطي وهذا
مثل ما يتخيله الانسان في المنام فلا يبعد ان يتخيله في اليقظة ولا حقيقة
له وقيل انه يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما يخيله فيكون
اعتقاده على السداد وقال القاضي عياض وقد جا في بعض روايات هذا الحديث
فتبين ان السحر انما سلط على بدنه وظاهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده
وليس في ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة
وقوله ما وجع الرجل قال العلما اي ما مسحور وقوله جف طلعة ذكر يروى بالبا
ويروى بالفا وهو وعا طلع النخل واما الرقى والتعويذ فقد اتفق الاجماع على
جواز ذلك اذا كان بايات من القران او اذكار وردت في الحديث ويدل على صحة
ذلك الاحاديث الصحيحة الواردة في ذلك منها حديث ابي سعيد المتقدم ان جبريل
رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روى عن عبيد بن رفاعة الزرقي ان اسما بنت
عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي لهم قال
نعم فانه لو كان شي سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ
ويقول اعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما
وترك ما سواهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث
تدل على جواز الرقية وانما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر او شرك او ما لا يعرف معناه
مما ليس بعربي لجواز ان يكون فيه كفر والله اعلم واما التفسير فقوله عز
وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية
عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان
القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما
يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجي الفرج كما ان الانسان
ينتظر طلوع الصباح كذلك الخايف يترقب مجي النجاح وقيل ان تخصيص
الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعا المضطرين واجابة الملهوفين
فكانه يقول قل اعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه عن المهمومين والمغمومين
وروي عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم اذا فتح استغاث
اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب القادر
عليه من شر عذابه وغيره وروي عن ابن عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه
هذا التاويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق

فكانه قال اعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات **من شر ما خلق** قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس **ومن شر غاسق اذا وقب** عن عايشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عايشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف او اخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو اخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اي اقبل بظلامه من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الافات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا امر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها **ومن شر النفاثات في العقد** يعني السواحر اللاتي تنفث في عقد الخيط حتى يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن اعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعوذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة النفث والتفل في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه **ومن شر حاسد اذا حسد** الحاسد هو الذي يتمنى ازالة نعمة الغير وربما يكون مع ذلك يسعى فلذلك امر الله تعالى بالتعوذ منه واراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم او لبيد بن اعصم وحده والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الناس مدنية

وقيل مكية والاول اصح وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **قل اعوذ برب الناس** انما خص الناس بالذكر وان كان رب

جميع المحدثات لانه لما امر بالاستعاذة من شر الوسواس فكانه قال قل اعوذ من شر الوسواس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيذ من شرهم وقيل انا شرف المخلوقات هم الناس فلذلك خصهم بالذكر **ملك الناس اله الناس** انما وصف نفسه اولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك انه ربهم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس بان الالهية خاصة له سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها احد والسبب في تكرير لفظة الناس يقتضي مزية شرفهم على غيرهم **من شر الوسواس** يعني الشيطان ذي الوسواس والوسوسة الهمس والصوت الخفي **الخناس** يعني الرجاع الذي من عادته ان يخنس اي يتاخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسهى وسوس واذا ذكر الله انخنس الشيطان عنه وتاخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال ان راسه كراس الحية واضع راسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه فاذا ذكر الله عز وجل خنس واذا لم يذكر رجع ووضع راسه على القلب فذلك قوله تعالى **الذي يوسوس في صدور الناس** يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب **من الجنة** يعني الجن **والناس** وفي معنى الاية وجهان احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا في قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الاية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثاني ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الناس وكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل ذلك زاد في الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكانه تعالى امر ان يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا **ق** عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على راسه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها اخرجه مالك في الموطا ولهما بمعناه **ق** عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله القران فهو يقوم به اناء الليل وانا

النهار ورجل اتاه الله مالا فهو ينفق منه انا الليل واطراف النهار عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله
قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي
يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه
الترمذي

تم كتاب التاويل في معالم التنزيل والحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وحسبنا الله ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين
والمرسلين وعلى اله وصحبه وسلم
اجمعين صلاة وسلاما دايمين
متلازمين الى
يوم الدين
امين
امين
امين
ام
ين